



دار الكتب المصرية

كتاب

عيون الأخبار

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الأول

كتاب السلطان — كتاب الحرب — كتاب السؤدد

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م

فهرس

المجلد الأول من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

مقدمة الكتاب (ط)

الجزء الأول — كتاب السلطان

١ محل السلطان وسيرته وسياسته
١٤ اختيار المال
١٩ باب حجة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلونه
٢٧ المشاورة والرأى
٣٤ الإجابة بالظن والرأى
٣٧ اتباع الهوى
٣٨ السر وكتمانه وإعلانه
٤٢ الكتاب والكتابة
٥٢ خيانات المال
٦٠ التهضاء

صفحة

٦٨ في الشهادات
٧٢ باب الأحكام
٧٤ الظلم
٧٩ قولهم في الحبس
٨٢ الجحاب
٩٢ التلطف في مخاطبة السلطان وإلقاء النصيحة إليه
٩٢ الخفوت في طاعته
٩٣ التلطف في مدحه
٩٨ التلطف في مسئلة العفو

الجزء الثاني - كتاب الحرب

١٠٧ آداب الحرب ومكايدها
١٢٢ الأوقات التي تُختار للسفر والحرب
١٢٣ الدماء عند اللقاء
١٢٤ الصبر وحض الناس يوم اللقاء عليه
١٢٧ ذكر الحرب
١٢٨ في العدة والسلاح
١٣٢ آداب الفروسة
١٣٤ المسير في الغزو والسفر

صفحة	
١٤٢	التفويض
١٤٤	في الطيرة والقال
١٥١	مذاهب العجم في العياقة والاستدلال بها
١٥٣	باب في الخيل
١٦٠	باب البغال والحمير
١٦١	باب في الإبل
١٦٣	أخبار الجبناء
١٧٢	باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم
١٩٤	باب الخيل في الحروب وغيرها
٢٠٤	باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين
٢١٣	ذكر الأمصار

الجزء الثالث — كتاب السؤدد

٢٢٣	مخايل السؤدد وأسبابه ومخايل السوء
٢٢٧	الكمال والتناهي في السؤدد
٢٢٩	السيادة والكمال في الحدائنة
٢٣١	الهمة والخطار بالنفس
٢٣٩	الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب
٢٤٦	ذم الغنى ومدح الفقر

صفحة	
٢٤٩	التجارة والبيع والشراء
٢٥٤	الدين
٢٥٨	اختلاف المم والشهوات والأمانى
٢٦٤	التواضع
٢٦٩	باب الكبر والعجب
٢٧٥	باب مدح الرجل نفسه وغيره
٢٧٦	قول الممدوح عند المدحة
٢٧٨	باب الحياء
٢٧٩	باب العقل
٢٨٢	باب الحلم والغضب
٢٩١	باب العز والذل والهبة
٢٩٥	باب المروءة
٢٩٦	باب اللباس
٣٠٢	التخشم
٣٠٣	باب الطيب
٣٠٥	باب المجالس والجلساء والمحادثة
٣٠٩	باب التقلاء
٣١١	باب البناء والمنازل

صفحة

باب المزاح والرخص فيه	٣١٥
التوسط في الأشياء وما يكره من التقصير فيها والفتور (باب التوسط في الدين)	٣٢٥
باب التوسط في المنازاة والحلم	٣٢٨
باب التوسط في العقل والرأى	٣٢٩
باب ذم فضل الأدب والقول	٣٣٠
باب التوسط في الجنة	٣٣١
باب الاقتصاد في الإنفاق والإعطاء	٣٣١
أفعال من أفعال السادة والأشراف	٣٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الامام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة التنويرى رضى الله عنه : الحمد لله الذى يُعجز بِلَاؤُهُ صفة الواصفين وتضوت آلاؤُهُ عددَ العاذين وتسع رحمته ذنوب المسرفين ، والحمد لله الذى لا تُحجَب عنه دعوة ولا تُخيب لديه طَلْبة ولا يضل عنده سعى ، الذى رضى عن عظيم النعم بقليل الشكر وغفر بَعْدَ النعم كبير الذنوب ومحا بتوبة الساعة خطايا السنين ، والحمد لله الذى أبتعث فينا البشير النذير المراج المتبر هاديا الى رضاه وداعيا الى محابته ^(١) ودألا على سبيل جنته ففتح لنا باب رحمته وأغلق عنا باب عصفه . صلى الله وملائكته المقربون عليه وعلى آله وصحبه أبدا ما ظا بحر وذُرَّ شارق وعلى جميع النبيين والمرسلين .

- ١٠ أما بعد فإن لله فى كل نعمة أنعم بها حقا وعلى كل بلاء أبلاه زكاة : فزكاة المال الصدقة ، وزكاة الشرف التواضع ، وزكاة الجاه بذله ، وزكاة العلم نشره ، وخير العلوم أضعها ، وأضعها أحدها مَنِّة ، وأحدها مَنِّة ما تُعلم وتُعلم به وأريد به وجه الله تعالى . ونحن نسأل الله تعالى جل وعلا أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونفيد ومريدين ولحسن بلائه عندنا عارفين وبشكره آتاء الليل والنهار هاديين إنه أقرب المدعوين وأجود المستولين .

وإني كنت تكلفت لمُغفل التاديب من الكُتُب كُتابا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد حين تبيّنتُ شمول النقص ودروس العلم وشغل السلطان عن إقامة سوق الأدب

(١) فى النسخة الجغرافية : « محابة » .

حتى عفا ودرّس ، بلغتْ به فيه همة النفس وتلّج الفؤاد وقبِلَتْ عليه به ما أطرقتُ الآله^(١)
 ليوم الإدالة ، وشرطتْ عليه مع تعلّم ذلك تحفّظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف
 سطوره^(٢) ممثلا إذا كاتب ، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن
 إذا حاور . ولما قلّدت له القيام ببعض آله دعيتُ الهمة الى كفايته وخشيتُ
 أن وكّلته فيما بقى الى نفسه وعوّلتُ له على اختياره أن تستمرّ ميريته على التهاون
 ويستوطئ مركبه من العجز فيضرب صفعا عن الآخر كما ضرب صفعا عن الأول ،
 أو يزاول ذلك بضعف من النية وكلال من الحدة فيلحقه خور الطباع وصامة الكلفة .
 فأكلتْ له ما ابتدأت وشيلتْ ما أسست وعملتْ له في ذلك عمل من طب لمن
 حبّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيتْ منه بما جلّ الشكر وعوّلت على الله
 في الجزاء والأجر .

فإن هذا الكتاب ، وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال
 والحرام ، دأل على معالي الأمور مرشد لكرّم الأخلاق زاجر عن الدعاة ناه عن القبيح
 باحث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الأرض وليس الطريق
 الى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعا في تهجد الليل وسرّد الصيام وعلم الحلال والحرام ،
 بل الطرق اليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان ، وصلاح
 الزمان بصلاح السلطان ، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التصير .

وهذه عيون الأخبار نظمتمْها لمغفل التأديب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ولسان
 الناس ومسومهم مؤدبا وللوك مستراحا [من كد الحدة والتعب^(٣)] وصفتها أبوابا وقرنت
 الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم غلبها وعلى الدارس حفظها

(١) في النسخة الأصلية : « ما أزل من الآلة ليوم الإدالة » .

(٢) في النسخة القنوجرافية : « النظر » . (٣) زيادة في النسخة الألمانية .

- وعلى الناشد طلبها، وهى لقاح عقول العلماء وتنتاج^(١) أفكار الحكماء وزبدة المختص
وحجة الأدب وأثار طول النظر والمتخير من كلام البلغاء وفطن الشعراء وسير الملوك
وأثار السلف . جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها
وتقومها بثقافتها وتخلصها من مساوى الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها،
وتروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمه وأدب كريم وخلق عظيم ،
وتصل بها كلامك اذا حاورت وبلاغتك اذا كتبت ، وتستنصح بها حاجتك اذا
سألت، وتلطّف فى القول إن شفعت، وتخرج من اللوم بأحسن العذر اذا اعتذرت،
تغلب الكلام مصاديد القلوب والسحر الحلال، وتستعمل آدابها فى محبة سلطانك
وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدير حروبه ، وتعلم بها مجملك إذا جدت
وأهزلت وتوضح بأمثاله حجبك وتبذ باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق فى أحسن
صورة وتبلغ الإرادة بأخف مئونة، وتستولى على الأمد وأنت وادع [وتطيق الطريقة^(٢)
ثانيا من عتاك وتمشى رويدا وتكون أولا] هذا اذا كانت الغريزة مؤاتية والطبيعة
قابلة والحس مقادا ، فان لم يكن كذلك فى هذا الكتاب، لمن أراه عقله قص
نفسه فأحسن سياستها وستر بالأداة والروية عيوبها ووضع من دواء هذا الكتاب على
داء غريزته وسقاها بمائه وقدهح فيها بضيائه ، ما نعيش منها العليل وشخذ الكليل
وبعث الوستنان وأيقظ الهاجج حتى يقارب بمون الله رتب المطبوعين .

- ولم أرسوا با أن يكون كتابي هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على
خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سؤقتهم، فوقيت كل فريق منهم
قسمه ووفرت عليه سهمه وأودعته طرفا من محاسن كلام الزهاد فى الدنيا وذكر
بجائنها والزوال والانتقال وما يتلاقون به اذا اجتمعوا ويتكاثرون به اذا افرقوا،

(١) فى التسمية الجغرافية : «وتنتاج» . (٢) زيادة فى التسمية الألمانية .

في المواظ والزهّد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادقا ،
ويأطر على التوبة متجانفا ، ويردع ظلما ويلين برفاقه قسوة القلوب . ولم أخله مع
ذلك من نادرة طرفة وفضلة لطيفة وكلمة مُحِجَّة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن
الكتاب منهجٌ سلكه السالكون وعروضٌ أخذ فيها القائلون ، ولأروح بذلك عن
القارئ من كد الجِدِّ وإتاعاب الحقِّ فإنَّ الأذن مجَّاجةً والنفس حمّضةً ، والمزج إذا كان
حقا أو مقاربا ولا حايته وأوقاته وأسباب أوجبه [مشاكلا]^(٢) ليس من الصيغ ولا
من المنكر ولا من الجائر ولا من الصغائر إن شاء الله .

وسيتبى بك كتابنا هذا إلى باب المزاج والفكاهة وما روى عن الأشراف والأئمة
فيها ، فإذا مرّ بك أيها المترجم حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك
له فأعرف المذهب فيه وما أردنا به .

وأعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتسكك فان ضحكك ممن يترخص فيها تشددت
فيه محتاج إليه ، وإن الكتاب لم يعمل لك دون ضحكك فمبياً على ظاهر محبتك ،
ولو وقع فيه توقُّ المترجمين لنحب شطربانه وشطرمائه ولأعرض عنه من أحببنا
أن يُقبل إليه معك .

وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف
شهوات الآكلين ، وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف
فاحشة فلا يملكك الخشوع أو الخاشع على أن تُصعّر خنكك وتعرض بوجهك فان
أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل
لحوم الناس بالغييب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ تَمَرَّى بَعَزَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ

(١) في النسخة القمغرافية « الجهد » . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

فَأَعِضُوهُ بَيْنَ أَبِيهِ وَلَا تَكُونُوا». وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ،
— حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن هؤلاء لو قد معهم من السلاح لأسلموك — :
«اعضض يطرر اللآلئ، أنحن أنسله !» . وقال علي بن أبي طالب صلوات
الله عليه : «من يطل^(١) أيرأيه ينتطق به» . وقال الشاعر في هذا المعنى بعينه

• فلو شاء ربِّي كنت أيرأيكم * طويلا كأيرالحارث بن سدوس

- قال الأصمعي: كان لحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكرا، وقيل للشعبي: إن
هذا لا يحىء في القياس، قال: أيرأي القياس، الولد ذكراً. وليس هذا من شكل
ما تراه في شعر جرير والفرزدق لأنة ذلك تسيير وأنتأرق في الأخوات والأمهات وقذف
للحصنات العافلات، فضفهم الأمرين وأفرق بين الحسنين، ولم أترخص لك في إرسال
اللسان بالرفث على أن تجعله جبراً لك على كل حال ودينتك في كل مقال، بل الترخص
١٠ متى فيه عند حكاية تمحيها أو رواية ترويحها، تنقصها الكناية ويلهب بجلالاتها
التمريض، وأحببت أن تجري في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في إرسال
النفس على السجية والرغبة بها عن لئسة الرياء والتصنع . ولا تستشعر أن القوم قارفوا
وتنزهت وتلموا أديانهم وتوزعت . وكذلك الحسن إن مر بك في حديث من النوادر
فلا يذهبن عليك أنا تتمدناه وأردنا منك أن تتعمده لأنة الإعراب ربما سلب بعض
١٥ الحديث حصنه وشاطر النادرة حلاوتها، وسأمثل لك مثالا: قيل لمزيد المديني — وقد
أكل طعاما كظله: — في فقال: ما أقي، أقي قفا ولم جدى! مرني طالق لو وجدت

(١) كذا بالأصل ولسان العرب معزوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ورد في جميع الأمثال اليداني
«من يطل من أبيه يخفي به» . (٢) في النسخة الألمانية «ودينك» .

- (٣) ورد في النسخة المطبوعة بألمانيا هكذا (لزيد) وكذلك ورد في الأغاني ج ١٣ ص ١١٧ من
غير ضبط وورد في تخب البخله لبحاسن المطبوع بأوروبا ص ٩ هكذا (مزيد) . وورد في الأصل
الفتوغرافي الذي بين أيدينا هكذا (لزيد) . وفي تلج المروس في مادة (زيد) : وزيد كعذت أم رجل
مباحب النوادر وضبط كعظم ووجد بخط الذهبي ساكن الزاي مكسور الموحدة .

هَذَا قِيْلَ لَا تَكْتُبْ . أَلَا تَرَى أَنَّ هَذِهِ الْإِقْفَاضَ لَوْ قَوَّيْتُ بِالْإِعْرَابِ وَالْهَمْزِ حَقَّقَهَا
لَتَنَبَّهَتْ تَلَاوُثُهَا وَلَا تَسْتَبْشِعُهَا سَامِعُهَا وَكَانَ أَحْسَنَ أَحْوَالِهَا أَنْ يَكْفَى لَطْفُ مَعْنَاهَا
هَلْ أَلْفَظُهَا فَيَكُونُ مِثْلَ الْخَبَرِ عَنْهَا مَا قَالِ الْأَوَّلُ

أَضْرَبَ نَدَى طَلْحَةَ الْخِيَرَاتِ إِنْ نَحَرُوا * يَخْضِلُ أَشْمَتَ وَاسْتَنْثِيَتْ وَكُنْ حَكَا
تَخْرُجُ نَزَاعَةً مِنْ لَوْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ * فَلَا تُعْذِرْ لَهَا لَوْ مَا وَلَا كَرَمًا
وَمِثْلُ هَذَا قَالَ مَالِكُ بْنُ أَسْمَلَةَ فِي جَارِيَةٍ لَهُ

أَمْطَلِي مَنِيَّ عَلَى بَصَرِي لِلْحَبِّ أَمْ أَنْتِ أَكَلِ النَّاسِ حَسَنًا
وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مَا * يَشْتَهِي النَّاسُ يَوْزَنُ وَزَنًا
مَنْطِقُ بَارِعٍ وَتَحَفُّنُ أَحْيَا * نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَنَا^(١)

وَلَنْ مَرَّةً بِكَ خَيْرٌ أَوْ شَعْرٌ يَنْضَعُ عَنْ قَدَرِ الْكَلْبِ وَمَا بُنِيَ عَلَيْهِ فَاعْلَمْ أَنَّ لِذَلِكَ
سَبِيلَيْنِ : أَحَدُهُمَا قَلَّةُ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَالسَّبَبُ الْآخَرُ أَنَّ
الْحَسَنَ إِذَا وُصِّلَ بِمِثْلِهِ قَصَصُ ثَوْرَاهُمَا وَلَمْ يَتَّبِعْ فَاضِلٌ بِمَفْضُولٍ ، وَإِذَا وُصِّلَ بِمَا هُوَ
دُونُهُ أَرَاكَ قَصَصًا أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ الرَّجَحَانِ ، وَمِدَارُ الْأَمْرِ وَقَوَامُهُ عَلَى وَاحِدَةٍ
تَحْتَاجُ إِلَى أَنْتَ تَأْخُذَ نَفْسَكَ بِهَا وَهِيَ أَنْ تُخَضِّرَ الْكَلِمَةَ مَوْضِعَهَا وَتَصِلَهَا بِسَبَبِهَا
وَلَا تَرَى غَبْنًا أَنْ يَتَكَلَّمَ النَّاسُ وَأَنْتَ مِمْسِكٌ ، فَإِذَا رَأَيْتَ حَالًا مُشَاكِلَ مَا حَضَرَكَ
مِنَ الْقَوْلِ أَحْضَرْتَهُ وَفُرْصَةً تَخَافُ قُوَّتَهَا اتَّهَزَتْهَا ، وَكَانَ يُقَالُ : اتَّهَزُوا فِرْصَ الْقَوْلِ فَإِنْ
لِلْقَوْلِ ضَائِعَاتٌ يَضُرُّ فِيهَا الْخَطَأُ وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصُّوَابُ ، وَقَالُوا : رَبُّ كَلِمَةٍ يَقُولُ : دَعْنِي .

(١) قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَرِيدٍ : يَرِيدُ أَنْهَا تُنَوِّسُ فِي حَدِيثِهَا قَوْلُهُ عَنْ بَعْضِهِ لَهَا فِيهِمُ الْخَائِفُونَ ، ثُمَّ قَالَ
« وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَنَا » أَيْ خَيْرُ الْحَدِيثِ مَا فَهِمَهُ صَاحِبُكَ الَّذِي تَحِبُّ إِفْهَامَهُ وَحَدَهُ وَبَنَى عَلَى غَيْرِهِ أَمْ
قَلَّ عَنْ أَمَالِ الْقَائِلِ . وَقِيلَ لَمَنْ أَحْيَا أَيْ تَحَضَّرَ فِي الْإِعْرَابِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَسْتَلِجُ فِي الْجَوَارِي ذَلِكَ إِذَا
كَانَ خَفِيفًا وَيَسْتَقْبِلُ مِنْهُ لَزُومَ حَقِّ الْإِعْرَابِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى الْأَخِيرُ أَوْرَدَهُ صَاحِبُ اللِّسَانِ وَبَرِيقُ السَّكَاكِمِ
يَا نَفْسَ سَهْ . وَلَعَلَّهُ خَبَى بِالْمَنْ فِي الْمَصْرَاعِ الْأَوَّلِ الْخَطَأُ فِي الْإِعْرَابِ وَبِالْمَنْ فِي الْمَصْرَاعِ الثَّانِي الْمَعْنَى الَّتِي
ذَهَبَ إِلَيْهَا ابْنُ دَرِيدٍ أَوْ الْمَنْ بِمَعْنَى التَّوْقِيعِ . (٢) فِي النُّسخَةِ الْفَرَنْجِيَّةِ : « ثَوْرَاهُمَا » .

١٠

١٥

٢٠

- وإن وقفت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مُشبعًا فلا تحض علينا بالإغفال حتى تتصفح الكتب كلها، فانه ربّ معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فتقسم ما جاء فيه على مواضعه، كاللطف في القول يقع في كتاب السلطان ويقع في كتاب الخوارج ويقع في باب البيان، وكالاعتذار يقع في كتاب السلطان وفي كتاب الاخوان، وكالبخل يقع في كتاب الطبائع وفي كتاب الطعام، وكالكبر والمشيب يقع في كتاب الزهد ويقع في كتاب النساء .

- واعلم أنا لم نزل نتقط هذه الأحاديث في الحداثة والاكتمال عن هو فوقنا في السن والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعظم وسيرهم وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم وعن هو دوننا غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سأل حداثته ولا عن الصغير قدرا لحسامته ولا عن الأئمة الوكلاء بلهلها فضلا عن غيرها ، فان العلم ضالة المؤمن من حيث أخذه فقه ، وإن يُزرى بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تُستنبط من الكاشحين ، ولا تُضيرُ الحسنة أطلرها ولا بنات الأصدا ف أصداؤها ولا الذهب الإبريز يخرجُه من كبا ، ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضاع القرصة ، والفرص تمرّ السحاب .

- حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن سليمان بن معاوية عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس قال : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه ، فانه قد يقول الحكمة غير الحكم وتكون الرئية من غير الراى » . وهذا يكون في مثل كتابنا لانه في آداب ومحاسن أقوام ومقايص أقوام والحسن لا يتهمس بالقيح ولا ينجى على من سمعه من حيث كان . فاما علم الدين والحلال والحرام فانما هو استبعاد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه

إلا عَن تراه لك حجة ولا تهدح في صدرك منه الشكوك، وكذلك منهنبا فيما يختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان مختَصِرَ اللفظ لطيف المعنى لم يُزِرْ به عندنا تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرضه تقسّمه فكل قديم حديث في عصره وكل شرف فأقوله خارجيٌّ^(*) ، ومن شأن عوام الناس رفع المعلوم ووضع الموجود ورفض المبذول وحب المتنوع وتعظيم المتقدم وتُغْضِران زلته وبخس المتأخر والتجني عليه ، والماعقل منهم ينظر بعين العدل لا بين الرضا ويزن الأمور بالتسلسل المستقيم .

وإني حين قسّمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة ، كل كتاب منها مفرد على حديثه ، كتاب الشراب ، وكتاب المعارف ، وكتاب الشعر ، وكتاب تأويل الرؤيا .

فالكتاب الأول من الكتب العشرة المجموعة "كتاب السلطان" وفيه الأخبار عن عمل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعما يحتاج صاحبه إلى استعماله من الآداب في صحبته وفي مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به في اختيار عماله وقضاياه وتجباه وتكابه وعلى الحكام أن يمتثلوه في أحكامهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثاني "كتاب الحرب" وهذا الكتاب مشا كل لكتاب السلطان فضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش

(ج) في اللسان «الغلابج» الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم .

وعن العُدد والسلاح والكُرَاع وما جاء في السفر والمسير والطَّيرة والفأل وما يؤمر به
الغزاة والمسافرون ، وأخبار الجناء والشجعاء وحِل الحرب وغيرها وشيء من أخبار
الدولة والعالميين وأخبار الأمصار وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة
لتلك الأخبار .

- وَالْكِتَابُ الثَّالِثُ "كِتَابُ السُّؤْدُدِ" فِيهِ الْأَخْبَارُ عَنْ تَحَايِلِ السُّؤْدُدِ فِي الْحَيَاتِ
وَأَسْبَابِهِ فِي الْكِبَرِ وَعَنِ الْهَمَةِ السَّامِيَةِ وَالْخَطَارِ بِالنَّفْسِ لَطَلِبِ الْمَعَالَى وَاخْتِلَافِ
الْإِرَادَاتِ وَالْأَمَانِيِّ وَالتَّوَاضُعِ وَالْكِبَرِ وَالْحُبِّ وَالْحَيَاءِ وَالْعَقْلِ وَالْحِلْمِ وَالنَّفْضِ وَالْعَزِ
وَالْهَيْبَةِ وَالذَّلِّ وَالْمُرُوءَةِ وَالْبَاسِ وَالطَّيِّبِ وَالْمُجَالَسَةِ وَالْمُحَادَثَةِ وَالْبِنَاءِ وَالْمِزَاجِ وَتَرْكِ التَّمَتُّعِ
وَالْتَّوَسُّطِ فِي الْأَشْيَاءِ وَمَا يَكْرَهُ مِنَ الْفَقْرِ وَالتَّقْصِيرِ وَالْيَسَارِ وَالْفَقْرِ وَالتَّجَارَةِ وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ
وَالْمُدَانِيَةِ وَالشَّرِيفِ مِنْ أَفْعَالِ الْأَشْرَافِ وَالسَّادَةِ وَمَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ النُّوَادِرِ وَأَبْيَاتِ
الشَّعْرِ الْمَشَاكِلَةِ لِتِلْكَ الْأَخْبَارِ .

- وَالْكِتَابُ الرَّابِعُ "كِتَابُ الطَّبَائِعِ وَالْأَخْلَاقِ" وَهَذَا الْكِتَابُ مُقَارِبٌ لِكِتَابِ
السُّؤْدُدِ فَضَمَمْتُهُ إِلَيْهِ وَجَعَلْتُهُمَا جُزْأً وَاحِدًا وَفِيهِ الْأَخْبَارُ عَنْ تَشَابُهِ النَّاسِ فِي الطَّبَائِعِ وَذَمُّهُمْ
وَعَنِ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ مِنَ الْحَسَدِ وَالنِّيَّةِ وَالسَّعَايَةِ وَالْكَذِبِ وَالْفَقْهَةِ وَسَوْءِ الْخُلُقِ
وَسَوْءِ الْجَوَارِ وَالسَّبَابِ وَالْبُغْلِ وَالْحَقِّ وَنَوَادِرِ الْحَقِّ وَطَبَائِعِ الْحَيَوَانِ مِنَ النَّاسِ وَالْجِنِّ
وَالْأَنْعَامِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ وَالْحَشَرَاتِ وَصَفَاتِ الْحَيَوَانِ وَالنبات وما جاء في ذلك من
النُّوَادِرِ وَأَبْيَاتِ الشَّعْرِ الْمَشَاكِلَةِ لِتِلْكَ الْأَخْبَارِ .

وَالْكِتَابُ الْخَامِسُ "كِتَابُ الْعِلْمِ" فِيهِ الْأَخْبَارُ عَنِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ وَعَنِ
الْكِتَابِ وَالْحِفْظِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْإِثْرِ وَالْكَلَامِ فِي الدِّينِ وَوَصَايَا الْمُؤَدِّينَ وَالْبَيَانِ وَالْبَلَاغَةِ

والتلطف في الجواب والكلام وحسن التعريض والخطب والمقامات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس "كتاب الزهد" وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضممته إليه وجعلتها جزءا واحدا وفيه الأخبار عن صفات الزهاد وكلامهم في الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبر والشبه والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السابع "كتاب الإخوان" وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالقة الناس وحسن معادرتهم والتلاقي والزيارة والمعاقبة والوداع والتهادى والعبادة والتعاضد والتهانى وذكر شرار الإخوان وذكر القرايات والولد والاعتذار وعتب الإخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثامن "كتاب الحوائج" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الإخوان فضممته إليه وجعلتها جزءا واحدا وفيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتان والصبر والحدة والمهنية والرشوة ولطيف الكلام ومن يستمد في الحاجة ومن يستسعى لها والإجابة إلى الحاجة والرد عنها والمواعيد وتتميزها وأحوال المسؤولين عند السؤال في الطلاقة والعبوس والمعادة من المعروف تقطع والشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب في قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستغفاف وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

(١) في النسخة القموزرافية : « المقالات » .

(٢) : في الأصل القموزافي « وجب الإخوان ومفادهم وتعاديهم ... » الخ .

والكتاب التاسع "كتاب الطعام"، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والخُلُوءِ والسُّويقِ واللبنِ والتمرِ والخبثِ منها التي يأكلها فقراء الأعراب، وتزلة الفقر وأدب الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأكلة والمنهزمين والنساء إلى المآذب والضيافة وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحِمية وشرب الدواء ومضار الأطعمة ومتافعها ومصلحها وتنف من طب العرب والعجم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب العاشر "كتاب النساء" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب تلمحوا إلى كل والنكاح الأطينين فتقول: قد ذهب منه الأطيان، تريدان، فبضمته إليه وجعلتهما جزأ واحدًا وفيه الأخبار عن اختلاف النساء في أخلاقهن وحَقَقْنِ وما يُختار منهن للنكاح وما يُكره واختلاف الرجال في ذلك والحسن والجمال والقيع ١٠ والنَّمَامَةُ والسود والعاهات والعجز والمشايخ والمُهور ويخطب النكاح ووصايا الأولياء عند الهداء وسياسة النساء ومعاشرتهن والدخول بهن والجماع والولادات ومسايهين خلا أخبار عشاق العرب فأتى كتاب الشعراء أولى بها فلم أودع هذا الكتاب منها إلا شيئًا يسيرًا، وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك ١٥ الأخبار .

فهذه أبواب الكتب جمعها لك في صدر أولها لأعفيك من كد الطلب وتعب التصحيف وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعتهما ولتقصّد فيما تريد حين تريد إلى موضعه فتستخرج به عنه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه، فإن هذه الأخبار والأشعار وإن كانت عيونًا غنّارة أكثر من أن يحاط بها أو يُوقف من ورائها ٢٠ أو تنتهي حتى يُتمى عنها .

وَقَدْ خَفَّفْتُ وَإِنْ كُنْتُ أَكْثَرْتُ ، وَأَخْتَصَرْتُ وَإِنْ كُنْتُ أَطَلْتُ ، وَتَوَقَّيْتُ
 فِي هَذِهِ النَّوَادِرِ وَالْمُضَاهَاكِ مَا يَتَوَقَّاهُ مَنْ رَضِيَ مِنَ الْغَنِيمَةِ فِيهَا بِالسَّلَامَةِ وَمِنْ بَعْدِ
 الشُّقَّةِ بِالْإِثَابِ ، وَلَمْ أَجِدْ بَدَلًا مِنْ مَقْدَارِ مَا أَوْدَعْتُهُ الْكِتَابَ مِنْهَا لَتَتَمَّ بِهِ الْأَبْوَابُ ،
 وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ بَعْضُ بَعْضًا وَيُفَرِّجَ بَحِيرَ شَرِّهِ وَيَجِدَّ هَزْلًا ثُمَّ يَعُودَ طِينًا بَعْدَ
 ذَلِكَ بِفَضْلِهِ وَيَتَعَمَّدَنَا بِمَقْوَاهُ وَيُعِيدَنَا بَعْدَ طَوْلِ الْأَمَلِ فِيهِ وَحَسَنَ الظَّنِّ بِهِ وَالرَّجَاءِ لَهُ
 مِنْ الْخَلِيَةِ وَالْحَرَمَانِ .

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدثنا محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثنا مسلم بن قتيبة عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ستحرقون على الإمامة ثم تكون حصرةً وندامة يوم القيامة فمنعت المُرْضعةُ وبُستِ الفاطمة" .

حدثني محمد بن زياد الزيادي قال حدثنا عبد العزيز الداروري قال حدثنا شريك عن عطاء بن يسار أن رجلاً قال عند النبي صلى الله عليه وسلم : بئس الشيء الإمامة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "نعم الشيء الإمامة لمن أخذها بحقها وحِلُّها" .

حدثني زيد بن أنزَم الطائي قال حدثنا ابن قتيبة قال حدثنا أبو المنهال عن عبد العزيز ابن أبي بكرة عن أبيه قال : لما مات كسرى قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : «من استخلفوا؟» فقالوا : أبنته بُوران ، قال : «لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة» .

حدثني زيد بن أنزَم قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت أبا يوسف يحدث عن عكرمة عن ابن عباس أنه قدم المدينة زمن الحرة فقال : من استعمل القوم؟ قالوا : علي قريش عبد الله بن مطيع ، وعلي الأنصار عبد الله بن حنظلة بن الراهب فقال : أميران ! هلك والله القوم .

(*) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفوتوغرافية : أبو قتيبة ، وليس عندنا ما يرجح أحدهما لوجودهما ما في كتب الأنساب .

حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام ابن حسان قال كان الحسن يقول : « أربعة من الاسلام إلى السلطان الحكم والقيء والجمعة والجهاد » . وحدثني محمد قال حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة قال قال كعب : « مثل الاسلام والسلطان والناس مثل القسطاط والعمود والأطناب والأوتاد ، فالقسطاط الاسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس ، لا يصلح بعضه إلا ببعض » .

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : قال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك : « السلطان سؤي فما نفق عنده أتى به » . وقرأت في كتاب لأبن المقفع : « الناس على دين السلطان إلا القليل فليكن للبر والمروءة عنده نفاقٌ فيسكت بذلك الصبور والدعاة في آفاق الأرض » . وقرأت فيه أيضا : « الملك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى ، فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينهم هو الذي يعطيهم الملم ويحقق بهم ما عليهم ، أرضاهم ذلك وأزل الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم . وأما ملك الحزم فانه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطغى والتسخط ولن يضره طعن الضعيف مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فطغ ساعة ودمار دهر » .

حدثني يزيد بن عمرو عن عصمة بن صقير الباهلي قال حدثنا اسحق بن عمار عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله حُرَّاساً يحرسه في السماء الملائكة وحراسه في الأرض الذين يأخذون الديوان » .

(١) في الأدب الكبير : فيسكت .

(٢) في الأصل القوضافي : القورك .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني سعيد بن سلم الباهلي قال أخبرني شعبة عن
شريك عن عكرمة في قول الله عز وجل ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال : «الجلالوزة يحفظون الأمراء» .

[وقال الشاعر^(*)

- ألا ليت شعري هل أبيت ليلة * خلياً من اسم الله والبركات
يعني باسم الله، وفيه قول الله ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي باسم الله .
وقرأت في كتاب من كتب الهند : « شر المال ما لا ينفع منه وشر الاخوان
الخالل وشر السلطان من خافه البريء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن » .
وقرأت فيه : « خير السلطان من أشبه النمر حوله الحيف لامن أشبه الحيفة حولها
النسور » وهذا معنى لطيف وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تحافه الرعية
خير للرعية من سلطان يخافها » .

حدثني شيخ لنا عن أبي الأحوص عن ابن عم لأبي وإثل عن أبي وإثل قال ،
قاله عبد الله ابن مسعود : « إذا كان الامام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا
كان جاثراً فعليه الوزر وعليك الصبر » .

- وأخبرني أيضاً عن أبي قدامة عن علي بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه : « ثلاث من التواقر : جار مقامة إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة
أذاعها ، وأمرأة إن دخلت عليها لستك وإن غبت عنها لم تأمنها ، وسلطان إن
احصلت لم يملك وإن أسأت قتلك » .

- وقرأت في اليتيمة : « مثل قليل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث الذي
هو سقيا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السفر
(*) زيادة في النسخة المتوخاة .

ويتداخى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتلذّ سيوله فيهلك الناس والدواب وتوح
له البحار فتشتدّ البلية منه على أهله فلا يمنع الناس، إذا نظروا إلى آثار رحمة الله
في الأرض التي أحيا والنبات الذي أنجز والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر،
أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويثمنوا ذكر خواصّ البلاء التي دخلت على
خواص الخلق، ومثل الرياح التي يرسلها الله نشرًا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب
ويجعلها لقاها للثمرات وأرواحا للعبيد يتلسمون منها ويتقلبون فيها ويجرى بها
مياهم وتقدّ بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم وقد تضرّ بكثير من الناس في ربهم
ويجرهم ويخلص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم فيشكوا منهم الشاكون ويتأذى بها
المتأذون ولا يُزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها وأمرها الذي صهرها له من قوام
عباده وتأم نعمته، ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرما وبردهما صلاحا للحرث
والنسل وتباجا للحب والثمر، يجمعها البرد باذن الله [ويجعلها] ويخرجها الحر باذن الله
ويُنضجها مع مائرها يعرف من منافعتها وقد يكون الأذى والضرر في حرما وبردهما
وسماتهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح، ومن ذلك
الليل الذي جعله الله سكنا ولباسا وقد يستوحش له أخو الفقّر وينازع فيه ذو البلية
والرّية وتعدو فيه السباع وتلسب في المواتم ويتنمّه أهل السرّ والسلة ولا يُزرى
صغير ضرره بكثير نفعه ولا يلحق به ذفا ولا يضع عن الناس الحق في الشكر لله على
ما منّ به عليهم منه، ومثل النهار الذي جعله الله ضياءً ونورا وقد يكون على الناس
أذى الحرق في قِيظهم وتصبحهم في الحروب والفارات ويكون فيه النصب والشحوص
وكثير ما يشكوه الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه، ولو أن الدنيا كان شيء
من سرّاها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت تمأؤها بغير كدر وميسورها من

غير معسور كانت الدنيا إذا هي الجنة التي لا يشوب ممرتها مكروه ولا فرجها ربح
والتي ليس فيها نصب ولا لغوب، فكل جسم من أمر الدنيا يكون ضره خاصة فهو
نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام .

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » .

- وقرأت في التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب
الملوك مشغولة بكل شيء يحل وألباب السُّوق مشغولة بأيسر الشيء ، فالجاهل منهم
يعذر نفسه بدعة ما هو عليه من الرسالة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو فيه من المشقة ،
ومن هناك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره » .

سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال : « لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ، إنما الزمان

هو السلطان » . ١٠

وكانت الحكماء تقول : « عدل السلطان أرفع للرعية من خصب الزمان » .

- وروى الهيثم عن ابن عياش عن الشعبي قال : « أقبل معاوية ذات يوم على
بنى هاشم فقال : يا بنى هاشم ، ألا تحذرون عن أدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون
لكم بالرضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعا ؟
فإن كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتت حقا ولا أسست
١٥ ملكا ، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
ووارثه وساقى الخبيخ وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بن عبد مناف ،
وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعا فإن القرابة خصلة من خصال الإمامة
لا تكون الإمامة بها وحدها وأتم تكونها بها وحدها ، ولكنا نقول : أحق قريش بها
من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها وتخلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواؤهم
٢٠

لثقة وقال عنها بحقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لأمرٌ تضيق به الصدور ، إذا
 سئلتم عن أجمع عليه من غيركم قلتم حق . فان كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم
 الحق من دعوكم . انظروا : فان كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم ، وإن كانوا أخذوا
 حقهم فسلوهم إليهم فانه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم . فقال ابن عباس
 ندعى هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تعد مقعدك هنا ، وقول كان ترك الناس أن
 يرتضوا بنا ويجتمعوا علينا حقا ضيعوه وخطأ حرموه ، وقد اجتمعوا على ذى فضل
 لم يخطئ الورد والصدر ، ولا ينقص فضل ذى فضل فضل غيره عليه . قال الله
 عز وجل ﴿ وَفُتِّحَ كُلِّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ ﴾ فاما الذى منعنا من طلب هذا الأمر بعد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهده منه الينا قبلنا فيه قوله ودنا بتأويله ولو أمرنا أن
 نأخذ على الوجه الذى نهانا عنه لأخذناه أو أعلدنا فيه ، ولا يعاب أحد على ترك
 حقه إنما المغيب من يطلب ما ليس له ، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضارا .
 انتهت القضية إلى داود وسليان فلم يفهما داود وفهما سليمان ولم يضرب داود . فاما
 القروية فقد نفعت المشرك وهى للؤمن أنفع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « أنت عمى وصنوا أبى ومن أبغض العباس فقد أبغضنى وهجرتك آخر المعجزة كما أن
 نبوتى آخر النبوة » . وقال لأبى طالب عند موته : يا عم قل لا إله إلا الله أشفع لك
 بها غدا وليس ذاك لأحد من الناس . قل الله تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
 السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِنَّا حَضَرْنَا مَوْتَهُمْ قَالِ إِنِّي نُبِتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ
 كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

حدثنا الرياشى عن أحمد بن سلام مولى ذئيف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ
 له قال ، قال كسرى : « لا تزل يبلد ليس فيه نعمة أشياء : سلطان قاهر ، وقاض
 عادل ، وسوق قائمة ، وطبيب عالم ، ونهر جار » .

(*) في الأصل التفرغى : طها .

- وحشش الراشى قال حششاً مُسلم بن إبراهيم قال حششاً القاسم بن الفضل قال حششاً ابن أخت الساج عن الساج قال : « قال لى أبو هريرة بمن أنت ؟ قال قلت من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتىك ^(١) بَقَاعُ الشَّامِ فَيَأْخُذُوا صَدَقَتَكَ فَذَا أَنْتَ فَتَلْقَهُمْ بِهَا فَذَا دَخَلُوهَا فَكُنْ فِي أَقْصَاهَا وَخَلْ عَنْهُمْ وَضَعُهَا ، وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَسْبِيَهُمْ فَإِنَّ سَبِيَهُمْ ذَهَبٌ أَجْرُكَ وَأَخْذُوا صَدَقَتَكَ وَإِنْ صَبَرْتَ جَاءَتْكَ فِي مِيزَانِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
- وفي رواية أخرى أنه قال : « إِذَا أَنْتَ الْمَصْدُوقُ قُلْ : خُذْ الْحَقَّ وَدَعْ الْبَاطِلَ ، فَإِنْ أَبَى فَلَا تَمْنَعْ إِذَا أَتَى وَلَا تَلْعَنَ إِذَا أَدْبَرَ فَتَكُونُ حَاصِبًا خَفَّ عَنْ ظِلِّهِ » .
- وكان يقال : « طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة ، والرغبة ، والمحبة ، والديانة » .

- ١٠ . وقرأت في بعض كتب العجم كتاباً لأردشير بن بابك إلى الرعية ، نسخته :
- « من أردشير الموبد ذي البهاء ملك الملوك ووارث العظماء ، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البيضاء ، والجناب الذين هم زينة المملكة ، وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد . السلام عليكم ، فانا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رافتنا إتاوتها المونقة عليها . ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية : لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو ، ولا تحتكروا فيشملكم القحط ، وتزوجوا في القرايين فانه أفسس للرحم وأثبت للنسب ، ولا تعبدوا هذه الدنيا شيئاً فانها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تتال إلا بها » .

(١) يقمان الشام خدمهم وصيدهم . شهم لياضهم وسوادهم بالفراب الأبقع وهو ما خالط سواده
بياض . ينى بلك الروم والسودان .

- ٢٠ . (٢) في النسخة الألمانية : المريد ، والمريد كالمؤيدان قهيه الفرس وساكم المجرس .
- (٣) في النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتاباً من أرسطاطاليس إلى ألكسندر وفيه : « املك الرعية بالإحسان إليها تظهر بالمحبة منها فإن طلبك ذلك منها بإحسانك هو أديم بقاء منه باعساك ، وأعلم أنك إنما تملك الأبدان فضطها إلى القلوب بالمعروف ، وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل » .

وقرأت في كتاب الآيين^(١) أن بعض ملوك العجم قال في خطبة له : « إني إنما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن الأعمال لا عن السرار » . ونحوه قول العجم : « أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية إلى طاعته بقلوبها » . وقالوا : « لا ينبغي للوالى أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة [كرهاً] ولكن في التي يستحقها بحسن الأمر و صواب الرأي والتدبير » .

حدثنا الرياشي عن أحمد بن سلام عن شيخ له قال : « كان أبو شروان إذا ولي رجلاً امر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقع فيه بخطه فإذا أتم بالعهد وقع فيه : سئ خيار الناس بالمحبة وامرج للعامة الرغبة بالرغبة وسس سلفة الناس بالإخافة » .

قال المدائني : « قدم قادم على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية : هل من مفرقة خبر؟ قال نعم ، نزلت بماء من مياه الأعراب فيبنا أنا عليه إذ أورد أعرابي إليه فلما شرب ضرب على جنبها وقال عليك زياداً . فقالت له : ما أردت بهذا؟ قال : هي سدي ، ما قام لي بها راجع مذ ولي زياد . فسر ذلك معاوية وكتب به إلى زياد » .

- (١) الآيين كلمة فارسية عربية الرب واستعملوها ومناها القانون والمادة ، ولابن المقفع تأليف بهذا الاسم ذكره صاحب الفهرست (ملخص مما كتبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكي باشا عن هذه الكلمة في كتاب التاج ص ١٩) ولعل البقى قل عنه الخرف هو آيين ابن المقفع .
- (٢) زيادة لازمة عن النسبة الأصلية .

قال عبد الملك بن مروان : « أَصِفُونَا يَا مَعْشَرَ الرِّعَةِ ، تَرِيدُونَ مِنَّا مَنِيْرَةً أَيْ بَكَرٍ وَعَمْرًا وَلَا تَسِيرُونَ فَبِنَا وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ بِسِيرَةٍ رَعِيَّةٌ أَيْ بَكَرٌ وَعَمْرٌ ! فَسَأَلَ إِلَهُ أَنْ يَمِيْنَ كُلًّا عَلَى كُلِّ » .

قال عمر بن الخطاب : « إِنْ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا اللَّيْنُ فِي خِيَرَتِهِ وَالْقُوَّةُ فِي خِيَرَتِهِ » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « إِنِّي لَا أُجِيعُ أَنْ أُخْرِجَ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرًا مِنَ الْمَلِكِ فَأَخَافُ أَنْ لَا تُحْمَلَهُ فَأَلْزِمَهُمْ فَأُخْرِجَ مَعَهُ طَعْمًا مِنْ طَعْمِ الدُّنْيَا ، فَإِنْ تَفَرَّتِ الْقُلُوبُ مِنْ هَذَا سَكَنَتْ إِلَى هَذَا » .

قال معاوية : « لَا أَضَعُ سَيْفِي حَيْثُ يَكْفِي سَوْطِي وَلَا أَضَعُ سَوْطِي حَيْثُ يَكْفِي لِسَانِي ، وَلَوْ أَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ شَعْرَةٌ مَا أَقْطَعْتُ . قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قال : كُنْتُ إِذَا مَتَوَّاهَا خَلَيْتُهَا وَإِذَا خَلَوْتُهَا مَدَدْتُهَا » .

ونحو هذا قول الشعبي فيه : « كَانَ مُعَاوِيَةُ كَالْجَلِجَلِ الطَّبِّ ، إِذَا سَكَتَ عَنْهُ تَهْتَمُّ وَإِذَا رُدَّ تَأَخَّرَ » . وَاجْلِ الطَّبِّ الْحَادِثُ بِالْمَتَى وَهُوَ الَّذِي لَا يَضَعُ يَدَهُ إِلَّا حَيْثُ يَبْصُرُ . وَقَوْلُ عُمَرَ فِيهِ : « احْذَرُوا أَدَمَ قَرِيْشَ وَابْنَ كَرِيْمَهَا ، مِنْ لَا يَنَامُ إِلَّا عَلَى الرِّضَا وَيَضْحَكُ فِي الْغَضَبِ وَيَأْخُذُ مَا فَوْقَهُ ^(*) مِنْ تَحْتِهِ » .

وَأَقْلَظُ لَهُ رَجُلٌ فَعَلِمَ عَنْهُ قَبِيلُ لَهُ : أَعْلَمُ عَنْ هَذَا ؟ قَالَ : « إِنِّي لَا أَجُودُ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ أَلْسِنَتِهِمْ مَا لَمْ يَحْمِلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سُلْطَانِنَا » .

كَانَ يُقَالُ : « لَا سُلْطَانَ إِلَّا بِرِجَالٍ وَلَا رِجَالَ إِلَّا بِمَالٍ وَلَا مَالَ إِلَّا بِعِبَادَةٍ وَلَا عِبَادَةَ إِلَّا بِسَلِّ وَحَسَنِ سِيَاسَةٍ » .

(*) فِي الْأَصْلِ الْقَوْتُورُ فِي : مِنْ .

قال زياد : « أحسنوا الى المزارعين فانكم لا تزلون سبباً ما سببنا » .

وكتب الوليد الى الججاج يأمره أن يكتب اليه بسيرة فكتب اليه : « إني أيقظت رأيي وأنت هوى ، فأذيتُ السيد المطاع في قومه ، ووليت الحربَ الحازمَ في أمره ، وقُلدتُ الخراجَ الموفرَ لأمانته ، وقسمت لكل خصم من تقسى قسماً يعطيه حظاً من نظري ولطيف عنايتي ، وصرفت السيف الى النطف المنيء ، والثواب الى المحسن البريء تخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب » .

وكان يقول لأهل الشام : « [إنما] أنا لكم كالظلم الرائع عن فراخه : ينفي عنها القدر ويباعد عنها الحجر ويكثها من المطر ويمحيها من الضباب ويمحسها من الذئاب . يا أهل الشام أتم الجنة والرداء وأتم العنة والحذاء » .

١٠ . نخر سليم مولى زياد زياد عند معاوية فقال معاوية : « اسكت ما أدرك صاحبك شيئاً قط بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني » .

وقال الوليد لعبد الملك : يا أبت ما السياسة ؟ قال : « هية الخاصة مع صدق مودتها وأقياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتيال هفوات الصنائع » .
وفي كتب الجرم : « قلوب الرعية خزائن ملوكها فإِ أودعَها من شيء فتعلم أنه فيها » .

ووصف بعض الملوك سياسته فقال : « لم أهزل في وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا عاقبت للفضب واستكفيت على الجزاء وأثبت على العناء لا للهوى ، وأودعت القلوب هية لم يشبها مقت ووداً لم تشبه جرة وعمت بالقوت ومنعت الفضول » .

(١) زيادة عن النسبة الأصلية .

(٢) في الأصل القوت خزانة : قلوب الرعية خزائن ملكها فإِ أودعها من شيء عظيم أنه فيها .

(٣) في الأصل القوت خزانة : القلوب .

وقرأت في كتاب التاج : قال أبو زرارة بن شيرويه وهو في حبيسه : « لا توسع على جنلك فيستغفروا عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك ، اعطهم عطاء قصداً وأمنهم منعا جليلا ووسع عليهم في الرجا ولا توسع عليهم في العطاء » . ونحوه قول المنصور في مجلسه لقواده : صدق الأعرابي حيث يقول : أجمعُ كلبك يبتلع . فقام أبو العباس الطوسي فقال : يا أميرا المؤمنين أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعو يدملك .

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : « أما بعد ، فإن الناس نفرة عن سلطانهم فاعوذ بالله أن تدركني وإياك عيأ مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا فأثر نصيبك من الله فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وأخفوا الفساد واجعلوهم يدا ورجلا رجلا ، وعد مرضى المسلمين وأشهد جنازهم واتضح لهم بابك وباشروهم بنفسك فانما أنت رجل منهم خير أن الله جعلك أهلهم حلا ، وقد بلغت أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بوادٍ خصيب فلم يكن لها هم إلا السمن وإنما حضها في السمن ، واعلم أن العامل إذا زاغ زاعت رعيته ، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام » .

١٥ هشام بن عروة قال : « صلى يوما عبد الله بن الزبير فوجم بعد الصلاة بمائة فقال الناس : لقد حدث نفسه . ثم التفت اليها فقال : لا سمعت ابن هند ! إن كانت فيه لخارج لا يجدها في أحد بعده أبدا ، والله إن كنا لنفرقهوما الليث الحارب على برائه بأجرا منه فيتفارق لنا . وإن كنا لنضدعه وما أبى ليلة من أهل الأرض يأدعي منه

(*) ضبط في الأصل القنطرة في هكذا (مرض) ويظهر أنه من عمل النسخة وفي الأصل الألفاني :

فَيَتَخَذُ لَنَا ، والله لوددت أَنَا مُتَعَمِّدٌ بِهِ مَا دَامَ فِي هَذَا جِجَرَ (وأشار إلى أبي قيس)
لَا يُنَحِّوْنَ لَهُ عَقْلَ وَلَا تَنْقِصُ لَهُ قُوَّةٌ ، قلنا : أَوْحَشَ والله الرجلُ . قال : وَكَانَ يَصِلُ
بِهَذَا الْحَدِيثِ : كَانَ وَاللهِ كَمَا قَالَ الْمُدْرِي

رَكُوبُ الْمُنَابِرِ وَثَابُهَا * مَعْنٍ بِمُخْطَبَتِهِ يَجْهَرُ
تُرِجُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ * إِذَا خَطَلَ النَّشْرُ الْمِهْرُ^(١)

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا جَدُّ سُرَانَ^(٢) وَسُرَانُ عَمُّ الْأَصْمَعِيِّ
قَالَ : « كَلَّمَ النَّاسَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنْ يَكْلِمَ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي أَنْ يَلِينَ لَهُمْ
فَإِنَّهُ قَدْ أَخَافَهُمْ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ أَخَافَ الْأَبْكَارَ فِي خُدُورِهِمْ . فَقَالَ عَمْرٌ : إِنِّي لَا أَجِدُ
لَهُمْ إِلَّا ذَلِكَ ، إِنْهُمْ لَوْ يَسْأَلُونَ مَا لَمْ عِنْدِي لِأَخْذُوا ثَوْبِي عَنْ طَائِقٍ^(٣) » .

قَالَ وَتَقَلَّبَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : « يَا أَبَا عَفْرٍ حَفِصٌ ، اللَّهُ لَكَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ
أَعْرِفْتِ ؟ أَيْ دُعِيتِ فَقَالَتْ صِلْتُ فِرْعَانَ^(٤) .

قَالَ أَتَجِئُ السَّكِينِي فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَثَانَ
لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانُ إِلَّا شِدَّةً * تَفْتَشِي الْبَرَى بِفَضْلِ ذَنْبِ الْمَجْرِمِ
وَمِنْ الْوَلَاةِ مَقْعَمٌ لَا يُتَّقَى * وَالسَّيْفُ تَقَطَّرَ شَفَرَتَاهُ مِنَ الدَّمِ
مَنْعَتْ مَهَابَتُكَ النُّفُوسَ حَدِيثَهَا * بِالْأَمْرِ تَكْرَهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ

- (١) فِي النَّجَاحِ مَادَّةٌ هـ ر : وَخَطِيبٌ مِهْرٌ : مَكْتَرٌ . وَأَوْرَدَ هَذَا الْبَيْتَ . وَفِي الْأَمَلِ الْفَتْوَرُافِي "مِهْرٌ"
وَلَمْ نَجِدْهُ فِي الْقَامُوسِ وَلَا فِي اللِّسَانِ .
- (٢) كَذَا بِالْأَمَلِ الْفَتْوَرُافِي عَارِضًا عَنِ الْقَطِيبِ ، وَضَبِطَ فِي النُّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَقَدْ بَحِثْنَا عَنْهُ فَلَمْ نَجِدْ لَهُ .
- (٣) فِي الْأَمَلِ الْأَلْمَانِي : مِنْ حُلٍ .
- (٤) كَذَا بِالْأَصْلَيْنِ الْفَتْوَرُافِي وَالْأَلْمَانِي وَلَهُ يَخُوفُ عَنْ "عَمْرٍ" وَكَأَنَّهُ أَرَادَتْ أَنْ تَتَّخِذَهُ بِقَوْلِهَا
يَا أَبَا حَفِصٍ عَمْرٌ ، فَقَالَتْ مِنْ دَعْوَتِهَا يَا أَبَا عَمْرٍ حَفِصٌ كَمَا قَالَتْ فِي الْتَرَاثِ الْحِكَايَةُ صِلْتُ فِرْعَانَ وَكَأَنَّهُ
أَرَادَتْ أَنْ يَقُولَ فِرْعَانُ صِلْتُكَ .
- (٥) فِي الْأَمَلِ الْأَلْمَانِي طَلَعَتْ وَهِيَ مَحْرِيفٌ .

كان يقال : « شر الأمراء أبعدهم من القراء وشر القراء أقرهم من الأمراء » .
كتب عامل لمعمر بن عبد العزيز على حصص إلى عمر : « إن مدينة حصص قد تهتكت
حصنها ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إصلاحه » فكتب إليه عمر « أما بعد ،
فحصنها بالعدل ، والسلام » .

٥. ذكر أمراء أميراً قال : « كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون
على عيونه ، فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالحسن راج والمعنى خائف » .
كان جعفر بن يحيى يقول : « الخراج عمود الملك وما استغزو بمثل العدل ولا استغزو
بمثل الظلم » .

- وفي كتاب من كتب السجيم أن أردشير قال لابنته : « يا بنى ، إن الملك والدين
أخوان لا غنى لأحدهما عن الآخر ، فالدين أس والملك حارس ، وما لم يكن له أس
فهجوم وما لم يكن له حارس فضائع . يا بنى ، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك
لأهل الجهاد ويشرك لأهل الدين وميرك لمن عناه ما عاتك من أرباب العقول » .
وكان يقال : « مهما كان في الملك فلا ينبغي أن تكون فيه خصال خمس : لا ينبغي
أن يكون كذاباً فإنه إذا كان كذاباً فوعده خيراً لم يرج أو أوعده بشر لم يخف ،
ولا ينبغي أن يكون بخيلاً فإنه إذا كان بخيلاً لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا
بالمناصحة [ولا ينبغي أن يكون جديداً فإنه إذا كان جديداً مع القدرة هلكت الرعية]
ولا ينبغي أن يكون حسوداً فإنه إذا كان حسوداً لم يشرف أحداً ولا يصلح الناس
إلا على أشرفهم ، ولا ينبغي أن يكون جباناً فإنه إذا كان جباناً ضاعت نفوسه وأجترأ
عليه عدوه » .

٢٠. (١) في الأصل القنوغرافى سورما وكتب فوقها كالنفسير لما : حصنها .
(٢) هذه الجملة سقطت في الأصل القنوغرافى من سيرة الناجح .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: وأبناه، وبكت . فقال معاوية : « يا أبنه أخى إك الناس أعطونا طاعة وأعطيتهم أمانا وأظهرنا لهم حالنا تحت غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ، ولأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين » .

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي : « إك المسلمين ولوك أمرهم بعد علي فشمز للحرب وجاهد صدوك ودار أصحابك وأشتري من الضنين دينه بما لا يثم دينك وول أهل البيوتات والشرف تستصلح بهم عشائهم حتى تكون الجماعة فان بعض ما يكره الناس ، ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي الى ظهور العدل وعز الدين ، خير من كثير مما يحبون إنا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور ووهن الدين » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم قال : « كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعن يبرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضميف ؟ وهل يسود المريض ؟ فان قالوا نعم ، حمد الله تعالى ، وإن قالوا لا ، كتب اليه : أقبل » .

اختيار العمال

رؤى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة كتب عهدا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويثقي فيها الفاجر : اني استعملت عمر بن الخطاب فان برّ وعلل فذلك علمي به ، وإن جار وبذل فلا علم

لى بالغيب ، ولنغير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب (وسيعلم الذين ظلموا اى مُنْقَلَب يَنْقَلِبُونَ) .

وفى التاج أن أبرويز كتب الى ابنه شيرويه من الحبس : « ليكن من تختاره لولايتك امرأ [كان] فى ضمة فوفته ، أو ذا شرف وجدته مهتظاً فاصطغته ، ولا تجعله امرأ أصبته بقوبة فأتضع عنها ولا امرأ أطاعك بعد ما أذلته ولا أحداً من يقع فى خلدك أن إزالة سلطانك أحب له من ثبوته ، وإياك أن تستعمله ضرراً عُمرًا كثر إعجابه بنفسه وقلّت تجاربه فى ضيره ، ولا كبيراً مدبراً قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه » .

وقال قبيط فى هذا المعنى

١٠ قسّدوا امرئكم لله دركم * رجب الذراع بأمر الحرب مضطلما
لا متّرفاً إن رضاء العيش ساعده * ولا إذا عضّ مكروه به خشماً^(٣)
ما زال يحلب درّ الدهر أشطره * يكون متبها يوماً ومتبها
حتى استمرت على شتر مريوته * مستحكّم السن لا نخا ولا ضرّاً^(٤)

ويقال فى مثل : « رأى الشيخ خير من مشهد الغلام » ومن أمثال العرب أيضاً فى المجرب « العوان لا تعلم الحمرة » .

(١) زيادة من النسخة الألمانية . (٢) فى النسخة الألمانية : غير .

(٣) فى النسخة الألمانية : خضما .

(٤) هكذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل القنوغرافى « فغا » وكتب تحه كالتصريح « كبيراً »

والصواب « فغا » وسماه كيرالسن جلاً وظهره من شعر العرب قوله

٢٠ له حكمت الدهر من غير كتمة * شين فلا فان ولا تخرج عسر

قال بعض الشُّعْبَاءِ : ذُلُونِي عَلَى رَجُلٍ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَهْمَنِي . قَالُوا : كَيْفَ تَرِيدُهُ ؟ قَالَ : « إِذَا كَانَ فِي الْقَوْمِ وَلَيْسَ أَمِيرُهُمْ كَانَ كَأَنَّهُ أَمِيرُهُمْ وَإِذَا كَانَ أَمِيرُهُمْ كَانَ كَأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ » قَالُوا : لَا تَعْلَمُهُ إِلَّا الرِّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ [الْجَارُثِيُّ] . قَالَ : صَلِّمْ هُنَا .

١٠ وَذُرَى الْمَيْمِ عَنْ جُلَّادٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ ، قَالَ الْحُجَّاجُ : ذُلُونِي عَلَى رَجُلٍ لِلشَّرْطِ قَبِيلٍ : أَيْ الرِّجَالِ تَرِيدُهُ ؟ قَالَ : « أُرِيدُهُ دَائِمَ الْعُبُوسِ طَوِيلِ الْجُلُوسِ سَمِينِ الْأَمَانَةِ أَعْجَفِ الْحَيَاةِ لَا يَخْطِقُ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّةٍ يَهْوِي عَلَيْهِ مَسْبَلُ الْأَشْرَافِ فِي الشَّفَاعَةِ » قَبِيلٌ لَهُ : عَلَيْكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُبَيْدِ التَّيْمِيِّ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ اسْتَعْمَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ : لَسْتُ أَقْبِلُهَا إِلَّا أَنْ تَكْفِيَنِي عِيَالَكَ وَوَلَدَكَ وَحَاشِيَتَكَ . قَالَ : يَا غُلَامُ ، نَادِ فِي النَّاسِ : مَنْ طَلَبَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ حَاجَةٌ فَقَدْ بَرِئْتُ مِنْهُ الذَّمَّةُ . قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ صَاحِبَ شُرْطَةٍ قَطُّ مِثْلَهُ ، كَانَ لَا يَجْهَسُ إِلَّا فِي دِينٍ ، وَكَانَ إِذَا أَتَى بِرَجُلٍ قَدْ تَقَبَّ عَلَى قَوْمٍ وَضَعَ مِثْقَلَهُ فِي بَطْنِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَإِذَا أَتَى بِبَشَّاشٍ حَفَرَهُ قَبْرًا فَذَفَنَهُ فِيهِ ، وَإِذَا أَتَى بِرَجُلٍ قَاتِلٍ بِمَحْدِيدَةٍ أَوْ شَهْرٍ سَلَاخًا قَطَعَ يَدَهُ ، وَإِذَا أَتَى بِرَجُلٍ قَدْ أَحْرَقَ عَلَى قَوْمٍ مِثْلَهُ . أَحْرَقَهُ ، وَإِذَا أَتَى بِرَجُلٍ يَشْكُ فِيهِ وَقَدْ قَبِلَ لَهُ لَصَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَيْءٌ ضَرِبَهُ ثَلَاثَةَ سَوْطٍ . قَالَ : فَكَانَ رُبَّمَا أَقَامَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لَا يُؤْتَى بِأَحَدٍ فَضَمَّ إِلَيْهِ الْحُجَّاجُ شُرْطَةَ الْبَصْرَةِ مَعَ شُرْطَةِ الْكُوفَةِ .

(١) زِيَادَةُ مِنَ النِّسْبَةِ الْأَمَانِيَّةِ .

(٢) كَذَا بِالْأَسْلَيْنِ الْقُرْشَرَانِ وَالْأَلْمَانِي هُوَ تَحْرِيفٌ وَالْمَرْوَابُ لَا يَخْتَقُ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّةٍ ، يَقَالُ بِالْمِثْقَالِ فَلَا تَحْ عَلَى جِرَّةٍ وَمَا يَكْتَلَمُ عَلَى جِرَّةٍ إِذَا لَمْ يَخْطُجْ عَلَى حَقِّهِ وَدَخَلَ وَهُوَ حَدِيثٌ عَرَضِيٌّ لِقَوْلِهِ : « لَا يَصْلُحُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا أَنْ لَا يَخْتَقُ عَلَى جِرَّةٍ » إِيَّاهُ . انْتَظِرِ الْمَسَائِدَ فِي مُعَادَةٍ حَتَّى .

- وقرأت في كتاب أبرويزالى أبنيه شيرويه : « اتخب لخراجك احد ثلاثة :
- إما رجلا يظهر زهدا في المال ويدعى ورطا في الدين فاك من كان كذلك عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفر الخراج وأجتهد في العبارة ، فان هو لم يرج ولم يعف إبقاء على دينه ونظرا لأمانته كان حرا أن يموت قليلا ويوفر كثيرا استسرازا بالرياء واكتناما بالخيانة ، فان ظهرت على ذلك منه عاقبته على ماخان ولم تحمده على ماوفر ، وإن هو جلع في الخيانة وبارز بالرياء نكلت به في العذاب واستنظفت ماله مع الحبس . أو رجلا طال بالخراج غنيا في المال مأمونا في العقل فيدعوه عليه بالخراج الى الاقتصاد في الحلب والعبارة للأرضين والرفق بالريعية ، ويدعوه غناه الى العفة ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره . أو رجلا طال بالخراج مأمونا بالأمانة مقترنا من المال توسع عليه في الرزق فيقتنم حاجته الرزق ويستكثر لفاقته اليسير ، ويؤذى بعامه الخراج ، ويعف بأمانته عن الخيانة » .

استشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليك بأهل السُّدُر . قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم وإن قصروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

- قال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : دلني على قوم من القراء أو لم . قال له : القراء ضربان : فضرب يعملون للأخرة ولا يعملون لك ، وضرب يعملون للدنيا ، فما ظنك بهم إذا أنت وليتهم فكنتهم منها ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فويلهم .

- أحضر الرشيد رجلا ليؤليه القضاء فقال له : إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه . قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدعاة .

والك حلم بمنك من العجلة ، ومن لم يجبل قل خطؤه . وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثير صوابه ، وأما الفقه فسينضم اليك من تتفقه به . فولي فما وجدوا فيه مطلقا .

حدثني مهمل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثني صالح بن رستم أبو عامر الخزاز قال قال لي إياس بن معاوية المزني : أرسل إلى عمر بن هبيرة فأتيته فساكنني فسكت ، فلما أطلت قال : إيه . قلت : سل عما بدا لك . قال : أتهدأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : هل تعرض الفرائض ؟ قلت : نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب شيئا ؟ قلت : نعم . قال : فهل تعرف من أيام الصجم شيئا ؟ قلت : أنا بها أعلم . قال : إني أريد أن أستعين بك . قلت : إن في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل . قال : ما هن ؟ قلت : أنا دميم كما ترى ، وأنا حديد ، وأنا غي . قال : أما الدمامة فإني لا أريد أن أحسن بك الناس ، وأما التي فإني أراك تعبر عن نفسك ، وأما سوء الخلق فيقومك السوط . قم ، قد وليتك . قال : فولاني [وأعطاني^(٥)] التي دوهم فهما أول مال تمولته .

قرأت في كتاب للهند : « السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه وأطرحه غافة ضره ، فعل الذي تلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده ، وربما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لئلا يهد عنه ككأثره المرء على الدواء البشع لنفعه » .

حدثني الملقى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من مدح لنا رجلا فقد تضمن عيبه » .

باب محبة السلطان وآدابها وتغيير السلطان وتلويته

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن جباله عن الشعبي عن عبد الله بن عباس قال : قال لي أبي : « يا بني إني أرى أمير المؤمنين يستخلك ويستشيرك ويقتلك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني أوصيك بخلال أربع : لا تفشين له سرا ، ولا يميز بين عليك كذبا ، ولا تتناين عنده أحدا ، ولا تطويعه نصيحة » قال الشعبي قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إني والله ومن عشرة آلاف .

كان يقال : « إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا ، وإن زادك فزده » .

قال زياد لابنه : « إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له ثم أصفح صفحا جميلا ، ولا يرين منك تهالكا عليه ولا اتهاضا عنه » .

قال مسلم بن عمرو : « ينبغي لمن خدم السلطان ألا يفتقر بهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه ولا يستقبل ما حملوه ولا يلحف في مستطهم » .

وقرأت في كتاب للهند : « محبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطار ، وإنما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية ، فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد ، وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأثر خير السلطان لا يصدو مزيد الحال ، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التي لها طلب المزيد ، ولا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكته الجائحة والتلف » .

وقرأت فيه : « من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيظ وأطراح للأفنة ،

وصل إلى حاجته » .

وقرأت فيه : « السلطان لا يتوحي بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كاللحم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه » .
وكانت العرب تقول : « إذا لم تكن من قرىبان الأمير فكُن من بُعدانه » .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « لا تكونن صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عنك وموافقهم فيا خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فإن كنت حافظا إذا ولّوك ، حذرا إذا قربوك ، آمينا إذا أئتموك ، تعاملهم وكأنك تتعلم منهم ، وتؤديهم وكأنك تسادب بهم ، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صرّموك ، راضيا إن أخططوك ، وإلا فابعد منهم كل البعد والخير منهم كل الخسر . وإن وجدت عن السلطان وصيته غنى فاستغن به فانه من يخلى^(١) السلطان بمجة يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يلجمه بغير حقه يحمّل^(٢) القضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة » .

وقال : « إذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة في غير طول المعاتبة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرك له في السوء إلا أن تكلمه على رموس الناس ولا يكونن طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئ^(٣) إن أبطأ . اطلبه بالاستحقاق ولا تخبره أن لك عليه حقا وأنتك تعتمد عليه بلاء . وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلائك بتجديد النصيح والاجتهاد فافعل . ولا تعطيه المجهود كله في أول صحبتك له فلا تجد موضعا للزيد ولكن دع للزيد موضعا . وإذا سأل خيرك فلا تكن الجيب . وأعلم أن استلابك للكلام خفة^(٤) بك واستخفاف منك بالسائل والمسؤول ،

(١) في الأدب الكبير : خانوكه في نسخة من ظليوك . (٢) في الأدب الكبير : ومن لا يأخذ بمجة .

(٣) في الأدب الكبير : من يأخذ عمل . (٤) في الأصل القصوراني : ملك .

فأنت قائل إن قال لك السائل : ما إياك سألت ، وقال لك المسئول : اجب أيها المعجب بنفسه المستخف بسطانه ؟ » .

وقال : « مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب » .

وقال عبد الملك بن صالح المؤدب ولده بعد أن أختصه بحالته ومحدثته : « كن

- على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا : إذا
 • اعجبك الكلام فاضمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم . [يا عبد الرحمن ^(*)] لا تساعدني
 على ما يقع بي ولا تردني على الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة
 ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى . وكفى بقدر
 ما استنطقتك واجعل بدل التعريض لي حسن الاستماع مني . واعلم أنت صواب
 الاستماع أقل من صواب القول . وإذا سمعني أتحدث فأرني فهمك في طرفك وتوقفك
 ١٠ ولا تجهده نفسك في تطرية صوابي ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تظهر من
 استحسان ما يكون مني ، فمن أسوأ حالا ممن يستكده المملوك بالباطل فيدل على تهاونه ،
 وما ظنك بالملك وقد أحلك محل المعجب بما تسمع منه وقد أحلته محل من لا يسمع
 منه ؟ وأقل من هذا يحيط إحسانك ويسقط حق حرمته إن كانت لك . إني جعلتك
 ١٥ مؤذبا بعد أن كنت معذرا وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباعدا .
 ومثي لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف
 سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يلى » .

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده أبو جعفر فسلم على أبي العباس فقال له :
 يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يقضى فيه
 ٢٠ إلا حلف .

(*) زيادة عن النسخة الأصلية .

قال الفضل بن الربيع : « مسئلة الملوك عن أحوالهم من تحيات التَّوَكِّي ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ، قل : صَبَحَ اللهُ الأميرَ بالكرامة . وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ، قل : أنزل اللهُ على الأمير الشفاء والرحمة ، فإن المسئلة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتدَّ عليك وإن أجابك اشتدَّ عليه » .

٥ . وقرأت في آداب ابن المقفع : « جانبِ المسخوطِ عليه والظَّنينَّ عند السلطان ولا يجعكت وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تُثْنِ عليه عند أحد ، فإذا رأيتَه قد بلغ في الانتقام ما تريجو أن يلين بعده فاعمل في رضاه عنك برفق وتلطّف ، ولا تُسار في مجلس السلطان أحدا ولا تومئ إليه بجفتك وعينك فإن السرَّار يَحْتِيلُ إلى كل من رآه من ذى سلطان وغيره أنه المراد به ، وإذا كلمك فاصغِ إلى كلامه ولا تُسفل طرفك حته بنظر ولا قلبك بحديث نفس » .

١٠ . وقرأت في كتاب للهند أنه أهدى الملك الهند ثياب وحلّى فندما باصرأتهن له وخير أحظاها عنده بين اللباس والحليّة ، وكان وزيره حاضرا ، فنظرت المرأة إليه كالمتشيرة له فمزمها باللباس تفضيلاً بعينه ، ولحظة الملك ، فاختارت الحليّة لئلا يَفْطَنَ للغمزة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لئلا يَهْرُتَكَ في نفس الملك وليظن أنها عادة أو خلقه وصار اللباس للآخرى [قلبا] حضرت الملك الوفاة قال لولده : توصّ بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنة] .

قال شبيب بن شيبّة : « ينبغي لمن سائر خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يمتنع إلى أن يلتفت : ويكون من ناحية إن

(١) في الأدب الكبير « من الإعتاب مما يحيط عليه فيه ما تريجو أن يلين له به قلب الوال » والإعتاب الجوع من الاسامة . ٢٠

(٢) في الأدب الكبير : عه . (٣) زيادة من الأصل فهو توفّر في .

التفت لم تستقبله الشمس، وإن سار بين يديه أن يجيد عن ستن الرمح الى قودي
الغار الى وجهه .

قال رجل من النساك لآخر : « إن أتيت بأن تدخل الى السلطان مع الناس
فأخذوا في الشاء فطيك بالشاء » .

- (١١)
قال قدامة : كان يحيى بن أكرم يمشى المأمون يوما في بستان مومى
والشمس عن يسار يحيى والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحدان
حتى بلغ حيث أراد ثم كثر راجعا في الطريق التي بدأ فيها فقال ليحيى : كانت الشمس
عليك لأنك كنت من يسارى وقد نالت منك فكن الآن حيث كنت وأتحول أنا
إلى حيث كنت . فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أفيك قول المطلع
بنفسى لفعلت . فقال المأمون : لا والله ما بد من أن تأخذ الشمس منى مثل
ما أخذت منك . فتحول يحيى وأخذ من الظل مثل الذى أخذ منه المأمون .

وقال المأمون : « أول العدل أن يعدل الرجل على بطائنه ثم على الذين يلونهم حتى
يلغ العدل الطبقة السفلى .

- المداخلى قال ، قال الأحنف : « لا تقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه
أشرف للسلطان أذراه ومن تضرع له أحفظه » .

(١٢)
حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني محمد بن عمرو الرومى [قال حدثنا زهير بن معاوية]
عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع قال ، قال حنيفة بن ايمان : « ما مشى قوم قط الى
سلطان الله في الأرض ليُنزلوه إلا أنظم الله قبل أن يموتوا » .

- (١) كذا بالأصل ، وفي القند القريد : مؤنة بنت المهدي .
(٢) هكذا في الألمانية ، وفي الفوغرافية أخطاء - وفي القند القريد : ومن تاملن له نخطاه ،
قال : شيوخ السلطان بالرح الشديدة التي لا تضربها لان وتمايل معها من الشجر والحشوش ، وما استهدف
لها قصته : (٣) زيادة عن النسبة الألمانية .

وفي أخبار خالد بن صفوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستداني حتى كنت أقرب الناس منه فتنفس ثم قال : يا خالد، لرب خالد قعد مقلدك هذا أشهى إلى حديثنا منك . فعلمت أنه يعني خالد بن عبد الله . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أفلا تعيده ؟ فقال : إن خالدًا أدلَّ فأمل وأوجف فأعجف ولم يدع راجع مرجعا ، على أنه ما سألني حاجة . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ذاك أخرى . فقال : هيات . إذا انصرفت فمضى عن الشيء لم تكن ^(١) . إليه بوجه آخر الدهر تُقبل

حدثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هذا الحديث ، وبعضه نهيك : اعتل يحيى بن خالد فبعث إلى منك الهندي فقال له : ما ترى في هذه العلة ؟ فقال منك : داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر ، وكان متفتنا . فقال له يحيى : ربما تقل على السمع خطرة الحق به ، فلذا كان ذلك كانت الهجرة له أزم من المفاوضة فيه . قال منك : صدقت ولكني أرى في الطوالع أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسيم في المعرفة وقد بُهت ، وربما كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكن الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين . قال يحيى : للأموار منصرف إلى العواقب وما حتم لا بد من أن يقع ، والمنفعة ^(٢) بمسألة الأيام تُهزّ فاقصد لما دعوتك له من هذا الأثر الموجود بالمزاج . قال منك : هي الصفراء ما زجتها مائتة من البلغم فحدث لها بذلك

(١) الرواية المشهورة في هذا البيت : لم تكن .

(٢) ورد هذا الاسم في النسخة الألمانية ضبوطا بضم النون وفتح الهاء . وفي تقريب التهذيب لابن حجر : « نهيك » يوزن نظم ابن يريم . وفي تحفة ذكرى الأوب في مشكل الأسماء والنسب لابن خليب الدهنة : « نهيك » ككريم أكثره كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالبعد التبريد وفي النسخة القنوغرافية : « متعبا » وفي النسخة الألمانية : « متعبا » وكلاهما من تحريف النباخ .

(٤) كذا بالبعد التبريد وفي القنوغرافية : « المتبة » وفي الألمانية : « المتعة » وكلاهما محرف .

- ما يحدث لآهـب عند مماسـته رطوبة المسـادة من الاشتعال نغـذ ماء رُتـانين^(١) فـنقـهما
بإهلـيـلـجـة سوداء تُـهـضـك مجلسا^(٢) [أو مجلسين]^(٣) ونسكن ذلك التوقـد الذى نجد إن شاء الله .
فلما كان من حديثهم الذى كان ، تلطف منكـه حتى دخل على يحيى فى المجلس فوجده
جالسا على لُبـد ووجد الفضل بين يديه يَمُـهـن^(٤) أى يخدم فاستمبر منكـه وقال : قد كنت
ناديت لو أُعـرِـت^(٥) الإجابة . قال له يحيى : أترأك علمت من ذلك شيئا جهلته ؟ كلا
ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشفق وكان مزايـلة التـدـر
الخطير عينا قلبا تنهض به الهمة . وبعد قد كانت نيم أرجو أن يكون أولها شكرا
وآخرها أجرا . لما تقول فى هذا الداء ؟ قال له منكـه : ما أرى له دواء أنجح من الصبر ،
ولو كان يفسد بئال أو مفارقة عضو كنت ذلك مما يجب لك . قال يحيى : قد
شكرت لك ما ذكرت فان أمكنك تمهدنا فافعل . قال منكـه : لو أمكننى تخفيف
الروح عندك ما يـجـلـت بذلك ، فانما كانت الأيام تحسن لى بسلامتك . قال الفضل
كان يحيى يقول : دخلنا فى الدنيا دخولا أنـجـرنا منها .

- وقرأت فى كتاب للهند : « إنما مثل السلطان فى قلة وفائه للأصحاب ونسائه نفسه
عن قـد منهم مثل البغي والمكـتـب ، كلما ذهب واحد جاء آخر » .
والعرب تقول : « السلطان ذو عدوَيْن وذو بدوَيْن وذو تدوَيْن » يريدون أنه سرع
الانصراف كثير البدوات هجوم على الأمور .

- (١) كذا بالأصل القنوغرافى فى العقد الفريد : نغذ ماء الرمان فنق فى إهلـيـلـجـة الخ .
(٢) كذا بالعقد الفريد وفى القنوغرافية هكذا "تهضك" . وفى الألمانية : "تهضك" وكلاهما تحريف .
(٣) الزيادة من العقد الفريد .
(٤) فى الأصل القنوغرافى كتب تحتها كالتفسير لما "يخدم" . وزيد فى النسخة الألمانية كأنه من الأصل
(٥) فى العقد الفريد "أمرعت" وفى الأصلين القنوغرافى والألماني هكذا "أعرب" وقيل فى هامش
النسخة الألمانية : "أمرت" ولعله الصواب .

قال معاذ ابن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلوا الكعبة فترع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن ، هات نعلي . بفاه بها ، فقال : يا معاذ ضعها في رجلي . فالبسته إياها فحقد ذلك أبو مسلم ، ووجه أبو جعفر يَقْطِين بن موسى الى أبي مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفسلها ابنُ سلامة الفاعلة ؟ لا يَكْنَى . فقال يَقْطِين : عجَلتَ أيها الأمير ، قال وكيف ؟ قال : أمرني أن أحصى الأموال ثم أسألتها اليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يَقْطِينُ على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المدائن في اليوم الذي قتل فيه جمل يضرب بالسوط مَعْرِفَةُ رِذْوَنه ويقول بالفارسية كلاما معناه : ما تُعْني المعرفة انا لم يُقدَّر على دفع المحتوم . ثم قال : جازة ذيلها ، تدعى ياويلها ، بدجلة أو حولها ، كأنها بعد ساعة ، قد صرنا في دجلة .

١٠ قال المنصور : « ثلاث كن في صدري شفى الله منها : كتاب أبي مسلم الى وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من سوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثية ؟ . وضرب سليمان بن حبيب ظهرى بالسياط » .

قال المنصور لسلم ابن قتبية : ماترى في قتل أبي مسلم ؟ فقال سلم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك يا أُمِيَّة .

١٥ قال أبو دَلَّامة

أبا مُجْرَم ما ضير الله نعمة * على عبده حتى يُغيَرها العبد
أن دولة المهدى حاولت قَدْرَة * ألا إن أهل الفدر أبأؤك الكُرْد
أبا مجرم خوفنى التقتل فأتحنى * عليك بما خوفنى الأسدُ الورْدُ

٢٠ قال مروان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتججتُ الى أن تصير مع عدوى وتظهر الغدرى ، فان إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفني في حياتي وإلا لم تبعجز عن حفظ

حُرِّمَ بعد وفاتي» فقال عبد الحميد: إن الذي أمرتني به انضع الأمرين لك وأقبحهما
 بي وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله لك أو أقتل معك . وقال
 أسير وفاء ثم أظهر غدره * فن لي بعذر يؤمنع الناس ظاهره

المشاورة والرأى

- حدثنا الزبائدي قال حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: « كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير حتى المرأة فتشير عليه بالشيء فيأخذ به » .
- وقرأت في التاج أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه ، فقال أحدهم :
 « لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحدا إلا خاليا به ، فإنه أموت للسرا وأحزم للرأى
 وأجدر بالسلامة وأعنى لبعضنا من غائلة بعض ، فإن إفشاء السرا إلى رجل واحد
 أوثق من إفشائه إلى اثنين ، وإفشائه إلى ثلاث كافشائه إلى العامة لأن الواحد رهن
 بما أفشى إليه والثاني يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه ، وإذا كان سر الرجل
 عند واحد كان أحرى ألا يظهره رغبة منه ورغبة إليه ، وإذا كان عند اثنين
 دخلت على الملك الشبهة وأسمعت على الرجلين المعارض ، فإن عاقبهما عاقب اثنين
 بذنب واحد ، وإن آتتهما اتهم بريئا بيمينية مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن
 أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه » .
- ١٥
- وقرأت في كتاب للهند أن ملكا استشار وزراء له ، فقال أحدهم : « الملك
 الحازم يزاد برأى الوزراء الحزمة كما يزاد البحر بمواؤه من الأشجار ، وينال بالحزم
 والرأى ما لا يتاله بالقوة والجنود ، والأسرار منازل : منها ما يدخل الرهك فيه ، ومنها
 ما يستعان فيه بقوم ، ومنها ما يستغنى فيه بواحد . وفي تحصين السر الظفر بالحاجة
 والسلامة من الخلل . والمستشير وإن كان أفضل رأيا من المشير ، فإنه يزاد برأيه » .
- ٢٠

(*) في النسخة المتوفرة في : إلا الصبر معك .

رأيا كما تزيد النار بالسليط ضوعا . وإذا كان الملك محصنا لسره بعيدا من أن يُعرف ما في نفسه متخيرا للوزراء مهيبا في أنفاس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه المريب مقترا لما يُفيد وينفق، كان خليقا لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرنا هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به . »

٥ . قال أبو محمد : كتبت إلى بعض السلاطين كتابا وفي فصل منه : « لم يزل حزمة الرجال يستملون حرارة قول النصحاء ويستهدون العيوب ويستثيرون صواب الرأي من كل حتى الأمة الوكلاء، ومن احتاج إلى إقامة دليل على ما يدعيه من مودته وبقاء طوبىته فقد أغثنى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطراب إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وانسياط جاهك وبذلك زيادة الحال » .

١٠ . وفي فصل آخر : « وقد تملت في هذا الكتاب بعض العتب وخالفته ما أعلم إذ جهرت بالرائى ولم أستشر وأحلت قدى على الخواص ولم أحل وزعت في النفس، حين خافنت وضافت بما تسمع، عن طريق الصواب لها إلى طريق الصواب لك، وحين رأيت لسان عذوك منبسطا بما يدعيه عليك وبهامه نافذة فيك، ورأيت وليك معكوما عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت حوام الناس يفضون بضروب الأقاويل في أمرك، ولا شيء أضرّ على السلطان في حال ولا أنفع في حال منهم . وبما يُحرم الله على ألسنتهم تسيير الركان وتبقي الأخبار ويغادر الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العلول الثقات » .

وفي فصل منه : « وسأئس الناس ومدير أمورهم يحتاج إلى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتفال سوء أدب العامة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والمنوع مما

٢٠ . (*) في الأصل القفر غرافي : كتب إلى بعض أصحاب السلطان الخ، ولكن الحكاية تريد رواية النسفة الألفية .

يسأل بتعريفه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها ، ولا يميزون بالعدل الواضح فكيف بالعدل المتين ، وأخوك من صدقك وأرتضى لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك غير ما أحضرك » .

- قال زياد لرجل يشاوره : « لكل مستشارة ولكل مر مستودع ، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان : إضاعة السر ، وإخراج النصيحة . وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آثره يرجو ثواب الله ، أو رجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون به حسيبه ، وقد عجمتهما لك » .

- وكتب بعض الكتاب : « اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ، ومثل لك الأحوال الخوفة عليك ، وغلط لك الوصر بالسبيل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفتا لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الناشئ لك الخاطب عليك من مد لك في الاقتدار ووطأ لك مهاد الظلم وجرى معك في عتاك متقادا لهواك » .

- وفي فصل : « إني وإن كنت ظننتنا عندك في هذه الحال فني تدبرك صفحات هذه المشورة ما ذلك على أن تخرجها عن صدق وإخلاص » .

- إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله ابن عمر في أخيه أبي بكر أن يولي القضاء ، فأشار عليه به ، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه ، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر ، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أتري لي أن ألي القضاء ؟ قال : اللهم لا . قال زياد : سبحان الله ! استشرتك فأشرت عليّ به ثم أسمعتك تنهأ ! قال : أيها الأمير استشرتني فأجبتك لك رأيي ونصحتك ، واستشارني فأجبتك له رأيي ونصحتي ..

كان نصر ابن مالك على شرط أبي مسلم ، فلما جاءه إندُ أبي جعفر في القدوم عليه استشاره فنهاه عن ذلك وقال : لا آمنه عليك ، قال له أبو جعفر لما صار إليه : استشارك أبو مسلم في القدوم على فتيته؟ قال نعم : قال وكيف ذاك؟ قال : سمعت أخاك إبراهيم الإمام يحدث عن أبيه محمد ابن عليّ قال « لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصيح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : « لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه على ضغنا فأمشي به ،^(١) فغير ألى منه بقدر ما يحبه في نفسه فلا يزال يوسعني شتما وأوسعها حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيميتي وأستجده فينجيني » .

وقرأت في كتاب إبرو زلّي ابنه شيرويه وهو في حبسه : « عليك بالمشاورة فانك واجد في الرجال من ينضج لك الكي^(٢) ويحسم عنك الداء ويخرج لك المستكين ولا يدع لك في ملوك فرصة إلا انتهزها ولا لملوك فيك فرصة إلا حصّنها ، ولا يملك شدة رأيك في ظنك ولا ملوك مكانك في نفسك من أن تجمع الى رأيك رأى غيرك فان أحمدت اجتنبت وإن ذممت نفيت ، فان في ذلك خصالا : منها أنه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك ، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك ، فان رأيته معتليا لم رأيت قبلة ، وإن رأيته متضعا عنه استغفيت ، ومنها أنه يحمد لك النصيحة من شاورت وإن أخطأ ويحض لك مودته وإن قصر » .

وفي كتاب للهند : « من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة ، أخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر » .

(١) قل بامش النسبة الألمانية من نسخة "فيلور" الخ .

(٢) في الأصل "ينضج" وهو تحريف .

(٣) هكذا في النسخة الألمانية والفرنسية ، والمناصب لمناقبه "أذمت" يقال أذمت أي وجدته ذميا .

وفي آداب ابن المقفع : « لا يُخْذَفُ في رُؤُوكَ أَنَّكَ إِنِ اسْتَشِرْتَ الرَّجَالَ ظَهَرَ لِلنَّاسِ مِنْكَ الْحَاجَةُ إِلَى رَأْيِ غَيْرِكَ ، فَيَقْطَعُكَ ذَاكَ عَنِ الْمَشَاوَرَةِ ، فَانْكَ لَا تَرِيدُ الرَّأْيَ لِلتَّخَفُّرِ بِهِ وَلَكِنْ لِلاتِّقَاعِ بِهِ . وَلَوْ أَنَّكَ أَرَدْتَ الَّذِي كَانَ أَحْسَنُ الذِّكْرِ عِنْدَ الْأَبَاءِ أَنْ يُقَالَ : لَا يَنْفَرِدُ بِرَأْيِهِ دُونَ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ إِخْوَانِهِ » .

قال عمر بن الخطاب : « الرَّأْيُ الْقَرْدُ كَالْخِلْطِ السَّحِيلِ ، وَالرَّأْيَانُ كَالْخِلْطَيْنِ الْمَبْرَيْنِ ، وَالتَّلَاحِثَةُ مَرَارٌ لَا يَكَادُ يَنْقُضُ » . وقال أشجع

رَأْيٌ سَرَى وَعَيُونُ النَّاسِ هَاجِمَةٌ * مَا أَنْتَ الْحَزَمَ رَأْيٌ قَدَّمَ الْحَذَرَ

كتب الحجاج الى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة ، فكتب اليه المهلب : « وَإِنْ مِنْ الْبَلَاءِ أَنْ يَكُونَ الرَّأْيُ لِمَنْ يَمْلِكُهُ دُونَ مَنْ يَبْصُرُهُ » . وقيل لعبد الله ابن وهب الراسبي يوم عقدت له الخوارج : تَكَلَّمْ . فقال : مَا أَنَا وَالرَّأْيُ الْفَطِيرُ وَالْكَلَامُ الْقَضِيبُ . وقال أيضا : نَحْمِزُ الرَّأْيَ خَيْرَ مَنْ فَطِيرِهِ ، وَرُبَّ شَيْءٍ غَابَهُ خَيْرُ مَنْ طَرِيَهُ ، وَتَأْخِرُهُ خَيْرُ مَنْ تَقْدِمُهُ . وقيل لأنتر : تَكَلَّمْ . فقال : مَا أَشْتَهَى الْخَلِيزَ إِلَّا بِأَنَا .

كان ابن هبيرة يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مَحَبَّةٍ مِنْ غَايَتِهِ خَاصَّةٌ هَمْسُهُ وَالْإِخْطَاطُ فِي هَوَى مُسْتَشِيرِهِ ، وَمَنْ لَا يَلْتَمِسُ خَالِصَ مَوْدَتِكَ إِلَّا بِالتَّائِي لِمَوَاقِفِهِ شَهَوَتِكَ ، وَمَنْ يَسَاعِدُكَ عَلَى سُرُورِ سَاعَتِكَ وَلَا يَفْكَرُ فِي حَوَادِثِ فَدُكْ » . وكان يقال : « مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يَمُنَّ أَرْبَعًا : مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يَمُنَّ الْمَزِيدَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يَمُنَّ الْقَبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْمَشُورَةَ لَمْ يَمُنَّ الصُّوَابَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْاسْتِخَارَةَ لَمْ يَمُنَّ الْخَيْرَ » . وكان يقال : لَا تَسْتَشِرْ مَعْلَمًا وَلَا رَاعِي الْغَنَمِ وَلَا كَثِيرَ الْقَعُودِ مَعَ النِّسَاءِ . وَكَانَ يُقَالُ : لَا تَسْأَرْ صَاحِبَ حَاجَةٍ يَرِيدُ قَضَاءَهَا وَلَا جَانِمًا وَلَا حَاقِنَ بُولٍ .

(*) في النسخة الألمانية مرائر . والمرار : الحبل القوي أجيد لله .

وقالوا « لا رأى لحاقن ولا لحازق » وهو الذى ضغطه الخف « ولا لحاقب » وهو الذى يحد رزاً فى بطنه . وقالوا أيضاً : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مرازبته قَصَّروا فى الرأى دعا الموككين بأرزاقهم ضاقبهم ، فيقولون : نخطئ مرازبتك وتعاقبتنا ! فيقول : نعم ، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطئوا . وكان يقال : إك النفس إذا أحرزت [قوتها] ورزقها اطمانت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاككة فإن الله سلبهم عقولهم وزع البركة من كسبهم .

قال الشاعر

وأفزع من شاورت من كان ناصحا * شفيقا فأبصر بعدها من تشاور

وليس بشافيك الشفيق ورأيه * غريب ولادوا الرأى والصدروا غر ١٠

ويقال : علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر

إذا بلغ الرأى النصيحة فامتنع * برأى نصيح أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك قضاضة * فان الخوافى رافدات القوادم

وغل المؤينا للضعيف ولا تكن * قوما فان الحزم ليس بشائم

وأذن من القربى المقرب نفسه * ولا تشهد الشورى أمراً غير كاتم ١٥

وما خير كف أمك الغل أختها * وما خير مسيف لم يؤيد بقاتم

فانك لن تستطرد الم بالمئى * ولن تبلغ العليا بغير المكارم

قال امرئى : ما عُيِّنْتُ قط حتى يُبَيِّنَ قومى . قيل : وكيف ذلك ؟ قال :

لا أفضل شيئا حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بني عيسى : ما أكثر صوابكم ! فقال :

نحن ألف رجل وفيما حازم واحد ونحن نطعمه، فكأن ألف حازم . ويقال : « ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا حزم أو تواضع » .

وقال القطامي في معصية الناصح

ومعصية الشفيق طليك • • • يزيدك مرة منه استمعا
وخير الأمر ما استقبلت منه • • • وليس بأن تتبعه اتباعا •
كذلك وما رأيت الناس إلا • • • إلى ما جرّ غاويهم سراعا
تراهم يغمزون من استركوا • • • ويحتنبون من صدق المصا

وقال آخر، أنشدني الرياضي

ومولّى عصامي وأمنيد برأيه • • • كما لم يطلع بالبقين قصير
فلما رأى أن غب أمرى وأمره • • • وولت بأعجاز الأمور صدور
تمنى بثيسا أن يكون أطاعني • • • وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقال سبيع لأهل الإمامة « يا بني حنيفة بعدنا كما بعدت عاد وعمود، أما والله لقد أنبأتكم
بالأمر قبل وقوعه كأني أسمع جرسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتُم النصيحة فاجتنيتم الندم،
وأصيبحتم وفي أيديكم من تكذيب التصديق ومن تهمة الندامة، وأصيح في يدي من
هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع، وأصيح ما قلت غير مردود وما بقى غير مأمون. ١٥
وإني لما رأيتمكم تهمون النصيح وتسفهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت
عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غرة . ولقد أمهلكم حتى ملّ
الواظظ ومن الموعوظ وكنتم كأنما بُقي بما أتم فيه غيركم » .

وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له : « قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذي
يغلط حلوكلامه بمؤته وحرته بسهله ويجزك الاشفاق منه ما هو ساكن من غيره ، ٢٠

وقد وصيتُ النصح فيه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا يُسَكُّ في مودته وصافي غيبه، وما زلتُ بحمد الله الى كل خير طريقاً منهاجاً ومهيئاً واضحاً .

وكتب عثمان الى علي حين أحبط به : « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبي وبلغ الحزام الطيِّين وقد تجاوز الأمر بي قدره .

فان كنتُ ما كولا فكن خيراً كل * وإلا فأدركني ولما أمرتُ »
وقال أوس بن حجر

وقد أُعِيبَ ابنُ العِلمِ إن كنتُ ظالماً * وأغفر عنه الجهل إن كان أجھلاً
وإن قال لي ماذا ترى ؟ يستشيري * يحدني ابن عمٍ عَظُمَ الأمرُ مِنزِلاً
أقيم بدار الحزم ما دام حزمها * وأخّر إذا حالت بانٍ أتحولاً
وأستبدل الأمر القوى بنسیره * إذا عَقِدَ مأفون الرجال تحللاً
وكان يقال : « أناة في عواقبها درك، خير من معاجلة في عواقبها قوت » .
وأنشدني الراشي

وعاجزُ الرأي مضباعٌ لفرصته * حتى إذا فات أمر طأب القَدرا
وكان يقال : « رَوَّجِزْماً فإذا استوضحت فاعزم » .

الإصابة بالظن والرأي

كان ابن الزبير يقول : « لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم يربعيته » . وسئل بعض الحكماء : ما العقل ؟ فقال : « الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان » .
وكان يقال : « كفى خُبيراً عما مضى ما بقى ، وكفى مبرأً لأولى الأبواب ما جربوا » . وكان يقال : « كل شيء يحتاج الى العقل ، والعقل يحتاج الى التجارب » . ويقال : « من لم يتفكك ظنه لم يتفكك يقينه » . وقال أوس بن حجر

الأملى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع

وقال آخر

وَأَيُّ صَوَابَ الظَّنِّ أَعْلَمُ أَنَّهُ * إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْطَاشِ مَقَادِرُهُ

وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في عبد الله بن عباس : «إِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ مِثْرِ رَقِيقٍ» . وَيُقَالُ : «ظَنُّ الرَّجُلِ قِطْعَةً مِنْ عَقْلِهِ» . وَيُقَالُ : «الظُّنُونُ مِفْتَاحُ الْيَقِينِ» . وَقَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ

أَصُولُكَ أَنْ أَظُنَّ عَلَيْكَ ظَنًّا * لِأَنَّ الظَّنَّ مِفْتَاحُ الْيَقِينِ

وقال الكيت

مِثْلُ التَّدَبُّرِ فِي الْأَمْرِ أَتَمُّنَافُكَ * وَالْمَرْءُ يَسْجُزُ فِي الْأَهْوَامِ لَا الْحِيلُ^(١)

وقال آخر

وَكُنْتُ مَتَى تُهَزَّزُ نَحْلُطُ تُسْشُهُ * ضَرَائِبُ أَمْضَى مِنْ رِقَاقِ الْمَضَارِبِ ١٠
تَجَلَّيْتُهِ بِالرَّأْيِ حَتَّى أَرَيْتُهُ * بِهِ مَلَأَ عَيْنَهُ مَكَانَ الْعَوَاقِبِ

وقال آخر يصف عاقلا

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا * يَرَى بِصَوَابِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعٌ

وقال آخر في مثله

عَلِيمٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ بِرَأْيِهِ * كَأَنَّهُ لَهْ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى النَّدِ ١٥

وقال آخر يصف عاقلا

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا * يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ

وقال جشامة بن قيس هجو قوما^(٢)

أَنْتُمْ أَنْاسُ عِظَامٍ لَا قُلُوبَ لَكُمْ * لَا تَعَايُونَ أَجَاءَ الرُّشْدِ أَمْ غَايَا

(١) هكذا في النسخة الألمانية والقتوغرافية، ولعله محرف عن الالقدام .

(٢) في النسخة القتوغرافية : وقال آخر .

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلة * ولا ترون وقد ولين أذنا

وقلباً يغبأ المكروه صاحبه * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا

(*)
وقال آخر

فلا يحذرون الشر حتى يصلبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبراً

ويقال: «ظن العاقل كهانة». وفي كتاب الهند: «الناس حازمان وطاجن، فاحد

الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم يبتر وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه، وأحرمن منه العارف بالأمر إذا أقبل فيده فقه قبل وقوعه، والعاجز في تردد وثن حائر بائر لا ياتمر رشدا ولا يطبع مرشدا».

وقال الشاعر

وإني لأرجو الله حتى كأني * أرى يجيل الظن ما الله صانع

وقال آخر

وغيره مرة من فعل غيره * وغيره مرتين فعال مؤق

فلا تفسح بأمر قد تلبى * ولا تأيس من الأمر السحيق

فإن القرب يعد بعد قرب * ويدنو البعد بالقدر المسوق

ومن لم يتق الضحاح زلت * به قنماه في البحر العميق

وما آكتسب المحامد طاليوها * بمثل البشر والوجه الطليق

وقال مروان بن الحكم لحيش بن دجلة: أنظك أحق. قال: «أحق ما يكون

الشيخ إذا عمل بظنه». وقش رجل على خاتمه: «الحاتم خير من الظن». وبشله: «طينة خير من ظنة».

اتباع الهوى

- كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال عامر بن الطَّيِّب : الرأى نائم والهوى يقظان ، ولذلك يغلب الرأى الهوى . وقال ابن عباس : « الهوى إله معبود » وقرأ (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ لَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك ، ولم يقل غيره
- إذا أنت لم تعص الهوى فادك الهوى • إلى بعض ما فيه عليك مقال
- وقال بزرجمهر : « إذا أشتبه عليك أمران فلم تدر في أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هوائك فاجتنبه » .
- كان عمرو بن العاص صاحب عمارة بن الوليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو أمراته ف وقعت في نفس عمارة فدفع عمرا في البحر فتماق بالسفينة ونرج ، فلما ورد بلاد الحبشة سعى عمرو بهامة إلى النجاشي وأخبره أنه يُحالِف إلى بعض نسائه فلما
- ١٠ النجاشي بالسواحر فنفض في أحليه فهم مع الوحش ، وقال عمرو في ذلك
- تعلم عمارة أن من شر شعبة • لملك أن يدعى ابن عم له أنجا
وإن كنت ذابردن أحوى مرَجَلا • فلست براء لابن عمك محرما
إذا المرء لم يترك طعاما يحبه • ولم يعص قلبا غاويا حيث يما
- ١٥ قضى وطرا منه يسيرا وأصبحت • إذا ذكرت أمثاله تملأ الفها
- وقال حاتم طي في مثله
- وإنك إن أعطيت بطنك سُؤْلَه • وفرجك فالأمتهى الذم أجمها
- وقال آخر
- جلد الجنيبد على عتِكما • جهلا ولست بموضع الظلم
٢٠ أكل الهوى حُجْجِي ورُبَّ هوى • مما سيأكل حجة النظم
- قال امرأئى : « الهوى هوان ، ولكن غلط باسمه » .

وقال الزبير بن عبد المطلب

وأجنب المقاذع حيث كانت * وأترك ما هويت لما خشيت

وقال البرقي الهذلي

أين لي ما ترى والمرء تأتي * عزيمته ويغلبه هواه

فيعمى ما يرى فيه عليه * ويحسب ما يراه لا يراه

وكان يقال : « أخوك من صدقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك » .

السمر وكتباته وإعلانه

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الحُصَيْب قال حدثني أوس ابن

عبد الله بن بُرَيْدة عن أخيه سهل عن بُرَيْدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« استعينوا على الحوائج بالكتان فات كل ذي نعمة محسود » . وكانت الحكماء تقول : ١٠

« مِرْك من دمك » . والعرب تقول : « من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب عن عمِّه الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا

قال : دخل ابن أبي عَيمَجٍ التميمي على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذي يقول

إذا مت فادفني إلى أصل كَرْمَةٍ * تُروى عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفني في القلعة فأتني * أخاف وراء الموت أن لا أذوقها ١٥

فقال ابن أبي عَيمَجٍ : لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره . فقال معاوية :

وما ذاك ؟ قال قوله

لأسأل القوم ما مالي وما حسبي * وسألت القوم ما سعى وما خلقتي

القوم أعلم أني من سرراتهم * إذا تطيش يد الرعية الفرق

أعطيت السنان غداة الرّوع حصته * وعامل الرّيح أرويه من العساق

قد أركب الهول مسلولا عساكره * وأكتم السرفيسه ضربة العتق ٢٠

وَأُنْشِدْنِي لِلصَّلَاحِ الْعَبْدِي

وَسُرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ * وَمِنْ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ

وَكَانَ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ

وَلَا تُفْهِسْ سُرُّكَ إِلَّا إِلَيْكَ * فَانْ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

فَإِنِّي رَأَيْتُ غُرُوءَ الرَّجَا * لِي لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا

وَقَالَ الشَّاعِرُ

وَمُرَاقِبَيْنِ تَكَلَّمَا بِهِمَا * جَلَا الْقُلُوبَ لِمَا تُجَنِّ قُبُورًا

يَتَلَحُّظَانِ تَلَحُّظًا فَكَاثِمًا * يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الْجَفُونِ سَطُورًا

وَقَالَ مِسْكِينُ النَّارِي

أُوْاخِي رِجَالًا لَسْتُ أُطْلِعُ بَعْضَهُمْ * عَلَى سِرِّ بَعْضِ غَيْرِ أَنِي جَمَاعَهَا

يَقْلُوبُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسُرُّهُمْ * إِلَى صَحْفَةِ أَعْيَا الرِّجَالِ انْصِدَاعَهَا

وَقَالَ (*)

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا أَشْتَمَلْتُ * مِنْهُ الْقُلُوبُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّاتِهِ * إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرِ

أَسْرَجِلُ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ حَدِيثًا فَلَمَّا اسْتَقْبَاهُ قَالَ لَهُ : أَفَهَمْتُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ نَسِيتُ .

قِيلَ لِأَحْرَابِي : كَيْفَ كِتَابُكَ لِلْسِرِّ ؟ قَالَ : « مَا قَلْبِي لَهُ إِلَّا قَبْرٌ » . وَقِيلَ لِمُزِيدٍ :

أَيُّ شَيْءٍ تَحْتَ حُضْنِكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَحْمَقُ لِمَ خَبَأْتَهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ * فَافْشِ الرِّجَالَ فَرْنَ تَلُومِ

إِذَا مَا تَبْتُ مِنْ أَفْشَى حَدِيثٍ * وَمَرَى عِنْدَهُ فَاثَا الْكَلُومِ

وَإِنِّي حِينَ أُسَامِ حَمَلْتُ مَرَى * وَقَدْ ضَمَمْتُهُ صَدْرِي مَكْرُومِ

(*) فِي التَّحْقِيقِ الْأَلْمَانِيَّةِ : وَقَالَ آخَرُ . عَلَى أَنَا لَمْ نَشْرَعْ فِي هَذَا الشَّرْحِ لِلْمُسْكِينِ الْفَارِسِيِّ .

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر ؟ قال : «أجحد الخبز وأحلف للستخبر» . وكان يقال : «من وهى الأمر إعلانه قبل إحكامه» . وقال الشاعر

إذا أنت حملت الخؤونَ أمانة * فانك قد أسندتها شرَّ مُسند

وقال عمرو بن العاص : «ما استودعتُ رجلاً سرّاً فافشاه فلبثته ، لأنى كنت أضيق صديراً حين استودعته» . وقال

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرّها * فمرك عند الناس أفشى وأضيع

وكان يقال : «من ضاق قلبه اتسع لسانه» .

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسرألى حديثاً ولا أراه يطوى عنك ما يسطه لغيرك ، أفلا أحدثك به ؟ قال : لا يا بني «إنه من كتم سره كان الخيار له ، ومن أفشاه كان الخيار عليه ، فلا تكون مملوكاً بعد أن كنت مالكا» قال قلت : وإن هذا يجزى بين الرجل وأبيه ؟ قال : لا ، ولكنى أكره أن تذلل لسانك بأحاديث السر . فحدثت به معاوية فقال : يا وليد ؟ أعتفك أخى من رقى الخطأ .

وفى كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال : «صونوا أسراركم فانه لا سر لكم إلا فى ثلاثة مواضع : ميكدة تُحاوَل أو متزلة تُراوَل أو سريرة مدخولة تُكتم ، ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شيء منها عنه» . وكان يقال : «ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك» .

وقال جميل بن مَعمر

أموت وألقى الله يابن لم أبيع * بسرّك والمسحخرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة الخزيمى

ولما تلاقينا عرفْتُ الذى بها * كمثل الذى هى حَلْوَك النمل بالنمل

قَالَتْ وَأَرَحْتَ جَانِبَ السَّيْرِ إِنَّمَا * مَعِيَ فَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
قُلْتُ لَهَا مَا بِي لِمَ مِنْ تَرْقُبٍ * وَلَكِنْ مَرَى لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
يُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ يَحْمِلُهُ أَحَدٌ مِثْلِي فِي صِبَايَتِهِ وَسَتَرِهِ، أَيْ فَلَا أَبْدِيَهُ لِأَحَدٍ . وَقَالَ زُهَيْرُ
السَّيْرِ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سَيَرِ

وَقَالَ آخَرُ

فَسِرِّي كَمَا طَلَانِي وَتَلَكَ خَلِيقَتِي * وَظَلَمْتُ لَيْلِي مِثْلَ ضَوْءِ نَهَارِي
وَقَالَ آخَرُ لَأَخْ لَهْ وَحَدَّثَهُ بِمَحَلِّثٍ : اجْعَلْ هَذَا فِي عَوَاءٍ غَيْرِ سِرْبٍ . وَالسِّرْبُ السَّائِلُ .
وَكَانَ يَقَالُ : «لِلْقَاتِلِ عَلَى السَّامِعِ جَمْعُ الْبَالِ وَالْكُتَيَانِ وَبَسْطُ الْعِذْرِ» . وَكَانَ يَقَالُ :
«الرَّعَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْإِسْتِرْعَاءِ» .

١٠ أَتَى رَجُلٌ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَمَّامٍ السَّلُولِيَّ سَبَّهُ . فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ فَأَنَاهُ فَقَالَ : يَا بَنَ هَمَّامٍ إِنَّ هَذَا يَزِيحُ أَنَّكَ قُلْتَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ ابْنُ هَمَّامٍ
فَأَنْتَ أَمْرٌ إِنْ تَأْتَمَّتْكَ خَالِيَا * نَحْنُتَ، وَإِنَّا قُلْنَا قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ
وَإِنَّكَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ * لَنِي مَنَزَلٌ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِيمِ

وَقَالَ آخَرُ

١٥ اخْفِضِ الصَّوْتِ إِنْ تَطَلَّقْتَ بَلِيلٌ * وَالتَّفَتُّ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ

وَلَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أَتَمُّهَا * وَلَا أَدْعِ الْأَسْرَارَ تَعْلِي عَلَى قَلْبِي
وَإِنَّ قَلِيلَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ * تُهْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جَنًّا إِلَى جَنْبِ

وَقَالَ أَبُو الشَّيْخِ

٢٠ لَا تَأْتَمَنَّ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمْ * غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْ يَكُنِ الْقَرَّاطِلُ
أَوْ طَائِرٌ سَأَحْلِبُهُ وَأَسْتَتِبُهُ * مَا زَالَ صَاحِبُ سَقْفٍ وَتَقْفٍ وَتَأْسِيسِ

سُوْدَ بَرَأْتِهِ مِيلَ ذَوَائِبُهُ * صُفَيْرَ حَالِقُهُ فِي الْحَسَنِ مَغْمُوسُ
قَدْ كَانَ هَمَّ سَلْيَانٍ لِيَذْبَحَهُ * لَوْلَا سَعَابَتُهُ يَوْمًا يَلْقَيْسُ

وَقَالَ أَيْضًا

أَفْضَى إِلَيْكَ بِسَرِّهِ قَلَمٌ * لَوْ كَانَ يَعْرِفُهُ بَكِي قَلَمُهُ

وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي الْكَتَابِ يَأْتِيكَ فِيهِ الْمَرْ
الْحَزْمُ تَحْرِيقُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ * وَإِنَّمَا الْحَزْمُ سِوَهُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
إِذَا أَتَاكَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَتَهُ * فَاجْعَلْ صِيَابَتَهُ فِي بَطْنِ أَرْمَاسِ

وَقَالَ أَنَسُ

سَاكِنْتُهُ سَرِّي وَاحْفَظْ سَرِّي * وَلَا غَرَّنِي أَنِي عَلَيْهِ كَرِيمٌ
حَلِيمٌ فَيَنْتَسِي أَوْ جَهُولٌ يُسَيِّعُهُ * وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ

الْكَتَابُ وَالرِّكَابَةُ

(١) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهَ عَنْ وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ
عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَعْلَبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "مَنْ أَشْرَاطُ
السَّاعَةِ أَنْ يَبْيُضَ الْمَالُ وَيَظْهَرَ الْقَلَمُ وَتَحْشُوَ التَّجَارُ" قَالَ عَمْرِو : إِنْ كَانَ لِلنَّاسِ
فِي الْحَوَاءِ الْعَظِيمِ (٢) الْكَتَابُ، وَيَبِيعُ الرَّجُلُ الْبَيْعَ يَقُولُ : حَتَّى أَسْتَأْذِنَ تَأْخِرَ بَنِي فَلَانٍ .
حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَلِيلِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ عَنْ عَتَبَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَادَانَ عَنْ أُمِّ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَلِّي فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ فَقَالَ "ضَعِ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكُرُ لِلْعُلَى بِهِ".

(١) كَذَا بِالْفَتْوَاغِيَّةِ . وَفِي الْأَلْمَانِيَةِ «عَبْدُ اللَّهِ» وَلَهُ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ بْنِ دِينَارٍ الْبَلْدِيُّ رَأَى الْحَدِيثَ
كَثِيرًا مِنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ . (٢) الْحَوَاءُ مُجْمَعُ بَيْوتِ الْحَيِّ إِذَا تَلَامَتِ .

وحديث عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: «كان إدريس النبي عليه السلام أوَّل من خط بالقلم وأوَّل من خاط الثياب ولبسها وكان من قبله يلبسون الجلود» .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال : أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عياض ابن أبي موسى أن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى : أدع لي كاتبك ليقرا لنا محضاً جاءت من الشام . فقال أبو موسى : إنه لا يدخل المسجد . قال عمر : أيه جئنا به ؟ قال : لا ، ولكنه نصراني . قال : فرفع يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالك ! قاتلك الله ! أما سمعت قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) ! ألا اتخذت رجلاً حنيفياً ! فقال أبو موسى : له دينه ولي كتابته . فقال عمر : « لا أكرهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أنعم الله ولا أدنهم إذ أقصاهم الله » .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا عيسى بن يونس قال حدثنا أبو حيان التميمي عن أبي زيناع عن أبي النخعانة قال : ذكر لي عمر ابن الخطاب غلام كاتب حافظ من أهل الحيرة وكان نصرانياً ، فقيل له : لو اتخذته كاتباً . فقال « لقد اتخذت إننا بطانة من دون المؤمنين » .

حدثني أبو حاتم قال : مرَّ امرئ بن مروة من أهل الأتبار وهو الذي وضع كتاباً العربية ، ومن الأتبار انتشرت في الناس .

(*) هكذا في النسخة الفغوزرافية والألمانية . والقي في القاموس : ومرامر بن مرة بضمها أول من وضع الخط العربي . وقيل صاحب اللسان من ابن القطامي ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال : قال ابن بري : القى ذكره ابن النحاس وغيره عن الجاهلي أنه مرامر بن مروة .

حدثني أبو سهل عن الطائفي عن المنكدر بن محمد عن أبيه محمد بن المنكدر قال جاء الزبير بن العوام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت ؟ جعلني الله فداك ! قال « ما تركت أعرا بيتك بعد » .

قال عبد الملك ابن مروان لأخيه عبد العزيز حين وجهه إلى مصر : « تفقد كاتبك وحاجبك وجليستك ، فإن النائب يخبره عنك كاتبك ، والمتوسم يعرفك بحاجبك ، والداخل عليك يعرفك بجليستك » .

ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه ، فكتب إليه : « إنه ليخيل إلى أني لو كتبت إليك أن تُعطى رجلاً شاة لكتبت إلى : أضأن أم ماعز ، ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت : أذكر أم أنثى ، ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت : أصغير أم كبير . فإنا أنك كافي هذا فلا ترجعني في مظلمة » .

وكتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة يأمره بهلم دور من خرج مع إبراهيم وعقر نخلم . فكتب إليه : بأي ذلك نبدأ أبالنخل أم بالدور ؟ فكتب إليه أبو جعفر . « أما بعد ، فإني لو أمرتك بافساد ثمرهم لكتبت إلى تستأذن في أيه تبدأ أبالبرق أم بالثعير ؟ » وعزله ، وولى محمد بن سليمان . وكان يقول : « لا كاتب على الملك ثلاثة ، رفع الحجاب عنه ، وأتاهم الوشاة عليه ، وإفشاء السر إليه » .

كانت الحجج تقول : « من لم يكن عالماً بإجراء المياه وبحفر قُروض الماء والمسارب ورَدَم المَهاوى وبجاري الأيام في الزمادة والتقصان واستهلاك القمر وأفعاله ووزن الموازين

(١) في القنوغرافية : سلام وهو تحريف .

(٢) في القنوغرافية فرض المتارب .

ودَرَعَ المثلث والمربع والمخطف الزوايا ونصب القناطر والجسور والنوالى والنواير على المياه وحال أدوات الصنّاع ودقائق الحساب كان ناقصا في حال كتابته .

قال ميمون بن ميمون «إذا كانت لك الى كاتب حاجة فليكن رسولك اليه الطمع» .
وقال : «إذا آخيت الوزير فلا تمحش الأمير» .

وفي كتاب للهند : «إذا كان الوزير يساوى الملك في المال والهيبة والطاعة من الناس فليصره الملك ، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع» .

المدائني قال : خلا زيار يوما في أمر ينظر فيه وعنده كاتب له يكتب وإنه عبيد الله ، فنعس زيار فقال لعبيد الله : تعهد هذا لا يكتب شيئا . ونام ، فوجد عبيد الله مَسّا من البول ففكر أن يوقظ أباه وكره أن يُخجل الكاتب فشد إبهاميه بخرطوبته وختمه وقام لحاجته .

١٠

قال أبو عباد الكاتب : ما جلس أحد قط بين يدي إلا تمخيل إلى أنى جالس بين يديه .
وقرأت في التاج أن أبروز قال لكاتبه : «أكرم السر واصدق الحديث واجتهد في النصيحة واحترس بالخبر ، فإن لك على أن لا أعجل بك حتى أستأني لك ولا أقبل عليك قولا حتى أستيقن ولا أطمع فيك أحدا فيقتالك . واعلم أنك بمنجاة رفة

١٥

فلا تمطنها وفي ظل مملكة فلا تسترلته ، وقارب الناس مجاملة عن نفسك وباعد الناس مُشايعة^(*) من عدوك واقصد إلى الجليل أدراعا^(*) لعدوك وتحصن بالعفاف صونا لمروءتك وتحسن عندى بما قدرت عليه من حسن ولا تُشرعن الألسنة فيك ولا تقبضن الأحداث عنك ومن نفسك صون الثروة الصافية وأخطبها لإخلاص الفضة البيضاء وعانها معابة الخبر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيمة . لا تلعن أن ترفع إلى الصغير ، فانه يدل على الكبير ولا تكتمن الكبير فانه ليس شاغلي عن

٢٠

الصغير . هُتِبَ أمورك ثم أَلْفَى بها وأحكم لسانك ثم راجعني به ولا تجترئ على فامتمض ولا تنقبض مني فأتهم ولا تُعرضن ما تلقاني به ولا تُجِدِجَنه . وإذا فكرت فلا تمجّل وإذا كتبت فلا تُسَدِّر ، ولا تستعين بالفضول فإنها علاوة على الكفاية ولا تُقصرن عن التحقيق فإنها هُجَنَة بالمقالة ولا تُلَيِّنْ كلاما بكلام ولا تباعدن معنى عن معنى . أكرم كتابك عن ثلاث : خضوع يستخفه ، وانتشار يُبْجِجُه ، ومعانٍ تقعد به ، وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول ، ولكن بَسْطَة كتابك على السُوقَة كبسطة ملك المملوك على المملوك ، ولا يكن ماتملك عظيما وما تقول صغيرا فأنما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليا كملوه وفاتقها كقوفه . واعلم أن جُبَاع الكلام كله خصال أربع : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرك عن الشيء ١٠ فهذه الخلال دعائم المقالات إن أتممت لها خامس لم يوجد وإن نُقِصَ منها رابع لم تتم ، فإذا أمرت فأحكم وإذا سألت فأوضح وإذا طلبت فأبَيِّحْ وإذا أخبرت فحقق فانك اذا فعلت ذلك أخذت بِمِزَامِيرِ القول كله فلم يُسْتَبَهِ عليك وأردّه ولم يُعْجِزْكَ منه صادره . أثبت في دواوينك ما أدخلت وأحص فيها ما أنرجت وتيقظ لما تأخذ وتجرّد لما تعطى ولا يغلبك النسيان عن الإحصاء ولا الأثاة عن التقدم ولا تُخْرِجَنَّ وزن قيراط في غير حق ولا تعظمن إنراج الكثير في الحق ، وليكن ذلك ١٥ كله عن مؤامرتي .

قال رجل لبنيه : « يا بني تَرَوُا بَرِيَّ الكلاب فان فيهم أدب المملوك وتواضع السُوقَة » .

قال الكسائي : « لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن الشيء بعد الشيء أقرنه بغيره فقال : يا لله ! ما رأيت رجلا أقدر ، على كلمة الى جنب كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها ، منك ! » . ٢٠

وقال ابن الأعرابي: «رأى أعرابي وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألقائه فقال إنك تحذف الكلمة الشرود» .

وقال رجل من أهل المدينة: «جلست إلى قوم ينفذون رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أعلامهم» .

- وكتب بعض الكتاب إلى صديق له: «وصل إلى كتابك فما رأيت كتاباً أسهل فنونا ولا أملس متونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشد على كل مفصل حراً منه، أنجزت فيه عدة الرأي وبشرى القراسة وعاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوغا» .

ويقال: «عقول الرجال في أطراف أعلامها» .

- ١٠. ويقال: «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظفرين وإملاك الصبين أحد الرعين وحسن التقدير أحد الكاسين واللبن أحد المحمين» . وقد يقال: المرق أحد المحمين .

- ١٥. قيل لبعضهم: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزمانة انطفئة . وقرأت في بعض كتب العجم أن موبذات موبذ وصف الكتاب فقال: «كتاب الملوك عيبتهم المصونة عندهم وآذنتهم الواعية وألستهم الشاهدة، لأنه ليس أحد أعظم سعادة من وزراء الملوك إذا سمعت الملوك، ولا أقرب هلكة من وزراء الملوك إذا هلك الملوك، فرفع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهدهم للملوك اجتهدهم لأنفسهم فلا يتهم روح على جسده ولا يتهم جسد على روحه لأن زوال ألقتهما زوال نعمتهما، وأن التثام ألقتهما صلاح خفاصتهما» .

وقال

لئن نعبثُ إلى الججاجِ يقتلني * إني لأحق من تتحدى به العيرُ
مستحقبا مُحففا تدمي طوابعها * وفي الصحائف حيات مأكبرُ

وقال بعض الشعراء في القلم

عجبت لذي سِنَّين في الماء نبته * له أثر في كل مصر ومعمر

وقال بعض المحدثين في القلم

ضليل الرِّواء كبير الغناء * من البحر في المنصب الأخصر
كثل أنحى الشق في شخصه * وفي لونه من بني الأصفر
يمز كهيئة مرّ الشجا * ع في دغص تحنية أعفر
إذا رأسه تمح لم ينبعث * وجاز السيل ولم يبصر
وإن مديّة صدمت رأسه * جرى جرى لا هائب مقصر
يفضي ماربّه مقبلا * ويحسها هيئة المدير
تجمود بكف فتي كفّه * تسوق الثراء إلى المعسر

وقال حبيب الطائي يصف القلم

لك القلم الأعلى الذي بسبّاته * يصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الأفاعي القاتلات لعابه * وأرى الجنى أشتارته أيد عواسل
له ريقه طلّ ولكن وقعها * بآثاره في الشرق والغرب وإبل
فصبح إذا استنطقته وهو راكب * وأعجم إن خاطبته وهو راجل
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت * عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقرضت * لنجواه ترويض الخيام الجحافل
تراه جليلا شأنه وهو مرهف * ضنى وميمنا خطبه وهو ناعل

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم
وأسمو طاولي الكشح أنحس ناطق * له دُمَلَاتٌ في بطون المهاريق
إذا استعملته الكف أمطر خالهُ * بلا صوت إرداد ولا ضوء بارق
كأن الآلى والزرجد تطفُفهُ * ونور أنحرأى في بطون الخدائق

وقال بعض المدّنين يملح كاتباً

وإذا تألق في الندى كلامه آل منظوم خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أقلامه ثم أُنْتُجَتْ * برقت مصابيح النّجى في كتبه
باللفظ يقرب فهمه في بُعد * منا ويعد نيله في قربه
حَمَّ فَسَاخِهَا خِلال بَنَانِهِ * متدفق وقليها في قلبه
كالروض مؤتلف بحمرة نوره * وبياض زهرته وخضرة عُشْبِهِ

وقال سعيد بن حميد يصف العود

وناطق بلسان لا ضميره * كأنه نغذ نيطت الى قدم
يُبدى ضمير سواه في الكلام كما * يُبدى ضمير سواه منطلق القلم

بعث الطائي الى الحسن بن وهب بدواة ابنوس وكتب اليه

قد بعثنا إليك أم المنايا * والعطايا زنجية الأصحاب
في حشاها من غير حرب حِراب * هي أمضى من مرهقات الحِراب

وقال ابن أبي كريمة يصف الدواة والقلم

ومسوذة الأرجاء قد خضت مامها * ورويت من قعرها غير مُنَبَّط
نميص الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سر الأمير المسلط

وقال بعض أهل الأدب : إنما قيل "ديوان" لموضع الكتبة والحساب لأنه يقال : للكتاب بالفارسية "ديوان" أى شياطين، لحنقهم بالأمور ولطفهم فسعى موضعهم باسمهم .

وقال آخر : إنما قيل لمدير الأمور عن الملك "وزير" من الوزر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمال ، قال الله عز وجل (وَلَكِنَّا مُحْمَلُونَ أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى أحمالا من حلهم ، ولهذا قيل للإثم : وزر، شبهً بالحمل على الظهر، قال الله تبارك وتعالى (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبى نواس قوله

يا كاتباً كتب الغداة يسئلى * من ذا يطيق براعة الكتاب
لم ترض بالإعجام حين سبئتنى * حتى شككت عليه بالإعراب
وأردت إفهامى فقد أفهمتنى * وصلقت فيا قلت غير محاي

١٠

وقال آخر

يا كاتباً تسئّر أعلامه * من كفه دُراً على الأسطر

وقال عدي بن الرقاع

صلى الاله على امرئ ودعته * وأتم نعمته عليه وزادها
ومنه أخذ الكتاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

١٥

وقال حاتم طي في معنى قولهم مُتَّ قبلك

إنما ما أتى يوم يفسرُق بيننا * بموت فكأن أنت الذى نثائر

وقال جرير في معناه

رُدنى فزادى وكوفى لى بمزلتى * يا قبل نفسك لاق نفسى التلّف

٢٠

كتب بعض الملوك الى بعض الكُتَّاب كتابا دماله فيه بامتع الله بك ، فكتب اليه ذلك الكاتب

أُحِلَّتْ عَمَّا عَهِدْتُ مِنْ أَدَبِكَ * أَمْ نَلَتْ مُلْكًا قَهْتِ فِي كِتَابِكَ
أَمْ هَلْ تَرَى أَنْفَ فِي التَّوَاضُعِ لِلْأَخْوَانِ قَهْصًا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ
أَمْ كَانَ مَا كَانَ مِنْكَ عَنْ غَضَبٍ * فَأَيُّ شَيْءٍ أَذْنَاكَ مِنْ غَضَبِكَ
إِنِّي جَفَاءٌ كَلَّابٍ ذِي مِقَّةٍ * يُكْسِبُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعُ بِكَ

وقال الإصمعي في البرامكة

إِذَا ذُكِرَ الشُّرْكُ فِي مَجْلِسٍ * أَثَارَتْ وَجْوهَ بَنِي بَرَمَكٍ
وَإِنِّي تَلَيْتُ عَنْهُمْ آيَةً * أَتَوْا بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَرْوَكٍ^(١)

وقال آخر

إِن الْقَرَاغِ دُطَانِي * إِلَى آبَتْنَاءِ الْمَسَاجِدِ
وَإِنِّي رَأَيْتُ فِيهَا * كَرَأْيَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ

مر عبد الله بن المقفع بيت النار، فقال

يَا بَيْتَ عَائِكَةَ الَّذِي أُنْعَزَلَ * حَذَرَ الْعَدَا وَبِهِ الْفُؤَادُ مَوْكَلٌ

وقال دحيل في أبي عباد

أَوَّلَى الْأُمُورِ بَضِيعَةٌ وَفُسَادُ * أَمْرٍ يَدْبِرُهُ أَبُو عِبَادٍ
حَقِيقٌ عَلَى جُلُوسَاتِهِ بِدَوَانِهِ * فَرَمَلٌ وَمَضْمُخٌ بِمَعْدَادٍ
وَكَانَهُ مِنْ دَيْرِهِ قُلٌّ مُفْلَتٌ * حَرْدٌ يَخِزُّ سِلَاسِلَ الْأَيَادِ

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير الحشم . أظن هذا الشعر ورد

ابن الزيات عليه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصلين المتنوعين في الأصلين وهو محرف عن " مرذك " واليه ينسب المزدكية ، وقد خرج في أيام قباذ بن فرورز قبيل شريعة زرادشت واستعمل الخمار ويسمى بين الناس في الأموال والنساء والميعة فكش أتاباه وعظم شأنه وتبعه قباذ نفسه ولم يزل كذلك حتى دلى كمرى أنوشروان قتلته وأباد أتاباهه . باختصار عن ابن الأثير . وقد ورد البيتان في البيان والبيان لملاحظ .

خياتات العمال

حدثنا إصحاق بن راهويه قال: ذكر لنا أن امرأة من قريش كان بينها وبين رجل خصومة فأراد أن يخاصمها إلى عمر فأهدت المرأة إلى عمر نفذ جزور ثم خاصمته إليه فوجه القضاء عليها، فقالت: يا أمير المؤمنين، أفصل القضاء بيننا كما يفصل نفذ الجزور. ف قضى عليها عمر وقال: إياكم والهلأيا. وذكر القصة.

قال إصحاق: كان الججاج استعمل المغيرة بن عبيد الله الثقفي على الكوفة فكان يقضي بين الناس، فأهدى إليه رجل مِرْاجاً من شبيه^(١) وبلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغلة. فلما اجتمعا عند المغيرة جمل يعمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول: إن أصرى أضواء من السراج. فلما أكثر عليه قال: ويحك إن البغلة رحمت السراج فكسرت.

حدثنا إصحاق قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا حماد بن سلمة عن البريرى عن أبي بصرة عن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر فأعجبته هيئته ونحوه، فشكا عمر طعاماً غليظاً يأكله. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين، إن أحق الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وعلو لأنت. فضرب رأسه بجريرة وقال: وإله ما أردت بهذا إلا مقاربتى، وإن كنت لأحسب أن فيك خيراً. ألا أخبرك بمثل هؤلاء، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفنوا خفاتهم إلى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا. فهل له أن يستأثر عليهم بشيء؟ قال الربيع: لا.

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال: لما أتى عمر بن الخطاب كسرى ومواريه جمل يقلبه يعود في يده ويقول: وإله إن الذي أدى

(١) الثناس الأصفر. (٢) كذا بالأصل غير مضبوط، ولعله البريرى بصيغة التصغير وهو سعيد ابن إياس البريرى، قد جافى تهذيب التهذيب وفي الأنساب للسمعاني أن من جملة من روى عنه الحمادان: حماد بن سلمة وحماد بن زيد.

الينا هذا لأمين . فقال رجل : يا امير المؤمنين أنت أمين الله يؤتون اليك ما أدبت الى الله فانذا رعت رتعوا . قال : صدقت .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : لما أتى على عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزن والتقاد فكؤم كؤمة من ذهب وكؤمة من فضة وقال : يا حمراء ويا بيضاء احمرى وابيضى وغمرى فمرى . وأنشد

هذا جَنَائى وخيارُهُ فيه • اذ كل جانٍ يله الى فيه

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال : كان عمر بن الخطاب اذا بحث عاملاً يشترط عليه أربعا : ألا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقي ، ولا يتخذ يوبا . ومرو بنتاه يبنى بحجارة وجصّ فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملاً له على البحرين فقال : «أبت الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها» وشاطره ماله . وكان يقول : «لى على كل خائ أمينان الماء والطين» .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن سميد عن قتادة قال : جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى واليه : أن دَعَ لأهل الخراج من أهل القرات ما يفتخمون به الذهب ويلبسون الطيالة ويركبون البراذين وخذ الفضل .

حدثنا محمد بن عبيد عن هوثة عن عوف عن ابن سيرين ^(١) [وإسحاق عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين] بمعناه قال : لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : يا عدو الله وعدو كتابه ، أسرقت مال الله ؟ قال أبو هريرة لست بملوقه

(١) في النسخة القنوغرافية : «جيد» والاسمان واردان سا في تهذيب الكمال في أسماء الرجال . وليس في ترجمة أحدهما من يروى عن هوثة هذا ، ولعل رواية الألمانية هي الصواب حيث تقدم كثيرا أن ابن قتيبة يروى عن محمد بن عبيد هذا . (٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

ولا عدوكا به ولكنى عدو من عاداهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خلى تناسلت وعطائي تلاحق وسهامي تنابت فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمر المؤمنين ثم قال لى عمر بعد ذلك : ألا تعمل ؟ قلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . قلت يوسف نبي ابن نبي وأنا ابن أُميمة أخشى ثلاثا وأنتين . قال فهلا قلت نحسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير علم ، وأخشى أن يضرب ظهري ، ويستم عرصى ، ويقع مالى .

حدثنا محمد بن داود عن نصر بن قنيد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي بردة وهو أمير البصرة فقال : أيتها الأمير ، إني قرأت في بعض الكتب : « من أحق من السلطان ومن أجهل من عصاني ومن أعز من أعزنى . أيا راعى سوء ففعلت اليك غنا سمانا سحاحا فاكلت اللحم وشربت اللبن وأتدبت بالسنن وليست بالصوف وتركها عظاما نتقعقع » .

حدثني محمد بن شبابة عن القاسم بن الحكم العنزي القاضي قال حدثني إسماعيل ابن عياش عن أبي محمد القرشي عن رجاء بن حيوة عن ابن عمر قال : إني لثمت منبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجابية حين قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، أقرءوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله . إنه لن يبلغ نوحى في حقه أن يطاع في معصية الله . ألا إنه لن يبعد من رزق الله ولن يقرب من أجل أن يقول المرء حقا وأن يذكر بعظيم . ألا وإنى ما وجدت صلاح ما ولأنى الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا وإنى ما وجدت

٢٠ (١) اسم أم أبي هريرة . (٢) في النسبة اللاتية : ومن أعز من أعزنى .

(٣) في اللاتية : « غزوة » ولعل الصواب ما في التفسيرية حيث ذكر في ترجمة رجاء بن حيوة أن من شيوخه المسود بن عزيمة ؛

صلاح هذا المال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى في حق ، ويمنع من باطل . ألا وإنا أنا في مالكم هذا كوالى اليتيم إن استغثت استعفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تَقْرُمُ الْبَهْمَةَ .

- بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « كان زياد إذا ولى رجلا قل له : خذ عهدك وصرالى عملك واعلم أنك مصروفٌ رأس سنتك وأنتك نصير الى أربع خلال فأختر لنفسك : إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسأمتك من معزتنا أمانتك ، وإن وجدناك خائناً قويا استهنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأقلعنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك أميناً قويا زدناك في عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك » .

١٠

- قال العتيبي : بُعث الى عمر بن الخطاب فاقسمها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حُلّة ، والحلّة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون . فقال سليمان : لا نسمع . قال : ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلّة . قال : لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى أتت^(*) به هو ثوبك ؟ قال : اللهم نعم . فقال سليمان رضى الله عنه : أما الآن قتل نسمع .

١٥

بلغنى عن حفص بن عمر بن الرازى عن الحسن بن عمار عن المنهال بن عمرو قال : قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس : قم فاذا كر علينا فتقصه فقام شداد فقال : والحمد لله

٢٠

(*) كذا بالأصل ، وفى القاموس : وأخبر به وتأذره ولا تقتل أتروقه جاء فى بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة . وفى النهاية لابن الأثير أنه خطأ لأن الهزرة لا تدغم فى التاء . وفى التاج : وقال الخطرى أنه لغة عامية ثم قل من الساغى أنه يجوز أن تقول أتروق المأزق أيضا فليس يدغم الهزرة فى التاء كما يقال أتمنه والأصل أتمته .

- الذى افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى أثر من رضا غيره . على ذلك مضى أولهم وعليه يمضى آخرهم . أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عرض حاضرياً كل منها البر والفاجر، وإن السامع المطيع لاجبة عليه وإن السامع العاصي لا حجة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالناس صلاحاً عمل عليهم صلحهم وقضى بينهم فقهاهم وجعل المال في شُحهم ، وإذا أراد بالعباد شراً عمل عليهم سفههم وقضى بينهم جهلامهم وجعل المال عند بخلاهم . وإن من صلاح الولاية أن يصلح قرأؤها . نصحك يا معاوية من أن يخطبك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بـمال ، وقال : ألسنتُ من السمحاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المسلمين تعدت جمعه غفلة تبعته فأصبته حلالاً وأهقته إفضالاً ، فنعم . وإن كان مما شاركك فيه المسلمون فأحسبته دونهم، أصبته اقترافاً وأهقته إسرافاً ، فإن الله عز وجل يقول (إِنَّ الْمُبْدِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .
- مرَّ عمرو بن عبيد بجاعة عكوف ، فقال ما هذا ؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله ، سارق السريق طعمه سارق العلانية ! .
- ١٥ ومر طارق صاحب شرطة خالد القسري بابن شبرة ، وطارق في موكبه فقال ابن شبرة أراها وإن كانت تُحب كأنها * بحبابة صيف عن قريب تقشع
- اللهم لي ديني ولهم دنياهم . فاستعمل ابن شبرة بعد ذلك على القضاء ، فقال له ابنه : أتدكر يوم مرَّ بك طارق في موكبه وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُني ، إنهم يبدون مثل أهلك ولا يحد مثلهم أبوك . إن أباك أكل من حلواتهم وحط في أهوائهم .
- ٢٠ ولـي عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المنيعة مستكين فأحسن السيرة وعف عن أموال الناس ثم حزل فاجتمعوا إليه فأنشد لنرج الضبابي .

فلا السجن أبكاني ولا القيد شقني * ولا أننى من خشية الموت أبزع
ولكن أقواما أخاف عليهم * إذ مات أن يسطوا الذى كنت أمتع
ثم قال : والله ما أسفت على هذه الولاية ولكنى أخشى أن يلى هذه الوجوه
من لا يرى لها حقها .

- ووجدت فى كتاب لعل بن أبي طالب كرم الله وجهه الى ابن عباس حين أخذ
من مال البصرة ما أخذ : « إني أشركك فى أمانتى ولم يكن رجل من أهل أوثق
منك فى نفسى ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، والمدو قد حرب قلبت
لابن عمك ظهر الحين بفراقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين وأختلطت ما قدرت
عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى » وفى الكتاب : « صبح
رويدا فكان قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالحمل الذى به ينادى المنقر
بالحسرة ويبتى المضجع التوبة والظالم الرجعة » .
- وفى كتاب لعمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة : « غرتنى منك مجالستك القراء
وعمامتك السوداء فلما بلوتك وجدناك على خلاف ما أملناك ، فاعلمك الله ! أما تمشون
بين القبور ! » .

- قال ابن أحمد يذكر عمال الصدقة
- ١٥ إن العياب التى يُخفون مُشرجة * فيها البيان ويكوى عندك الخبر
فاجبت اليهم لحاسبهم محاسبة * لا تخف عين على عين ولا أثر
هل فى التمانى من السبعين مظلمة * وربها بكتاب الله مصطبر
وقال عبد الله بن همام السلولي
أقلى على اللوم يا أم مالك * وذئى زهانا ساد فيه القلاقس
- ٢٠

(*) تخ من ضحيت الغم اذا ربيتها فى الضحى ، أى اربع قسك على مهل قائما أنت على شرف الموت .

وساع مع السلطان ليس بناصح * و"مختار من مثله وهو حارس" (٥)

قدم بعض عمال السلطان من عمل فدا قوما فاطمهم وجعل يحتشم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل (سَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ) . قال بعض الشعراء

ما ظنكم بأناس خيروكمهم * مصرح السحت بموه الإصابات
وقال أبو نواس في إسماعيل بن صبيح

بنيت بما خنت الامام مفاية * فلا شروا إلا أمر من الصبر
فما كنت إلا مثل بائعة أمتها * تعود على المرضى به طلب الأجر
يريد معنى الحديث أن امرأة كانت في بني إسرائيل تربي بحب الرمان وتصدق به على المرضى .

وقال فيه أيضا لمحمد الأمين

أست أمين الله سيفك نعمة * إذا ماق يوما في خلافتك مائق
فكيف بإسماعيل يسلم مثله * عليك ولم يسلم عليك منافق
أعذك بالرحمن من شركائب * له قلم زان وأحر سارق
وقال فيه أيضا

ألا قل لإسماعيل إنك شارب * بكأس بني ما هان ضربة لازم
أئسين أولاد الطريد ورهطه * بإهزال آل الله من نسل هاشم
وتخبر من لا قيت أنك صائم * وتفسدو بفرج مظهر غير صائم
فإن يسر لإسماعيل في بقراته * فليس أمير المؤمنين بنائم

ولي حارثة بن بدر "سرق" فكتب إليه أنس الدولة

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جردا فيها تخون وتسرق

(*) مثل ضرب الليل يرمي على حقل ذي لاجون أن يحرق فيه ، كما في لسان العرب .

وبار تيمًا بالنفي إن بالنفي * لسانًا به المرء المَسِيوبَةُ ينطق
فإن جميع الناس إما مكذَّب * يقول بما يهوى وإما مصدِّق
يقولون أقوالًا ولا يعلمونها * وإن قيل هاتوا حَقِّقُوا لم يحَقِّقُوا
ولا تَحَقَّرُنَّ يا حارِ شَيْثًا أصبَتْه * فحَفَّظَكَ من مُلْكِ العِراقين سُرِقَ

فلما بلغت حارثة قال : لا يسمي عليك الرشيد .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جُورِيَّةِ بنِ أسماء قال ، قال فلان : « إن الرجل
ليكون أمينًا فإنا رأى الضَّيَّاع خان » .

فقرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه : « اجعل عقوبتك على اليسير من
الخيانة كمعقوبتك على الكثير منها ، فإذا لم يُطْمَع منك في الصغير لم يُخْشَ عليك
في الكبير . وأُريدَ البريد في الدرهم ينقُص من الخراج ، ولا تماقبن على شيء كمعقوبتك
على كسره ولا تَرْزُقَنَّ على شيء كَرْزُقَكَ على إزجائه ، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن
ثوابك عليه حقن دم المزجي وتوفير ماله من غير أن يعلم أنك أحسنت أمره حين
عَفَ واعْتَصَم من أن يهلك » .

وقرأت في الساج أن أبرويز قال لصاحب بيت المال : « إني لا أحملك على
خيانة درهم ولا أحملك على حفظ ألف ألف درهم ، لأنك إنما تَحَقِّنُ بذلك دمك
وتعصم به أمانتك فإني إن خنت قليلًا خنت كثيرًا . واحترس من خصلتين :
التقصان فيما تأخذ ، والزيادة فيما تعطى . وأعلم أني لم أجعل أحدًا على ذخائر الملك وعمارة
المملكة والعلة على السدِّ ولا وأنت آمنُ عندي من موضعه الذي هو فيه وخواتمه
التي هي عليها ، فحقق ظني في اختياري إياك أحقق ظنك في رجائك لي ، ولا تتعوض
بغير شر ولا برضة ضمة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة » . وكان يقال : « كفي بالمرء
خيانة أن يكون أمينًا للثوب » .

قدم معاذ من أين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . قال : أحسابان ، حساب من الله وحساب منكم ؟ لا والله لا إلى لكم عملاً أبداً .

ذكر أعرابي رجلاً حاشاً فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لئلا وإن فلاناً يحسوها حسوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلاً تعمل طويلاً وأكرم الغفاب يترك العمل ، وإياك والرثا يشتد ظهرك عند الخصام » .

القضاء

حدثنا إصحاق بن راهويه قال أخبرنا يشر بن المفضل بن لاحق قال حدثنا المنيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لا ينبغي للرجل أن يكون قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالماً قبل أن يستعمل ، مستشيراً لأهل العلم ، ملقياً للرجع^(١) ، منصفاً للخصم ، محملاً للأئمة^(٢) » .

حدثني علي بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن إصحاق الأنصاري عن عبد الله بن هبة عن عبد الله بن هبيرة عن علي عليه السلام أنه قال : « ذمى رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العبر^(٣) ألا يهلك على التقوى زرع قوم ولا يظلم على التقوى شئ أصل . ألا وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قسّ جهلاً غاراً بأغباش الفتنة عمية^(٤) بها في عقد الهدنة سماء أشباهه من الناس عالماً ولم يفتن في العلم يوماً سالماً ، بكر

(١) الحرس واللعس . (٢) كذا بالتسعين الألمانية والقنوقرافية وموابه « مقتدياً بالأئمة » وقد ورد هذا الأثر في العقد الفرید وفي البيان والتبيين بما فيه : إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كل : علم ما كان فيه ، ونزاهة عن اللبس ، وحلم من الخصم ، واعتدال بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأي .

(٣) في التسعين الألمانية والقنوقرافية ، « حجج » والصواب عن نهج البلاغة .

(٤) في الأصلين « صيب » والصواب عن نهج البلاغة ،

فامتكر، ما قلّ منه فهو خير مما كثر حتى اذا ما ارتوى من آجن واكثر من غير طائل فقد بين الناس قاضيا لتخليص ما التيس على ضيره، إن نزلت به إحدى المهمات هيا حشوا رثا من رأيه، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت. لا يعلم اذا أخطأ، لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب. خباط عَشَوَات رُكَّاب جهالات. لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعص في العلم بضرس قاطع. يذرو الرواية ذرو الریح المهيّم، تبهى منه الدماء وتصرخ منه الموارث ويستحل بقضائه الفرج الحرام. لا ملى واقه باصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قرط به.

قال ابن شبرمة

ما في القضاء شفاعة لخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهون على اذا قضيت بسنة * أو بالكاتب برغم أنف الرازم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظائر معروفة ومعالم

الهيثم عن ابن عيَّاش عن الشَّعْبِي قال : كان أول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها، ثم قضى بالمدائن، ثم عزله عمر واستقضى شُرْحَيْل على المدائن، ثم عزله واستقضى أباقرة الكندي وهو اسمه فاخط الناس الكوفة وقاضيههم أبوقرة، ثم استقضى شريح بن الحارث الكندي فقضى نحسا ومبعين سنة إلا أن زيادا أنرجه مرة الى البصرة واستقضى مكانه ممروق بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة في زمن ابن الزبير فقامد ولم يقض في الفتنة. فابتنقضى عبدالله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجل شريحا في الطريق فقال : يا أبا أمية قضيت واقه يمحور، قال: وكيف ذاك؟ ويحك! قال: كبرت

(*) في الأصلين « رأيا » والتصويب عن نهج البلاغة .

سُئِكَ واختلط عقلك وارثني ابنك، فقال [شرح لا جرم] لا يقولها أحد بعدك .
 فأتى الجحاج فقال : والله لأقضى بين اثنين . قال : والله لأعفيك أو تبغني رجلا .
 فقال شرح : عليك بالعفيف الشريف أبي بردة بن أبي موسى . فاستقضاه الجحاج
 وألزمه سعيد بن جبيرة كاتباً ووزيراً .

و روى الثوري عن علقمة بن مرثد أنه لقي عمار بن دينار وكان على القضاء
 فقال له : يا عمار، الى كم تردد الخصوم؟ فقال له : إلى والخصوم كما قال الأعشى
 أرقئت وما هذا المهاد المؤرق * وما بي من سقم وما بي معشوق
 ولكن أراني لا أزال بمحادث * أظنني بما لم يمس عندي وأطرق

حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب
 ابن الشهيد قال : كنت جالسا عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة
 فطوّل فيها ، فقال إياس : إن كنت تريد الفتيا فعليك بالحسن معلمي ومعلمي أبي ،
 وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يحيى — وكان على قضاء البصرة
 يومئذ — وإن كنت تريد الصلح فعليك بجميد الطويل ، ويكرى ما يقول لك ؟
 يقول لك : خط شيئا ، ويقول لصاحبك : زده شيئا حتى يصلح بينكما ، وإن
 كنت تريد الشغب فعليك بصالح السُّسُوسِي ، ويكرى ما يقول لك ؟ يقول لك :
 اجمد ما عليك . ويقول لصاحبك : ادع ما ليس لك وادع بينة غيبا .

قرأت في الآين : « ينبغي للحاكم أن يعرف القضاء الحق العدل والقضاء العدل غير
 الحق والقضاء الحق غير العدل ويقايس بثبوت وروية ويتحفظ من الشبهة » . والقضاء
 الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس ، والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد ،
 والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أنس الأصمعي قال حدثني عمي الأصمعي قال قال أعرابي لقوم يتنازعون : هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ قيل : وما يكون خيرا من الحق ؟ قال : التماس والمضغ فان أخذ الحق كله مر .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في شيء فحكما رجلا له في الخطي هوى ، فقال للخطي : من يقول بقولك أكثر .

الميم بن عدى قال : تقدمت كلم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد الى عبد الملك بن حمير وهو قاضي الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يرى بها قضى لها ، فقال هذيل الأثعبي

أناه رفيق بالشهود يسوقهم * على ما دعت من صامت المال وأخول
فأدلى وليد عند ذاك بحقه * وكان وليد ذا مرأى وزنا جندل
فتنتت القبطى حتى قضى لها * بغير قضاء الله في السور الطول
فلو كان من في القصر يعلم علمه * لما استعمل القبطى فينا على عمل
له حين يقضى للنساء تحاوص * وكان وما منه التناوص والحول
إذا ذات دل كلمته لحاجة * فهم بأن يقضى تتنح أو معل
(١) [ورق عينه ولاك لسانه * يرى كل شيء ما خلا شخصا جلال]

فكان عبد الملك بن حمير يقول : والله لربما جاءني السعلة أو التنح وأنا في المتوصا فأكف عن ذلك .

وقال ابن منذر في خالد بن طليق وكان قد ولي قضاء البصرة :

قل لأمير المؤمنين الذي * من هاشم في سرها واللباب

(١) زيادة في النسخة الألمانية .
(٢) في القاموس : ما بن منذر ويضم فيصرف شاعر بصري لأنه محمد بن منذر بن منذر . وفي الأثافي أنه إذا قيل له ابن منذر ففتح الميم ينضب ثم يقول أنا منذر الصغرى أم منذر الكبرى وما كورتان من كور الأهواز . إنما هو منذر على وزن مفاعل من نادر فهو منذر مثل ضارب فهو مضارب وقائل فهو مقائل .

إن كنت للسَّخطة عاقبتنا * بخالد فهو أشدَّ العقاب
كان قضاء الناس فيها مضي * من رحمة الله وهذا عذاب
يا عجباً من خالد كيف لا * يخطئ فتياً مرةً بالصواب

وقال فيه

جُعل الحاكم يا للناس من آل طليق
صَحَّحَهُ يَحْكُمُ فينا * س برأى الجأثليق^(١)
أى قاض أنت في التقصص وتعطيل الحقوق
يا أبا الميثم ما أنست لهذا بخليقي
لا ولا أنت لما حَمَلَتْ منه بخليقي

١٠ أراد عدي بن أرطاة بكر بن صيد الله المزني على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن القضاء، فإن كنت كاذباً أو صادقاً فما يحل لك أن توليني .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : لما عزل ابن شبرمة عن القضاء قال له وإلى أين : اختر لنا رجلاً نوليّه القضاء . فقال له ابن شبرمة : ما أعرفه . فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل إليه بفاء ، فقال له ابن شبرمة : هل تدري لم دُعيت ؟ قال : لا . قال : إنك قد دُعيت لأمر عظيم ، للقضاء . قال : ما أبسر القضاء ! فقال له ابن شبرمة : فنسئلك عن شيء يسير منه ، قال : سل . قال له ابن شبرمة : ما تقول في رجل ضرب بطنَ شاةٍ حاملٍ فالتقت مافي بطنها ؟ فسكت الرجل ، فقال له ابن شبرمة : [إنا بولناك^(٢) فما وجدت عندك شيئاً . فقيل له : ما القضاء فيها ؟ قال ابن شبرمة] تُحَوِّمُ حاملاً وتُحَوِّمُ حائلاً ويُزْرَمُ قدر ما بينهما .

٢٠ (١) في القاموس : الجاثليق يفتح التاء الحظي رئيس للتصاري في بلاد الاسلام بمدينة السلام . قال صاحب التاج وهو المعروف الآن بالقتل كقشد . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

حدثني عبد الله بن محمد الخَلَّجِي قال : كان يحيى بن أكرم يمتحن من يريدهم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوّج كل واحد منهما الآخر أمّه فوّلد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرأه ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .

٥. ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان فقال : إني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمّها ولا غنى بنا عن رِفْدِكَ . فقال له عبد الملك : إن أخبرتني ما قرأته ما بين أولادكما إذا أولدتما ، فعلت . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بحدل قد قلده سيفك ووليتته ما وراء بابك فسله عنها ، فإن أصاب لزمى الحرمان ، وإن أخطأ اتسع لي المذر . فدعا بالبحدل فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ما قدمتنى على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالزواج ، أحدهما عم الآخر والآخر خاله .

١٠. قال ابن سيرين : كما عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبّة له وبين يديه كأنون له فيه نار فجاءه رجل بفلس معه على فراشه فسأله بشيء لا تدرى ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضَع لي إصبعك في هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أئجل على إصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسطني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم ! قال : فظننا أنه دعا إلى القضاء .

كان يقال : « ثلاث إذا كن في القاضي فليس بكامل : إذا كره اللوام ، وأجبت المحامد ، وكره المزَل . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وإن كان عالماً ، ولا يسمع شِكْية من أحد حتي يكون معه خصمه ، ويقضى إذا علم » .

٢٠. (*) في السيرة النبوية : « عبد الرحمن » وفي أنساب السعدي ما يزيد رواية الألمانية .

قالوا : « ويحتاج القاضي الى العدل في لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه
والأ يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفعه على الآخر » .
قال الشعبي : حضرت شريحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاض زوجها فأرسلت
عينها فبكت فقلت : يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : يا شعبي ، إن إخوة يوسف
جاءوا أباهم عشاء ييكون .

بلفظ عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضى
الله عنه الى أبي موسى الأشعري كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله
عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد فإن القضاء فريضة
محكمة وسنة متبعة ، فافهم أنا أدلى اليك فانه لا ينعم تكلم بحق لا تهاذله . آس بين
الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف من
عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا
أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمتنع قضاء قضيتته بالأس فراجعت فيه فمسك
وهديت لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق لا يبطله شيء . واعلم أن مراجعة الحق
خير من التماذي بالباطل . اللهم اللهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن
ولا سنة ، وأعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك ثم اعمد لأحبها الى
الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادعى حقا غائبا أملا يتهى اليه فان أحضر
بينة أخذ بحقه وإلا استحللت عليه القضاء . والمسالمون عدول في الشهادة إلا مجلودا
في حد أو مجريا عليه شهادة زور أو ظنيئا في ولاء أو قرابة . إن الله تولى متكم المرائر
ودرا عنكم بالبينات . وإياك والفاق والضجر والتأذى بالخصوم في مواطن الحق التي
يوجب الله بها الأجر ويمسح الذنر ، فانه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله أصلح
الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للدينا بنير ما يعلم الله منه شانه الله ، والسلام . »

وقال سلمة بن الخرشب لسبيع التغلبي في شأن الرهن التي وضعت على يديه في قتل
عيس ودبيان .

- أبلغ سبيما وأنت سيلنا * فلما وأوفى رجالنا ذمبا
أن يفيضوا وأن إخوتها * دبيان قد ضرموا الذي اضطروا
نبتت أن حكوك بينهم * فلا تقولن بئس ما حكما
إن كنت ذا عرفة بشأنهم * تعرف ذا حقهم ومن ظلمنا
وتنزل الأمر في منزله * حكما وعلما وتحضر الفهما
فاحكم فأت الحكيم بينهم * لن يمتوا الحق باردا صمنا
وأصدع أديم السواء بينهم * على رضا من رضى ومن رغبنا
إن كان مالا فقتل عدته * مالا بمال وإن دما فدمنا
هنا وإن لم تطلق حكومتهم * فانبذ إليهم أمورهم ملبنا
وأشد عمرين الخطاب شعز هيرين أبي سلمى، فلما بلغ قوله
فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نثار أو جلاء

- جعل عمر يتحجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ويقول : لا يخرج الحق من
إحدى ثلاث إما يمين أو حاكم أو حجة .

- وقال ابن أبي ليلى الفقيه في عيد الله بن شبرمة
وكيف ترجى لفصل القضاء * ولم تصب الحكم في نفسك
وترى أنك لاين الجلاح * وهيأت دموك من أصلك

- عيد الله بن صالح الجعفي قال : خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخيزران وقد
أقبلت تريد الحج، فأتى، "شاهي" فأقام بها ثلاثا ولم تواف نجف زاده وما كان
معه من الخبز فضل بيته بالماء ويأكله بالملح، فقال العلاء بن الميثال الغنوي

فان كان الذى قد قلت حقا * بأن قد أكرهوك على القضاء
فإلك مَوْضِعًا فى كل يوم * تَلْقَى من يَحْجُ من النساء
مقيما فى قرى شَاهِي ثلاثا * بلا زاد سوى كَسِير وماء
يزيد الناس خيرا كل يوم * فترجع يشارك الى وراء
وقال فيه أيضا

فليت أبا شرك كان حيا * فيُقَصِّر حين يصره شرك
ويترك من تدريه علينا * انا قلنا له هذا أبوك^(١)
وأشد لبعض الشعراء فى بعض الحكم

أبى وأندب بهجة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكم
إن الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني القاسم بن الفضل قال حدثني رجل من بني
جرير أن رجلا منهم خاصم رجلا الى سَوَّار بن عبد الله فقضى على الجريري، فر
سَوَّار بنى جرير مقام اليه الجريري فصرعه وخنقه وجعل يقول
رأيت أحلاما فعبثها * وكنت للأحلام عبّارا
رأيتي أختني ضبا طلي * مجر وكان الضب سَوَّارا

فى الشهادات

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال لى أيوب^(٢) : إن من أصحابي من أرجو
دعوته ولا أجزى شهادته . قال وقال سَوَّار : ما أعلم أحدا أفضل من عطاء السُّلمى ،
ولو شهد عندي على فُلّسين لم أجز شهادته . يذهب الى أنه ضعيف الرأي ليس بالنازم ،

(١) فى هذا الشعر الإتياء وهو المخالفة بين التوافق فى حركة الإعراب ، وقد أورد صاحب اللسان هذين
البيتين فى جملة الشواهد المسوقة عليه . (٢) فى النسخة الألمانية « أبو أيوب » .

- لا أنه يطعن عليه في دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن الملاء عند سوار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنه ؟ قال : كما أعلم أنك سوار بن عبد الله ابن عترة بن قتب . قال : وشهد رجل عند سوار في دار قد أداها رجل قال : أشهد أنها له من الماء إلى السماء . وشهد آخر قال للكاتب : اكتب شهادتهما . فقال : أي شيء أكتب ؟ فقال : كل شيء يخرج الدار من يد هذا ويصلها في ملك هذا فاكتبه . ^(١) قال أبو حاتم بلغني أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه [قال وشهد رجل عند سوار ، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدب . قال : فانا لا نجز شهادتك . قال ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إني أكرهت على القضاء . قال : يا هذا ، القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلم شهادتك . فاجازها . قال : وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال : قد أجزنا شهادة أبي فراس ، وزيدونا . فقيل له حين انصرف : إنه واقه ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف محصنة . وجاء أبو دلالة ليشهد عند ابن أبي ليلى فقال في مجلسه ذلك
- إِنَّ الْقَوْمَ غَطَوْنِي تَغْطِيَتُ دُونَهُمْ * وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي قَسِمَ مَبَاحُثُ
وَأِنْ حَفَرُوا بِرِي حَفَرْتُ بِأَرْهَمِ * لِيُعْلَمَ مَا تَخْفِيهِ تِلْكَ النَّبَاحِثُ
- فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشيء .

- أتى رجل ابن شبرمة يقوم يشهدون له على قرأح فيه نخل ، فشهدوا وكانوا عدولا فسألهم : كم في القراخ من نخلة ؟ قالوا : لا نعلم . فرد شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فأعلينا : كم فيه من أسطوانة ؟ فاجازهم .
- (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كنا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة القنوغرافية أنما بن سمرين والأول أقرب اذ لم تقف في ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء

والخصم لا يرتجى النجاة له • يوما إذا كان خصمه القاضى

قدم رجل خصما له الى زياد فى حق له عليه ، فقال : إن هذا الرجل يُدلى بخاصة
ذكر أنها له منك • قال : نعم • وسأخبرك بما ينفعه عندى من خاصته : إن
يكن الحق له عليك آخذك أخذا عنيفا ، وأن يكن الحق لك عليه أقض عليه ثم
أقض عنه •

وقال أبو اليقظان : كان عيد الله بن أبى بكرة قاضيا وكان يميل فى الحكم الى إخوانه .
ف قيل له فى ذلك • فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه ؟

قال المداينى : كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مداراة فى واد بالمدينة ، قال
تقالا : نجعل بيننا عمرو بن العاص ، فأتياه فقال لهما : أنتم فى فضلكما وقديم سوابقكما
ونعمة الله عليكما تحتقان ! وقد سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت
وحضرتما من قوله مثل الذى حضرت فيمن اقتطع شبرا من أرض أخيه بغير حق
أنه يطوّقه من سبع أرضين ! والحكم أحوج الى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن
الحكم إذا جازى دينه والمحكوم عليه إذا جبر عليه رزئ عرّض الدنيا [إن شئتما
فأدليا بجحشك] وإن شئتما فأصلحا ذات بينكما • فأصلحا وأعطى كل واحد منهما
صاحبه الرضا •

وكان السدّى ابن شَاهك لا يستحلف المكارى ولا الحالك ولا الملاح
ويجعل القول قول المدعى مع يمينه ، ويقول : اللهم إنى أستخيرك فى الجمال ومعلم
الصبيان •

وقال ابو اليبداء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا قبل شهادة العبد ولا شهادة العديّوط ولا المنذّي ببوله . قال أبو اليبداء : فضحكت والله حتى كدت أبول في ثوبي .

وقيل لعبد الله بن الحسن العنبري : أتمييز شهادة رجل غيف نقي أحق؟ قال : لا ، وسأريكم . ادعوا لي أبا مودود حاجي ، فلما جاء قال له : اخرج حتى تنظر ما الريح ؟ ففرج ثم رجع فقال : شمال يشوبها شيء من الجنوب . فقال : أترؤى كنت مجيزا شهادة مثل هذا ؟

قال الأعمش قال لي محارب بن دثار : وليت القضاء فبكي أهل وعزّلت عنه فبكوا ، فما أدري مم ذاك؟ قلت له : وليت القضاء فكرهته وجزعت منه فبكي أهلك ، وعزّلت عنه ففكرهت العزل وجزعت منه فبكي أهلك . فقال : إنه لكما قلت .

قدم إياس بن معاوية الشام وهو غلام قدّم خصما له الى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضي : أتقدم شيخا كبيرا ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال : اسكت . قال : فمن ينطق بجنتي ؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقتض حاجته وأخرجه من الشام لا يفسد على الناس .

قال أعرابي لخصم له : « والله لئن همّلت إلى الباطل إنك عن الحق لتطوف » .

(١) في نسخة الفوتوغرافية : مرود . (٢) في الأصل "طوك" والصواب من البيان والبيان . ٢٠

باب الأحكام

حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت الزبير بن الحارث يحدث عن عكرمة عن أبي هريرة قال : « قضى رسول صلى الله عليه وسلم إذا اختلف الناس في الطرق أنها سبع أدُّرُع » .

• حدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حاتم عن غزال بن مالك النِّفَّار عن أبيه عن جده قال : « كفَّل النبي عليه السلام رجلا في تهمة » .

قال وحدثني أيضا عن إبراهيم بن حاتم عن غزال بن مالك عن أبيه عن جده قال قال أبو هريرة : « حبس النبي صلى الله عليه وسلم في التهمة حسبا يسيرا حتى استبرا » .

• حدثني يزيد قال حدثني الوليد^(١) عن جرير بن حازم عن الحسن : « أت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب » وقال لي رجل بالمدينة : هو ذورباب .

حدثني أحمد بن الحليل عن سليمان بن حرب عن جرير عن يعلى بن حكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : « أتى معاوية بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني زينت يا رسول الله . فقال : لملك مسست أو لمست أو غمزت . فقال : لا ، بل زينت . فأعاده عليه ثلاثا ، فلما كان في الرابعة رجمه » .

حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثوري عن علي بن الأقرع عن يزيد بن أبي كبشة أن أبا الدرداء أتى بامرأة سرقته ، فقال : أسرقت؟ قولي : لا .

(١) في النسخة الألمانية : "نخيم" ولم نثرمل ما يرجع إحدى الروايتين .

(٢) في النسخة التتوغرافية "أبو الوليد" .

حدثني مهمل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : جاءوا زيادا بلص وعنده جماعة فيهم الأحنف ، فاتهرهوه وقالوا : اصدق الأمير . فقال الأحنف : إن الصديق أحيانا معجزة . فاعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيرا .

حدثني شباة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن حمزة عن ابن عباس قال « جز الرأس والحية لا يصلح في العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نسكا لمرضاته » .

حدثني شباة عن القاسم عن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال « إياكم والمثلة في العقوبة جز الرأس والحية » .

حدثني محمد بن خالد بن خديش قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا يونس عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة قضى في رجل فزج رجلا فصرط بأربعين درهما .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن جوير عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يحل في هذه الأمة غل ولا صغد ولا تجريد ولا مد » .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : كان طامر بن الظرب السدواني حاكم العرب ، فنزل به قوم يستفتونه في خشي وله جارية يقال لها خُصيلة^(١) . وربما لامها في الإبطاء في الرعي وفي الشيء يحده عليها . فقال : يا خصيلة لقد حبست هؤلاء القوم وريقتهم حتى أسمرت في غمي . قالت وما يكن عليك من ذلك ؟ أتبعه مباله . فقال لها : « مَسَى خُصِيلُ بَعْدَهَا أَوْ رَوَّى » .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي التتوغرافية « جيلة » وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب خصيلة هذه في حكايات العرب قال ولها هي التي كان أبوها طامر يقول لها « مَسَى خُصِيلُ بَعْدَهَا أَوْ رَوَّى » . بناء على أنها كانت تسمى خجيلة أيضا . وقد ذكر المبداء أنها جارية طامر بن الظرب فأورد المثل هكذا وذكر القصة .

قال: وأتى ابن زياد بانسان له قُبُل وذَكَرَ ولا يُدرى كيف يُورث. فقال: من لهذا؟
 فقالوا: أرسل الى جابر بن زيد. فأرسل اليه، بغاء يرسف في قيوده فقال: ما تقول:
 في هذا؟ فقال: أَرْزَقَهُ بِالْجِدَارِ فَإِنْ بَالَ عَلَيْهِ فَهُوَ ذَكَرٌ، وَإِنْ بَالَ فِي رِجْلِهِ فَهُوَ أَنْثَى.
 حدثني محمد بن خالد بن خَدَّاش قال حَلَّثَا سَلَمَ بْنَ قَتِيْبَةَ قَالَ حَلَّثَا قَيْسَ بْنَ
 الرِّبِيعِ عَنْ أَبِي حَصْبِينَ أَنَّ رَجُلًا كَسَرَ طُنْبُورًا لِرَجُلٍ نَفَّاصِهِ إِلَى شَرِيحٍ، فَقَالَ
 شَرِيحٌ: لَا أَقْضِي فِي الطَّنْبُورِ بَيْتِي. *

[حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْعَبَّاسِ: يَا بْنَ أَصَمَّ وَاللَّهِ
 لَنْ أَهْرَمْتَ لِأَنْزِمَتِكَ، أَيْ لَا تَهْرَمِ]. *

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه عن مَعْمَرٍ قَالَ: رَدَّ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ جَارِيَةً
 اشْتَرَاهَا مِنْهُ، نَفَّاصِهِ إِلَى إِيَّاسَ بْنِ مَعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ: بِمِ تَرَدَّاهَا؟ قَالَ لَهُ: بِالْحَقِّ، فَقَالَ
 لَهَا إِيَّاسُ: أَيْ رِجْلِيكَ أَطْوَلُ؟ فَقَالَتْ: هَذِهِ. فَقَالَ: أَتَذْكُرِينَ لَيْلَةَ وَلِيتٍ؟
 قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ إِيَّاسُ: رَدِّي. *

حدثني أبو الخطاب قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عَنْ قَيْسٍ عَنْ أَبِي حَصْبِينَ قَالَ: رَأَيْتُ
 الشَّعْبِيَّ يَقْضِي عَلَى جِلْدِ أَسَدٍ. *

الظلم

حدثني عبد الرحمن [بن عبد الله بن قُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ] قَالَ أَخْبَرَنَا بَعْضُ
 أَشْيَاحِ الْبَصْرَةِ أَنَّ رَجُلًا وَأَمْرَأَتَهُ اخْتَصَمَا إِلَى أَمِيرٍ مِنْ أَمْراءِ الْعِرَاقِ وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ
 حَسَنَةً الْمُتَنَقِّبِ قَبِيحَةَ الْمُسْتَفْرِ، وَكَانَ لَهَا لِسَانٌ فَكَأَنَّ الْعَامِلَ مَالَ مَعَهَا فَقَالَ: يَعْبُدُ
 أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَرْأَةِ الْكَرِيمَةِ فَيَتَرَوَّجُهَا ثُمَّ يَسِيءُ إِلَيْهَا! فَاهْوَى زَوْجَهَا إِلَى النَّقَابِ فَأَلْقَاهَا

عن وجهها فقال العامل : عليك اللعنة ! كلامٌ مظلومٌ ووجهٌ ظالمٌ . وأشدُّ الرأى
في نحو هذا

رأيتُ أبا الحُجَّاء في الناس جاثراً * ولون أبي الحُجَّاء لونُ البهائم
تراه على ما لآخه من سواده * وإن كان مظلوماً له وجه ظالم

- أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان رجل من العرب
في الجاهلية إذا رأى رجلاً يظلم ويستدي يقول : فلان لا يموت سويًا ، فيرون ذلك
حتى مات رجل من قال ذلك فيه فقيل له : مات فلان سويًا . فلم يقبل حتى
تأبعت الاخبار . فقال : إن كنتم صادقين إن لكم داراً سوى هذه تجازون فيها .^(١)

- كتب رجل من الكُتَّاب الى سلطان : « أعينك باقه من أن تكون لاهباً عن
الشكر عجوباً بالنعم صارقاً فضل ما أوتيت من السلطان الى ما تقل طائفة وتعلم تبته
من الظلم والمدون ، وأن يسترك الشيطان بمنعه وغروره وتسويله فيزول عاجل
النيطة وينسيك مذموم العاقبة ، فان الحازم من يذكر في يومه الخوف من عواقب
غده ولم يفره طول الأمل وتراخي النسيان ولم يضرب في غمرة من الباطل ولا يدري
ما تعجل به مغبتها . هذا الى ما يتبع الظالم من سوء المتقلب وقبح الذكر الذي لا يفنيه
كر الجليدين واختلاف المصريين » .^(٢)

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إبراهيم السقاء
عن ليث عن مجاهد قال : « يؤتى بعلم الصبيان يوم القيامة فان كان عدل بين الغلمان^(٣)
والأقيم مع الظالمة » . وكان معاوية يقول : إني لأستحي أن أظلم [من لا يجد

(١) كلا بالأصل ولعل القاء سقطت من النسخ . (٢) في القنطرة : الكُتَّاب .

(٣) زيادة في النسبة الألمانية .

على ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إني لأستحي أن أظلم [وأخرج أن أظلم » .
وكان يقال : اذا أراد الله أن يُخف عبدا قيّض له من يظلمه .

كتب رجل الى سلطان : « أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم
بالانصاف من بُسِطت بالقدره يداه » .

• ذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب : إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن
الظلم يُعْرَب الديار . فقال ابن عباس أنا أُوْجِدُكُ في القرآن ، قال الله عز وجل
(قُلْ كَيْفَ نُنْجِيهِمْ خَلَاوِيَهُمْ بِمَا ظَلَمُوا) .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان قُرْطَان وهو من بني تميم لا يزال يُنْزِعُ
على إبل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها الى أن أغار على رجل فأصاب له بجلا ،
بغاء الرجل فأخذ بشعره بغذبه فبرك ، فقال الناس : كبرتَ والله يا قُرْطَان . فقال : لا والله
ولكن جذبني جذبة مُحَقِّق . وكان سُديف بن ميمون مولى اللّهييين يقول : اللهم قد
صار فينّا دولة بعد القسمة وإمارتًا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا بعد الاختيار
للأمة . واشترّيت الملالهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحُكِّم في أبشار المسلمين
أهل النعمة وتولى القيام بأمورهم فاسقُ كُلِّ حَمَلَةٍ . اللهم وقد استحصد زرعُ الباطل
ويلغ نهايته واجتمع طريقه . اللهم فأنج له يدا من الحق حاصدة تبتدئ شمله وتفرق
أمره ليظهر الحق في أحسن صُورهِ وأتم نوره .

ولى أعرابي بعض النواحي فجمع اليهود في عمله وسألم عن المسيح فقالوا : قتلناه
وصلبناه . فقال : فهل أدبتم ديتة؟ قالوا : لا . قال : فواقه لا تخرجون أو تؤذوها .
فلم يبرحوا حتى أذوها .

كان أبو العَاج على جَوَالِ البصرة فأتى رجل من النصارى : فقال ما اسمك ؟
فقال : بنداذ شهر بنداذ . فقال : اسمُ ثلاثةٍ وجزيةٍ واحدٍ ! لا والله العظيم . قال :
فأخذ منه ثلاثَ حُرَّى .

ولى أعرابى ^(١) فصدد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير
أعزنا الله وإياه ولآنى بلادكم هذه ، وإنى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى ،
• وإن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتها ضربا ، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم
ولا يرضعون إليه . قال بعض الشعراء

بنى عَمَلا تذكروا الشعر بعد ما * دفتم بصحراء الغُمير التوافيا
فلسا كن كنتم تصيرون سَلَّة * فتقبل ضيًّا أو تحسُّم قاضيا
ولكن حكم السيف فيكم مسلط * ففرضى إذا ما أصبح السيف راضيا
فان قلتم إنا ظلمنا فلم نكن * ظلمنا ولكننا أسانا أكتفاضيا
[وقال آخر ^(٢)

ففرحُ أن تنلنى ظالما * والغالبُ المظلومُ لو تعلم]
وكانوا يتوقون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا : « بسم الله إلى أحوذ
بالرحمن منك إن كنت تقيا . أخسئوا فيها ولا تكلمون . أخذتُ سمك وبصرتك يسمع
• ١٥ الله وبصره . أخذت قوتك بقوة الله . بينى وبينك ستر النبوة الذى كانت الانبياء
تستتر به من سطوات القراعنة . جبريلُ عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومجد
أمامك والله مطلع عليك ويحييُك عنى ويمنعى منك » .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك فى الحماسة منسوباً للشاعر الجاحظ . والتعبير موضع بين
ذات حرق واليسان وقوله يميل بقرأى وقال كما فى ياقوت ثم ذكر أنه اسم لموضع الخمر . وقد ورد
• ٢٠ فى القنوغرافية هكذا « البسيط » محرفاً عن « النسيط » وفى اللسان والحجج أنه اسم رادويه جمره البسيط
وقد ورد فى شعر امرئ القيس

فأنى بصحراء البسيط . بانه * كبرج الإنسان ذى اللباب المحلل

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال بعض الشعراء

وفستعدى الأمير إذا ظلمنا * فن يُعْدِي إذا ظلم الأمير^(١)
[وقال آخر

إذا كان الأمير عليك خصما * فلا تُكْرِفْ قد غلب الأمير]

وكتب رجل الى صديق له : قد كنت أستعديك ظلماً على غيرك فتحكم لي وقد
استعديتُك عليك مظلوما فضايق عني عدلك ، وذكري قول القائل
كنت من كُربى أقر إليهم * فهم كُربى فأين الفرار^(١)
[ونحوه

والخصم لا يُرتجى النجاة له * يوما إذا كان خصمه القاصي]

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان يقال : ما أُعْطِيَ أحد قط النصف
فأباه إلا أخذ شرا منه . قال : وقال الأخنف : ما عُرِضَتْ النصف قط على أحد
فقبلها إلا دخلني له هيبَةٌ ولا رُحَا إلا اختبأُها في عقله .

وقال البعيث

وإني لأعطي النصف من لوظلمته * أقر وطابت نفسه لي بالظلم

وقال الطائي ١٥

يرى العلقم المأدوم بالزأريَّة * يمانية والأري بالضم علقا
إذا فرشوه النصف نامت شدائهُ * وإن رموا في ظلمه كان أظلمها

[وقال العباس بن عبد المطلب

أبي قوما أن يُنصفونا فأنصفت * قواطع في أيماننا تقطر الدما
تركاهم لا يستحلون بسلها * لذى رحيم يوما من الدهر محرما]

(١) زيادة في النسخة الألمانية . وقد تقدم البيت الثاني في صفحة ٧٠

بلغنا عن شجرة عن ثور بن يزيد قال : كتب عمرو بن عبد العزيز الى بعض عماله :
أما بعد فإنا دعيتك قدرتك على الناس الى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك وفناء ما تُؤتي
اليهم وبقاء ما يؤتون اليك ، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلمه ، فقال : أقصر يا هذا ، لا يرفع عليك
ظلمك .

قولهم في الحبس

[في الحديث المرفوع : (١) «شكا يوسف عليه السلام الى الله عز وجل طول الحبس
فأوحى الله اليه : مَنْ حَبَسَكَ يَا يُوسُفُ ، أَنْتَ حَبَسْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ قُلْتَ (رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ) وَلَوْ قُلْتَ : الْمَافِيَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ لَعُوفِتْ » .]

- ١٠ حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه
السلام دعا لأهل السجن دعوة لم تزل تُعرف لهم الى اليوم ، قال : اللهم اعطف
عليهم قلوب الأغيار ولا تُم طيهم الأغيار » . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر
في كل بلد .

وكتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبور الأحياء ونجوى الصديق
وشامة الأعداء » .

١٥

أنشدني الرياشي

ما يدخل السجن إنسان قسأله * ما بال يحبسك إلا قال مظلوم

وقال أصرابي

ولما دخلت السجن كبر أهله * وقالوا أويلي الغداة حزين

٢٠

وفي الباب مكتوب على صفحاته * بألك تترو ثم سوف تظن

ويقال : إن قولهم « ترو وتين » رؤى مكتوبا على باب حبس فضر به الناس
مثلا . . .

وقال بعض المسجونين

وبتُ بأحصنها متزلا * تقيلا على عتق السالكِ
ولستُ بضيف ولا في كرا * ولا مُستعير ولا مالكِ
ولستُ بنصيب ولا كالأهون * ولا يشبه الوقف عن هالكِ
ولى مُسمعات فأنهاها * يفتى ويسمع في الحالكِ
وأقصاهما فأنظر في السما * عمدا وأوسع من طاركِ
المُسمع الأول قيده والثاني صاحب الحرس ، ونحوه قول الآخر
ولى مُسمعات وزقارة * وظلٌ مديد وحصن أمق
الزقارة الغل ، وأصل الزقارة الساجور . . .

قال أبو عبيدة : اختصم خالد بن صفوان مع رجل إلى بلال بن أبي بردة ، قضى
للزبيدن على خالد ، فقام خالد وهو يقول

* بحابة صيف عن قليل تَقشع *

فقال بلال : أما إنها لا تَقشع حتى يصيبك منها شُرْبُوبٌ برد . وأمر به إلى
الحبس ، فقال خالد : علام تحبسنى ؟ فوالله ما جئت جنابة ولا خنت خيانة .
فقال بلال : يخبرك عن ذلك بابٌ مُصمت وأقيادٌ تقال وقيمٌ يقال له حَفْص .
قال الحجاج للنضيان بن القهقرى ورآه ممينا : ما أسمعك ؟ قال : القيد والرقة ،
ومن كان في ضيافة الأمير ممن .

كان خالد بن عبد الله حبس الكبيت الشاعر فزارته امرأته في السجن فليس
ثيابها ونرج ولم يعرف فقال

ولما أحلوني بصلحاء صليهم * بإحدى زبى اللبتين أبى الشبل
نرجتُ خروج القنح فنج ابن مقبل * على رغم آتاف النواج والمُشلى
على ثياب الغانيات وتحتها * عزيمة مرءٍ أشبهت سلة النصل

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال

وأنى لأرجو خالدا أن يفكنى * ويطلق عني مقفلات الحديد
فان يك قيدي رد هبى فرمى * تناولت أطراف المومم الأبعاد
وما من بلاء غير كل عشية * وكل صباح زائر غير عائد
يقول لى الحديد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثل آخر قاعد

وقال بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القسرى حين حبس

لعمري لقد أعمرتم السجن خالدا * وأوطأتموه وطأة المشاغل
فان تمسوا القسرى لا تمسوا اسمه * ولا تسجنوا معروفا في القبائل
(١)

وقال بعض المسجنين

أبجى وقيد واقترب وعسرة * وقد حبيب! إن ذا لعظيم
وان أمراً تبقى موثيق عهده * على كل هذا، إنه لصكريم
وقال آخر مثله

الى الله أشكو إته موضع الشكوى * وفي يده كشف المصيبة والبلى

نحرينا من الدنيا ونغن من أهلها * فلست من الأحياء فيها ولا الموق

(١) كما في التسخين للفرغافية والأثانية وفي هامش النسخة الأثانية عن نسخة أخرى «المنجوين»

ولم نجد الضيف لافى القاموس ولا فى اللسان .

إذا جاعنا السجّات يوما لحاجة * عجبتا وقتلنا جاء هذا من الدنيا
وتعجبنا الرؤيا بقلّ حديثنا * إنا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حُصِنَتْ لم تاتِ عجلي وأبطأت * وإن قُبِحَتْ لم تحبس وأنت عجلي
وقال يزيد بن المهلب وهو في الحبس : يا لهفَى على طليبة بمائة ألف وفرج في جبهة
أُميد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو يحبس فقال

أصبح في قيدك الساحة والسجود وحمل لمضلع الأثقال
قال له : أتمدحنى على هذه الحال؟ فقال : أصبتك رخيصا فاشتريتك^(١) .

وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب إليه من الحبس بآيات منها
تفديك نفسى من كل ما كرهت * تفكك إن كنت مننبا فاعف
يا ليت قلبي مصوّر لك ما * فيه لتسقين الذى أضمر
فوقع الرشيد في رقعة : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها
كان الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأمر * وقد وقعت «ليس عليك بأمر»
فأمر بإطلاقه

الحجاب

أبو حاتم عن العتي عن أبيه أن عبد العزيز زُارة الكلابي وقف على باب
معاوية فقال : من يستأذن لي اليوم فأدخله غدا؟ وهو في ثَمَلتين، فلبا دخل على
معاوية قال : هنزت نوايب الرجال اليك إذ لم أجد معولا إلا عليك . أمتطى الليل
بعد النهار وأسم الحماهل بالآثار . يقودنى نحوك رجاء وتسوقى إليك بلوى ، والنفس
مستبطئة والاجتهاد عاذر . فأكرمه وقربه . فقال في ذلك

(١) في الأصل : «أسلقتك» والصواب عن المقدريد . (٢) في القنطرة : الرجام .

دخلت على معاوية بن حرب * وذلك إذ بُسِت من الدخول
وما نلت الدخول عليه حتى * حلت محلة الرجل النليل
وأغضيت الجفون على قنأها * ولم أسمع الى قال وقيل
فأدركت النى أملت فيه * بمكث والخطازد المَجُول

- وقال غير العتي: لما دخل عبدالعزيز زُرة على معاوية قال له : «إني رحلتُ
إليك بالأمل واحتملتُ جفونك بالصبر، ورأيت بياك أقواما قدمهم الخطأ، وآخرين
يأصمهم الحرمان . وليس ينبغي للتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن يياس . وأول المعرفة
الاختبار فأقبل وأختبر» وفي حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر
من يأذن اليوم لعبد العزيز * يأذن له عبدُ عزيز غدا

- قال أبو اليقطان : كان عبد العزيز زُرة ففى العرب .
استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه . فقيل له : حجبك أمير المؤمنين ؟ فقال
لا عدمتُ من قومى من إذا شاء حجبنى . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبو الدرداء :
من يَفْش سَدَّ السلطان يتم ويقعد ومن صادف بابا عنه مفلقا وجد الى جانبه بابا
فمعا ، إن دنا أجيب وإذا سال أعلی .

- قال رجل للحاجبه : إنك حين أنظريها وجئة أستنم إليها ، وقد ولتِك بابى ،
فاترك صابعا رصعنى ؟ قال : أنظر إليهم بعينك وأجلهم على قدر منازلهم عندك
وأضهم فى إطلائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرئهم حيث
وضعمهم ترتيبك وأحسن إبلأغك عنهم وإبلأغهم منك . قال : قد وقفت ما لك وما عليك
إن صدقته بفعل . وكان يقال : لحجب الرجل حارس عِرْضه .

وقرأت في التاج أن أبريز قال لحاجبه : « لا تهتمن مستغيثا ولا تضرعن ناشرف بصعوبة حجاب ولا ترفعن ذا ضعة بسهولة . وصح الرجال مواضع أخطارهم ، فمن كان مقدما له الشرف عن أزدركه ولم يهيمه من بعد بنائه فقدمه على شرفه الأول وحسن رأيه الآخر ، ومن كان له شرف مقدم فلم يضمن ذلك إبلا با به ولم يزدركه تحميرا له فالحق بآبائه مهلة سبقهم في خواصهم ، وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه . لا تأذن له إلا دبرا ولا تأذن له إلا سرا . وإذا ورد عليك كتاب عامل من عمالي فلا تحبس عني طرفة عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول الى فيها ، وإن أهلك مدع لنصيحة فاستكتبها سرا ثم أدخله بعد أن تستأذن له . حتى إذا كان مني بحيث أراه فادفع الى كتابه ، فإن أهدت قبلت وإن كرهت رفضت ، ولا ترفعن الى طلبة طالب إن منعته بجلتي وإن أعطيته أزدراني ، إلا بمؤامرة مني من غير أن تعلم أنك قد أصلمتني وإن أهلك طام يستأذن علي لم يزعم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك ؟ ثم استأذن له فإن العلم كاسمه ، ولا تحجبن بخطه ولا تأذن رضا ، اخصص بذلك الملك ولا تخص به نفسك » .

المهشم قال : قال خالد بن عبد الله لحاجبه : « لا تحجب عني أحدا إذا أخذت مجلسي ، فإن الوالي لا يحجب إلا عن ثلاث : عني يكره أن يطالع عليه منه ، أو رية ، أو يخل فيكره أن يخل عليه من يسأله » . ومنه أخذ ذلك محمود الوراق فقال

إذا أعتم الوالي باغلاق بابي * ورد ذوى الحاجات دون حجابي
ظننت به إحدى ثلاث ورجما * نزع بظرف واقع بصوابي
قلت به مس من البى ظاهر * فبقى إذنه للناس إظهار ما به
فان لم يكن عني اللسان ففالب * من البطل يحى ما له عن طلابه
فان لم يكن هنا ولا ذا غريبة * بصر عليها عند إغلاق بابي

وقال بعض الشعراء

إعلمن إن كنت تعلمه * أن عرض الملك حاجبه
فيه تبدو محاسنه * وبه تبدو مآيبه

وقال آخر

كم من قبي محمد أخلاقه * وتسكن الأحرار في ذقته
قد كثر الحالج أعداءه * وسلط النعم على نعمته

- ١٠ حضر باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه جماعة منهم سهيل بن عمرو وعيينة
ابن حصين والأفروع بن حابس نفرج الأذن قال : أين صبيب ؟ أين عمار ؟ أين
سلمان ؟ فتمعرت وجوه القوم . فقال واحد منهم : لم تمعرت وجوهكم ؟ دُعوا ودعينا
فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموه على باب عمر لآعد الله لهم في الجنة أكثر .

وقال بعض الشعراء

سأترك هذا الباب ما دام إذنه * على ما أرى حتى يخف قليلا
إذا لم نجد للآذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك الجوى سبيلا

وقال آخر الحالج

- ١٥ سأترك بابا أنت تملك إذنه * وإن كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رجلى مسرعا نحو مالك

وكتب أبو المتاهية الى أحمد بن يوسف :
لئن عدت بعد اليوم إلى لظالم * سأصرف وجهي حيث ينبغي المكارم
مضى ينبجئ النادى اليك بمحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم ؟

- ٢٠ وقال آخر

ولست أبتخذ صاحبا * أقيم على بابه حاجبا

إذا جئتُ قال له حاجةٌ * وإن عدتُ أقبته غائباً

ويُكزَم إخوانه حقّه * ولنفس يرى حقهم واجباً

فلستُ بلا قِصْحَى الماتِ * إذ أنا لم ألقه راكباً

وقال عبد الله بن سعيد في حاجب الججاج وكان يحجبه دائماً
ألا ربَّ نصبح يُغلق البابُ دونَه * وغشَّ إلى جنب السرير يُقرب

وقال آخر

ما ضاقت الأرضُ على راغبٍ * يَطْلُبُ الرزقَ ولا هاربٍ

بل ضاقت الأرضُ على طالبٍ * أصبح يشكو جفوة الحاجب

وحُجِبَ رجل عن باب سلطان فكتب إليه: «نحن نعوذ بالله من المطامع الدنية

والهَم القصيرة وابتذال الحُرّة، فإنّ نفسى والحمد لله آتية ماسقطت وراء همة

ولا دخلنا صبر عند نازلة ولا استرقها طمع ولا طمعت على طمع وقد رأيتك وليت

عِرضك من لا يصبونه ووصلت ببابك من يَسِينه وجعلت ترجمان عقلك من يُكثِر من

اعدائك وينقص من أوليائك [ويسىء العبارة عنك ويوجه وفد الذم اليك] ويَضِنّ

قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدراً ولا لصديق منزلة، ويزيل

المراتب عن جهل بها ويدرجاتها فيحطّ العلى إلى مرتبة الوضع ويرفع الأدنى إلى مرتبة

الرفع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبو عنه عن ذى البذانة ويميل إلى ذى اللباس

والزينة ويقدم على الهوى ويقبل الرشاً»

وقال بشار، وقيل هو لنبيه

تأبى خلاق خالد وفعاله * إلا تجنبَ كلّ أمر عائب

فاذا أتيت الباب وقت غداؤه * أذن الغداء برغم أنف الحاجب

(١) زيادة في النسبة الألمانية .

وهذا ضد قول الآخر.

إذا تفتى فزوَّابه * وأرتد من غير يد بابه
ومات من شهوة ما يُحتسى * عياله طرأ وأصحابه

وقال آخر

- يا أميرا على جريب من الأر * ض له تسعة من الحُجاب
قاعدا في انطراب يُحبب عنه * ما سمعنا بحاجب في خراب!

وقال آخر

على أى باب أطلب الاذن بمد ما * نُجبت عن الباب الذى أنا حاجبه

وقال الطائي

- ١٠ يا أيها الملك النائي برؤيته * وجوده مُسراعى جوده كُتب
ليس المحجاب بمُقصر عنك لأملا * إن النماء ترجى حين تحتجب

وقال أيضا

وعجبت حاولته فوجدته * نجا عن الركب العفاة شسوعا
أعدمته لما عدت نواله * شكرى فرحنا معتمدين جميعا

- ١٥ وقال آخر

قد أطلنا بالباب أمس القعودا * وجُفينا به جفاء شديدا
ودعنا العبيد حتى إذا نحن * بلونا المولى عذرا العيسدا

ومُجب رجل فكتب

- أبا جعفر إن الولاية إن تكن * منبلة قوما فانت لها نيل
٢٠ فلا ترضع عنا لثى وليته * كالم يصغر عننا شائك العزل

- وكتب رجل من الكتاب في هذا المعنى إلى صديق له : « إن كان ذهولك عنا لدنيا
أَخْضَلَتْ عليك سماؤها وَأَرْبَتَتْ بِكَ دِيَمُهَا ^(١) إن أكثر ما يجري في الظن بك بل في اليقين
منك أنك أملك ما تكون لِمَنَّاك أن يَجْحَ بك ولنفسك أن تستعلّي عليك إذا لانت لك
أَكْفَاهُ] وَأَهَادَ فِي كَفِّكَ زَمَامُهَا لَانِكَ لم تَتَلْ مَانَلَتْ خَلْسًا وَلَا خَطْفًا ، ولا عن مقدار
جَرَفَ اليك غير حَقِّكَ وأمال نحوكَ سوى نصيبك . فان ذهبت إلى أن حَقِّكَ
قد يحتمل في قُوَّتِهِ وسعته أن تضم إليه الجَفْوَةَ والنَّبْوَةَ فيتضائل في جنبه ويصغر عن
كبره فغير مدفوع عن ذلك . وأيم الله لولا ما بليت به النفس من الظن بك وأنت مكانك
منها لا يستدعي غيرك نسخت عنك وذهلت عن إقبالك وإدبارك ولكان في جفائك ما يرّد
من غيرتها ويردّ من غلّتها ، ولكنه لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيك » .
- ١٠ أبو حاتم عن العتيّ قال : قال معاوية لحُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ وكان يدخل عليه
في أنحراب الناس : يا أبا ساسان كأنه لا يُحَسِّنُ لِدُنْكَ . فأنشأ يقول
- كل خفيف الشأن يسعى مشعرا * إذا فتح البواب بابك لمصعبا
ونحن الجلوس الماكثون رزائنا * وحلما إلى أن يفتح الباب أجمعا
- وقال بعض الشعراء في بشر بن مروان
- بعيدُ مردِّ العين ماردُ طرفه * حذارَ الفواشي بابُ دار ولا سترُ
ولو شاء بشر كان من دونِ بابه * طَاطُمُ سَوْدُ أو صِقَالَةُ حَمْرُ
ولكن بشرًا يَسِرُّ البابَ للتي * يكون له في غيِّها الحمدُ والأجرُ
- وقال بشر
- فلا تجلّا بخل ابن قرعة إنه * عفاة أن يرحى قَدَاهُ حزينُ
- ٢٠ (١) كذا بالأصل الذي بين أيدينا ولعل القاء سقطت من ظم الناصح .
(٢) كل ما بين هذين القوسين المرئيين غير موجود بالنسخة المتروكة في رقد قتلها من النسخة الألمانية .

إذا جتته في العُرف أغلق بابه * فلم تَقه إلا وأنت كمين
 قتل لأبي يحيى متى تترك العلا * وفي كل معروف عليك بين
 وقال ابن هرمة يمدح

هش إذا نزل الوفود ببابه * مهل الجباب مؤدب الخدام
 وإذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدر أيهما أخو الأرحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخيل
 فكتب إليه الآخر

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يُسدر تملل بالحجاب

وقال عبيد الله بن عكراش

وإني لأرثي للكريم إذا غدا * على طمع عند التيم يطالبه
 وأرثي له من مجلس عند بابه * كثرتي للطرف والمُلع راكبه

وكتب عبد الله بن أبي عينة إلى صديق له

أبيتك زائراً لقضاء حق * خال السُر دونك والحجاب

ولست بساقط في قدر قوم * وإن كرهوا كما يقع اللُباب

أبو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزيري قال: كتابا الفضل بن الربيع وهم يأذنون
 لدوى الميئات والشارات وأعرابي يدينو فكلما دنا طرَح . ققام ناحية وأنشأ يقول

رأيت آذنتا يَعتام بِرَيتَا * وليس للسب الزاكي بِمُعتام

ولو دُعيتا على الأصحاب قَدِمْنِي * مجدٌ تليد وجَد راجح نامي

متي رأيت الصقور الجُلْدَل قَدِمُهَا * خُطْطَان من رَحِم قُرْع ومن هَام

دخل شريك الحارثي على معاوية فقال له معاوية: من أنت؟ فقال له: يا أمير المؤمنين ما رأيت لك هفوة قبل هذه. مثلك ينكر مثل من رعبته! فقال له معاوية: إن معرفتك متفرقة، أعرف وجهك إذا حضرت في الوجوه، وأعرف اسمك في الأسماء إذا ذكرت، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه، فاذكري اسمك تجتمع معرفتك.

استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر، ثم أذن للآخر فدخل عليه بفلس فوق صاحبه. فقال معاوية: إن الله قد ألزمتنا تدينكم كما ألزمتنا رعايتكم، وإنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك. قم لا أقام الله لك وزنا.

دخل أبو مجاز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان، فلم يقبل عليه.

فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس: هذا أبو مجاز، فردّه واعتذر إليه وقال: إني لم أعرفك.

قال: يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتني.

قال أشجع السلمي يذكر باب المنصور بن زياد

على باب ابن منصور * علامات من البذل
جماعات وحسب الباء * بفضلا كثرة الأهل

وكانت العرب تتعوذ بالله من قرع الفناء ومن قرع المراح. وقال بعض الشعراء:

مالي أرى أبوابهم مهجورة * وكأنت بابلك مجمع الأسواق
أرجوك أم خافوك أم شاموا الحياء * بحراك^(١) فاصحبوا من الأفاق

وقال آخر

يزدحم الناس على بابه * والمشرع العذب كثير الزحام

(١) هكذا في النسخة الألمانية. وفي القنطرة رافعة منصور. والمواب محمد بن منصور كما في الكامل للبرد وغيره الخالقي قوله «ابن منصور» في البيتين. (٢) الحرا والحراة الناحية.

وقال آخر * إن الندى حيث ترى الضَّحَاطَا *

بني الزحام

وقال بشار

ليس يعطيك الرجاء ولا الخو * ف ولعن يَلْدُ طعمَ العطاء

يسقط الطيرُ حيث يَشْتَرِ الحُبُّ ^(١) وَتُفْشِي منازل الكرماء

دَقَّ رجل على عمر بن عبد العزيز الباب فقال عمر: من هذا؟ قال أنا. قال عمر: ما تعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا.

خرج شَيْب بن شَيْبَة من دار الخلافة يوما فقال له قائل: كيف رأيت الناس؟ فقال: رأيت الناخل راجيا ورأيت الخارج راضيا.

قال أبو العتاهية

إننا أَشْنَدُ دُونِ حِجَابٍ أَمْرِي * كَكَيْتِ المُوْنَةُ حُجَابَهُ

حُجِبَ أَعْرَابِي عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ فَقَالَ

أَهَيْنَ لَهُمْ نَفْسِي لِأَكْرَمِهَا بِهِمْ * وَلَا يُكْرِمُ النَّفْسَ الَّذِي لَا يُهَيِّنُهَا

وقال جرير

قوم إذا حضر الملوك وفودهم * تُنْفَتِ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

وقال آخر

فلما وردت البابَ أَيْقَنْتُ أَنَا * عَلَى أَقْهَ وَالسُّلْطَانُ غَيْرُ كَرَامِ

وقال أبو القمقام الأسدي ^(٢)

أَبْلَغُ أَبَا مَالِكٍ عَنِ مُنْقَلَبَةِ * فِي الْمَنَابِ حَيَاتِهِ أَقْوَامِ ^(٣)

(١) في النسخة القنوغرافية عمرو بن عبيد:

(٢) كذا بالنسخين الألمانية والقنوغرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر في البيان والبيان ونسبه لهمام الرقاشي ونسبه المرتضى في التاج لصاحبه بن عبيد الزياتي.

(٣) كذا بالأصل ويرواه لسان العرب وفي البيان الجاحظ والتاج المرتضى: أبا مسمع

أَدْخَلَتْ قَبْلَ قَوْمَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ * مِنْ قَبْلُ أَنْ يُلْجُوا الْإِبْوَابَ قَدْ نَاضَى
لَوْ عُدَّ بَيْتٌ وَبَيْتٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ * يَبَا وَأَبْصَحَ مِنْ مَثَلِ الْقَامِ
قَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي تَزَلْتُ * يَبَابُ دَارِكَ أَدْلُوها بِأَقْصَامِ

التلطف في مخاطبة السلطان

والقاء النصيحة إليه

العتبي قال قال عمرو بن عُتْبَةَ للوليد حين تَنَكَّرَ له الناس : يا أمير المؤمنين إنك تُسْطَقْنِي
بالأنس بك وأنا أَكْفَيْتُ ذلك بالهبة لك . وأراك تأمن أشياء أخافها عليك ، أفأست
مطيما ؟ أم أقول مشفقا ؟ فقال : كُلُّ مقبول منك ، والله فينا علم غيب نحن جأرون
إليه . ونعود فنقول : قَتِيلَ بعد أيام .

وفي إلقاء النصيحة إليه : قرأت في كتاب للهند أن رجلا دخل على بعض
ملوكهم فقال له : أيها الملك نصيحتك واجبة في الحفير الصغير بله الجليل الخليل
ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسوء موقعه من الأشماع والقلوب في جنب
صلاح العاقبة وتلافى الحادث قبل تفاقمه لكان خرقا مني أن أقول ، وإن كنا إذا رجعنا
إلى أن بقانا [موصول ^(١)] ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجد بُدًا من أداء الحق
إليك وإن أنت لم تستلني [أو خفتُ ألا تقبل مني] ^(١) ، فانه يقال : من كتم السلطان
نصحه والأطباء مرضه والإخوان بئنه فقد خان نفسه .

الخفوت في طاعته

قال بعض الخلفاء لحرير بن يزيد : إني قد أعددتك لأمر . قال : يا أمير المؤمنين ،
إن الله قد أعد لك متى قلبا معقودا بنصيحتك ويدها مهسولة بطاعتك وسيفًا مشحونا
على عدوك فأذا شئت قتل .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وفى مثله : قال إسحاق بن إبراهيم قال لى جعفر بن يحيى أعُدْ على عَدَا لَكُنَا .
فقلت : أنا والصبح كغرمي رهان . وفى مثله : أمر بعض الأمراء رجلا بأمر فقال
له : أنا أطوع لك من اليد وأذل لك من اللعل . وقال آخر : أنا أطوع لك من الرداء
وأذل لك من الحذاء .

التلطّف فى مدحه

قال خالد بن عبد الله القسرى لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته،
فانك قد زنتها ، ومن كانت شرقته فانك قد شرقتها ، فانت كما قال القائل
وإذا اللتر زان حسن وجوه * كان للتر حسن وجهك زيتا
فقال عمر : أعطى صاحبكم مقولا ولم يعط مقولا .

- ١٠ وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء : «إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه
فنظر بينك وسمع بأذنتك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى يسلك وأورد وأصدر عن
رايك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطه الرأى على الهوى فيك بعد أن
مئل بينك وبين الذين سموا لربك وجرؤا إلى غايتك فأسقطهم مضمارك وخفروا
فى ميزانك ولم يزدك رفعة إلا أزدت لله تواضعا ، ولا بسطا وإنماسا إلا أزدت له
هبة وإجلالا ، ولا تسليطا وتمكينا إلا أزدت عن الدنيا عز وفا ، ولا تقربيا إلا أزدت
من العامة قربا ، ولا يخرجك فرط النصيح للسلطان عن النظر لرعيته ، ولا إثارة حقّه
عن الأخذ لها بحقها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمن ما عليه ، ولا تشغلك
جلال الأمور عن التفقّد لصغارها ، ولا الجدل بصلاحها واستقامتها عن استعمار
الحذر وإيمان النظر فى عواقبها » .

- ٢٠ وفى مدحه : دخل العماني الرايزعل الرشيد لينشده وطيه قلنسوة طويلة وخفف
سادج ، فقال له الرشيد : يا عماني ، إياك أن تشدنى إلا عليك عمامة عظيمة الكور

وخفان دلقان^(١) فبكر إليه من الغد وقد تزيّا بزيّ الأعراب ثم أنشدته وقبل يده وقال:
يا أمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جازئته
ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السفاح ثم المنصور ثم المهدي . كل هؤلاء
رأيت وجوههم وقبلت أيديهم وأخذت جوازئهم ، إلى كثير من أشباه الخلفاء و كبار
الأمراء والسادة والرؤساء ، والله ما رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجها ولا أنعم
كفا ولا أئدنى راحة منك يا أمير المؤمنين . فأعظم له الحائرة على شره وأضعف له
على كلامه وأقبل عليه فيسطه حتى تمنى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام .

وفي المديح : كتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن بن سهل فقال : « إن الله
قد جعل جنتك عاليا وجعلك في كل خير مقدما وإلى غاية كل فضل سابقا وصبرك ، وإن
ثأت بك النار ، من أمير المؤمنين وكرامته قريبا ، وقد جدد لك من البر كيت وكيت .
وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثر وأشرفه إن شاء الله » .
وفي مدحه : قال الرشيد يوما لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئا ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين المديح فيك دون قدرك والشعر فيك فوق قدرى ، ولكنى أستحسن
قول العتّابي

ما ذا يرى قائل يثنى عليك وقد * ناداك في الوحي تمديد وتطهير
فت المديح إلا أنف السنن * مستطقات بما تمنى الضامير
[في عزة لم تم إلا بطاعتهم * من الكذب ولم تفضّ المشاعر
هذى يمينك في قرباك صائلة * وصارم من سيوف الهند مأثور]^(٢)

(١) كذا بالأصل غير مضبوط والمقيم كما في القاموس دوية كالسور . وفي البغد القريد « دلقان » .
وفي البيان واليمين « دلقان » والله مائق الحجر الأملس .

(٢) زيادة في النسبة للأبيات .
(٣) في الأصل « عزة » باللهاء الموحدة والتصحيح عن الأغاني .
(٤) في الأصل « جندوك مائة » والتصحيح عن الأغاني .

وفي المدح : كتب بغض الكلاب إلى بغض الأمراء : « إن من النعمة على النبي عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحقه قبيصة الكذب ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها . ومن سعادة جَدِّكَ أن الداعي لك لا يمدِّم كثرة المشايين ومساعدة التَّيَّة على ظاهِر القول » :

- وفي مثله كتب بعض الأدباء إلى الوزير : « مما يُعين على شكرك كثرة المنصتين له ،
ومما يسهل لسان مادحك أمنه من تحمل الإثم فيه وتكذيب السامعين له » .

- وفي مثل ذلك : لما عَقَد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمر بن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فإن يزيد ابن معاوية أَمَلُ تاملونه وأجل تأمنونه ، إن استضعفتم إلى حلمه وسعكم ، وإن أحتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن أفتقرتم إلى ذات يده أغناكم ، جَدَّعُ فارحٌ سَوْفَ فسبق ومُوجِدٌ مُجَدٌّ وقُورِعٌ فخرج فهو خَلَفٌ أمير المؤمنين ولا خلف منه » فقال معاوية :
أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

- وفي مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : « أيها الأمير ، أسكتني عن وصفك نساوي أفعالك في السوء وحيرني فيها كثرة عددها فليس إلى ذكر جميعها سبيل ، وإن أردتُ ذكر واحدة اعترضت أختها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها ، فليست أصفها إلا بأظهار العجز عن صفتها » .

- وفي مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك « إن مما يُطمئني في بقاء النعمة عليك ، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك من أساليبها ، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقوِّم ، والثَّيِّبُ يتغلغل في معدنه ويحرق إلى عنصره ، فلذا صادف منيته ولز في مغرره ضرب يعرفه وسمَّى بفرعه وتمكَّن وتمكَّن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

وفي مثل ذلك : كتب آخر الى بعض الوزراء : « رأيتني فيما أعطاني من مدحك كالخبر
عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على ناظر ، وأيقنت أني حيث
انتهى بي القول منسوبٌ الى العجز مقصّرٌ عن الغاية فانصرفتُ عن الثناء عليك الى
الدعاء لك ، ووكلت الإخبار عنك الى علم الناس بك » .

وفي مثله كتب العتّابي الى خالد بن يزيد : « أنت أيها الأمير وارث سلفك وبقية
أعلام أهل بيتك ، المسدود بك ثلثهم والمجدد بك قديم شرفهم والمنتبه بك أيام صيتهم
والمتمسك بك [أمالنا والصائب بك أكالنا والمأخوذ بك] ^(١) حظوظنا ، فانه لم يخل من
كنت واريته ، ولا درمت آثار من كنت سالك سبيله ولا آحمت معاهد من خلفته
في مرتبته » .

وفي شكره : قرأت في التاج قال بعض الكتاب للوك : « الحمد لله الذي أعلفني سببا
من أسباب الملك ورفع خسيتي بخاطبته وعزز ركني من اللثة به وأظهر بسطي
في العائمة وزين مقاومتي في المشاهدة وفقا غني عيون الحسنة وذلل لي رقاب الجبارة
وأعظم لي رغبات الرعية وجعل لي به عقبا يوطأ وخطرا يُعظم ومزية تحسن ، والذي
حقق في رجاء من كان يأملني وظاهر به قوة من كان ينصرفني وبسط به رغبة من
كان يسترفني ، والذي أدخلني من ظلال الملك في جناح سترني ، وجعلني من أكفاه
في كنف أوسع عل » .

وفي شكره وتعداد نعمه : قرأت في سير العجم أن أردشير لما استوسق له أمره
جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الأمانة والطاعة وحذرهم المعصية
وصنف الناس أربعة أصناف ، نخر القوم نخبدا وتكلم متكلمهم مجييا فقال : « لا زلت

- أيها الملك محبوا من الله بعزة النصر ودرك الأمل ودوام العافية وحسن المزاج، ولازلت نتابع لديك النعم وتُسبِّح عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ولا تقطع زهرتها في دار القرار التي أعطاها الله لنظرائك من أهل الرُّبى عنده والحظوة لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقين بقاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور والأنهار حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علوك عليها وتعاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الشمس ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأفئسنا اتصال النسيم ، فجمعت الأيدي بعد اقترافها والكلمة بعد اختلافها وألقت بين القلوب بعد تباعضها وأذهبت الإحن والحسائلك بعد استعمار يرانها ، وأصبح فضلك لا يدرك بوصف ولا يحصى بتعداد ، ثم لم ترص بما عممتنا به من هذه النعم وظاهرت من هذه الأيادي حتى أحبت تطيلها والاستيقاق منها وعملت لنا في دوامها كعملك في إقامتها وكفقت من ذلك ما نرجو نفعه في الخلوفا والأعقاب ، وبلغت همتك لنا فيه حيث لا تبلغ هم الآباء للأولاد ، بفرك الله الذي رضاه تحزيت وفي موافقته سمعيت أفضل ما التمسست ونويت .

- وفي مثله : قال خالد بن صفوان لوال دخل عليه : « قدمت فأعطيت كلاً بقسطه .
نظرك ومجلسك وصلاتك وعملك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد . »
وفي شكره : كتب بعض الكتاب الى الوزير يشكره : « من شكرك عن درجة رفعتك إليها أو ثروة أفدته لياها فان شكرى لياك على مهجة أحييتها وحشاشة تبقيتها ورمقي أمسكت به وقت بين التلف وبينه . »

- وفي شكره : قرأت في كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي إليه ومدى توقف عنده وغاية في الشكر يسمو إليها الطرف خلا هذه النعمة التي فانت الوصف وطالت الشكر ونجاوزت كل قدر وأنت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين

مِنَّا جَمَّةٌ أَبَقَتْ لِلضَّالِّينَ مِنَّا وَلِلْبَاقِينَ نَحْرَ الْأَبْدِ وَرَدَّتْ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمَتْ عَنَّا
أَنْفَ الْحَسُودِ وَبَسَطَتْ لَنَا عِزًّا تَتَدَاوَلُهُ ثُمَّ نَحْلَقُهُ لِلْأَعْقَابِ فَتَحْنُ نَحْلَجًا مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَتَفِ كَرِيمٍ وَقَلْبِ عَطُوفٍ وَنَظَرِ رَعُوفٍ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ
الشَّاكِرُ مِنَّا وَأَيُّنَ يَبْلُغُ اجْتِهَادَ مَجْتَهِدِنَا وَمَتَى تَوَدَّى مَا يُلْزِمُنَا وَقَضَى الْمُفْتَرَضَ عَلَيْنَا وَهَذَا
كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ وَلَا بَائِتُهُ الرَّاشِدِينَ عِنْدَ مَنْ مَضَى مِنَّا وَمَنْ غَبَرْنَا
إِلَّا مَا وَرَدَ مِنْ صُنُوفِ كَرَامَتِهِ وَأَيَادِيهِ وَلَطِيفِ أَلْفَاظِهِ وَمَخَاطِبَتِهِ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ
مَا يَحْسُنُ الشُّكْرَ وَيُسْتَفْرِغُ الْمَجْهُودَ» .

التلطف في مسألة العفو

قال كسرى لبوشت المنفى وقد قتل فهلوذ حين فاقه وكان تلميذه : « كنتُ
أُستريحُ منه إليك ومنك إليه فأذهب شطركمتمنى حسدك ونفّلْ صديرك » ثم أمر
أن يلقى تحت أرجل القيلة فقال : أيها الملك إذا قتلْتُ أنا شطرك طربك وأبطلته
وقتلْتَ أنت شطره الآخر وأبطلته، أليس تكون جنائيتك على طربك بجنائيتي عليه ؟
قال كسرى : دعوه، ما دلّه على هذا الكلام إلا ما جعل له من طول الملة .

وفي العفو أيضا . قال رجل للنصور : « الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذُ
أُمير المؤمنين بآفه من أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين » .
وفي العفو : جلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن، فقام إليه رجل منهم فقال :
أيها الأمير إن لي عليك حقا . قال : وما حقت عليّ ؟ قال : سبّك عبد الرحمن يوما
فرددتُ عنك . قال : ومن يعلم ذاك ؟ فقال الرجل : أنشد الله رجلا سمع ذاك
إلا شهد به . فقام رجل من الأمري فقال : قد كان ذاك أيها الأمير . فقال : خلّوا

عنه . ثم قال للشاهد : فما منك أن تنكر كما أنكروا ؟ قال : لتقديم بنفسى إليك . قال : ويحلى هذا لصدقه .

- وفى العفو: أسر معاوية يوم صفين رجلا من أصحاب علي صلوات الله عليه ، فلما أقام بين يديه قال : الحمد لله الذى أمكن منك . قال : لا تقل ذاك فانها مصيبة . قال : وآية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفر من رجل قتل فى ساعة واحدة جماعة من أصحابي . اضربا عنقه . فقال : ألهم أشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأتاك ترضى قتلى ، ولكن قتلتني فى الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو أهله ، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله . فقال : قاتلك الله ! لقد سببت فأوجعت فى السب ودعوت فأبغضت فى الدماء . خطبا سبيله .

- وفى مثله . أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فامر بقطع يده فقال .
١٠ يدى يا أمير المؤمنين أعيئها * بعفوك أن تلقى مكاثا يشينها
فلا خير فى الدنيا وكانت حبيبة * إذا ما شمالي فارقها يمينها
فأبى إلا قطعها ، فدخلت عليه أمته فقالت : يا أمير المؤمنين ، وأحدى وكسبي .
فقال : بئس الكاسب ! هذا حد من حدود الله . فقالت : أجمله من الذنوب
التي تستغفر الله منها . فعفا عنه .
١٥

- وفى مثله : أخذ عبد الله بن علي أسيرا من أصحاب مروان فامر بضرب عنقه فلما رمع السيف ليضرب به شرط الشأى فوق العמוד بين يدي الفلام وتقرت دابة عبد الله فضبط وقال : اذهب فأنت عتيق أستك . فالتفت إليه وقال : أصلح الله الأمير ! رأيت ضربة قط أنجت من الموت غير هذه ؟ قال : لا ، [قال] هذا والله الإديار . قال : وكيف ذاك ؟ قال : ما نلكن بنا وكنا ندفع الموت بأستنا فصرتا ندفعه اليوم بأستنا .
٢٠

وفي مثله : خرج النعمان بن المنذر في غيب سماء فترجل من بني يسكر جالسا على غدirmاء ، فقال له : أعرف النعمان ؟ قال اليسرى : أليس ابن سلمى ؟ قال : نعم . قال : والله لربما أمرتُ يدى على فرجها . قال له : ويحك ، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتك . فما انقضى كلامه حتى لحقته الخليل وحيوه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيت اللعن ، إنك والله ما رأيت شيئا أكذب ولا أأم ولا أوسع ولا أعص ينظر أمه من شيخ بين يديك . فقال النعمان : دعوه ، فأنشأ يقول :

تفمو الملوك عن العظيمة من الذنوب لقضيلها

ولقد تُساقب في اليسير وليس ذاك لجليلها

إلا ليُعرف فضلها * ويُخاف شدة نكيلها

١٠

وفي مثله : لما أخذ المأمون إبراهيم بن المهدي استشار أبا إسحاق والعباس في قتله فأشارا به ، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أنت يكونا قد نصصا لك في عظم الخلفاء وما جرت به عادة السياسة فقد فعلا ، ولكك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله . وكان في اعتذاره إليه أن قال : إنه وإن بلغ جرعى استعلال دعى فحلم أمير المؤمنين وفضله يُلغاني عفوهُ ولى بعدها شفعة الإقرار بالذنب وحق الأوبة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن في حق سببك حق الصفع عن جرْمك لبلغك ما أملت حسنُ تصلُّك ولطف توصُّلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عفا عني المأمون صلة لرحمى ولا حجة لاستحيائى ولا قضاء لحق عمومى ، ولكن قامت له سوق في العفو فكره أن يُفسدها بى . ومن أحسن ما قيل في مثله قول العتابي

٢٠

رحل الرجاء إليك مُغتربا * حُشدت عليه نواب الدهر

(*) هكذا بالقصيدة وفي المتن الفردي "تسبك".

ردت إليك ندامتي أملى • وثني إليك عنايته شكري
وجعلت عتبك عتب موعظة • ورجاء عفوك منتهى عندي

وقول على بن الجهم للتوكل

عفا الله عنك ألا حرمة • تموذ بعفوك أن أبعدا^(١)

لئن جل ذنب ولم أحمده • لأنت أجل وأعلى يدا

ألم تر عبدا عدا طوره • ومولى عفا ورشيدا هدى

ومفسد أمر تلافيته • فساد فاصلم ما أفسدا

أقنني أقالك من لم يزل • يقيك ويصرف عنك الردى^(٢)

وفي مثله • ويجد بعض الامراء على رجل بقاءه وأطرحه حينما ثم دعا به ليسئله

عن شيء فراه ناحلا شاحبا • فقال له : متى اعتللت ؟ فقال

ما مسني سُقْمٌ ولكنني • جفوت نفسي إذ جفاني الأمير^(٣)

فعاد له •

وقال آخر

ألا إن خير المفسو عفو مجل • وشر العقاب ما يُجاز به القدر

وكان يقال : بحسب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب •

وفي العفو : قال بعضهم : إن عاقبت جازيت وإن عفوت أحسنت والعفو

أقرب للتقوى •

(١) في الأصلين القنوغرافي والألماني «تجود» والتصويب عن الأغانى •

(٢) في نسخة : العدا •

(٣) كذا بالقنوغرافية والألمانية على أنه شعر والكلام في ذاته مستقيم الوزن ، وأورده صاحب الفند

ثما وبيده «وأكبت أن لا أراضى عنها حتى يرضى عنها أمير المؤمنين» •

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظراً من برئ أحب اليه من مُقعى وبراءتي أحب اليه من جرئى .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة .
 وفى مثله : أتى الأحنفُ ابن قيس مُصعبَ بن الزبير فكلّمه فى قوم حبسهم ، فقال ، أصالح الله الأمير : إن كانوا حُسبوا فى باطل فاطلق يجرّجهم ، وإن كانوا حُسبوا فى حق فاعفو يسعهم ، فغلام .

وفى مثله : أمر معاوية بعقوبة رَوْحَ بن زُبَيْع فقال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيصة أنت رفعتها أو تنقض منى مرة أنت أبرمتها أو تُسَمِتَ بى علوا أنت وقتته ^(١) وإلا أتى حُلُك وعفوك على جهل وإساءة . فقال معاوية : خُيّا عنه . ثم أنشد

* إذا الله سنّى فقد أمر يمسرا *

وفى مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نذراً إن أمكنه الله منه ليقعلن به وليقعن . فقال له رجاء بن حيوة : قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو .

وفى مثله : قال ابن القُرّة للججاج فى كلام له : أَقْبَلْنِي عِزِّي وَأَسْغِنِي رِزْقِي فَانْه لَابِدٌ لِلْجُودِ مِنْ كِبَرَةٍ وَلَا بَدَ لِلسَّيْفِ مِنْ نُبُوَةٍ وَلَا بَدَ لِلْحَلِيمِ مِنْ هَفْوَةٍ . فقال الججاج : كَلَّا ، والله حتى أوردك جهنم . ألسن القاتل برُسْتَقْبَاد : قَتَدُوا الجُدَى قَبْلَ أَنْ يَتَعَسَّأَ كَمْ . وفى مثله : أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله ، فاعفُ له فانك به تُبْعَانُ وإليه تعود . فغلى سبيله .

(١) تهرته وأذله .

(٢) كذا بالأصل فى الأمايل وأسألك بالله إلا أتى حُلُك الخ .

وفي مثله . قال خالد بن عبد الله لسليان بعد أن عذبه [بما عذبه به] : إن القدرة
تذهب الحفيظة وقد جَلَّ قدرُك عن العتاب ونحن مقرّون بالذنب، فإن تَعَفَّ فاهل
العفو وإن تعاقب فيما كان منا . فقال [أولى لك] ^(١) أما حتّى تأتى الشام راجلاً فلا عفو .
وفي مثله : ضرب المجاج أعناق أسارى أُنّى بهم، فقال رجل منهم : والله لئن كنا
أسانا في الذنب فما أحسنّت في المكافاة . فقال المجاج : أفّ لهذه الجيف ! أما كان
فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكفّ عن القتل .

وفي مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه .
فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة
ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول أى ربّ سلّ مصعباً فيم
قتلنى . قال : أطلقوه . قال : اجل ما وهبت لى من حياتى فى خَفَض . قال أعطوه
مائة ألف . قال : بأبى أنت وأمى، أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منها خمسين
ألفاً . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهاب من اللّٰه تجلّت عن وجهه الظلمات

ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروتٌ يُخشى ولا كبرياء

يَتَّقِ الله فى الأمور وقد أفْضَحَ من كان همّه الانتهاء

فضحك مصعب، وقال : أرى فيك موضعاً للصليعة، وأمره بلزومه وأحسن
اليه فلم يزل معه حتى قتل ^(٢)

وفي مثله : قال عبد الملك بن الججاج التغلبي لعبد الملك بن مروان : هربت إليك
من العراق . قال : كذبت، ليس إلينا هربت، ولكك هربت من دم الحسين
وخنفت على دمك فلجأت إلينا . ثم جاء يوماً آخر فقال

(١) زيادة في النسخة الألبانية .

(٢) في النسخة الألبانية « عبد الله » .

أذنو لترجمني وترقي حلقِي * وأراك تدفني فأين المدفن

ونحوه قول الآخر

كنتُ من كربى أقرأ اليهم * فهمُ كربى فأين الفرار

وفى مثله : قَتَعَ المِجْلَاجُ رجلاً فى مجلسه ثلاثين سوطاً وهو فى ذلك يقول

وليس بتعزير الأمير تحزاية * على إذا ما كنتُ غير مُريب

ونحوه

وإن أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر، لا عارٌ بفعل الدهر

وفى مثله : مر الحسن البصرى برجل يُقاد منه . فقال للولى : يا عبد الله ، إنك

لا تدري لعل هذا قتل وليك وهو لا يريد قتله ، وأنت تقتله متعمداً ، فانظر لنفسك .

قال : قد تركته لله . ١٠

وفى مثله . حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : رُمى المِجْلَاجُ

فقال : انظروا من هذا ؟ فأوما رجل بيده ليرى . فأخذ فأدخل عليه وقد ذهب

روحُه . قال عيسى بصوت ضعيف يَحْكِي المِجْلَاجَ : أنت الرأينا منذ الليلة ؟ قال :

نعم أيها الأمير . قال ، ما حملك على ذلك ؟ قال : ^(١) ألقى والله واللؤم . قال : خلوا

عنه . وكان إذا صُلب انكسر ١٥

وفى مثله : حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عثمان الشحام قال : أتى المِجْلَاجُ

بالشعبى فقال له : أنحرجت علينا يا شعبي ؟ قال : أجلبب بنا الجلبابُ وأحزن بنا المتزلُّ

واستحلستنا الخوفَ واكتملنا الدهرَ وأصابنا تحزية لم تكن فيها برّةٌ أتقياء ولا بقرّة

أقوياء . فقال المِجْلَاجُ : لله أبوك . ثم أرسله .

٢٠ (١) كنا بالأمل وله النبي .

وفي مثله: أتى موسى بن المهدي رجل كان قد حبسه فجعل يُقرّعه بذنوبه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، اعتذارى مما تفرّغني به ردّ عليك وإقرارى بما تتعده عليّ يلزمني ذنبا لم أجهته، ولكنني أقول

فإن كنت ترجو بالمعقوبة راحة * فلا ترهّدن عند المعافاة في الأجر

- وفي مثله: قال الحسن بن سهل لنعيم بن حازم وقد اعتذر إليه من ذنب عظمه:
- عليّ رسلك أيها الرجل، تهدمت لك طاعة وتآخرت لك توبة، وليس لذنوب بينهما مكان، وما ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو.

- وفي الدعاء له: قال رجل لبعض الأمراء: «إني لو كنت أعرف كلاما يحوز أن ألقى به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس، لأحببت أن أبلغك فيما أدعو به له وأعظم من أمره، غير أنني أسأل الله الذي لا ينجني عليه ما تحتجب به القلوب من نيات القلوب أن يحصل ما يطلع عليه مما تبطنه نيتي في إرادته للأمير أدنى ما يؤتیه إياه من عطاياه ومواهبه».
- ١٠

وفي الدعاء له: قرأت في كتاب رجل من الكتاب «لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبطنه وأمل فيك تحقّقه حتى تملّ من الأعمار أطولها وترقى من الدرجات أفضلها».

- ١٥
- وفي الدعاء: دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعه فقال: السلام عليك أمير المؤمنين. محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وأبن دولتك وغصن من أغصان دوحتك، أأذن له في الكلام؟ قال: نعم. فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه. فقال «نستمع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورطابة أذاننا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا ويقيك

(١) في النسخة المتوغرغاة «لاجهت» وهو تحريف.

الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائد بِظِلِّكَ الهارب الى كَنَفِكَ وفضلِكَ الفقير الى رحمتِكَ وعِلمِكَ » ثم تَكَلَّم في حاجته .

وفي شكر السلطان وفي حمده : قَدِمَ رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته فقال له : ما أقدمك على ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة . قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت اليها وفاضت في رحالنا وتناولها الأَقْصَى والأَدْنَى مَتًا ، وأما الرَهْبَةُ فقد أَمِنَّا بِعِلمِكَ يا أمير المؤمنين علينا وحسين سيرتك فينا من الظلم ، فنحن وفد الشكر .

وفي حمده : كتب بعض الكُتَّاب الى وزير : « كُلُّ مَدَى يبلغه القائل بفضلك والواصفُ لأيامك والشاكرُ للنعمة الشاملة بك قصدُ أَمٍّ عند الفضائل الموفورة لك والمواعب المقسومة للرعية بك ، فواجبٌ على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزَّ أيامك أن يستديمه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونعائها ، فقد جمع الله بك الشَّاتَات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدي البائِرة وعطف القلوب النافرة ، فامتنَّ مَرَبُّ البرىء وخفضت جاشه وأخفَّتْ سُبُلُ الجاني وأخذت عليه مذاهبه ومطالمه ووقفت بالخاصَّة والعامة على قصد من السيرة آمنوا بها من العتار والكبوة » .

وفي حمده على شكر الله عز وجل . قال شبيب بن شيبه للهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يملك دون أحد من خلقه ، فلا ترصَّ بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .



٢٠ تم كتاب السلطان ، ويتلوه في الجزء الثاني كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

- قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية ابن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَمْنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَمَنْ أَنْ تَبْتَلُوا بِهِمْ وَلَكِنْ قُولُوا ۝ اللَّهُمَّ أَكْفِنَا وَكُفِّ عَنَّا بِأَسْهَمٍ ، وَإِذَا جَاؤُكُمْ يَعْرِفُونَ وَيَرْحَمُونَ وَيَصْبِحُونَ فَعَلَيْكُمْ الْأَرْضُ جُلُوسًا ، ثُمَّ قُولُوا : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبَّنَا وَرَبُّهُمْ ، وَنَوَاصِينَا وَنَوَاصِيهِمْ يَبْدُكَ ، فَإِذَا خَشَوْكُمْ فَثُورُوا فِي وَجْهِهِمْ » .

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عن حدثه أن أبا الدرداء قال : أيها الناس ، عَمَلٌ صَالِحٌ قَبْلَ الْغَزَا فَاثْمًا تَقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ .

- حدثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أو صاهم بتقوى الله العظيم ، ثم قال عند عقد الألوية : بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى عَوْنِ اللَّهِ وَأَمْضُوا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ بِالنَّصْرِ وَبِالزُّيُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ ، فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْتَدُوا إِنْ لَمْ يَكُنْ بِاللَّهِ إِلَّا اللَّهُ . لَا تَجْنُبُوا عَنِ الْقِتَالِ وَلَا تَمُتُوا عَنِ الْقُدْرَةِ وَلَا تَسْرِفُوا عَنِ الظُّهُورِ وَلَا تَهْتَلُوا هَرِمًا وَلَا أَمْرًا وَلَا وَلِيًا . وَتَوَقُّوا قَتْلَهُمْ إِنْ أَلْقَى الرَّجْفَانُ وَعَنْ

(١) حَمَّةُ التَّهَضُّبَاتِ وَفِي شَنِّْ الْغَارَاتِ . وَلَا تَقْلُوا عِنْدَ الْغَنَائِمِ وَزَيَّعُوا الْجِهَادَ عَنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَأَبْشَرُوا بِالرَّيَاحِ فِي الْبَيْعِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

استشار قوم أكرم بن صبيح في حرب قوم أرادهم وسأله أن يوصيه فقال :
أَقْلُوا انْخِلَافَ عَلَى أَمْرَانِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصَّبَاحِ مِنَ الْفُشْلِ وَالْمَرَّةِ بِعَجَزٍ لَا حِمْلَةٍ . شَبَّهُوا فَإِنَّ أَحْمَرَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكْبَيْنِ ، وَوَبَّتْ عَجَلَةٌ تُعَقِّبُ رَيْثًا ، وَتَزْدِرُوا لِلْحَرْبِ .
وَأَدْرَعُوا اللَّيْلَ فَإِنَّهُ أَخْضَى لِلْوَيْلِ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ .

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسَازَعُوا فَعِثْلُوا وَتَلَهَّبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

١٠ حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي قال ، قال عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَصْحَابِهِ : أَلَا تَرَوْنَهُمْ — يَعْنِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — جُعِيًّا عَلَى الرُّكْبِ كَأَنَّهُمْ يُحْرَسُونَ يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْحَيَاتِ . قَالَ : وَسَمِعْتُهُمْ عَائِشَةَ يُكَبِّرُونَ يَوْمَ الْجَمَلِ فَقَالَتْ : لَا تَكْثُرُوا الصَّبَاحَ فَإِنَّ كَثْرَةَ التَّكْبِيرِ عِنْدَ الْفَتْحِ مِنَ الْفُشْلِ (٢) .

١٥ وذكر أبو حاتم عن النبي عن أبي إبراهيم قال : أوصى أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان حين وجهه إلى الشام فقال : يَا زَيْدُ مِرٌّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَإِذَا دَخَلْتَ بِلَادَ الْعَدُوِّ فَكُنْ بَعِيدًا مِنَ الْجَمَلَةِ فَإِنَّهُ لَا أَمَانَ عَلَيْكَ الْجَوْلَةَ . وَاسْتَظْهَرِ بِالزَّادِ وَمِرٌّ بِالْأَدْلَاءِ وَلَا تَقَاتِلْ بِمِجْرُوحٍ فَإِنَّ بَعْضَهُ لَيْسَ مِنْهُ ، وَأَحْتَرَسْ مِنَ الْيَبَاتِ فَإِنَّ فِي الْعَرَبِ

(١) أي شتتها ومظلمها . (٢) في التتوغة «القتال» .

غِرَّةً، وأقلل من الكلام فأنما لك ما وُعي عنك، وإذا أتاك كتابي فأهذه فأنما أعمل على حسب إغاضه، وإذا قُدمت عليك وفودُ العجم فأزلمهم معظم عسرك وأسبغ عليهم الشفقة وأمنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين . ولا تُلحِّن في عقوبة [فإن أدناها وجع] ولا تسرعن إليها وأنت تكفني بغيرها . وأقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سرائهم . ولا تجسَّس عسرك ففضحه ولا تهمله ففسده .
وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه .

[^(١) قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه إلى عُثْمَانَ : يا عكرمة سر على بركة الله ولا تتزل على مستأمن ولا تؤمن على حق مسلم وأهدر الكفر بعضه ببعض . وقدم التَّنَزُّلين يديك . ومهما قلت إلى فاعل فافعله ولا تجعل قولك لنوا في عقوبة ولا عفو . ولا ترج إذا أمنت ولا تخافن إذا خوت ولكن أنظر متى تقول وما تقول . ولا تَعِدْ معصية بأكثر من عقوبتنا فإن فعلت أمت وإن تركت كذبت . ولا تؤمن شريفا دون أن يُكفل بأهله ولا تُكفلن ضميما أكثر من نفسه . وأتق الله فإذا لقيت فاصبر .]

وأوصى عبد الملك بن صالح أمير مِصر^(٢) إلى بلاد الروم فقال : أنت تاجر الله لعباده فكن كالمُضارب الكيس الذي إن وجد ربحا تجر، وإلا احتفظ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة . وكن من احتيالك على عدوك أشدَّ حذرا من احتيال عدوك عليك .

وحديثي محمد بن عبيد عن ابن عينة قال : أخبرني رجل من أهل المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة أو لعمر بن العاص : « إذا بعثك في سرية فلا تَنْتَقِهم وأقتطعهم فإن الله ينصر القوم بأضعفهم » .

(١) زيادة في النسبة الألمانية .

(٢) كذا بالسبعين المتوغرافية والألمانية وفي المقد الفريد «مروان» .

حدثني محمد بن عبيد ^(١) [عن ابن عينة] عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال :
غزا نبي من الأنبياء أو غير نبي فقال : « لا يغزوَنَّ معي رجل بنى بناء لم يكله ،
ولا رجل تزوج امرأة لم يَن بها ، ولا رجل زرع زرعاً لم يحصده » .

[وذكر ابن عباس علياً فقال : ما رأيت رئيساً يؤذن به . ^(٢) رأيت يوم صقين وكان
عينه سراجاً سليط وهو يجس أصحابه إلى أن انتهى إلى وأنا في كَيْفَ فقال : معشر
المسلمين ، استشعروا الخشية وعنوا الأصوات وتَجَلَّبَّوْا السكينة وأكلوا اللُّؤْمَ ^(٣) وأخفوا
الحنون وقلقلوا السيوف في أعمادها قبل السَّلة وأخطوا الثَّمر وأطعنوا النَّبْرَ ^(٤) وناحوا
بالثُّبَا ووصلوا السيوف بالخطأ والراح بالنَّيل وأمشوا إلى الموت مشياً جُبْحاً . ^(٥) عليكم
بهذا السواد الأعظم والرَّواق المطَّنب فأضربوا نَجْمَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رَاكِدٌ فِي كِسْرِهِ نَاجٍ
خُصْمِيهِ مَفْتَرِشٌ ذِرَاعِيهِ قَدْ قَدَّمَ لِلوَيْثَةِ يَدَا وَأَثَرُ اللَّكُوصِ رَجَلَا] .

ولما ولي يزيد بن معاوية مسلم بن زياد خراسان قال له : إن أباك كفى أخاه
عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً فلا تُكَلِّفْني على عذر مني فقد اتكَلَبْتُ على كفاية منك .
وإياك متى قبل أن أقول إياي منك ، فإنَّ الظن إذا أخلف فيك أخلف منك .
وأنت في أدنى حظك فأطلب أقصاه ، وقد أجبك أبوك فلا تريحن نفسك ، وكن
لنفسك تكن لك ، واذكري يومك أحاديث غلك ترشُدْ إن شاء الله .

قال الأصمعي قالت أم ججنويه ملك طخارستان لنصر بن مسيار اللبي : ينبغي
للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويضئ إليه سره ، وحصن يلجأ إليه
إذا فرغ فينجيه — يعني فرساً — وسيف إذا غازل به الأقران لم يخف سخونه ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل «كف» وهو تحريف والكف الحشد والجماعة .
(٣) من التنية أي الجبس والأسرى أحسبوا أصواتهم ولا ترضوها . (٤) كذا بالأصل ولم نجد في نهج
البلاغة ولعله «أخفوا اللؤم» جمع نخوة أي اجعلوها خفيفة حتى لا تتفكك في الحرب . (٥) يقال طعن
نبر : غطس كأنه ينزل الرمح عنه أي يرضه بسرعة . وفي نهج البلاغة : والخطوا الخزر واطمنوا الثزر .

وذخيرة خفيفة المحمل إذا نأبته نائبة أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أنزعت منه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهيه .

ولطفى عن عباد بن كثير عن عَقِيل ^(١) [بن خالد] ^(٢) عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غلب قوم قط يبلغون اثني عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم» . [وقال رجل يوم حنين : لن نُغلب اليوم عن قلة . وكانوا اثني عشر ألفا فهزم المسلمون يومئذ وأُتزل الله عز وجل (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَا بُرَاءَ لَكُم مِّنَ الْكُفَّةِ) . وقالوا كان يقال : ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه : البغي، قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُعِثْتُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ) والمكر، قال الله تعالى (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) والنعكث، قال عز وجل (فَنَنْكَثْ فَإِنَّمَا يَنْتَكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) .

١٠ . وقرأت في كتاب للهند : لا ظفر مع بغي، ولا صحبة مع نهم، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع خب، ولا شرف مع سوء أدب، ولا ربح مع شح، ولا اجتناب مع عزم مع حرص، ولا محبة مع زهو، ولا ولاية حكم مع عدم فقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سُودد مع انتقام، ولا رياسة مع غرارة وعجب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات مبلك مع تهاون وجهالة وزراء .

خرجت خارجة بخراسان على قتية بن مسلم فاهمه ذلك فقيل له : ما يُحكك منهم؟ وجّه إليهم وكيع بن أبي سُود فانه يكفيكمهم . فقال : لا ، إك وكما رجل به كبر يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قَلَّتْ مبالاته بعدوه فلم يحتقر منه فيجد عدوه منه غيرة .

٢٠ . (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كذا في الأصل القنوغرافي وفي النسخة الألمانية : الزهري والصواب الأول فان المعروف في كتب طبقات المحققين أن عقيل بن خالد يروي عن الزهري والزهري يروي عن عبيد الله بن عبد الله . (٣) في القنوغرافية «ولا محبة مع هزق» .

وقرأت في بعض كتب العجم أن ملكا من ملوكهم سئل : أيّ مكاييد الحرب أحرّم ؟ فقال : إذكاء العيون واستطلاع الأخبار وإفشاء القلّة وإظهار السرور وأمانة الفرق والاحتباس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغش ولا تحويل شيء عن شيء إلا بسدّ حاجة من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . وسئل عن وثائق الحزم في القتال فقال : غائلة المدق عن الرّيف وإعداد العيون على الرّصد وإعطاء المبلّغين على الصنق ومعاينة المتوصّلين بالكذب وألا تُخرج هاربا إلى قتال ولا تُضيق أمانا على مستأين ولا تُسبّ عن أصحابك للبغية ولا تُسَدِّدك النعمة عن المخادعة .

وقرأت في كتاب للهند : الحازم يحذر علوه على كل حال . يحذر المواثبة إن قُرب ، والغارة إن بُدّ ، والكين إن انكشف ، والاستطراد إن ولى ، والمكر إن رآه وحيدا . ويكره القتال ما وجد بُدا لأن الثقة فيه من الأنفس والثقة في غيره من المال .

وقرأت في الآيين : قد جرت السنة في المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر في الميسرة ليكون لقاؤه يسرا ورميه شزرا وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدما وترك ذلك على حال مُمايلة أو مُجانبة وأن يرتاد للقلب مكانا مُشرقا ويلتمس وضعه فيه فإن أصحاب الميمنة والميسرة لا يُقهرُونَ ولا يُغلبُونَ وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت المادّتان فإن زالت المادّتان لم يَنْفُضْ بَيّات الميمنة والميسرة . [وإذ أَعَى الجند فليَنَاشِ (١) أهل الميمنة والمادّتان فاما الميسرة] فلا يَسُدُّكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنْ يَبَادِرَ إِلَيْهِمْ مِنَ الدَّقِّ مِنْ يَخَافُ بَاهِتَهُ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ مَعَ أَنَّ أَصْحَابَ الْمِيمَنَةِ وَالْمَادِّتَيْنِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى لِقَاءِ مَنْ يَنَاشِهُمُ وَالرَّجُوعُ إِلَى أَصْحَابِهِمْ عَاطِفِينَ ، وَأَصْحَابُ الْمَيْسَرَةِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَنَاشَةِ

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفترغرافية هكذا "المادّيان" ولم نوفق إلى تصحيحها .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

- الا مائتين وبعجزهم الرجوع عاطفين . ولا يَأْلُوهُ صاحبُ الجيش على حال من الحال أن يستدبر جَنْدَهُ عَيْنَ الشمس والريح ، ولا يحارب جندا الا على أَشدَّ الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بُدٌّ ، فإذا كان كذلك فليَجْهَدْ صاحب الجيش أن ينافع بالحرب الى آخر النهار . وينبغي على كل حال أن يَحْلِيَ بين المنهزمين وبين النهاب ولا يُجْبِسُوا . وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدو أن يتالوا من الماء فليس من الرأي أن يُحَال بينهم وبينه لئلا يُتَحَرَّجُوا الى الجِدِّ في محاربتهم . وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فإن وقت طلب ذلك عند رى العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فإن أَسْلَس ما يكون الانسان عن الشيء عند استغناؤه عنه وأشدَّ ما يكون طلبا للشيء عند حاجته اليه . وَلْيَسِّرِ الطَّلَاع في قرار من الأرض ويقفوا على التَّلَاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها . وليَكُنَّ الكمين في الخمر والأماكن الخفية . وليطرح الحَسَك في المواضع التي يَتَحَوَّض فيها البيات . وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فإن في انتشاره فساد العسكر وانتقاضه . وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة مجرَّين ذوى حُنْكَه وبأس فَيَدَارُ العدو الجند الى الوقعة خير للجند . وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بد فَيَدَار الجند الى مقاتلة العدو أفضل للجند . وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدوا إلا أن تكون عدَّتُهُم أربعة أضعاف عدَّة العدو أو ثلاثة أضعافهم ، فإن غزاهم عدوهم لإهمهم أن يقاتلهم بعد أن يزيدوا على عدَّة العدو مثل نصف عدَّتِهِمْ . وإن توسط العدو بلادهم لزمهم أن يقاتلهم وإن كانوا أقل منهم ، وينبغي أن يُنْصَب للكمين من الجند أهل جرأة وشجاعة وتيقظ وصرامة وليس بهم أنين ولا سُعال ولا عَطاس ويُخْتَار لهم من الدواب مالا يَسْهَل ولا يَفْنَتْ ، ويُخْتَار لكونهم مواضع لا تُقْشَى ولا تُوقَى ، قرية من

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الصغرى "ينت" . ولعل الصواب ينت كصريح النيات

النفس بأين وهو الزير .

- الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والتمشقة بإصابة القرصة، ولا يخفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا . وأن يكون إيقاعهم كضرم الحرق، وليجنبوا الغنم ولينهضوا من المكان متفرقين إذا ترك العدو الحراسة وإقامة الرمايا، وإذا أونس من طلائعهم توأن وتضرب وأذا أمرجوا دوابهم في الرعى، وأشد ما يكون البرد في الشتاء وأشد ما يكون الحر في الصيف . وأن يرفضوا ويفترقوا إذا ثاروا من مكثهم بعد أن يستخير بعضهم بعضا وأن يسرعوا الإيقاع بعدوهم ويتركوا التلبث والتلفت . وينبغي لليتين أن يفترصوا الليأت إذا هبت ريح أو أونس من نهر قريب منهم خربرقه فانه أجدر ألا يسمع لهم حس . وأن يتوأن بالوقعة نصف الليل أو أشد ما يكون إظلاما . وأن يصير جماعة من الجند وسط حسكر العدو ويقيم حوله ، وبدأ بالوقعة من يصير منهم في الوسط ليسمع بالضجة والضوضاء من ذلك الموضع لا من حوله ، وأن يسرد قبل الوقعة الأقرب فالأقرب من دوابهم ويقطع أرسائها وتهزم بالرماح في أعجازها حتى تحير وتسير ويسمع لها ضوضاء ، وأن يهتف هاتف ويقول : يا معشر أهل العسكر النجاء النجاء فقد قتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق . ويقول قاتل : أيها الرجل استحيي لله . ويقول آخر : العفو العفو . وآخر : أوه أوه ، ونحو هذا من الكلام .^(١) ولتعلم أنه إنما يحتاج في الليأت الى تحير العدو وإخافته وليجنبوا التقاط الأمتعة وأسمياق الدواب وأخذ الغنم . قال : وينبغي في محاصرة الحصون أن يستمال من يقدر على استمالته من أهل الحصن والمدينة ليظفر منهم بمحصلتين : إحداهما استنباط أسرارهم ، والأخرى إخافتهم وإفراغهم بهم ، وأن يدس منهم من يصغر شأنهم ويؤيسهم من المدد ويخبرهم أن سرهم منتشر في مكبتهم ، وأن يفاض حول الحصن ويشار اليه بالأيدى كأن فيه مواضع حصينة وأخر ذليلة ومواضع يتصب المجانيق

(١) في النسخة الجغرافية بعد هذا زيادة : وانشد

فأوه بذكرها إذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض دنها وصحاء

- عليها ومواضع تُهَيِّئُ الرَّادَاتِ لَهَا ومواضع تُقْبَلُ تَقْبًا ومواضع توضع السَّلَامُ عليها ومواضع يُسَوَّرُ مِنْهَا ومواضع يُضْرَمُ النَّارُ فِيهَا لِيَمْلَأَهُمْ ذَلِكَ رَعْبًا، وَيَكْتُبُ عَلَى نُشَابَةِ: لِيَأْكُمَ أَهْلَ الْحَصْنِ وَالْإِعْتِرَارِ وَإِغْفَالِ الْحِرَاسَةِ، عَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الْأَبْوَابِ فَإِنَّ الزَّمَانَ خَبِيثٌ وَأَهْلُهُ أَهْلٌ غَدَرٌ فَقَدْ خُدِعَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحَصْنِ وَأَسْتَمِيلُوا، وَيُرَى بِتِلْكَ النُّشَابَةِ فِي الْحَصْنِ ثُمَّ يُدَسُّ لِمَخَاطِبَتِهِمُ الْمُنْطَبِقُ الْمُصِيبُ اللَّهُمَّ الْمَوَارِبِ الْخَائِلِ غَيْرِ الْمِهْذَارِ •
- ولا المغفل. وتؤثر الحرب ما أمكن ذلك فإن في المحاربة جرأة منهم على من حاربهم ودليلا على الحيلة والمكيدة، فإن كان لابد من المحاربة فليحاربوا بأخف العدة وأسر الآلة. وينبغي أن يغلب المدعو على الأرض ذات الخمر والشجر والأشجار للعسكر ومصاف الجنود ويُحْتَلَى بَيْنَ الْعَدُوِّينَ بِسَاطِ الْأَرْضِ وَدَكَدَكِهَا •

- وفي بعض كتب العجم أن بعض الحكماء سئل عن أشد الأمور عذريا للجنود وَتَحْتَذَاهَا، فَقَالَ: استعادة القتال وكثرة الظفر، وأن تكون لها مواد من ورائها وغنيمة فيها أمامها، ثم الإكرام للجيش بعد الظفر والإبلاغ بالمجتهدين بعد المناصبة، والتشريف للشجاع على رموس الناس •

- قال المدائني ^(١) [قال نصر بن سيار]: كان عظماء الترك يقولون: القائد العظيم ينبغي أن تكون فيه خصال من أخلاق الحيوان: شجاعة الديك، وتحنن الدجاجة، وقلب الأسد، وحيلة الخنزير، [وروغان الثعلب، وختل الذئب]. وكان يقال في صفة الرجل الجامع: له وثبة الأسد، وروغان الثعلب، وختل الذئب ^(١) [وجمع الذرة، ويكفر الغراب] •

وكان يقال: أصلح الرجال للحرب المجرب الشجاع الناعم •

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الأصم قال ، قيل لعمرو بن معاوية العُقيلي
 وكان صاحب صَوَائِفَ : بِمَ ضَبَطْتَ الصَوَائِفَ ؟ أَى الثَغُورِ قَالَ : بِمَنَانَةِ الظَّهْرِ وَكَثْرَةِ
 الكَمَلِ وَالْقَدِيدِ . وَفِي كِتَابِ الْآيِينَ : لِيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَحْمِلُهُ مَعَكَ خَبْرًا ثُمَّ خَبْرًا ثُمَّ خَبْرًا .
 وَإِيَّاكَ وَالْمَقَارِشَ وَالثِيَابَ . أَبُو الْيَقْظَانِ قَالَ قَالَ شَيْبِىبُ الْخَارِجِيُّ : اللَّيْلُ يَكْفِيكَ
 الْجَبَانَ وَنَصَفَ الشَّجَاعَ . وَكَانَ إِذَا أَمْسَى قَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَنَا كَمِ الْمَدَدِ ، يَعْنِي اللَّيْلَ .
 وَقِيلَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ : يَبْتَ عَدُوَّكَ . قَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَجْعَلَ غَلْبَتِي سَرَقَةً .

المُدائِنِيُّ قَالَ : لَمَّا اشْتَغَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِمُحَارَبَةِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ اجْتَمَعَ وَجُوهُ
 الرُّومِ إِلَى مَلِكِهِمْ فَقَالُوا : قَدْ أَمَكَّتْكَ الْفُرْصَةُ مِنَ الْعَرَبِ بِشَاغِلِ بَعْضِهِمْ بَعْضُ ،
 فَارْأَى أَنْ تَزْوَومَ فِي بِلَادِهِمْ . فَهَاجَمَ عَنْ ذَلِكَ وَخَطَأَ رَأْيَهُمْ ، وَدَعَا بِكَلْبَيْنِ فَأَرَّشَ
 بَيْنَهُمَا فَاقْتَتَلَا قَتَلَا شَدِيدًا ، ثُمَّ دَعَا بِغُلَبٍ نَحْلَاهُ بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا رَأَى الْكَلْبَانِ التَّمَلُّبَ تَرَكَ
 مَا كَانَا فِيهِ وَأَقْبَلَا عَلَى التَّمَلُّبِ حَتَّى قَتَلَاهُ ، فَقَالَ لَهُمُ مَلِكُ الرُّومِ : هَذَا مِثْلُنَا وَمِثْلُهُمْ .
 فَعَرَفُوا صِدْقَهُ [وَحَسَنَ رَأْيِهِ] وَرَجَعُوا عَنْ رَأْيِهِمْ .

وَأَوْصَى بَعْضُ الْحُكَّامِ مَلِكًا فَقَالَ : لَا يَكُنِ الْمَدُونُ الَّذِي قَدْ كَشَفَ لَكَ عَنْ
 عِدَاوَتِهِ بِأَخُوفٍ عِنْدَكَ مِنَ الظُّلَمِ الَّذِي يَسْتَتِرُكَ بِخَائِفَتِهِ ، فَاتِهِ رُبَّمَا تَخْوَفُ الرَّجُلَ
 السُّمِّ الَّذِي هُوَ أَقْطَلُ الْأَشْيَاءِ وَقَتْلُهُ الْمَاءُ الَّذِي يَحْيِي الْأَشْيَاءَ ، وَرُبَّمَا تَخْوَفُ أَنْ يَقْتُلَهُ
 الْمُلُوكُ الَّتِي تَمْلِكُهُ ثُمَّ قَتْلُهُ الْعَبِيدَ الَّتِي يَمْلِكُهَا . فَلَا تَكُنِ لِلْعَدُوِّ الَّذِي تُنَاصِبُ بِأَحْزَرٍ
 مِنْكَ لِلطَّعَامِ الَّذِي تَأْكُلُ . وَأَنَا لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتُ مِنْهُ نَذِيرُكَ وَإِنْ عَظُمَ أَمْرُ مَنْ
 مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَرِيَّتُهُ مِنْ نَذِيرِكَ وَإِنْ صَغُرَ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَدِينَتَكَ جِرْزٌ مِنْ عَدُوِّكَ ،
 وَلَا مَدِينَةً تَحْزُوزُ فِيهَا مِنْ طَعَامِكَ وَشِرَاكِكَ وَلِبَاسِكَ وَطَبِيبِكَ ، وَلَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ
 وَاحِدَةٌ إِلَّا وَقَدْ تُهْتَلُ بِهَا الْمُلُوكُ .

- وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أن خالد بن برمك، حين فصل مع خطبة من خراسان، بيتا هو على سطح بيت في قرية قد نزلاها وهم يتفقدون نظرا إلى الصحراء فرأى أفاطيج ظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط السكرك، فقال لخطبة: أيها الأمير ناد في الناس: يا خيل الله اركبي، فإن العدو قد نهد إليك وحش، وغاية أصحابك أن يُسرجوا ويُجمِعوا قبل أن يروا مُرطان الخيل، فقام خطبة •
- مذعورا فلم ير شيئا يروعه ولم يمان غبارا، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيها الأمير لا تشغل بي وفاد في الناس. أما ترى أفاطيج الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس! إن وراءها جمعا كثيفا. قال: فوافقه ما أسرجوا ولا أبلجوا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد أصطلم.
- ١٠ وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: أمرك بالتقدم والأمر ممكن، وبالإعداد لغد من قبل دخولك في غدا كما يمد السلاح لمن تخاف أن يقااتك وعصى ألا يقااتك، وكما تأخذ عتاد البناء من قبل أن تصبیه السماء وأنت لا تدري لعلمها لا تصبیه، بل كما تمد الطعام لعدد الأيام وأنت لا تدري لعلك لا تأكله. وكان يقال: كل شيء طلبته في وقته فقد مضى وقته.
- ١٥ [وقرات في كتاب سير العجم أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك سار يجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهياطلة يبلغ، فلما انتهى إلى بلاده اشتد رعب اخشنوار منه وحذرُه له، فناظر أصحابه ووزرائه في أمره، فقال له رجل منهم: أعطني موتقا وعهدا تطمئن إليه نهمي أن تكفيني أهلي وولدي وتحسن إليهم وتحلفني فيهم، ثم أقطع يدى ورجلى وألقني على طريق فيروز حتى يترى هو وأصحابه فأكفيك مؤوتهم [وشوكتهم] وأودطهم مورطا تكون فيه هلكتهم. فقال له ٢٠ اخشنوار: وما الذى تنفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت

ولم تَشْرَكَ في ذلك؟ قال : إني قد بَلَّغْتُ ما كنت أحب أن أَبْلُغه من الدنيا وأنا مَوْقِنٌ بأن الموت لا بد منه وإن تأخر أيا ما قلائل، فأحب أن أختم عمري بأفضل ما تُحْتَمُّ به الأعمار من النصيحة لآخواني والنكاية في عدوي فيَشْرَفُ بذلك عقي وأصيب سعادة وحُطوة فيا أُمّاي، ففعل به ذلك وأمر به فأُلقي حيث وصف له .

فلما مرَّ به فيروز سألَه عن أمره فأخبره أن اخشونار فعل ذلك به وأنه احتال حتى حُمِلَ إلى ذلك الموضع ليلته على عورته وِغْرَتِه وقال : إني أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه وأخفى، فلا يشعر اخشونار حتى تهجموا عليه فينتقم الله لي منه بكم، وليس في هذا الطريق من المكروه إلا تَقْوِيْرُ يَوْمين ثم تُقْبَضون إلى كل ما تحبون . فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزرأوه بالاتهام له والحذر منه

وبغير ذلك، يخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم إلى موضع من المفازة لا صَدْر عنه ثم بين لهم أمره فصرفوا في المفازة يمينا وشمالا يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم ولم يَخْلُصْ مع فيروز منهم إلا عتَّة يسيرة فإنهم انطلقوا معه حتى أشفروا على أعدائهم وهم مستعدون لهم فواقهم على تلك الحَالَةِ وعلى ما بهم من الضر والجهد فاستمكوا منهم وأعظموا النكاية فيهم، ثم رغب فيروز إلى اخشونار وسأله أن يَمُنَّ عليه وعلى من بقي من أصحابه على أن يحصل لهم عهد الله وميثاقه ألا يفرزوه أبدا فيا يستقبل من عمره وعلى أنه يَحْدُثُ فيا بينه وبين مملكته حدًا لا تجاوزه جنوده، فرضى اخشونار بذلك وخلق سيده وانصرف إلى مملكته، فكثت فيروز بُرْهة من دهره ككثيما ثم حله الأَنْفُ على أن يعود لفرزوه ودعا أصحابه إلى ذلك فردوه عنه وقالوا : إنك قد عاهدته ونحن نتخوف عليك طاقية البني والغدر مع ما في ذلك من العار وسوء المقالة .

فقال لهم : إني إنما شَرَطْتُ له ألا أَجُوزَ البحر الذي جعلته بيني وبينه فإنا أمر بالبحر

(١) في الأصل : فواقهم على تلك من حالة وعلى ما بهم الخ والتصريب واضح .

- ليحمل على نجدة أمامنا . فقالوا له : أيها الملك ، إنا العهود والمواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا نحمل على ما نسير المعطي لها ولكن على ما يملن المعطي ، وإنك إنما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عرّفه لا على أمر لم يخطر بباله . فأبى فيروز ومضى في غزاته حتى انتهى إلى الهياطة وتصافى الفريقان للقتال فأرسل اخشوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفتيهم ليكلّمه ، فخرج إليه فقال له اخشوار ٥
- قد ظننت أنه لم يدعك إلى غزونا إلا الأثف بما أصابك . ولعمري لئن كنّا احطنا لك بما رأيت ، لقد كنت التمسنا منا أعظم منه ، وما ابتدأناك ببني ولا ظملا ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريتنا ، ولقد كنت جديرا أن تكون ، من سوء مكافأنا بمنّا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وكّدت على نفسك ، أعظم ألقا ١٠
- وأشدّ امتعاضا مما نالك منا ، فإنّا أطلقناكم وأتمم أسرى ومنّا عليكم وأتمم مشرفون على الملكة وحقنا دماءكم وبنا قدرة على منفعها ، وإننا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب إلينا فيه والمريد لنا عليه ففكر في ذلك وميل بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشدّ طارا وأقبح سماعا ، إن طلب رجل أمرا فلم يتح له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببغيته وأستمكن منه علوه على حال جهده وضيمته منه ومن معه ، فمن عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمر اصطلاحوا عليه فاضطرّ لذكروه ١٥
- القضاء وأستحيا من النكث والقدر أن يقال امرؤ نكث العهد وختر الميثاق . مع أني قد ظننت أنه يزيدك نجاحا ما تنق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عنتهم وطلاعتهم لك ، وما أجذنى أشك أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من تخوصك بهم طارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق ودعوتهم إلى ما يُسخط الله ، فهم في حربنا غير مستبصرين ونياتهم في مناصحتك اليوم مدخولة ، فانظر ما قدر غنائم من ٢٠
- يقاقل علي مثل هذه الحال ، وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوه إذا كان عارفا بأنه

إن ظفر فم عار وإن قُتل قال النار، فانا أذكرك الله الذي جعله على نفسك كفيلا
 ونعمى عليك وعلى من معك بعد ياسم من الحياة وإشفاكم على الممات، وأدعوك
 الى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالمهد والافتداء بأبائك الذين مضوا على ذلك
 في كل ما أجوه أو كروهه، فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره، ومع ذلك إنك
 لست على ثقة من الظفر بنا والبلوغ لثمتك فينا وإنما تلمس منا أمرا تلمس منك
 ٥ مثله وتساوى عدوا لعله يُمنح النصر عليك فقد بالت في الاحتجاج عليك وتقدمت
 في الإصدار اليك ونحن نستظهر بالله الذي أعتزنا به وثقتنا بما جعلته لنا من عهده
 إذا استظهرت بكثرة جنودك وأزدهتك عدة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوالله
 ما كان أحد من نصحاءك يبلغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يحرمك منفعتها
 ١٠ محرّجها منى فإنه لا يُزرى بالمنافع عند ذوى الرأي أن كانت من قبل الأعداء كما
 لا يُحبب المضار اليهم أن تكون على أيدي الأولياء. واعلم أنه ليس يدعوني الى
 ما تسمع من مقاتلي ضعف أحسنه من نفسى ولا قلة من جنودى، ولكنى أحببت
 أن أزداد بذلك حجة وأستظهرأ، وأزداد به من الله للنصر والمعونة أستجباباً ولا أوتر
 على العاقبة والسلامة شيئا ما وجدت اليهما سبيلا، فأبى فيروز إلا تعلقا بحجته
 ١٥ في الحجر الذى جعله حدا بينه وبينه وقال: لست ممن يردعه عن الأمر بهم به وعيد
 ولا يقتاده التهديد والترهيب، [ولو كنت أرى ما أطلبك غدرأ منى ما كان أحد أنظر
 ولا أشد انتقاء منى على نفسى فلا يترك منأ الحال التى صادفتنا عليها فى المرة الأولى
 من القلة والجهد والضعف]. قال اخشوار: لا يترك ما تخدع به نفسك من حملك
 الحجر أمامك، فان الناس لو كانوا يعطون اليهود على ما تصف من إسرار أسير وإعلان
 ٢٠ آخر، إذا ما كان يبنى لأحد أن يقتربا من ولا يتق بهيد، وإذا لما قبل الناس شيئا

- مما يعطونه من ذلك، ولكنه وضع على العلانية وعلى نية من تُعَدُّ اليهود والشروط له .
فانصرفا يومها ذلك فقال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشنوار حسن المحاورة ،
وما رأيتُ للفرس الذي كان تحته ظلياً في الدواب فانه لم يُزل قوائمه ولم يرفع حوافره
عن موضعها ولا صَهْل ولا أحدث شيئاً يقطع به المحاورة في طول ما تواقفنا . وقال
اخشنوار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كله فلم يحرك رأسه .
ولم يتزعزعه من ركابه ولا حتى ظهره ولا ألقت يميناً ولا شمالاً ، ولقد تواركت
أنا مرارا وتعلّيتُ على فرسي وتلقتُ الى مَنْ خلفي ومددتُ بصرى في أمانى وهو
مشتصبٌ ساكن على حاله ، ولولا محاورته إياى لظننت أنه لا يصرنى . وإعما
أرادا بما وصفا من ذلك أن ينتشر هذان الحديثان في أهل عسكهما فيُشغلا
بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه . فلما كان في اليوم الثانى أخرج اخشنوار
الصحيفة التى كتبها لم فيروز ، فرفعها على رُحْ لينظر اليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا
قدره وبقيته ويخرجوا من متابعتة ، فانتقض عسكر فيروز واختلقوا وما لبثوا إلا يسيراً
حتى أنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز ، فقال اخشنوار : لقد صدق الذى
قال : لا رادَ لما قُدِّر ، ولا أشدَّ إحالةً لمنافع الرأى من الأهوى والبلجج ، ولا اضيع
من نصيحة يُمنحها من لا يوطن نفسه على قبولها والصبر على مكروها ، ولا أسرع
عقوبة ولا أسوأ عاقبة من البنى والقدر ، ولا أجلب لعظيم العار والقُصُوح من إفراط
الفخر والأنفة .

- وقال أبو البقطان : لما أخرج شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي بالموصل بعث إليه
الجباج قائد قتله ثم قائداً قتلته كذلك حتى أتى على خمسة قواد قتلهم وهزم جيوشهم
وكان أحد القواد موسى بن طلحة بن عبيد الله ، ثم أخرج شبيب من الموصل يريد
الكوفة وخرج الجباج من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب أن يلقي الجباج قبل

أن يصل الى الكوفة فَأَخْمُ الحِجَاجُ خِيْلَهُ فَنَسَلَ الكُوفَةَ قَبْلَهُ ، وَمَرَّ شَيْبُ بَنَاتٍ بِنَ وَرَقَاءَ فَقَتَلَهُ وَمَرَّ بِعَبْدِ الرَّحَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَقَدِمَ شَيْبُ الكُوفَةَ وَآلَى الْأَيْبَرِجَ عَنْهَا أَوْ يَلْقَى الحِجَاجَ فَيَقْتُلُهُ أَوْ يُقْتَلُ دُونَهُ ، فَخَرَجَ الحِجَاجُ إِلَيْهِ فِي خِيْلِهِ ، فَلَمَّا قُرِبَ مِنْهُ عَمِدَ إِلَى سِلَاحِهِ فَأَلْبَسَهُ أَبَا الْوَرْدَ مَوْلَاهُ وَحَمَلَهُ عَلَى الذَّابَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا تَوَاقَفَا قَالَ شَيْبُ : أَرُونِي الحِجَاجَ ، فَأَمَّا وَآلَهُ إِلَى أَبِي الْوَرْدِ فَعَمِلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الكُوفَةِ يَرِيدُ الْأَهْوَازَ فَفُرِقَ فِي دُجَيْلٍ وَهُوَ يَقُولُ (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) .

الأوقات التي تختار للسفر والحرب

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري قال : كان أحب الأيام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسجد فيه رايته يوم الخميس ، وكان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر فيه يوم الخميس .

وقالت العم : أنشأ الحرب ما استطعت فإن لم تجد بدا فاجعل ذلك آخر النهار .
وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن عون عن محمد بن سيرين أن النعمان بن مقرن قال لأصحابه : إنني لقيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من أحب ما يلقى فيه إذا لم يلق في أول النهار إذا زالت الشمس وحلت الصلاة وهبت الرياح ودما المسلمون . وروى قوم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يكره الجمجمة والابتداء بعمل في حَقَّ القمر وفي حلوله في برج المقرب . [وقال بعضهم : كنت مع عمر ^(١) ابن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب ، فنظرت فإذا القمر بالديران فقلت : أنظر إلى القمر ما أحسن استواءه ! فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزله فضحك ، وقال : إنما أردت أن تنظر إلى منزله ، وإنما

(١) زيادة في النسبة إلى النخبة .

لا قيم لشمس ولا لقمر ولكنا نسير بالله الواحد القهار] . وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديعة ، ويوم الأحد يوم غرس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وأبتغاء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حرب وديم ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الخواشيخ ، ويوم الجمعة يوم خطب ونكاح .

الدعاء عند اللقاء

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية عن أبي إسحاق عن أبي رجاء قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا اشتتت حلقه البلاء وكانت الضيقة : « تضيق نفرجي » ثم يرفع يديه فيقول : « بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم كفف عنا بأس الذين كفروا إنك أشد بأسا وأشد تنكيلا فما يخفيض يديه المباركتين حتى يزل الله النصر .

- وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عتبة عن سالم أبي النصر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتباً له ، قال : كتب عبد الله بن أبي أوفى حين نخرج إلى الحرورية أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو أنظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : « لا تفتنوا لقاء العدو وأسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فأنبئوا وأصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قال : « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب أعزهم وأنصرنا عليهم » وقال أبو النصر : وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال : « اللهم أنت ربنا وربهم وهم عيدك ونحن عيدك ونواصيتنا ونواصيتهم بيدك فأعزهمهم وأنصرنا عليهم » .

- حدثني محمد بن عبيد قال : لما صاف قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع ما يصنع ؟ قالوا : هو في أقصى الميمنة جاثم على مية قوسه (١) كذا بالتسعين وهو عمرو بن عبد الله كافي تقريب التلخيص . (٢) حية القوس ما أنصف من طرفها .

يُضَيِّضُ بِإصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ . قَالَ قَتَيْبَةُ : تِلْكَ الإِصْبَعُ الْقَارِدةُ أَحَبُّ إِلَى مَنْ مَاتَ
أَلْفَ سَيْفٍ شَيْدٍ وَسَنَانٍ طَرِيرٍ . فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ قَالَ لِمُحَمَّدٍ : مَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟
قَالَ : كُنْتُ أَخْذُ لَكَ بِجَمَاعِ الطَّرِيقِ .

الصبرُ وحضُّ الناسِ يومَ اللقاءِ عليه

٥ حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ كَانَ عَاصِمُ بْنُ الْحَدَّادِ رَجُلًا مِنَ
العَرَبِ عَالِمًا قَدِيمًا وَكَانَ رَأْسَ الْخَوَارِجِ بِالْبَصْرَةِ وَرَبَّمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ مِنْهُمْ مِنَ
الْجَزِيرَةِ يَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ الْأُمُورِ يَخْتَصِمُونَ فِيهِ فَنَزَّاهُ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ لِأَبْنِهِ : أُنْشِدْ
أَبَا فَرَّاسٍ فَأَنْشَدَهُ

وَهُمْ إِذَا كَسَرُوا الْجَفُونَ أَكْرَمُ * صَبْرٌ وَحِينَ تُحْلِلُ الْأَزْوَارُ
يَشْتَوْنَ حَوَامِثَ الْمَنُونِ وَإِنَّمَا * فِي اللَّهِ عِنْدَ نَفْسِهِمْ لِبَصَارُ
يَعْمَلُونَ فِي الْخَطَى لَا يَنْتَهُمُ * وَالْقَوْمُ إِذَا رَكَبُوا الرِّمَاحَ تَجَارُ ١٠

فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : وَيْحَكَ ! أَكْتُمُ هَذَا لَا يَسْمَعُهُ النَّسَاجُونَ فَيُخْرِجُوا عَلَيْنَا
بِحُفُوفِهِمْ . قَالَ عَاصِمٌ : يَا فَرَزْدَقُ ، هَذَا شَاعِرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ شَاعِرُ الْكَافِرِينَ .^(١)

١٥ حَدَّثَنَا سَهْلٌ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ قَالَ سَلِيطُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ لِسُطَّامِ بْنِ قَيْسٍ
لَقَوْمِهِ : تَرِيدُونَ عَلَى قَوْمِ آثَارِهِمْ أَثَارَ نِسَاءٍ وَأَصْوَاتِهِمْ أَصْوَاتَ صِرْدَانٍ وَلَكِنْهُمْ صَبْرٌ
عَلَى الشَّرِّ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ . وَفِي هَذِهِ قَوْلُ مَعَاوِيَةَ : لَوْ أَنَّ الْجَوْمَ تَنَازَلَتْ لَسَقَطَ
قَرَاهَا فِي جُجُورِ بَنِي يَرْبُوعَ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قُلْتُ لِسَلِيطَ : أَكُنْ عَتِيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ^(٢)
ضَخْمًا ؟ قَالَ : لَا وَلَا مِنْ قَوْمِ ضَخْمٍ . يَعْنِي بَنِي يَرْبُوعَ .

(١) الْحَفُّ الْمَسَّحُ وَجَمْعُ حَفِيفٍ . (٢) فِي النُّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ «عَتِيْبَةُ» وَهُوَ مَحْمُودٌ .

- (١) [وقال عمر بن الخطاب لبني عيسى: كم كنتم يوم الهبأة؟ فقال: كنا مائة كالعشب، لم نكثر فتوا كل ولم يقل فنذل. قال: فكيف كنتم تظهرون من فؤادكم ولستم بأكثر منهم عدداً ولا مالا؟ قال: كنا نصبر بعد اللقاء هنية. قال: فذلك إذا. قيل لعنترة العبسي: كم كنتم يوم الفروق؟ قال: كنا مائة لم نكثر فنشغل ولم يقل فنذل.]
 وكان يقال: النصر مع الصبر. ومن أحسن ما قيل في الصبر، قول نهشل بن حريّ ابن صخرة

ويوم كأن المضطّلين بحمّته * وإن لم تكن نأز قياماً على الجمر
 صبرنا له حتى يئوخ وإنما * تُفزع أيام الكربة بالصبر

ومثله قول الآخر

- ١٠ بكى صاحبي لما رأى الموت فوقنا * مطلاً كإطلال السحاب إذا آكفهر
 قلت له لا تبك عينك إنما * يكون غدا حسن الثناء لمن صبر
 فما أتر الإجمام يوماً معجلاً * ولا عجّل الإقدام ما أتر القدر
 فأتى على حال يقل بها الأمى * وقاتل حتى استبهم الورد والصدر
 وكرّحفاً خشية العار بعد ما * رأى الموت معروضاً على منهج المكر
 ١٥ وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه: احرص على الموت
 توهب لك الحياة. ويقول العرب: الشجاع مؤقى. وقالت الخنساء
 نهن النفوس وهون النفوس * من يوم الكربة أوقى لما

وقال يزيد بن المهلب

تأخرت أمدتي الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن أهنأ

- (١) زيادة في النسخة الألمانية. (٢) أرض لشفان ويومها من أيام العرب كان فيه الصربيس
 على ذبيان. (٣) موضع بذيابن سعد ويومه من أيام حروب عيسى وذيابن أمنا.
 (٤) في الألمانية مطلاً كإطلال الخ بالقاء المسجبة.

وقال قَتَرِيَّ بنُ الفُجَّاءِ

وقولِي كَلِّمًا جَشَّاتُ وجِلَّشْتُ * من الأبطالِ ويحك لا تُرَأَى
فأنكِ لو سالتِ حياةَ يوم * سوى الأجل الذي لك لم تُطاعِي

(١) [وقال معاوية بن أبي سفيان شجعتني على علي بن أبي طالب قول عمرو بن الإطنابة .

أبت لي عَقَسَى وأبى بلائِي * وأخذني الحمد بالثمن الرِّيح

واقصدني على المكره قَسَى * وضربني هامةَ البطل المِشِيع

وقولِي كَلِّمًا جَشَّاتُ لنفسي * مكانك تُجهدِي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحاتِ * وأحمي بعدد عن عِرْضِ صحيح

أبت لي أن أفضِي في فُعالِي * وأن أفضِي على أمر قبيح

وقال ربيعة بن مقروم

ودعواترَّالِ فكنتُ أوَّلَ نازل * وعلام أركبه إذا لم أنزل

وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يلزم الناس ويقول: يا أهل الإسلام، إن

الصبر عز وإن الفشل عجز وإن النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب .

إنَّ الشَّوَاءَ والنَّشِيلَ ^(٢) والرَّغْفَ * والقينةَ الحسناءَ والكأسَ الأثْفَ

للضاريين الخليلَ والليلَ قُطْفَ

وقال أعرابي: الله يُخلف ما أتلِفَ الناسُ، والدهرٌ يتلف ما جمعوا، وكَم من مِيتَةٍ

عَلَّتها طلب الحياة، وحياة سببها التعرُّض للوت . ومثله قول أبي بكر الصديق لخالد:

أحرص على الموت تُوهب لك الحياة .

(١) [قَدِمْتُ مُنْهَزِمُهُ الروم على هِرَقل وهو بِأَطَلَايَا، فدموا رجلا من عظامهم فقال :

ويحك ! أخبروني ما هؤلاء الذين تهاونونهم ؟ أليسوا بشرًا مثلكم ؟ قالوا : بلى . يعني

(١) زيادة في النسبة الألمانية . (٢) يشبههم ويضاهيهم على القتال .

(٣) ما طبع من العلم بغير تأويل .

- العرب . قال : فأتهم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضغاث في كل موطن .
 قال : وليكم ! فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم ؟ فسكتوا ، فقال شيخ منهم :
 أنا أخبرك أيها الملك من أين تَوْتُونَ . قال : أخبرني . قال : إذا حملنا عليهم صبروا
 وإذا حملوا علينا صدقوا ، ويحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال : وليكم
 فما بالكم كما تصفون وهم كما تزعمون ؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت
 من أين هذا ؟ قال له : من أين هو ؟ قال : لأت القوم يصومون بالنهار ويهيمون
 بالليل ويؤفون بالعهد وبأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يظلمون أحدا
 ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام ونتقض العهد
 ونظلم ونظلم ونأمر بما يُسخط الله ونهَى عما يرضى الله ونفسد في الأرض .
 قال : صدقتني ، والله لأخرجن من هذه القرية فما لي في صحبتكم خير وأتم هكنا .
 قالوا : نُشهدك الله أيها الملك ، تدع سُورِيَّةَ وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد
 الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يؤت عليهم] .

ذكر الحرب

- قالت العرب : الحرب غَشُومٌ ، لأنها تنال غير الجاني . وقال الكبيش
 الناس في الحرب شتى وهي مقبلة * ويستون اذا ما أدبر القُبل
 ١٥ كَلَّ بِأَمْسِيهَا طَلَبٌ مَوْلِيَّةٌ * والعالمون بذى فُدُوجِهَا قُلَلٌ
 وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمر بن مَعْدِيكَرِبَ : أخبرني عن الحرب .
 قال : مُرَّةُ الْمَنَاقِ إِذَا قَلَصَتْ عَنْ سَاقٍ ، مَن صَبَرَهَا عُرِفَ وَمَنْ ضَعَفَ عَنْهَا
 تَلَفَ . وهي كما قال الشاعر
 ٢٠ الحرب أَوَّلُ مَا تَكُونُ قَبِيَّةٌ * تسعى بزيتها لكل جهول

حتى إذا استمرت وشبَّ ضرامها * عادت عجوزاً غِرذات خليل^(١)
تَمْتَطَاء بَرَزَتْ رَأْسَهَا وَتَكَرَّتْ * مَكْرُوهَةً لِلَّسِّ^(٢) وَالتَّقْيِيلِ

كان يزيد بن عمر بن هبيرة يحب أن يضع من نصرين ميار فكان لا يمتد بالرجال ولا يرفع ما يرد عليه من أخيار خراسان، فلما كثرت ذلك على نصر قال

أرى خَلَّ الرِّمَادِ وَيَضُّ جَمِيرٌ * ويوشك أن يكون له ضِرامٌ
فإن النار بالعودين تَذْكِي * وإن الحرب أولها الكلام
فإن لم يُطْفِئها عقلاء قوم * يكون وقودها جُثَّةٌ وهَامٌ
قلعت من التعجب ليت شعري * أليساظ أمية أم نيام

ونحو قوله: «الحرب أولها الكلام» قول حذيفة: إن الفتنة تُلْقِحُ بالنجوى وتُتَجِّحُ

بالشكوى . ١٠

العتبي عن أبيه قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبنة الحسن: يا بُنَيَّ
لا تدعوا أحدا إلى البراء، ولا يدعوك أحد إليه إلا أجبتَه فإنه بُنَيَّ .

في العدة والسلاح

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خُصيفة عن السائب^(٢)
ابن يزيد - فيما حفظت إن شاء الله - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه درعان
يوم أُحُد . قيل لعبد بن الحُصَيْن وكان أشدَّ رجال أهل البصرة : في أي مدة
تحب أن تلقى عدوك؟ قال : في أجل مُستأجر .

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا داود بن أبي هند
عن عكرمة قال : لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجَنُوبُ لِلشَّمالِ : أُنْطَلِقِي بنا مُجِدَّ

(١) في القلندر يد «حليل» بالهاء المهملة وفيه أيضا كما في الفتوغرافية «النم» بدل اللام .

(٢) في الأصل «خليفة» بالهاء المهملة وهو تحريف والتصويب والضبط عن كتب التراجم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إنا الحرة لا تمرى بالليل ، فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن أبي الزناد قال : ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطعه إلى القربوس فقالوا : ما أجود سيفك ! فغضب ، يريد أن العمل ليله لا سيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحرى يصف سيفا

ماض وإن لم تمضه يد فارس * بطل ومصقول وإن لم يمسقل
متوقد يفسرى بأول ضربة * ما أدركت ولو أنها في يدي

وقال آخر

- ١٠ وما السيف إلا بزغاد لزينة * إن لم يكن أمضى من السيف حاملة
رأى الجراح بن عبد الله في بعض الحروب وقد ظاهرين درعين ، ف قيل له في ذلك ، فقال : إني لست أقي بدني وإنما أقي صبري . واشترى يزيد بن حاتم أدراعا وقال : إني لم أشترا أدراعا إنما اشتريت أعمارا .

وقال حبيب بن المهلب : ما رأيت رجلا في الحرب مُستلما إلا كان عندي

- ١٥ رجلين ، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندي واحدا . فسمع هذا الحليث بعض أهل المعرفة فقال : صدق ، إنا للسلح فضيلة . أما تراهم يتأدون عند الصريح : السلاح^(٢) السلاح ولا يتأدون : الرجال الرجال . قال المهلب لبني : يا بني لا يقعدت أحد منهم في السوق ، فإن كنتم لا بد فاعلين فإلى زراد أو سراج أو وراق . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن معد يكرب : أخبرني عن السلاح . قال : سل عما شئت منه . قال : الزح ؟ قال : أخوك وربما خالك . قال النبيل ؟ قال : منابا تحطى وتصيب .
(١) في النسخة الألمانية «الكوة» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

قال : التَّرس ؟ قال : ذاك الحِجَن وعليه تدور التوائِر . قال : الدَّرع ؟ قال :
مُثَقِّلَةٌ ^(١) للراجل مُتَبِعَةٌ للفارس ، ولِئِهَا لِحْصَنٌ حَصِين . قال : السيف ؟ قال : سَمٌّ ،
فَارَعَتْكَ أُمُّكَ عَنِ التَّكَلُّ . قال عمر : بل أُمُّكَ . قال « الحُمَّى أَضْرَعَتْكَ لَكَ » ^(٢) .

وقال الطائي يصف الرماح ،

مُتَقَفَّاتٌ سَلَبَنَ الرُّومَ زَرْقَتَهَا * وَالْعُرْبُ تُمَرَّتْهَا وَالْعَاشِقُ التَّقْضِفَا ^(٣)

وقال دِخِيلٌ يصف الرُّحْمَ

وَأَسْمِرٌ فِي رَأْسِهِ أَزْرَقٌ * مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي

وقال الشاعر

تَلَمَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنْسٍ * فَالْمَوْتُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

أَطْلَهَ مِنْكَ حَتْفٌ قَدْ تَجَلَّاهُ * حَتَّى يُوَافِرَ فِيهِ رَأْيُكَ الْقَدَرُ ^(٤)

أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ إِلا عِنْدَ قُدْرَتِهِ * وَلَيْسَ لِلْسَّيْفِ عَفْوٌ حِينَ يَقْتَدِرُ

وقال آخر

مَنْ تَقَفَّتِي يَمْلُؤُ بِبِزْيٍ مَقْلُصٌ ^(٥) * كَيْتٌ بِهَيْمٍ أَوْ أَغْرٌ مَحْجَلٌ

تَلَاقِي أَمْرًا إِنْ تَلَقَّاهُ فَبَسِيفُهُ * تُصَالِكُ الْإَيَّامَ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ

وقال علي رضي الله عنه : السيف أنى عددا وأكثر ولدا ^(٦) . وفي الحديث « بَقِيَّةُ

السيف مباركة » يعني أن من نجا من ضربة السيف بنحو عدده ويكثر ولده . وقال

الهلبي : ليس شيء أنى من سيف . ويقال : لا بمجد أسرع من مجد سيف .

(١) في الأصلية « مشقة » والتصويب عن العقد الفريد . (٢) هكذا ورد في جميع الأمثال وفي النسخة
الألمانية : « إيلك » . (٣) الناقة . (٤) في الفتحوغرافية « ربه » (د) قال في اللسان : البز
والبرية السلاح ويدخل فيه الدرع والمنفر والسيف . (٦) هكذا في النسخة الألمانية ، وفي الفتحوغرافية
« السيف أنى عددا وأكرم ولدا » ، وفي نسخة البلاغة بقية السيف أنى عددا وأكثر ولدا . ولعله الصواب .

وكانت درع على رضى الله عنه صدرا لا ظهر لها قفيل له في ذلك فقال : إذا
استمكن عدوى من ظهري فلا يُتَّقِ . وقال أبو الشَّيْص

ختلته المنون بعد اختيال * بين صَفَيْنِ من قَتَا ونَصَال

في رداء من الصفيح صَقِيل * وقبض من الحديد مُدَال

- بلغ أبا الأغر^١ أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شر^٢ فبعث ابنه الأغر^٣ وقال :
يا بُنَيَّ كن بدا لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف فإنه ظل الموت ، وأتق
الرح فإنه ريشاء المنية ، ولا تقرب السهام فإنها رُسل لا تُؤامِرُ مُرسلها . قال : فبما ذا
أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر

جَلَامِيدُ يَلَانُ الْأَكْفَ كَاتِبَا * رهوس رجال حُطَّتْ فِي الْمَوَاسِ

- ١٠ وقال الخُرَّمِيُّ في بغداد أيام الفتنة

يا بؤسَ بِنْدَادَ دار مملكة * دارت على أهلها دوائرُها

أَمَهلها الله ثُمَّ عاقبها * لما أحاطت بها بجائرُها

رق بها الدين وأستخفَّ بذى الشَّفِضِلِ وعزَّ الرجال فاجرُها

وصار ربَّ الجيران فاسقُهم * وأبترَّ أَمَنَ الدُّروبِ شاطرُها

- ١٥ يحرق هذا وزنا يهتَمُّها * ويشتغى بالنَّهَابِ داعرُها

والصَّرخ أسواقُها معطلة * يَسْتَرْشِدُ شِدَائُهَا وعائرُها

أخرجت الحربُ من أساقطهم * أسادَ غِيَلٍ قُلُوبُها مُساورُها

من البواري تراسُها ومن الشَّحُوصِ إذا استلَّمتْ منافرُها^(٢)

لا الرزقُ تبغى ولا العطاء ولا * يحشُرُها بالعناء حاشِرُها^(٣)

- ٢٠ (١) في الطبري « عيارها » . (٢) جمع يارى بتشديد الياء وهو الحصر والتدوير .

(٣) في الطبري « قناء » .

ونحوه قول علي بن أمية

دعنا أمور تُسبب الوليد * ويَحْتَلُّ فيها الصديق الصديق
فناء مُبِيد ودُعر عِتيد = وجوع شديد وخوف وضيق
وداعى الصباح بِطُول الصباح السَّلاح فاستفيق
فبالله نبلُح ما نرتجى * والله تدفع ما لا نُطيق

جنى قوم من أهل الإمامة جناية فإرسل إليهم السلطان جندا من بُخَّارية ابن زياد، فقال رجل من أهل البادية يذمر قومه : يا معشر العرب ويا بني المحصنات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لينة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وضعوها بالأرض واعتراكم من تُسَاب مهمهم في جِصَاب كأنها أيور الفيلة ينزعون في قسي كأنها القتلى فتقطع أهداهن أطيط الرُّنوق يقطع أحدهم فيها حتى يتفرق شعر إبطيه ثم يرسل تُسابة كأنها رشاء منقطع فما بين أحدكم وبين أن تتفصيح عيته أو ينصدع قلبه منزلة، نخل قلب القوم فطاروا رجا .

آداب الفروسة

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان قال : كتب عمر رضي الله عنه : اتقروا واركدوا واتملوا وألقوا الخفاف وارموا الأغراض وألقوا الرُّكَبَ وأنزوا نزوا على الخيل وعليكم بالمعدية، أو قال العربية . ودعوا التتم وزى العجم ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكنا ، ورفع أصبعيه . وقال أيضا : لن تحور قوى ما كان صاحبها يتروع ويترو . يعني يترع في القوس ويترو على الخيل من غير استعانة بالركب . وقال

(١) كذا بالأملين والصواب بخارية زياد وهي سكة بالصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخاري حين استول عليها من خاتون ملكها وكانتوا جيدي الرمي بالقتاب .

العمري . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده النبي أذنه ^(١) [أي يمسك بيده اليسرى] أذنه فرسه اليسرى [ثم يجمع برأيه ويثب فكأنما خلق على ظهر فرسه .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين : عضوا على التواجد من الأضراس فانه أنبي للسيوف عن الهام . وأقاموا رجلا بين العقابين فقال له أبوه : طدّ رجلك وأصرّ إصرار القوس واذكر أحدث غد وإياك وذكر الله في هذا الموضع فانه من القشل . [وقال غيره طدّ رجلك إذا احتضيت بالسيف والعصا وأنت مخير ^(٢) في رفقه ساعة المسألة والمودعة] .

وقرأت في الآيين أن من إجادته الرمي بالنشاب في حال التعلم إمساك المتعلم القوس بيده اليسرى بقوة عضده الأيسر والنشابة بيده اليمنى وقوة عضده الأيمن وكفه أميديه ^(٣) وإلقاءه بيصره إلى معلم الرمي وإجادته نصب القوس بعد أن يطأطئ من سبيلها بعض الطأطأة وضبطه إياها بثلاث أصابع وإحتاؤه السبابة على الوتر ، وإمساكه بثلاثة وعشرين كأنها ثلاثة وستون وضمه الثلاثة ضما وتحويله ذقته إلى منكبه [الأيسر] ^(٤) وإشرافه رأسه وإرخاؤه عنقه وميله مع القوس وإقامته ظهره وإدارته عضده ومقطعه القوس مترافعا ونزعه الوتر إلى أذنه ورفعته بياض عينيه من غير تصرف لأستانه وتحويله لعينه وارتماش من جسده واستبائته موضع زجاجة النشاب .

وقرأت في الآيين : من إجادته الضرب بالصولجان أن يضرب الكرة قدما ضرب خلسة يديره يده إلى أذنه ويحيل صولجانه إلى أسفل من صدره ويكون ضربه متشازدا متوقفا مترسلا ولا يفعل الضرب ويرسل السنان خاصة وهو الحامية لجاز الكرة إلى غاية الغرض ثم الحق للكرة من موقعا ، والتوتى للضرب لها تحت محزم

(١) زيادة في النسخة الأتانية وفي البيان والبيان « يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى » . (٢) زيادة في النسخة الألمانية . (٣) كما بالألمانية « رفها » . (٤) في الألمانية : « وكفه الصدر » . (٥) حارة النسخة الفارسية ولا يفعل الضرب (رسلا البيان ؟) خاصة وهو الحامية لجاز الكرة الخ .

الدابة ومن قبل لَبَّتْها في روق، وشَتَمًا لِمَزاوله والمُجَاحِشَة على تلك الحال والتركُّ للامتناعة في ضرب الكرة بسوط والتأثير في الأرض بصولجان والكسِر له جهلا باستعماله أو عقير قوائم الدابة، والاحتراس من إيذاء من جرى معه في ميدانه، وحسن الكف للذابة في شِبْطَة جريه، والتوقُّ من الصُّرعة والصَّدْمة على تلك الحال، والمجانبة للغضب والسَّب، والاحتياط والمُلاحاة، والتحفُّظ من إلقاء كُرَة على ظهر يديت وإن كان ستُّ كُرَيْنَ بدرهم، وترك طرد النَّظَّارة والجُلُوس على حيطان الميدان فإن عرض الميدان إنما جعل ستين ذراعًا لثلاثيَ مِئَالٍ ولا يُصَارُّ من جلس على حائطه.

وقال أبو مسلم صاحب الدعوة لرجاله: أشعروا قلوبكم بالجرأة عليهم فانها مسبب الظفر، واذكروا الضغائن فانها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعة فانها حصن المحارب.

المسير في الغزو والسفر

حدثنا شَيْبَة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن معدان بن حدير الحضرمي عن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَيْر عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل الذين يَفْزُونَ من أمتي يأخذون الجُلَّ يَتَقَوَّونَ به على عدوهم كمثل أُم موسى تُرضع ولها وتأخذ أجراها». حدثني محمد بن عبيد عن ابن صينة عن عبد الرحمن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب قال: لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم المُعَرَّس أمر متاديا فتأدى: لا تَطْرُقُوا النساء. فتعجل رجلان فكلهما وجد مع امرأته رجلا. وكانت العرب تهول: السفر ميزان القوم. وتأمر بالمُحِلَّات وهي الدلو والقاس والسفرة والقنبر والقنطرة، وإنما قيل لها مُحِلَّات لأن المسافرين يحمل حيث شاء ولا يبالي ألا يكون بقره أحد.

(١) في الميدان «السفر ميزان السفر» أي أنه يُقَرَّن أخلاق المسافرين، وفي القنطرة سفرة القوم وهو يرجع إلى هذا المعنى أيضا.

١٠

١٥

٢٠

- حدثني عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال ، قال لقمان لابنه : « يا بني إذا سافرت فلا تنم على دابتك فإن كثرة النوم سريع في دبرها ، فإذا نزلت أرضا مكثثة فأعطها حظها من الكلاء وأبدا بملفها ومسبقها قبل نفسك وإذا بددت عليك المنازل [فليكن بالدج^(١) فإن الأرض تطوى بالليل . وإذا أردت التزول] فلا تنزل على قارعة الطريق فإنها مأوى الحيات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها كلاء فأترفأ ، وإذا نزلت فصل ركبتين قبل أن تجلس وقل (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُتَرَلًّا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) . وإذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب في الأرض وعليك بالشترة . وإذا أرتحلت من منزل فصل ركبتين وودع الأرض التي ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فإن لكل بقعة من الأرض أهلا من الملائكة . وإذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثر من ذكر الله فإن الجبال والبقاع ينادى بعضها بعضا : هل مر بك اليوم ذاكر لله ؟ وإن أستطعت ألا تطعم طعاما حتى تصبى منه فأفعل . وعليك بذكر الله جل وعز مادمت راكبا وبالتسبيح مادمت صائما وبالدهاء مادمت خاليا . وإياك والسير في أول الليل وعليك بالتعريس والدبلة من نصف الليل إلى آخره . وإياك ورفع الصوت في سيرك إلا بذكر الله ، وسافر بسيبك وقوسك وجميع سلاحك وخفك وعمامتك وإرتك وخيوطك وتزود معك الأدوية تتفجع بها وتنفع من صحك من المرضى والزمنى . وكن لأصحابك موافقا في كل شيء يقربك إلى الله ويباعدك من معصيته . وأكثر التمس في وجوههم وكن كريما على زادك بينهم وإذا دعوك فأجبهم ، وإذا استعانوك فأعنهم وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم وأجهد رأيك . وإذا رأيتهم يمشون فامش معهم أو يعملون فاعمل معهم . [وإن تصبى أو أعطوا فاعط^(١)] . واسمع لمن هو أكبر منك . وإن تحيرت في طريق فانزلوا ، وإن شككت في القصد فتبينوا وأمروا ، وإن رأيته خيالا واحدا

(١) زيادة في النسخة الألمانية ،

فلا تسألوه عن طريقكم فإن الشخص الواحد في القلاة هو الذى حيركم واحذروا
الشخصين أيضا إلا أن تروا ما لا أرى فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن
العقل اذا أبصر شيئا بعينه عرف الحق بقلبه .

• علم أعرابي بنيه إتيان الناطق في السفر فقال لهم : اتبعوا الخلاء وجانبوا الكلا
وأعلوا الضراء^(١) وأخجوا إلحاج النعامة وامسحوا بإشتملكم .

[وقال عمرو بن العاص للحسن بن علي بن أبي طالب رحمهما الله : يا أبا محمد، هل
تثمت الخراءة؟ فقال : نعم، تُثمد المشى في الأرض الضَّحَضَح حتى تنواري من القوم،
ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستنج بالزَّوْنة ولا العظم ولا تبذل في الماء الراكد] .

أراد الحسن البصري الحج ، فقال له ثابت : بلغنى أنك تريد الحج فأجبت
أن نصطحب . فقال : ويحك ! دعنا نتأيش بستر الله ، إني أخاف أن نصطحب
فيري بعضنا من بعض ماتماقت عليه . وفي الحديث المرفوع عن ربيعة عن الوضين بن
عطاء عن محفوظ بن علقمة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه
« أما إنك إن ترائف غير قومك يكن أحسن خلقك وأحق أن يُقتنى بك » .

أتى رجل هشاما أبا ذى الرمة الشاعر فقال له : إني أريد السفر فأوصني . قال : صل
الصلاة لوقتها فانك مصليا لا محالة فصلتها وهي تنفك ، وإياك وأن تكون كلب رُفقتك
فإن لكل رُفقة كلبا ينبج دونهم ، فإن كان خيرا شَرَّكوه فيه وإن كان طارا قلده دونهم .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عطاء عن أبيه
قال : اذا ضللت لأحدم ضالة فليقل : اللهم رب الضالة تهدي الضالة وترد الضالة
اردد على ضالتي ، اللهم لا تبلى بھلاكها ولا تتبعنا بطلبها ، ما شاء الله لا حول ولا قوة
إلا بالله . ياعباد الله الصالحين ردوا علينا ضالتنا . وإذا أردت أن تحمل الحمل الثقيل
فقل : ياعباد الله أعيثونا . [وقال أبو عمرو^(٢) : إذا ضللت لأحدم ضالة فليتوضأ

(١) الضراء ما وارك من شجر . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين ثم يشهد ويقول : بسم الله ، اللهم يا هادي الضالّ وراي الضالّ أرؤد على ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من فضلك وعطائك] .

- حدثني محمد بن عبيد عن حمزة بن وصة عن رجل من مرّاد يقال له أبو جعفر عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا علي ، أمانٌ لأمتي من الفرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن . وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره والأرضَ جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطوياتٍ بيمينه سبحانه وتعالى عما يُشركون . بِسْمِ اللَّهِ جَمْعًا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن محمد بن عجلان عن عمرو ابن شعيب قال : أراد عمر أن يغزو البحر جيشاً ، فكتب اليه عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دودٌ على عود بين فرق وبرق ^(١) قال عمر : لا يسألني الله عن أحد حملته فيه . وحدثني أيضاً عن معاوية عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال كان ابن عمر يقول في السفر إذا أشعر : سميع سامعُ محمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا . ويقول : اللهم صاحبنا فأفضل علينا ثلاثاً ، اللهم عائدك بك من النار ثلاثاً لا حول ولا قوة إلا بالله .

- وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ١٥ في سفره حين هاجر : « الحمد لله الذي خلقني ولم أكن شيئاً مذكوراً ، اللهم أعني على أهوال الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليل والأيام وأكفني شر ما يعمل الظالمون في الأرض ، اللهم في سفرى فأحميني ، وفي أهلى فأخلفني ، وفيما رزقنى فبارك لي ، ولك في نفسى فذلّني ، وفي أعين الصالحين فعظمني ، وفي خلقى فقومني ، وإليك ربّ حبيبي ، إلى من تكفني ربّ المستضعفين وأنت ربّي » .

٢٠

(١) البرق الحيرة والذهبي . وفي النسخة الألمانية « برق » وهو بحر من

وحدثني أيضا عن معاوية عن أبي أنحاق عن حاصم عن عبد الله بن مَرْجِس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول : «اللهم إني أعوذ بك من وَعَثَاء السفر وكَاثَةِ المُنْقَلَب والحَوَر بعد الكَوَر ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل» وزاد غيره «اللهم أطولنا الأرض وهون علينا السفر» .

• وقال مطرّف بن عبد الله لابنه : الحسنة بين السيئين وخير الأمور أوساؤها وشُرُّ السير الحَقِيقَةُ . وفي الحديث « لا تُحَقِّقْ فتقطع ولا تَبَاطُا تُسَبِّقَ ولكن أَقْصِدْ تَبَلُّغ » والحَقِيقَةُ أشدُّ السير . وفي حديث آخر « إن المُنْتَبِت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وقال المَرَار

تُحَطُّع بالترول الأرض عَنَّا * وَبُعْد الأرض يقطعها التزول

١٠ الأصمعي قال، قيل لرجل أسرع في سيره : كيف كان مسيرك ؟ قال كنت آكل الوجبة وأعرّس إذا أُنْحَرْتُ وأرتحل إذا أَسْفَرْتُ وأسير الوَضْع وأجتنب المَلْع بفتحكم لمُحِي سَبْع . قال أبو اليقظان : من السير المذكور مسير ذُوْان مولى آل عمر بن الخطاب، سار من مكة إلى المدينة في يوم وليلة، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى التَّمتة، فقال له أبو هريرة : حاجٌ غير مقبول منه . قال له : ولم ؟ قال : لأنك فَرَرْتَ قبل الزوال . فأنزع كلاب مروان بعد الزوال وقال

ألم تَرِنِي كَلَفْتُهُمْ سِيرَ لَيْسَلَة * مِنْ آل مَتَّى نَصَا إلى آل يَثْرِب
فأقسمت لاحتفك ما عشتُ سِيرَتِي * حديثا لمن وافى بجمع المحصَّب

ومن السير المذكور مسير حُذَيْفَة بن بدر، وكان أغار على هِجَاز [التيمان بن] المنذر ابن ماء الماء وسار في ليلة مسيرة ثمان، فقال قيس بن أَلِيطيم

هممتا بالإقامة ثم سرينا * كسبر حُذَيْفَة الحير بن بدر

- قال الشَّرْقِيُّ بْنُ الْقَطَّامِيِّ: خرجت من الموصل أريد الرِّقَّةَ فصَحْبَنِي قَتِيٌّ مِنْ أَهْلِ
الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِرْزُودٌ وَرَقُودٌ وعصا، ورأيتُه لا يفارقه
مُشاةً كما أُرُجِكُنا وهو يقول: إن الله جعل جَماعَ أمر موسى وأعاجيبه وبراهينه
ومآربه في عصاه، ويكثر من هذا وأنا أصحك متهاونا بنا يقول، فتخلف المكارى
فكان حمار الفتي إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حمارى ولا شيء في يدي فيسبِقُنِي
٥ إلى المنزل فيستريح ويُرِيح ولا أقدر على البرّاح حتى يوافيني المكارى، قلت: هذه
واحدة. ثم خرجنا من غد مُشاةً فكان إذا أعيّا توَكَّأ على العصا وربما أَحْضَرَ
ووضع طرفاً على الأرض فاعتمد عليها ومَرَّ كأنه منهم زَالِجٌ حتى انتهينا وقد تَفَسَّخَتْ
من الكلال وإذا فيه فضل كثير، قلت: وهذه أخرى. فلما كان في اليوم الثالث
١٠ هجمنا على حَيَّةٍ مَنَكْرَةٍ فساربت إلينا فأسلستُ إليها وهربت عنها فضرِبَها بالعصا حتى
قتلها، قلت: هذه ثالثة [وهي أعظمهن] وخرجنا في اليوم الرابع وبنا قَوْمٌ
إلى اللحم فاعترضتنا أربب فحذفها بالعصا وأدركنا ذَكَاتُها فقلت: هذه رابعة.
فأقبلتُ عليه فقلت: لو أن عندنا ناراً ما أخرت أكلها إلى المنزل. فأنزع عُويلاً من
مِرْزُودِهِ ثم حكَّه بالعصا فأوردتُ إِبْرَاءَ المَرِخِ والبقار، ثم جمع ما قدر عليه من الغنَاءِ
والخشيش وأوقد ناراً وألقى الأربب في جوفها فأنرجتها وقد لُزِقَ بها من الرماد
١٥ والتراب ما يفضها إلى فمِّها بيده اليسرى ثم ضرب جُنُوبَها بالعصا وأمراضها ضرباً
رقيقاً حتى انتثر كل شيء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس، قلت: هذه
خامسة. ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملائمة رَوَّنا وتراباً فلم نجد موضعاً نَظُلُّ
فيه فنظر إلى حديقة مطروحة في الدار فآخذها فجعل العصا نَصَباً لها ثم قام فحرف
٢٠ جميع ذلك الروث والتراب وجرّد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت:
وهذه سادسة. ثم نزع العصا من الحديقة فأوتدتها في الحائط وعلّق عليها ثياباً وثياباً

فقلت : هذه سابعة . فلما صرنا الى مَفْرِقِ الطريقين وأردت مفارقتها قال لي : لو عدلت معي بقيت عندي ! فعللت معه فأدخلني منزلا يتصل بيعة فما زال يحدثني ويُطِرُني الليل كله فلما كان السحر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى ففرع بها العصا فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس به قفلت له : ويحك ! أما أنت بمسلم ؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس ؟ قال : لأن أبي نصراني وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدتُ برُّه بالكفاية . وإذا شيطان مارد وأطرف الناس وأكثرهم أدبا فخرته بالذي أحصيتُ من خصال العصا ، فقال : والله لو حدثتك عن مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استغفرتُها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كنتم في الخصب فامكنوا الركب استمأ^(١) ولا تغفلوا المنازل وإذا كنتم في الجنب فاستنجوا وعليكم باللبلة فإن الأرض تطوى بالليل وإذا تقولت لكم النيران فنادوا بالأذان ولا تصلوا على جواد الطرق ولا تنزلوا عليها فإنها ماوى السباع والحيات ولا تقضوا عليها الحوائج فإنها الملاعن » .

وأراد أعرابي سفرا فقال لامرأته
عُدِّي السنين لغيري وتصبري * وذري الشهور فلنهن قصار
فاجابته

اذكر صبا بنتا اليك وشوقنا * وأرحم بناتك لمنهن صغار

(١) أوردته ابن الأثير بلفظ « أطعوا الركب استمأ » وقال تافلا عن أبي عبيد ان كانت القطة محفوفة فكأنها جع الأسان ، يقال لما نأكله الايل ورمناه من الشب من وجهه أسنان ثم أسنة . وقال الزنجشري ان الأسنة هنا الريح وقال في معناه : أطعوها ما تنفع به من النهر لأن صاحبها اذا أحسن رعيها سمعت وحسنت فوجهه فيجمل بها عن أن تعرف فيه ذلك بالأسنة فيوقع الاستماع بها ، وهو كما ترى مكلف لا يساعد عليه سيات الحديث . (٢) أي أمرها .

فأقام وترك السفر . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي
طربت إلى الأصبية الصغار * وهاجك منهم قرب المزار
وكل مسافر زداد شوقا * إذ أدت الديار من الديار

وفي الحديث المرفوع قال ابن مسعود : كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ فَكَانَ عَلَى
وَأَبُو لُبَابَةَ زَيْبِيلٌ^(١) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ إِذَا دَارَتْ عَقِبُهُمَا قَالَا :
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَكِبْ وَنَمْشِ عَنْكَ . فيقول « مَا أَنَا بِأَقْوَى مِنِّْي وَمَا أَنَا بِأَخْفَى عَنْ
الْأَجْرَيْنِ » .

خطب قتيبة بن مسلم على منبر نراسان فقال في خطبته : إذا غرستم فأطيلوا
الأطفار وقصروا الأشعار .

وقالت طائفة رضى الله عنها : « لا سهر إلا لثلاثة : مُصَلٍّ أَوْ عَرِيسٍ أَوْ مُسَافِرٍ .
وقال بعض الشعراء

سُرِرْتُ بِجَعْفَرٍ وَالْقَرِيبِ مِنْهُ * كَمَا سُرَّ الْمَسَافِرُ بِالْإِيَابِ
وَكُنْتُ بِقَرْبِهِ إِذْ حَلَّ أَرْضِي * أَمِيرًا بِالسَّكِينَةِ وَالصَّوَابِ
كَمْ طَوَّرَ بَيْلِدَتَهُ فَأَخْفَى * غَيْبًا عَنْ مَطَالِبَةِ السَّحَابِ

وقال آخر في مناه

وَكُنْتُ فِيهِمْ كَمْ طَوَّرَ بَيْلِدَتَهُ * فُسْرَانُ جَمَعَ الْأَوْطَانَ وَالْمَطَرَا

وقال آخر

إِذَا نَحْنُ أَبْنَاءُ سَالِمِينَ بَأَنْفُسِ * كَرَامَ رَجَتْ أُمْرًا غَابَ رَجَاؤُهَا
فَأَنْفُسُنَا خَيْرُ الْغَنِيمَةِ إِنَّهَا * تَوَوَّبَ وَفِيهَا مَأْوَاهَا وَحَيَاؤُهَا

وقال آخر

رجعنا سالمين كما بدأنا * وما خابت غنيمة سالمينا
 [وما تدرين أي الأمر خير * أما تهوين أم ما تكرهينا]

وقال بعض المحدثين

قبح الله آل برمك إني * صرت من أجلهم أبا أسفار
 إن يكن ذوالقرنين قد مسح الأثر * ض فإني موكّل باليسار]

التفسير^(٢)

حدثني أبي، أحسبه عن الهيثم بن عدي قال : لما كتب أبو بكر رضي الله عنه
 إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام وإلّا مكان أبي عبيدة بن الجراح، أخذ
 على السماوة حتى انتهى إلى قرقار، وبين قرقار وسوى خمس ليال في مفازة، فلم يعرف
 الطريق، فدلّ على رافع بن عبيدة الطائي وكان دليلاً خريّماً فقال لخالد : خلّف
 الأثقال وآسلك هذه المفازة إن كنت فاعلاً، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال : لا بد
 من أن نكون جميعاً . فقال له رافع : والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه
 وما يسلكها إلا مفرّح خاطربنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال : لا بد من ذلك . فقال
 الطائي لخالد : ابني عشرين جزوراً مساناً عظيماً ففعل فظلماتهم ثم سقاهن حتى
 روين ثم قطع مشافيرهنّ وكعصهنّ لئلا تجترّ، ثم قال لخالد : سرّ بالحيول والأثقال
 فكلما نزلت منزلاً نحرّت من تلك الجزر أربعة ثم أخذت ما في بطونها من الماء
 فسقته الخيل وشرب الناس مما ترودوا، ففعل . فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين التوسمين زيادة في النسبة الألمانية .

(٢) يقال فوز الرجل بباهل إذا ركب بها المفازة .

(٣) كذلك بالألمانية وفي النسبة القنوغرافية أبي عبيدة محمد بن سعيد وهو خطا إذا سم أبي عبيدة عامر
 ابن عبد الله بن الجراح القهري فله من سهو السامع .

وَجَهِدَ النَّاسَ وَعِطِشَتْ دَوَابُّهُمْ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : وَيْحَكَ، مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ : أَدْرَكَتِ الرِّىَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ شَجَرَةً صَوَّبَ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ؟ فَانْظُرُوا فَوَجَدُوهَا فَقَالَ : اخْفِرُوا فِي أَصْلِهَا فَخَفَرُوا فَوَجَدُوا عَيْنًا فَشَرَبُوا مِنْهَا وَتَرَقَّدُوا، فَقَالَ رَافِعٌ : وَاقِهِ مَا وَرِدَتْ هَذَا الْمَاءَ قَطُّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ. فَقَالَ رَاجِزُ الْمَسَامِينِ فِي ذَلِكَ

- قَدْ دَرَّ رَافِعٌ أَنِّي أَهْتَدِي * قَوْزٌ مِنْ قُرَاقِرٍ إِلَى مُسَوًى
أَرْضًا إِذَا سَارَ بِهَا الْجَيْشُ يَنْكِي * مَسَارَهَا قَبْلَكَ مِنْ إِنْسٍ أَرَى^(١)

قَالَ وَلَيْسَ مَرَّ خَالِدٍ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْيَشْبَرُ طَلَعَ عَلَى قَوْمٍ يَشْرُونَ وَيَبِيعُ أَيْلَهُمْ جَنَّةً وَأَحْلَمَ يَتَقَنَّى

- أَلَا عَلَّانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ * لَعَلَّ مَتَابَعًا قَرِيبٌ وَمَا تَدْرِي
أَلَا عَلَّانِي بِالزَّجَاجِ وَكَكْرًا * عَلَى كُنْهَاتِ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
أُظُنُّ خَيْسُولَ الْمَسَامِينِ وَخَالِنَا * سَيَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْيَشْرِ
فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ * وَقِيلَ خُرُوجُ الْمُعْصِرَاتِ مِنَ الْحَدَرِ

- فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَرَّغَ مِنْ قَوْلِهِ شَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمَسَامِينِ بِالسَّيْفِ فَضْرَبَ عَقْفَهُ فَلِذَا رَأَسَهُ فِي الْجَفْنَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَهْلِ الْيَشْرِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَصَابَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

- ابْنُ الْكَلْبِيِّ قَالَ : أَقْبَلَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَنِ يَرِيدُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَضَلُّوا الطَّرِيقَ وَوَقَعُوا عَلَى غَيْرِ مَاءٍ فَكُنُتُوا ثَلَاثًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْمَاءِ فَجَلَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَسْتَنْدِرِي بَعْضَ السَّمَرِ وَالطَّلَحِ يَأْسًا مِنَ الْحَيَاةِ، فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ أَقْبَلَ رَاكِبٌ عَلَى بَعِيرٍ فَأَنشَدَ بَعْضُ الْقَوْمِ بَيَّتَيْنِ مِنْ شِعْرِ أَمْرِئِ الْقَتَنِيسِ

- لَمَّا رَأَتْ أَنْ الشَّرِيعَةَ هُمَهَا * وَأَنْ الْبَيَاضَ مِنْ قَرَأَتِهَا دَايِي
تَجَمَّعَتِ الْعَيْنُ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ * بَعِيءَ طَلِيهَا الظَّلَّ عَرَمَ مَضَا طَايِي

(١) كَذَا بِالْأَلِفِ، وَفِي الْقَوَاعِدِ «أَدَى» بِالْهَاءِ وَلَهُ «أَرَى» بِمَعْنَى عَادَ وَرَجَعَ.

فقال الراكب : من يقول هذا؟ قالوا : امرؤ القيس . قال والله ما كذب، هذا ضارح عندهم، وأشار إليه، جثوا على الركب فإذا ماء غسق عليه الترمض والظلم يعني عليه فشرّبوا منه ريّهم وسقوا وحملوا حتى بلغوا الماء، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله أحيانا يبتان من شعر امرئ القيس قال : «ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها مفسى في الآخرة خامل فيها، يحيى يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار» .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب عن عمه الأصمعي عن رجل من بني سليم أن رُقعة ماتت من العطش بالشَّجِي، فقال الجحاج : إني أنظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجهد فأَحْضَرُوا في مكانهم الذي ماتوا فيه لعل الله يسقي الناس . فقال رجل من جلسائه : أيها الأمير قد قال الشاعر

ترامت له يرب الآوى وعُزِيْزٌ * وبين الشَّجِي بما أحال على الوادي

والله ما ترامت له إلا وهى على ماء . فأمر الجحاج عضيلة السامى أن يحفر بالشَّجِي بئرًا فحفر فأنبسط، ويقال : إنه لم يمِت قوم قط عطشا إلا وهم على ماء . قالت العرب «أن تَرَدَّ الماء بماء أُكْبِسُ» . ويقال في مثل : «بَرْدُ غَدَاةٍ غَرَّ عَبْدًا مِنْ ظُلْمًا» .

في الطيرة والقال

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هَرَبَ بعض البصريين من الطاعون فركب حمرا له ومضى بأهله نحو سَقَوَانَ فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول
لن يُسْبِقَ الله على حمار * ولا على ذئبٍ مَيْعَةٍ مَطَارٍ
أو يَأْتِيَ الخُفَّ على مقدار * قد يصبح الله أمام السَّارَى

(١) في الألمانية حيد الله وهو تمخريف .

(٢) هكذا في النسخين الألمانية والفرنغرافية، وفي سيم البلدان : «عبيدة السلى» .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان
يجب من يصدق بالطيرة ويبيها أشد العيب وقال : فرقت لنا ناقةً وأنا بالطف
فركبت في إثرها ففطنني هاني بن عتبة^(١) من بني وائل يركض وهو يقول
• والشر يلقى مطالع الآثم •

ثم لقيني رجل آخر من الحلى فقال وهو ليلى
ولقد بعثت لهم بقاً • ما البغاة يواجينها
ثم دفعت إلى غلام قد وقع في صفوه في نار فاحرقته ففج وجهه وفسد ، فقلت له :
هل ذكرت من ناقة فاريق؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها
قد تجمعت ومعهما ولدنا . يقال : ناقة فاروق : قد ضربها الطلق ، وسجاة فاروق :
قد دنا هراقة مائها . قال الموقش^(٢)

ولقد غنوت وكنت لا • أغنو على وافي وحاتم^(٣)
فإذا الأشائم كالآيا • من والأيمان كالأشائم
وكذلك لا خير ولا • شر على أحد بلدائم
[وقال آخر^(٤)

وليس يهاب إذا شد رحله • يقول عدائي اليوم وافي وحاتم^(٥)
ولكنه يمضي على ذاك مقبلاً • إنما صدعن تلك الهنات الخثاريم^(٦)

(١) في النسخة القنوزرافية : « حيد » . (٢) في النسخة القنوزرافية « المرق » وهو تحريف وقد أورد
في اللسان هذه الأبيات ونسبها للرقيش كما هنا ، وأورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب المرقش هذا
ضمن من أنكر الزير والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الرائق : الصرد ، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تتشام بها . (٤) زيادة في النسخة
الألمانية . (٥) في الأصل « الخثاريم » وهو تحريف والخثاريم كغلابط : الرجل المظفر . وقد أورد
في لسان العرب هذه الأبيات ونسبها إلى خثيم بن عدي وقيل للرقيش الكلبي يملح بها مسعود بن بحر ومرويه
ابن بري . أنظر اللسان مادة « ورقى » .

وقال آخر

تَعلَّم أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا * عَلَى مَظْطَبٍ وَهُوَ الثُّبُورُ
يَلِي، شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ * أَحَابِيسًا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ

حدثني الرياشي عن الأحمسي قال: سألت ابن عون^(١) عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضاً قسماً: يا سالم، أو باغياً فتسمع: يا واجد. وفي الحديث المرفوع «أَصْدَقُ الطَّيْرِ الْفَالُ». وفيه «الطَّيْرُ يُجْرَى بِقَدَرٍ» أراد أبو العالية أن يخرج من البصرة لعله كانت به فسمع متادياً ينادي: يا منوكل، فخط رحله وأقام.

وقال عكرمة كنا جلوساً عند ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. [قال كعب لابن عباس: ما تقول في الطيرة قال: وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات في كتاب الله المتزل. يعني التوراة].

حدثني محمد بن يحيى القطي^(٥) قال حدثني عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة

(١) كذا بالنسخة القتوغرافية وفي الألمانية «عن ابن عبد الله» ولم تشر في كتب التراجم على من تسمى بهذا الاسم سوى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهذا ما بين ستة عشر ومائة إلى عشرين ومائة هـ فلا يصح رواية الأحمسي عنه لأنه ولد سنة ١٢٢ فقل ما في القتوغرافية هو العوالب ويكون المراد به عبد الله بن عون بن أربطان البصري فقد توفي هذا في سنة ١٥١ أي والأحمسي في السن التي يلقى فيها عن مشايخه. (٢) في النسخة الألمانية «أبو النخاعة». (٣) في الألمانية «لقيقة كانت بها» وهو غير مناسب مع السياق. (٤) زيادة في النسخة الألمانية. (٥) كذا بالنسخة الألمانية من غير ضبط. وفي القتوغرافية «القطي» بضم أوله وفتح ثانيه بعدها ياء مثناة والصواب أنه «القطي» بضم أوله وفتح ثانيه من غير ياء. كاضيله في تحريف التهذيب ولعله نسب إلى قطيعة — بكهنة — بن عيسى ابن يمين وهو أبوس كافي القاموس وقد ذكر صاحب تهذيب التهذيب محمد بن يحيى هذا وقال إن من شيوخه عبد الأعلى. وهو ما يروى عنه. (٦) في الألمانية «ابن حسان» وهو تحريف.

يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنما الطيرة في المرأة والدار والباية
فطارث شققاً ثم قالت : كذب ، والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ، من حدث
بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة في الباية والدار والمرأة » ثم قرأت : (مَا أَصَابَ
مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا)

كان عبد الله بن زياد صوّر في دعليه كلباً وأسداً وكبشاً وقال : كلب نابع وكبش
ناطح وأسد كالج . وأنشدني أبو حاتم عن الأصمعي

يا أيها المضير هما لا تهم * إنك إن تُقدر لك الحى تُحم

ولو علوت شاهقا من العلم * كيف توثق وقد جفّ العلم

- ١٠ ولما أمر معاوية بقتل عُمير بن عبد الكندي في ثلاثة عشر رجلاً معه قال
عُمير : دعوني أصلي ركعتين فتوضاً وأحسن الوضوء ، ثم صلى وطوّل فقيل له : أجزعت ؟
فقال : ما توضأت قط إلا صليت ، ولا صليت قط صلاة أخف منها . وإن أجزعت قد
رأيت سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً مغفوراً . فقيل له : مدّ عنقك ، فقال : إن
ذلك لدم ما كنت لأعين عليه . فقتل فصرّت عنقه . وكان معاوية بعث رجلاً يقال
له هذبة لقتلهم ، وكان أعور ، فنظر إليه رجل من خشم فقال : إن صدقت الطيرة قُتل
١٥ نصفنا ، فلما قُتل سبعة بعث معاوية رسولا آخر يبايعهم فلم يقتل الباقون .

خرج كثير عزة إلى مصر يريد عزة ، فلقه أعرابي من نهد فقال : يا أبا صخر ،
أين تريد ؟ فقال : أريد غزة بمصر . قال : فهل رأيت في وجهك شيئاً ؟ قال : لا ،

(١) كذا بالألمانية ، وفي التتوграфия « عيد الله » وهما من أولاد زياد بن أبيه كما في المعارف لابن

قيّة ، ولا ندري أيها صاحب القصة .

إلا أني رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه ينتف ريشه . فقال له : توافي مصر وقد ماتت
عزة . فاتهمه كثير ثم مضى فوافي مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزة ، فقال
فما أعيف التَّهْدِي لا دَرَدْرُهُ * وأزجره للطير لا عزَّ ناصره
رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه * ينتف أعلى ريشه ويطاره
فأما غراب فاعتراب ووحشة * وبأن فيين من حبيب تعاشره

وهوى بعد عزة امرأة من قومه يقال لها : أُم الحوِث . فخطبها فأبت وقالت :
لا مال لك ، ولكن أخرج فأطلب فإني حابسة هسى طليكَ . فخرج يريد بعض بني
مخزوم ، فبينما هو يسير عن له طلي فكره ذلك ومضى فإذا هو بغراب يحسب التراب
على وجهه فكرهه وتطير منه ، فأتتهى إلى بطن من الأزدي قال لم ينو لهب ، فقال :
أفيكم زاجر؟ قالوا : نعم ، فأرشدوه إلى شيخ منهم فأنابه فقص عليه القصة ، فقال :
قد ماتت أو خلف عليها رجل من بني عمها . فلما انصرف وجدها قد تزوجت فقال

تيمت لهباً أطلب العلم عندهم * وقد رُد علم الماتعيف إلى لهب
فقال جرى الطير السَّيْح بيهن^(١) * فدونك فاهليل جد منهمير مكب
فإلا تكن ماتت فقد حال دونها * سواك خليل باطن من بني كعب

حدثني أبو صفيان الفتوى قال حدثني خالد بن يزيد الصنَّار قال حدثنا همام بن
يحيى عن قتادة عن حَضْرِي بن لَاحِق أَوْ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كُتِبَ إِلَى أَمْرَأَتِهِ : « إِذَا أَبْرَدْتِ إِلَى بَرِيدَا فَاجْمَلُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْأَمْرِ » .
[تخرج عمر إلى حرة وأقيم طلي رجلاً من جُهينة فقال له : ما أسمك ؟ قال :
شهاب . قال : ابن من ؟ قال : ابن بَجْرَة . قال : ومن أنت ؟ قال : من الحُرقة .

(١) كذا بالأصل وقد حذف من الشريخان يتصل بهما المعنى وما .

فيمت شيطاً منهم ذا أمانة * بصيراً بجزر الطير منحنى الصلب
فقلت لو ماذا ترى في سوانح * وصوت غراب يفحص الأرض بالتراب
(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى ضَرَامَ . فقال له عمر : أدرك أهلِكَ وما أراك تتركهم إلا وقد احترقوا ، فأناهم وقد أحاطت النار بهم] .

خرج ابن عامر الى المدينة فإذا هو في طريقه بنعامات خمس ، فقال لأصحابه : قولوا في هذه . فقال بشر بن حسان : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ولا طيرة » ومن علم شيئاً فليقله ولكني أقول : فتنة خمس سنين .

- قرأت في كتب العجم أن كمرى بعث وهرز الى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفوا قال وهرز لغلّام له : أخرج الى من الجُعبة نُشابة وكان الأسوار^(١) يكتب على كل نُشابة في جعبته ، فيها ما يكتب عليه اسم الملك ، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه ، ومنها ما يكتب عليه اسم ابنه ، ومنها ما يكتب عليه اسم أمّ رأته . فأدخل العبد يده فأخرج له نُشابة عليها اسم أمّ رأته فخطّره وقال : أنت المرأة وطريك طائر السوء . رُدّها .
- وهات غيرها . فردّها وضرب يده فأخرج تلك النُشابة بعينها ففكر وهرز في طائرته ثم آتبه فقال : زنان . وزنان بالفارسية : النساء . ثم قال : زن آن ، فإذا ترجعتُ اضرب ذلك قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها في كبد قومه ثم قال : صفوا لي ملكهم ، فوصفوه بياقوتة بين عينيهِ . ثم إنه مَغَطَّ في قومه حتى إذا ملأها سَرَحها فأقبلتُ كأنها رِشَاء منقطع حتى قَضَتِ البياقوتة فطار فُضاضها ثم فلقَتْ هامته وهُزِمَ القوم . وقال المعلوط

تَدَادَى الطائِرَانِ بَيْنَ سَلْمَى * على غصنين من غُرَبِ وِبانِ

فكان البان أن بانت سلمي * وفي الغُرب اغتراب غير داني

أخذ معناها أبو الشَّيْص فقال

أشأقك والليل ملقى الحِرَانِ * غراب ينوح على غصن بانِ

- أَحْصُ الجُنَاحَ شَدِيدَ الصَّبَاحِ * يَبْكِي بَيْنَيْنِ ما تَكْرِفَانِ

وفي نَيَّاتِ الغراب اغتراب * وفي البان بين بعيد التناي

(١) الأسوار بالضم والكسر قائد القوس . (٢) في الفتوغرافية « أياه » .

(٢) في الفتوغرافية : « حتى مكَّت البياقوتة فطارت فُضاضاً » .

وقال الطائي

أَتَضَعُ عِبْرَاتُكَ أَنْ دَعَتْ * وَرَقَاءَ حِينَ تَضَعُ الْعِظَامَ
لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا فَإِنْ بَكَاهَا * ضَحِكَ وَإِنْ بَكَاهُ اسْتَفْزَمَ
هَنْ الْحِمَامِ فَإِنْ كَسِرَتْ عِيفَاءً * مِنْ حَائِنٍ فَانْهَنْ حِمَامَ

٥ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ حَدَّثَنِي مَوْسَى بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ
إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنَّا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَزَلْنَا دَارًا فَكَثُرَ فِيهَا عَدَدُنَا وَكَثُرَتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا ثُمَّ
نَحْوَلْنَا مِنْهَا إِلَى أُخْرَى فَقُلْتُ فِيهَا أَمْوَالُنَا وَقُلْتُ فِيهَا عَدَدُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ذَرُوهَا وَهِيَ ذَمِيمَةٌ » .

١٠ بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ كُنَّاسَةَ عَنْ مَبَارَكِ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ سَفْيَانَ الثَّوْرِيَّ قَالَ : بَلَّغْنَا أَنَّ
أَعْرَابِيًّا أَضَاعَ ذَوْدًا لَهُ فَنَجَرَ فِي الطَّلَبِ حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ، فَوَازِعَرَابِيٍّ يَحْتَلِبُ نَاقَةً
فَنَشَدَهُ ضَالَّتْهُ فَقَالَ لَهُ : مَتَى نَحْرِجُكَ فِي الطَّلَبِ ؟ ادْنُ مِنِّي حَتَّى أَسْقِيكَ لَبَنًا وَأُرْسِدَكَ .
قَالَ : قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . قَالَ : فَمَا سَمِعْتَ ؟ قَالَ : عَوَاطِيسٌ حَوْلِي : فُتَاءُ الشَّاءِ
وَرُقَاءُ الْبَعِيرِ وَنُبَّاحُ الْكَلْبِ وَصِيَاحُ الصَّبِيِّ . قَالَ : عَوَاطِيسٌ تَنَاهَاكَ عَنِ الْفِدْوِ . قَالَ :
فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ عَرَّضَ لِي ذَنْبٌ . قَالَ : كَسُوبٌ ذُو ظَفَرٍ . قَالَ : فَلَمَّا طَلَعَتِ
الشَّمْسُ لَقِيتُ نَعَامَةً . قَالَ : ذَاتَ رَيْشٍ وَاسْمُهَا حَسَنٌ ، هَلْ تَرَكْتُ فِي أَهْلِكَ
مَرِيضًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَرْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ ضَالَّتَكَ فِي مَتْرَاكَ .

٢٠ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَمْرٍو الْخَبَطِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ يَحْيَى بْنُ أَبِي
عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ عَنْ يَتِيمٍ ^(١) عَنْ كَتَّابٍ قَالَ : كَانَتْ الشَّجَرَةُ تَهْتَبُ فِي مِحْرَابِ سُلَيْمَانَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكَلِّهُ بِلِسَانٍ ذَلِيقٍ فَقَوْلُ : أَنَا شَجَرَةٌ كَذَا وَفِي دَوَاءِ كَذَا .
فَيَأْمُرُ بِهَا سُلَيْمَانُ فَيُكْتَبُ اسْمُهَا وَمَنْفَعَتُهَا وَصُورَتُهَا وَتَقَطَّعُ وَتَرْفَعُ فِي الْخَزَائِنِ حَتَّى كَانَ
(١) فِي الْأَمَلِ « الشَّيْبَانِيُّ » بِالْثَنَيْنِ الْمُبْجَةِ وَهُوَ تَحْرِيفُ وَالتَّصْوِيبُ وَالْمُنْهَاطُ عَنْ تَقَرُّبِ التَّهْنِيبِ .

أترما جاء منها الخزوبة فقالت : أنا الخزوبة . فقال سليمان : الآن نُصِبتُ الى نفسي
وأُذِنَ في خراب بيت المقدس . قال الطائي يصف عمورية
بكرُفًا اقترعَها كُفٌ حادثة * ولا تَرَقَّتْ اليها هِمةُ النُوبِ
جرى لها الفال بَرًا يوم أنقرة * اذْغُودِرتْ وَحْشةُ السّاحاتِ والرَّحَبِ
لما رأت أختها بالامس قد خربت * كان الخراب لها أمدى من الحرب

مذاهب العجم في العِفافِ والاستدلال بها

قُرأت في الآيين : كانت العجم تقول : اذا تَحَوَّلَتِ السَّباعُ والطيرُ الجليبةُ عن
أماكنها ومواضعها دَلَّتْ بذلك على أن المَشَقَّ سَيَسْتَدُ ويَتَفَاقمُ . واذا قَلَّتْ الجُرْذَانُ
بَرًا وشَعِيرًا أو طَعَامًا الى رب بيت رُزِقَ الزيادة في ماله وولده ، وإن هي قَرَضَتْ شِبابه
دَلَّتْ بذلك على نقص ماله وولده ، فينبغي أن يَقْطَعَ ذلك القَرْضَ ويَصْلَحَ . واذا
شَبَّتِ النارُ شُوبًا كالصَّخَبِ دلت على فرح شديد ، واذا شَبَّتْ شُوبًا كالْبَكاءِ دلت
على حزن ، وأما النارُ التي تَشْتَعِلُ في أسفل القُدُورِ فإنها تدل على أمطار تكثر أو ضيف
يَحْضُرُ . واذا فشا المَوْتُ في البقرِ وقَعَ المَوْتَانُ في البشرِ ، واذا فشا الموتُ في الخنازيرِ
عم الناس السلامة والعافية ، واذا فشا الموتُ في السباعِ والوحوشِ أصاب الناس
ضَبَقَةٌ ، واذا فشا الموتُ في الجرذانِ أَخْصَبَ الناسُ . واذا أَكْثُرَتِ الضفادعُ
الْقَبِيحُ دلت على موتان يكون . واذا أَنْ دِيكَ في دار فشا فيها مرض الرجال ، واذا
أَنْتَ دجاجة فشا فيها مرض النساء ، واذا صرخت ديوك صُراخا كالْبَكاءِ فشا الموت
في النساء ، واذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت في الرجال . واذا نَعَبَ
غراب أسود فجاء به دجاجة دل ذلك على خراب يُعمر . واذا قَوَّتْ دجاجة وجاها
غراب دل على عُمران يَخْرُبُ . واذا غَطَّ الرجل الحسيب في نومه بِلُحْ سِتٍّ ورفعة ،
ومن نَفَخَ في نومه أفسد ماله ، ومن صَرَبَتْ أَسْنَانُهُ في نومه دل ذلك منه على نِجْمَةٍ ،

ويبنى أن يضرب على فيه بجف متخرق . ومن سقطت قدأه حية من مجراً صابته
 معزة ومضرة . وإذا رنى في الهواء دُخنة وظلمة من غير علة تُخوف على الناس الوباء
 والمرضى . وإذا رنى في آفاق السماء في ليلة مصحبة كاختلاف النيران غشى البلاد
 التي رنى ذلك فيها عدو ، فإن رنى ذلك وفي البلاد عدو انكشف عنها . وإذا نبح
 كلب بعد هدأة نجمة بفتة دل على أن السراق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما في
 تلك الدار أو ما جاورها . وإذا صفق ديك بمناحيه ولم يصرخ دل على أن الخير
 محتمس عن صاحبه . وإذا أكثر اليوم الصراخ في دار برى مريض إن كان فيها .
 وإذا سُمع ليبت تنقش تنقش من فيه حنة ، وإذا عوت ذئب من جبال وجوابها
 كلاب من قرى تغلق الأمر في التمارب وسفك الدماء . وإذا عوت كلاب
 وجوابها ذئب كان وباء وموتان جارف ، وإذا أكثرت الكلاب في البقعات المهريرة
 دلت بذلك على إتيان العدو البلاد التي هي فيها ، وإذا صرخ ديك في دار قبل وقت
 صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بيلة قد شارفت تلك الدار ، وإذا صرخت دجاجة
 في دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيراً لمن فيها من آفة قد أشرقوا عليها . وإذا أكثر
 ديك التزوان على تكأة رب الدار نال شرفاً ونباهة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله نهمول
 وضعة . وإذا دَرَق ديك على فراشه نال مالا رغبيا وخيرا كثيرا وذلك إذا كان
 من غير تضييع من حشمه لفراشه ، فإن ذرفت دجاجة على فراشه نالت زوجته
 منه خيرا كثيرا ، وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب
 وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر ويبنى مبادئه . ويبنى أن يعرف
 شئنه من كان ينطبقا لعله لا يجيد العمل ، وحال من كان سكتا مترمّا لعله
 بعيد الغور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخلق
 فإن بلبته وآفته قد صارتا علي نسه ، ويكرهون استقبال الزين والكره الاسم والجارية

- البكر والغلام الناهب الى المكتب ، وكانوا يكرهون التيران المقرنة بقران والحيوان المؤنث والدابة المؤودة وحاملة الشراب والحطب والكلب ، ويستحبون الصحيح البدن الرضى الاسم والمرأة الوسيمة الثيب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التى عليها حمولة من طعام أو بهن أو زبل . وكانوا لا يُحِبُّون عن سماع الملك ألحان المغنيات وتَقْبِضُ الصوارى وصهيل الخيل والبراذين ويتخفون فى بيته ديكاً ودجاجة . وإذا أهديت له خيل سُئِنَ بها عليه من يساره الى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُرَجَّحُ بها من يمينه الى يساره .

باب فى الخيل

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفیان بن عُيَيْنَةَ عن شبيب بن غَرْقَنَةَ ^(١) عن عُرْوَةَ [البارقي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «الخيول معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة» .
- حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني أشعث بن حاتم قال حدثني موسى بن علي بن رباح القتيبي عن أبيه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن أعِدَّ فرساً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فاشتره إذا أحسن أو كُنيتا أقرح أَرَقِم أو محبلاً مُطْلَقَ التمين» وفي حديث آخر «فانها ميامين الخيل ثم أغرُ قسماً وتغنم إن شاء الله» .

- حدثني سهل بن محمد قال أخبرني أبو عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «عليكم بلذات الخيل فان ظهورها حِرْزٌ وبطونها كنز» قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب من الدواب الشقرو ويقول : «لو جمعت خيل العرب كلها في صعيد
- (١) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية لأن المتروك الى بارقي - وهو كما قال السمعاني جبل يربط الأزد فيها أطن يبلاد اليمن - عروة بن الجعد بن أبي الجعد البارقي السعدي .

واحد ماسبقها إلا أشقر» . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المال خير . قال «سكة مأبورة» يعنى النخل «ومهرة مأمورة» يريد كثيرة التاج . قال : وكان يكره الشَّكَّالَ فى الخيل . [قال أبو ذر^(١) : ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم سخرنى لأبن آدم وجعلت رزقى بيده فاجعلنى أحب إليه من أهله وماله ، اللهم أرزقه وارزقنى على يديه] . سأل المهدي مطربين دواجن : أى الخيل أنفصل ؟ قال : الذى اذا استقبلته قلت نافر ، واذا استعرضته قلت زافر ، واذا استدبرته قلت زاجر . قال : فأى البراذين شر ؟ قال : الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرسائى . قال : فأى البراذين خير ؟ قال : ما طرفه إمامه ووسطه عتانه .

١٠ [وصف رجل يردون فقال : ان تركته نفس وإن حركته طائر] . وقال ابن أبيصير : خير الخيل الذى اذا استقبلته ألقى واذا استدبرته جنى وإذا استعرضته استوى وإذا مشى ردى وإذا علا دحا .

محمد بن مسلم قال : أرسل مسلم ابن عمرو ابن حم له الى الشام ومصر يشتري له خيلا فقال : لا علم لى بالخيل قال : ألسنت صاحب قصص ؟ قال : بلى . قال :

١٥ (١) ان تكون ثلاث نواثم محبة والراحدة طليقة وعكسه أيضا . قاموس .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى القد القريد « زاجر » ولا معنى له ، ولعل المراد بالزافر عظيم الزفرة بالغنم وهى وسط الفرس ويكون كأنه زافر أيضا من عظم جوفه وإيفارجتيه وذلك مما يمدح فى الخيل .

(٤) كذا بالتسكين فى القد القريد « زاجر » ولعله العوَاب ويكون المعنى أنك اذا استدبرته رأيته عظيم الكفيل معه وذلك مما يمدح فى الخيل أيضا . ٢٠

(٥) جنى : انكب على وجهه وقد أوردته فى الأمال « جنى » وهو أيضا بمناء . وقال أبو جهم القائل الرديان أن يريهم الأرض رجاء بين المني الشديد والمعتد . والمحو أن يرى يديه ربما لا يرفع سبكه عن الأرض .

فانظر، كل شيء تستحسنه في الكلب فاطلبه في القرس . قدم بجمل لم يك في العرب مثلها . وقالوا : تميمت خيلا لاختيالها .

وذكر أعرابي فرسا وسرعته فقال : لما خرجت الخيل جارى بشيطان في أشطان^(١) فلما أرسلت لآح لمة محاب فكان أقربها إليه الذي تقع عينه عليه .

- وسئل رجل من بني أسد : أعرف القرس الكريم قال أعرف الجواد الميرمن الميرمن^(٢) المقرف . أما الجواد المير فالذي لمز لمز العير وأنف تأنيف السير الذي إذا عدا أسلهب وإذا قيد أجلب وإذا اتصب آتلاب . وأما المبطل المقرف فالملوك المجبة الضخم الأرضية الغليظ الرقبة [الكثير الجلبة] الذي إن أرسلته قال : أمسكني وإن أمسكتني قال : أرسلني وأشد الرماشي^(٣)

- ١٠ كتهير سوء إذا سكنت شيرته • رام الجماح فان رقتة سكا
حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أن عمر بن الخطاب شك في العتاق والمجن ، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فأخبره ، فأمر سلمان بطست فيه ماء فوضع في الأرض ثم قدمت الخيل إليه فرسا فرسا فاستقى منها سلبك فشرب هجته ، وهذا شرب ولم يشرب سلبك عربيه . وذلك لأن

- ١٥ (١) كذا بالنسخة الألمانية وفي القنوغرافية حكنا (جاء الشيطان) الخ وفي لسان العرب : ووصف أعرابي فرسا لا يحمي فقال كأنه شيطان في أشطان . ولعل أصل عبارة النسخة القنوغرافية «جاء كأنه شيطان في أشطان» غرطا للتامع كما ترى . (٢) كذا بالقنوغرافية مضبوطا . وفي القاموس : الهوز المنير الخلق والتفسير . اكتناز الهم فكأنه يريد أن يحسه بأنه مكتنز الخلق كالسير الوحشي ويراقبه ما في اللسان ولكنه مضبوط بالياء لقاعل ولعله خطأ . وفي الألمانية والعقد الفريد «تهزأ بالير» . وفي اللسان نهزت العادة إذا نهضت بصدورها للسير ، ولعل معناه أنه يتبع في السير كأنه تفاع السير الوحشي .
- ٢٠ (٣) في اللسان : وإذا أنف يأنف السير وهو تحريف دفع إليه توهم أن السير هنا بمعنى الشيء لأن المؤنث هو المتحد من كل شيء ومنه سر (جاء) مؤنث أي مقدود على قدر واستواء والمراد أنه قد حتى استوى كالسير المقدود . (٤) أسلهب : مضى . وأجلب : امتدح الأرض . وآتلاب : استوى . (٥) حجة القرس ما أشرف على مفاك الجبان من روكيه ، وملوكها الذي ليس بحجة اشراقه في ملسا . مستوية . (٦) الأرضية الأنف . (٧) في الأصل الكبير والتصويب عن العقد الفريد .
- ٢٥

في أعناق المُجَنّ قصرا فهي لا تتال الماء على تلك الحال حتى تثق سنايكها وأعتاق
العتاق طوال .

وحدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعيّ قال : ذكروا أنّ كسرى كان إذا أتاه
سائسه فقال : الفرس يشتكى حافره، قال : المطبخ . وإذا قال : يشتكى ظهره،
قال : اليطار .

وأشدني أبو حاتم لأبي ميمون العجليّ وهو النضر بن سامة في شعر طويل له يصف
الفرس، وقال قراءته على أبي عبيدة وعلى الأصمعيّ

الخليلُ مني أهلٌ ما أن يُدَيَّنَ * وأن يُقَرَّبَ وأن لا يُقَصِّينَ
وأن يَسْبُكَنَّ وأن يُقَتَّنَ * وأن يكون المخصُّ مما يُسْقِينِ
وأهل أن يُنَلَّنَ أو يُغَالَنَ * بالطَّوْفِ والتَّلْدِ وأن لا يُحْمِنَ
وأهل ما مَحَبَّنَا أن يُقَتَّنَ * وأهل ما أَعْبَنَا أن يُحْزِنَ
أليس عنّ الناسُ فيما أَلَيْنَ * والحسب الزاكي إذا ما يُقَتَّنَ
والأجر والزَّين إذا رِيمَ الزَّين * كم من كريم جَلَّه قد أَعْلِنَ
وكم طريد خافٍ قد أُنْجِنَ * ومن فقير عائل قد أَعْنِنَ
وكم برأس في لبان أبحرِنَ * وجسدٍ للعافيات أَعْرِنَ
وأهل حصنٍ ذي امتناع أَرْدِنَ * وكم لها في الغنم من ذى سهمين
يكون فيما انقسموا كالرُّجُلَيْنِ * وكم أُنْكَحَن من ذى طِمْرَيْنِ
بغير مهر عاجل ولا دين * والليل واللياليات في قرينين
لا تستكين عملا ما أُنْقِنَ * ما دام عُخٌّ في سُلَامَى أو عين
* ما بلل الصوفة ماءً البحرَيْنِ *

(١) يقال لها باني أنت، تَكْنِيَة عن الاحتفاظ بها . (٢) يُزَوِّن . (٣) في اللسان : وصوف
البحري، على شكل هذا الصوف الحيواني واحدة صوفة وفي الأبديات : لا آتيك ما بلل بحر صوفة .

وأشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة . قال : وقال لي أبو عبيدة لا أعرف قائل

هذا الشعر وعروضه لا يخرج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الغفار الخزاعي

ذلك وقد أذعر الوحوشا * بصلت الخلد رحيب لئانه مجفرو^(١)

طويل خمس قصير أربعة * عريض ست مقلص حشور^(٢)

حدث له تسعة وقد عريت * تسع فقيه لمن رأى منظر^(٣)

ثم له تسعة كسيت^(٤) وقد * أرحب منه اللبان والمنخر^(٥)

بعيد عشر وقد قرين له * عشر وخمس طالت ولم تقصر^(٦)

(١) اللبان الصدر ويجفرو فتح الفاء واسع الجفرة وهي من القوس وسطه .

(٢) تعرض أبو صفوان الأسدي في قصيدة له إلى ملح فرس وذكر أن ما طال منه تسع وفصرها

ابن الأعرابي بالمتى ووظيفة الرطين والبلين والقرامين والنخزين . قال أبو علي القتالي : وتفسيره غير موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسعة ونقل من أبي اللياس أن هذا لفظ من الشاعر ثم ذكر أن الذي يستحب طوله في القوائم ثمانية : وظيفا الرطين والقرامان والثني وهي الشعر الذي في مؤخر السرج ، وقال : فإن كان الشاعر ذهب إلى هذا وأراد معها التي جازم قوله .

(٣) عددا صاحب القصيدة السابقة الذكر تسعة فقال ابن الأعرابي في تفسيرها عن أربعة : أرساغه

ورظيفا يديه وصبيه ومساها . (٤) حدث في القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الأعرابي في تفسيرها هي القطنان والوركان والأولفة . (٥) حشور : متفخ الجنيين .

(٦) ذكرت في تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الأعرابي : حديد الثمان وهرقواه وأذناه وقلبه ومنكاه . كذا في أمال أبي علي القتالي ولم يذكر الثامن .

(٧) صبت في تلك القصيدة سبعة . قال ابن الأعرابي بالسبعة العارية : خذاه وجمعه والوجه كقوله وقراءته فكل هذا يستحب فيه أن يكون طريا من اللحم .

(٨) حدث في تلك القصيدة سبعة وقال ابن الأعرابي السبع المكسوة : القطنان وحمايه . ووركاها وحصيراجنيه ونهذاه وهما في الصدر . وغير ابن الأعرابي يقول نهذاه بالفاء . قال أبو علي القتالي والصحيح نهذاه وهما الحمطان الثمان في المؤر كالمهدين .

(٩) عد في تلك القصيدة ما قرب من سبعا وما بعد سبعا وقال ابن الأعرابي السبع التي قريت يريد بها سبع

خصال سالحة قرين من وسبع خصال وديعة يمدن من طيست فية . ولم يبين هذه الخصال على وجه التفصيل .

(راجع قصيدة أبي صفوان الأسدي وشرحها في الأمالي من صفحة ٢٤٠ - ٢٥٣)

تَقْبِيهِ بِالْمُحْضِ دُونَ وَلَيْتَا * وَعُضِّهِ فِي آرِيَةِ يَثْرَ^(١)
نَصَبَهُ تَارَةً وَتَقْبِيَهُ * أَلْبَانَ كُورِمَ رَوَائِمِ أَظْوَرِ^(٢)
حَتَّى شَتَا بِإِدْنَا بِقَالَ أَلَا * يَطْوُونَ مِنْ بَدْنِهِ وَقَدْ أَصْبَرِ^(٣)
مُوقِقُ الْخَلْقِ جَرِيحَ عَيْدٍ * مُنْضِرِجُ الْخَضِرِ حِينَ يَسْتَحْضِرُ^(٤)
سَاطِلِ الْجَمَاتَيْنِ لِحْمِهِ زَيْمٌ * تَهْدُ شَدِيدَ الصَّفَاقِ وَالْأَجْرِ^(٥)
رَقِيقٌ نَحْمَسُ غَلِيظَ أَرْبَعَةٍ * نَائِي الْمَعْتَنِ لَيْنَ الْأَشْعَرِ^(٦)

وقد فسرت هذا الشعر في كتابي المؤلف في أبيات المعاني في خلق الفرس .

أَشْدْنَا أَبُو سَعِيدَ لِبَعْضِ الصَّبِيِّينَ فِي وَصْفِ فَرَسٍ

مُتَنَافِئُ جِلِّ الشَّوَى شَنَجَ النَّسَا * سَبَاقَ أُنْدِيَةِ الْجِيَادِ عَيْثِلُ^(٧)
وَإِنَّا نُسَلُّ بِالسِّيَاطِ جِيَادُهَا * أَعْطَاكَ نَائِلَهُ وَلَمْ يَتَعَلَّ^(٨)

قِيلَ لَهَا وَضَعْتَ حَرْبَ صِبْيَانٍ أَوْ زَارَهَا قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ

شَبَّتَ الْحَرْبَ فَأَعْدَدْتُ لَهَا * مُفَرَّغَ الْحَارِكِ مَرُوءِي الشَّيْخِ^(٩)

(١) الضُّعْفُ : السَّيْنُ تَقْبِيهِ تَقْبِيهِ الْإِيلَ ، وَالْقَتُّ ، وَالشَّعْرُ وَالْحَصَةُ لَا يَشْرِكُهُمَا شَيْءٌ . (٢) الْآرِيَةُ : الْآغْنِيَةُ وَهِيَ عَجِيسُ الدَّابَّةِ . (٣) يَخَالُ ضَمِيرُ الْخَيْلِ تَضْمِيماً : عَطَفَهَا الْقَوْتُ بَعْدَ السَّيْنِ كَأَحْمَرِهَا . قَامُوسٌ .

(٤) الْجَرِيحُ كَقَتْفِ : النِّظَامُ الصَّدْرُ الْمُنْتَضِجُ الْجَنِينِ . وَمُنْضِرِجُ الْخَضِرِ : شَدِيدُ الْعَدُوِّ . (٥) هَكَذَا فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَالْفَتْوْغَرَفِيَّةِ وَذَكَرَ فِي أَسْفَلِ النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ أَنَّ فِي بَعْضِ النُّسخِ خَاطِئٌ . وَكَلَامُهَا غَيْرُ مُنَاسِبٍ لِقِيٍّ وَلَمَّا خَاطَلَ بِالْخَاءِ وَالْفَاءِ الْمَجْمُوعَيْنِ فَإِنَّ الْجَمَاتَيْنِ مِنَ الْفَرَسِ الْمَهْدَتَانِ الْمُجْتَمِعَتَانِ فِي ظَاهِرِ السَّائِمَيْنِ مِنْ أَعْلَاهُمَا وَالْخَاطِئُ كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْمَكْتَزُ أَهْمُ أَوْ الْغَلِيظُ الصَّلْبُ . وَلِحْمُهُ زَيْمٌ : مَكْتَزٌ .

وَالصَّفَاقُ فَسْرُهُ الْأَصْفَى فِي كِتَابِ الْفَرَسِ كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْجِلْدُ الْأَسْفَلُ الَّذِي تَحْتَ الْجِلْدِ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّعْرُ وَالْأَجْرُ : عَرَقٌ فِي الظَّهْرِ . (٦) الْمَدَانُ : مَوْضِعُ دَفْنِ السَّرَجِ . وَالْأَشْعَرُ : مَا اسْتَدَارَ بِالْخَافِرَيْنِ مَتْنِي الْجِلْدِ .

(٧) مُتَنَافِئٌ : مَرِيعٌ ، وَعَيْلُ الشَّوَى : غَلِيظُ الْقَوَائِمِ . وَالنَّسَا : عَرَقٌ مِنَ الْوَرْدِ إِلَى الْكُتْبِ . وَشَنَجَ النَّسَا مَتْبَعُهُ وَهُوَ مَدَحُ الْفَرَسِ لِأَنَّهُ إِذَا شَنَجَ نَسَاهُ لَمْ تَسْرُخْ وَبِجَلَدِهِ . (٨) فِي الْفَتْوْغَرَفِيَّةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَتْ الْقَافِيَةُ مَرْفُوعَةً . عَلَى أَنَّهُ فِي الْعَدِّ الْفَرِيدِ أُرِيدَ هَذَا الشَّرْعُ لِنَحْوِ مَا فِي الصَّلْبِ . (٩) الْحَارِكُ أَهْلُ الْكَاهِلِ وَالشَّيْخُ مَا بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظَّهْرِ .

جُرْشَمًا أَعْظَمَهُ جُفْرَتُهُ * فَانَا ابْتَلَّ مِنَ الْمَاءِ حَرْجٌ
يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدِّ فَا نَا * وَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَعِجٌ^(١)

ووجدت في كتاب من كتب الروم أن من علامة قِراءة المهر الحولى صفرا رأسه
وشلّة سواد عينيه وأن يكون مُحَمَّدُ الْأَذْنَيْنِ أَجْرَدَ بَاطِنِهَا كَثِيفُ الْعُرْفِ، في عرفه ميل
من قِبَلِ يَمِينِ رَاكِبِهِ عَرِيضُ الصَّدْرِ مَرْتَفَعُ الْمَاضِي مُتَدَلِّ الْمُضْطَبِّينِ مَكْتَبَرُ الْجَنْبَيْنِ
طَوِيلُ الذَّنَبِ عَرِيضُ الْكَفَلِ مُسْتَدِيرُ الْحَوَافِرِ صَحِيحُ بَاطِنِهَا، ومن علامة قِراءة المهر
الآ يكون نَفُورًا [وَلَا يَقِفُ عِنْدَ دَابَّةٍ إِلَّا مَعَ أَتَمِّهِ] وإذا دُفِعَ إِلَى عَيْنِ أَوْ نَهْرٍ مَاءٍ لَمْ يَقِفْ
لِتَجَاوِزَهُ دَابَّةٌ فَيَسِيرُ بِسِيرِهَا وَلَكِنَّهُ يَقَطَعُ ذَلِكَ النَّهْرَ وَالْعَيْنَ .

قَالُوا وَمَا يَسْمُ اللَّهُ بِهِ الْخَيْلَ مِنَ الْعَيْنِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ أَنْ يُثْمَلَ فِي أَعْنَاقِهَا حُرْزَةٌ
مِنْ قُرُونِ الْأَيَّامِلِ^(٢) .

١٠

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
عَنْ هَلَالِ بْنِ إِسَافٍ وَعَنْ سُحَيْمِ بْنِ قَوْفَلٍ قَالَا : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ
وَنَحْنُ نَعْرِضُ الْمَصَاحِفَ، بَلَغَتْ جَارِيَةٌ إِلَى مَسِيدِهَا قَالَتْ : مَا يُجْلِسُكَ؟ قُمْ فَأَتْبَعْ لَنَا
رَاقِيًا فَإِنْ فَلَانًا لَقِعَ مَهْرَكَ بَعَيْنَهُ فَتَرَكْتَهُ يَدُورُ كَأَنَّهُ فَلَكَ . قَالَتْ عَبْدُ اللَّهِ : لَا تَتَّبِعْ رَاقِيًا
وَلَكِنْ اذْهَبْ فَأَتْبَعْ فِي مَسْخَرَةِ الْأَيْمَنِ أَرْبَعًا وَفِي الْأَيْسَرِ ثَلَاثًا ثُمَّ قُلْ : بِسْمِ اللَّهِ لَا بَاسَ
لَا بَاسَ أَذْهَبَ الْبَاسُ رَبُّ النَّاسِ وَأَشْفَى أَنْتَ الشَّاقِ لَا يَكْشِفُ الضَّرَاءَ إِلَّا أَنْتَ .
قَالَ : فَمَا قَمْنَا حَتَّى جَاءَ الرَّجُلُ فَقَالَ : قَدْ فَطَلْتُ الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ فَبَالَ وَرَاثٌ وَأَكَلُ .
حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ الْقُرْسُ صَلُودًا لَا يَبْرُقُ سَقِيَّتَهُ
مَاءٌ قَدْ دَفَّتْ فِيهِ تَحِيْرَةٌ أَوْ طَلَفَتْ ضِغْنًا مِنْ هِنْدِيَاءٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يُكْثِرُ عَرَقَهُ، فَإِنْ حَرَّ أَحَدُكُمْ^(٣)

١٥

٢٠

(١) فِي الْقُرْصَرِاقَةِ «فَإِذَا وَتِ الْخَيْلُ مِنَ النَّجْعِ» . وَالثَّلَاثَةُ : الْعَدُوُّ . وَمَعِجٌ كَفَحٌ : أَسْرَعُ . (٢) الْأَيَّامِلُ
جَمْعُ أَيْلٍ وَهُوَ الْوَلَدُ . (٣) يُقَالُ لَقِعَ فَلَانًا بَعِيْنَهُ : أَصَابَهُ بِهَا . (٤) حَرَّ الْقُرْسُ كَفَحٌ : سَقَى (نَحْمَ)
مِنْ أَكْلِ الشَّعِيرِ أَوْ تَقَرَّتْ رَأْسُهُ فِيهِ أَوْ قَامُوسٌ .

الحمام وأُثِمَّتْ عَيْنُهُ . قُتِلَ لِأَبِي عَيْدَةَ : مَا يَدْرِيكَ أَنْ هَذَا كَذَا ؟ قَالَ : خَبَرَنِي بِهِ جَلَّالُ الْهِنْدِيِّ وَكَانَ بَصِيرًا . قَالَ : فَإِنْ أَصَابَتْهُ مَقْلَةٌ وَهِيَ وَجَعُ الْبَطْنِ مِنْ أَكْلِ التُّرَابِ أَخَذْهُ شَيْءٌ مِنْ بُورِيٍّ فَلَقَّ وَتَحَلَّلَ بِفَعْلٍ فِي رِيحِ دَوْرَقٍ مِنْ نَحْرِ حَقْنٍ بِهِ وَبَلَّ تَرَابَ طَيْبٍ يَبُولُ أَتَانٌ حَتَّى يَصِيرَ طِينًا ثُمَّ لَطَخَ بِهِ بَطْنَ الدَّابَّةِ . قَالَ : وَمِمَّا يَذْهَبُ الْعَرْنَ دِمَاقُ الْأَرْبِ .

وَقَفَّ الْحَيْثَمُ بْنُ مَطْهَرٍ عَلَى بَابِ الْخَيْرِزَانِ عَلَى ظَهْرِ دَابَّتِهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْكَاتِبَ فِي دَارِهَا : أَنْزِلْ عَنْ ظَهْرِ دَابَّتِكَ فَقَدْ جَاءَ فِي الْأَمْرِ : لَا تَجْعَلُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَجَالِسَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ : إِنِّي رَجُلٌ أَعْرَجٌ وَإِنْ نَخَرَجَ صَاحِبِي خَفْتُ أَلَّا أُدْرِكَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ : إِنْ لَمْ تَنْزِلْ أَنْزَلْنَاكَ . قَالَ : هُوَ حَيِّسٌ إِنْ أَنْزَلْتَنِي عَنْهُ إِنْ أَقْضَيْتُهُ شَهْرًا فَانْظُرْ أَيَّمَا خَيْرٍ لَهُ ، رَاحَةً مَسَاعِدَةٍ أَوْ جُوعَ شَهْرٍ ؟ فَقَالَ : هَذَا شَيْطَانٌ ، أَتْرَكُوهُ .

باب البغال والحمير

قَالَ مُسْلِمٌ : مَا رَكِبَ النَّاسُ مِثْلَ بَغْلَةٍ قَصِيصَةِ الْعِذَارِ طَوِيلَةِ الْعَيْنَانِ . وَكَتَبَ رَجُلٌ إِلَى وَكِيلِهِ : أَبْنِي بَغْلَةً حَصْبَاءَ الذَّنْبِ طَوِيلَةَ الْعُنُقِ سَوِطَهَا عِنَانُهَا وَهَوَاهَا أَمَامُهَا . عَاتَبَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ بَعْضَ بَنِي هَاشِمٍ فِي رُكُوبِهِ بَغْلَةً ، فَقَالَ لَهُ : هَذَا مُرَكَّبٌ تَطَاطَا عَنْ خِيَلَاءِ الْحَيْلِ وَأَرْضَعَ عَنْ ذِلَّةِ الْحِمَارِ وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَسَجِيِّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : قَالَ دَفَعَ أَبُو سَيَّارَةَ بِأَهْلِ الْمُرْدَقَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً عَلَى حِمَارٍ لَا يَبْتَلُ ، فَقَالَتِ الْعَرَبُ : «أَمَحَّ مِنْ عَيْرِ أَبِي سَيَّارَةَ» قَالَ رَجُلٌ لِلْفَضْلِ الرَّقَّاشِيِّ وَهُوَ جَدُّ مُقْتَرِمِ لَأَمَتِهِ : إِنَّكَ لَتُؤْثِرُ الْحَمِيرَ عَلَى جَمِيعِ الْمُرُكُوبِ ، فَلَمْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا أَكْثَرُهَا مَرَقًا . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : لَا تَسْتَبْدِلُ بِالْمَكَانِ عَلَى

قدر اختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صريها وأسهل تصرفها وأخفص مهوى وأقل جماحا وأشهر قاريها وأقل نظيرا وزهى راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدا وقد أسرف في ثمنه . وقال خالد بن صفوان في وصف حمار: قد أركبه عيرا من بنات الككاد^(١) أصغر السرايل مُحلج القوائم يحمل الرجلَة ويبلغ العقبة ويعنى أن أكون جبارا عنيدا .

وقال رجل لنخاس : اطلب لي حمارا ليس بالكبير المشتهر ولا القصير المحترق ولا يُقدم تقصما ولا يحجم تبليا يتجنب بي الزحام والرَّعام والإكام خفيف اللام اذا ركبته هام واذا ركبه غيرى قام، إن علفته شكر، وإن أجمته صبر. فقال له نخاس : إن مسخ الله القاضى زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله . وقال رجل لآخر يوصيه : خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانَه للسَّقاء .

جرير بن عبد الله عن أبيه قال : لا تركب حمارا فانه إن كان فارها أتعب يدك وإن كان بليدا أتعب رجلك .

باب في الإبل

المهيم قال قال ابن عباس: لا تشتري خمسة من نخسة: لا تشتري فرسان أسدى ولا جملا من نهدي ولا عيرا من تميمي ولا عبدا من بجلى . ونسب المهيم النخماس، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الجلود في هذه الأشياء . قيل ليني عباس : أى الإبل

(١) خلل تسبب إليه الحر . فاموس . (٢) كذا بهامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى وفيها كما في القنطرة «نجيب» . (٣) في النسخة القنطرية «عبد الحميد» وما وردان ما في كتب التراجم . (٤) كذا في القنطرة وفي الألمانية «ابن عباس» ولعل رواية القنطرية أصح اذ لم تقف في ترجمة ابن عباس على أن المهيم روى عنه، ولعل ههنا هو المهيم بن عازبة الخراساني فقد روى عن إسماعيل بن عباس كما في تهذيب التهذيب لابن حجر السقلاقي .

أصبر عليكم في محاربتكم ؟ قال الرُّمك الحِجَاد . قيل : فأى الخيل وجدتكم أصبر ؟ قالوا : الكُتَّ الحُو . قيل : فأى النساء وجدتكم أصبر ؟ قالوا : بناتِ العم .

المداخن قال قال شُبَّة بن عَقَال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتني الحج ، ومعى ثلاثة أجمال فررت برجل من أهل اليمن على ناقة له فطويته فلما جُرَّته قام بى يعير لى ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتنى فزى بى إلىماني فقال : مررت بنا ولم تسلم ولم تعرض . فقلت : أجل يرحمك الله . قال : أطلب نفسا عما أرى ؟ قلت : نعم . فزى فارضى أنساع رَحْله ثم قدمه فكاد يضعه على عنقه ثم شدّه وقال لى : لولا أنك لا تضبط رأسها لقتمتك . ثم قال لى : خذ حُر متاعك إن لم تطب نفسا به فعلت ، ثم ارتدت فجعلت تعوم عوما ثم انسلت كأنها ثعبان يسيل ميلا كالساء فما شعرت حتى أراى الأعلام وقال : أسمع ؟ فسمعت أصوات الناس فاذا نحن بجمع ، ففضيت يَجْجى ، وكان قال لى : حاجتى اليك ألا تذكر هذا فان هذه عندى أثر من ولاية العَرُوض ببنى مكة والمدينة ، أدرك عليها النار وهى تُمَال العيال وأصيد عليها الوحش وأوافى عليها الموسم فى كل عام من صبتاء فى أقل من غِبّ الحمار فسألته : من أين هى ؟ قال : بُجَاوِيَّة من هَوَامِي نتَاج [بلو] بَيْميلة الأولى وهى من المَهَارَى التى يذكر الناس .

[وكتب سليمان بن عبد الملك الى عامله : أصب لى نَجَائِب كِرَاما . فقدم رجل على جمل سُبَاعِي عظيم الهامة له خلق لم يروا مثله قط فساموا ، فقال : لا أبيعهم . قالوا : لا ندمك ولا تنصّبك ولكننا نكتب الى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا من هذا ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : معكم نجايب كِرَام وخيل ساقية ، فدعوتى أركب

(١) فى المتنخرافية "قد كان ذاك رحلك الله" . (٢) هى المزدلفة سميت بذلك لاجتماع الناس بها .

(٣) زيادة فى النسخة الألمانية .

جلى وأبعثه وأتبعوني فإن لحقتموني فهو لكم بمنزلة من قالوا : نعم . فعدنا منه فصاح في أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فبكأ ثم أنبعث وأتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم يروا له أثرا فجعل أهل اليمن علما على وثبته يقال له : الكفلان .

أخبار الجبناء

- حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعي قال : أرسل عبيد الله بن زياد رجلا في ألفين إلى مرداس بن أدية وهو في أربعين فهزمه مرداس فقتله ابن زياد وأغلظه فقال : يشتمني الأمير وأنا حي أحب إلي أن يدعو لي وأنا ميت . فقال شاعر الخوارج

- ألفا مؤمن منكم زعمتم * وهزمهم بآسك أرسونا
كذبتم ليس ذلكم كذاكم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة ينصروننا

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عون عن الحسن قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما ألفتُ فتيان قط إلا وكف الله بينهما فإذا أراد أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفهما عليهما » . [ورفع معاوية شذوته بيده وقال : لقد علم الناس أن الخليل لا يجرى بمثل ، فكيف قال النجاشي

- وتجى ابن حرب سابق ذو علالة * أجش هزيم والراح دواني]
ابن دأب قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعياني أن أعلم أجبان أنت أم شجاع ؟ فقال
شجاع إذا ما أمكنتني فرصة * وإلا تكن لي فرصة بغيان

شهد أبو دلّامة حرباً مع رَوْح بن حاتم فقال له : هتّم فقاتل . فقال

إني أعوذ بروح أن يقدمني * إلى القتال فتخزى بي بنو أسد

إن المهلب حبّ الموت وزنكم * ولم أؤرث حبّ الموت عن أحد^(١)

أبو المنذر قال ، حدّثنا زيد بن وهب قال ، قال لي علي بن أبي طالب رضي الله

عنه : عجباً لابن النابغة ! يزعم أنني تطّابة أحافيس وأماريس ! أما وشتر القول أكذبهُ ،

إنه يسأل فيلحرف ويسأل فيبخل ، فإذا كان عند البأس فانه أمرؤ زاجر مالم تأخذ

السيوف مأخذاً من هام القوم ، فإذا كان كذلك كان أكبرهم أن يرقط ويمنع

الناس آسته . قبحه الله وترّحه . وقال الفرّار السلمي

وصكتية لبسّها بككتية * حتى إذا التبت فضت بها يدي

وزكتمهم تقيّص الرماح ظهورهم * من بين متجبل وآثر مستد

ما كان ينبغي مقال نسائهم * وقُلت دون رجالهم : لا تبعد

وقال آخر

أخحت تسجني هند وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب

لا والذي حجت الأنصار كعبته * ما يشتهي الموت عندي من له أرب^(٢)

للحرب قوم أضل الله سعيهم * إذا دعّتهم إلى حوّاياها وشبوا^(٣)

ولست منهم ولا أبني فعالمهم * لا القتل يسجني منها ولا السلب

وقال أيمن بن الحرّيم

لربّ للفتنة ميّطاً يئساً^(٤) * فرؤيد الميظ منها يعتدل

(١) كما بالتسخين ، وفي الأقال : « وما ورث اختيار الموت عن أحد » .

(٢) رواه في اللقد الفريد « لا والذي منع الأصارو به » . (٣) في النسخة الألمانية « نيرانها » .

(٤) هكذا في النسخين الألمانية والقتوغرافية ، وفي اللقد الفريد « ما جلا » .

فإذا كانت عطاء فاتهم * وإذا كانت قتال فاعتزل

إنما يُسرعها جهاتها * حطب النار قدسها تشتمل

وقال آخر

كلقي الأجنة من كفه * وقد الجياد بأذناها

وقال جرّان العودى النهش

يوم ارتحلت برجلي قبل تودعني * والقلب مستوهل بالبين مشغول

ثم اعتضضت على نضوي لأدفعه * إثر الجحول القوادي وهو معقول^(١)

كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرة [من
الرافضة] وهو من بيحيلة قتال من النهش : أطعموني ماء . فذكره بعضهم فقال^(٢)

عاد الظلوم ظليما حين جدّ به * واستطعم الماء لما جدّ في الحرب

وقال عبيد الله بن زياد إما للكنة فيه أو لجن أودهشة : اقتحوا سيوفكم .

وقال ابن مقرغ الحميري

ويوم فتحت سيفك من بعيد * أضعت وكل أمرك للضبايع

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيرا

أكلت الجبان يرى أنه * سيقتل قبل انهضاء الأجل

قد تترك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدی موضع شبر إلا وفيه

طلعة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أخى ، فلا تأمت أعين الجبناء .^(٣)

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفي القتوغرافية « اغترت » بالراء المهملة وهو محرف عن

« اغترت » بالزاي المعجمة ومعناه ركب وأمله وضع الرجل في الفرز وهو الركاب . (٢) في النسخة

الألمانية « وهو مول لبيبة » . (٣) كذا بالنسخة القتوغرافية ، وفي النسخة الألمانية « أموت

على فراشي كما يموت البير » وفي القيد القريد « ثم ها أنا أموت حتف نفسي كما يموت البير » .

[١١] قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَلَا تَقْرَؤُفَانَ اللَّهَ قَدْ أَنْذَرَكَ . قَالَ : وَاقِهِ إِنِّي لَا بَعْضُ الْمَوْتِ

عَلَى فَرَاشِي فَكَيْفَ أَمْضِي إِلَيْهِ رَكْعَةً !] وَقَالَ قِرْوَانُ بْنُ حَوْطٍ وَذَكَرَ رَجُلَيْنِ

صَبُحَا مُجَاهِرَةً وَلَيْثًا هَذَنَةً * وَغُيْلِيَا نَحْرَانَا مَا أَظْلَمَا

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فِي أُمِيَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ

إِذَا صَوْتُ الْمُصْفُورِ طَارَ فَوَادِهِ * وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ

وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخَرِ (١٢)

وَلَوْ أَنَّهَا عَصْفُورَةٌ لَحَسِبْتُهَا * مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو غُيْلِيَا وَأَزْنَمَا

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ (يَحْسِبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ) .

وَمِنْ أَشْعَارِ الشُّطَّارِ فِي الْجَبَانِ

رَأَى فِي النَّوْمِ إِنْسَانًا * فَوَارَى نَفْسَهُ أَشْهُرَ (١٣)

قَالَ ابْنُ الْمُنَظَّمِ : الْجَبَانُ مَقْتَلَةٌ وَالْحَرْصُ مَحْرَمَةٌ فَانْظُرْ (فِيهَا رَأَيْتَ وَصَمِعْتَ) : مَنْ قُتِلَ

فِي الْحَرْبِ مَقْبَلًا أَكْثَرُ أَمْ مَنْ قُتِلَ مَدْبِرًا ؟ وَانْظُرْ مَنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ وَالتَّكْرَمِ أَحَقُّ

أَنْ تَسْخُو نَفْسَكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مَنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالشَّرِّ وَالْحَرْصِ ؟ وَقَالَ حَنْشُ (١٤)

ابْنِ عَمْرٍو

وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يَجِبُ النَّاسُ رِزْهًا * لَمَّا زَجَلُ بَاقٍ شَدِيدٌ وَيَسِيدُهَا

تَقَطَّعَ أَطْنَابَ الْيَبُوتِ بِحَاصِبٍ * وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرْقُهَا وَرَعْدُهَا

فَوَيْلُهَا خَيْلًا تَهْأَوِي شِرَارُهَا * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صَدُودُهَا

(١) زِيَادَةُ فِي النِّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ . (٢) هُوَ التَّوَامُ بْنُ ثَوْدَبِ الثَّيْيَانِ . (٣) هَكَذَا فِي النِّسْخَتَيْنِ

التَّوْغْرَاوِيَّةِ وَالْأَلْمَانِيَّةِ فِي الْعَقْدِ الْقَرِيدِ "صَفُورًا" .

(٤) نُسِبَ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْحَاسَةِ قَهْرَادُ بْنُ حَنْشٍ الصَّارِدِيُّ وَرَوَى الْبَيْتَ الْأَوَّلُ

وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يَجِبُ النَّاسُ رِزْهًا * بِأَيْدِي تَحْيَى شَدِيدٌ وَيَسِيدُهَا

وَالثَّلَاثُ فَوَيْلُهَا خَيْلًا تَهْأَوِي شِرَارُهَا * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صَدُودُهَا

وقال الفرزدق أو البعيث

سائل سَلِيطًا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَفْرَعَهَا * مَا بَالُ خَيْلِكَ قُصَا هَوَانِهَا

لا يرفعون إلى دأج أعتها * وفي جَوَاشِنِهَا دَاءٌ يُجَافِيهَا

- كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عروة بن مرثد ويكنى أبا الأغر. يزل
 بنى أخت له في سكة بنى مازن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم
 في شهر رمضان وخرج النساء يصلين في مسجدنهم فلم يبق في الدار إلا الإماء فدخل
 كلب يعنس فرأى بيتا فدخله وأنصفيق الباب فسمع الحركة فبض الإماء فظنوا أن لصا
 دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتنى اللص؟ ثم
 أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيه يا ملأمان، أما والله إنك بي عارف
 فهل أنت إلا من لصوص بنى مازن شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت القلح
 في رأسك متتلك تمسك الأمانى وقلت: أطرق ديار بنى عمرو والرجال خلوف والنساء
 يصلين في مسجدنهم فاسرقنهم. والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله
 لتخرجن أولاهن حتى تهتن مشؤومة يفتن فيها الحيان عمرو وحفظلة ويحيى سعد بعدد
 الحصى وتسيل طيك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلت لتكونن أشام مولود.
 فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال: اخرج بأبي وأمي، أنت مستور، إني
 والله ما أراك تعرفني ولو عرفني لقنعت بقولي وأطمأننت إلى. أنا - فديتلك -
 أبو الأغر التبهلي، وأنا خال القوم وجلة بين أعينهم لا يعصونني، ولن تضار الليلة
 فأتخرج فانت في ذمتي وعندى قوصرتان أهلهما إلى ابن أختي الباز الوصول فخذ
 إحداهما فانتبذها حلالا من الله ورسوله. وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وأنا
 سكت وثب يربغ المخرج، قتها تف أبو الأغر ثم تضاحك وقال: يا ألام الناس
 وأوضعهم، لا أرى إلا أنى لك الليلة في واد وأنت لى في واد، أقلب السوداء

والبيضاء فُصِيخٌ وطُريق ، وإذا سكَّتْ عنك وثبتَ تُرَيْغُ المخرج ، والله لصخرجن
أولاً لجنّ عليك البيت . فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت : أعراي
مجنون ، والله ما أرى في البيت شيئاً ، فدفعت الباب فخرج الكلب شتاً وحاد عنه
أبو الأغر ساقطاً على قفاه ، ثم قال : يا لله ما رأيت كالليلة ! والله ما أراه إلا كلباً ،
أما والله لو علمت بحاله لولحت عليه .

وشبهه بهذا حديث لأبي حية التميمي ، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ،
وكان يسميه لعاب المنيّة . قال جاره له : أشرفت عليه ليلة وقد أنتضاه وشمره وهو
يقول : أيها المغترّبنا والمجتريّ علينا ، بس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف
صقيل ، لعاب المنيّة الذي سمعت به ، مشهور ضررته لا تخاف نبوته . أخرج بالغو
عنك وإلا دخلت بالعقوبة عليك ، إني والله إن أدعُ قيساً تملأ الأرض خيلاً
ورَجلاً . يا سبحان الله ، ما أكثرها وأطيبها ! ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج ،
فقال : الحمد لله الذي مسحك كلباً وكفاني حرباً .

وقرأت في كتاب كليلّة ودمنة : يخاف غير المخوف طائر يرفع رجله خشية الماء
أن تسقط ، وطائر يقوم على إحدى رجله حذار الخسْف إن قام عليهما ، ودودة تأكل
التراب فلا تسبح خوفاً أن يغرق إن شيعت فتجوع ، والخفافيش تستتر بالنهار حذار
أن تُصطاد لحسنها .

بينما عبد الله بن خازم السلمي عند عيد الله بن زياد إذ دخل عليه يجرّد أبيض
فصجب منه وقال : يا أبا صالح ، هل رأيت أعجب من هذا ؟ وإذا عبد الله قد تضاعف
حتى صار كأنه فرخ وأصفو حتى كأنه جراد قد كره . فقال عيد الله : أبو صالح يعصي
الرحمن ويتهاون بالشيطان ويقبض على الثعبان ويمشي إلى الأسد الورْد ويلقي الراح
بوجهه قد اعتراه من هذا الجرذ ما ترون ! إن الله على كل شيء قدير !
(١) كذا بالسجّين ، وفي القدر القريد : « ويتهاون بالسلطان » .

كان الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام شهد بدرا مع المشركين وانهمز، فقال فيه حسان

إن كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت مني الحارث بن هشام
ترك الأجمة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طيسرة وجام

فاحتذر الحارث من فواره وقال

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرمى بأشقر منيد
وعابت أنى إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يضر عدوى مشهدي
فصدت منهم والأجمة فيهم * طمعا لم يعقاب يوم مفسد^(١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، وخرج في زمن عمر من مكة الى الشام بأهله وماله ، فاتبعه أهل مكة ليكون ، فرق وبكى ثم قال : أما إنا لو كنا نستبدل دارا ١٠ بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا ، ولكنها الثقلة الى الله ، فلم يزل هنالك مجاهدا حتى مات .

المدائني قال : رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له : مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله منك ؟ قال : أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب ، أما واقطع قد وافقته متانا كريما ، ولو شاء أن يقتلك لقتلك . ١٥ قال عمرو : يا أمير المؤمنين أما والله إنى لمن يمينك حين دعاك الى البرأز فاحوكت عينك ورجبا تحرك وبدنا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أودع .

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درج وعمامة سوداء وقوم عربية وكثانة ، فبعثت اليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت : من هذا الأعرابي المستلثم في السلاح عندك وأنت في غلالة ؟ فبعث اليها أنه الحجاج ، فأعادت ٢٠

(١) هكذا في النسخين الألمانية والفرنسية ، والتي في الماريف الصنف " يوم مرمد " .

الرسول إليه، فقال: تقول لك والله لأن يخلوك ملك الموت أحياناً أحبّ إلى من أن يخلوك الجحاج، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال: يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء يزخرف القول فأنما المرأة رِيحانة وليست قَهْرمانة فلا تُطلعها على شرك ومكيدة عدوك . فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الجحاج فقالت: يا أمير المؤمنين حاجتي أن تأمره غداً بأن يأتيني مستثماً، ففعل ذلك وأتاها الجحاج فحجبتة فلم يزل قائماً، ثم قالت: إيه يا جحاج، أنت المتهنّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لولا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الصخرة الحرام ولا يقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الإسلام، وأما نبيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فإن كنت يتفرجّن عن مثله فغير قابل لقولك، أما والله لقد نفّض نساء أمير المؤمنين الطيّب من غداً هن فيعنه في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن قد أظلتك رماحهم وأثنتك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم فأثنتك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القاتل حين نظر إليك وستان غزاة بين كنفك

أسد على وفي الحروب نعامه * قحطاً تنفر من صفيير الصافر

هلا كررت على غزاة في الوغى * بل كان قلبك في جوائح طائر

وغزاة امرأة شبيب الخارجي . ثم قالت: أنخرج، فخرج .

وكان في بني ليث رجل جبان بخيل فخرج رهطه غازين وبلغ ذلك ناساً من بني سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أساطت بهم فذهب يفر فلم يجد مقراً، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم تتل كئنته وأخذ قوسه وقال

(١) في النسخة الجغرافية "الفتوح" . (٢) هو طاسم بن ثابت كان في اللسان مادة (عنب) ورواه

ماطى وأما طب خاتل * والقوس فيها ورمحابل

* ترك عن صفحه المائل *

ما علتى وأنا جلد نابل * والقوس من تبع لها بلابل
يرز فيها وترعابل * ان لم اقاتلكم فاني هابل
اكل يوم انا عنكم ناكل * لا اطعم القوم ولا اقاتل
* الموت حق والحياة باطل *

- ثم جعل يريهم حتى ردهم ، وجاعهم الصريح وقد منع الحى ، فصار بعد ذلك شجاعا
سمعا معروفا .

- ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير وجه اخاه بشر بن مروان على الكوفة
ووجه معه روح بن زنباع الجلفاني كالوزير ، وكان روح رجلا طامبا داهية غير أنه كان
من أجبن الناس وأبخلهم ، فلما رأى أهل الكوفة من بخله مارأوا تخوفوا أن يقسد
عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا في إخراجهم فكتبوا ليلا على بابه
١٠ إنا ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل لنفسك ياروح بن زنباع

- فلما أصبح ورأى ذلك لم يشك أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه في الشخوص
فأذن له ونرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك؟ قال : يا أمير المؤمنين
تركت أخاك مقتولا أو مغلوطا . قال : كيف عرفت ذلك؟ فأخبره الخبر فضحك
عبد الملك حتى خضع برجليه ، ثم قال : احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم .
١٥ كان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وجه إلى أبي فديك فانهمز وأنى الججاج
بدواب من دواب أمية قد وسم على أنفها "مكة" فأمر الججاج فكتب تحت
ذلك : "لفرار" .

- [وقال عمر^(١) رضي الله عنه : إنا الشجاعة والبلن غرأثر في الرجال ، تجمد الرجل
يقاتل عن لايبال إلا يؤوب إلى أهله ، وتجمد الرجل يفزع عن أبيه وأمه ، وتجمد الرجل
٢٠ يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد] .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وقال الشاعر

يفتر الجباب عن أبيه وأمه * ويحيى شجاعُ القوم من لا يناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدثني أبو حاتم قال حدثني الأحمسي قال سمعت الحرسي يقول : رأيت من الجبن والشجاعة عجبا . استقرنا من مزرعة في بلاد الشام رجلين يذريان حنطة ، أحدهما أصيفر أجيمس ، والآخر مثل الجمل عظما ، قاتلنا الأصيفر بالمذرى لا تدنونه دابة إلا نخس أظفها وضربها حتى شق علينا قتل ، ولم فصل إلى الآخر حتى مات فرقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة ، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء .

وحدثني أبو حاتم عن الأحمسي قال حدثنا أبو عمرو الصفّار قال : حاصر مسلمة حصنا فغلب الناس إلى نقب منه ، فادخله أحد . فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد ، فنادى : إني قد أمرت الأذن بإدخاله ساعة يأتي ، فمزمت عليه إلا جاء . فجاء رجل فقال : استأذن لي على الأمير . فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له فقال له : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا : ألا تسودوا اسمه في صحيفة [إلى الخليفة] ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسأله من هو . قال : فذاك له . قال : أنا هو . فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

(١) كذا بالألمانية ، وفي الفوتوغرافية "أغينس" وله "أحيش" مصر أحش وهو ديق السافين .

(٢) في الألمانية "عكاث" ولم نثرطيه في كتب التراجم ، وله حماد بن واقد أبو عمرو الصفّار كما في كتب التراجم . (٣) زيادة في الألمانية .

حدثني محمد بن عمرو الجرجاني قال كتب أنوشروان إلى مرازبه : عليكم بأهل
الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابي قوما تحاربوا
فقال : أقبلت الفحول تمشي مشى الوُحول ، فلما تصالحوا بالسيف ففرت المنايا
أفواهاها . وذكر آخر قوما اتبعوا قوما أغاروا عليهم فقال : آحتنوا كلَّ جمالية صيرانية
فما زالوا يَخْصِفون أخفاف المِطى بمخواف الخيل حتى أدركهم بعد ثلاثة فجعلوا المُرَّان
أوشية الموت وأستقوا بها أرواحهم .

حدثني عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهزمتنا من قطري
وأصحابه فأدركني رجل على فرس فسمعت حسا منكرا خلفي ، فالتفت فإذا أنا بقطري
فيكست من الحياة فلما عرفني قال : أشدُّ عنايتها وأوجع خاضعتها قطع الله يدك .
قال : ففعلت فنجوت منه .

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال : لما غرق شبيب ^(١) قالت امرأة : الفرق
يا أمير المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال فـ [أخرج فشق بطنه وأخرج فؤاده
فاذا مثل الكوز ، فجعلوا يضربون به الأرض فيترو .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا صاحب لنا عن أبي عمرو بن العلاء
قال : لما كان يوم الكلاب نرج رجل من بني تميم ، أحسبه قال : سعدى ، فقال :
لو طلبت رجلا له فداء ! قال : فخرجت أطلبه ، فاذا رجل عليه مِقطعة يمانية على
فرس ذئوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يساري أقصد لي . قلت : أيها
منك الين . قال : العراق مني أبعد . قلت : وما لله لا ترى أهلك العام . قال
لا والله ولا أهلك لا أراهم . قال : فركبته ولما كان بعد أيام ونعت نعت بعد ذلك ،
فقبل لي : هو وعلة الجرجي .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأخنف بن قيس على جيش قبل خراسان فيتهم العدو ليلا وفزقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ففزع الناس وكان أول من ركب الأخنف فأخذ سيفه وتقلده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول

إن على كل رئيس حقا * أن يخضب الصعدة أو تدقا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحاب الطبل الصوت انهزموا . ثم حمل على الكردوس^(١) الآخر ففعل مثل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم العدو فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مرو الروذ .

١٠ . سأل ابن هبيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل ممن حضر : ما لنا وكيع ابن النورقية كيف قتله ؟ قال : غلبته بفضل فتاة كان لى عليه فصرعته وجلس على صدره وقتل به : يا ثارات دويلة . يعنى أخاه من أبيه . فقال من تحتى : قتلك الله ! فقتل كبش مضر بأخيك وهو لا يساوى كفى نوى ! ثم تعظم فلأ وجهى ثمامة ، فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة ! استدل عليها بكثرة الرقى فى ذلك الوقت .

١٥ . قال هشام لمسلمة : يا أبا سعيد هل دخلك دُعر فطُ لحرب [أو عدو]^(٢) قال : ما سلبت فى ذلك من دُعر بينه على حيلة ولم يفتنى فيها دُعر سلبنى رأى . قال هشام : هذه البسالة .

^(٣) نخرج رُهم بن حزم الهلالى ومعه أهله وماله يريد الثغلة من بلد الى بلد فلقيه ثلاثون رجلا من بنى تغلب فعرفهم ، فقال : يا بنى تغلب ، شأنكم بالمال وخلوا

٢٠ (١) الكردوس : الكنية من الخيل فى الحرب . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى النسخة الألمانية « زعيم » ولم تشر على ما يرجح احدى الرايتين .

الظعنبة . فقالوا : رضينا إن ألقيتَ الرمح . قال : وإن رمحي لمي . وحمل عليهم
فقتل منهم رجلا وصرع آخر وقال

رُداً على آخرها الأتاليا * إن لها بالمشرف حادياً
* ذكّرتني الطعن وكنتُ ناسياً *

قال الزبيري : ما استعجا شجاع أن يفز من عبد الله بن خازم السلمى وقطري .
ابن الفُجاعة .

أبو اليقظان قال : كان حبيب بن عوف المبدى فاتكاً ، فلقى رجلاً من أهل الشام
قد بعثه زياد ومعه ستون ألفاً يتجر بها فسايره ، فلما وجد غفلة قتله وأخذ المال فقال
يوماً وهو يشرب [على لثته] .

١٠ يا صاحبي أَقَلَّ اللوم والمذلا * ولا تهولاً لنشيء فأت ما فعلنا
رُداً على كُتبت اللون صافية * إني لقيت بأرض خالٍ رجلاً
خضم الفرائص لو أبصرت قِبتَه * وسط الرجال إذ ذن شبهته بجملا
ضاحكته ساعة طورا وقلت له * أنفقت بيمك إن ريتنا وإن عَجَلَا^(١)
سايرته ساعة ما بي مخافه * الا التلفت حولي هل أرى دَغَلَا
غادرته بين أجسام ومَسَجَة * لم يدري غري بعمى بعد ما فعلنا
١٥ يدعو زيادا وقد حانت منيته * ولا زياد لمن قد وافق الأجل

المفضل الصبي : كان سُلَيْك بن سُلَكَة التيمي من أشد فرسان العرب وأذكهم
وأدل الناس بالأرض وأجودهم علواً على رجله لا تعلق به الخيل وكانت أمه سوداء
وكان يقول : اللهم إنيك تهيئ ما شئت لما شئت إذا شئت ، اللهم إني لو كنت
ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في التتوغرافية : « إن زينا وإن صلا » .

- فأما الهيبة فلا هيبة . وأما قى حتى لم يبق له شيء ، فخرج على رجله رجاء أن يصيب غيرة من بعض من يمر عليه فيذهب بإبله ، حتى إذا أمسى في ليلة باردة مقمرة واشتعل الصباء وثام إذا هو برجل قد جثم على صدره وقال : استأسّر . فرفع سليك رأسه وقال : « إن الليل طويل وأنت مقمر » بخرى مثلا ، وجعل الرجل يلهمه ويقول : استأسر يا خبيث ، فلما آذاه ضمه إليه ضمة ضرط منها وهو فوقه ، فقال له سليك : « أضرمطاً وأنت الأعلى » بخرى مثلا ، ثم قال له : ما أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت ، فقلت : لا أخرجن ولا أرجع حتى أستغنى . قال : فانطلق معي ، ففضيا فوجدنا رجلا قصته مثل قصتهما ، فاتوا جوف مُراد وهو واد باليمن فإذا فيه نَم كثيرة ، فقال لها سليك : كونا قريبا حتى أتى الرعاء وأعلم لكما علم الحى أقرب هو أم بعيد ، فإن كانوا قريبا رجعت اليك ، وإن كانوا بعيدا قلت لكما قولاً ^(١) أى به لكما فأعيرا . فانطلق حتى أتى الرعاء ، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فإذا هم بعيد ، فقال لهم سليك : ألا أغنيكم ؟ قالوا : بلى . فتفتى بأعلى صوته لُسمع صاحبيه :
- يا صاحبيّ ألا لا حى بالوادي * إلا عبيدٌ وأمٌّ بين أذواد
استنكران قليلا ريت غفلتهم * أم تعدون أن الرمح للعادي
- فلما سمعا ذلك أتيا السليك فاطردوا الإبل ونهبوا بها .

- حدثني سهل بن محمد عن الأصمى قال : كان سليك يُحضّر فقع السهام من كنانته قرتن في الأرض من شدة إحضاره . وقال له بنو كنانة حين كبر : أرايت أن تربنا بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم ، اجمعوا لى أربعين شابا وأبقونى درعا هائلة . فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضّر فلات المدو ^(٢) لوتا واهتصموا في جنبته فلم يصحبوه إلا قليلا فباء يُحضّر مُنبِرا من حيث لا يرونه وجاءت الشرع تخفق في عنقه كأنها خرقة .

(١) من روى عنى إذا أرمأ . (٢) حذوا .

- قال سهل وحديثي العتيبي قال حدثني رجل من بني تميم من بعض أشياخه من قومه
قال : كنت عند المهاجرين عبد الله وإلى الإمامة فأتى بأعرابي قد كان مغروفا بالسرق
فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لي بغير
لا يُسبق وكانت لي خيل لا تُكحى ، فكنت لا أخرج فأرجع خائبا فخرجت يوما
فاحتششت ضبا فلقته على قبي ثم مررت ببيضاء سرى ليس فيه إلا عجوز ، قلت :
أخلق بهذا الخباء أن يكون له رائحة من غنم وإبل ، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها
شيخ عظيم البطن مثلهن اللحم ومعه عبد أسود وغد ، فلما رآني رحب بي ثم قام إلى ناقة
فاحتلبها وتاولني العلبه فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته ثم
احتلب تسع أئني فشرب ألبانهم ثم نحر حوارة فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحما
كومة من بطحاء وتوسدما وغط غطيطة البكر ، قلت : هذه والله الفتيمة . ثم قلت
إلى رجل إبله فخطمته ثم قرنته إلى بعيري وصحفت به فأتبني السهل وأتبعته الإبل
إربابا به ، فصارت خلفي كأنها حيل ممدود ، ففضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة
ليلة للسرع ، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرة وأقرعه برجل أخرى حتى طلع
الفجر ، فأبصرت الثنية فإذا عليها سواد فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاصدا وقومه في حجره
فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم . قال : أسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا .
فأخرج سهمًا كان نصله لسان كلب ثم قال : أبصرين أذن الضب ، ثم رماه
فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأي الأول . قال :
انظر هذا السهم الثاني في قرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأما قدره بيده ثم
وضعه بأصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا
السهم الثالث في عكوة ذنبه والرايح والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العكوة ، قلت :
(١) كلما بالنسبة الألمانية ، وفي القترغرافة « من بعض أهل » وفي القند القريد « وحديث العتيبي عن
بعض أشياخه قال كنت عند المهاجرين » - (٢) في الأصل « تخلف » والتصويب عن القند القريد .

أَنْزَلَ أَمْنًا؟ قَالَ : نَعَمْ . فَتَرَلْتُ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ خِطَامَ خِفْلِهِ وَقُلْتُ : هَذِهِ إِبْرَاقُكَ لَمْ يَنْهَبْ مِنْهَا وَبِرَّةً وَأَنَا أَنْتَظِرُ مَتَى يَرْجِعُنِي بِسَهْمٍ يَنْتَظِمُ بِهِ قَلْبِي ، فَلَمَّا تَحَيَّيْتُ قَالَ لِي : أَجِبْ . فَأَقْبَلْتُ وَإِلَهُ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِ لَا طَمَعًا فِي خَيْرِهِ ، فَقَالَ : أَيُّ هَذَا ، مَا أَحْسَبُكَ جِئْتُمَ اللَّيْلَةَ مَا جِئْتُمَ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ . قُلْتُ : أَجِبْ . قَالَ : فَاقْرَأْ مِنْ هَذِهِ الْإِبْرَاقِ بِعَيْنَيْنِ وَأَمِضْ لَطِيفِكَ ، قُلْتُ : أَمَّا وَاللَّهِ حَتَّى أَخْبِرَكَ عَنْ نَفْسِكَ قَبْلًا . ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْرَابِيَا قَطُّ أَشَدَّ ضَرْسًا وَلَا أَعْدَى رَجُلًا وَلَا أَرْمَى يَدًا وَلَا أَكْرَمَ عَفْوًا وَلَا أَجْنَفَى نَفْسًا مِنْكَ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ سِرِّ السَّجْمِ أَنَّ بَهْرَامَ جُورٌ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ لَهُ فَعَرَضَتْ لَهُ ظَبْيًا ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ تَرِيدِينَ أَنْ أَضَعَ السَّهْمَ مِنَ الْوَحْشِ ؟ قَالَتْ أُرِيدُ أَنْ تُنْشِبَهُ دُرُكَانَهَا بِالْإِنَاثِ وَإِنَاثُهَا بِالذَّكَرَانِ ، فَرَمَى تِلْكَ مِنَ الظَّبْيِ بِنُشَابَةٍ ذَاتِ شُعْبَتَيْنِ فَاقْتَلَعَ قَرْنِيهِ وَرَمَى عِزًّا مِنْهَا بِنُشَابَتَيْنِ فَأَتَتْهُمَا فِي مَوْضِعِ الْقَرْنَيْنِ . ثُمَّ سَأَلَتْهُ أَنْ يَجْعَلَ أُذُنَ الظَّبْيِ وَيُظْلِفَهُ بِنُشَابَةٍ وَاحِدَةٍ فَرَمَى أَصْلَ أُذُنِ الظَّبْيِ بِنُشَابَةٍ فَلَمَّا أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى أُذُنِهِ لِيَحْتَكَّ بِهَا بِنُشَابَةٍ فَوَصَلَ ظُلْفُهُ بِأُذُنِهِ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْقَيْنَةِ فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ وَقَالَ : شَدَّ مَا اشْتَغَلْتُ عَلَى^(١) وَأَرَدْتُ إِظْهَارَ عَجْزِي !

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ كَسْرَى اسْتَعْمَلَ قَرَابَةً لَهُ عَلَى الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ الْمُرُوزَانُ ، فَأَقَامَ بِهَا حِينًا ثُمَّ خَالَفَهُ أَهْلُ الْمَصْنَعِ — وَالْمَصْنَعُ جَبَلٌ بِالْيَمَنِ مَمْتَنِعٌ طَوِيلٌ وَوَرَاءَهُ جَبَلٌ آخَرٌ بَيْنَهُمَا فَصْلٌ إِلَّا أَنَّهُ مُتَقَارِبٌ مَا بَيْنَهُمَا — فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْمُرُوزَانُ فَنَظَرَ إِلَى جَبَلٍ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ إِلَّا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ يَمْنَعُ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ وَاحِدٌ . فَلَمَّا رَأَى أَنَّ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِمْ صَعَدَ الْجَبَلَ الَّذِي هُوَ وَرَاءَ الْمَصْنَعِ مِنْ حَيْثُ يُحَادِثُ حَصَنَتَهُمْ فَنَظَرَ

(١) فِي الْأَمَلِينَ «أَشَدَّ» وَهُوَ مُخْرِفٌ .

- الى أضيق مكان فيه وتحت هواء لا يُقدر قدره، فلم ير شيئا أقرب الى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحابه أن يقوموا به صقّين ثم يصيحوا به صيحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى اذا استجمع حُضرا رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابه فوثب الفرس الوادى فاذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت اليه حُمير قالوا :
- هذا أَيْم، والأَيْم بالجيرية شيطان، فاتهرم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضا ففعلوا واستنزلم من حصنهم قَتْل طائفة وسبي طائفة وكتب بما كان منه الى كسرى، فتعجب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقُدوم اليه وأراد أن يسأى به أساورته، فاستخلف المروزان ابنه ثم توجه نحوه فلما صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعه في تابوت ثم حملوه حتى قلموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوضع في خزانته فكان يُخرَج في كل عام اليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كُنا وكُنا .

- وروى أبو سُوقة التيمي عن أبيه عن نجته عن أبي الأغر التيمي قال : بينا أنا واقف بصقّين مر بنى العباس بن ربيعة مكفّوا بالسلاح وعيناه تَبْصَان من تحت المنفر كأنهما حيناً أرقم وبيده صفيحة له وهو على فرس له صَعْب يمنعه ويلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم : يا عباس هلم الى البراز . قال العباس : فالتروى أذا فانه إِيَّاس من القُقُول . فقتل الشامي وهو يقول
- إن تركبوا فركوب الخيل عادسا * أو تترلوف فانا معشر تُرل
- وثنى العباس وركبه قتل وهو يقول

- وتصدّ عنك تحيلة الرجل العريّض مَوْضِعٌ عن العظم
بُحْسام سيفك أو لسانك والـكَلِمُ الأصيلُ كَارِغِبِ الكَلِمُ

(١) عبارة القنطرة اقية « ويده صفيحة له يمانية يقلها وهو على فرس له صعب فيناهو يقلها (وليفته) » ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ .

ثم غَضِنَ قَضَمَاتِ دِرْعِهِ فِي مِجْزِيَّتِهِ وَدَفَعَ قَوْسَهُ إِلَى غِلَامٍ لَهُ أَسْوَدُ يَقَالُ لَهُ : أَسْلَمْ
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَلَائِلِ شَعْرِهِ ثُمَّ دَلَّفَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَذَكَرَتْ بِهِمَا قَوْلَ
أَبِي ذُؤَيْبٍ

فَتَنَازَلَا وَتَوَاقَفَتْ خِيَلُهُمَا * وَكَلَاهُمَا بَطْلُ الْقَاءِ مُحَدِّعٌ

- ٥ . وكف الناس أَعْنَهُ خِيُولُهُمْ يَنْتَظِرُونَ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلَيْنِ فَتَكَالَفَا بَيْنَهُمَا مَلِيًّا مِنْ
نَهَارِهِمَا لَا يَصِلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ لِكَلِّ لَأَمَتِهِ إِلَى أَنْ لَحِظَ الْعَبَّاسُ وَهِيًّا فِي دِرْعِ
الشَّامِيِّ فَأَهْوَى إِلَيْهِ يَدَهُ فَهَتَكَ إِلَى تُثُوثِهِ ثُمَّ عَادَ لِمَجَاوَلَتِهِ وَقَدْ أَشْمَحَ لَهُ مِفْتَاحُ الدِّرْعِ
فَضْرِبَهُ الْعَبَّاسُ ضَرْبَةً أَنْتَضَمَ بِهَا جَوَانِحُ صَدْرِهِ وَنَحَرَ الشَّامِيِّ لَوَجْهِهِ وَكَبَّرَ النَّاسُ تَكْبِيرَةً
ارْتَجَّتْ لَهَا الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَأَنْشَأَ الْعَبَّاسُ فِي النَّاسِ [وَأَنْشَأَ أَمْرَهُ] وَإِذَا قَاتِلٌ
١٠ . يَقُولُ مِنْ وَرَائِي (قَاتِلُوهُمْ بِعِزِّهِمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَبِحُزْمِهِمْ وَبِنَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَبِشَفِّ صُدُورِ
قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُهْبِ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتَوَبُّ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فَانْتَضَتْ
وَإِذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْأَغْرَسِ، مِنَ الْمُنَازِلِ
لَعَدُونَا؟ فَقُلْتُ : هَذَا ابْنُ أَخِيكَ، هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ رَبِيعَةَ. فَقَالَ : إِنَّهُ لَوْ، يَا عَبَّاسَ
أَلَمْ أَنْهَكَ وَابْنَ عَبَّاسٍ أَنْ تَخْلَا بِمَرْكَبِكَ أَوْ تَبَاشِرَا حَرْبًا؟ قَالَ : إِنْ ذَلِكَ . يَعْنِي نَعَمْ .
١٥ . قَالَ : لَمَّا عَدَا مَا بَدَأَ؟ قَالَ : فَادْعَى إِلَى الْبِرَازِ فَلَا أَجِيبُ؟ قَالَ : نَعَمْ، طَاعَةُ إِمَامِكَ أَوْلَى
بِكَ مِنْ إِبَاجَةِ عَدُوِّكَ . ثُمَّ تَغَيَّظَ وَأَسْتَشَاظَ حَتَّى قُلْتُ : السَّاعَةُ السَّاعَةُ، ثُمَّ تَطَامَنَ
وَسَكَنَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَبْتَهَلًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَشْكُرُ لِلْعَبَّاسِ مَقَامَهُ وَاعْفِرْ لَهُ ذَنْبَهُ، اللَّهُمَّ
إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ فَاغْفِرْ لَهُ . قَالَ : وَتَأَسَّفَ مَعَاوِيَةَ عَلَى عِرَارٍ وَقَالَ مَتَى يَنْطَفُئُ لُحْلُ
بِمَثَلِهِ ! أَطِئْ لَهُ ! لَاهَا اللَّهُ ذَا . أَلَا قَدْ جَرَلَ يَسْرَى نَفْسَهُ يَطْلُبُ بِدَمِ عِرَارٍ؟ فَاتَّسَدَ لَهُ
٢٠ . رَجُلَانِ مِنْ نَحْنٍ . فَقَالَ : اذْهَبَا فَإِنَّمَا قَتَلَ الْعَبَّاسُ بَرَاذِلَ كَذَا . فَاتْيَاهُ وَدَعُوهُ إِلَى
الْبِرَازِ فَقَالَ : إِنْ لِي سَيِّدَا أُرِيدُ أَنْ أُؤَامِرَهُ . فَأَتَى عَلَيْهِمَا فَخَبَرَهُ الْخَبْرَ، فَقَالَ عَلَى : وَاللَّهِ

- لَوْدِ معاوية أنه ما بقي من هاشم نافعٌ ضَرَمَ الا طُغْنِ في نَيْطِه إطفاءً لنور الله ويأبى الله إلا أن يَمُتَ نوره ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنهم منا رجال، ورجال يسومونهم الخسف حتى يَخْفِرُوا الآبار ويتكفّفوا الناس . ثم قال : يا عباس ناقني سلاحك بسلاحى ، فناقله ووثب على فرس العباس وقصد الحميين . فلم يَسْكُ أنه العباس فقال له : أذن لك صاحبك ؟ فخرَجَ أن يقول نعم ، فقال : (أَنْذَرَ لِلَّذِينَ يَغَالُظُونَ بَيْنَهُمْ طَلِبُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكانما أخطاه ، ثم برز له الآخر فأنقذه بالأول ، ثم أقبل وهو يقول : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ثم قال : يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى ، فإن عاد لك أحد فعد إلى ، ونهى الخبر إلى معاوية فقال : قبح الله الجلاج إنه لَقَعُود ما ركبته قط إلا خِلْتُ . فقال عمرو ابن العاص : المخذول والله الحميان لا أنت . قال معاوية : اسكت أيها الرجل فليس هذه من ساعتك . قال : وإن لم تكن ، رحم الله الحميين وما أراه يفعل . قال : ذاك والله أخسر لصفتك وأضيق بمحرك . قال : قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت المنجاة منها . قال : هي أعمتك ولولا هي لأُقيمت بصيرا . وقال عمرو بن العاص لمعاوية
- ١٥ معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا ، فانظُرْ كيف تصنع فإن تعطى مصرا فأرْبَحْ بصفقة * أخذت بها شيئا يضروني نفع
- نخرج الأَخْيَاسَ الجُهَنَى فلقى الحُصَيْنَ العُمَرَى ، وكانا جميعا فاتكين ، فسارا حتى لقيارجلًا من كِنْدَةَ فى تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، فقتل تحت شجرة

(١) كتب فى النسخة الفوتوغرافية بهذا (أى فى قسمه) . وقال فى اللسان بد أن أورد هذه الجملة فى مادة "نيط" سواء : إلا مات . ثم قال : ويقال النيط نياط القلب وهو المرق الذى فى القلب معنى به ٥١ .
(٢) فى النسخة الألمانية : "شيط" . (٣) كذلك فى النسخة الفوتوغرافية وهو الحسين بن عمرو بن ساعدة بن عمرو بن كلاب كان فى لسان العرب فى الأمانة «الميرى» بالياء وفى اللسان ويجمع الأهل بـ «الهسين» الكلابى .

يأكل، فلما اتبها إليه سألها . قال الكندي : ألا تضحيان؟ قزلا . فبينما هم يأكلون
مرّ ظلم فنظر إليه الكندي^(١) وأبده بصره فبدت له لبتة ، فاعتره الحصين فضرب بطنه
بالسيف فقتله ، واقتسما ماله وركبا ، فقال الأخينس : يا حصين ما صعلكة وصل؟
قال : يوم شرب وأكل . قال : فأنت لي هذه العقاب . فرفع رأسه لينظر إليها
فوجأ بطنه بالسيف فقتله مثل قتله الأول . ثم إن أختا الحصين يقال لها صحرة
لما أبطا عليها خرجت تسال عنه في جيران لها من مراح وجرم . فلما بلغ ذلك
الأخينس قال

وكم من فارس لا ترديه * إذا تحصنت لموقفه العيون
ينزل له العزير وكل ليث * شليد المضر مسكنه العرين
علوت بياض مفرقه بعضب * ينوء لوقعه الهام السكون^(٢)
فأمت مرسه ولها عليه * هدوء بعد ليلة أنين^(٣)
كصحرة أذ تسأل في مراح * وفي جرم ، وعلمها طنون
تسأل عن حصين كل ركب * وعند جهينة انلبر اليقين
فذهبت مثلا

[نخرج المهدي^(٤) وعلّي بن سليمان إلى الصيد ومعهما أبو دلامة الشاعر . فسنحت
لهم طلباء فرمى المهدي ظليا فأصابه ، ورمى علي بن سليمان كلبا فمقره ، فضحك
المهدي وقال لأبي دلامة : قل في هذا ، فقال

ورمى المهدي ظليا * شك بالسهم فزاده

(١) في النسخة القنطرة : "صليحان" . (٢) كذا في الأصل والصواب أبده بالباء الموحدة
يقال أبده النظر أي أصلاه بدته من النظر أي حظه . (٣) في القنطرة : "تنق" وهو من تق يتق
بمعنى موت . (٤) كذا في الأصل وفي أمثال الميداني :

وأخست مرسه ولها عليه * بئس هدوء ليها رنين

(٥) زيادة في النسخة الألمانية .

وعلى بن سليبا • ن رمى كلبا فصاده

فهبطا لهما كل امرئ يأكل زاده

قال أبو دلالة : كنت في عسكر مروان أيام زحف إلى شبيب الخارجي ، فلما التقى
الزحفان خرج منهم فارس يتأدى : من يارز؟ فجعل لا يخرج إليه إنسان إلا أعجبه
ولم ينتهه ، ففاظ ذلك مروان ، فجعل يثب الناس على خيما ، فقتل أصحاب خمس
المائة ، وزاد مروان على ثدته فيبلغ بها ألفا ، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالندبة
خمسة آلاف درهم ، وتحتي فارس لا أخاف خونه ، فلما سمعت بخمسة الآلاف تركته
واقتحمت الصف . فلما نظروا إلى [الخارجي] لم أنى خرجت للطمع ، فأقبل يتنبا إلى
وإذا عليه قروله قد أصابه المطر فارمعل ثم أصابته الشمس فاقفعل وعينه تدران
كأنهما في وقين ، فدنا مني وقال :

وخارج أخرج به حب الطمع • فزمن الموت وفي الموت وقع

• من كان ينو أهله فلا يرجع •

فلما وقرت في أذني انصرفت عنه هاربا ، وجعل مروان يقول : من هذا الفاضخ ؟

أتوتني به • ودخلت في غمار الناس فضجوت

كان خالد بن جعفر ندبا للتمان ، فهنا هو ذات يوم عنده وقد دعا التمان بقر
وزبد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم . فقال التمان : آدن يا حارث
فكل ، فدنا . فقال خالد : من ذا أبيت اللعن ؟ قال : هذا سيد قومه وفارسهم
الحارث بن ظالم . قال خالد : أما إن لي عنده يدا . قال الحارث : وما تلك اليد ؟
قال : قتلت سيد قومك فتركك سيدهم بعده . يعني زهير بن جذيمة ، قال الحارث

(١) في الأصلين الخمس مائة وفيها بأتمة آلاف ، ولم يقل بصبه إلا قليل من العباد . كما في شرح المراسي
على التصيل . (٢) ابتل . (٣) تقبض . (٤) كتب في القنوغرافية تحبها كالنسر لما
«نهرسان» . (٥) الوقت قرب في الصخرة يجتمع فيه الماء

أما إني سأجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الزمّع وأرعدت يده ، فأخذ يعبث بالتمر فقال له خاله : أَيْتَن تَرِيدُ فُتَاً وَلِكَّهْمَا ؟ قال الحارث : أَيْتَن تَهْمُكَ فَأَدْعُهَا ؟ ثم نهض مغضباً ، فقال النعمان لخالد : ما أردت بهذا وقد عرفت بَحْثَكَ وَسَفَهَهُ ؟ فقال : أبيت اللعن ، وما تخشع على منه ؟ فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني . فانصرف خالد فدخل قُبّة له من أديم بعد هدأة من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس نرج الحارث حتى أتى القبة من مؤخرها فشقها ثم دخل فقتله ، فقال عمرو بن الإطّانة

طَلَّانِي وَعَلَّاهُ صَاحِبِيَا * وَأَسْقِيَانِي مِنَ الْمُرْوَقِ رِيَا

إِنَّ فِينَا الْقِيَانَ يَمِزُفَنَ بِالضَّرِّ * بَ لَتَيْنَاتِنَا وَعِشَانَا رَحِيَا

يَتَنَاهَيْنَ فِي النِّعَمِ وَيَضْرِبُنَّ خِلَالَ الْقُرُونِ مَسْكَ دِكَا

أَبْلَيْنَا الْحَارِثَ بْنَ ظَالِمِ الرَّعْثِ^(١) لِيَدُ النَّاذِرِ النَّذِيرِ عَلِيَا

إِنَّمَا تَقْتُلُ النَّيَّامَ وَلَا تَهْتَلُ بِقِظَانِ ذَا سِلَاحٍ كَرِيَا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعو رجلاً ليليل إلا أجابه ولم يسأله عن اسمه . فأتاه الحارث ليلا فتهتف به ، ففرج إليه ، فقال : ما تريد ؟ قال أَعِنِّي عَلَى أَهْلِ ابْنِي فَلَانِ وَهِيَ مِنْكَ غَيْرُ بَعِيدٍ لِإِنِّهَا غَنِيمَةٌ بَارِدَةٌ . فدعا عمرو وهرسه وأراد أن يركب حاسرا . فقال له : الْهَسْ عَلَيْكَ سِلَاحُكَ فَإِنِّي لَا أَمْنُ امْتِنَاعَ الْقَوْمِ ، فَاسْتَلْأَمُ وَنُحْرِجْ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا بَرَزَا قَالَ لَهُ الْحَارِثُ : أَنَا أَبُو لَيْلٍ نَخَذُ حِذْرَكَ يَا عَمْرُو ، فَقَالَ لَهُ : أَمْنٌ عَلَى . فَنَزَرَ نَاصِيَتَهُ . وقال الحارث

عَلَّانِي بَلَّتْنِي قَيْتَتِيَا * قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ الْعِيُونَ عَلِيَا

قَبْلَ أَنْ تَذْكُرَ الْوَأْدَانَ أَنِّي * كُنْتُ قَدِمَا لِمَرْهَنَ عَصِيَا

مَا أَبَالِي إِذَا اصْطَلَبْتَ ثَلَاثًا * أَرَشِيدًا دَعَوْتِي أَمْ غَوِيَا

(١) في الفهرست « المروعد » وله محرف عن « الرئد » كما قل في هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى . (٢) في الألمانية : أمهت .

غَيْرَ آلَا أَمِيرَهُ إِثْمًا * فِي حَيَاتِي وَلَا أُخَوِّنُ صَفِيًّا
 بَلْتَنِي مَقَالَةَ الْمَرْءِ عَمْرُو * بَلْتَنِي وَكَانَ ذَلِكَ بَدِيًّا
 نَفَرَجْنَا لِمَوْعِدٍ فَالْتَقَيْنَا * فَوَجَدْنَاهُ ذَا سِلَاحٍ كَيًّا
 غَيْرَ مَا نَأْتِمِرُوعَ بِاللَّيْلِ مُعَدًّا بِكَفِّهِ مَشْرِقِيًّا^(١)
 فَرَجَعْنَا بِالْمَنْ مَنَا عَلَيْهِ * بَعْدَ مَا كَانَ مِنْهُ مَنَا بَدِيًّا^(٢)

ووفد تميم بن مرّ وبكر بن وائل على بعض الملوك، وكانا يتادمانه بجرى بينهما تفاخر
 فقالا: أيها الملك أعطنا سيفين، فأمر الملك بسيفين من عودين فَنَحْنُ وَمَوْهَا بِالْفَضَّةِ
 وأعطاهما إياهما، فجحلا يضطربان بهما مَتَا مِنْ نَهَارِهِمَا، فقال بكر
 * لو كان سيفًا حديدًا قَطَعَا *

وقال تميم
 * أَوْ نَحْنُ مِنْ جَنْبَلٍ تَصِيدُنَا *
 ففزع الملك بينهما، فقال بكر تميم
 * أَسَاجِلُكَ السَّادَاةُ مَا بَقِيْنَا *

وقال تميم
 * وَإِنْ مَتَا نَوْرُثُهَا بَيْنُنَا *
 فأورثاها بينهما الى اليوم .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن خلف الأحمر قال: كان أبو عمرو السباع يصيح
 بالسمع وقد أحتمل الشاة فيسقط فيموت فيُشَقُّ بطنه فيوجد قواده قد أخلج . وهو
 مثل في شدة الصوت . قال الشاعر في ذلك^(٣)

- ٢٠ (١) في النسخة الفلغرافية "بالقتل". (٢) كذا بالنسخة الألمانية، وفي النسخة الفلغرافية:
 «بعد من قد كان مَنَا بَدِيًّا» ولعل كلمة «مَنَا» هذه محرفة عن «مَه» فيستقيم المعنى .
 (٣) هو التابذة الجسدي كما في اللسان مادة (عرا) .

زَجَرَ ابْنُ عُرْوَةَ السَّيَّاحَ إِذَا * أَشْفَقَ أَنْ يَلْبَسَنَّ بِالْفَسَمِ

قال : وأبو عطية عفيف النصري نادى في الحرب التي كانت بين تميم وبين بني نصر لما رأى الخليل بعقوته ^(١) : يا سوء صباحاه، أينم يا بني يربوع ! فألقت الجبال أولادها، قتل في ذلك

وأسقط أجيال النساء بصوته * عفيفٌ لَدُنْ نادى بنصر فطر با

في أخبار وهب بن منبه أن يهودا قال ليوسف : لتكفن أولاً صيحن صبيحة لاسحق حامل بمصر إلا ألقت ما في بطنها .

محمد بن الضحاك عن أبيه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سلع فينادي غلباته وهم بالغابة فيُسَمِّعهم وذلك من آخر الليل . وبين الغابة وبين سلع ثمانية أميال ، وبلغ جبل وسط المدينة . وكان شبيب بن ربيعة ينتحج في داره فيسمع تنحنحه بالكُفاسة ، ويصيح برأيه فيسمع نداءه على فرسخ وكان هذا مؤذن تتجاح التي تنبأت [ذكر هذا خالد بن صفوان، ومعه أبو المحجب النهدي] فقال : ما سمع له بصوت أبعد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعني مجباح .

ثم رجل الأشتر فقال له قائد ^(٢) : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته هزم أهل العراق .

المدايني قال : أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل يستحمه ، فقال له : خذ بعيراً من إبل الصدقة . فتناول ذنب بعير صعب بفخذه فاقتلعه ، فصحب عمر وقال له : هل رأيت أشد منك ؟ قال : نعم ، نرجت بامرأة من أهل أريد بها

(١) العقوة : ما حول الدار أو ساحتها .

(٢) زيادة في النسبة الألمانية .

(٣) في التوضيحية : « الحسين بن علي عليها السلام » وفيما يدل « قائد » « يزيد » .

- زوجها فزلقنا منزلا أهله خُوف ففُربْتُ من الحوض فيينا أنا كذلك إذ أقبل رجل ومعه دَوْدُ والمرأة ناحيةً فسُرب ذوده الى الحوض ومضى الى المرأة فسلورها ونادىنى ، فما انتهيت اليها حتى خالطها ، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسى فوضعه بين عضده وجنبه فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم استلقى . فقالت المرأة : أىّ غل هذا ! لو كانت لنا منه مَخْطَلَةٌ ! وأمهتُهُ حتى امتلأَ نوماً فقممت إليه بالسيف
- فضربت ساقه فأبشَّتْها ، فانتبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرماني برجله وأخطاني وأصاب عتي بعيرى فقتله . فقال عمر : ما فعلت المرأة ؟ قال : هذا حديث الرجل . فكرر عليه مرارا لا يزيد على هذا ، فظن أنه قد قتلها .

- حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا أشهل بن حاتم قال حدثنا ابن عَوْن عن عُمَيْرِ ابن إسحاق قال : كان سعد على ظهر بيت وهو شاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين ١٠ . ويفعلون . وأبو محجنٍ في الوثاق عند أم ولدٍ لسعد فأتى يقول
- كفى حَزْناً أَنْ تَلْتَقِ الْخَيْلُ بِالْقَنَا * وَأَتَرَكَ مَشْدُوداً عَلَى وَتَائِيَا
إِذَا شَتَّ غَتَائِي الْحَيْدُ وَظَلَمْتُ * مَغَالِيْقٍ مِنْ دُونِي تُصِمُّ الْمَتَادِيَا
- فقال له أم ولد سعد : أجمعل لى إن أنا أطلقتك أن ترجع الى حتى أعيدك في الوثاق ؟ قال نعم ، فأطلقته فركب فرسا بقاء لسعد وحمل على المشركين فجعل سعد يقول : لولا أن أبا محجن في الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسى . فأنكشف المشركون وجاء أبو محجن فاعادته في الوثاق وأتت سعدا فأخبرته ، فأرسل الى أبى محجن فأطلقه وقال : والله لا حبستك فيها أبدا . معنى النحر ، فقال أبو محجن : وأنا والله لا أشرىها بعد اليوم أبدا . وقال الشاعر^(١)

- ٢٠ . سأغسل عني العار بالسيف جالبا * على قضاء الله ما كلف جالبا
- (١) في النسخة الألمانية «ظلمني» . (٢) هوسد بن ثابت المازني كما في اللسان بالحامسة .

وأنزل عن داري وأجعل هدماً * لِعِرْضِيَّ من ياق المذمة حاجبا
 ويصغر في عيني تِلْدِي إذا أَثْنْتُ * يميني بإدراك الذي كنت طالبا
 فَبَا لِرِزَايَمْ دَحْخُوا بِي مُقَدِّمًا * إلى الموت خَوَاضَا إليه الكِثَابَا^(١)
 إذا هم لم يردع كريمة هم * ولم يأت ما يأت من الأمر هائبا
 أَمَا عَمْرَات لا يريد على الذي^(٢) * بهم به من مُقْطَع الأمر صاحبا
 إذا هم التي بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبَا
 ولم يستشِر في رأيه غير نفسه * ولم يرَضْ إلا قائم السيف صاحبا
 عليكم بداري فاهدموها فانها * تراث كريم لا يخاف العواقب
 وقال رجل من بني المبرر^(٤)

لو كنت من مازن لم تستبح إيل * بنو اللقيطة من دُهل بن شيبانا
 لَأَنْتَ لِقَام بنصرى مشرَّحُشْنُ * عند الكريمة إن ذلوليَّة لانا
 قوم اذا الشر أبدى تاجذيه لم * طاروا اليه زرافاتٍ ووحدانا
 لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
 يَحْزَنُونَ من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن إساءة أهل السوء إحسانا^(٥)
 كَأَنْتَ رَبِّكَ لم يَخْلُقْ نَحْشِيته * سواهم من جميع الناس إنسانا
 فليت لي بهم قوما إذا ركبو * شَنُوا الإغارة فُرْسَانَا وَرُكْبَانَا
 لا يسألون أخاهم حين ينلهم * في الثائبات على ما قال برهانا
 لكن يطهرون أشنانا إذا فزعوا * وينفرون إلى الغارات وحدانا

(١) في الحاشية «الكتاب». (٢) في الحاشية «لم تردع عزيمة هم».

(٣) كتاب في الحاشية والذي في الأصل «التي بهم بها من مُقْطَع الأمر».

(٤) هو قُرَيْط بن أَيْف كافي الحاشية. (٥) كتاب الحاشية وفي الأصل «عمرانا».

وقال آخر

ولئن عَمِرْتُ لِأَشْفِيَنَّ النَّفْسَ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاعِي
وَلَأُطْلِمَنَّ الْبَطْنَ أَنْ الزَّادَ لَيْسَ بِمُسْتَطَاعٍ
أَمَّا النَّهَارُ فَرَأَى أَصْحَابِي بِمَوْقِعِهِ يَمْعَاجُ
أَثَرُ الشَّجَاعِ بِهَا كَثُرَ * دَانَحْرُزْ فِي مَيَرِ الصَّنَاعِ
تَرَدُّ السَّبَاعِ مَعِيَ فَأَلْغَيْتُ كُلَّيْلَ مَنْ السَّبَاعِ

وقال آخر

إِنَّا مَحْيُوكَ يَا مَسْلَمَى خَيْتِنَا * وَإِنْ سَقَيْتَ كَرَامَ النَّاسِ فَامْشِقِنَا
إِنَّا لَنُفْرِخُصَّ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا * وَلَوْ سُئِمَ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِنَا
يَبُضُّ مِفَارِقُنَا تَغْلِي مِرَاجِلُنَا * نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَبْدِينَا

وقال المملوط

أَلَمْ تَرَنِي خُلِقْتُ أَخَا حُرُوبٍ * إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ يَجْنِي جَانِي

وقال آخر^(١)

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ * نَبِيُّ سُؤِيدٍ أَنْ فَارَسَكُمْ هَوَى
أَجَلٌ صَادِقًا وَالْقَائِلَ الْفَاعِلَ الَّذِي * إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى
فَقَبْلُ لَمْ تَمَسُّ السُّنُّ وَجْهَهُ * سَوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى

(١) هو سُؤِيدُ الْمَرَادِ الْحَارِثِيُّ كَأَفِي الْحِمَاةِ وَاللَّيْنَانِ فِي مَادَةِ «عَنْسٍ» .

(٢) كَذَا بِالْحِمَاةِ ، وَفِي الْفَتْوَرِاقِيَةِ «نَبِيُّ جَوَى» ، وَفِي الْكَامِلِ «نَبِيُّ حَيٍّ» . (٣) لَمْ تَمَسُّ :

لَمْ تَقْبُرْ . (٤) كَذَا بِالْحِمَاةِ وَاللَّيْنَانِ ، وَفِي الْأَصْلِ «شَبَّ» . وَقَدْ ذَكَرَ اللَّيْنَانِ فِي مَادَةِ «عَنْسٍ»

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَخْلَسَ رَأْسَهُ فَهُوَ يَخْلُسُ وَيَخْلُسُ إِذَا أَيْبَسَ بِضَهْ قَاذَا ظَلَبَ بِضَاهُ سَوَادَهُ فَهُوَ أَلْشَمُ .

أشارت له الحرب السَّوَانُ بقاءها * يُقَمِّعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى
ولم يَجْهَرْ لَكِنْ جَنَّاها وَلَيْسَ * فَاسَى قَادَاهُ فَكَانَ كَنْ جَنَى
وقال بِسَامَةُ

إِنَّا بَنَى نَهْشَلٍ لَا تَدْعِي لِأَبٍ * عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَنْبَاءِ يَشْرِينَا
إِنْ يُجْدَرُ غَايَةً يَوْمًا لَمْ كُرْمَةً * تَلَقَّى السَّوَابِقِ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
إِنَّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ * قِيلُ الثَّكَاةِ إِلَّا أَيْنَ الْمُحَامِلُونَ
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا * مَنْ فَارَسَ؟ خَالِمْ لِيَاہُ يَمْنُونَا

وقال زهير

بَطْنُهُمْ مَا أَرَمُوا حَتَّى إِذَا أَطْعَمُوا * ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَقُوا
وقالت امرأة من كِنْدَةَ

أَبَا أَنْ يَفْزُوا وَأَلْقَنَا فِي نَحْوِهِمْ * وَلَمْ يَرْهَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَزَوْا لَكَانُوا أَعَزَّةَ * وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا
وقال آخر

بَنَى عَمَّتًا رَدُّوا فُضُولَ دِمَائِنَا * بَيْنَ لَيْلِكُمْ، أَوْ لَا تَلْمُنَا الْآوَائِمُ
فَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ وَلَئِنْ طَالَ تَرْكُكُمْ * كَذَى الدِّينِ يَنْأَى مَا نَأَى وَهُوَ غَارِمُ

وقال أبو سعيد الخزري وكان شجاعا

وما يريد بنو الأعيار من رجل * بِالْجَمْرِ مُكْتَبِلٍ بِالنَّبْلِ مُشْتَمِلٍ
لَا يَشْرِبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبَيْدَمٍ * وَلَا يَسِيتُ لَهُ جَارُ عَلَى وَجَلٍ

(١) في الأصل «في الأقرب» وألقى في الصلب عن الحماة .

(٢) كلا بالحماة وفي الأصل «طائف» .

وقال عبد القدوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بشير
نَدَى تَحْمَكُ الْأَمَالَ فِيهِ، وَنَجْدَةٌ * تَحْمَكُ فِي الْأَعْدَاءِ بِالْأَمِيرِ وَالْقَتْلِ
وقال آخر

ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلُكُمْ * ضَرَبْنَا الْعِمْلَا عَنْكُمْ بِأَيْضِ صَارِمٍ
تَمَثَّلَ زَيْدٌ بِنَ عَلَى يَوْمِ قُتِلَ بِقَوْلِ الْقَاتِلِ
أَذَلَّ الْحَيَاءَ وَعَزَّ الْمَاتَ * وَكَلَّا أَرَاهُ طَعَامًا وَيَسْلَا
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ وَاحِدٍ * فَسَبِّحُوا إِلَى الْمَوْتِ سَبِّحًا جَمِيلًا

وقال قيس بن الخطيم
أَبْجَحُ لَا يَهْمُ بِالْفِرَارِ * قَدْ طَابَ نَفْسًا بِدُخُولِ النَّارِ
وقال آخر^(١)

وَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ * فَأَيَّ رَجَالٍ بِأَدْيَةٍ تَرَانَا
وَمَنْ رَبَطَ الْجَحَاشَ فَإِنْ فِينَا * فَتَأَسَّلُبُوا وَأَفْرَاسًا حَسَنًا
وَكِنْ إِذَا أَغْرُنَ عَلَى قَبِيلٍ * فَأَعُوْزُهُمْ كَوْنٌ حَيْثُ كُنَّا^(٢)
أَغْرُنَ مِنَ الْقَبَابِ عَلَى حَلَالٍ * وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَنَا^(٣)
وَأَحْيَانًا نَكْزُرُ عَلَى أَخِينَا * إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا

وقالت الخنساء

تَعْرِقِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَرًّا * وَأَوْجِضِي الدَّهْرُ قَرْنًا وَغَمْرًا

(١) هو القماني كما في الجاسة . (٢) في الجاسة :

وَكِنْ إِذَا أَغْرُنَ عَلَى جَبَابٍ * وَأَعُوْزُهُمْ نَهْبٌ حَيْثُ كُنَّا

(٣) جمع جِلَّةٍ بكسر أوله وهي كما في القاموس القوم الثَّرْوَى، وفي ديوان الجاسة : « حلوك » جمع حَالٍ
والحي الحلول الذين يكونون في مكان واحد -

وأنتى رجال قبادوا معا * فأصبح قلبى بهم مستقرا
ومن ظن بمن يلاقى الحروب * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا
وفيها تقول

ونبئس للحرب أنوابها * ونبئس فى الأمن خرا وقرا
وهذا كقولهم : البس لكل حالة لبوسها .

وقال عبد الله بن سبرة الحرثى حين قطعت يده

وَيْلٌمْ جَارُ غِلْدَةِ الْجَسْرِ فَارَقْنِي * أَعَزُّ عَلَىَّ بِهِ إِذْ بَانَ فَاَنْصَدَمَا
يُمْنَى بَدَى غِلْدَتِ مَنَى مَفَارِقَةٍ * لَمْ أَسْتَطِعْ يَوْمَ خِلَاطِاسِهَا تَبَعَا
وَمَا ضَيَّعْتُ عَلَيْهَا أَنْ أَصَاحِبَهَا * لَقَدْ حَرَصْتُ عَلَى أَنْ نَسْتَرْخِ مَعَا
وَقَائِلُ غَابٍ عَنْ شَأْنِي وَقَائِلَةٌ * أَلَّا اجْتَنِبْتَ عِدْوَالَهُ إِذْ صُرِمَا
وَكَيْفَ أَتْرَكُهُ يَمْشِي بِمُصَلِّهِ * نَحْوَى وَأَجِبْنُ عَنْهُ بَعْدَمَا وَقَمَا
مَا كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْ خُلُقِي * وَإِنْ تَقَارَبَ مِنَى الْمَوْتِ وَاسْتَكْنَعَا
وَيَلْمُهُ فَارَسَا وَلَتْ كَتِيبَتُهُ * حَامَى وَقَدْ ضَيَّعُوا الْأَحْسَابَ فَاَرْجَعَا
يَمْشَى إِلَى مُسْتَمِيَةٍ مِثْلِهِ بِطَلٍ * حَتَّى إِذَا مَكَأَ سَيْفِيهِمَا أَمْتَصَمَا
كُلُّ بِنُوءٍ بِمَاضِي الْحَدِّ ذَى شُطْبٍ * جَلَّى الصَّبَا قُلُّ عَنْ دُرِيهِ الطَّبَعَا
حَاشِيَتِهِ الْمَوْتَ حَتَّى أَشْتَفَّ آخِرَهُ * فَمَا اسْتَكَانَ لِمَا لَاقَى وَمَا جَرَعَا

(١) كذا فى النسخة القنوغرافية وهو الموافق لما فى الكامل للبرد، وفى النسخة الألمانية « يقاسى » .

(٢) فى الأصل القنوغرافى « الحرثى » ويوافقه ما فى الأمالى ج ١ ص ٤٩ وصوابه « الحرثى » قال ابن قتيبة فى المعارف وأما الحرث بن كعب فنهى مطرف بن عبد الله بن النخع وزوارة بن أبى وعبد الله ابن سيرة الحرثى الذى قطع يده اطر ياتوس الروى ادا . (٣) فى الأمالى « قطاس » . (٤) فى النسخة القنوغرافية « أتابة » . (٥) كذا بالأصل معنى بلبؤة وإشراقه ، ورواه فى اللسان وفى الأمالى « ذرية » والقدزى فرید السيف ومناه . (٦) كذا بالأصل وهى محرفة عن « حاسية » بالسین المهملة .

كَانَتْ لَيْتَهُ هُدَابٌ مُحْمَلَةٌ * أَحْمَرُ أَرْزُقُ لَمْ يَسْمَطْ وَقَدْ صَلَا
فَإِنْ يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومَ قَطْعُهَا * قَعْدَ تَرَكْتُ بِهَا أَوْصَالَهُ قِطْعَا
وَإِنْ يَكُنْ أَطْرَبُونَ الرُّومَ قَطْعُهَا * فَإِنْ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُتَفَعَا
بَنَاتَانِ وَجُدْمُورٌ أَقِيمُ بِهَا * صَدْرُ الْفَتَاةِ إِذَا مَا آنَسُوا فَرَعَا

وقال بعض الشعراء

إِنْ لَنَا مِنْ قَوْمِنَا نَاصِرَةٌ * بِيضُ الظُّبَا سُمِرَ الْقَنَا شُبَّ اللَّحْمِ
يَسْتَفِرُّونَ الْمَوْتَ مِنْ تَحْتِهِ * وَيَسْتَفِرُّونَ الْحَرْبَ مِنْ عَقْدِ السَّلْمِ
أُولَئِكَ قَيْسُ قَوْمِنَا أَكْرَمُ بِهِمْ * قَيْسُ النَّدَى قَيْسُ الْعُلَا قَيْسُ الْكِرَمِ

وقال جعفر بن عتبة الحارثي

لَيْتَنِي عُقْبَلَا أُنْقِي قَدَ تَرَكْتُهَا * بِنَوْءٍ يَقْتُلُهَا الذُّغَابُ الْهَوَامِلُ
لَمْ يَصْدُرْ سِيفِي يَوْمَ بُرْقَةٍ تَحْتَلِي * وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَثَامِلُ
إِذَا الْقَوْمُ سَدُوا مَا زَقَا فَرَجَتْ لَنَا * بِأَيْمَانِنَا بِيضُ جَلَّتْهَا الصِّيَا قِلُ

وقال عمرو بن معد يكرب

أَعَاذَلْ شَيْكُتِي بَرَى وَرَعَى * وَكَلَّ مَقْلَصُ سَلَسِ الْقِيَادِ
أَعَاذَلْ إِنَّمَا أَقْنَى شَبَابِي * رَكُوبٌ فِي الصَّرِيحِ إِلَى الْمُنَادَى

قال أبو دؤب

لَقَدْ عَلِمْتُ وَأَنَا أَنَا * نَحْوُ الْحُتُوفِ غِلَاةُ الْحُتُوفِ
وَلَا تَقْبَلُهَا بَرْخَفُ الْقِرَارِ * إِذَا مَا الصَّفُوفُ أَهْرَتْ لِلصَّفُوفِ

(١) كذا بالأصل وهي محذوفة من «أحم» والمخة كما قال ابن سيدة لون بن الفهمه والكفة .

(٢) الجلود ما بقي من يده بعد قطعها . (٣) في النسخة الألمانية «يخون» .

(٤) في الأصلين : * تبوء يقتلها دماء هوامل * وقد أخذنا ما في الأصل من هامش النسخة

الألمانية .

ويوم أفاغت لنا خيلنا * لدى جبل الديلمى المنيف
 طَوَالَ القى بطوال القنا * وبيض الوجوه ببيض السيوف
 وكلَّ حصان بكل حصان * أمين شطاه سليم الوطيف
 ألا نسماني فما نسمنى * برادعتي عن ركوب المخوف
 لى الصبر عند حلول اللآ * إذا تزلت بي إحدى الصرُوف
 وإن تسالى تخبرى أنى * أقى حسبي بألوف الأكوف
 وأحلم حتى يقولوا ضعيف * وما أنا - قداموا - بالضعيف
 خفيف على فرسى ما ركبت * ولست على ظالمى بالخفيف

باب الحيل فى الحروب وغيرها

- ١٠ قال ابن احمق : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر ، مرّ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال الشيخ : لا أخبركم حتى تخبروني من أتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أخبرتنا أخبرناك » . فقال الشيخ : خُبرت أن قريشا نهرجت من مكة وقت كذا ، فإن كان الذى خبرتنى صدق فهى اليوم بمكان كذا ، للوضع الذى به قريش . وخُبرت أن محمداً خرج من المدينة وقت كذا ، فإن كان الذى خبرتنى صدق فهو اليوم بمكان كذا ، للوضع الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول : نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

- حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال حدثني شيخ من بني العبر قال : أسرت بنو شيان رجلاً من بني العبر فقال لهم : أرسل الى أهل ليقتلوني . قالوا : ولا تكلم

- الرسول إلا بين أيدينا . فجاءوه برسول فقال له : أنت قومي قتل لم : إن الشجر قد أورق وإن النساء قد أشتك . ثم قال له : أتعقل ما أقول لك ؟ قال : نعم أعقل . قال : فما هذا ؟ وأشار بيده . قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلي قتل لم : عروا جملي الأصهب وأركبوا ناقتي الحمراء وسلوا حارثا عن أمرى . فأتاهم الرسول فأخبرهم ، فأرسلوا إلى حارث فقص عليه القصة ، فلما خلا معهم قال لهم : أما قوله : «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا . وقوله «إن النساء قد أشتك» فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكاء للفرز ، وهي أسقية ، ويقال للنساء الصغير شحوة . وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثل الليل أو في الليل . وقوله : «عروا جملي الأصهب» يريد ارمحلوا عن الصبان . وقوله : «اركبوا ناقتي الحمراء» يريد اركبوا اللعناء . قال فلما قال لهم ذلك تحولوا من مكانهم ، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .
- ١٠ أرسل على بن أبي طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال : أنت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور ماقصا قرنه ، يركب الصعوبة ويقول هي أسهل ، فأقرنه السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرفتني بالجماز وأكرهني بالعراق ، فما عدا بما بدأ ؟ قال ابن عباس : فأيتته فأبلغته . فقال
- ١٥ قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وأفراد واحد ، وأم مبرورة ، ومشاورة العشرة ، ونشر المصاحف ، نحل ما أحلت ونحرم ما حرمت .
- الميثم بن عدي قال : مر شبيب الخارجي على غلام في الفرات يستنقع في الماء ، فقال له شبيب : اخرج إلى أسألك . قال : فأتا آمن حتى أليس ثوبى ؟ قال : نعم . قال : فواقه لا ألبسه .
- ٢٠ قال الميثم : أراد عمر ربه الله قتل المرتزان . فاستمقى فأبى بقاء فأمسكه بيده واضطرب ، فقال له عمر : لا بأس عليك ، إني خير قاتلك حتى تشربه . فأتى القديح

من يده وأمر عمر بقتله، فقال : أو لم تؤمنني ؟ قال كيف آمنتك ؟ قال : قلت : لا بأس عليك حتى تشربه ، ولا بأس أمان ، وأنا لم أشربه . فقال عمر : قاتله الله ! أخذ أمانا ولم تشربه . قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق .

المعنى : بعث يزيد بن معاوية عيد الله بن عَصَاهُ الأشعري الى ابن الزبير فقال له : إن أول أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال له ابن الزبير : إنه ليست في عنقي بيعة ليزيد . فقال عيد الله : يامعشر قريش ، قد سمعتم ما قال وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة .

المدائني قال : أقبل واصل بن عطاء في رُقعة فلقبهم ناس من الخوارج ، فقالوا لهم : من أتم ؟ قال لم واصل : مستجيرون حتى نسمع كلام الله ، فأعرضوا علينا . فرضوا عليهم فقال واصل : قد قبلنا . قالوا : فأَمْضُوا راشدين . قال واصل : ما ذلك لكم حتى تُلغِنَا مامنتا . قال الله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) فأبلغونا مامنتا . فاجاموا معهم حتى بلغوا مأمَنهم .

وقال معاوية : لا ينبغي أن يكون الماشي غير جواد ولا الأموي غير سليم ولا الزبيرى غير شجاع ولا المخزومي غير تَيَّاه . فبلغ ذلك الحسن بن علي فقال : قاتله الله ! أراد أن يهود بنو هاشم فينقذ ما بأيديهم ، ويعلم بنو أمية فيتجنبوا الى الناس ، ويتشجع آل الزبير فيفتنوا ، ويقتله بنو مخزوم فيبغضهم الناس .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : استقبل الخوارج ابن عَرَبَاضَ اليهودى وهم بَحْرُورَى فقال : هل خرج اليكم في اليهود شيء ؟ قالوا : لا . قال : فأَمْضُوا راشدين .

المدائني قال : لما بلغ قتيبة بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن نحرسان واستمال يزيد بن المهلب كتب اليه ثلاث صحائف ، وقال للرسول : ادفع اليه هذه ، فان دفعها (١) في النسبة الألسانية : الحسين .

- الى يزيد فادفع اليه هذه ، فان شئتني عند قراءتها فادفع اليه الثالثة . فلما صار اليه الرسول دفع اليه الكتاب الأول وفيه : يا أمير المؤمنين ، إن من بلائي في طاعة أبيك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثاني وفيه : يا أمير المؤمنين ، تأمن ابن دحمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده ! فستمت قتيبة ، فدفع اليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان ابن عبد الملك ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فوالله لأؤثّقن لك أخية لا يترعها المهر الأبر . قال سليمان : عجّلنا على قتيبة . يا غلام ، جدد له عهدك على خراسان .

- لما صرف أهل مِزّة الماء عن أهل دمشق ووجهوه الى الصبحارى كتب اليهم أبو الهندام : الى بنى أستا أهل مِزّة ، ليسفني الماء أو لتصبّحنكم الخليل . فوافاهم الماء قبل أن يمتنعوا فقال أبو الهندام : «الصدق يُبَيّنُ عنك لا الوعيد» .
- ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان يبعض التلكنكو والتريص ، فكتب اليه يزيد : أما بعد فإني « أراك تهتم رجلا وتؤخر أخرى » فإنا أذاك كتابي هذا فاعتمد على أيتهما شئت ، والسلام .

- ولما هُزم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لم يدر الناس كيف يمزونه ، فدخل عليه عبد الله بن الأَهمّ فقال : [مرحبا بالصبار المخدول] الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم يتفكر لك علينا ، فقد تعرّضت للشهادة بجهلك إلا أن الله علم حاجة الإسلام اليك فأبقاك له بخذلان من كان معك لك . فصبر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومي — وكان عامل يزيد بن معاوية على مكة — الى مسلم بن عُقبة المُرّي ، فأناه الكتاب وهو بأثر رقيق ، وفي الكتاب : أصلح الله

(١) في النسخة القزوينية : أبو الهندام . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

الأمير، إن ابن الزبير أتاني بما لا قيل لي به فأنحزْتُ . فقال : يا غلام أكتب اليه :
أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر أن ابن الزبير أهلك بما لا قيل لك به فأنحزرت . وآم الله
ما أبالي على أي جننيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبهما إلى ، وبالله لن بقيت
لك لأنزلتك حيث أنزلت نفسك والسلام .

٥ أبو حاتم قال، حدثنا العتيبي قال حدثنا إبراهيم قال : لما أسن معاوية اعتراه
أرق فكان إذا هوم أيقظته نواقيس الروم، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال :
يا معشر العرب، هل فيكم من يفعل ما أمره وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين
إذا رجع؟ فقام قتي من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . قال : تذهب بكيتي^(١) إلى
ملك الروم، فإذا صرت على بساطه أذنت . قال : ثم ماذا؟ قال : فقط . فقال
١٠ لقد كلّفت صغيرا وآيت كبيراً . فكتب له ونرج، فلما صار على بساط قيصر أذن،
فتناجزت البطارقة وأخترطوا سيوفهم فسبق إليه ملك الروم فجثا عليه وجعل يسألهم
بحق عيسى وبحقهم عليه لما كفوا، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين
رجليه، ثم قال : يا معشر البطارقة، إن معاوية رجل قد أسن وقد أرق وقد آذته^(٢)
النواقيس، فأراد أن يقتل هذا على الأذنان فيقتل من قبله منّا بيلاده على النواقيس،
١٥ واقه ليرجعن إليه بخلاف ما ظنن . فكساه وحمله فلما رجع إلى معاوية قال : أوقد
جفتي سلسا؟ قال : نعم، أنا من قبلك فلا .

وكان يقال : ما ولي المسلمين أحد إلا ملك الروم مثله إن حاز ما وإنت عاجزا .
وكان الذي ملكهم على عهد عمر هو الذي دقن لهم النواوين ودوخ لهم المدق،
وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال :
٢٠ كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتي من قبلهم الدنانير، وكان

(١) لعلها تذهب بكيتي الخ . (٢) في النسخة الألمانية : يديه .

عبد الملك أول من كتب (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الطوامير، فكتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئا من ذكر نبيكم نكرهه فإنه عنه وإلا أناكم في دنانيرنا من ذكره ما نكرهون . فكبر ذلك في صدر عبد الملك وكره أن يدع شيئا من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه في الدنانير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكره ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم إحدى بنات طلي^(١) ، وأخبره الخبر . فقال : ليخرج روعك ، حرم دنانيرهم وأضرب للناس مسككا ولا تعفيهم مما يكرهون . قال عبد الملك : فوجتها حتى تفرج الله عنك .

حدثنا الراشدي قال : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إلى ملك الروم : إنك قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد أخطأ أبوك ، وإن كان باطلا فقد خالفته . فكتب إليه الوليد (وَدَّادٌ وَسَيَّانٌ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) إلى آخر القصة .

حدثنا الزبائدي محمد بن زياد قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب قيصر إلى معاوية : سلام طليك ، أما بعد فأنبئني بأحب كلمة إلى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة ، ومن أكرم عباده إليه وأكرم إمامه ، وعن أربعة أشياء فيهن الروح لم يرتكضن في رحم ، وعن قبر يسير بضاحيه ومكان في الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة ، والحجرة ما موضعها من السماء وقوس قزح وما به أمره ؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم أكنه ! ما أدرى ما هذا ! . فأرسل إلى يسائني قتل : أما أحب كلمة إلى الله فلا إله إلا الله لا يقبل عملا إلا بها وهي المنجية ، والثانية سبحان الله وهي صلاة الخلق ، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر ، والرابعة الله أكبر فوامح الصلوات والركوع والسجود ، والخامسة

لاحول ولا قوة إلا بالله . وأما أكرم عباد الله إليه فآدم خلقه بيده وعلمه الأسماء كلها ، وأكرم إمانه عليه مريم التي أحصنت فرجها . والأربعة التي فيهن روح ولم يرتكضن في رحم فآدم وحواء وعصا موسى والكباش . والموضع الذي لم تصببه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انطلق لموسى وبني إسرائيل . والقبر الذي سار بصاحبه فبطن الحوت الذي كان فيه يونس .

أبو حاتم عن العتيبي عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعدهما بين يديه وجعل يسألها عن أعمالها إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية ، فقال له معاوية : أعلّ قيب وإلى قصص؟ هلمّ حتى أخبر أمير المؤمنين عن عمك ويخبره عن عملي . قال عمرو : فعلت أنه يعمل أبصر مني بعمله وأنت عمر لا يدع أول هذا الحديث حتى يأتي على آخره ، فأردت أن أفعل شيئاً أقطع به ذلك فرفضت يدي فلطمت معاوية ، فقال عمر : تأله ما رأيت رجلاً أسفه منك ، يا معاوية أطمئه . فقال معاوية إنّي لأمبراً لا أقضي الأمور دوني . فأرسل عمر إلى أبي سفيان فلما رآه ألقى له وسّاده ثم قال معتذراً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألمنا بعثت إلى؟ أخوه وأبن عمه وقد أتى غير كبير ، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال ذكر بشر بن أرطاة طياً فقال منه فضرب زيد بن عمر - وأمه ابنة علي بن أبي طالب - على رأسه بعضاً فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمر : أتعري ما صنعت؟ وثبتت على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعضاً ، لقد أثيت عظيماً . ثم بعث إلى بشر فقال أتعري ما صنعت؟ وثبتت على أين الفاروق وأبن علي بن أبي طالب تسبه وسط الناس وتزدريه ، لقد أثيت عظيماً . ثم بعث إلى هذا بشيء وإلى هذا شيء .

المدائني قال : كان ابن المقفع محبوبا في نِزاج كان عليه وكان يعدُّب، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعين من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال، قال المختار : ادعوا إلى المهدي محمد بن الحنفية . فلما خشي أن يبيء قال : أما إن فيه علامة لا تخفى، يضربه رجل بالسيف ضربة . لا تسلم فيه . قال الأصمعي عرضة لأن تجزأ به .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عوانة بن الحكم الكلبي قال : ولَّى عليّ رضي الله عنه الأشرم مصر فلما بلغ العريش أتى بطراً مصر فقال له مولى لعميان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر . هل لك في شربة من سويق أجدها لك؟ قال : نعم . فجدها له بسبل وجعل فيها سماً قاضيا فلما شربها يس، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردها على الكبد! « إن الله جنودنا منها السبل » . وقال عليّ « للبدن والقم » .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد قال نظر عليّ إلى ولد عثمان كأنهم مستوحشون فسأله فقالوا ترى بالليل، فقال : من أين يأتيكم الرمي؟ قالوا : من ههنا . فصعد عليّ ولق رأسه ثم جعل يرمي وقال : انا عاد فافعلوا مثل هذا فاقطع الرمي . قال محمد بن كعب القرظي : جاء رجل إلى سليمان النبي عليه السلام فقال يا نبي الله : إن لي جيرانا سرقوا إوزتي فنأدى : الصلاة جامعة . ثم خطبهم فقال في خطبته : وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فسح رجل على رأسه، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

(١) الذين رآه الربا، وعين الثائر وعين أخذت

(٢) في نسخة التتويغ «أبي الزناد»

أخذ الحكم بن أيوب التقي عامل الحجاج إياس بن معاوية في ظنة الخوارج ، فقال له الحكم : إنك خارجي منافق وشتمه ، ثم قال أمتي بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بي منك . قال : وما علمي بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إياس : فقيم هذه الشهادة منذ اليوم . فضحك وخلّ سبيله .

دخل رجل من بني غزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيريا ، فقال له عبد الملك : أليس قد ردّك الله على عقيبك ؟ قال : ومن ردّ عليك فقد ردّ على عقيبه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصارى يختلف إلى الضحاك بن مزاحم فقال له يوما : لو أسلمت ! قال : يمتني من ذلك حيّ للحمر . قال فأسلم وأشربها . فأسلم ، فقال له الضحاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمر حددناك وإن رجعت عن الإسلام قتلناك .

فحسن إسلامه .

دخلت أم أقي العبدية على عائشة رضي الله عنها فقالت : يأم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابنها لها صغيرا ؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفا ؟ قالت : خذوا بيد عدوة الله .

العتبي قال كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة : أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال .

إني والله قد لستكم فاخفتكم ورقمت بكم فاخرقتكم ثم وضعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني . وآيم الله ثن وضعتكم تحت قدمي لأطأكم وطأة أقل بها عدكم وأذلّ غابركم وأترككم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وعمود . ثم تمثل

لعل الحلم دل على قومي * وقد يُستضعف الرجل الحلم
ومارست الرجال ومارسوني * فعوج عليّ ومستقيم

أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال : أخذ سُرَّاقَة بن مِرْدَاس الباريقَ أسيرا يوم جَبَّانة السَّيِّع ، فقدم في الأسرى فقال
 امننَّ على اليوم يا خيرَ معذ * وخير من لي وصلّى ومجذ *^(١)

- فعفا عنه المختار ثم خرج مع إسماعيل بن الأشعث عليه بغيء بمرافقة أسيرا فقال
- له المختار : ألم أعف عنك ؟ أما والله لأقتلنك . قال : إن أبي أخبرني أن الشام مستفتح لك حتى تهدم مدينة دمشق حجرا حجرا وأنا معك فوالله لا تقتلني . ثم أنشد
- ألا أبلغ أبا إسماعيل أنا * نزونا نزوةً كانت علينا
 خرجنا لا نرى الضعفاء شيئا * وكان خروجنا بطرا وحيئا
 نراهم في مصنفهم قليلا * وهم مثل الدِّبَابِ لما ألقينا^(٢)
 فاصبح إن قدرت فلو قدرنا * بلجونا في الحكومة وأعتلينا
 فقبل توبةً مني فاني * سأشكر إن جلت التقدينا

- نقل سبيله ثم خرج إسماعيل عليه ومعه سُرَّاقَة فأخذ أسيرا فقال : الحمد لله الذي أمكنني منك يا صدق الله ، فقال سُرَّاقَة : ما هؤلاء الذين أخذوني ! فأين هم ؟ لا أراهم !
- إنا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض على خيل يأتى تطيرين السماء والأرض .^(٣)
- فقال المختار : خلوا سبيله ليخبر الناس . [ثم حاد لقتاله وقال^(٤)
 ألا من غير المختار عني * بأن الباقى بيض مصمات^(٥)

(١) في النسخة القنوزرافية "بشير والجند" وهو محووف وصوابه كما في الطبري "بشير والجند" .
 (٢) في النسخة القنوزرافية "عبد الرحمن" وقد صوب في هامشها بأما إسماعيل ويرجمه في الطبري والقنوزي .
 (٣) في النسختين «إن» وفي ابن جرير «فاصبح إذ ملكت» وهو الأنسب . (٤) زيادة في النسخة الألمانية . (٥) في الطبري .

ألا أبلغ أبا إسماعيل أني * رأيت البقي دما مصمات

أَرَى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأَاهُ • صَاحِبَانَا عَظَمَ بِالتَّهَات
كَفَرْتُ بِدِينِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا • عَلَى قَتَالِكُمْ حَتَّى الْمَاتِ]

خرج المغيرة بن شعبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وكانت له عترة يتوكأ عليها فربما أقتله فيرى بها قارعة الطريق فيمتز بها المار فيأخذها، فإذا صار الى المنزل عرفها فأخذها المغيرة فطعن له على رضى الله عنه فقال: لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لئن أخبرتني لأترد بعدها ضالّة أبنا، فأمسك على •

باب من أخبار الدولة والمنصور والطلبيين

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن سمالك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان إذا سمعهم يقولون: يكون في هذه الأمة اثنا عشر خليفة، قال: ما أحقكم! إن بعد الاثنى عشر ثلاثة منا: السفاح والمنصور والمهدي يسلمها الى الدجال، قال أبو أسامة: فأويل هذا عندنا أن ولد المهدي يكونون بعده الى نـ ١٠
نـ ١٠ عروج الدجال •

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب، وأما البصرة فثمانية تدعى بالكفوتقولون كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل، وأما الجزيرة فخروية ١٥
ماوفة وأعراب كأعلاج ومسامون في أخلاق النصارى، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطامة بني مروان، عداوة لنا راسخة وجهل متراكب، وأما أهل مكة والمدنية فقد ظلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بحراسان فإن هناك العدد الكبير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم تنوزعها التحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقسم فيها فساد وليست لهم اليوم هم العرب ولا فيهم كـ ٢٠
كـ ٢٠ كـ ٢٠

الأتباع بالسادات وكتطائف القبائل وعصبة العشائر ، ولم يزالوا يذألون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويمتنون والفرج ويؤملون [الدول] وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات نفمة تخرج من أفواه منكرة، وبعد فكاى أفعال إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

- وقال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي : كنت مع مروان بن محمد بالرباب . فقال لي : يا سعيد من هذا الذى يقابلى ؟ قلت : عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه ؟ قلت : نعم ، أما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفراً رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع في عبد الله بن معاوية ؟ فقال : بلى قد عرفته والله ، يا بن جعدة ليت علي بن أبي طالب [في الخليل] يقابلى . إن علياً وأولاده لا حظ لهم في هذا الأمر ، وهذا رجل من بني العباس ومعه ربح خراسان ونصر الشام ، يا بن جعدة أتدري لم عقدت لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبد الملك وهو أكبر منهما ؟ قلت : لا أدري . قال : لآنى وجدت الذى على هذا الأمر بعدى عبد الله أو عبيد الله ، فكان عبيد الله أقرب إلى عبد الله من عبد الملك .

- وكتب مروان إلى عبد الله بن علي : إني لا أظن هذا الأمر إلا صاراً إليك ، فإنا كان ذلك فاعلم أن حرمنا حريمك . فكتب إليه عبد الله إن الحق لنا في ذلك وإن الحق علينا في حريمك .

- سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكانت همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصده الشهوات وإيثار اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلاً منهم باستدراج الله وأمثال المكره ، فسلبهم الله العز وقيل عنهم النعمة . فقال له صالح بن علي :

يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض التوبة هاربا فيمن معه سال
ملك التوبة عنهم فأخبر فركب إلى عبد الله فكله بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه
وأزججه عن بلده ، فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من المجلس بحضرتنا في هذه
الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير
المؤمنين قدمت أرض التوبة بأثاث سليم لي فافتشته بها وأتت ثلاثا ، فأتاني ملك
التوبة وقد خبر أمرنا ، فدخل عليّ رجل طوال أفتى حسن الوجه فقمعد على الأرض
ولم يقرب الثياب ، قلت : ما يمنعك أن تهمد على ثيابنا؟ قال : لأني ملك ، وحق
على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رقصه . ثم قال لي : لم تشر بون انخرمى
محترمة عليكم ؟ قلت : أجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأن الملك زال عنا . قال : فلم
تطاون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟ قلت : يفعل ذلك جهالنا . قال :
فلم تلبسون البياج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم ؟ قلت :
ذهب الملك منا وقُل أنصارنا فاتتصروا يقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك
على الكره منا . قال : فاطرق مليا وجعل يقلب يديه وينكت في الأرض [ويقول :^(١)
عبيدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا وزال الملك عنا ! يردده مرارا] ثم قال : ليس ذلك كما
ذكرت بل أتم قوم استحلتم ما حرم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم
فسلبكم الله العز والبسكم الثل بنوبكم ، وفيه فيكم نعمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحل
بكم العذاب وأنتم يبلدى فيصيفي معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتروّدوا ما أحضجتم
إليه وآرمحوها عن بلدى ، ففعلت ذلك .

ولما أفتتح المنصور الشام وقتل مروان قال لأبي عون ومن معه من أهل
خراسان : إن لي في بقية آل مروان تدييرا فتأهبوا يوم كذا وكذا في أكل عدة ، ثم

(١) في الفتوغرافية « عيدا » . (٢) في الفتوغرافية بدل هذه الجملة « ونيكت في الأرض ويرد
كلأى ثم قال الخ » . (٣) ظاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آخر الحكاية وفيه
ما في الكامل البرد أنها وقعت مع عبد الله بن علي وقد كان أميراً على الشام من قبل المنصور .

بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم يجمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلا فصاروا إلى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولّدهم ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الأذن للكلبي: ممن أنت؟ قال: من كلب وقد ولّدتهم. قال: فانصرف ودع القوم. فإني أن يفعل وقال: إني خالهم ومنهم. فلما استقر بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟ ليدخل، فأيقن القوم بالهلكة، ثم خرج الثانية فنادى: أين الحسن بن علي؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى: أين زيد بن علي بن الحسين؟ ثم خرج الرابعة فقال: أين يحيى بن زيد؟ ثم قيل: اتّذنبوا لهم. فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد^(٣٧) وكان له صديقا فأومأ إليه: أن ارفع، فاجلسه معه على طغفسته وقال للباقيين: اجلسوا. وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد فقال: أين القبدي الشاعر؟ فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها

أما اللطاة إلى الجفنان فهاشم * وبنو أمية من دعاة النار

فلما أنشد أبياتا منها قال الغمر: يا بن الزانية. فاقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال: امض في نسيذك. فلما فرغ رعى إليه بصرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثّل بقول القائل

ولقد ساعنى وساء سوائى * قريهم من منابر وكراسى^(٤١)

أترلوها بحيث أترلها الله * بدار الهوان والإهساس^(٤٢)
[لا تحيلن عبد شمس عثارا * وأقطعوا كل نخلة وغراس]^(٤٣)
وإذكروا مصرع الحسين وزيد * وفتيلا بجانب المهراس

(١) ربّاهم. (٢) في القترغرافية «الحسين» ولكنه يحيى بن زيد بن علي بن الحسين.

(٣) في القترغرافية «هشام» ولكنه النعمان بن زيد بن عبد الملك بن مروان.

(٤) كذا بالنسخة الألمانية، وفي القترغرافية «نماز» وله في الكامل للبرد.

(٥) زيادة في النسخة الألمانية. (٦) كذا بالأصل، وفي الكامل للبرد «كل رقة وأواسي» وقال: الرقة النسخة الطويلة والأواسي جمع آسية وهي أصل البنا، بمنزلة الأساس.

ثم قال لأهل خراسان : يعيد . فشذخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبي فقال : أيها الأمير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال
ومُدخل رأسه لم يذنه أحد * بين القرينين حتى لزه القرن

ثم قال : دهيد . فشذخ الكلبي معهم ثم التفت الى الغمر فقال : لا خير لك في الحياة
بدهم . قال : أجل ، فقتل ثم دعا يبراذع فالتقاها عليهم وبسط عليها الأنطاع ودعا
ببنداته فاكل فوقهم وإن أنين بعضهم لم يهدأ ، حتى فرغ ثم قال : ما تنهأت بطعام
منذ عقلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فأمر بهم فجروا بأرجلهم وأغم أهل
خراسان أموالهم ثم صلبوا في بستانه . وكان يأكل يوما فأمر بفتح باب من الرواق
الى البستان فاذا رائحة الجيف تملأ الأنوف ، فقيل له : لو أمرت أيها الأمير برد هذا
الباب ! فقال : والله لرائحتها أحب الى وأطيب من رائحة المسك . ثم قال

حسبت أمة أن سترضى هاشم * عنها وينهب زبيدا وحسينا
كلا ورب محمد وإلهه * حتى تُباح سهوها وحزونها
وتنل ذل حليلة لجليها * بالمشرق وتسترّد ديونها

وأنى المهديّ رجل من بنى أمة كان يطلبه فتمثل بقول مدّيف شاعرهم
جرّد السيف وأرفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويّاً
لا يشترّك ما ترى اليوم منهم * إنك تحت الضلوع داء دويّاً
فقال الأموى : لكن شاعرنا يقول

شمس العداوة حتى يُستفاد لهم * وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا
فقال المهديّ : قال شاعركم ما يشبهكم وقال شاعرنا ما يشبهنا . ثم أمر به بقتل .

وقال رجل: كما جلوسا مع عمرو بن عبيد في المسجد، فأناه رجل بكاتب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعو إلى نفسه، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول: الجواب. فقال: ليس له جواب، قل لصاحبك: دعنا نجلس في هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا في عافية .

- وكان عمرو بن عبيد إذا رأى المنصور يطوف حول الكعبة في قُطَيْن يقول: إن يُرِدَ الله بأمة محمد خيرا يُولِّ أمرها هذا الشاب من بنى هاشم . وكان له صديقا فلما دخل عليه بعد الخلافة وكتبه وأراد الإنصراف، قال: يا أبا عثمان سَل حاجتك . قال: حاجتي ألا تبعث إلى حتى آتيك ولا تعطني حتى أسألك . ثم نهض فقال المنصور
كَلِمَ مَاشِي رُوَيْدَ * كَلِمَ خَاتِلُ صَيْدَ

• غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدَ *

١٠

فلما مات عمرو رثاه المنصور فقال

صَلَّى إِلَهَهُ عَلَيْكَ مِنْ تَوَمَّدَ * قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانَ
قَبْرًا تَضُمُّنَ مُؤْمِنًا مُتَحَنِّنًا * صَدَّقَ إِلَهَهُ وَدَانَ بِالْقُرْآنِ
وَإِذَا الرِّجَالُ تَنَازَعُوا فِي سَنَةِ * فَصَلِّ الْحَلِيتَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانِ
فَلَوْلَا أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَبْقَى صَالِحًا * أَبْقَى لَنَا حَيًّا أَبَا عُمَانَ

١٥

قال الوضاح بن حبيب: كما إذا خرجنا — يعني أصحابه — من عند المنصور صرنا إلى المهدي وهو يومئذ ولي عهده ففعلنا ذلك يوما فأبرز إلى يده، ولم يكن ذلك من عادته، فأكبت عليها فقبعتها وضرب يدي إلى يده، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشيء في يده، فوضع في يدي كتابا صغيرا تسميه الكف، فلما خرجت فتحتة فانا فيه: يا وضاح، إذا قرأت كتابي فاستأذن إلى ضيائك بالري، فرجعت فقلت للربيع: استأذن لي. فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخلت فقلت: يا أمير المؤمنين، ضياعي بالري

٢٠

قد اخلت وبى حاجة الى مطالعتها فقال : لا ، ولا كرامة ، نفرجت . ثم عدت اليه اليوم الثانى والقوم معى فدخلنا فاستاذنته ، فرد الى مثل الجواب الاول . فقلت : يا امير المؤمنين ما اريد اصلاحها الا لا تقوى بها على خدمتك . فسرى عنه ، ثم قال : انا شئت فودع . فقلت يا امير المؤمنين : ولى حاجة اذكرها . قال : قل . قلت : احتاج الى خلوة . فنهض القوم وبقي الربيع قلت : اخلنى . قال : ومن الربيع وينك ما ينك ! قلت : نعم . فتصنى الربيع ، فقال : قد خلوت فقل ان جدت لى بمالك ودمك . فقلت : يا امير المؤمنين ، وهل انا ومالى الا من نعمتك ، حقنت دمي ودم ابى ورددت على مالى وآترقى بصحبك . قال : إنه يهيجس فى نفسى أن جهوراً على خلع وليس له غيرك لما أعرفه ينك ، فإظهر إذا صرت اليه الواقعة فى والتفتش لى حتى تعرف ما عنده ، وإن رأيتهم يخلع فإكتب الى ، ولا تكتبنى على يد بريد ولا مع رسول ولا فتوى خبرك فى كل يوم فقد نصبت لك فلانا القطان فى دار القطن فهو يوصل كتبك فى كل يوم الى . قال : فضيئت حتى أتيت الرى فدخلت على جهور فقال : أفلت ؟ فقلت : نعم والحمد لله . ثم أقبلت أؤانس به بالواقعة فيه حتى أظهر ما ظن به المنصور فكتبت اليه بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبي على المنصور وعنده إسحاق بن مسلم المقليل وعبد الملك بن حميد الشامي الكاتب ، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فتم ذلك المنصور ، فلما خرج عبد الله قال : يا غلام رده . فلما رجع قال : يا أبا محمد إن إسحاق بن مسلم حدثنى أن رجلاً هلك بدمشق وترك ناضاً كثيراً وأرضاً وريقاً وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك . قال : نعم يا امير المؤمنين ، ذلك مولانا قد كنت أعرفه وأكتبه . فقال المنصور : يا إسحاق ، أعجبك كلامه فأحببت أن تعرفه .

(١) فى النسخة الألمانية : « جهور » وهو تحريف اذ هو جهور بن مرار العليل أحد تواد المنصور .

أبو الحسين الملقب قال : لما بنى أبو العباس المدينة بالأنبار قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى ؟ فتمثل عبد الله فقال

ألم تر حَوْشًا أُمسَى يُبْنَى * قصورا تقعها لبي بُقِيلَة
يُؤْتَل أن يعمّر عمر نوح * وأمر الله يحدث كلَّ ليلة

- ثم أنبه فقال : أفلنى [أفالك الله] ^(١) . قال : لا أفالك الله إن بت في عسكرى ، فأخرجه إلى المدينة . [حشش بن النخيرة قال : جئت وأبو ذر أخذ بجلفة باب الكعبة وهو يقول : أنا أبو ذر الغفاري ، من لم يعرفني فانا جئت بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا»] .

- حدثنا خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شبابة بن سوار عن يحيى بن إسماعيل ابن سالم عن الشعبي قال ، قيل لابن عمر : إن الحسين قد توجه إلى العراق ، فالحقه على ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائباً في مال له فقال : أين تريد ؟ قال : العراق . وأخرج إليه كتاباً وطوأمير قال : هذه كتبهم ويعتهم . فناشده الله أن يرجع فأبى فقال : أما إني سأحدثك حديثاً : إن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فغيره بين الدنيا والآخرة فأختار الآخرة ، وإنكم يَضِعة من النبي صلى الله عليه وسلم ، والله لا تلتها أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فأرجع . فأبى فأعتقه وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل .

- حدثني القاسم بن الحسن عن علي بن محمد عن مسلمة بن محارب عن السكوني قال : كتب الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى الأخنف يدعوهم إلى نفسه فلم يرد الجواب وقال : قد جربنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم إلا لالة للكم ولا جمعا للال ولا مكيدة

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

في الحرب . وقال الشعبي : ما لقينا من آل أبي طالب ؟ إن أحببناهم قتلونا ، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولما قتل مُصعب بن الزبير خرجت سُكينة بنت الحسين تريد المدينة فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتهم جدتي وأبي وعمي وزوجي مُصعباً ، أيتيموني صغيرة وأرملتموني كبيرة فلا عاظم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء

إليك حسيناَ يوم مَصْرعه * بالطَّافِينَ الكَاثِبِ الخُرُسِ

أخضت بنات النبيّ أذ قُتلوا * في مائِمْ والسباع في عُرسِ

روى سنان بن حَكيم عن أبيه قال : انتهب الناس ورّسا في عسكر الحسين ابن علي يوم قُتلَ فَا طَلِيتَ مِنْهُ أَمْرَأَةً إِلَّا بَرَصَتْ . ولما قتل حسين قالت بنت لعقيل بن أبي طالب

ماذا تقولون إن قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم أفضل الأئمة

بعثني وبأهل بيدي منطلق * منهم أسارى وقتل ضُرِّجوا بدم

[ما كان هذا جزائي أن نصحتُ لكم * أن تحلُّوني بقتل في ذوى رحمي]

لما سمعها أحد إلا بكى .

[دخل زيد بن علي على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة ؟ قال زيد : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقرا وتسميه بقرة ! لقد اختلفنا .

أخبرا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يا جابر إنك ستعمّر بعدى حتى يولد لي مولود اسمه كاسمى يقرّ العلم بقرا فاذا لقيتَه فاقره مني السلام»

فكان جابر يتردد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو يتأذى : يا باقر، حتى قال

(١) كذا بالألمانية في القنطرة «سيارين الحكم» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

الناس : قد جُنَّ جابر . فبينا هو ذات يوم بالبلاط اذ بَصُرَ بجارية يتوزَّكها صبي فقال لها : يا جارية ، من هذا الصبي ؟ قالت : هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . فقال : أَدْنِيهِ مِنِّي فَأَدْتَهُ مِنْهُ فَقَبِلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : يَا حَبِيبِي ، رَسُولَ اللَّهِ يَقْرَأُكَ السَّلام . ثُمَّ قَالَ : نُصِيتَ إِلَى تَقْصِي وَرَبِّ الْكُفَّةِ . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَتَرِهِ وَأَوْصَى ثَمَاتَ مِنْ لَيْفَتِهِ .

[قال هشام بلغني ^(١) أَنْكَ تَرِصُ نَفْسُكَ لِلْخَلِيفَةِ وَتَطْمَعُ فِيهَا وَأَنْتَ ابْنُ أُمَةٍ . قَالَ لَهُ زَيْد : مَهْلًا يَا هِشَامُ فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ فِي أَوْلَادِ السَّرَّارِ تَقْصِيرًا عَنْ بُلُوغِ غَايَةِ مَا أُعْطِيَ إِسْمَاعِيلَ مَا أُعْطَاهُ . ثُمَّ نَحَرَ زَيْدَ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ]

مهلا بنى عمنا عن نحت أَثَلْتِنَا * سِيرُوا رَوِيدًا كَمَا كُنْتُمْ تَسِيرُونَ
لا تَجْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُونَا وَتُكْرِمَكُمْ * وَأَنْ نَكْفُفَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتَوْذُونَا
فَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَا لَا نَحْبِبُكُمْ * وَلَا نَلُومُكُمْ إِلَّا نَحْبُونَا
[ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقي هشاما إلا في كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله] .

ذكر الأمصار

١٥ قالت الحكماء : المداين لا تنفى إلا على ثلاثة أشياء : على الماء والكلأ والمُحْتَطَب .
قال ابن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه عُوفٍ من وبائها . وقال معاوية لِقَوْمٍ قَدِمُوا عَلَيْهِ : كُلُوا مِنْ خُفٍّ أَرْضُنَا فَقَلْبًا أَوْ كُلْ قَوْمٍ مِنْ خُفٍّ أَرْضُ فُضْرِهِمْ مَاؤُهَا .

(١) هكذا في الأصل ، وفي الجلة حذف . ولعل أصل الكلام : قال هشام لزيد بن علي ، كما يدل عليه باقي القصة ورواية العقد الفريد ، وقد وردت القصة كاملة هكذا في النسخة الألمانية ، وانحصرت في التفسيرانية على قوله « كتب زيد بن علي بن الحسين إلى هشام بن عبد الملك » ثم ساق الآيات .
(٢) القضا : توابع التدوير كالتفصيل والكون ونحوهما : لسان العرب .

حدثني الرياشي قال حدثني الأصمعي قال، قال معاوية: أغبط الناس عندي سعد مولاى، وكان يلى أمواله بالبحار، يترجع جثة ويتقيظ الطائف ويتشقى مكة .
حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن : الخطر والكندر والعصب والورس .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : اليهود لا تأكل من بقل سُورَى وتقول: هي مَنِيض الطوفان . قال وقال الأصمعي عن مَعْمَر^(١) قال : سبعُ محفوظات وسبع مملونات ، فمن المحفوظات تَجْرَان ومن المملونات أَتَافَتْ [وِرْدَعَةُ] . وَأَتَافَتْ بِالْيَمَنِ . وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة : ما تسمى هذه القرية ؟ فقالت ويحك ! أما سمعت قول الشاعر

أحب أَتَافَتْ عِنْدَ الْقَطَافِ * وعند عَصَاة أعانها ١٠

[قال الأصمعي : سواد البصرة الأهواز وَدَسْمِيَّان وفارس ، وسواد الكوفة كَسَكِر^(٢) الى القرب الى عمل حُلُوان الى القادسية ، وعمل العراق هَيْتُ الى الصين والسند والهند ثم كذلك الى الرى وتُرَاسَان الى الديلم والجبال كلها ، وأصبهان صرة العراق انتجها أبو موسى الأشعري ، والجزيرة ما بين دَجَلَة والفرات ، والموصل من الجزيرة ، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل فى عمل العراق] . ١٥

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بَرْدَى تسمى سوق ثمانين ، كانت فوج لما خرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين فى اليوم تسمى (١) فى النسخة الألمانية «مستبر» وهو تحريف إذ هوأبرصيدة معمر بن الحنّى القنوى النحوى وقد كان معاصرا للأصمعي - (٢) زيادة فى النسخة الألمانية . ٢٠
(٣) كنانى الأصل وهي محرفة عن «الزباب» كما فى ياقوت .

سوق ثمانين . قال : وحران سميت بها رآن بن آزد أثنى إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو لوط .

[^(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم لبريدة : « يا بريدة إنه سيُبعث بعدى بُعْثٌ فإذا بُعِثَ فكن في أهل بَعث المشرق ثم في بَعث خراسان ثم في بَعث أرض يقال لها : مَرَوْ ، فإذا أتيتها فاتزل مدينتها فإنه بناها ذوالقرنين وصلى فيها ، غزيرة أنهارها تجري بالبركة ، في كل ثقب منها ملكٌ شاهر سيفه يدفع عنها السوء الى يوم القيامة » فقدمها بريدة فمات بها] .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني الأصمعي قال أخبرني العُمر بن هلال الحبلى عن قتادة عن أبي جلدَةَ ^(٢) قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فلك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ ١٠ وأرض العرب ألف فرسخ .

[^(١) وقال أبو صالح كما عند ابن عباس فأقبل رجل بجلوس ، فقال له : ممن أنت ؟ قال من أهل خراسان ، قال : من أي خراسان ؟ قال : من هَرَاة . قال : من أي هَرَاة ؟ قال : من بُوَشَنج . ثم قال : ما فعل مسجدها ؟ قال : طامر يُصَلِّي فيه . قال : ١٥ ابن عباس كان لابراهيم مسجدان : المسجد الحرام ومسجد بُوَشَنج . ثم قال : ما فعلت الشجرة التي عند المسجد ؟ قال : بجالها . قال : أخبرني العباس أنه قال في ظلها] .

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في الأصل « يزيد » وهو تحريف .

(٣) كذا بالألمانية ، وفي النسخة القنوزرافية « أبي الجلد » ولم تعرف كتب التراجم حل من تكتب بهه الكنية ، على أن من شيوخ قتادة « أبا بريدة بن أبي موسى » قلله تحريف عنه .

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون^(١) الحزازي عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة ارتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة ، يا بقايا ثمود ويا جند المرأة^(٢) ويا اتباع البهيمة ، رعا فأتبتم وعقر فأنهزتم . أما إني لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم ، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تَفْتَحُ أَرْضُ يَقال لها البصرة أَقَوْمُ الْأَرْضِينَ قَبْلَهُ ، قَارِئُهَا أَقْرَأُ النَّاسِ ، وَعَابِلُهَا أَعْبَدُ النَّاسِ ، وَعَالِمُهَا أَعْلَمُ النَّاسِ ، وَمُتَصَدِّقُهَا أَعْظَمُ النَّاسِ صِدْقَةً ، وَتَاجِرُهَا أَعْظَمُ النَّاسِ تِجَارَةً . مِنْهَا إِلَى قَرْيَةٍ يُقال لها الْأُبْلَةُ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخٍ . يُسْتَشْهَدُ عِنْدَ مَسْجِدِ جَامِعِهَا أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، الشَّهِيد مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَالشَّهِيدِ مَعِيَ يَوْمَ بَدْرٍ » .

حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا أبو سلمة قال أخبرني أبو المُهَازِمِ عن أبي هريرة قال : مُثِلَتِ الدُّنْيَا عَلَى مِثَالِ طَائِرٍ ، فَالْبَصْرَةُ وَمِصْرُ الْجَنَاحَانِ فَإِذَا خَرَبْتَا وَقَعَ الْأَمْرُ . وحدثني أيضا عن هارون بن معروف عن صفرة عن ابن شاذب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشد الأرض عذابا وشرها ترابا وأسرعها خرابا . قال وقال آبن شاذب عن يزيد الرشد : قست البصرة في ولاية خالد بن عبد الله القسري فوجدت طولها فرمحين غير دائقين .

وقال محمد بن سلام عن شبيب بن مخزوم : تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد : لو ضلَّتْ البصرةُ لجلعتُ الكوفةُ لمن دلتني عليها . قال [محمد بن سيرين] كان الرجل يقول : غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة ، عزله عن البصرة

(١) كذا بال نسخة الألمانية ، وفي الفتح جغرافية « يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الرقي » ولم نذكر في كتب التراجم على هذين الاسمين ولعل صواب العبارة « حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الرقي » إذ الاسمان موجودان معا في كتب التراجم . (٢) يسن بها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وبالبيهمة الجمل الذي ركبه ، وبه سنى هذا اليوم ومعروف مشهور . (٣) كذا بالألمانية ، وفي الفتح جغرافية « الرشد » وكلاهما محرف عن الرشد بكسر فسكون وهو لقب يزيد بن أبي يزيد الفهري .

وَأَسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْكُوفَةِ . [وَقَالَ عَلَى حِينِ دَخَلَ الْبَصْرَةَ : يَا أَتْبَاعَ الْبَيْمَةِ وَيَا جُنْدَ الْمَرْأَةِ رَغَا فَاجِئْتُمْ وَحَقَّرْنَا هَؤُلَاءِ مِنْهُمْ ، دِينَكُمْ نَفَاقٌ وَأَخْلَاقُكُمْ رِقَاقٌ وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَالْبُصَيْرَةِ [و] السَّبِيحَةِ وَالْخُرَيْبَةِ ، أَرْضُكُمْ أَبْعَدُ الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ الْمَاءِ وَأَسْرَعُهَا خُرَابًا وَغَرَقًا .

- مَرَّ عُبَيْدُ بْنُ غَزَّوَانٍ بِمَوْضِعِ الْمُرْبِدِ فَوَجَدَ فِيهَا الْكَذَّانَ الْغُلِيظَ فَقَالَ : هَذِهِ الْبَصْرَةُ فَانْزِلُوا بِسْمِ اللَّهِ . وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ : اخْطَطَّ النَّاسُ الْبَصْرَةَ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةٍ .

خَفَرْنَا مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : أَلَا تَكَلِّمُ يَا خَالِدٌ ؟ قَالَ : أَخُوَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِهِ . قَالَ : فَاتَمَّ أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ . قَالَ خَالِدٌ : مَا عَمِي أَنْ أَقُولَ لِقَوْمِ بَيْنِ تَامِجٍ وَبَدِيعِ جَلَدٍ وَسَائِسِ قَرْدٍ ، ذَلِكَ عَلَيْهِمْ هَلْهَلٌ وَغَرَقُهُمْ فَارَةٌ وَمَلِكَتُهُمْ أَمْرَاءَةٌ .

- ١٠ . [سَأَلَ خَالِدٌ عَنِ الْكُوفَةِ فَقَالَ : نَحْنُ مَنَابِتُنَا قَصَبٌ ، وَأَنَارُنَا عَجَبٌ ، وَثَمَارُنَا رُطْبٌ ، وَأَرْضُنَا ذَهَبٌ . قَالَ الْأَحْنَفُ : نَحْنُ أَبْعَدُكُمْ سَرِيَّةً وَأَعْظَمُكُمْ بَحْرِيَّةً وَأَغْنَىكُمْ بَرِّيَّةً . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ : نَحْنُ أَكْثَرُكُمْ سَاجَا وَعَاجَا وَدِيَابِجَا وَنَرَاجَا وَعَجَاجَا] .

وَقَالَ الْخَلِيلُ فِي ظَهْرِ الْبَصْرَةِ مِمَّا عَلَى قَصْرِ أَوْسٍ مِنَ الْبَصْرَةِ

- ١٥ . زُرُّوَادِي الْقَصْرِ نَمِ الْقَصْرِ وَالْوَادِي * لَا بَدَّ مِنْ زَوْرَةٍ عَنْ غَيْرِ مِعَادٍ
تُرْقَا بِهِ السُّفْنُ وَالظُّلُمَانُ وَاقْفَةٌ * وَالضَّبُّ وَالتَّوْنُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي
وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ

يَا جَنَّةَ فَاتَتْ الْجَنَانَ فَا * تَبْلَغُهَا قِيَمَةٌ وَلَا تَمُتُ^(١)
أَلْقَتْهَا فَاتَمَحَّضَتْهَا وَطْنَا * إِنْ قَوَّادِي لِحَبِّهَا وَطُنُ

- ٢٠ . (١) زِيَادَةُ فِي النِّسْخَةِ الْأَسْنَاءِ . (٢) فِي الْيَانِ وَالْتَبِينِ «وَأَعْظَمُكُمْ بَحْرِيَّةً» .
(٣) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي تَخَابِ الْيَانِ يُجَاهِظُ أَغْنَى بِالْمَعْنَى الْمُهِمَّةُ وَهُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ يُقَالُ عَذَا الْبَلَدِ يَطْلُو : طَابَ هَوَاؤُهُ . (٤) كُنَّا فِي الْأَمْوَالِ ، وَفِي الْأَغْنَى : قَاتَبَتْ .

زقج حيطانها السَّباب بها * فهذه كَنَّةٌ وَذَا حَتَنُ
 فانظر وفكرًا تَطِيفُ به ^(١) * إن الأريب المفكرُ الفِطْنُ
 من سُفْنٍ كالنَّعامِ مقبلة * ومن نَعَامٍ كأنها سفنُ
 أنشد محمد بن عمر عن ابن كُثَّاسة في ظهر الكوفة
 وإن بها لو تاملين أصاغلًا * وليلا رقيقًا مثل حاشية البرد

بلغني عن إبراهيم بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التيمي
 قال: لما أمرت الأرض أن تفيض غاضت إلا أرض الكوفة فغلُت، فغمِج الأرض
 تُكرب على ثورين وأرض الكوفة تُكرب على أربعة ثيران . وكان يقال: إذا كان علم
 الرجل حجازيا ويحفظه كوفيا وطاعته شامية فقد كل .

[لما اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلوا وآذاهم القبار والذباب ، كتب عمر
 الى سعد في بئته رقاد يرتادون متزلا برّيا فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل
 والشاء . فسأل مَنْ قبله عن هذه الصفة فيما يليهم ، فأشار عليه من رأى العراق من
 وجوه العرب باللسان . وظهر الكوفة يقال له اللسان ، وهو فيما بين النهرين الى
 عين بنى الحذاء ، وكانت العرب تقول: أدلّع البرُّ لسانه في الرّيف ، فما كان على الفرات
 منه فهو المِلطاط وما كان على الظهر منه فهو النِّجَاف ، فكتب الى سعد يأمره به] .

وقال النابغة الجعدي يمدح الشام ^(٢)
 جاعلين الشام حَمًا لهم * ولئن همّوا لنعم المتقل
 موته أجر ونعيمه غنى * وإليه عن أذاه معتزل

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «نقلت به» كما في الأغاني . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في سجع ياتوت في الكلام على اللسان «وما كان على البطن منه فهو النجاف» .

(٤) يقال حمّ أي قصد تصدّه .

وقال أيضا

ولكن قومي أصبحوا مثل خير * بها داؤها ولا نضر الأعاديا
قال الأصمعي : لم يولد بغدير ثم مولود فهاش الى أن يحتلم إلا أن يتحول
عنها . قال : وحرّة ليلي ربما مر بها الطائر فيسقط ريشه . قال عمرو بن بحر : يزعمون
أن من دخل أرض تبت لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عجب حتى يخرج منها ،
ومن أقام بالموصل عاما ثم تفقد قوته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا
ففقده عقله وجد نقصان فيه يتنا . والناس يقولون : حُمي خير وطلح البحرين
ودماويل الجزيرة وطواحين الشام .

- قالوا : من أطال الصوم بالمصيبة في الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصة
الأهواز فنقلب كل من يزورها من الأشراف الى طبائع أهلها ، ووباؤها وحماها يكون
في وقت انكسار الوباء وزرع الحنّى عن جميع البلدان ، وكل محوم فإن حمّاه إذا انقلبت
عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة الى أن يعود الى التخليط وإلى أن يجمع في جوفه
الفساد الا محوم الأهواز فإنها تعاود من فارقتها لغير علة حدثت ، ولذلك جمعت سوق
الأهواز الأنقاضى في جبلها المطل عليها والجزارات في بيوتها ومن ورائها سبخ ومناقع
مياه نظيفة وفيها أنهار تشققها مساليل كُثفهم ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطلال
مقامها واستمرت مقابلتها لتلك الجبل قبل الصخرية التي فيها الجمرات ، فإذا امتلات
يسا وحرا وعادت بحجرة واحدة قذفت ما قبلت من تلك عليهم وقد بخرت تلك السبخ
وتلك الأنهار ، فإذا التقى عليهم ما بخرت به السبخ وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء

- (١) الحرارة كناية : عقرب قتالة تجر ذنها اذا مشى لا ترفع كما تفعل سائر العقارب .
(٢) في الأصل «طلات مائتها بذلك الجبل» والصواب عن معجم ياقوت .
(٣) هكذا في الأصل . وفي معجم البلدان « قبل تسبب الصخرية التي فيها تلك الجمرات الخ » ولعل
سوابق البارة « قبل تسبب الصخرية التي فيها تلك الجمرات فإذا امتلات الخ » .

وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء . وقال إبراهيم بن العباس الكاتب :
 حدثني مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهم ربما قُتلَ الطفل فيجده في تلك الساعة
 محموا [يعرفن ذلك ويتحدثن به] . قال : ومن قدم من شق العراق إلى بلد الرّيح
 لم يزل حزينا ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النَّارِجِيل طمس النُّجَارُ
 على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شيء يسير . قال : وفي عهد يحيى بن
 علي العرب حين افتتحوها : ألا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه . لأنها بلاد أفاع والقنافذ
 تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عيَّاش لأبي بكر المَدَنِيُّ يوم فُتِحَ عند أبي العباس : إنما مثل الكوفة
 مثل اللّهُمَّة من البدن يأتيها الماء يبرده ومنوبته، والبصرة بمنزلة المِثانة يأتيها الماء
 بعد تغيّره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عَطَّارٍ : إن الكوفة قد سَفُلَتْ عن الشام ووبائها وأرفعت
 عن البصرة وعمقها فهي مَرِيئَةٌ مَرِيئَةٌ عَذْبَةٌ تَرِيَّةٌ ، إذا أنشأ الشَّمال ذهب مسيرة شهر
 على مثل رَضْرَاض الكافور، وإذا هبت الجنوب جاءت بريح السَّواد وورده وباسمينه
 وأترجه، وماؤنا عذب وعيشنا خضيب . وقال الجحاج : الكوفة بكر حسناء والبصرة
 عجوز بجّراء أوتيت من كل حَلٍّ وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلة في سمر يزيد بن عمر بن هبيرة، فقال يزيد : أي البلدين
 أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة ؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأَزَادُ
 والمَسْقِيّ وكذا وكذا . فقال عبد الرحمن بن بشير العجلي : لست أشك أيها الأمير أنكم
 قد اخترتم لأخير المؤمنين ما تبعثون به إليه . قال : لأجل ، قال : قد رضينا باختيارك
 لنا وعلينا . قال : فأى الرُّطب يحملون إليه ؟ قال : المُشَان . قال : ليس بالبصرة منه
 واحدة . ثم أيّه ؟ قال : السَّارِي . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد بن
 (١) كنا بالأمس، وفي معجم البلدان : « ورمها » .

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأى التمر يحملون إليه ؟ قال : التَّزْيِيَّان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : ثم أية ؟ قال : المَيُّونَ أَزَاد . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأى النَّسَبَ يحملون إليه ؟ قال : قَسَبَ العنبر . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال ابن هيرة : ادعى عليك نحسا فشاركته في واحدة وسألت له أربعا ، ما أراه إلا قد غلبك .

دخل فقي من أهل المدينة البصرة ثم انصرف ، فقال له أصحابه : كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعزب والمغليس : أما الجائع فيا كل خبز الأرز والصَّحَّاء^(١) لا ينفق في الشهر درهمين ، وأما العزب فيتزوج بشق درهم ، وأما المحتاج فلا عيلة عليه ما بقيت عليه أسرته يخرأ ويبيع .

١٠ أبو الحسن المدايني قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا بمكة على السواء لملمت . قال معاوية : إنَّا كُنْتُ أَكُونُ ابْنَ أَبِي سَفْيَانَ مَتَّى الْأَبْطَحَ يَنْشَقُّ عَنْهُ سَيْلُهُ ، وَكُنْتُ ابْنَ خَالِدٍ مَتَّى أَجِيَادُ أَعْلَاهُ مَدْرَةٌ وَأَسْفَلُهُ عَصْرَةٌ .

رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رَئِيَّةٌ ، فسأل عنه فقالوا : من بنى تنلب . فوقف له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رَجُلَيْنِ قَلَمًا وَطَنًا الْبَطْحَاء . قال له ١٥ التَّنَلِّي : الْبَطْحَاوَاتُ ثَلَاثٌ : بَطْحَاءُ الْحَزِيْرَةِ وَهِيَ لِي دَوْلَةٌ ، وَبَطْحَاءُ ذِي قَارٍ وَأَنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ ، وَهَذِهِ الْبَطْحَاءُ ، وَسِوَاهُ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تُتَرَلَّى مَاءٌ سِوَاكَ فَأَكُونُ أَمْرًا سِوَاكَ . قال خالد ابن صفوان : ما رأينا أرضا مثل الأُبْلَةِ أَقْرَبَ مَسَافَةٍ وَلَا أَعْدَبَ نُطْقَةً وَلَا

(١) إدام يخذ من السك الصغار .

أوطأ مطية ولا أريج لتاجر ولا أخفى لعايد . وقال ابن أبي عينة يذكر قصر انس بالبصرة

فيا حسنَ ذاك القصر قصرا وتزمة * بأفصح سهل غير وعمر ولا ضنك
بفرس كأبكار الجوارى وتربة * كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الأرض ينظرن حوله * إلى ملك مؤيد على منبر الملك
يُدلُّ عليها مستطيلا بحسنه * ويضحك منها وهي مطرقة تبي

قال جعفر بن سليمان : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، ودارين عين الربد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب كان الخصب من شق العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشام كان الخصب بالشام ، وإذا عم جوانب البيت كان المطر عاما . قال : [وذرع الكعبة أربعمائة وتسعون ذراعا] .

المدائني قال قال الخياط : لما تنوّأت الأمور منازلها قالت الطاعة : أنزل الشام ، قال الطاعون : وأنا معك . وقال التفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك . وقالت الصحة : أنزل البادية ، قالت الشقوة : [وأنا معك] .

- ١٥ (١) في القمغرافية «مسلم» وفي الألمانية «سليمان» ويوافق ما في طلائف المعارف للصابي .
(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

نجز كتاب الحرب ويتلوه في الجزء الثالث كتاب السؤدد

كتاب السُّودد

مخايل السُّودد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة رحمه الله : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْب عن عمه الأصمعي قال : أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخاً مُسنناً من أهل البادية وكان من ولد الزُّبَيْرِ بْنِ بَدْرٍ من قَبْلِ النساء، قال : كان الزُّبَيْرَانِ يَقُولُ :
• أَبْغَضُ صَبِيلَانِي إِلَى الْأَقْبَعِ الْمَذْكُورِ الَّذِي كَأَنَّمَا يَطْلُعُ فِي حَجَرِهِ ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ ، هَرَّ فِي وَجْهِهِمْ وَقَالَ : مَا تَرِيدُونَ مِنْ أَبِي . وَأَحَبُّ صَبِيلَانِي إِلَى الطَّوِيلِ الْقُرْلَةِ السَّبْطِ الْفَرْةَ الْعَرِيضِ الْوَرْدِ الْأَبْلَهَ الْعَقُولِ الَّذِي يَطِيعُ عَمَّهُ وَيَعْصِي أُمَّهُ ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ ، قَالَ : مَعَكُمْ .

قال وقال الأصمعي قال معاوية : ثلاث من السُّودد : الصَّلَمُ ، واندحاق البطن ،
١٠ وترك الإفراط في الفيرة .

قال وقيل لأعرابي : بم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الفزة طويل القُرْلَةِ مُتَمَثِّثَ الْإِزْرَةِ وكانت فيه لَوْنَةٌ فَلَسْنَا نَشْكُ فِي سُوددِهِ . وقيل لآخر :
أَيُّ الْعُلَمَاءِ أَسْوَدُ ؟ قال : إذا رَأَيْتَهُ أَعْتَقَ أَشَدُّكَ أَحْمَقَ فَأَقْرَبُ بِهِ مِنَ السُّوددِ .
وكان يقال : إذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة حديد الأرنبة كأنما جبينه
١٥ صَلَاةٌ فَلَا تَرْجُهُ ، إِلَّا أَنْ يَرِيدَ اللَّهُ أَمْرًا فَيُخَلِّغَهُ .

- حَسَنًا الرِّاشِيَّ عَنْ الْأَصْمَى قَالَ : قَرِشٌ تَمْنَحُ بِالصَّلَحِ . وَأَنْشَدَ
 إِنْ سَعِيدًا وَسَعِيدٌ فَرْعٌ * أَصْلَعُ تَمِيهِ رَجَالٌ صُلَعُ
 وَنَظَرَ رَجُلٌ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ فَقَالَ : إِنْ أُنْظِرَ هَذَا الْغُلَامُ مِيسُودَ
 قَوْمِهِ . فَقَالَتْ هِنْدُ : تَكُنُّهُ إِنْ كَانَ لَا يَسُودُ إِلَّا قَوْمَهُ .
- ٥ قَالَ شَيْبٌ بَنَ شَيْبَةَ لِبَعْضِ فُرْسَانَ بَنِي مِثْقَرٍ : مَا مِطْلَتَ مَطْلَ الْفُرْسَانِ وَلَا قُتِيتَ
 قَتَى السَّانَةِ . وَقَالَ أَنْزَلِي سَانَ بَنَ سَلَمَةَ الْهَنْدَلِيِّ : مَا أَنْتَ بِأَرْحَمَ فَتَكُونُ فَارِسًا
 وَلَا بَعْظِمَ الرَّأْسِ فَتَكُونُ سَيْدًا . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
 فَقَبِلْتُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيْدٍ * وَكَفًّا كَكْفِ الضَّبِّ أَوْهَى أَحَقَرِ
 وَقَالَ آخَرُ
- ١٠ دَمَا ابْرُئْ مُطِيعَ الْيَاسِ بِجَفْتِهِ * إِلَى بَيْعَةِ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ الْكَفِ
 فَنَاوَلَنِي خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا * بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخِلَافِ
- وَقَرَأَتْ فِي كِتَابِ الْهِنْدِ أَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي الْفِرَاسَةِ وَالْقَوْسِ : إِنَّهُ مِنْ صَفَرْتِ عَيْنِهِ
 [وَ] دَامَ اخْتِلَاجُهَا وَتَنَاجَى طَرَفُهَا وَمَالَ أَنَّهُ إِلَى أَيْمَنِ شَقِيهِ وَبَعْدَ مَا يَبِينُ حَاجِيهِ
 وَكَانَتْ مَنَابِتُ شَعْرِهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا وَطَالَ إِكْبَابُهُ إِذَا مَشَى ، وَتَلَقَّتْ تَارَةً بَعْدَ أُخْرَى ،
 غَلَبَتْ عَلَيْهِ أَخْلَاقُ السُّوءِ .
- ١٥ كَانَ يُقَالُ : أَرْبَعُ يُسَوِّدَنَّ الْعَبْدَ : الْأَدَبُ ، وَالصَّبْرُ ، وَالْعِفَّةُ ، وَالْإِيمَانَةُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 لَوْلَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيَّنَةٌ * كَانَتْ بَدَاهَتُهُ تُبَيِّنُكَ بِالْخَبَرِ
 وَقَالَ مَعَاوِيَةُ : إِنْ لَمْ يَكُنْ الْبَكَارَةُ فِي السَّيِّدِ وَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا مَتَغَفِّلًا .
- (١) قَلِيلٌ لَمْ يَجْزِ وَالْقِسْطَيْنِ .
 (٢) هَكَذَا بِالنَّسْخِ الَّتِي بَأَيْدِنَا وَلِلْهَذَا حِزْمَةٌ عَنْ «النَّبَاةِ أَوْ لِلْبَلَدَةِ» كَمَا يَفْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

وقال الشاعر في هذا المعنى

ليس النّبيّ بسيد في قومه * لكنّ سيّد قومه المتّخاني

ويقال في مثيل : « ليس أمير القوم بالحبّ الخدع » . وقال الفرزدق

لاخير في حبّ من تُرجى فواضله * فاستمطروا من قريش كل مُتخدع

كانت فيه إذا حاولته بلها * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وقال إياس بن معاوية : لست تُحبّ والحبّ لا يخذلني . وقال مالك بن أنس

عن ابن شهاب : الكرم لما تُحكى التجارب .

قال بعض الشعراء

غير أنّي أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يسودوه عار

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : السيد الجواد حين يُسأل ، الحليم حين

يُسْتَجْهَل ، الباز بمن يعاشر . قال عديّ بن حاتم : السيد اللئيل في نفسه ، الأحمق

في ماله ، المطّرح لحقده ، المعنى بأمر عاتته . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد ،

فقال : بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقيس بن عاصم : بم سدت قومك ؟ فقال :

ببذل القريّ وترك المراء ونصرة المولى . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس

في الدنيا الأحمقاء وفي الآخرة الأتقياء . وقال سلم بن قتيبة لولده : إنكم لن تسودوا

حتى تصبروا على سرّار الشيوخ البُخّر . وقال : الدنيا هي العاقبة ، والصحة هي

الشباب ، والمروءة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هذّاب : كنا نعرف سؤدد سلم

ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع في خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد

عيه : بم سدت قومك ؟ قال : يتزكى من أمرك ما لا يعينني كما عاتك من أمري

مالا يعينك . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العتريّ : أخبرني عن مالك

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وهو في النسخة الفوتوغرافية غير واضح ، وذكر في العهد الفردي في باب

السؤدد هذه القصة وقال إنه روج بن زنباع .

ابن مِسْمَع . فقال له : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه في أى شىء
غضب . فقال عبد الملك : هنا وأبيك السُّودد ، ولم يَلْ شيئا قط . وكذلك أسماء
ابن خارجة لم يَلْ شيئا قط . قيل لعَرابَة الأَوسِيّ : بِمِ سُدَّتَ قومك ؟ فقال بأربع :
أُخْذِعَ لهم عن مالى ، وأَذَلَّ لهم في عِرْضِي ، ولا أَحْطِرُ صَنِيعَهُمْ ، ولا أَحْصِدُ رَفِيعَهُمْ .
وقال المُقَنَّنُ الكِنْدِيُّ وهو محمد بن عميرة

ولا أَحِجِلُ الحَقْدَ القديمَ عليهمُ * وليسَ رَئيسُ القومِ من يَحِلُّ الحَفْدَا
وليسوا الى نَصْرِي سَراةً وإنْ هُمُ * دَعَوْنِي الى نَصْرِ أَتِيهِمْ شَدَا
إذا أَكَلُوا لِحْيَ وَفَرَّتْ لِحُومُهُمْ * وإنْ هَدَمُوا بِجَدْيِ بَنِيَّتْ لِمِ بَعْدَا
يُصَيِّرُنِي بِالذِّبْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا * دِيُونِي فِي أَشْيَاءِ تَكْسِبُهُمْ حَمْدَا

وقال آخر

هَيَّيْثُ لَيَتُونُ أَيْسَارُ ذَوُو يَسِيرٍ * سُوَاسَ مَعْكَرَمَةِ أَبْنَاءِ أَيْسَارِ
لا يَطْطِقُونَ عَلَى الفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا * وَلا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِأَكْثَارِ
مَنْ تَلَقَّيْنَاهُمْ قَهْلَ لَاقِبَتِ سَيِّدِهِمْ * مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسِيرُ بِهَا السَّارِي

وقال آخر

وَأَنْ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَأَعْلَمُ * لَهَا صُعَدَاءُ مَطْلَعُهَا طَوِيلُ

وقال رجل من العرب : نحن لا نسود إلا من يُوطئنا رَحْلَهُ وَيُقَرِّشُنَا عِرْضَهُ
وَيُمْلِكُنَا مَالَهُ . وفي الحديث المرفوع : « مَنْ بَذَلَ مَعْرُوفَهُ وَكَفَّ أَذَاهُ فَذَلِكَ السَّيِّدُ » .
ويقال : لاسودد مع انتقام . والعرب تقول « سيد مُعْتَمٍ » يريدون أَتَكَ كُلَّ حِثَايَةِ
يَحْتَمِيهَا أَحَدٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَعْصُوبَةً بِرَأْسِهِ . ويقال : يَلِ السَّيِّدُ مِنْهُمْ كَانَ يَتَمُّ بِعِمَامَةٍ
صَفْرَاءَ لَا يَتَمُّ بِهَا غَيْرُهُ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ الزَّرِّيْقَانُ بِصَفْرَةٍ عِمَامَتِهِ . يُقَالُ : زَرَّقْتُ الشَّيْءَ
إِذَا صَفَّرْتَهُ ، وَكَانَ اسْمُهُ حُصْبَيْنَا . قِيلَ لِابْنِ هُبَيْرَةَ : مَنْ سَيِّدُ النَّاسِ الْيَوْمَ ؟
قَالَ : الْفَرَزْدَقُ ، هَجَانِي مَلِكًا وَمَدَحَنِي سُوْقَةً . وَقَالَ عَلَمَرُ بْنُ الطُّفَيْلِ

إني وإن كنت ابنَ سيدِ عامر * وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودّنتي عامر عن وراثة * أبي الله أن أسمو بأتم ولا أب
وليكنتي أخى حمأها وأتقى * أذاها وأرى من رملها بمنكب
هذا نحو قول الآخر

- نفس عصام سودت عصاما * وعلته العكر والإفداما
* وصيرته ملكا مأماما *
وعصام عبد كان للنعمان بن المنذر . وله يقول النابغة
فإني لا ألوم على دُخول * ولكن ما وراك يا عصام ؟

الكمال والتناهي في السؤدد

- حدثني أبو حمزة الأنصاري عن العتيبي قال ، قال الأحنف : الكامل من
عُنت حقواته . وكتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لشر المهند قوله ،
فكتب اليه : إن قبلي رجلين يصلحان لذلك : الأحنف بن قيس ، وسنان بن سلمة
الهلبي . فكتب اليه معاوية : بأي يوتي الأحنف نكافيه : أيخذلناه أم المؤمنين ، أم بسعيه
علينا يوم صفين ؟ فوجه سنانا ، فكتب اليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف
والعلم والسؤدد ما لا تنفعه الولاية ولا يضره العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا
أوحده الله فأمثله * لطالب ذاك ولا تاشد
وليس لله بمستكبر * أن يجمع العالم في واحد

وقال أيضا في نحو هذا

- ياناق . لا تسمى أو تبلى رجلا * قهيل راحته والركن سنان
منى تحطى اليه الرجل سالمة * تستجيب الخلق في مثال إنسان

محمد خير من يمضى على قَدَم * ممن برا لله من إنس ومن جان
تازع الأمدان الشَّبه فآسَتْهَا * خَلَقَا وَخُلِقَا كَمَا قَدْ الشَّرَا كَانَ
سَيِّانٍ لافرق في المعقول بينهما * معناه واحد والعلة اثنان

وقال الطائي

لَوْ أَتَى إِجْمَاعُنَا فِي فَضْلِ سُودَه * فِي الدِّينِ، لَمْ يَخْتَلَفْ فِي الْمِلَّةِ اثْنَانِ

وقال أيضا

فَلَوْ صَوَّرْتَ تَقْسِكَ لَمْ تَزِدْهَا * عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ

وقال خالد بن صفوان : كَانَ الْأَخْنَفُ يَقْتَرِنُ مِنَ الشَّرَفِ وَالشَّرَفُ يَتَّبِعُهُ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : وقد الأخنف والمنذر بن الجارود إلى معاوية، قَتَبَا المنذر ونَجَحَ الأخنف على قَعُودٍ وَعَلَيْهِ بَتٌّ، فَكَلِمَا مَرَّ المنذر قال الناس : هذا الأخنف، فقال المنذر : أَرَأَيْتَ تَزَيَّنْتُ لِهَذَا الشَّيْخِ . وقالت بنو تميم للأخنف : مَا أَعْظَمَ سِتْنَنَا عَلَيْكَ أَفْضَلْنَاكَ وَسُودْنَاكَ، فقال : هَذَا شُبُلُ بْنُ مَعْبُدٍ، مِنْ سُودَه وَلَيْسَ بِالْحَضْرَةِ بِجَلَى ضِرْهٍ ؟ أَوْ قَالَ بِالْبَصْرَةِ .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبد الأعلى الشاعر الشَّيبَانِي : مَنْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ أَوْ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ النَّاسَ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَحَدٍ، يَعْنِي بَنِي هَاشِمٍ . قال : مَنْ أَلَمَّ النَّاسَ ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا يُحِبُّ غَيْرَهُ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُ . قال رجل من أشراف العجم لرجل من أشراف العرب : إِنَّ الشَّرَفَ نَسَبٌ مَفْرُودٌ، فَالشَّرِيفُ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ نَسِيبٌ . وَكَانَ يُقَالُ : أَكْرَمُ الصَّافِيَا أَشْهُمًا وَلَمَّا إِلَى أَوْلَادِهَا، وَأَكْرَمُ الْإِبِلِ أَحْنَاهَا إِلَى أَوْطَانِهَا، وَأَكْرَمُ الْأَفْئَالِ أَشْهُمًا مَلَاظِمَةً لِأَهْمَاهَاتِهَا، وَخَيْرُ النَّاسِ أَلَفُ النَّاسِ لِلنَّاسِ .

(١) جمع قَوْلُ الْكَسْرِ أَوْ كَدُّ وَتَمَيُّزٌ، وَهُوَ الْجَمْعُ أَوْ الْمَجْمَعُ إِذَا ضَلَّ أَوْ لَبَّاهُ السَّبِيلَ .

السيادة والكمال في الحداثة

- قال الأحنف : السؤدد مع السواد ، يريد أنه يكون سيدا من أنه السيادة . في حديثه ومواد رأسه ولحيته ، وقد يُذهب بجمته إلى سواد الناس وعاقبتهم يُراد أن السؤدد يكون بتسويد العاتمة . وقال أبو اليقظان وإلى المجاح محمد بن القاسم ابن محمد بن الحكم التقيّ قتال الأكراد بفارس فباد منهم ، ثم ولّاه السند فافتتح السند والهند وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر
- إن السباحة والمروءة والتدبى * لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * يا قرب ذلك سؤددا من مولد!
- ويروي * يا قرب ذلك سورة من مولد * السورة المتزلة الرقعة . قال أبو اليقظان : وهو جعل شيراز معسكرا ومزلا لولاة فارس . وقال حمزة بن بيض الخلد بن يزيد بن المهلب
- بانت لعشر مضت من صبيحك ما يبلغ السيد الأثيب
فهكك فيها جسام الأمور * وهم لدايك أن يلبعوا
- نظر الخطيئة الى ابن عباس يتكلم في مجلس عمر ، فقال : من هذا الذي نزل عن الناس في سنته وعلامهم في قوله ! وقال ابن مسعود : لو بلغ أستاذنا ما عشره منا رجل . ونظر رجل إلى أبي دؤب في مجلس المأمون فقال : إن همته ترى به وراء سنه . وولى عبيد الله بن زياد خراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، ولها معاوية . وقيل لزياد عند موته : استخلف عبيد الله ، فقال : إن يك فيه خير فسيوليه عمه ، فلما مات زياد شخص عبيد الله الى عمه معاوية فقال له : ما منع أباك أن يوليوك ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين ، لا يقولتها أحد
- (١) قال ابن بري هو بكسر اليا . لا غير ، وضبطه الحافظ بالفتح .
- (٢) هكذا بالأمل وصبرة اللسان عاشره وقال في بيانها : لو كان فالسن مثلا ما بلغ أحد منا عشره طه .

بملك : ما منع أباه وعمه أن يكونا استعماله، فرغب فيه فاستعمله على خراسان .
 وولى معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة
 وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناس عن إبراهيم التَّخَنُّي وهو ابن ثمانين
 عشرة سنة . وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد مكة وهو ابن
 خمس وعشرين سنة . وسودت قُرَيْشُ أبا جهل ولم يَطْرُقْ شاربُه فأدخلته مع الكهول
 دار الندوة . قال الكبيت

رُفِستُ إليك وما تُفِرُّ * تَ عيونُ مستمعٍ وناظرٍ

ورأوا عليك ومثك في السَّهمِهد النَّهى ذات البصائر

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحوز يريد
 الكلام، فقال عمر : كبروا كبروا، فقال الفتى : يا أمير المؤمنين إن الأمر ليس
 بالسن، ولو كان كذلك كان في المسادين من هو أسن منك، قال صدقت فتكلم .
 قال الشاعر في خلاف هذا المعنى

إنما المهلك أن يُساسوا بغير * لم تُعمره الأيام رأيا وريقا

وقال آخر

ألا قالت الحساء يوم لقيتها * كبرت، ولم تجزع من الشيب مجزعا

رأت ذا عصا يمشي عليها وشيبة * قَهَقَ منها رأسه ما قهقا

فقلت لها : لا تهزني بي فقأبا * يسود الفتى حتى يشيب ويصلا

وللقارح العيوب خيرُ علامة * من الجدع المجرى وأبعدُ مترا

رأى بكير بن الأحنس المُهلَّب وهو غلام فقال

خذوني به إن لم يسد سرواتهم * ويرع حتى لا يكون له مثل

(١) قال عمر الغلام إذا سقطت أسنانه الرماض .

الهمة والخطار بالنفس

- قال أخبرنا خالد بن جويرية عن محمد بن كُثُوب ^(١) القُصَيْمِيّ وهو العُيَيْنِيّ الرابِزَعَن دُكَيْنِ الرابِزَعَال : أتيت عمر بن عبد العزيز ما استُخْلِفَ أَسْتَجِزُ منه وعدا كان وعدنيه وهو وإلى المدينة، فقال لي : يا دُكَيْنِ إن لي نفسا توافقه، لم تزل تسوق إلى الإمارة، فلما تلتها تافقت إلى الخلافة، فلما تلتها تافقت إلى الجنة . وما رزأت من أموال المسلمين شيئا، وما عندي إلا ألفا درهم، فاختراهما شئت، وهو يضحك .
- فقلت : يا أمير المؤمنين، قليلك خير من كثير غيرك، ويقال قليلك خير من كثير غيرك، فاختر لي أنت، فدفع إلى ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها، فابتمت بها إبلا وسقطتها إلى البادية، فرمى الله في أذنانها بالبركة بدعوته حتى رزقني الله مائرون .
- قال معاوية لعمر بن العاص حين نظر معسكر على طيه السلام : من طلب عظيما خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول : عليكم بكل أمر مَرْقُوقَةٍ مَهْلِكَةٍ . أى عليكم بحِسَامِ الأمور . وقال كُثُوب بن زُهَيْر

وليس لمن لم يركب الهول بُغْيَةٌ * وليس لرجل حطه الله حاملٌ
إذا أنت لم تُقْصِرْ عن الجهل والحنأ * أصبَتْ حلما أو أصابك جاهل

- وفي كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تُنال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر : عمل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو . وفيه أيضا : لا ينبغي أن يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك مكرما أو مع النشاك مُتَبَدِّلا ، كالفيل لا يحسن أن يرى إلا في موضعين : في البرية وحشياً أو للوك مراكبا . وفيه أيضا : ذوالهمة إن جُطَّ فَنَفْسُهُ تَأْبَى إِلَّا عُلُوًّا كَالشُّعْلَةِ مِنَ النَّارِ يُصَوِّبُهَا صَاحِبُهَا وَتَأْبَى إِلَّا ارْتِفَاعًا . وقال العتّابي
- تلوم على ترك النفي باهليّة * طوى التغر عنها كل طرف وتالد

(١) نسبة إلى قديم دارم، قال في القاموس : والنسبة إلى قديم كثرة قنى كمرق ومقاة الشهور في الجاهلية، وإلى قديم قديمى ١ * .

يسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأق أمير المؤمنين أعصنى * مفضهما بالمشرقات البوارد؟
ذرى تيجنى ميقى مطمئنة * ولم أتحكم حول تلك الموارد
فلن كريات المعالي مشوبة * بمستودعات فى بطون الأساود

وقال الطائي

وأخرى لحنى يوم لم أمنع التوى * قيادى ولم ينقض زمامى ناقض
أرادت بأن يحوى الننى وهو وادع * وهل يقرس أليث الطلأ وهو رابض؟

وقال أيضا

فاطلب هدوءا فى التقليل وأستتر * بالعيش من تحت الشهاد هجودا
ما إن ترى الأحساب بيضا ومحمما * إلا بحيث ترى المنايا سودا

وقال آخر

* ما العز إلا تحت ثوب الكد *

وقال آخر

الذل فى دمة النفوس ولا أرى * عز المعيشة دون أن يسقى لها

وقال بعض المحدّثين وأظنه البحرى

فاطلبا ثالثا مساوى لى * رابع العيس والدجى واليد
لست بالواهن المقيم ولا القا * ثل يوما إن الننى بالجنود
وإذا استصعبت مقادة أمرى * مهلتها أيدى المهارى القود

وقال عبد الله بن أبى الشيص

أظن الدهر قد آلى فبرا * بأن لا يكسب الأموال حرا
لقد قعد الزمان بكل حر * وقض من قواء المستعرا
كأن صفائح الأحرار أردت * أباه غارب الأحرار طرا

(١) فى النسخة الألمانية : القهد ، وفى القنوغرافية : القلال ، والتصويب من الديوان .

فأصبح كل ذي شرف ركوبا * لأعناق الدجى برا وبحرا
فهتك جيب درع الليل عنه * إذا ماجب درع الليل زرا
يراقب للغي وجها تحسوكا * ووجهها للينة مكفهرا
ومن جعل الظلام له قودا * أصاب به الدجى خيرا وشرا

- وكان يقال : من سره أن يعيش مسرورا فليقتن ، ومن أراد الذكر فليجهد . قيل
للعنابي : فلان بعيد الهمة ، قال : إذن لا يكون له غاية دون الجنة . وقيل لبعض الحكماء :
من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من أتسعت معرفته وضاققت مقدرته وبُعدت همتُه .

وقال عدي بن الرقاع

والمرء يورث جوده أبنائه * ويموت آخر وهو في الأحياء

- ١٠ أبو اليقظان قال : كان أول عمل وليه الحجاج تبالة ، فصار إليها فلما قرب منها
قال للدليل : أين هي وعلى أى تمت هي ؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمة . قال
لا أراى أميرا إلا على موضع تستر منه أكمة ! أهون بها ولاية ! وكر راجعا . فقيل
في المثل : « أهون من تبالة على الحجاج » . وقال الطائي

وطول مقام المرء في الحى تحلق * لذي ساجته فأعترب فتجند

- ١٥ فإني رأيت الشمس زيدت محبة * إلى الناصر أن ليست عليهم بمرمد

وقال رجل لآخر : أبوك الذى جهل قدره وتعدى طوره فشق العصا وفرق
الجماعة ، لا جرم لقد هزم ثم أصر ثم قُتل ثم صلب . قال الآخر : دعى من ذكر
هزيمة أبى ومن صلبه ، أبوك ما حدث نفسه بشيء من هذا قط . قال حاتم طي

لحى الله صعلوكا مناه ومهه * من العيش أن يلقى ليوسا ومظما

- ٢٠ يرى الخنص تعذبا وإن يلقى شعبة * يث قلبه من قلة الهم ميهما

ويله صعلوك يساور هممه * ويمضى على الأهوال والدمع مقدما

يرى قوسه أو رُجحه ويحتسه * وذا شطبي لند المهره مجتما
وأحناء سرج قاتر ولحافه * معدا لدى الميضا وطرفا مسوما
فذلك إن يهلك غنى ثاؤه * وإن يتي لا يقعد لثما مذمما

وقال آخر

لا يمتنك خفص العيش تطلبه * نزاع شوق الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حلت بها * أهلا بأهل وجيرانا بيجران
ويقال: ليس بينك وبين البلدان نسب خير البلاد ما حملك. وقال عروة بن الورد
لحي الله صعلوكا إذا جن ليله * مصافى المشاش ألفا كل مجزر
بعد الغنى من دهره كل ليلة * أصاب قراها من صديق مبسر
ينام عشاء ثم يصبح قاعدا * يثت الحصا من جنبه المتفر
يعين نساء الحى لا يستعنه * ويصبي طليحا كالعبر المحمر
وقه صعلوك صفيحة ونجهه * كضوء شهاب القابس المتور^(٢)
مطل على أعدائه يزجرونه * بساحتهم زجر المنيع المشهر

وقال آخر

تقول سليمى: لو أقت بأرضنا ! * ولم تدري أنى للقام أطوف

وقال الطائي في نحوه

آلفة التَّجيب كم اقتراقى * ألم فكان داعية اجتماع
وما إن فرحة الاوباد إلا * لموقوف على ترج الوداع

(١) القاتر والمقتَر من الرحال والسروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها . قاموس .

(٢) المشاش جمع مشاشة وهي رأس السهم المحكك ضفته . (٣) كذا في الأصول والأغاني ،

وفي الحاشية : « ولكن صعلوكا الخ » . (٤) في الأصول اغل ، والتصويب عن الدهراني .

نظر رجل إلى روح بن حاتم واقفا في الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال وقوفك في الشمس . فقال روح : لِيَعْلَمُوا مُقَامِي فِي الظِّل . وقال خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ وَلَنْ أَكُونَ كَنَ الْفِي رِحَالَتِهِ * عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَّ صَهْوَةُ الْقِرْسِ

وقال آخر

لَا أَنْتَ قَصَرْتَ عَنْ مَجْدٍ وَلَا أَنَا ، إِذْ * أَتَمُّوْا إِلَيْكَ بِنَفْسِي ، قَصَرْتُ هِمَمِي
قال عمر بن الخطاب : أَشْتَمُوا بِالْكُفَى فَإِنَّهَا مُنْبَهَةٌ . دخل عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ ظَلْيَانَ التَّيْمِيُّ عَلَى أَبِيهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ : أَلَا أَوْصِي بِكَ الْأَمِيرَ ؟ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِحَيٍّ إِلَّا وَصِيَّةُ الْمَيِّتِ نَالِحِي هُوَ الْمَيِّتُ . وقال الشاعر في نحوه
إِذَا مَا الْحَيَّ عَاشَ بِعَظَمِ مَيِّتٍ * فَذَاكَ الْعَظْمُ حَيٌّ وَهُوَ مَيِّتٌ

وقال معاوية لعمرو بن سعيد وهو صبي : إِلَى مَنْ أَوْصِي بِكَ أَبُوكَ ؟ قَالَ :
أَوْصِي إِلَى وَلَمْ يُوصِ بِي . نظر أبو الحارث حمير إلى رِثْوَنٍ يُسْتَقَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ : الْمَرْءُ
حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ ، لَوْ هَمَّ لَجَّ هَذَا لَمْ يُبَلِّ بِمَا تَرَوْنَ . قال الطائي
وَقَلَقَسَ نَابِي مِنْ خِرَاسَانٍ جَاشَهَا * قَتَلْتُ أَطْمَنَّتِي أَنْضَرُ الرُّؤُوسِ مَازِبُهُ
وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَيْسَةِ عَرَّسُوا * عَلَى مِثْلِهَا ، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهُ
لَأْمُرِي عَلَيْهِمْ أَنْ تَنِيَّ صَدُورُهُ ، * وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ عَوَاقِبُهُ

وقال آخر

وَعِشْ مَلِكًا أَوْ مَتَّ كَرِيمًا ، وَإِنْ تَمَتَّ * وَسَيُفُكُ مَشْهُورٌ بِكَفِكَ مُسْتَرٍ
والمشهور في هذا قول امرئ القيس

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذَى مَعِيشَةٍ * كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِتَجْدِيدِ مَوْثَلٍ * وَقَدْ يَدْرِيكَ الْحَجْدُ الْمُؤْتَلَّ أَمْثَالِي

وقوله

بكي صاحبي لما رأى الذربَ دونه * وأيقنَ أنا لاحقاتَ بقيصرا
فقلت له : لا تترك عينك ، إنما * مُحاولٌ مُكلاً أو نموتَ فنعندرا

وقال أبو نؤاس

٥ سائبي الغنى إنا جالسَ حَافِيَةٍ * تقومَ سواءٌ ، أو نُخَيِّفَ سبيل
وقبلَ يزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ! فقال : منزلي دارُ الإمارة أو الحبس .
والمشهور في سقوط الهمة قولُ الحطيئة

دع المكارمَ لا ترحلَ بُقِيَّتِها * وأقمَدُ فُؤادك أنت الطاعمَ الكاسي

وقال مالك بن الرِّب

١٠ فإن تَصَيَّفونا آلَ مروانَ تَقْتَرِبُ * إليكم وإلا فأتونا بَتَّاعِي^(١)
فإنا لنا عنكم مَرَّاحاً ومرحلاً * يَمِيسُ إلى ربحِ الفلاةِ صَوَادِي
وفي الأرضِ عن دارِ المَذَلَّةِ مَنُهَبٌ * وكلُّ بلادٍ أُوطِنْتَ بِلَادِي
فماذا عسى الجحاج يَبْلُغُ جَهْدُهُ * إنا نحن جاوزنا حَفِيضَ زِيَادِ
فَيَأْسَيْتُ أبا الجحاج وأَسَيْتُ عَجُوزَهُ * عَتِيدٌ بِهِمْ^(٢) يَرْتَمِي بُوَهَادِ
فلولا بنو مروانَ كانا بنُ يُوسُفَ * كما كانَ عَبْدًا من عبيدِ إِيَادِ
زَمَانَ هُوَ الْمُقَرَّى^(٣) بِالْقُرْبَى بَذَلَةٍ * يُرَاوِحُ غِلْمَانَ الْقُرَى وَيُقَادِي

١٥ بحثَ يَنْجِيبَ خَلِيقَتِها إلى ابنِ طائِشَةَ المَحْتَثِ وهو عَيْدُ الله بنِ محمد بنِ حَفْصِ
الْيَمِيِّ ، فَأَنَاهُ فِي حَلْقَتِهِ فِي الْمَسْجِدِ قَالَهُ : أَيْبَرُ مِنْ ؟ قَالَ : هَلَّا عَرَفْتَ هَذَا قَبْلَ جَمِيعِكَ !

(١) في الكامل للبرد طبع ليزج : « يساد » بدل « تهادى » وهو الأنسب للسياق .

(٢) العتيد تصغير عود وهو كافي لسان العرب من أولاد المزمع ماري وقوى وأق طيه حول ، يصفه بالضعف .

(٣) المقرئ طالب الضيافة ، وفي الحماسة والكامل : « العبد » . (٤) كذا بالأصل ؟

قال: أريد أن تُخَلِّصَنِي . قال : في حاجة لك أم في حاجة لي؟ قال : في حاجة لي .
قال : فَأَلْقَنِي فِي الْمِزْل . قال : فَإِنِ الْحَاجَةُ لَكَ . قال : مادون إخواني سر .

وقال بعض لصوص همدان وهو مالك بن حريم

كذبتُم وبيتَ الله لا تأخُذُونها * مُرَاعِغَةً ما دام للسيِّف قائمُ
مَن يجمع القلبَ الذِّكِّيَ وصارِما * وأتاهُ حَيًّا تَجَنَّبُكَ المَظالمُ
وَمَن يَطْلُبُ المالَ المُنْعَ بالقَتَا * يَعيشُ مُتْرِكًا أو تُخَرِّمُهُ المَخارِمُ
وكنْتُ إذا قومٌ غَزَوْني غَزَوْهُمْ * فهل أنا في ذا يالَ همدان ظالمُ

وقال أبو النُّشَناسُ، من اللصوص

إذا المرءُ لم يَسْرَحْ سَواً ولم يُرِحْ * سَواً ولم تَطفِ عليه أَقاربُهُ
فَلَمَّوْتُ خَبرَ الفَتى مِن حياتِهِ * فقيراً وَمِنَ مَوَلٍ تَدبُّ عَقابُهُ
وسائِلُهُ بالَنيبِ عَنى وسائِلِ * وَمِنَ يَسأَلُ الصُّعولَ كَأَن مَذاهِبُهُ؟
وطامِسَةُ الأعلامِ مائِلَةُ الصَّوَى * سَرَتْ بِأَبى النُّشَناسِ فيها رِكايبُهُ
فلم أَر مِثْلَ الفَقْرِ ضاجِعَهُ الفَتى * ولا كِسادَ اللَّيلِ أَخفَقَ صاحِبُهُ^(١)

وقال آخر من اللصوص

وإني لأَسْتَحْيِي من الله أن أَرى * أُطوِّفُ بِأَرْضِ لَيس فيه بَعيدُ
وَأَن أَسأَلَ المَرءَ اللَئيمَ بِسيرِهِ * وَبُعرانُ رَبِّي في البَلاَدِ كَثيرُ
فَلَيْلِ إن واراني اللَّيلُ حَكَّةً * وَلِلشَّمسِ إن غابَت عَلى تَورُ
عَوَى النَّسَبُ فاستأْنَسْتُ لِلذَّئِبِ إِذْ عَوَى * وصَوْتُ إنسانٍ فَكِدْتُ أَطيرُ
رأى الله إني لا لأَليس لَشائِي * وَتُفَضُّهُمْ لي مَقَلَّةً وَتَحميرُ

وقال النمر بن قُؤِلب

خاطرَ بنفسك كَي تُصِيبَ غَنِمَةً * إِنَّ الجُلُوسَ مع العِيَالِ فيسُحُ
فَالْمَالُ فِيهِ تَحِيلَةٌ ومَهَابَةٌ * والفقرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وقُبُوحٌ

وقال آخر

تقول ابني : إِنَّ انْطِلَاقَكَ واحدا * إلى الرُّوعِ يومًا تَارِكِي لَأَبَائِنَا
ذَرِينِي مِنَ الإِشْفَاقِ أوقْدِي لَنَا * مِنَ الحَذَنَانِ والمُنِيَّةِ واقْبَا
مَسْتَلْطَفُ نَفْسِي أوسَاجُ حِمَّةٍ * تَرَى سَاقِيهَا يَأْمَنَانِ التَّرَاقِيَا

وقال أوس بن حجر

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ ومُقْتَرًا * مِنَ المَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيُثْبِتَ عُذْرًا أَوْ لِيُبَلِّغَ حَاجَةً * * وَيُبْلِغُ نَفْسَ عُدْرَتِهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

وقال آخر

رى الفقرُ بالأقوامِ حَتَّى كَانَتْهُمْ * بِأَطْرَافِ آفَاقِ البِلَادِ نَجُومُ

قال كسرى : احذروا صولةَ الكرمِ إِذَا جَاعَ ، واللَّيْمِ إِذَا شَبِعَ . وقال الشاعر

خُلُقَانٍ لَا أَرْضَى اخْتِلَافَهُمَا : * تَبَهُ النِّفَى ، وَمَذَلَّةُ الْفَقْرِ
فَإِذَا غَنِيَتْ فَلَا تَكُنْ يَطْرَأُ * وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَيَهْ عَلَى الدَّهْرِ
وَأَصْبِرْ ، فَلَسْتَ بِوَاجِدٍ خُلُقًا * أَدْنَى إِلَى فَرْجٍ مِنَ الصَّبْرِ

كان أعرابي يمنع ابنه من التصرف إشفافا عليه ، فقال شعرا فيه

إِذَا مَا لَقِيتُ لَمْ يَسْخِ إِلَّاءِ يَأْسَهُ * وَمَطْعَمُهُ ، فَالْخَيْرُ مِنْهُ بَعِيدُ
يُذَكِّرُنِي خَوْفَ المَنَآيَا ، وَلَمْ أَكُنْ * لِأَهْرَبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ نَحِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ قُرْبُ مَجْلِسِي * وَقِيلَ إِذَا أَخْطَلْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ
رَأَيْتُ الْفِتْنَةَ قَدِ صَارَتْ لِلنَّاسِ سُودَدًا ، * وَكَانَ الْفَقْرُ بِالْمَصَكْرُمَاتِ يَسُودُ

وإن قلتُ لم يُسمع مقالٍ وإني * كَيْدِي حَقٌّ بَيْنَهُمْ وَبَعِيدُ
فَلَرْنِي أَجُولُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّهُ * يُسَرُّ صَدِيقُ أَوْيَسَاءِ حَسُودُ
أَلَا رَبُّمَا كَانَ الشَّيْقُ مَضَرَّةً * عَلَيْكَ مِنَ الْإِشْفَاقِ وَهُوَ وَدُودُ

وقال أعرابي من باهلة

٥. سَأَعْمَلُ نَصْرَ الْعَيْسِ حَتَّى يَكْتَفَى * غَنَى الْمَالِ يَوْمَا أَوْغَى الْحَدَّانِ
فَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ بَرَى لَهَا * عَلَى الْحَرْقِ بِالْإِقْلَالِ وَسَمَّ هَوَانِ
حَتَّى يَتَكَلَّمَ بِلُغَ حُسْنِ كَلَامِهِ * وَإِنْ لَمْ يَهْلُ قَالُوا : عَدِيمُ بَيَانِ
كَانَ الْفَنَى عَنْ أَهْلِهِ - بِوَرِكَ الْفَنَى - * بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانِ

الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب

أنشد ابن الأعرابي

١٠. وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ بِحَيْدِ الْفَنَى * وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَا جَدَّ الْعَمُّ مَحْوَلَا
يَمْنُونُ إِنْ أَعْطُوا وَيَنْتَقِلُ بَعْضُهُمْ * وَيُحْسَبُ عَجْزًا سَكُنُهُ إِنْ تَجَلَّ
وَيُزَيَّرُ بِعَقْلِ الْمَرْءِ قَلَّةُ مَالِهِ * وَإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رِجَالٍ وَأَخْوَلَا
وَقُرأتُ فِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ : لَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ يُنَدِّحُ بِهَا الْفَنَى إِلَّا ذُمَّ بِهَا الْفَقِيرُ، فَإِنْ
كَانَ شَجَاعًا قِيلَ أَهْوَجُ، وَإِنْ كَانَ وَقُورًا قِيلَ بَلِيدٌ، وَإِنْ كَانَ لَسَانًا قِيلَ مِهْنَارٌ،
وَإِنْ كَانَ زَمِينًا قِيلَ عَيَّ^(١). وَقَالَ آخِرُ

الْفَقِيرُ زَيَّرَ بِأَقْوَامِ ذَوِي حَسَبٍ * وَقَدْ يُسَوَّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ

وأنشد ابن الأعرابي

٢٠. رَزَقْتُ لُبًّا وَلَمْ أَرْزُقْ مُرُوءَةً * وَمَا الْمُرُوءَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةَ بَقَعْدُنَى * عَمَائِيَّوَهُ بِاسْمِي رَقَّةُ الْحَالِ

(١) الزيت : كثير الوتار .

وقال آخر

يُطْفِئُ عِيُوبَ الْمَرْءِ كَثْرَةُ مَالِهِ * يُصَدِّقُ فِيهَا قَالُ وَهُوَ كَذُوبٌ
وَيُزِيرِي بِغُلِّ الْمَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ * يَحَقِّقُهُ الْأَقْوَامُ وَهُوَ لَيْبٌ

وقال آخر

كَمْ مِنْ لُثْمٍ الْجُدُودِ سَوْدَهُ السَّمَالُ، أَبُوهُ وَأُمُّهُ الْوَرِقُ
وَكَمْ كَرِيمٍ الْجُدُودِ لَيْسَ لَهُ * عَيْبٌ سِوَى أَتَى ثَوْبَهُ خَلَقُ
أَدْبَهُ سَادَةٌ كَرَامٍ فَا * ثَوْبَاهُ إِلَّا الْعَنَافُ وَالْخُلُقُ

وَأَنشَدَ الْإِيضِيُّ

غَضَبَانِ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ سَاقٍ لَهُ * مَا لَمْ يُسْقِهِ لَهُ دِينَ وَلَا خُلُقُ
لَوْلَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا سَقَتْهَا بَطَرًا * إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا ضَاغَتْ الطَّرِيقُ
فَمَنْ يَكُنْ مِنْ كَرَامِ النَّاسِ بِسَالِي * فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَرَقُ

وقال أَحْمَدُ بْنُ الْجَلَّاحِ

اسْتَغْنِ أَوْمَتْ وَلَا يَقْرُرْكَ ذَوْنُ نَسَبٍ * مِنْ أَبْنِ عَمٍ وَلَا عَمٍ وَلَا خَالَ
يَلُوبُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ * وَعَنْ صَدِيقِهِمْ وَالْمَالِ بِالْوَالِ
وَلَا أَزَالُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا، * إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ
كُلُّ النَّدَاءِ إِذَا نَادَيْتُ بِحَدَّثَنِي * إِلَّا نَدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي

وقال حَصَّانٌ

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ * لَوْ جَهْلِي غَطَّى عَلَيْهِ النِّعَمُ

وقال الْمُهَذَّلُ

رَأَيْتُ مَعَاشِرًا يُقَنِّى عَلَيْهِمْ * إِذَا شَبِعُوا وَأَوْجُهُهُمْ قِبَاحُ

(١) في العقد الفريد «حيران». (٢) في الأصل ذُفِلَتْ لَهُ النَّاسُ الخ. والتصويب من العقد الفريد.
(٣) في الأصول يَزُكُّ بِالْمَعْنَى وَالْإِزَى، والتصويب من الأَثْنَى. (٤) في القاموس: الزور مائل لأحجة.

يَظَلُّ الْمُصْرِمُونَ لَهُمْ مُجُودًا * وَلَوْ لَمْ يُسَقِّ عَنْهُمْ صَبَاحُ^(١)

وَيُرَوَّى يُلَفُّ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَدِدْتُ أَنَّ لِي مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا لَا أُتْبَعُ مِنْهُ بَنِي.

قِيلَ لَهُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: لِكثْرَةِ مَنْ يَخْدُمُنِي عَلَيْهِ. قَالَ الصَّلْتَانِ

إِذَا قُلْتُ يَوْمًا لِمَنْ قَدَرْتُ: * أُرَوِّفِي السَّرِيَّ، أَرَوْكَ الْغَنَى

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي * وَسِرِّ السَّلَاطَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ

وَقَالَ آخَرُ

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ: مَا جَعَدِي وَمَا شَرَفِي، * الشَّانُ فِي فِضْتِي وَالشَّانُ فِي ذَهَبِي

لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي مَالٌ لَمْ يَطْرُقْ أَحَدٌ * بَابِي وَلَمْ يَعْرِفُوا جَعَدِي وَجَعَدَ أَبِي

وَقَالَ آخَرُ

- ١٠ أَجَلْتُ قَوْمَ حِينَ صِرْتُ إِلَى الْغِنَى، * وَكُلُّ غِنَى فِي الْعِيُونَ جَلِيلُ
وَلَوْ كُنْتُ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ تُكُنْ ثَرَوَةً * ذَلَّتْ لِسَانُ الْفَقِيرِ ذَلِيلُ
إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ رَغَبَتْ * إِلَيْهِ وَمَالُ النَّاسِ حَيْثُ يَمِيلُ
وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنَى زَيْنِ الْفَقْرِ * عَشِيَّةَ بَقَرِيٍّ أَوْ ضَمَانَةَ يُبْسِلُ

وَقَالَ آخَرُ

- ١٥ كُلُّ مُقِلٍّ حِينَ يَسْلُو لِحَاجَةٍ * إِلَى كُلِّ مَنْ يَسْلُو مِنَ النَّاسِ مَذْنُبُ^(٢)
وَكَانَ بَنُو عَمِي يَقُولُونَ مَرَحِبًا * فَلَمَّا رَأَوْنِي مُعْتَمِلًا مَاتَ مَرَحِبُ

وَقَالَ آخَرُ

أَبَا مُصْلِحٍ أَصْلَحْ وَلَا تَكْ مَفْسِدًا * فَإِنَّ صَلَاحَ الْمَالِ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ يَزِدُّ عِزَّةً * عَلَى قَوْمِهِ إِنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مُتْرَى

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ

- ٢٠ دَرَجَتِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَنَاقِي * رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

(١) المصرم: الفقير الكثير البيال. (٢) الضياح: البين الرقيق المزوج بالمال.

(٣) كذا بالأصول، وفي النقد القريد «ياق».

وَأَبْغَضُكُمْ وَأَهْرَبُكُمْ عَلَيْهِمْ * وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرٌ
وَقَصِيصُهُ الْتَدَى وَتَزْدَرِيهِ * حَلِيقَتُهُ وَنَهْرُهُ الصَّغِيرُ
وَتُفْنِي ذَا الْغَنَى وَلَهُ جَلَالٌ * يَكَادُ فَوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ * وَلَكِنْ لِلْفَنَى رَبٌّ غَفُورٌ

وقال زيد بن عمرو بن مُهَيْل

وَيَكُنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُحْسِبُ، وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعْشَ عَيْشَ ضَرٍّ
وَيُحْسِبُ سِرَّ النَّسَبِ وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحَضَّرٌ كُلُّ سِرٍّ

وقال آخر

أَلَمْ تَرَيْتَ الْفَقْرَ يُهْجِرُ أَهْلَهُ * وَيَدَعَ الْغَنَى يَهْدَى لَهُ وَيُزَارُ .

وقال آخر

إِذَا مَا قُلَّ مَالُكَ كُنْتَ فَرِيدًا * وَأَيُّ النَّاسِ زُؤَارُ الْمَقِلِّ ؟

وقال عبد العزيز بن زُرَّارَةَ

وَمَا لُبُّ اللَّيْبِ بَغِيرُ حَقْدٍ * بَأْغَى فِي الْمَعِيشَةِ مِنْ قَيْلٍ
رَأَيْتُ الْحَقْدَ يَسْتُرُ عَيْبَ قَوْمٍ * وَهِيَاتُ الْحُظُولُ مِنَ الْعُقُولِ

وقال الطائي

الصَّبْرُ كَأَنَّ وَطْئَهُ الْكَفَّ عَارِيَةً * وَالْعَقْلُ عَارٍ إِذَا لَمْ يُكَمَّسْ بِاللَّشَبِ
مَا أَضْيَعَ الْعَقْلُ أَنْ لَمْ يَرَعْ ضَبْعَتَهُ * وَفَرٌّ وَأَيُّ رَحًا دَارَتْ بِلَا قُطْبٍ ؟

وقال آخر

عِشْ بِحَيْدٍ وَلَا يَضُرْكُ نَوْكُ^(١) * إِنَّمَا عِيشُ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ
عِشْ بِحَيْدٍ وَكُنْ هَبْنَقَةً الْقَيْدِ * نَوْكًا أَوْ خَالِدًا^(٢) بِنِ زَيْدٍ

(١) في الأصول «نم» ، والصواب عن البيان الجاحظ .

(٢) في البيان الجاحظ «شبية بن الوليد» ، وهو المرواني لما في السان في مادة هبت .

وقال الطائي

يَسْأَلُ التَّقَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ * وَيُكَيِّدُ التَّقَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْضُ زَائِجَةً تَجْرِي عَلَى الْحِجَا * هَلَكَنَ أَذَا مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ

وقال المرار

اِذَا لَمْ تُرَافِدْ فِي الرَّفَادِ وَلَمْ تُسَقِّ * مَدَّوْا وَلَمْ تَسْتَفِنْ فَلَمُوتِ أَرْحُ

وقال ابن الهمينة الثقفي

أَطْعَمْتُ الْعَرَسَ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى * أَعَادَتْنِي عَسِيفًا عَبْدَ عَبْدِ
اِذَا مَا جَعَلْتُهَا قَدْ بَعَثَ عَدُوًّا * تُعَاتِي أَوْ تَقْبَلُ أَوْ تُهْدَى

وقال الأسعر الجعفي

وَحَصَا صَاةُ الْجَفْنَى مَا دَايَنَتْه * لَا يَنْقُضِي أَبَدًا وَإِنْ قِيلَ اقْضَى
إِخْوَانُ صَدِيقٍ مَا رَأَوْكَ بِبَيْطَةِ * فَإِنْ انْفَقَرَتْ فَقَدْ هَوَى بِكَ مَا هَوَى

وقال آخر

اِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَكْسِبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ * شَكَاهُ الْفَقْرَ أَوْ لَاقَى الصَّدِيقَ فَكَثُرَا
وَصَارَ عَلَى الْأَدْنَى كَلًّا وَأَوْشَكَتْ * صِلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكَرَا
فَمَرَّ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالْهَمْسُ النَّسَى * قَسِشَ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ قُتُصَدَّرَا
وَمَا طَالِبُ الْحُلَامَاتِ مِنْ حَيْثُ تُجْتَنَى * مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ أَجَدَّ وَشَمَّرَا
فَلَا تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بَدُونٍ وَلَا تَمَّ * وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ كَانَ مُعِيرَا

وقال آخر

مَنْ يَمْنَحُ الْمَالَ وَلَا يُثَبِّهْ * وَيَتْرِكُ الْعَامَ لِعَامٍ جَدَّ

مَنْ عَلَى النَّاسِ هَوَانٌ كَلْبُهُ *

قال أبو اليقظان : ما ساد مُمَاتِي قَطُّ إِلَّا عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن حماد بن سلمة عن عبيد الله بن العيص
عن عبد الله بن عمرو أنه قال: أحرت لديناك كأنك تعيش أبدا وأحرت لآخرتك كأنك
تموت غدا .

قال حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثني أصحاب أيوب عن أيوب
قال : كان أبو قلابة يحثني على الاعتراف ويقول : إنا الغني من العافية .

قال وقال الأصمعي : سأل أعرابي عن رجل فقالوا : أحق مرزوق ، فقال :
ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين : الذين
والعرض . ويقال في بعض كتب الله : أطنى فيا أمرك ولا تمأشني بما ينفعك
وأمد يدك لباب من العمل أقض لك بابا من الرزق . وكان يقال : من غلّ دماغه
في الصيف غلّت قدره في الشتاء . ويقال : حفظ المال أشد من جمعه . وقال
الحسن : أنا أردتم أن تعلموا من [أين] أصاب المال فانظروا فيمن ينفعه فإن الخبيث
يُنْفَق سَرَفًا . ونحوه قولهم : من أصاب مالا من نهائش أذهب الله في نهائره . ويقال في
مثل « الكد قبل المذ » يراد الطلب قبل السجاجة والعجز . وقال لقيط « النزو أدز^(١)
للقاح وأحد للسلاح » . وقال أبو المعاف

وإن التواني أنكح العجز بئسه * وساق إليها حين زوجها مهرا

فراشا وطيمًا ثم قال لها أنتكي * قصارهما لا بد أن يلدا الفقرا

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) في الأصل « مهاوش » بالميم ، والصحيح من لسان العرب
في مادة نهير . (٣) هكذا بالأصول ولعلها محرفة عن الحاجة . (٤) في النسخة الألمانية هكذا :
« وقال لقيط القزاري ذوق لقاح وأحد للسلاح » وفي القنوغرافية « الفرز » بغير واو ، والتصويب عن جمع
الأشكال اليداني .

- وقال زيد بن جبلة : لا فقير أفقر من غنى أمين الفقير . وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلاف درهم فاقة ، وما فوقها كثر . ويقال : القبر ولا الفقر . ويقال : ما سبق عيالاً مالا قط إلا كان صاحبه فقيراً . وقيل لرجل من البصريين : مالك لا ينبي مالك ؟ قال : لأني اتخذت العيال قبل المال واتخذ الناس المال قبل العيال . ويقال : العيال سوس المال .
- وقيل لمديني : كيف حالك ؟ قال : كيف يكون حال من ذهب ماله وبقيت حادته . ويقال : الغنى في الثربة وطن والفقر في الوطن غربة .

حدثني محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكنا نبي من الأنبياء إلى الله شدة الفقر فأوحى الله إليه : هكذا جرى أمرك عندى أفتريد من أجلك أن أعيد الدنيا .

- قال أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجذب أهل البادية قط حتى تسويهم السنة ثم جامع الحصب إلا عاد الغنى إلى أهل الغنى .
- قال الأصمعي رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل عني فقلت : يا أمة الله تسألين ولك هذا الجمال ! قالت : قد رافقه فما أصنع ؟ قلت : فمن أين معاشكم ؟ قالت : هذا الحاج تقمهم ونفسل ثيابهم . فقلت : فإذا ذهب الحاج فمن أين ؟ فنظرت إلى وقالت : يا صلب الجبين ! لو كنا إنما نعيش من حيث تعلم لما عشنا . وقال الشاعر
- أترأى أرى من الدهر يوما * لي فيه مطية غير رجل
وإذا كنت في جميع فقالوا * قروا للرجل قمت نعل
حيثا كنت لا أخلف رجلا * من رآني فقد رآني ورجل

- قيل لمديني : ما عندك من آلة الحج ؟ قال : التلية . وقيل لآخر : ما عندك من آلة العصيدة ؟ قال : الماء . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القريس ؟ قال : الشتاء .

ذم الغنى وملح الفقر

قال شريح : الجِلْدَةُ كَيْفَةُ الْبَهْل . وقال أَكْثَمُ بْنُ صَبِيحٍ : مَا يَسُرُّنِي أَنْي مَكْنَى كُلِّ أَمْرِ الدُّنْيَا . قيل : وَإِنْ أَسَمْتِ وَأَبْلَيْتِ ؟ قال : نعم ، أكره عادة العَجَز . وكان يقال : عَيْبُ الْغِنَى أَنَّهُ يُورِثُ الْبَلَّةَ ، وَفَضِيلَةُ الْفَقْرِ أَنَّهُ يُورِثُ الْفِكْرَةَ . وقال محمد بن حازم الباهليّ

ما الفقرُ عارٌ ولا الغنى شَرَفٌ * ولا سخاءٌ في طاعةٍ مَرَفٌ

مالكٌ إلّا شيءٌ تُعَدُّهُ * وكلُّ شيءٍ أنخرته تلفٌ

ترُكَّكَ مَالًا لو ارِثَ يَتَهَنَّاهُ وَتَصَلَّى بِحِمْرِهِ أَسْفٌ

وقال ابن مناذر

رَضِينَا قِسْمَةَ الرَّحْمَنِ فِينَا * لَنَا عِلْمٌ وَلِلْغِنَى مَالٌ

وَمَا التَّقْنَى إِنْ جَادَتْ كُسَاهُ * وَرَاعَكَ شَخْصُهُ إِلَّا خِيَالٌ

وقال أنس بن مالك : لما خرج مروانُ من المدينة مرَّ ببلّاه بذي حُشْبٍ فلما نظر

إليه قال : لِمَسَّ الْمَالُ إِلَّا مَا أُشْرِجَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاطِقُ . ورُوِيَ عن المسيح أَنَّهُ قَالَ :

فِي الْمَالِ ثَلَاثُ خَصَالٍ ، قَالُوا : وَمَا هِيَ يَا رُوحَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا يَكْسِبُهُ مِنْ حِلِّهِ

قَالُوا : فَإِنْ فَعَلَ قَالَ : يَمْتَعُهُ مِنْ حَقِّهِ ، قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، قَالَ : يَسْقَلُهُ إِصْلَاحُهُ

عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ . قيل لأَبْنِ عَمْرٍو : تَوَقَّى زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَتَرَكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قَالَ :

لَكِنِّهَا لَا تَزْكُرُهُ . وقال المَعْلُوطُ

وَلَا سَوْدَ الْمَالِ الدُّنَى وَلَا دَنَا * لِذَاكَ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ يَسْوَدُ

مَتَى مَا يَرَى النَّاسُ الْغِنَى وَجَارَهُ * قَقِيرًا يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدٌ

(١) في النسخة الألمانية : «يسوق» . وهو خطأ .

(٢) في القاموس : وخشب يكتب راد بالهمزة وواد بالمدينة ، وفي المرتضى في شرح القاموس وابن الأثير في النهاية أَنَّهُ واد على سيرة ليلة من المدينة وله ذكر كثير في الأحاديث والمغازي ويقال له ذو خشب .

(٣) كلا الأصلين ، وفي الحاشية : «وجاره ققى» بالفتح على أن الواو للحال .

وليس النقي والفقر من حيلة النقي * ولكن أحاط قسمت وجدود
فكم قد رأينا من غنى مدتم * وصعلوك قوم مات وهو وحيد
إذا المرء أعينته المروءة ناشتا * فطلبها كهلا عليه شديد
وقال آخر

ولا تهنين الفقير مآك أن * ترك يومًا والمهر قد رفته
الأخفش قال : قال المبرد : أريد النون الخفيفة في ولا تهنين فأسقط التنوين لسكونه
وسكون اللام . وقال آخر

ولست بنظار إلى جانب النقي * إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لصبار على ما ينوبني * لأنني رأيت الله أثنى على الصبر

وقال أعرابي يمدح قومًا

إذا افتقروا عضوا على الصبر حسبة * وإن أسروا طادوا سراطا إلى الفقر
يقول : يعطون ما عندهم حتى يفتقروا . قال الحسن : صيرت اليهود عيسى بن
مريم بالفقر فقال : من النقي أئيم ، وقال : حسبك من شرف الفقر أنك لا ترى
أحدًا يعصى الله ليفتقر . أئيم ابن الأعرابي^(١)

المال ينشئ رجالا لا طلبا^(٢) بهم * كالسبل ينشئ أصول الدنن^(٣) البالي

وقال الطائي

لا تكثر عطل الكريم من النقي * فالسبل حرب للكان العالي

قال عمر بن الخطاب : من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله . قال

أعرابي : النقي من كثرت حسنته والفقير من قل نصيبه منها . وقال ذو الأصبع

(١) حيلة المبرد في الكامل بعد أن أورد البيت : أراد ولا تهنين بالنون الخفيفة لحذفها لانقضاء الساكنين
فقل ما هنا محرف عن « فأسقط التنوين لسكونها وسكون اللام » . (٢) عزاء في الشأن إلى حسان
ابن ثابت ، ثم قال وورد هذا البيت في شعر لحي بن خلف الطائي . (٣) البليغ : القوة ، قال في الشأن
ومناه في البيت : لا عقل لهم . (٤) ما على وضم من أصول الشجر .

لِي أَبْنِ عَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حُلَّتِي * غَالَفَ لِي أَثْلِيهِ وَيَقْلِبُنِي
أُزْرِي بِنَا أُنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا * نَخَالِي دُونَهُ بِلِ خُلَّتِهِ دُونِي

وقال آخر

إِنَّ الْحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلَبَاتُهُ * وَوَجَدْتُ حَالَةَ الْحَلَالِ مَصُورًا .
٥ قيل لأعرابي : ان فلانا أفاد مالا عظيما قال : فهل أفاد معه أياما يُنفقه فيها ؟ .
وفي كتاب للهند : ذو المروءة يكرم مُعِلِّمًا كَالْأَسَدِ يُهَابُؤَانِ كَانَ رَابِضًا ، وَمِنْ لَا مَرْوَةَ
لَهُ يُهَابُؤَانُ وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا كَالْكَلْبِ وَإِنْ طُوقَ وَحَلَّ . وقال خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
أَعَاذِلْ إِنَّ الْمَالَ أَعْلَمُ أَنَّهُ * وَجَامِعُهُ لِلْعَاثِلَاتِ الْفَوَائِلِ
مَتَى تَجْعَلُنِي فَوْقَ نَعَشِكِ تَسْلَمِي * أَبْنِي مَكَائِي أَبْكُرِي وَأَقَاتِلِي

وقال آخر

١٠ إذا المرء أترى ثم قال لقومه * أَنَا السَّيِّدُ الْمُقْضَى إِلَيْهِ الْمَعْظُمُ
وَلَمْ يُعْطِهِمْ خَيْرًا أَبْرَأُ أَنْ يَسُوتَعَهُمْ * وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَغْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ

وقال زَبَّانُ بْنُ سَيَّارٍ

وَلَسْنَا كَقَوْمٍ مُخَدِّعِينَ سَيَادَةَ * يُرَى مَا لَهَا وَلَا يُحَسُّ نَفَالُهَا
١٥ مَسَاعِيهِمْ مَقْصُورَةٌ فِي بَيْتِهِمْ * وَمَسْمَاعَتُنَا ذُبْيَانُ طَرًّا عِيَالُهَا

وقال أبو عبيد الله الكاتب : الصبر على حقوق المروءة أشدُّ من الصبر على ألم
الحاجة ، وَذَلِكَ لِغِنَى مَانَعَةٍ مِنْ عَنِّ الصَّبْرِ كَمَا أَنَّ عَنِّ الْغِنَى مَانَعٌ مِنْ كَرَمِ الْإِنْصَافِ .
وقال بعض المتكلمين في ذمِّ الْغِنَى : أَلَمْ تَرَوْا النَّبِيَّ مَا أَدْوَمَ نَصَبَهُ ، وَأَقْلَ رَاحَتَهُ ، وَأَخْسَرَ
مِنْ مَالِهِ حَقْلَهُ ، وَأَشَدَّ مِنَ الْإِيَّامِ حَذَرَهُ ، وَأَغْرَى التَّهَرُّ بِتَلْمِهِ وَقَضَاهُ ، ثُمَّ هُوَ يَنْ
٢٠ سُلْطَانُ يَرْعَاهُ ، وَحَقُوقُ تَسْتَرْشِيهِ ، وَأَكْفَاءُ يَنْتَافِسُونَهُ ، وَوَلَدٌ يَوْتُونَ فِرَاقَهُ ، قَدْ بَعَثَ
عَلَيْهِ الْغِنَى مِنْ سُلْطَانِهِ الْعَنَاءَ ، وَمِنْ أَكْفَائِهِ الْحَسَدَ ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ الْبُغْيَ ، وَمِنْ ذَوِي

الحقوق الذم، ومن الولد الملامة، لا تكدي البُلغة قَنِيع فدام له السرور، ورفض الدنيا
فسلم له الجسد، ورضى بالكفاف فتنبه الحقوقي. حَجَرُ أعرابي بكثرة العيال والولد
مع الفقر وبلغه أن الوباء بحجر شديد فخرج إليها بجاله يعرضهم للوت، وأنسا يقول
قلت لمتي خير استعدي * هالك عيال وأجهدي وجدتي

• وباكرى بصالب وورد * أعانك الله على ذا الجنيد

فاخذته الحمتى فبات هو وبقى عياله. وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله:
يا بني، أتق الله، فإنه من أتق الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن
التقوى عماد عبيدك وجلاء قلبك، وأعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن
لا حسبة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له. وقال محمود الوراق

١٠ يا عائب الفسقر ألا تردح * حيب النقي أكثر لو تفسر
من شرف الفقر ومن فضله * على النقي إن صح منك النظر
أنتك تعمي الله تبني النقي * ولست تعمي الله كي تفسر

وقال آخر

ليس لي مال سوى كرمي * فيه لي أمن من العُثم
١٥ لا أقول : الله أعدمني * كيف أشكو غير منهم
قمت فعمى بما رزقت * وعمت بالعمى هيمى
وجعلت الصبر سايضة * فهمى من قرئى إلى قديمى
فأنا ما ألهم طابني * لم يحدني كافرًا نيمى

التجارة والبيع والشراء

٢٠ قال : حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن ابن إسحق عن حمزة يرفعه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثَتْ مَرَعَةٌ وَمَرَحَةٌ وَلَمْ يُبْعَثْ تَاجِرًا
وَلَا زَرَّاعًا وَإِنَّ شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّجَارُ وَالزَّرَاعُونَ إِلَّا مَنْ تَحَقَّقَ عَنْ دِينِهِ ». وفي حديث

آخر زواؤه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جبير: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الكسب أطيب قال : « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا عون بن عمارة عن هشام بن حسان عن الحسن
 ٥ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : من تجرّ في شيء ثلاث مرات فلم يُصب
 فيه فليحزول منه الى غيره . وقال : فزفوا بين المنايا ، وأجعلوا الرأس رأسين ولا تأثروا
 بدار معجزة . وقال : اذا اشتريت بيرا فاشتره عظيم الخلق فإن أخطأك خير لم يُعطتك
 سوق . وقال : بيع الحيوان أحسن ما يكون في عينك . وقال الحسن : الأسواق مواند
 الله في الأرض فمن أتاها أصاب منها . ابن المبارك عن معمر عن الزبير قال : مر
 ١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع شيئا ، فقال : « عليك بالسوم أول السوق فإن
 الرياح مع السباح » . وكان يقال : استمع يستمع لك . وفي بعض الحديث المرفوع : « أمر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياء باتخاذ النعم والفقراء باتخاذ الدجاج » . وقيل
 للزبير : بم بلغت ما بلغت من اليسار ؟ قال : لم أزد رجحا ولم أستر عيبا . دخل ناس
 على معاوية فسألهم عن صنائعهم ، فقالوا : بيع الرقيق . قال : بئس التجارة ضمان
 ١٥ نقيس ومثونة ضرر .

باع رجل ضيعة فقال للشترى : أما والله لقد أخذتها هبة المسونة قليلة المنفعة ،
 فقال : وأنت والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع صريعة التفزق . واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير في النهاية وابن منقوذ في اللسان « فزفوا عن الميتة واجعلوا الرأس رأسين الخ »
 وقالا في تفسيره : اذا اشتريت الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تتالوا في الثمن واشتروا بجن الرأس الواحد
 ٢٠ رأسين فان مات الواحد بقى الآخر فكانكم فرقم ما لكم من الميتة اه ولا تتلوا بدار معجزة أى لا تهبطوا بدار
 يهزكم فيها طلب الرزق وتحزولوا عنها الى غيرها .

رجل داراً فقال له المشتري: لو صبرت لاشتريت منك الذراع بمشرة، قتل: وأنت لو صبرت بمشرك الذراع بدمهم .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي أن أبا سفيان بن العلاء باع غلاماً له بتلاثين ألفاً فقال عمر بن أبي زائدة: هذا أحق، قالوا: كيف؟ قال: لأنه لم يبلغ ثلاثين ألفاً حتى أعطى قبل ذلك عشرون ألفاً فكيف أنتظر ولم يستنمها . ورأى عبد الله بن جعفر يمسك كس في درهم فقيل له: أئتما كس في درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالي جدت به وهذا عقلي ^(١) يخطه . ابتاع ابن عمر شيطاً فحمله البائع على المكيال فقال له ابن عمر أرسل بك ولا تمسك على رأسه فأتى ما يجعله المكيال . كان جري بن عبد الله إذا اشترى شيئاً قال لصاحبه: إن الذي أخذنا منك خير مما أعطيناك إذ أعطى أنه كذلك فانت بالخيار . اشترى عمرو بن عبيد إزاراً للحسن بستة دراهم ونصف فأعطاه سبعة دراهم فقال الرجل: إنما بعته بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إنني اشتريته لرجل لا يقاسم أخاه درهما .

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الزناد قال: إذا عزب المال قلت فواضله، لا بلحة ولا بسرة ولا رطوبة ولا كثافة . ونحوه قول بعض المجازين سأريفيك مالاً بالمدينة إنني * أرى عازب الأموال قلت فواضله

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قسم سهل بن حنيف بيننا أموالنا وقال لي: يا بن أختي إنني أوثرك بالقرابة، أطمأنت أنه لا مال لأخرك ولا عيلة على مصلح، وخير المال ما أطمعك لا ما أطمعته، وإن الرقيق جال وليس بمال . قال زياد: ليس لدى ضئف

(١) كذا بالأصل ولله بحسب .

مثل أرض عُثَيْرٍ وليس لذي جاه مثلُ خِراچٍ وليس لثاجرٍ مثلُ صامِتٍ . قال رجل
لآخر: بكم تبيع الشاة؟ قال: أخذتها بستة وهي خير من سبعة وقد أعطيت بها ثمانية
فإن كانت من حاجتك بستة فزِدْ عشرة . كان يقال : خيرُ المالِ عينُ نحرارة ،
في أرض خُوارَةٍ ، تُفَجِّرُها الفارة ، تسهرُ إذا نِمْتَ ، وتشهدُ إذا غِبْتَ ، وتكون عِقْباً
إذا مِتَ . عبد الرزاق عن مَعْمَرٍ عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: إن الله
إذا أبغض عبداً جعل رزقه في الصَّياح . وقال الفضيل مثل ذلك وقال: أما سمعت
إلى أهل نارِ البطيخِ والمَّلَاحِينَ ودَوِجِهِمْ .

قال حدثنا أحمد بن الحليل قال حدثنا أحمد بن الحارث الهُجَيْمِيُّ قال حدثنا
أَبُوبَارَكٍ بن سعيد عن بُرْدِ بن سنان عن نافع عن ابن عمر أنه كان لا يرى بالمَكَايَسَةِ
والمَكَاكِسَةِ في الشراء والبيع بأساً . ١٠

قال حدثني محمد قال حدثني الأصمباني عن يحيى بن أبي زائدة عن مُجَالِدٍ عن
أبي بُردة . قال : أتى عمرُ غلاماً له يبيع الخُللَ ، فقال له : إذا كان الثوب عاجزاً فأنشره
وأنت جالسٌ وإذا كان واسعاً فأنشره وأنت قائم . قال ، فقالت له : الله الله يا عمرُ .
قال : إنما هي السوق . قال عبد الله بن الحسين : غلَّةُ الدورِ مُسَكَّةٌ وغلَّةُ النخلِ
كَفَافٌ وغلَّةُ الحَبِّ النَقِيّ . قال أعرابي ١٥

زيادةُ شيءٍ تُلِحِقُ النَّفْسَ بِالْمُنَى * وبعضُ الغلاءِ في التجارة أَرْجُحُ
ولما بلغ عُبَيْدُ بْنُ عَزْرَوَانَ أَتَى أَهْلَ البصرة قد اتخذوا الضَّيَاعَ وعَمَرُوا الأَرْضِينَ
كتب إليهم : لَا تُتَنَكُّوا وَجْهَ الأَرْضِ فَإِنْ تَقَحَّمَتْها فِي وَجْهها . قال أعرابي
وفي السوق حاجاتٌ وفي التَّقْدِ قِلَّةٌ * وليس يُقْضَى الحَاجُ غَيْرُ التَّوَاهِيمِ .

قال ميمون بن ميمون : من اشترى الأشياءَ بَنَتِ أَهْلُها عُيُنَ . ٢٠
(١) كذا بالأصل . ولم نجد في القاموس أو اللسان أَضْفَى بمعنى قضى . ولله : وليس مُقْضَى الخ .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي . قال : حدثني شُكْرُ الحَرِثِيِّ ^(١) قال : جاء الحسن بشاة فقال لي يَمُها وأَبْرأ من أُنْها هَلَبُ المَلَفِّ وتَتَرَعُ الوَيْدُ من قَبْلِ البَيْعِ لئلا يقولوا ندم . قال الشاعر

إذا ما تاجر لم يُوفِ كَلًّا • فُصِبَّ على أُنامله الجُلُام

ابن الزيات في الطائفة

رَأَيْتَكَ سَهْلَ البَيْعِ سَمَحًا وَإِنَّمَا • يُغَالِي إِذَا مَا ظَنَّ بِالشَّيْءِ بَائِسَةً
هو المَاءُ إِنْ أَحْمَيْتَهُ طَابَ شُرْبُهُ • وَيَكْدُرُ يَوْمًا أَنْ تُبَاحَ مِثَارِعُهُ

- حدثت عن شَيْبَانَ بن قَرْوَح عن أَبِي الأَشْهَب عن الحسن قال : كان رجل يُقْبِر في البحر ويحمل الخمر يَأْتِي بِهَا قَوْمًا ، فَعَمِدَ إِلَيْهَا فَرَجَحَهَا نَصْفَيْنِ وَأَتَاهُم بِهَا بِعَاجِهَا بِحَسَابِ الشَّرَفِ وَاشْتَرَى قَرْدًا خَمَلَهُ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ ، فَلَمَّا حَلَجَّ فِي الْبَحْرِ لَمْ يَسْعُرْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ الْقَرْدَ الْكَيْسَ وَعَلَا عَلَى الصَّارِي وَجَمَلَ يُكْفِي دِينَارًا فِي الْبَحْرِ وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ حَتَّى قَسَمَهُ قِسْمَيْنِ . قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْحَلَجِّ : أَنَا نَجِلٌ مِنْ الْأَعْرَابِ بِالرَّمْلِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ بِفِرَارَةٍ فِيهَا كَمَاةٌ ، فَقُلْنَا لَهُ : بِكُمُ الْفِرَارَةُ ؟ فَقَالَ : بِدَرَاهِمِينَ ، فَقُلْنَا : لَكَ ذَلِكَ ، فَأَخَذْنَاهَا وَدَفَعْنَا إِلَيْهِ الثَّمَنَ ، فَلَمَّا نَهَضَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَّا : فِي آسَتِ الْمَغْبُورِ عُوْدٌ ، فَقَالَ : بَلْ عُوْدَانٌ وَضَرَبَ الْأَرْضَ بِرِجْلِهِ فَانْزَا نَحْنُ عَلَى الْكَمَاةِ قِيَامٌ . قِيلَ لِأَعْرَابِي : أَلَا تَشْتَرِي لَابِتَكَ بِطَيْخَةٍ . فَقَالَ : لَا ، أَوْ يَبْلُغُ مِنْ كِسَادِهِ أَنْ يَكُونَ إِذَا تَسَاوَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الْبَقَالِ وَأَخَذَهُ وَعَدَا رَمَاهُ بِأُخْرَى وَلَمْ يَمُدَّ خَلْفَهُ . اشْتَرَى أَعْرَابِي غُلَامًا فَقَالَ لِلْبَائِعِ : هَلْ فِيهِ مِنْ عَيْبٍ ، فَقَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنَّهُ يَبُولُ فِي الْفِرَاشِ . فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا بِعَيْبٍ ، إِنْ وَجَدَ فِرَاشًا قَلِيلًا فِيهِ .

الدِّين

قال ثابت قُطْنَةُ : الدِّينُ عُنْفَةُ الشَّرِيفِ . وقال دُلَيْمٌ

اللهُ لَقِيَ مِنْ عَرَابَةٍ بَيْعَةً * على حين كَادَ التَّقْدُ يَسُرُّ عَاجِلُهُ
ولَوْ بَنَانُ الكَفِّ يَحْسُبُ رِيحَهُ * ولم يَحْسُبِ المَطْلُ الذِي أَنَا مَاطِلُهُ
سِبْطِي مِنَ الرِّيحِ الذِي كَانَ يَنْجِي * أَسَ الذِي أَعْطَى وَهَلْ هُوَ قَابِلُهُ

عبد الرزاق عن ابن جُرَيْجٍ قال : رَأَى عمرو أَنَا مُتَّقِعٌ ، فقال : يَا أَبَا خَالِدٍ ، إِن لَقَيْنَا
كَانَ يَقُولُ : القِتَاعُ بِاللَّيْلِ رِيَّةٌ وَبِالنَّهَارِ مَنَلَةٌ ، فَقُلْتُ : إِن لَقَيْنَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ دِينَ .
كتب يعقوب بن داود إلى بعض العباد يسأله القِدُومَ عليه ، فأتى محمد بن النضر
الحارثي فاستشاره وقال : لَمَلَّ اللهُ يَقْضِي دِينِي ، فقال محمد بن النضر : لَأَنْ تَلْقَى اللهَ
وعَلَيْكَ دِينَ وَلَكَ دِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ وَقَدْ قَضَيْتَ دِينَكَ وَهَضَبَ دِينَكَ ، قال
عِيَاضُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : الدِّينُ رَايَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ عَبْدًا جَعَلَهَا طَوَاقًا
فِي عُنُقِهِ . دخل عَتْبَةُ بْنُ عمرو عَلَى خَالِدِ التَّمِيمِيِّ . فقال خَالِدٌ يَمْرُضُ بِهِ : إِن ههنا
رَجُلًا يَدَانُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا فَنَيْتَ أَذَانُوا فِي أَعْرَاضِهِمْ . فقال عَتْبَةُ : إِن رَجُلًا
لَا تَكُونُ مُرُوءَاتُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَدَانُونَ عَلَى سَعَةِ مَا عِنْدَ اللهِ ، فَنَجِلَ خَالِدٌ وَقَالَ :
إِنَّكَ مِنْهُمْ مَا حَلَمْتُ . وقال أَعْرَابِيٌّ يَذْكُرُ غُرْمَةً لَهُ

جاءوا إِلَى غَضَبًا يَلْقَظُونَ مَعًا * يَشْفِي أَنْفُسَهُمْ أَنْ غَابَ أَنْصَارِي
لَمَّا أَبَوَا جَهْرَةً إِلَّا مَلَاذَنِي * أَجَمْتُ مَكَارِهِمْ فِي غَيْرِ انْكَارِ
وقلت إِنِّي سَيِّئَاتِي غَنَّا جَلِّي * وَإِذَا مَوْعِدُكُمْ دَارُ أَبِي هَبَّارِ
وما أَوْاعِلُكُمْ إِلَّا لِأَرْبَتِهِمْ ^(١) * عَنِّي فَيُخْرِجُنِي قَفْضِي وَإِسْرَارِي

٢٠ (١) فِي الْأَمَانَةِ عَمِيرَ الصَّخِيرِ . (٢) فِي الْعَدِّ الْفَرِيدِ : لِأَدْرَامِ .

وما جلبت إليهم غير راحلة * تحدي رجل وسيف جفنه عارى
 إن القضاء سيأتي دونه زمن * فاطوا الصحيفة وأحفظها من النار^(١)
 وقال آخر لفرمانه

ولو علقتموني كل يوم * برجلي أويدي في المنجنيق
 لما أعطيتكم إلا ترابا * يطير في الخياشم والخلوق

وقال آخر

إن آخيت الأمير قل سلام * عليك ورحمة الله الرحيم
 وأما بعد ذاك فلي غريم * من الأعراب قبيح من غريم
 له ألف على ونصف ألف * ونصف النصف في صلك تقديم
 دراهم ما أنتفعت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بني تميم

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي . قال : جاء رجل من بني غزوم الى الحارث بن
 عبد الله بن نوفل وهو يقضي عن أخيه ديناً فقال : إنا لي على أخيك حقاً ، قال :
 ثبت حقك نعطه . قال : أفن ملامه أخيك ووفائه فدعى عليه ما ليس لنا ؟ فقال :
 أمين صدقك وبرك قبل قولك بنير بينة ؟ . لزم سهل بن هارون دين كبير ، قال
 أعرابي يوصيه بالتواري عن غرمانه

أزل أبا عمرو على حد قرية * ترجع الى سهل كثير السلاقي
 وخذ نفق البربوع فأسلك طريقه * ودع عنك إني طاطق وأبن طاطقي
 وكن كأبي قطب على كل راعم * له باب دار ضيق العرض سامق
 وأبو قطبة حقائق كان بالكوفة مولى لكتنة .

حدثني محمد بن عبيد . قال : حدثني صفيان بن عصفه عن عمرو بن دينار عن
 عبيد بن عمير أن رجلاً كان يبايع الناس ويأبئهم ، وكان له كاتب ومتجرج ، فيأتيه
 (١) في العقد الفريد : النار .

المُعَسِّرُ وَالْمُسْتَظَرُّ فيقول لكتابه : أَكَلْتُ وَأَسْتَظَرُّ وَتَجَاوَزَ لِيَوْمَ يَجَاوِزُ اللَّهُ عَنَّا فِيهِ ،
فَمَاتَ لَا يَعْمَلُ عَمَلًا غَيْرَهُ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ . قَالَ شُقْرَانُ الْقَضَائِيَّ

لَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عِيلَانَ لَمْ تَجِدْ * عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ النَّاسِ دَرَاهِمًا
وَلَكِنِّي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا * فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أُدِينَ وَتَقَرَّمَا

• بلغني عن يحيى بن أيوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر إلى
عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربعمائة درهم ، فقال عبد الرحمن : أَسْتَسْلِفُنِي وَعِنْدَكَ
بَيْتُ الْمَالِ ، أَلَا تَأْخُذُ مِنْهُ ثُمَّ تَرُدُّهُ ، فقال عمر : إِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ يَصِيبَنِي قَدَرِي ،
فَقُولِ أَنْتِ وَأَصْحَابُكَ : اذْكُرُوا هَذَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . حَتَّى يُوْخِذَ مِنْ مِيزَانِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
وَلَكِنِّي أَسْتَسْلِفُهَا مِنْكَ لِمَا أَعْلَمُ مِنْ تَحْكَمٍ فَذَا مِائَتٌ جِثَّتْ فَاسْتَوْفَيْتَهَا مِنْ مِيزَانِي .

١٠ كتب أبو عبيد المهلب^(١) إلى صديق له مكثراً يستسلفه مالا ، فَأَعْتَلَّ عَلَيْهِ بِالْعَدْلِ
وَضَيْقِ الْحَالِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبْنُ عَبَادٍ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا بَطَلَكَ اللَّهُ صَادِقًا وَإِنْ كُنْتَ
مُلوِّماً بَطَلَكَ اللَّهُ مَعْنُوراً . أَبُو الْيَقْظَانِ قَالَ : كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ
أَبِي لَهَبٍ الشَّاعِرُ يُعَيِّنُ النَّاسَ فَذَا حَلَّتْ دِرَاهِمُهُ رَكِبَ حِمَارًا لَهُ يَقَالُ لَهُ شَارِبُ الرِّيحِ
فَيَقِفُ عَلَى غَرَمَائِهِ وَيَقُولُ

١٥ بَنِي عَمْنَارُتُوهَا الدِّرَاهِمُ إِنَّمَا * يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الدِّرَاهِمِ

وكان رجل من بني الدَّيْلِ عَسِرَ الْقَضَاءُ فَذَا تَعَلَّقَ بِهِ غَرَمَاؤُهُ فَرَمَنَهُمْ وَقَالَ
فَلَوْ كُنْتُ الْحَدِيدَ لَكَسَرْتَنِي * وَلَكِنِّي أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ

فَعَيَّنَهُ الْفَضْلُ فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ الْحِلِّ جَاءَ فَنِي مَعْلَقًا عَلَى بَابِ دَارِهِ ، وَكَانَ يَقَالُ
لِلرَّجُلِ عَقْرِبُ فَلَقِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِهِ شِدَّةً ، فَهَجَاهُ الْفَضْلُ فَقَالَ

٢٠ (١) فِي الْأَمَانَةِ الْمُهْلِ لَمْ تَقِفْ عَلَى مَنْ اشْتَرَى بِأَيِّ عِبَادٍ وَهُوَ ابْنُ عِبَادٍ سَوَى أَبِي عِبَادٍ يَحْيَى بْنُ عِبَادٍ
الضُّحَى الْبَصْرِيُّ وَلَكِنْ الْمُسَوَّبُ إِلَى الْمُهْلِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عِبَادٍ بْنُ حَبِيبِ الْمُهَلْبِيِّ .

قد تَجَرَّتْ في دارنا عَرَبٌ * لا مَرَجَبًا بِالْعَرَبِ النَّاجِرِ
 إن مَادَتِ الْعَرَبُ عُدْنَا لَهَا * وَكَانَتِ التَّعَلُّ لَهَا حَاضِرَهُ
 كُلُّ عَدُوٍّ يَتَّقِي مُقْبِلًا * وَعَرَبٌ تُخْشَى مِنَ النَّازِرِ
 إِنْ عَدُوا كَيْدَهُ فِي أَمْسِهِ * لَنَسِيرُ ذِي كَيْدٍ وَلَا نَازِرِهِ

- قال بعضهم : ثلاثة من عازم عادت عزته ذلة : السلطان ، والوالد ، والفرس .
 وفي الحديث المرفوع : « لصاحب الحق اليد واللسان » . المدائني قال : ما يرمضُ خلفاء
 بني أمية رجلاً وهو يحادثه ثم قطع حديثه وأصفى لونه ، فقال له الرجل : ما هذا
 الذي رأيت منك ؟ قال : رأيت غريباً لي ، قال الشاعر
 إذا ما أخذت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غُرمًا على غُرم

- وقال أنس
 أخذت الدين أدفع عن تِلَادِي * وَأَخَذْتُ الدِّينَ أَهْلَكَ لِلتَّلَادِ
 كان لرجل من يَحْصُبَ على رجل من باهلة دينٌ ، فلما حل دينُهُ هرب الباهلي
 وأنشأ يقول

- إذا حل دينُ اليحصبيِّ قَلَّ له : * تَزُودُ بَرَادٍ وَأَسْتَعِينُ بِدَلِيلِ
 سَيُصْبِعُ فَوْقَ أَقْمِ الرَّأْسِ وَاقِعًا * بَقَالِي قَلًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ دَيْبِلِ

- قال المحدث بهذا : فحدثني من رآه بَقَالِي قَلًا أَوْ بِدَيْبِلِ وهو مصلوب وقد وقت
 عليه حُفَّابٌ . وقف أبو فرعون الأعرابي على باب قوم يسألهم ، فقلوا له : ما عنكم
 شيء يُعْطُونَهُ ، فقال : استقرضوا لنا شيئاً ، فقالوا : ما يُقرضنا أحد شيئاً ، فقال
 أبو فرعون : ذلك لأنكم تأخذون ولا تُعْطُونَ ، أو قال ولا تُقَضُّون . أتى قومٌ عبادياً
 فقالوا : نحب أن تُسَلِّفَ فلانا ألف درهم وتؤثره بها سنة ، قال : هذه حاجتنا ،

(١) التي في اللسان : سيجع فرق أقم الرين وانما .

وسأقضي لكم إحداهما، وإذا أنا فعلت فقد أنصفتُ، أنا أوخره ماشاء . كتب عمر ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دينٌ : قد آن لحقّ الذي عندك أن يرجع إلى أهله ، وتستغفرُ الله تعالى من حبه .

اختلاف المهم والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير ومُصعبُ بن الزبير وعبد الملك بن مروان فيقاء الكعبة ، فقال لم مصعبُ : تمتوا فقالوا : أبدا أنت . فقال : ولايةُ العراق وتزوجُ سَكينةَ ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فقال ذلك وأصدقَ كل واحدة خمسمائة ألف درهم وجهزها بمثلها . وتمنى عروة بن الزبير الفقه وأن يحل عنه الحديثُ فقال ذلك . وتمنى عبدُ الملك الخلافةَ فمالها . وتمنى عبد الله بن عمر الجنة .

قال قُتيبة بن مسلم لحُصَيْن بن المُثَنَّر : ما السرورُ ؟ قال : امرأةٌ حسناء ، ودأرٌ قوراء ، وفرسٌ مُرتبطٌ بالقياء . وقيل لضرار بن الحسين : ما السرورُ ؟ قال : لواءٌ منشور ، وجلوسٌ على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير . وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرورُ ؟ فقال

كل الكرامة يتلها * إلا التبعة بالسلم

يريد أنه لم يُسلم عليه بالخلافة . وأخذه من قول الآخر

من كل ما نال القى * قد تئسه إلا الصحية

يريد الملك . قيل لعبد الملك بن الأَهم : ما السرورُ ؟ فقال : رفعُ الأولياء ، وحطُّ

الأعداء ، وطولُ البقاء ، مع القدرة والتمناء . وقال آخر

أطيبُ الطيات قتلُ الأعداء * واختيالٌ على متون الجياد

وأيادٍ حَبَّوْنٍ كَرِيمَا * إن عند الكريم تركو الأيادي

(١) في النسخة الألمانية «والتي» .

- قيل للفضل بن سهل : ما السرور ؟ فقال : توقيعُ جائزٍ وأمرٌ نافذ . وقال يزيد بن أسد يوما : أيُّ شيءٍ أسرُّ إلى القلوب ؟ فقالوا : رجل هوى زمانا ثم قدر ، فقال : إن هذا السرور . وقال آخر : رجل طلب الولد زمانا فلم يولد له ثم بُسر بسلام ، فقال يزيد : أسرّ من هنا كلُّ قفلةٍ على غفلة . قيل لبعض الحكماء : تمنّ ، فقال : مُحادثة الإخوان ، وكفّاف من عيش يسدّ خلتى ويستر عورتى ، والانتقال من ظِلٍّ إلى ظل . قيل لآخر : ما بقى من ملائكة ؟ قال : مناقلةُ الإخوان الحديث على التلاع العُفْرِى اللبالي القمر . قيل لامرئ القيس : ما أطيبُ عيش الدنيا ؟ فقال : بيشاء رُعبوبة ، بالطيب مشوبة ، بالشحم مكروبة . وقيل لطرفة مثل ذلك فقال : مطعم شهى وملبس دقّ ، ومركب وطي . وقيل للأعشى مثل ذلك ، فقال : صباه صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية . وقال طرفة
- ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفقى • وجنك لم أحفل متى قام عؤدى
فهنّ سبق الماذلات بشرية • كُتبت متى ما تُسلّ بالماء تُزبد
وتقصير يوم النجى والنجى معجب • يهكّنة تحت الطراف المتمد
وكرى انا نادى المضاف محبا • كسيد الفضا نهته المتورد
- وقال أبو نواس
- قلت بالقص ليحي • وندامى نيام
يارضىبى ثدى أم • ليس لى عنه فطام
لأعما المشى سماع • وندام وندام
فلذا فاك هذا • فعل المشى السلام
- وقال محمد

تقول حذراء : ليس فيك سوى الشخمر معاب يعيه أحد

(١) كما بالأصل وله «شعرية» .

قُلْتُ: أَخْطَأْتُ، بَلْ مُعَافَرَتِي الشَّخْمَرِ وَبَنِي فِيهَا الَّذِي أَجِدُ
هُوَ السَّاءُ الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ * لَا سَبْدٌ مَحْدِي وَلَا لَبْدٌ^(١)
وَبِحِكِّ لَوْلَا الْجَمُورُ لَمْ أَحْفِلِ السَّعِيشَ وَلَا أَنْ يَضْمَنِي لَحْدٌ
حَى الْحَيَا وَالْحَيَاةِ وَاللَّهُوَلَا * أَنْتَ وَلَا ثَرَوَةٌ وَلَا وَلَدٌ
وَقَالَ أَبُو الْهِنْدِيِّ

تَرَكْتُ الْجَمُورَ لِأَرْبَابِهَا * وَأَصْبَحْتُ أَشْرَبُ مَاءَ قَرَّاحَا
وَقَدْ كُنْتُ حِينًا بِهَا مُعْجِبًا * كَحَبِّ الْغَلَامِ الْفَتَاةَ الرِّدَّاحَا
وَمَا كَانَ تَرَكِي لَهَا أَتْنِي * يَخْشَى نَدِيمِي عَلَى اقْتِضَا حَا
وَلَكِنْ قَوْلِي لَهُ مَرْحَبًا * وَأَهْلًا مَعَ السَّهْلِ وَأَنْتُمْ صَبَا حَا

وَقَالَ آخَرُ

إِسْقِنِي بِالْكَبِيرِ إِنِّي كَبِيرٌ * إِنَّمَا يَشْرَبُ الصَّغِيرَ الصَّغِيرُ
لَا يَفْرُتُكَ يَا عَيْدُ خُشُوعِي * تَحْتَ هَذَا الْخُشُوعِ فَسَقُ كَثِيرُ
كَانَ ابْنُ مَائِشَةَ يُشَدُّ

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَفْظَ حَفْظَ الْجَاهِلِ * وَلَمْ أَرِ الْمَشْبُوتَ غَيْرَ الْعَاقِلِ
رَحَلْتُ عَنْمَا مِنْ كَرَمِ بَابِلِ * فَبِنْتُ مِنْ عَقْلِي عَلَى مَرَاهِلِ

وَقَالَ آخَرُ

شَرِينًا مِنَ الدَّائِيَةِ حَتَّى كَانَتَا * مَلُوكٌ لَمْ يَرِ الْعِرَاقَيْنِ وَالْبَحْرُ
فَلَمَّا أَتَجَلَّتْ شَمْسُ النَّهَارِ دُرُؤُنَا * تَوَلَّى الْفَتَى عَنَا وَعَاوَدَنَا الْفَقْرُ

قال بعضهم : العيش كله في كثرة المال وصحة البدن ونحو ذلك . وكان
يقال : ليس السرور للنفس بالجمدة ، إنما سرور النفس بالأمل . قال يزيد بن معاوية :

(١) في النسخة الألمانية : التاء . (٢) في النسخة الألمانية : غلدي .

ثلاث تُخَيِّقُ العقلَ وفيها دليلٌ على الضعف: سرعة الجواب، وطول التفتي، والاستغراب في الضحك. وكان يقال: المني والحلم أخوان. وسئل ابن أبي بكر: أي شيء أَدومُ إمتاعاً؟ فقال: المني. وقال الشاعر

إِذَا تَمَيَّتُ بِثُ اللَّيْلِ مُتَبَيِّطًا * إِنَّ الْمَنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ

وقال آخر

مَا فَاتَنِي مِنْكَ فَاتُ الْمَنَى * تَدْنِيهِ يَنِي فَكَأَنَّمَا

وقال آخر

وَإِنْ لَوَ أَلِيسَ شَيْئًا سِوَى * تَسْلِيَةِ اللُّؤْمَاءِ بِالْبَاطِلِ

وقال بعض الأعراب

مَنْ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى * وَالْأَقْدَرُ عِشْنَا بِهَا زَمَانًا رَغْدًا
أَمَانِيٍّ مِنْ مُسْعَدِي عِدَابًا بِكَأَمْنِي * مَسَقَّتْكَ بِهَا مُسْعَدِي عَلَى ظُلْمًا بَرْدًا

وقال بشار

كِرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّتِي مَضَى * فَلَقَدْ لَنَا مَحْمُودُهَا وَذَمُّهَا

وقال الجينون

أَيَّاحْرِيَّاتٍ إِلَى حَيْثُ تَحْمَلُوا * بَذَى مَلَمَ لَا جَادَ كُنْتُ رُبْعُ
وَحَيَاتِكَ الْآلَتِي يُنْمِرُجُ اللَّوَى * يَلِينُ يَلٍ لَمْ تَبْلُغْ رُبْعُ
فَقَدْ تَكُنْ مِنْ نَفْسِ شِعَاعِ فُطُلْمَا * نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ
فَقَرَّبْتِ لِي ضِرَارَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَقْتُ * إِلَيْكَ شَايَا مَا لَمْ تَطْلُوعُ

(١) في الأصل «يدنيه». (٢) كذا في الأغني والسان. وفي الأصول «قلب».

(٣) في الأصول «مثل ثأيا الخ». والتصويب عن الأغني.

وقال ابن أبي الدنينة^(١)

يا ليتنا فردًا وحش ندور معًا * نرى المئان ونخفى في نواحيها
أوليت كدراً لقطا حلقن بي وبها * دون السماء فعمشنا في خوافها
أكثرت من ليتنا لو كان ينفعني * ومن متى النفس لو تغطي أمانها

وقال كثير

فيا ليتنا يا عتر من غير ربية * بغيران نرى في الفلاة ونعرب
نكون لذي مال كثير يضيعنا * فلا هو يرتانا ولا نحن نطلب

وقال جرّان المود

ألا ليتنا طارت عقاب لنا معًا * لما سبب عند الهجرة أو وكر

وقال مالك بن أسماء

ولما نزلنا منزلًا ملّه الندى * أتينا وبُستاننا من النور حاليًا
أجد لنا طبيب المكان وحسنه * متى قمتينا فكنت الأمانيا

وأشدنا الرياشي

نهارى نهار الناس حتى إذا دجا * لي الليل ملّني هناك المضاجع
أقصى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعني والم بالليل جامع

وأشد أبو زيد

كأنني إذ أسعى لأظفر طائر * مع النجم في جو السماء يطير
فني منطهر بالمتى في خلائه * وهن وإن حسنتن غرور

(١) كذا بالأصول بزيادة أبي، والصواب ابن الدنينة .

(٢) المئان جمع من وهو ما سلب من الأرض وارتفع .

(٣) في ديوان ابن الدنينة : « هن تنى اليك » بدل « ملّني هناك » .

- أبو حاتم عن الأصمعي قال : زعم شيخ من بني القُصَيْف قال : تَمَيَّتُ داراً فكنْتُ أربعة أشهر مُتَمَتّاً للدرجة أين أضعُها . قال الوليد بن عبد الملك بُدِّعَ المُغَيُّ : خذ بنا في التَّمَيِّ فوالله لأُعْلِبَنَّكَ . قال : والله لا تَعْلِبُنِي أبداً . قال : بلى . قال بُدِّعٌ : فإنِّي أتمتُ كُفْلَيْنِ مِنَ المَذَابِ ، وأن يلعنني الله لعنا كثيراً فخذِ ضِعْفَي ذلك . قال : غلبتني لعنك الله . قيل لمُزَيْدٌ : أيسركَ أن هذه الجنة لك ؟ قال : وأضربُ عشرين سوطاً . قالوا : ولم تقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

- الأصمعي عن مُبَشَّر بن بَشِير أن رجلاً كان يطلبه المَجْحَاج فترس باط فيه كلب بين جُبَيْنٍ يَقَطُرُ عليه ماءهما . فقال : ياليتني مثلُ هذا الكلب ، فإلث ساعة أن مَرَّ بالكلب في عصفه حبسٌ ، فسال عنه ، فقالوا : جاء كَلْبُ المَجْحَاج يأمر فيه بقتل الكلاب . قال مَدِينُ لَكُوفِي : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ١٠ وَدِدْتُ أَنِّي وَقَيْتُهُ ولم يكن وصل إليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شيء من المكروه إلا كان بي دونه . قال المَدِينِيُّ : وَدِدْتُ أن أبا طالب كان أسلمَ فسرَّبه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنى كافرٌ .

- تَمَتَّى ابن أبي عَتِيق أن يُهْدَى له مسلُوحٌ يَتَّخِذُ منه طعاماً ، فسمعتُه جارةً له فظنَّت أنه قد أمر أن يُسْقَى له ، فاستظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تَدُقُّ الباب ، ١٥ وقالت : تَمَتَّتْ رِيحُ قُدُورِكُمْ جَفَّتْ لِتَطْعِمُونِي ، فقال ابن أبي عَتِيق : جيرانِي يَسْمُونُ رِيحَ الأمانِي .

- وفي كتاب المهند أن ناسكاً كان له عسل وسمن في جرة ، ففكر يوماً فقال : أبيعُ الجرةَ بعشرة دراهم ، وأشتري خمسةَ أَعْتَرٍ فَأُولِئِهِنَّ في كُلِّ سنةٍ مَرَّتَيْنِ ؛ ويبلغُ النَّتَاجُ في سنتين مائتين ، وأبتاعُ بكلِّ أربعِ بَقَرَةٍ ، وأصيبُ بَذراً فازرع ، وتبيحُ المسألُ ٢٠ في يدي ؛ فَأَتَّخِذُ المساكينَ والعبيدَ والإماءَ والأهلَ وَيُوَلِّدُني ابنٌ فأنميهِ كذا وأخذهُ

بالأدب ، فإن هو عصاني ضربت بعصاي رأسه وكانت في يده عصا فرفها حاكيا للضرب ، فأصابته الجراحة فأنكسرت ، وانصبَّ العسلُ والسمنُ على رأسه .

ابن الكلبي قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسرورا قال
ليت أيامنا ببرقة خاخ * ولياليك ياطويل تعودُ

وإذا كان مفتًا قال

ترى الشيء مما تبقى فضافه * وما لا ترى مما بقي الله أكثرُ

الأصمعي عن أبيه قال قال زياد : أرى الناس أنتم ؟ قالوا : معاوية . قال :
فأين ما يلقى من الناس ! قالوا : فانت . قال : فأين ما ألقى من الثغور والخراج !
قالوا : فن ؟ قال : شاب له سيداد من عيش ، وامرأة قد رضىها ورضيته ، لا يعرفنا
ولا نعرفه ، فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه وديناه .

التواضع

قال حدثني محمد بن خالد بن خديش قال حدثنا مسلم بن قتيبة عن شيخ من
أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حيوة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلح من
السراج فقلت : يا أمير المؤمنين لم لا أمرتني بذلك ، أو دعوت له من يصلحه ؟
فقال : قمت وأنا عمر وعلمت وأنا عمر .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كتب محمد بن كعب فانتسب وقال : القرظي ،
ف قيل له : أو الأنصاري . فقال : أكره أن أؤمن على الله بما لم أفعل .

قال حدثني أحمد بن الحليل قال حدثنا عبد الله بن مسلمة عن يعقوب بن حماد
المدني عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال : كان عمر بن الخطاب إذا سافر
لا يقوم في الظل ، وكان يراجلنا رحالنا ويرسل رحله وحده . وقال ذات يوم

لا يأخذ الليل عليك بالمهم * واليس له التميمص واعتم^(١)
وكن شريك نافع وأسلم * ثم آخذهم الأهوام حتى تحم

وروى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأصابته رعدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «هون
عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جالس الأحنف على باب دار ، فزيت به
ساقية فوضعت قريتها وقالت : يا شيخ ، احفظ قريتي حتى أعود ومضت ، فأتاه الأذن
وقال : انهض . فقال : إن ممي ودبعة ، وأقام حتى جاءت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جرير بن حازم عن الزبير بن الحارث عن
أبي ليلى ، قال : مر بنا زياد وهو أمير البصرة ومعه رجل أو رجلان وهو على بئلة
قد طلق الحبلى في علقها تحت الجمام .

الأصمعي قال ، قال يحيى بن خالد : الشريف إذا تقرر تواضع والوضيع إذا تقرر
تكبر . الأصمعي قال : لا أراه أخذه إلا من كيس غيره .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن
أيوب عن عمار بن غزيرة عن عبد الله بن عمرو بن الزبير قال : إلى الله أشكو
حمدى مالا آتى ، ودنى مالا أترك .

قال حدثني أحمد بن الحليل عن أبي نعيم عن ثعلبة عن حميد عن أنس قال :
مر النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في غلمان فسلم علينا .

وحدثني أحمد بن الحليل عن عمر بن عامر عن شعبة عن جابر عن طارق التيمي
عن جرير بن عبد الله البجلي قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفسوة فسلم عليهم .

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصول وهو غلط الوزن . (٢) يقال تهر إذا ندى باسمه من بين الأصابع .

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : أخبرني معمر قال : قلت لبحار لعتاء السكبي : من كان يخدم عطاء ؟ قال : مَحْتُون كانوا في الدار يستقون له وضوءه . فقلت : أَوْضِئْتُهُ مَحْتُون ! فقال : هو كان يظلمهم خيرا منه . الأصمعي عن رجل عن النبي قال : أدى ابن لمحمد بن واسع رجلا ، فقال له محمد : أتؤذيه وأنا أبوك وإنما اشتريت أهلك بمائة درهم .

قال طاهر بن الطرب المدوني : يامعشر عدوان ، إن الخير ألوف عروء عروء ، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإن لم أكن حكيما حتى صحبت الحكماء ، ولم أكن سيدكم حتى تميلت لكم . قال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصادب الشرف . كان يقال : سمان متضادان بمعنى واحد : التواضع والشرف . وقال بزرجمهر : ثمرة الفتاة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقال الوليد : خدمة الرجل أخاه شرف . وقال عبد الله بن طاهر

أميل مع الإمام على ابن عمي * وأحمل الصديق على الشقيق
وإن القيني ملكا مطاعا * فإنك واجدى عبد الصديق
أفرق بين مصروفى ومي * وأجمع بين مالى والحقوق

وقال آخر

وإن لعبد الضيف من غير نلة * وما فى إلا تلك من شعبة العبد^(١)

ويقال : كل نعمة محسود عليها إلا التواضع . قال المسيح عليه السلام لأصحابه : إذا اتخذاكم الناس رعوها فكونوا أذنايا . اعتم هشام بن عبد الملك فقام الأبرش يسوي عمامته ، فقال هشام : مه إنا لا نتخذ إلاخوان خولا . كان عمر بن الخطاب يقطع النوى ويأخذ النكث من الطريق ، فلما مر بدارى بها فيها وقال : انتفعوا بهذا .

(١) جاء هذا البيت في الحماسة من أبيات مفتوحة الروى للفتح الكتني هكذا :

وإن لعبد الضيف مادام نكالا * ولا شعبة لي غيرها شبه العبد

- قال يوسف بن أمّباط : يَحْزَى قَلِيلُ الْوَرَعِ مِنْ كَثِيرِ الْعِلْمِ ، وَيَحْزَى قَلِيلُ التَّوَاضُعِ مِنْ كَثِيرِ الْاجْتِهَادِ . وقال بكر بن عبد الله : إِذَا رَأَيْتَ أَكْبَرَ مِنْكَ قُلَّ : سَبَقَنِي بِالْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْغَرَ مِنْكَ قُلَّ : سَبَقَنِي بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ إِخْوَانَكَ يُكْرِ مُوَلِّكَ قُلَّ : نِعْمَةٌ أَحْدَثُوهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ تَقْصِيرًا قُلَّ : بِذَنْبِ أَحَدِهِمْ . قال عبد الملك بن مروان : أَفْضَلُ الرَّجُلِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رُفْعَةٍ ، وَزَهَدَ عَنْ قُدْرَةٍ ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ . قال ابن السَّكَّانِ لِعِيسَى بْنِ مُوسَى : تَوَاضَعْكَ فِي شَرْفِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ شَرْفِكَ . وقال عبد الملك بن مروان : ثَلَاثَةٌ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ : جُودٌ لغيرِ ثَوَابٍ ، وَنَصَبٌ لغيرِ دُنْيَا ، وَتَوَاضَعٌ لغيرِ ذُلٍّ .
- قال إبراهيم النَّخَعِيُّ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَرُكْبُ الْحَارِجِ رِذَاءًا . الْأَعْمَشُ عَنْ أَنَسٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْعَى إِلَى خُبَرِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السَّيِّئَةِ ^(١) فَيُجِيبُ . قَالَ غَيْرُهُ : وَكَانَ لَا يَأْكُلُ كُلَّ مَتَكٍّ وَلَا كُلَّ بَالْحَضِيضِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ . قَالَ أَوْسُ بْنُ الْحُدَّائِنِ : رَأَيْتُ أَبَا هُبَيْرَةَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ عَرِيٍّ يَقُوبُ الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ ، قَدْ جَاءَ الْأَمِيرُ . قَالَ حَقَّصُ بْنُ غِيَاثٍ : رَأَيْتُ الْأَعْمَشَ خَارِجًا إِلَى الْعَبْدِ عَلَى حِمَارٍ مَقْطُوعٍ الذَّنْبِ قَدْ سَدَلَ رَجْلِيهِ مِنْ جَانِبٍ . الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : بَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَنْبَرِ إِذْ أَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ بَرَجٌ نَزَجَتْ مِنْهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ مَلَيْتُ بَيْنَ أَنْ أَخَافَكُمْ فِي اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ ، فَكَانَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ فَسَوْتُ ، وَهَاتِنَا أَنْزِلْ لَأُعِيدَ الْوُضُوءَ . كَانَ يَقَالُ : مَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْحِلَالِ قَلْبَ كَبِيرٍ يَأْخُذُ وَخَفَتْ مَوَازِينُهُ . قَالَ مَعَاوِيَةُ : مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قُتِلَ عَنْ جَانَفَةٍ أَوْ مُقْتَلَةٍ خِلَافَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . الْحَقَّةُ الشَّجَاةُ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا

(١) الإِهَالَةُ : مَا يُؤْتَمُّ بِهِ مِنَ الْأَدْعَانِ ، وَالسَّنَةِ : الْخَضِرَةُ الرَّيْحُ .

(٢) يَرِيدُ : لَيْسَ فِيهَا أَجْدُ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ عَظِيمٌ ، فَاسْتَأْذِنَ الْجَاهِلَةَ وَالْحَقَّةَ فَكَانَ .

الغلام، والباحثة التي تبلغ جوف الدماغ • يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبي حمزة قال: [قال] إبراهيم: لقد تكلمتُ ولو وجدتُ بداً ما تكلمت، وإن زماناً تكلمتُ فيه لزمانٌ سوء • كان رجل من خَتَم رَدَى فقال في نفسه

لو كنتُ أصعدُ في التَّكْرَم والعُلا * كتحذري أصبحتُ مبيد خشم

فباد أهل بيته حتى ساد فقال

خَلَّتِ الدَّيَارُ فُسُنْتُ غَيْرُ مُسَوِّدٍ * ومن الشَّقاء تَفَرُّدِي بالسُّود

أُشدنى أبو حاتم عن الأصمعيّ في مثله

إنَّ بهوم سَوْدوك لحاجة * إلى سيِّد لو يظفرون بسيد

قال يحيى بن خالد: لست ترى أحداً تكبر في إمارته إلّا وهو يعلم أن الذي نال

فوق قدره، وليست ترى أحداً يضع نفسه في إمارة إلّا وهو في نفسه أكثرُ بما نال

في سلطانه • ومثله، قيل لعميد الله بن بَسَام: فلان غيَّره الإمارة، فقال: إذا ولي

الرجل ولايةً فرأى أكثر منه تفسير، وإذا ولي ولايةً يرى أنه أكثر منها لم يتغير •

ويقال: التواضع مع السخافة والبخل أحدُ من السخاء والأدب مع الكبر، فأعظم

بنعمة عَفَتْ من صاحبها بسيتين، وأقبحُ بسينة حرمتُ صاحبها حسبتين • وفي بعض

كتب العجم: علامةُ الأحرار، أن يُلْقُوا بما يُحِبُّون ويُحَرِّمُوا أحبَّ إليهم من أن يُلْقُوا

بما يكرهون ويُبْعَلُوا؛ فأنظر إلى خَلَّة أفسدت مثل الجود فاجتنبها، وأنظر إلى خَلَّة

عَفَتْ مثل البخل فالزَّهْمَا • كان يقال: الشرفُ في التواضع، والعزُّ في التَّقوى، والغنى

في القناعة • أبو الحسن قال: خطب سلمانُ إلى عمر فأجمع على ترويحِهِ، فشق ذلك

على عبد الله بن عمرو وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال: أنا أردتُ عنك، فقال: إن رددته

بما يكره أغضبتُ أمير المؤمنين، قال: عَلَّ أن أردتُ عنك راضياً، فأقى سلمانُ فضرب

بين كفيه يده، ثم قال: هنيئاً لك أبا عبد الله، هذا أمير المؤمنين يتواضع بترويحك،

فالتفت إليه مُغَضَّبًا وقال، أبا يتواضع ! والله لا أتزوجها أبدا . وقال المزاريب
مُنْقَذُ الْعَدَوِيِّ^(١)

يا حَبْلَنَا حين تُمسِي الرِّيحُ بارِدَةً * وادِي أُشْيٍّ، وَتَيَّانٌ بِهِ هَضْمٌ
يُجَدِّمُونَ، كَرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ * وفي الرجال إذا لاقَيْتَهُمْ خَلَمٌ
وما أَصْحَابُ قَوْمَانِمْ أَذْكَرُهُمْ * إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ

- ابن المبارك عن دَرَّجٍ عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت ، فلدنا عبد الله بن عباس ليأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يا بن عم رسول الله ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا . فقال زيد : أرى يدك ، فأخرج يده فقبلها زيد ، ثم قال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيتنا عليه السلام . قال عبد الله بن مسعود : رأس التواضع أن تبدأ من لقيت بالسلام ، وأن ترضى بالذنوب من المجلس . ابن أبي الزناد ١٠ عن أبيه أن العباس بن عبد المطلب لم يترك قط بعمر ولا بثمان وهما راكبان إلا ترجلا حتى يموزهما إجلالا له أن يتر وهما راكبان وهو يمشي . كان سلمان يتعوذ بالله من الشيطان والسيطان والعليج إذا استعرب . المدائني قال : سلم رجل على حسان ابن أبي سنان فدنا له ، فقيل : أتعلمون لهذا ! فقال : إن مما يفضلني به أن يرى أتي خير منه . قال عبد الله بن شداد : أربع من كن فيه فقد برئ من الكبر : من ١٥ اعتقل العترة ، وركب الحمار ، وليس الصوف ، وأجاب دعوة الرجل اللذين .

باب الكبر والعجب

حدثني إبراهيم بن مسلم قال حدثنا أبو السكين قال حدثني عم أبي زحر بن حصن قال ، قال رجل للجباج : أصلى الله الأمير ، كيف وجدت متلك بالعراق ؟

- (١) جاءت هذه الأبيات في الحماسة ضمن قصيدة معزوة إلى زياد بن حمل بن سعد بن عمية بن حريث ، قال البريزي : ويقال زياد بن منقذ . (٢) كذا في الأصل ، وفي الحماسة «بادرة» . ٢٠

قال : خير منزل لو كان الله بقلبي أربعة فتقربت بدمائهم إليه . قال : ومن هم ؟
 قال : مقاتل بن مسعم ، ولي حبيستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال ، فلما عزل
 دخل مسجد البصرة فبسط الناس له أرديتهم فشى عليها ، وقال لرجل يماشي : لمثل
 هذا فليعمل العاملون . وعيّد الله بن زياد بن ظبيان التميمي ، حزب أهل البصرة
 أمر فخطب خطبة أوجز فيها ، فتأذى الناس من أعراض المسجد : أكثر الله فينا
 أمثالك . فقال : لقد كلفتم الله شططاً . ومبعد بن زرارة ، كان ذات يوم جالسا
 في طريق ، فمزت به امرأة فقالت : يا عبد الله كيف الطريق إلى موضع كذا ،
 فقال : لهد عبد الله ! أنا لهد^(١) ، أراد كفى بك أنا ، يريد الفخر . وأبو سمالك الأسدي ،
 أضل راحلته فأتمسها الناس فلم يجدوها ، فقال : والله لئن لم يرد علي راحلتي
 لا صليت له أبدا ، فأتمسها الناس حتى وجدوها ، فقالوا : قد رد الله عليك راحلتك
 فصل ، فقال : إن يميني كانت صريرا .

قال أبو حاتم عن الأصمعي عن كُرْدَيْنِ الْمَسْمِيِّ . قيل لرجل متكبر : هل مرّت
 بك أحمرة ؟ فقال للسائل : تلك دواب لا يراها عمك . قال وقال كُرْدَيْنِ : رأيت
 ابن ميادة الشاعر فأعجبته لما رأى من جلدي وبياني . فقال : ممن أنت ؟ قلت :
 من بكر بن وائل ، فقال : وفي أي الأرض يكون بكر بن وائل ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جبير بن مطعم في حلقة العلاء بن عبد الرحمن
 الخرق وهو يقرئ الناس . فلما فرغ قال : أندرون لم تجلس إليكم ؟ قالوا :
 لتسمع ، قال : لا ، ولكن أردت التواضع لله بالجلوس إليكم . قال : ومرة محمد

(١) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ، وفي النقد القريد الجزء الأول صفحة ٢٤٤ — قال : لمثل يقال
 يا عداقه ! ويك ! (٢) هكذا بالأصول ، وفي النقد القريد : « وأبو سمالك الخنزي » وفي اللسان مادة
 صرى : « أبو سمالك الأسدي » . (٣) هكذا بالفتح غرافية ، وفي الألمانية « ضريا » والقي في اللسان
 والصالح « علم ربي أنها مني صرى » . بكسر الصاد وفتح الراء المشددة ، أي عزبة فاطمة وبعين لازمة .

ابن المنذر بن الزبير بن العوام في حاجة له ، فاقطع قبالة نعله ، فترع الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يرج عليهما . قال بعض الشعراء

وأعرض عن ذي المال حتى يقال لي * قد أحدث هذا نخوة وتعظما

وما لي كبر عن صديقي ولا أخ * ولكنه فعل إذا كنت مُعْلِما

- ٥ قيل لبعضهم : ما الكبر . قال : حق لم يد صاحبه أين يضعه . قال معاوية بن أبي سفيان : قديم عاقمة بن وائل الحضرمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني رسول الله أن أنطلق به الى منزل رجل من الأنصار أنزله عليه ، وكان منزله في أقصى المدينة ، فأنطلقت معه وهو على ناقه له وأنا أسنى في ساعه حائز قلوب على حذاء ، فقلت : احملي يا عم من هذا الحز فإنه ليس على حذاء ، فقال : لست من أراذل الملوك ، قلت : إني ابن أبي سفيان ، قال : قد سمعت رسول الله عليه السلام يذكر ذلك ، قال ١٠ قلت : فإني الى نعلك ، قال : لا تقبلها فديناك ولكن أمش في ظل ناقتي فكفاك بذلك شرقا ، وإن الظل لك لكثير . قال معاوية : فما مر بي مثل ذلك اليوم قط ، ثم أدرك سلطاني فلم أؤاخذه بل أجلسته معي على سريري هذا . قال ابن يسار ولو لحفظ الأرض لي والدة * تطاطات الأرض من لحظته .

وقال آخر

١٥

أتيه على جن البلاد وإنشأ * ولولم أجد خلقا لتهت على نفسي

أتيه فإ أدري من التيه من أنا * سوى ما يقول الناس وفي جنسي

فان زعموا أني من الإنس مثلهم * فما لي عيب غير أني من الإنس

وكان عند الرستمى قوم من التجار خضرت الصلاة فنهض ليصلي فنهضوا فقال :

- ٢٠ ما لكم ولهذا وما أتم منه ! الصلاة ركوع وسجود وخضوع ، وإنما فرض الله هذا

(١) قال النبل : زمام بين الأصم الرسمى والى ثلها .

يريد به المتكبرين والمتجبرين والملوك والأعظم مثلى ومثل فرعون ذى الأوتاد
 وتمرود وأنوشروان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخون عليه .
 قال الحسن : ليس بين البسد وبين آلا يكون فيه خير إلا أن يرى أن فيه خيراً .
 رأى رجل رجلاً يَخْتَلُ في مِشْيَتِهِ وَيَتَلَقَّى في أَعْطَافِهِ ، فقال : جعلني الله مثلك
 في نفسك ولا جعلني مثلك في همى . قيل لعبد الله بن المبارك : رجل قتل رجلاً
 فقلتُ لى خيراً منه ، قال : ذنبك أشد من ذنبه . قال الأحنف : عجبتُ لمن جرى
 في مجرى البول مرتين كيف يتكبر . ابن عُلَيَّةَ عن صالح بن رُسْتَمَ عن رجل عن
 مُطَرِّف ، قال : لأن أبيتَ نائمًا وأصبحَ نادمًا أحبُّ إلى من أن أبيتَ قائمًا وأصبحَ
 مُعْجَبًا . وقال هشام بن حسان . سيئة تسوءك خير من حسنة تُعْجِبُكَ . قال أبو حازم :
 ١٠ إن الرجل يعمل السيئة ما عَمِلَ حسنةً قطَّ أنفعَ له منها وإنه يعمل الحسنة ما عمل
 سيئةً قطَّ أضرَّ عليه منها . قال الشاعر

أما ابنُ فَرَوَةَ يُوَسِّسُ فِكَائِهِ * من كِبَرِهِ أَيْرُ الحِمَارِ القَائِمِ
 ما أَلْأَسُّ عِنْدَكَ خَيْرُ قَسِكَ وَحِدْهَا * والنَّاسُ عِنْدَكَ ما خَلَكَ بِهِائِمُ

قال المسعودي

١٥ مُسَا تَرَابِ الأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْنَا * وفيها المعادُ والمصيرُ إلى الحشرِ
 ولا تَعْجَبْ أَنْ تَرَجِعَا قَسَلًا * فما خَشِيَ الأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الكِبَرِ
 ولو شئتُ أدَلُّ فيكما غيرُ واحد * علانية أو قال عندى فى سترِ
 فإن أنا لم أَسِرْ ولم أَنه عَنكَ * ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلْعَ وَيَسْتَشْرِى

الإصمعي قال قال رجل : ما رأيتُ ذا كبرٍ قطَّ إلا تحوَّلَ دائره في ، يريد أنى أتكبر عليه .
 ٢٠ وقال آخر : ما تاه أحد قطَّ على مرتين ، يريد أنا تاه مرة لم أعاوده . قال الشاعر
 يَأْظْهَرُ الكِبَرُ إعْجَابًا بِصُورَتِهِ * أَنْظَرَ خَلَاعَكَ إِنْ التَّنَّ تَرْيِبَ

لو فكر الناس فيا في بطونهم * ما استشعر الكبر شأنا ولا شيب
هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة * وهو يحس من الاقدار مضروب
أنف يسيل وأذن ريمها سبك * والعين مرمصة والثغر ملموب
يابن التراب وما كول التراب غدا * أقصر فأنك ما كول ومشروب

- دفع أردشير الملك الى رجل كان يقوم على رأسه كتابا، وقال له : اذا رأيتي قد
أشدت غضبي فادفعه الي ، وفي الكتاب : أمسك فلست بالله انما أنت جسد يوشك
أن يأكل بعضه بعضا ويصير عن قريب للودود والتراب . كان للسندی والى الحسر
غلام صغير قد أمره بأن يقوم اليه إذا ضرب الناس بالسياط فيقول له : ويك
ياسندی ، اذكر القصاص . كتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك

- أبا جعفر عرج على خلطاءك * وأقصر قليلا عن مدى غلوانك
فإن كنت قد أعطيت في اليوم رقة * فاب رجائي في غد كرجائك
قال لي بعض أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر : سمعت رجلا يشد
الأرب ذى أجل قد حضر * طويل التقي قليل الفكر
اذا هنر في المشي أعطاه * تيلت في متكبته البطر

- قال : فندوت عليه لا كتب تمام القصيدة فوجدته قد مات . المدائني قال :
رأيت فلانا مولى باهلة يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته بعد ذلك راجلا
في مقر، فقلت له : أراجل في هذا الموضع ؟ قال : نعم ، إني ركبت حيث يمشي
الناس فكان حقا على الله أن يرجلني حيث يركب الناس . وقال أبو نواس في جعفر
ابن يحيى البرمكي

- وأعظم زهوا من ذباب على نحر * وأبخل من كلب عقور على عرق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر * لما وضعوه الناس إلا على حق

(١) هذا وارد على لغة من يلحق الفعل طاعة القائل قبل ذكره وهي لغة أزدشونة .

وقال آخر

أَلْحَ لِحَسَابًا مِنَ الْخُفْصَاءِ * وَأُزْهِى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غِرَابٍ

١٠ قيل لرجل من بني عبد النزار : ألا تأتي الخليفة ، قال : أخشى ألا يَجَلَ الحِسرُ شرفي . وقيل له : البس شيئاً فان البرد شديد ، فقال : حسبي يَدْفَعُنِي . قال أبو اليقظان : كان الحجاج أستمعل يلاً لأل الضبي على جيش وأغزاه قلاع فارس ، وكان يقال لذلك الجيش : يبي ، سمي بذلك لأنه فرض فرضاً من أهل البصرة فكان أهلهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : يبي . وفي جيشه قال الشاعر

إلى الله أشكو أنني بث حارساً * فقام بلأى فبال على رجل

فقلت لأصحابي أقطعوها فإني * كريم واني لن أبلغها رجلي

١٠ مد أعرابي يده في الموقف وقال : اللهم إن كنت ترى بنا أكرم منها فاقطعها . قال نوح : سمعت الحجاج بن أرتاة يقول : قتلت حب الشرف . وقيل له : مالك لا تحضر الجماعة؟ قال : أكره أن يزحمي البقالون . كان جذيمة الأبرش — وهو الواضح سمي بذلك لبرص كان به — لا يتأدّم أحداً ذهاباً بنفسه ، وقال : أنا أعظم من أن أتأدّم إلا الفرقدين ، فكان يشرب كأساً ويصب لكل واحد منهما في الأرض كأساً ، فلما أتاه مالك وعقيل بابن اخته الذي أسهوه الشياطين قال لهما : احتكما ، فقالا له : نأدمتك ، فادماه أربعين سنة يحادثانه فيها ما أعاداه عليه حديثاً . وفيهما يقول مقيم بن نويرة وكأ كنتدماي جذيمة حقة * من النهر حتى قيل لن تنصتا

(١) كذا بالأصل وفي لسان العرب في مادة زها . وأورد الميداني المثل هكذا «ألح من الخفصاء» بالحاء المهملة ولم يشرحه ، وظه في كتاب فرائد اللال بأن الخفصاء إذا وقتت عن موضع عادت إليه .

(٢) أصله باي ، أبدلت الهزة فيه ياء ، انظر اللسان في مادة آبي . وفي الأغاني ج ٢ ص ١٥٥ أن الحجاج ضرب البعث على المختلين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجي إلى ابنها وقد مجرد فضته إليها وتقول له باي جزا عليه فسمي ذلك الجيش جيش باي .

وقال المذنب

ألم تعلمي أن قد هزق قلنا * خيلاً صفاء مالك وعقيل

قيل لإياس بن معاوية : ما فيك عيب إلا أنك مُحَجَّب، قال : أفاَعْجِبُكُمْ؟ قالوا : نعم
قال : فانا أحق أن أعجب بما يكون مني . ويقال : للعامة سلطان على كل شيء،
وما استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا حُصِّلَتِ النعم بمثل المواساة، ولا اكتسبت
الغنضة بمثل الكبير .

باب مدح الرجل نفسه وغيره

قال الله عز وجل حكاية عن يوسف : (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ
عليه) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيد ولد آدم ولا خف" . وقال للأضمار :

- ١٠ "وإياها ما علمتكم إلا تهللون عند الطمع وتكثرون عند الفزع" . وذكر أعرابي قوماً
فقال : والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا وقد وطئناه بأخامص أقدامنا، وإن
أقصى مناهم لأدنى فعالنا . ابن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد، قال : كنتُ
أمشي مع الشعبي وأبي سلمة، فسأل الشعبي أبا سلمة : من أعلم أهل المدينة؟ فقال :
الذي يمشي بينكما، يعني نفسه . وقال الشعبي : ما رأيت مثلي، وما أشاء أن ألقى رجلاً
أعلم مني بشيء إلا لقيته . قال معاوية لرجل : من سيد قومك؟ قال : أنا . قال :
لو كنت كذلك لم تقل . الوليد بن مسلم عن خلود عن الحسن قال : ذم الرجل نفسه
في العلانية مدح لها في السر . كان يقال : من أظهر عيب نفسه فقد زكاه . الأعمش
عن إبراهيم عن عبد الله قال : إذا أثبت على الرجل بما فيه في وجهه لم تُزكّه .
قال عمر بن الخطاب : المدح ذنْبٌ . ويقال : المدح وأدُّ الكبير . وقال علي بن الحسين :
٢٠ لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم،
ولا يصطحب آثان على خير طاعة الله إلا أوشك أن يترقا على غير طاعة الله .
قال وهب بن منبه : إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمن

أَنْ يَقُولَ فِكَ مِنَ الشَّرِّ مَا لَيْسَ فِكَ . وَيُقَالُ فِي بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : عَجِبًا
لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الْخَيْرُ وَلَيْسَ فِيهِ كَيْفَ يَفْرَحُ ! وَلِمَنْ قِيلَ فِيهِ الشَّرُّ وَلَيْسَ فِيهِ كَيْفَ يَفْضُبُ !
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ نَفْسَهُ عَلَى الْيَقِينِ وَأَبْغَضَ النَّاسَ عَلَى الظَّنِّ ! . وَكَانَ يُقَالُ :
لَا يَغْلِبَنَّ جَهْلُ غَيْرِكَ بِكَ عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : كَفَى جَهْلًا أَنْ يَمْدَحَ الْمَادِحُ
بِمُخْلَافٍ مَا يَعْرِفُ الْمَمْدُوحُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ لِلْعُرُوفِ مِنْهُ . قَالَ
أَبْنُ الْمُنَظَّمِ : يَا كُنْتَ وَإِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ شَأْنِكَ حُبُّ الْمَدْحِ وَالْتِرْكِيهَ وَأَنْ يَعْرِفَ
النَّاسُ ذَلِكَ مِنْكَ فَتَكُونَ ثُلَمَةً مِنَ الثَّلَمِ يَتَحَمَلُونَ عَلَيْكَ مِنْهَا ، وَإِيَّاكَ فَتَحْتَوِكَ مِنْهُ ،
وَفِيئَةً يَتَنَابَهُونَ بِهَا وَيَضْحَكُونَ مِنْكَ لَهَا . وَأَعْلَمُ أَنَّ قَائِلَ الْمَدْحِ كَالْمَدْحِ بِنَفْسِهِ ، وَالْمَرْءُ
جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ حُبُّهُ الْمَدْحَ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُهُ عَلَى رَدِّهِ ، فَإِنَّ الرَّادَّ لَهُ مَمْدُوحٌ وَالْقَائِلُ لَهُ
مُعِيبٌ . وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ ١٠

وَلَسْتُ بِمُفْرَجٍ إِذَا التَّهَرُّسَ سَرَى * وَلَا جَائِزٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلَّبِ
وَلَا أَمْنَى الشَّرِّ وَالشَّرَّ تَارِكِي * وَلَكِنْ مَتَى أَحْمَلَ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ
وَيَسْتَدْهِمُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تِجَارَةً * وَيَمْتَنِعُنِي مِنْ ذَلِكَ دِينِي وَمَنْصَبِي
فَأَنْ مَسِيرِي فِي الْبِلَادِ وَمَتَلِي * لِبِالْمَنْزِلِ الْأَقْصَى إِذَا لَمْ أَقْرَبِ

قول الممدوح عند المدحة

حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ عِنْدَ الْمَدْحَةِ : اللَّهُمَّ
أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مَتَى بِنَفْسِي وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، اللَّهُمَّ أَجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَحْسِبُونَ
وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ وَلَا تَوَاضَعْنِي بِمَا يَقُولُونَ . قَالَ حَدَّثَنَا الرَّاشِي عَنْ الْأَصْمَعِيِّ
عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ : أَخْبَرَنِي رَجُلٌ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي وَجْهِهِ ،
وَكَانَ نَهْمَةً ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ . ٢٠

(١) لَا يَظْهَرُ ارْتِجَاعُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ بِمَا قَبْلُهَا ، وَكَأَنَّهُ سَقَطَ مِنْ تَمَامِ الْجُمْلَةِ مَا يُضْمَرُ فِي الْبَيَانِ ، فَهِيَ الْعَقْدُ الْفَرِيدُ
صَحِيفَةً ١٠٩ ج ٢ مَا نَصَهُ : وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ لِلْعُرُوفِ مِنْهُ - وَفِي الصَّحِيفَةِ
قَصَبًا : وَدَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى بَعْضِ الْمُرُوكِ فَقَالَ : إِنْ جَهِلًا أَنْ يَقُولَ الْمَادِحُ بِمُخْلَافٍ مَا يَعْرِفُهُ مِنَ الْمَدْحِ
وَأَنَّ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ لِلْعُرُوفِ مِنْ زِيَانِ الْيَوْمِ مِنْكَ .

قيل لأعرابي : ما أحسن الثناء عليك ! فقال : بلاء الله عندي أحسن من وصف
الملاحين وإن أحسنوا ، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الدائمين وإن أكثروا ،
فيا أسقاً على ما فرطتُ ويا سوءاً مما قلمتُ . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الثناء إلا من مكافئ^(١) . ومن أحسن ما قيل في مدح الرجل نفسه قول أعشى بنى ربيعة

- ما أنا في أهل ولا في عشيرتي • بمهتّم حق ولا قارح سني
ولا مُسلم مولاي عند جنائي • ولا خائف مولاي من سوء ما أجنّي
وإن قواداً بين جنّي طامئ • بما أبصرت عني وما سمعت أذني
وقضيت في الشعر واللّب أثنى • أقول على علم وأعلم ما أعني
فأصبحتُ إن فضلتُ مروان وآبته • على الناس قد فضلتُ خير أب وآبن

- وقال آخر
إذا المرء لم يمدحه حسن فباله • فمدحه يهني وإن كان مقصصاً •

وقال آخر
لعمري أليك التحير إني لخادم • لصحبي وإني إن ركبْتُ لقارص

- وقال آخر
ونحن ضياء الأرض ما لم تَبرها • غصّاباً، وإن نفّضْ فتحن ظلامها
وأشد الحسن البصري^(٢) قول الشاعر

لو لا جرّ هلكك يجله • نعم القتي وبست القيسله

- (١) في اللسان مادة كفاً بعد أن أورد الحديث : قال القتيبي معناه إذا أنعم على رجل نعمة فكأنه بالثناء
عليه قبل ثناءه، وإذا أثنى قيل أن ينعم عليه لم قبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأثيري هذا غلط إذا كان أحد لا يتك
من إتمام النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله به رحمة للناس كافة فلا يخرج منها مكافئ ولا غير مكافئ ، والثناء عليه
فرض لا يتم إلا به وإنما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل
عنده في رحمة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم . قال وقال الأزهري وفيه قول ثالث : الأمن
مكافئ أي مقارب غير مجاوزة منه ولا مقصر عما رضى الله إليه ، ومنه بالحرف في ابن الأثير .
(٢) في الأصل « الحسن بن البصري » وظاهر أن لفظة « ابن » من زيادات النسخ .

قال الحسن : ما مَدَحَ رجلٌ حُجِّيَ قَوْمُهُ . وقال أبو الهيثم
يقولون : الحليدُ أشدُّ شَيْءً * وقد بُنِيَ الحليدُ وما بُنِيَتْ
تَحْرُ الأَرْضُ إنْ نُودِيَتْ بِاسْمِي * وتَهْدُ الجبالُ إذا كُنِيَتْ
وَمَدَحُ النفسِ في الشَّعرِ كثيرٌ ، وهو فيه أسهل منه في الكلام المشهور .

باب الحياء

حدثني أبو مسعود الباري ، قال : حدثني جَدِّي نِرَاش عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « الحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » . وروى ابنُ عُمرٍ عن الأوص
ابن حَكِيم ، قال : حدثني أبو عَوْنُ المَدَنِي قال : سَمِعْتُ سَعِيدَ بنِ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ :
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « قِلَّةُ الْحَيَاءِ كُفْرٌ » . وروى جريرُ بنُ حازمٍ عن يعلَى
ابن حَكِيمٍ عن رجلٍ عن ابنِ عمر ، قال : الحياءُ والإيمانُ مَقْرُونَانِ جَمِيعَا فَذَا رُفِعَ
أَحَدُهُمَا أَرْضَعَ الْآخَرُ . وكان يقال : أَحْيُوا الْحَيَاءَ يَحْلِسَ مَنْ يُسْتَعْبَا مِنْهُ . ذكر
أعرابيٌّ رجلاً فقال : لَا تَرَاهُ اللَّهُ إِلَّا وَكَأَنَّهُ لَا غُفَى بِهِ عَنْكَ وَإِنْ كُنْتَ إِلَيْهِ أَجْوَجَ ،
فَإِنْ أَذْنِبْتَ غَفَرَ وَكَأَنَّهُ الْمَذْنُوبُ ، وَإِنْ أَسَأْتَ إِلَيْهِ أَحْسَنَ وَكَأَنَّهُ الْمُسِيءُ . وقالت
لِلْحَيِّ الْأَخْبِيلَةُ

وَمُقَدِّرٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ نَحَالَهُ * وَنُظَّ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً
حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ * نَحَتْ اللَّوَاءُ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيماً

ونحوه قول الآخر ألا أنه في التواضع

يَبْدُو فَيَبْدُو ضَعِيفاً مِنْ تَوَاضَعِهِ * وَيَكْفَهُزُ فَيَلْقَى الْأَسْوَدَ الْمَلِيماً

وقال أبو دَهْلِيلٍ الْجَمَحِيُّ^(١)

إِنَّ الْبُيُوتَ مَعَادِنٌ فِتْنَارُهُ * تَهَبُّ وَكُلُّ جُدُونِهِ ضَعِيفٌ^(٢)

(١) يمدح النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) في الأصول - «فتارة» وهو تحريف والتصويب
عن الحماسة . (٣) في الحماسة «هجرة» يعني القبائل التي اكتنفت من أعماله وأعماله .

مَهْلِكٌ يَنْعَمُ لِلدَّاءِ مُجَانِبٌ * سَيَّانٍ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعُسْمُ
تَزْرُ الْكَلَامَ مِنَ الْحَيَاءِ مَقَالُهُ * صَمِيمًا وَلَيْسَ بِجَسَمِهِ سُقْمُ
حَقِيمَ النِّسَاءِ فَلَا يَلِدَنَّ شَبِيهَهُ * إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عَقْمُ

- حدثنا أبو الخطاب قال : حدثنا المعتمر، قال : سمعتُ ليثَ بنَ أبي سليمٍ يُحدثُ
عن واصل بن حيان عن أبي وائل عن ابن مسعود ، قال : كان آخر ما حفظُ
من كلام النبوة « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » . قال الشاعر
تَحَالُمٌ لِلْعِلْمِ صُمٌّ عَنِ الْخَنَا * وَخُرْسًا عَنِ الْقَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَانِ
وَمَرَضِي إِذَا لَوْقُوا حَيَاءً وَعِفَّةً * وَعِنْدَ الْخِفَافِ كَاللَّيْثِ الْخَوَارِ
وقال آخر

- ١٠ عليه من التقوى رداءٌ سَكِينَةٌ * وَلِلْحَقِّ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَاطِعُ
وقال الشَّعْبِيُّ : تَعَايَشَ النَّاسُ زَمَانًا بِالتَّقْوَى وَالتَّقْوَى ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَعَايَشُوا بِالْحَيَاءِ
وَالتَّزَنُّمِ ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَعَايَشَ النَّاسُ إِلَّا بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأَعْلَنَهُ سِجِيءٌ مَا هُوَ
أَشَدُّ مِنْ هَذَا .

باب العقل

- ١٥ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الشَّيْمِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
خَلِيدُ بْنُ دَعْلَجٍ عَنْ معاوية بن قُورَةَ يرضه ، قَالَ : « إِنَّ النَّاسَ يَعْمَلُونَ الْخَيْرَ وَإِنَّمَا
يُعْطَوْنَ أَجُورَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِمْ » . مَهْدِيُّ بْنُ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ :
سَمِعْتُ مُعَازًا يَقُولُ : عُقُولُ النَّاسِ عَلَى قَدَرِ زَمَانِهِمْ .
حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْمُنْعَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : وَخِذْتُ
٢٠ فِي حِكْمَةِ دَاوُدَ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَسْتَقِلَّ نَفْسَهُ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ ، سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا
رَبَّهُ ، وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٍ يُحَلِّقُ فِيهَا حُرِّ إِخْوَانِهِ وَالَّذِينَ يَنْصَحُونَ لَهُ

في دينه وَيَصْدُقُونَهُ عَنْ عيوبه ، وساعةٌ يُحَلِّي بين نفسه وبين لذاتها فيما يَحِلُّ وَيُحَدِّدُ
فان هذه الساعة عَوْنٌ لهذه الساعات وَفَضْلٌ بُلْفَةٍ واسْتِجَابٌ للقلوب . وينبئ للعاقل
أَنْ لَا يَرَى الا في إحدى ثلاثٍ خِصَالٍ : تزوُّدٌ لمعادٍ ، أو مَرْتبةٌ لمعاشٍ ، أو لذَّةٌ ،
في غير محرم . وينبئ للعاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، حافظاً لسانه ، مُقْبِلاً على شانه .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا هلال بن حَقِّ قال ، قال عمرو بن
الناصر : ليس العاقل الذي يَعْرِفُ الخيرَ من الشرِّ ولكنه الذي يَعْرِفُ خَيْرَ الشرِّينَ ،
وليس الواصل الذي يَصِلُ مَنْ يَصِلُهُ ولكنه الذي يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ . وقال زياد :
ليس العاقل الذي يَحْتالُ للأمر إذا وقع ولكنه الذي يَحْتالُ للأمر ألا يقع فيه .

قال معاوية لعمرو : ما بلغ من ذَهَانِكَ يا عمرو ؟ قال عمرو : لم أدخُلْ في أمرٍ قطَّ
فكرهته إلا نَحِجْتُ منه . قال معاوية : لكنني لم أدخُلْ في أمرٍ قطَّ فأردتُ الخروجَ
منه . وقرأتُ في كتابٍ للهند : الناسُ حازِمَانٍ وعاجِرٌ ، فأحدُ الحازِمِينَ الذي إذا نزل به
البلاءُ لم يَنْتَظِرْ به وثقاه بحيلته ورأيه حتى يَخْرُجَ منه ، وأحزمُ منه العارفُ بالأمر إذا
أقبلَ فیدفعه قبل وقوعه ، والعاجِرُ في تَرَدُّدٍ وَتَهَنُّنٍ حَازِرٌ بائِرٌ لا يَأْتِمِرُ رَشْدًا ولا يُطِيعُ
مُرَشِدًا . وقال أعرابي : لو صُوِّرَ العقلُ لأظلمت معه الشمسُ ، ولو صُوِّرَ الخلقُ

لأضياء معه الليلُ . قال بعض الحكماء : ما عُيِدَ اللهُ بشيءٍ أَحَبَّ إليه من العقلِ
وما عُصِيَ اللهُ بشيءٍ أَحَبَّ إليه من السُّرِّ . أبو رَوَيْقٍ عن الضُّحَّاك في قول الله عز
وجل (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قال : مَنْ كَانَ عَاقِلًا . ذكر المغيرة بن شُعْبَةَ عمر بن الخطاب
فقال : كان أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ وَأَعْقَلُ مِنْ أَنْ يُخَدَعَ .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قُرَيْشِ بْنِ أَنَسٍ عن حبيب
ابن الشهيد قال ، قال إياس : لستُ بِحَبٍِّّ وَالحُبُّ لَا يَخْدَعُنِي وَلَا يَخْدَعُ ابْنَ سِيرِينَ
وَيَخْدَعُ أَبِي وَيَخْدَعُ الْحَسَنَ . قال غيره : وكان كثيرًا ما يُنْشِدُ

أَبَايَ الْبَلَاءَ وَلَئِي أَمْرُهُ * إنا ما سَتَبْتُ لَمْ أَرْتَبْ

وفي كتاب كلیلة ودمنة : الأدب یذهب عن العاقل السكر ویزید الاحق سكرًا ،
كما أن النهار یزید كل ذی بصیر بصراً ویزید الخفافیش سوء بصیر . وفيه : ذو العقل
لا یطیره المتزلة والعز كالجبل لا یترعزع وإن اشتدت طیه الريح ، والسخیف یطره
أدنی منزلة كالخشیخ یحركه أضعف ریح . وقال تأبط شراً فی هذا المعنی^(١)
ولست بمفراج إذا التهر سرفی * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أمتی الشر والشر تاركی * ولكن متى أحمل علی الشر أركب

- وفي كتاب كلیلة : رأس العقل التیزیر بین الكائن والمتنع ، وحسن المزاء عما
لا یستطاع . وفيه : العاقل یقل الكلام ویبالغ فی العمل ویعرف بركة عقله ویستقیها
كالرجل یعمر بالأرض وبها ینتعش . ویقال : كل شیء عتاج الی العقل ، والعقل
محتاج الی التجارب . قال یحیی بن خالد : ثلاثة أشياء تدل علی عقول الرجال : الكتاب ،
والرسول ، والهدیة . وكان یقال : دل علی عقل الرجل اختیاره ، وما تم دین أحد حتی
یتم عقله ، وأفضل الجهاد جهاد الهوى . سئل أنوشروان : ما الذی لا تعلم له ، وما
الذی لا تغیر له ، وما الذی لا مدفع له ، وما الذی لا حيلة له . فقال : تعلم العقل ، وتغیر
المنصر ، ودفع القدر ، وحيلة الموت . وكان یقال : کتابك عقلك تضع علیه خاتمك .
وقالوا : یطلب الرجل موضع عقله ، ورسوله موضع رأیه . كان الحسن إذا أخبر
عن رجل بصلاح قال : کیف عقله . وفي الحديث " أن جبریل علیه السلام أتى
آدم علیه السلام فقال له : إنی أتیک بثلاث فاختر واحدة ، قال : وما هی یا جبریل ؟
قال : العقل والحیاء والدين . قال : قد اخترت العقل فخرج جبریل الی الحیاء والدين
فقال : ارجع فقد اختار العقل علیكما ، فقالا : أمرنا أن نكون مع العقل حیث كان "

(١) تنقذ هذان الیتان یصل بهما ینات آثران فی باب مدح الرجل نفسه ص ٢٧٦ والأریة
منسوبة هناك للبیت .

كَانَ يُقَالُ : الْعَقْلُ يَظْهَرُ بِالْمَعَامَلَةِ وَيُسْمَّى الرَّجُلُ تَظْهَرُ بِالْوِلَايَةِ . وَيُقَالُ : الْعَاقِلُ يَبْقَى مَا لَهُ بِسُلْطَانِهِ ، وَنَفْسُهُ بِمَالِهِ ، وَدِينُهُ بِنَفْسِهِ . قَالَ الْحَسَنُ : لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا عَقُولٌ لَخَرِبَتِ الدُّنْيَا . خَيْرُ رَجُلٍ قَاتِيٌّ أَنْ يَخْتَارَ وَقَالَ : أَنَا يَحْتَطِي أَوْتَقِي نَفْسِي بِعَقْلِي فَأَقْرِعُوا بِنَفْسِي .

باب الحلم والغضب

قَالَ حَدَّثَنِي الزُّيَادِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ الْحَسَنِ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَيَّ جَزْءٍ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي مَتَّعَمٍ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَتَلَةٍ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعُرْضِي عَلَى عِبَادِكَ" .

حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْقَضَائِي عَنْ يُونُسَ عَنْ الْحَسَنِ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَاسْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ" . قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَغْضَبْ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ : لَا تَغْضَبْ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ : لَا تَغْضَبْ . قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ" . قَالَ : حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمُرُوزِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ : حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ حَجْرٍ الْقَيْسِيُّ قَالَ ، كَانَ يُقَالُ : مَا أَحْسَنَ الْإِيمَانَ يَزِينُهُ الْعِلْمُ وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يَزِينُهُ الْعَمَلُ وَمَا أَحْسَبَ الْعَمَلَ يَزِينُهُ الرِّفْقُ ، وَمَا أَضْيَقَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزَيْنَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى مَقْدِيرَةٍ . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ حَلَمَ سَادَ وَمَنْ تَفَهَّمَ أَزْدَادَ . وَالْعَرَبُ يَقُولُ : أَحْلَمُ تَمْدًا . وَقَالَ : سَمِيَ اللَّهُ يُحْيِي

سيدنا بالحلم . وقال عبد الملك بن صالح : الحلم نجيها بحياة السؤدد . أغلظ رجل معاوية فلم عنه ، فقيل له : تعلم عن هذا ! قال : إني لا أحوّل بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا . شتم رجل الأحنف وألح عليه ، فلما فرغ قال له : يا ابن أمي ، هل لك في الغداء ؟ فانك منذ اليوم تحلّو يجلّ قال .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المزني . قال : جاء رجل فشتم الأحنف فسكت عنه ، وأعاد فسكت ، فقال : والهفاه ! ما يمنعني من أن يردّ عليّ إلا هو أني عليه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : أخبرنا عبد الله بن صالح عن آل حارثة بن لأم ، قال : نزلت برجل من بني تغلب فأتاني يقرئ فأنفقت مني فقال ^(١) والتغلب إذا تفتح للقرئ * حكّ أسنّه ونمّل الأمتلا فاقبضت فقال : كل أيها الرجل فإنما قلت كلمة مقولة .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي ، قال : اسمع رجل الشعبي . كلما فقال له الشعبي : إن كنت صادقاً فنفّر الله لي وإن كنت كاذباً فنفّر الله لك . ومروهم يتقصونه فقال هنيئاً حريشاً غير داء محامير * ليمزّة من أعراضنا ما استجلبت

وأستطال رجل على أبي معاوية الأسود فقال : استغفر الله من الذنب الذي سلطت به عليّ . قال معاوية : إني لأرغب نفعي أن يكون ذنب أوزن من حلمي . وقال معاوية لأبي جهم العدوي : أنا أكبر أم أنت يا أبا جهم ؟ قال : لقد أكلت في عرس أمك هند ، قال : عند أي أزواجها ؟ قال : عند حفص بن المغيرة ، قال : يا أبا جهم ، إياك والسلطان فإنه يفضّض غضب الصبي ويماقب عقوبة الأسد ، وإن قليله ينبأ كثير الناس . وأبو الجهم هذا هو القائل في معاوية

(١) هكذا بالسخ التي بين أيدينا ، ولعل الصواب "قلت" . (٢) في نسخة القزوينية يا أبا الجهم .

تَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا * إِذَا مِلْنَا تَمِيلُ عَلَى أَيْدِنَا

تَقْلِبُهُ لِنَغْبِرَ حَالَتِيهِ * فَتَغْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا

(١١) سَمِعَ الْأَحْنَفُ رَجُلًا يَنَازِعُ رَجُلًا فِي أَمْرٍ فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : حَسْبُكَ إِلَّا ضَعِيفًا
فِيَا تُحَاوِلُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا عَلَى ظَنِّكَ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ أَهْلِي ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ لِأَمْرِي مَا
قِيلَ : احْذَرُوا الْجَوَابَ . جَعَلَ رَجُلٌ جَمَلًا لِرَجُلٍ عَلَى أَنْ يَقُومَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ لِيَسْأَلَهُ
عَنْ أُمِّهِ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى مَنبَرٍ تَبَسَّسَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ أَخْبِرْنَا مَنْ أُمُّكَ ،
فَقَالَ : كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ عَتَّةٍ أَصَابَتْ بِأَطْرَافِ الزَّمَاحِ فَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ الْفَاحِكَ بْنِ
الْمَغِيرَةِ فَاشْتَرَاهَا أَبِي فَوْقٍ عَلَيْهِ ، انْطَلِقْ وَخُذْ مَا جُعِلَ لَكَ عَلَى هَذَا . قَالَ الشَّاعِرُ
قُلْ مَا بَدَلَكُمِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ * حَلْبِي أَصَمٌّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمٍّ

١٠ نَظَرَ مَعَاوِيَةُ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ وَهُوَ يَضْرِبُ غُلَامًا لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتُخَسِّدُ أَدَبَكَ بِأَدَبِهِ
فَلَمْ يَرْضَ بِأَدَبًا غُلَامًا لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ . قِيلَ لِيَعْقِبِ بْنِ خَالِدٍ : إِنَّكَ لَا تُكْتَبُ غُلَامًا نَكَتَ
وَلَا تُضَرِّبُهُمْ ، قَالَ : هُمْ أَمَنَّاؤُنَا عَلَى أَهْسِنَا فَإِذَا نَحْنُ أَخْفَتَاهُمْ فَكَيْفَ نَأْتِيهِمْ . وَكَانَ
يَقَالُ : « الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَاهِلِ » . وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ أَحْلَمَ مِنْ فَرْخِ طَائِرٍ .
وَفِي الْإِنْجِيلِ : كُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَبِلَهَاءَ كَالْحَمَامِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

١٥ إِنِّي لَا أُعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ أَسْمَعُهَا * حَتَّى يَقُولَ رَجُلًا لَمَاتَ بِي مُحَقًّا

أَخَشَى جَوَابَ سَفِيهِ لَا حِيَاطَ لَهُ * فَسَلَّ ، وَظَنَّ أَنَّهُ صَدَقَ

قَالَ الْأَحْنَفُ : مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ سَمِعَ كَلِمَاتٍ وَرُبَّ غَيْظٍ قَدْ تَجَرَّعَتْهُ غَضَافَةٌ
مَاهُو أَشَدُّ مِنْهُ . قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَبِيئَةَ : الْعِزُّ وَالْغَلْبَةُ لِلْعِلْمِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

(١) مَكْتُوبًا بِالْأَصُولِ . رَوَاهُ « لَا أَحْسَبُكَ » . (٢) فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ « الْمَجْدُ » ، وَفِي التَّوْغْرَاوِيَّةِ
« الْجَوْلُ » وَكَلَامُهُا تَحْرِيفٌ وَالتَّوْغْرَاوِيَّةُ عَنْ بَعْضِ الْأَمْثَالِ الْيَدَانِيَّةِ .

(٣) يَهَامُشُ النُّسخَةُ التَّوْغْرَاوِيَّةُ : الْفَسَلُ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ . وَفِي الْقَامُوسِ : الرِّذْلُ الْقِيْلُ لَا مَرُوءَةَ لَهُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي « أَخَافُ » وَفِي التَّوْغْرَاوِيَّةِ « يَتَأَفَّكُ » وَالتَّوْغْرَاوِيَّةُ عَنْ الْعَقْدِ الْقَرِيْبِ .

عليه السلام : أَوَّلُ عَرَضِ الْحَلِيمِ مِنْ جِلْبِهِ أَنْ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجُهُولِ . وقال المنصور : عقوبةُ العلماءِ التعريضُ ، وعقوبةُ السفهاءِ التصريحُ .

قال حدثني سهيل قال حدثنا الأصمعي قال : بلغني أن رجلاً قال لآخر : والله لئن قلت واحدةً لتسمعنَّ عشرًا ، فقال له الآخر : لكك إن قلتَ عشرًا لم تسمع واحدةً . قال : وبلغني أن رجلاً ستمَ عمر بن ذَرَّ فقال له : يا هذا لا تُتَرَفِّقْ في شتمنا ودع للصالح موضعًا ، فإني أمتُّ مشاتمَةَ الرجالِ صغيرًا ولن أحيا كبيرًا ، وإني لا أكافئُ مَنْ عَصَى اللهَ في أكثرين أن أطيع اللهَ فيه . وقال بعضُ المحذنين

وإِنَّ اللهَ ذُو حِلْمٍ وَلَكِنْ * يَقْدِرُ الْحِلْمُ بِتَقْدُ الْحَلِيمِ

لَقَدْ وَلَّتْ بِدَوْلِكَ اللَّيَالِي * وَأَنْتَ مُعَلَّقٌ فِيهَا ذَمِيمٌ

وزالت لم يمش فيها كريمٌ * ولا استغنى يثروتها عديمٌ

فبعثنا لا انقضاء له ومضغًا * ففرد مصابك ألدت العظيم

المدايني قال : كان شبيب بن شيبَةَ يقول : مَنْ سَمِعَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَسَكَتَ عَنْهَا

أَقْطَعُ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا سَمِعَ أَكْثَرَهَا يَكْرَهُ ، وَكَانَ يُمَثِّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ

وَيَجْزَعُ نَفْسُ الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ شَتْمَةٍ * وَيُسْتَمُّ الْقَلْبُ بِلَهْجَتِهِ بِصِيرٍ

فَاتَّلِ الْأَحْنَفُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ قِتْلًا شَدِيدًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا بَجْرٍ ، أَيْنَ

الْحِلْمُ قَالَ : عِنْدَ الْحَيِّ . وقال مسلم بن الوليد

حُبِّي لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي جَنَابَتَا * إِذَا هِيَ حُلَّتْ لَمْ يَقُتْ حَلَا ذَهْلُ

أَغْضَبَ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ الْأَحْنَفُ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِرِمَامَتِهِ وَتَوَاصَبَا ، فَقِيلَ

لِلْأَحْنَفِ : أَيْنَ الْحِلْمُ الْيَوْمَ ! فَقَالَ : لَوْ كَانَ مِثْلِي أَوْ دُونِي لَمْ أَقْصَلْ هَذَا بِهِ . كَانَ

يَقَالُ : أَقَّةُ الْحِلْمِ الصَّمْتُ . وقال الجعدي

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ * بِوَادِرٍ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَرَا

وقال لياس بن قتادة

تُعَايِبُ أَيْدِينَا وَيَحْمِلُ رَأْيَنَا * وَتَسْمُ بِالْأَهْمالِ لَا بِالْكَلِمِ

وَأَنْتَ الرَّاثِي

إِنِّي أَمْرٌ يُلَبِّ عَنْ حَرِيي * حَلِيي وَتَرِكِي الْوَمَّ لِلَّيْمِ *

* وَالْيَمُّ أَحْيَى مِنْ يَدِ الظُّلُمِ *

وقال الأحنف : أَصْبَحْتُ الْحَلِمَ أَنْصَرَلِي مِنَ الرِّجَالِ . قَالَ أَبُو الْيَقْظَانِ : كَانَ

الْمَتَشَمِّشُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عُمُ الْأَحْنَفِ يَفْضُلُ فِي حَالِهِ عَلَى الْأَحْنَفِ قَبْلُ ، فَأَمَرَهُ أَبُو مُوسَى

أَنْ يَقْسِمَ خِيَلًا فِي بَنِي تَمِيمَ فَقَسَمَهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِنِي

فَرَسًا وَتُبَّ عَلَيْهِ قَرَشُ وَجْهِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ قَوْمٌ لِيَاخُذُوهُ ، فَقَالَ : دَعُونِي وَإِيَّاهُ ، إِنِّي

لَا أَتَعَالُ عَلَى وَاحِدٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو مُوسَى سَأَلَهُ عَمَّا بَوَّجَهُهُ

فَقَالَ : دَعُ هَذَا وَلَكِنْ أَبْنُ عُمَى سَاخَطَ فَأَجَلَّهُ عَلَى فَرَسٍ ، فَفَعَلَ .

قِيلَ لِلْأَحْنَفِ : مَا أَحْلَمَكَ قَالَ : تَمَلَّيْتُ الْحَلِمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمُتَقَرِّي ، بَيْنَمَا

هُوَ قَاعِدٌ يَفْنَاهُ مُحْتَبٍ بِكِسَائِهِ ، أَنَّهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ مَقْتُولٌ وَمَكْتُوفٌ وَقِيلَ لَهُ : هَذَا

أَبْنُكَ قَتَلَهُ ابْنُ أَخِيكَ ، فَوَافَقَهُ مَا حَلَّ حُبُّوهُ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى ابْنِ لَهُ

فِي الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ لَهُ : قُمْ فَاطْلُقْ عَنْ ابْنِ عَمِكَ وَوَارِ أَخَاكَ وَأَحِلَّ إِلَى أُمِّهِ مَائَةً مِنْ

الْإِبِلِ فَإِنَّهَا غَرِيْبَةٌ ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ

إِنِّي أَمْرٌ لَا شَأْنُ حَسِي * دَنَسٌ يَفْهِيهِ وَلَا أَفْ

مِنْ مَيْقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ * وَالْفُصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْفُصْنُ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَهُ «وَالْحَلِمُ» . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ «عَرِيَّةٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَالصَّوْبُ عَنْ

الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . (٣) رَوَاهُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ :

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَحْيِي حَسِي * دَنَسٌ يَفْهِيهِ وَلَا أَفْ

خُطَبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَاتِلُهُمْ * بِضِ الْجَوْهَرِ، أَعَفَّةٌ لُسْنُ
لَا يَقْطُنُونَ لِيَبِ جَارِهِمْ * وَهُمْ يَحْفِظُ جَوَارِيَهُ قُطُنُ

ثم أقبل على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرَابَتَكَ، وَقَطَعْتَ رَحِمَكَ، وَأَقْلَلْتَ عَدَدَكَ،
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ غَيْرَكَ . وفي قيس بن عاصم يقول عبدة بن الطبيب، إسلامي
عليك سلامُ الله قيس بن عاصم * وَرَحْمَةُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْحَمَهَا
نَحِيَّةٌ مَنْ أَلْسَنَتْهُ مِنْكَ نَعْمَةٌ * إِنْ زَارَ عَنْ تَحِيظِ بِلَادِكَ سَلَامًا
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلْكَ هَلْكَ وَاحِدٍ * وَلَوْ كُنْتُ بَيْنَ قَوْمٍ تَهْدِمًا

وقال الأحنف : لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم في الحِلْمِ كما تَخْتَلِفُ إِلَى الْفَقْهَاءِ
فِي الْفَقْهِ . شَمَّ رَجُلُ الْأَحْنَفِ وَجَعَلَ يَتَّبِعُهُ حَتَّى بَلَغَ حَيْهَ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : يَا هَذَا
إِنْ كَانَ بَنِي فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ، فَهَاتِهِ وَأَنْصِرْفَ لَا يَسْمَعُكَ بَعْضُ سُفَهَائِنَا قَتْلًا مَا تَكْرَهُ .
شَمَّ رَجُلُ الْحَسَنِ وَأَرَادَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ : أَمَانَتْ فَمَا أَقْبَيْتَ شَيْئًا، وَمَا يَعْلَمُ أَنَّكَ أَكْثَرُ .
قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

لَنْ يَذْرُوكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُّوا * حَتَّى يَذْلُوا - وَإِنْ عَزَّوْا - لِأَقْوَامٍ .
وَيُسْتَمْرُوا قَرَى الْأَلْوَانِ مُشْرِقَةً * لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَهْلَامٍ .

قال [حدثني] أبو حاتم عن الأصمعي قال : لَا يَكَادُ يَجْتَمِعُ عَشْرَةٌ إِلَّا وَفِيهِمْ مُقَاتِلٌ
وَأَكْثَرُ، وَيَجْتَمِعُ أَلْفٌ لَيْسَ فِيهِمْ حَلِيمٌ . ابن عيينة قال : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّرَيْرِ إِذَا
أَسْرَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بِسِمٍّ أَوْ قَوْلٍ مَيٍّ لَمْ يُجِبْهُ وَقَالَ : أَنَّى أَتْرُكَكَ رَفْعًا لِنَفْسِي عَنْكَ بِجَهْرِ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَلَامٌ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : خَفِّضْ عَلَيْكَ أَيُّهَا
الرَّجُلُ فَإِنِّي أَتْرُكَكَ الْيَوْمَ لِمَا كُنْتَ تَهْرُكُ لَهُ النَّاسَ .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال، قال رجل : لِمَثَلِ هَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ أَدْعُ
الْفَحْشَ عَلَى الرَّجَالِ ، فَقَالَ لَهُ خَصْمُهُ : فَإِنِّي أَدْعُ الْفَحْشَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ لِمَا تَرَكْتَهُ

أَنْتَ لَهُ قَبْلَ الْيَوْمِ . وَأَغْلَظَ عَبْدُ لَسِيدِهِ ، قَالَ : إِنِّي أَصْبِرُ لِهَذَا الْعِلَامِ عَلَى مَا تَرَوْنَ
لَأَرْوِضَ قَسِيًى بِذَلِكَ ، فَإِذَا صَبِرْتُ لِلْمُلُوكِ عَلَى الْمَكْرُوهِ كَأَنْتَ لَعِيرُ الْمُلُوكِ أَصْبِرَ .

كَلَّمَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَجُلًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَقَدْ وَلَدَتْهُ نِسَاءُ بَنِي مُرَّةٍ فَنَابَ عَلَيْهِ جَعَاءٌ
رَأَاهُ مِنْهُ ، فَقَالَ : قَبِجَ اللَّهُ شَبَهًا ^(١) [غَلَبَ] عَلَيْكَ مِنْ بَنِي مُرَّةٍ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَقِيلُ بْنُ عُلَاقَةَ
الْمُرِّيَّ وَهُوَ يَجْتَفَاءُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى أُمِّيَالٍ فِي بَلَدِ بَنِي مُرَّةٍ ، فَرَكِبَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عُمَرَ

وَهُوَ بِدَيْرِ سَمْعَانَ ، فَقَالَ : هَيْه يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! بَلَغَنِي أَنَّكَ غَضِبْتَ عَلَى فَتَى مِنْ بَنِي
أُبَيْكَ ، قُلْتَ : قَبِجَ اللَّهُ شَبَهًا غَلَبَ عَلَيْكَ مِنْ بَنِي مُرَّةٍ ، وَإِنِّي أَقُولُ : قَبِجَ اللَّهُ الْأُمَّ
طَرَفِيهِ ، فَقَالَ عُمَرُ : دَعْ وَيْحَكَ هَذَا وَهَاتِ حَاجَتَكَ . فَقَالَ : وَاقِهِ مَالِي حَاجَةٌ غَيْرَ

حَاجَتِهِ ، وَوَلَّى رَاجِعًا مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا سَبْحَانَ اللَّهِ ! مَنْ رَأَى مِثْلَ هَذَا
الشَّيْخِ؟ جَاءَ مِنْ جَعَاءٍ لَيْسَ إِلَّا يَسْتَمِنُنَا ثُمَّ أَنْصَرَفَ ! فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرَّةٍ : إِنَّهُ
وَاقِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا شَتَمَكَ وَمَا شَتَمَ إِلَّا نَفْسَهُ ، نَحْنُ وَاقِهِ الْأُمَّ طَرَفِيهِ .

الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : لَمَّا عَزَلَ الْحَجَّاجُ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ خِرَاسَانَ أَمَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي
تَمِيمٍ فَعَابَهُ بِخِرَاسَانَ وَشَنَّ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَفَلَ لِقِيَةِ التَّمِيمِيِّ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ
لَا تَأْتَلْنِي فَإِنِّي كُنْتُ مَأْمُورًا ، فَقَالَ : يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ أَوْحَدْتُكَ نَفْسُكَ أَنِّي وَجَدْتُ
طَلِيكَ؟ قَالَ : قَدْ ظَنَنْتُ ذَاكَ ، قَالَ : إِنْ لِنَفْسِكَ عِنْدَكَ قَدْرًا ! . كَانَ يُقَالُ : طَيَّرُوا

دِمَاءَ الشَّبَابِ فِي وَجُوهِهِمْ . وَيُقَالُ : الْغَضَبُ غَوْلُ الْحِلْمِ . وَيُقَالُ : الْقُدْرَةُ يُكْذِبُ
الْحَفِيفَةَ . وَكُتِبَ كَسْرَى أَبْرُويزَ إِلَى ابْنِهِ شِيرَوِيَّةٍ مِنَ الْخِيَسِ : إِنْ كَلِمَةً مِنْكَ
تَسْفِكُ دِمَاءً ، وَإِنْ كَلِمَةً أُخْرَى مِنْكَ تَحْقِنُ دِمَاءً ، وَإِنْ مَخْطُوكَ سَيُوقُكَ مَسْلُوكًا ^(٢) عَلَى
مِنْ مَخْطُوكَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ رِضَاكَ بَرَكَةٌ مُسْتَفِيزَةٌ عَلَى مَنْ رَضِيَتْ عَنْهُ ، وَإِنْ تَقَاذَ

(١) زِيَادَةُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

(٢) رَسَمَ فِي النُّسخَةِ الْقَتْرُوفِيَّةِ هَكَذَا «حَاجَهُ» وَلَمَّا لَمْ يَنْتَهِجْ حَرْفَهَا عَنْ «هَذِهِ» كَمَا يَنْتَهِيَا السِّيَاقُ .

(٣) لَهُ «وَأَنْ مَخْطُوكَ سَيُوقُكَ سَلُولَةً الْخ» بِالتَّكْثِيرِ لِيَنْتَاسِبَ فِي السِّيَاقِ مَعَ مَا يَبْعَدُ .

- أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن يُحيطَ ومن لولك أن يتغير ومن جسدك أن يحف، وإن الملوك تُأقِب قُدرةً وحزماً، وتنفو تفضلاً وحلماً، ولا ينبغي للقادر أن يُستخف ولا للحليم أن يزهو، وإذا رَضِيتَ فأبلغ بمن رَضِيتَ عنه يَحْرُس من سواء على رضاك، وإذا سَخِطَ فَضَعْ من سَخِطَ عليه يَهْرُب من سواء من سخطك، وإذا عاقبتَ فأنهك^(١) لئلا يُتموض لعقوبتك، وأعلم أنك تَجِلُ عن الغضب وأن غضبك يصغر عن ملكك، فقدر لسخطك من العقاب كما تقدر لرضاك من الثواب . قال محمد بن وهيب

- لئن كنت محتاجاً إلى العلم إني * إلى الجهل في بعض الأحيان أَسُوجُ
ولى فرس للحلم بالحلم مُلَجِّمٌ * ولى فرس للجهل بالجهل مُسْرِجُ
فمن رام تقويمى فإني مُقْسُومٌ * ومن رام تقويمى فإني مُعْوجُ
وما كنتُ أرضى الجهل خذناً وصاحباً * ولكننى أرضى به حين أخرجُ
ألا ربّما ضاق الفضاءُ بأهله * وأمكن من بين الأسنة يخرجُ
وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا، والنلُّ بالحرّ أتمجُ

- وقال ابن المقفع : لا ينبغي للأك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته، ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد، ولا يتجمل لأنه لا يخاف الفقر، ولا يتقيد لأن خطره قد جلَّ عن المجازاة . قال سويد بن الصامت^(٢)
إني إذا ما الأمرُ بين شكك * وبدت بصائرُه لمن يتأملُ
أدعُ التي هي أرفق الحالات بي * عند الحفيظة التي هي أجملُ

- أتى عمر بن عبد العزيز رجل كان واجداً عليه، فقال : لولا أنى غضبان لماعتك، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة أيام، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه،
(١) نهك السلطان : بالغ في العقوبة . (٢) في الأناج ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام .

كراهة أن يعجل عليه في أول غضبه . وأسمعه رجل كلاً ما قال له : أردت أن يستغفرني الشيطان بغير السلطان فأنا لك منك اليوم ما تناله متى غداً ، انصرف رحلك الله . قال لقمان الحكيم : ثلاث من كن فيهن فقد استكمل الإيمان : من إذا رضي لم يخرج به ، وإذا غضب لم يخرج به غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تواتي رجلاً فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه وإلا فنته .

خطب معاوية يوماً فقال له رجل : كذبت ، قتل من غضباً فدخل منزله ، ثم خرج عليهم فطهر لحيتهم ماءً ، فصعد المنبر فقال : أيها الناس إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان من النار ، فإذا غضب أحدكم فليطفئه بالماء ، ثم أخذ في الموضوع الذي بلغه من خطبته . وفي الحديث المرفوع : "إذا غضب أحدكم فإن كان قائماً فليقعده وإن كان قائماً فليضطجع" . وقال الشاعر

احذر مغايطة أقوام ذوي أنف * إن المغيطة جهول السيف مجنون

وقال عمر بن عبد العزيز : متى أشفي غيظي؟ أحين أقدر فيقال لي : لو عفوت ، أوحين أعجز فيقال لي : لو صبرت ؟ . والعرب تقول : «إن الرئيفة ^(١) مما يغشا الغضب ^(٢)» والرئيفة اللبن الحامض يصب عليه الحليب ، وهو أطيب اللبن .

كان المنصور ولي سلم بن قتيبة البصرة وولى مولى له كور البصرة والأبلة ، فورد كتاب مولاه أن سلماً ضربه بالسياط ، فأستشاط المنصور وقال : على تجزأ سلم ! لأجعلته نكالا ، فقال ابن عياش — وكان جريئاً عليه — يا أمير المؤمنين ، إن سلماً لم يضرب مولاك بقوة ولا قوة أبيه ، ولكك قلده سيفك وأصعدته متبركاً ، فأراد مولاك أن يطأطئ منه مارفت ورفسد ما صنعت ، فلم يحتمل ذلك ، يا أمير المؤمنين ^(١) في الأصل «الرئة» وهو تحريف . (٢) كما في الأصل ، وهو مل . ونصه كما في اللسان ورجع الأمثال ليداني «إن الرئة نفا الغضب» وقتا الغضب سكته وكسر حذته .

إِنْ غَضِبَ الْعَرَبِيَّ فِي رَأْسِهِ فَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَهْدَأْ حَتَّى يُخْرِجَهُ بِلِسَانٍ أَوْ يَدٍ، وَإِنْ غَضِبَ التَّبَطِّيَّ فِي أَسْتِهِ فَإِذَا غَضِبَ [و] تَحَرَّى ذَهَبَ غَضِبُهُ، فَضَحِكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ :
فَعَلَ اللَّهُ بِكَ يَا مَتُوفٌ وَفَعَلَ، فَكَفَّ عَنْ سَلَمٍ .

كَانَ يُقَالُ : إِيَّاكَ وَعِزَّةُ الْغَضَبِ فَإِنَّهَا مُصِيرُكَ إِلَى ذَلِكَ الْاِعْتَارِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
النَّاسُ بِعَدْلِكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ * كَأَنَّمَا تَفَخَّتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ

أَبُو بَكْرٍ عِيَّاشٌ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَجُلٍ فَوَقَعَ فِي إِبْرَاهِيمَ ، فَأَيَّدَتْ إِبْرَاهِيمَ
فَأَخْبَرْتُهُ وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَمْ مَعُمْتُ بِهِ ، فَقَالَ : لِمَلِّ الَّذِي غَضِبْتَ لَهُ لَوْ سَمِعَهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

باب العز والذل والهيبه

أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ السَّكَنِ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
لِيزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ : فِيمَنِ الْعِزُّ بِالْبَصْرَةِ ؟ فَقَالَ : فِينَا وَفِي حُلَفَائِنَا مِنْ رِبِيعَةٍ ، فَقَالَ
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعِزُّ فِيمَنِ يُحَوَّلَفَ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قَالَتْ قَرِيبَةُ : إِذَا كُنْتُ فِي ضَيْرِ قَوْمِكَ فَلَا تَقَسَّ نَصِيكَ مِنَ الذَّلَّةِ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لِشَيْخٍ مِنْهُمْ : صَلَّيْنِي الْحِلْمَ ، قَالَ : هُوَ يَا بْنَ أُخْيَ الذَّلَّةِ ، أَتَقْصِرُ عَلَيْهِ ؟ . وَقَالَ
الْأَحْنَفُ : مَا يَسْرَتُنِي بِنَصِيبي مِنَ الذَّلَّةِ حُمُرُ النَّعَمِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَنْتَ أَعَزُّ
الْعَرَبِ ، فَقَالَ : إِنْ النَّاسَ يَرَوْنَ الْحِلْمَ ذُلًّا ، فَقُلْتُ مَا قُلْتُ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ .

وَقُرَأَتْ فِي كِتَابٍ لِلْهَنْدِ أَنَّ الرِّيحَ الْعَاصِفَ تَحْطِمُ دَوَجَ الشَّجَرِ وَمُشِيدَ الْبِنَانِ وَيَسْلُمُ
عَلَيْهَا ضَعِيفُ الثَّبَتِ لِيلِنَهُ وَتَثْلِيهِ . وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ : « تَطَاطَأُ لَهَا مُخْطِطُكَ » . وَقَالَ
زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ حِينَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ هِشَامٍ مُقْضِبًا : مَا أَحَبُّ أَحَدَ قَطُّ
الْحَيَاةَ إِلَّا ذَلًّا ، وَتَمَثَّلَ

شَرُّهُ الْخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ * كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ

منخرفاً الخفين يشكو الوحي * تسكبه أطراف مرو حداد

قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقال المتلمس

إن الموانء حمار البيت يعرفه * والمرء ينكره والحسرة الأجد^(١)

ولا يقيم بدار النذل يعرفها * إلا الحمار حمار الأهل والوند

وقال الزبير بن عبد المطلب

ولا أقيم بدار لا أشد بها * صوتي إذا ما آعرتني سورة الغضب

وقال آخر

إذا كنت في قوم عدا لست منهم * فكل ما علفت من خبيث وطيب

وقال العباس بن مرداس

أبلغ أبا سلم رسولاً نصيحة * فإن معشر جادوا برضك فاجعل

وإن بوعوك متراً غير طائل * غليظاً فلا تنزل به وتحول

ولا تطعن ما يعلقونك منهم * أتوك على قربانهم بالتمثل

أراك إذن قد صرت للقوم ناعماً * يقال له بالقرب أدبر وأقبل

وقال آخر

فأبلغ لديك بنى مالك * على نايها ومرة الرقاب

بأن أماً أأتم حوله * تحفوت قبه بالقياب

بيوت مرائكم عامدا * ويقتلكم مثل قتل الكلاب

فلو كنتم إبلا أملت^(٢) * لقد نزع^(٣)ت للبياء العذاب

ولكنكم غم تصطفى * ويترك سائرهما للذئاب

(١) ناقة أجد : قوية موقدة الخلق مصابة بقار الظهر، خاص بالاناث . قاموس .

(٢) يقال : أملت الإبل أى وردت ماء، ملها وفي الأصل أملت بالجم ولم يظهر له معنى مناسب .

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال آخر

تافه لولا أنكسار الرمح قد علموا * ما وجدوني ذليلا كالذي أجد
قد يُعْظَمُ الفصلُ قسراً بعد عزته * وقد يُرَدُّ على مكروهه الأمد

وقال بعض العبيدين

- ٥ ألا أَلِمْنَا خُتْيَ رَاشِدًا * وَصِنَوِي قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلُ
بِأَنَّ الدَّقِيقَ يَبْجُ الْجَلِيلُ * وَأَنَّ الْعَزِيزَ إِذَا شَاءَ ذَلَّ
وَأَنَّ الْحَزَامَةَ أَنْ تَصِرُوا * حَتَّى مِثْوَانِ صُدُورِ الْأَسَلِ
فَإِنْ كُنْتَ سَيِّدًا سُلَّتْنَا * وَإِنْ كُنْتَ لِحَالٍ فَانْهَبْ نَفْلَ

وقال البعيث

- ١٠ ولو تُرْمَى بِؤُومِ بَنِي كَلِيبِ * نَجُومُ اللَّيْلِ مَا وَصَحَتْ لِسَارِي
ولو لَيْسَ النَّهَارُ بِبَنِي كَلِيبِ * لَنُدْسَ لُؤْمُهُمْ وَصَحَّ النَّهَارُ
وَمَا يَفْدُو عِزُّ بَنِي كَلِيبِ * لِيَطْلُبَ حَاجَةُ إِلَّا بِحَارِ

جَاورِ ابْنِ سَيَّابَةَ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ قَوْمًا فَارِغِيهِمْ، قَالَ لَهُمُ : لَمْ تُزَيِّجُونِي مِنْ جَوَارِكِهِمْ ؟
فَقَالُوا : أَنْتَ مُرِيبٌ ، فَقَالَ : فَمَنْ أَذَلُّ مِنْ مُرِيبٍ وَلَا أَحْسَنُ جَوَارًا . أَبُو عَيْسَةَ
١٥ عَنْ عَوَّانَةَ قَالَ : إِذَا كُنْتَ مِنْ مُضَرٍّ فَفَاحِرٌ بِكَانَةِ وَكَأَنَّ بَنِيهِمْ وَأَلْقَى بَقَسٌ ، وَإِذَا كُنْتَ
مِنْ حِطَّانٍ فَكَأَنَّ بَقْضَاعَةً وَفَاحِرٌ بِمَدَجٍّ وَأَلْقَى بِكَلْبٍ ، وَإِذَا كُنْتَ مِنْ رِبْعَةٍ فَفَاحِرٌ
بِشِيَانٍ وَأَلْقَى بِشِيَانٍ وَكَأَنَّ بِشِيَانٍ . كَانَ يَقَالُ : مَنْ أَرَادَ عِزًّا بِلَا عَشِيرَةٍ وَهَيْبَةً بِلَا
سُلْطَانٍ فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذَلِكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَةِ اللَّهِ . قِيلَ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ : مَنِ
السَّيِّدُ عِنْدَكُمْ ؟ قَالَ : الَّذِي إِذَا أَقْبَلَ هَيَّاهُ وَإِذَا أَدْبَرَ آخَتْنَاهُ . وَنَحْوُهُ قَوْلُ مُسْلِمٍ

- ٢٠ وَكَمْ مِنْ مُعِدٍّ فِي الضَّمِيرِ إِلَى الْأَذَى * رَأَى فَالِقَ الرَّعْبِ مَا كَانَ أَضْمَرَا

وقال أيضا

بِأَيِّهَا الْكُشَاتِي عِرْضِي مُسَارَقَةً * أَظُنُّ بِهِ ، أَنْتَ إِنْ أَعْلَنَتَهُ الرَّجُلُ

ومن أحسن ما قيل في الهيبة

في كفه خَيْرَانِ رِيحُهَا عِيقٌ * من كف أرْوَعَ في عِرْطِنه شِمٌّ
يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْفِضِي مِنْ هَيْبَتِهِ * فَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتِيمٌ

وقال ابن هريرة في المنصور

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حَفَاقٍ سَرِيرِهِ * إِذَا صَكَرَهَا فِيهَا عَقَابٌ وَنَائِلٌ
فَأَمَ الَّذِي آمَنَتْ أَمْنُهُ الرَّدَى * وَأَمَ الَّذِي أَوَمَدَتْ بِالْكُفْلِ تَاكُلُ
كَرِيمٍ لَهُ وَجْهَانِ وَجْهَ لَدَى الرِّضَا * أَسِيلٌ، وَوَجْهٌ فِي الْكَرْبَةِ بَاسِلٌ
وَلَيْسَ يُعْطَى الْمَغْوِعُونَ غَيْرَ قُدْرَةٍ * وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكْتَهُ الْمُقَاتِلُ

وقال آخر في المغويع القدرة

أَسَدٌ عَلَى أَعْدَائِهِ * مَا إِنْ يَلِيكَ وَلَا يَهْوِي
فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ * فَهَنَّاكَ أَحْلَمَ مَا يَكُونُ

وقال آخر في مالك بن أنس

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يَرَا جُحُوبَ هَيْبَةٍ * وَالسَّائِلُونَ نَوَاسِ الْأَذْقَانِ
هَدَى التَّقَى وَعِزُّ سُلْطَانِ الثَّقَى * فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

وقال آخر

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يُزِيدَ رَأْيَهُمْ * خُضَعَ الرِّقَابُ نَوَاسِ الْأَبْصَارِ

وقال أبو نواس

أُضْمِرُ فِي الْقَلْبِ عَنَّا لَهُ * فَإِنْ بَدَأَ أُنْسِيْتُ مِنْ هَيْبَتِهِ
أَلَمْ تَأْتِنِي قَالَ : قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ الْقَاضِي لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ لَا تُمَكِّنِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ،
فَإِنْ أَجْرًا النَّاسَ عَلَى السَّبَاعِ أَكْثَرُهُمْ لَهَا مُعَانِيَةٌ . قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ تَقُولُ :
اسْتَخَذْتُ أَوْ اسْتَخَذْتِ ؟ قَالَ : لَا أَقُولُهُ ، قِيلَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَسْتَخْذِي .
وَكَانَ يُقَالُ : أَصْبَحَ أَوْ أَذْنَجَ .

(١) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٢ : هَدَى الْوَقَارِ .

باب المروءة

في الحديث المرفوع : قام رجل من مجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، ألسنتُ أفضل قومي؟ فقال: «إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خلق فلك مروءة، وإن كان لك مال فلك حسَب، وإن كان لك ثَقِيٌّ فلك دين» وفيه أيضا «إن الله يُحِبُّ مَمَالِي الأمور ويكره سَفْسَافَهَا». روى كثير بن هشام عن الحكم بن هشام الثَّقَفِيُّ قال : سمعت عبد الملك بن عُمر يقول : إن من مروءة الرجل جلوسه ببابه . قال الحسن : لا دينَ إلا بمروءة . قيل لابن هبيرة : ما المروءة؟ قال : إصلاح المسال، والرِّزَانَةُ في المجلس، والغناء والعشاء بالغناء . قال إبراهيم : ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق ولا سرعة المشي . ويقال : سرعة المشي تُغَيِّبُ بَهَاءَ الْمُؤْمِنِ .

١٠

قال معاوية : المروءة ترك اللذنة . وقال عمرو : ما أُلْذُّ الأشياء ؟ فقال عمرو : مُرُّ أَحْدَاثِ قَرِيشٍ أَنْ يَقُومُوا ، فلما قاموا قال : إسقاطُ المروءة . قال جعفر بن محمد عن أبيه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وَرَوْا لَذَوِي المروءات عن عَثَرَاتِهِمْ، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليَعَثُرُ وإن يَدَهُ لَمِنَ يَدِ اللَّهِ». كان عروة بن الزبير يقول لولده : يَا بَنِيَّ أَلْعَبُوا ، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب . قيل للأحنف : ما المروءة؟ فقال : الْبَقَّةُ وَالْحِرْفَةُ . قال محمد بن عِمْرَانَ التَّمِيمِيُّ : ما شيءٌ أَشَدَّ سَمًّا عَلَى من المروءة ، قيل : وأى شيء المروءة ؟ قال : لا تعملُ شَيْئًا في السرِّ تَسْتَحِي منه في العلانية . وقال زهير في نحو هذا

١٥

السُّرْدُونُ الْفَاحِشَاتُ ، وَلَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِرِّ

٢٠

- (١) كذا في الأصول، وفي العقد الفريد «تجارزا» .
(٢) في الأصول «المروءة» والتصويب عن العقد الفريد .

وقال آخر

فَسِرَى كَاعْلَانِي ، وَتَكَ خَلِيقِي * وَظَلَمَةُ لَيْلِي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِي

قال عمر بن الخطاب : تعلّموا العربية فإنها تزيد في المروءة ، وتعلّموا النسب فربّ رَجِمَ بجهولةٍ قد وُصِلَتْ بنسبها . قال الأصمعيّ : ثلاثة تحكّم لهم بالمروءة حتى يُعرفوا : رجل رأىته راجباً ، أو سمعته يُعرب ، أو شمتت منه رائحة طيبة . وثلاثة تحكّم عليهم بالدناءة حتى يُعرفوا : رجل شمتت منه رائحة نبيذ في محفل ، أو سمعته يتكلم في مصر عربيّ بالفارسية ، أو رأىته على ظهر الطريق ينازع في القدر . قال ميمون ابن ميمون : أول المروءة طلاقة الوجه ، والثاني التودّد ، والثالث قضاء الحوائج . وقال : من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه . قال مسلمة بن عبد الملك : مروءتان ظاهريان : الرّياسة والقصاحة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة قالوا : كان الرجل إذا أراد أن يشين جاره طلب الحاجة إلى غيره . وقال بعض الشعراء

نَوْمُ الْغَدَاةِ وَشُرْبُ الْعِشِيَّاتِ * مَوَكَّلَانِ بِتَهْدِيمِ الْمُرُوءَاتِ

باب اللباس

حدثني محمد بن عبيد قال ، حدثنا ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس ، قال : كُلُّ مَا شَتَّتَ وَالْبَسَ مَا شَتَّتَ إِذَا مَا أَخْطَاكَ شَيْئَانِ : سَرَفٌ أَوْ خَيْلَةٌ .

قال حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا المنهال بن حماد عن خارجة بن مضعب عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كانت ملحفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يلبس في أهله مؤرسة^(١) حتى إنها لتردع على جلده .

(١) مصونة بالورس وهو نبت أصفر باين . وفي الأصول : "مؤرسة" بالثين المعجمة وهو تمر مطبوخ .
(٢) تنفض منها .

حدثني أبو الخطاب ، قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا المختار بن نافع عن
إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي ، قال : رأيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما
إزارا فيه إحدى وعشرون رقعة من آدم ورقعة من ثيابنا .

حدثنا الزبدي قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الحريري عن ابن عباس ،
قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرقوع بأدم . نظر معاوية
إلى الثمار العذري الناسب في عباءة فازدراه في عباءة ، فقال : يا أمير المؤمنين إن
العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها . قال فضيم بن وئيل
ألا ليس زين الرجل قطعاً يمزق * ولكن زين الرجل ياتى رابكة

وقال آخر

١٠ إياك أن تزدري الرجال فما * يدريك ماذا يُمكنه الصدف
نفس الجواد العتيق باقية * يوماً وإن مس جسمه الجف
والحر حر وإن ألم به الضر وفيه العفاف والألف

وقال آخر من المحدثين

١٥ تَجَبَّتْ دُرٌّ مِنْ شَيْبٍ فَقُلْتُ لَهَا * لَا تَعْجَبِي قَدْ يَلُوحُ الْفَجْرُ فِي السَّدَفِ
وزادها عجباً أَنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ * وَمَا دَرْتُ دُرّاً أَوْ الدَّرُّ فِي الصَّفِ
حدثني أبو حاتم عن الأصمعي أن ابن عون اشترى برأساً من عمر بن أنس بن
سبير بن فزعل معاذة العدوية ، فقالت : أمثلك يلبس هنا ! قال : فذكرت ذلك
لأبن سيرين فقال : ألا أخبرتها أن تبيع الداري اشترى حلة بألف يصبى فيها .

(١) كذا في النسخين .

(٢) في الاصل : ألا أخبركم . والتصويب عن المقد الفريد . ج ٣ ص ٢٤٨

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا مُصعبُ بن عبد الله من ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال أخبرني إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران: رداءً وعمامةً.

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا علي بن ماصم قال أخبرنا أبو اسحاق الشيباني قال: رأيتُ محمدَ ابنَ الحنفية واقفاً بعرفات على رُذونٍ عليه مُطَرَفٌ خَرَّ أصغرُ.

حدثني الزياتي عن الأصمعي عن حَفْص بن الفَرَّافِصَةِ قال: أدركتُ وجوهَ أهل البصرة، شقيق بن ثور فمن دونه وآيتهم في بيوتهم الحفّاتُ والعِسةُ فلما قعدوا بأفئدتهم لَيسوا الأكسية وإذا أتوا السلطانَ ركبوا ولبسوا المطاريَفَ.

قديم حماد بن أبي سليمان البصرة بغلاء فرقد السبخي وعليه ثياب صوف فقال حماد: ضَعْ نصرانيّتك هذه عنك، فلقد رأيتُنا ننظر إبراهيمَ فيخرج علينا وعليه مُعَصِّفَةٌ ونحن نرى أن الميّتة قد حلت له.

وروي زيد بن الحُبَاب عن الثوري عن ابن جُرَيْج عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يرتدي رداءً بالثيف. قال معمر: رأيت قبيصَ أيوب يكاد يمسّ الأرض، فكلتُه في ذلك فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنها اليوم في تشميره.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا قال: جاء سيّار أبو الحكم إلى مالك بن دينار في ثيابٍ أشهرها مالِكٌ، فقال له مالك: ماهذه الشهرة؟ فقال له سيّار: أضعني عندك أم ترفعني؟ قال: بل تضعك، قال: أراك تهماني عن الواضع، فزل مالك فقعد بين يديه.

(١) في لسان العرب: كل ما في العرب فراصة يضم الفاء الاغراضة أيا ناقة امرأة مثان وجه الله فانه يفتح الفاء لا غيره. (٢) اشتهرها: شجع بها.

٥

١٠

١٥

٢٠

قال أبو يعقوب الأنطري: "أراد جعفر بن يحيى يوما حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي" فدفع إلى خادم كهسا فيه ألف دينار وقال: "إني سأزول في رجلي إلى الأصمعي وسيحدثني ويضحكني فإذا ضحكك فضع الكيس بين يديه، فلما رجع ودخل عليه رأى حبا مكسورا الرأس وجرّة مكسورة العتي وقصعة مشعبة وجفنة أعشارا وراه على مصلي بال وعليه بركان^(٢) أبرد فتمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه ولم يدع الأصمعي شيئا مما يضحك الكنان إلا أوردته عليه فلما تبسم ونرج، فقال لرجل كان يسأره: "من أسرعى النتب ظلم" ومن زرع سبعة حصد الفقر، فإني واقف لو علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل لما حلفت نشره له باللسان، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار النفي، لأن اللسان قد يكذب والحال لا تكذب. وفيه دز نصيب حيث يقول

١٠

فاجروا فائتوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحفائب

ثم قال له: أعلمت أن نائوس أبرور أمدح لأبرور من شعر زهر لآل سنان. قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: رأيت مشيخة بالمدينة في زى الفتيان لهم القنائر وعليهم المود والمصفر وفي ألبهم الخناصر وبها أثر الحناء، ودين أحدهم أبعد من الثريا إذا أريد دينه. ذم ابن التوم رجلا قال: رأيت مشعم النعل دون الجورب

١٥

مضمّن الخلف دقيق الخزامة. أنشد ابن الأعرابي

فإن كنت قد أعطيت خزا تجزه * تبدلت من فروة وإهاب

فلا تأيسن أن تملك الناس إني * أرى أمة قد أدبرت لذهب

قال أيوب يقول الثوب: أطوني أهلك. هشام بن عروة عن أبيه قال، يقول

٢٠

المال: أرى صاحبي أعمر، ويقول الثوب: أشكرني داخلا أكرمك خارجا.

(١) في اللسان وفجه: الحب الملاية فابني صرب. (٢) كله أسود.

ويقال : لكل شيء راحة ، فراحة البيت كنفه ، وراحة الثوب طيه . قيل لأعرابي :
إنك تكثر لبس ألبامه ، فقال : إن عظمًا فيه السمع والبصر لجدري أن يكتن من الخبز
والقتر . ويقال : حبي العرب حيطانها ، وعمائمها تيجانها . وذكروا العمامة عند
أبي الأسود الدؤلي فقال : جنة في الحرب ، ومكنة في الخبز والقتر ، وزيادة في القامة ،
وهي بعد عادة من عادات العرب . وقال طلحة بن عبيد الله : الدهن يذهب البؤس ،
والكسوة تظهر الغنى ، والإحسان إلى الخادم مما يكتب الله به العفو .

أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال : سمعت أعرابيا يقول : لقد رأيت بالبصرة
برودا كأنما نصحت بانوار الربيع وهي تروغ ، والألبسوها أروغ . قال يحيى بن خالد
للعتابي في لباسه — وكان لا يبال ما ليس — : يا أبا علي أنزى الله أمراً رضى أن يرفعه
هيناه من جماله وماله ، فإنما ذلك حفظ الأدياء من الرجال والنساء ، لا والله حتى يرفعه
أكبراه : همنه ونهسه ، وأصغراه : قلبه ولسانه . وفي الحديث المرفوع : "إن الله
إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى أثرها عليه" . قال حبيب بن أبي ثابت : أن
تفر في خصبة خير لك من أن تدل في مطرف ، وما أقترضت من أحد خير من أن
أقترض من ضمي . قال عمرو بن معديكرب

ليس أجمال بمترى * فأعلم وإن رديت بردا

إن أجمال معادن * وموارث أودتن مجددا

وقال ابن هرمة

لو كان حولي بنو أمية لم * ينطق رجال إذا هم نطقوا

إن جلسوا لم تنطق مجالسهم * أوركبوا ضاق عنهم الأفق

كَمْ فِيهِمْ مَنْ أَخَذَ ثِقَةً * عَنْ مَنِيَّهِ الْقَمِصُ مُنْخَرِقُ
تَجْهَتُهُمْ عُرْوَةُ النِّسَاءِ إِذَا * مَا أَحْتَرَّتْ تَحْتَ الْقَوَائِسِ الْحَدَقُ
فَرِحَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أُنْدَى مِنْ أَلْسَمِكَ وَفِيهِمْ نَحْلَاطُ وَرَقُ

قال حدثني أحمد بن إسماعيل قال : رأيت على أبي سعد الخزومي الشاعر

كردوانيا مصبوغا بسواد ، قلت له : يا أبا سعد ، هذا خير؟ فقال : لا ، ولكنه
دَعَى عَلَى دَعَى ، وكان أبو سعد دعيا في بني مخزوم ، وفيه يقول أبو البرق

لَمَّا تَاهَ عَلَى النَّاسِ * شَرِيفُ يَا أَبَا سَعْدِ
فَتُهُ مَا شِئْتُ إِذْ كُنْتُ * بِلَا أَصْلٍ وَلَا جَدِّ
وَإِذْ حَقُّكَ فِي النَّسَبَةِ بَيْنَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ
وَإِذْ قَادَفُكَ الْمُفِحُّشُ فِي أَمْنٍ مِنَ الْحَدِّ

١٠

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه : كيف كانت طاعتى إياك وأنت تؤدبني ؟ قال :
أحسن طاعة ، قال : فَأَطِئْنِي الْآنَ كَمَا كُنْتُ أَطِيعُكَ ، خذ من شاربك حتى تبدو
شَفَتَاكَ ، ومن ثوبك حتى يبدو عَقِبَاكَ . وكيع قال : راح الأعمش إلى الجمعة وقد
قَلَبَ فُرُوءَ جِلْدِهَا عَلَى جِلْدِهِ وَصَوَّفُهَا إِلَى خَارِجٍ ، وَعَلَى كَتِفَيْهِ مَنَدِيلُ الْحَيَوَانِ مَكَانَ
الرِّدَاءِ . قال حدثني أبو الخطاب عن أبي داود عن قيس عن أبي حصين قال : رأيت
أَلْشَعْبِيَّ يَقْضِي عَلَى جِلْدِهِ . قال الأحنف : أَسْتَجِيلُوا النَّعَالَ فَإِنَّهَا خَلَاخِيلُ الرِّجَالِ .
أبو الحسن المدايني قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم في مَنْرَمَةٍ
صوف فقال له قتيبة : ما يدعوك إلى لبس هذه ؟ فسكت ، فقال له قتيبة : أَكْثَمَكَ
فَلَا تَجِئْنِي ! قال : أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ زَهْدًا فَأُزَكَّى نَفْسِي ، أَوْ أَقُولَ فَقْرًا فَأُشْكِرَ رَبِّي .

١٥

قال ابن السكيت لأصحاب الصوف : والله إن كان لباسكم هذا موافقا لسرايركم لقد أحبتهم أن يطالع الناس عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم . وقال بعض المحدثين يعتذر من أطيار عليه

فأنا إلا السيف يا كل جفنه • له حلية من نفسه وهو عاقل

التختم

قال حدثني أبو الخطاب زياد بن يحيى الحسائي قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم تختم في يمينه •

قال حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سهل بن حماد قال حدثنا أبو خلد خالد بن دينار قال : سألت أبا العالية ما كان نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : **«صَدَقَ اللهُ»** قال : فألقى الخلفاء بعد صدق الله **«محمد رسول الله»** •

قال أبو الخطاب حدثنا عتاب ^(٢) قال حدثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يذكر الشيء أوثق في خاتمه خيطا . حدثني أبو الخطاب قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علي كان من ورق نقشه **«نعم القادر الله»** . كان علي خاتم علي بن الحسين بن علي **«عليت فأعمل»** . كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن علي **«تبارك من»**

(١) زيادة لم توجد بالأصل ولعلها مقطعت من النسخ . ويؤيده ما في **«شرح المواهب اللدنية»** للزرقاني في رواية ابن سعد من أبي العالية : أن نقش خاتمه **«صدق الله»** ثم ألقى الخلفاء **«محمد رسول الله»** . أنظر ج ٥ ص ٤٥ طبع بولاق .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فانا لم نجد في شيوخ أبي الخطاب إلا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد المذكور آقا . وقد جاءت الرواية عنه في أول سفر من صحيفة ٢٩٧ بكتبه أبي عتاب •

نَقَرِي بَأْنِي لَهُ عَبْدٌ وَقَشَّ خَاتَمَ شَرِيحٍ «الْخَاتَمُ خَيْرٌ مِنَ الظَّنِّ». وَقَشَّ خَاتَمَ طَاهِرٍ
«وَضَعُ الْخَاتَمَ لِلْحَقِّ عِزٌّ». وَكَانَ لِأَبِي نَوَاسٍ خَاتَمَانِ : أَحَدُهُمَا عَقِيقٌ مَرِيحٌ وَعَلَيْهِ
تَعَاظَمَتِي ذَنْبِي فَلَمَّا عَدَّتْهُ * بَعَفُوكَ رَبِّي كَانَ عَفُوكَ أَعْظَمًا
وَالْآخَرُ حَلِيدٌ صَبِيٌّ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : «الْحَسَنُ يَنْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غُلَاصًا»
فَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُقْلَعَ الْقَبْصُ وَيُنْسَلَ وَيُجَمَّلَ فِي قَبْرِهِ .

باب الطَّيِّبِ

قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُيَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ
أَبِي عَثَانَ الْهَدَيْ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «خَيْرُ طَيِّبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ
رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ ، وَخَيْرُ طَيِّبِ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ» .

١٠ حَدَّثَنَا الْقُطَيْبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَبِي لَيْمَةَ قَالَ حَدَّثَنِي بُكَيْرٌ عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ أَبْنَ
عَمْرٍو كَانَ يَسْتَجْمِرُ بِعُودٍ غَيْرِ مُطَرَّى وَيَجْعَلُ مَعَهُ الْكَافُورَ وَيَقُولُ : هَكَذَا كَانَ رَسُولُ
اللَّهِ يَسْتَجْمِرُ .

قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ الرَّيِّعِ عَنْ يُونُسَ ، قَالَ قَالَ أَبُو قَلَابَةَ :
كَانَ أَبْنُ مَسْعُودٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ عَرَفَ جِيرَانَهُ ذَلِكَ بِطَيِّبِ رِيحِهِ .

١٥ حَدَّثَنِي الْقُومَيْسِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ عَنْ شَقِيقٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ قَالَ أَبُو الضَّحَّى :
رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ أَبْنِ الزَّيْرِ مِنَ الْمَسْكِ مَا لَوْ كَانَ لِي كَانَ رَأْسُ مَالٍ .

قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو قَتِيْبَةَ وَأَبُو دَاوُدَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ الْهَاشِمِيِّ
عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ أَبْنَ عَبَّاسٍ حِينَ أَحْرَمَ وَالْفَالِابَةُ عَلَى صَلْبَتِهِ كَأَنَّهَا الرَّبُّ .

قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَلِيلِ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْنٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ يَحْيَى عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ يَتَخَنَّقُ بِالْخَلْقِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجْلِسِ .

٢٠

وحدثني أيضا عن سويد بن سعيد عن ضمام بن إسماعيل عن عُمارة بن غَزِيَّة قال :
لما أُولِمَ عمرُ بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة
الغالية .

قال وحدثني عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله
ابن أبي جعفر عن الأعرج ، قال : قال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لَا تَرُدُّوا الطَّيِّبَ فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ خَفِيفُ الْحَمِيلِ » .

قال حدثني زيد بن أنجم قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أنس بن مالك قال حدثنا
عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبَيْصِ الطَّيِّبِ
فِي مَقَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ . إبراهيم بن الحكم عن أبيه قال
[قال] عكرمة : كان ابن عباس يَطْلِي جَسَدَهُ بِالْمَسْكِ فَلَذَا مَرَّ بِالطَّرِيقِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :

أَمَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ أُمَّ مَرَّ الْمَسْكُ ؟ . قال المُسَيَّبُ بْنُ عَلَسٍ يمدح بنى شيبان
تَبَيَّتُ الْمُلُوكُ عَلَى حَبَّتِهَا * وَشِيْبَانُ إِنْ غَضِبَتْ تَمَتَّتِ
وَكَالْتَشَهْدُ بِالرَّاحِ أَحْلَامُهُمْ * وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهَا أَعْدَبُ
وَكَالْمَسْكُ رُبُّ مَقَامَتِهِمْ * وَتَرْبُ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ

أخذه السباعي بن الأحنف فقال

وَأَنْتَ إِذَا مَا وَطِئْتَ التُّرَا * بَ صَارَ تَرَابُكَ لِلنَّاسِ طِيْبَا
وقال كعب بن زهير يمدح قوما

الْمَطْعَمُونَ إِذَا مَا أَرَمَتْ * وَالطَّيِّبُونَ شِيْبَا كَلْدَا عَرَفُوا

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وظاهر السياق يقتضى « بنى » أما النسخة التونسية فاقبل فيها

محذوف هو .

(٢) كذا بالأصل ولعلها قال الناس .

وأشدد ابن الأعرابي

خود يكون بها القليل تمسه * من طيبها عبقاً بطيب و يكثر
شكر الكرامة جلها فصفا لها * إن القبيحة جلها لا يسكر

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ذكر لأبيوب هؤلاء الذين يتقشّفون فقال :
ما علمت أن القدر من الذين .

باب المجالس والجلساء والمحاذرة

قال حدثني أحمد بن الحليل عن حبان بن موسى قال حدثنا ابن المبارك عن معمر
عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«الرجل أحقّ يجلسه إذا قام لحاجة ثم رجع» .

- ١٠ وحدثني أيضاً عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المسيّب بن رافع عن
عبد الله بن يزيد الخطمي عن عبد الله بن القيس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«المرء أحقّ بصدر بيته وصدر دابته وصدر فراشه ، وأحقّ أن يؤم في بيته» .

- قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر
محمد بن علي قال : ألقى لعلّي وسادةً بجلوس طيبها وقال : إنه لا يأبي الكرامة إلا حمارٌ .
١٥ وفي الحديث المرفوع عن أبي موسى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثل
الجلس الصالح مثل البارئ إن لم يُحذك من طيبه طلقك من ربحه ، ومثل المجلس
السوء مثل الكبير إن لم يحرقك بغير راره طلقك من نتنه» . قال أبو إدريس الخولاني :

(١) في النسخة الألمانية : القليل وفي القنوغرافية : الليل ، وكلاماً محرف عن «القليل» اذ هو الذي
يقتنضيه السياق .

(٢) أخطاء : أصلاء .

المساجدُ مجالسُ الكرام . قال الأحنف : أَطِيبُ المجالسِ ما سافرَ فيه البصرُ وأَتَدَعَ فيه البدنُ ، فأخذه عليُّ بنُ الجهم فقال

مُحُونٌ تُسَافِرُ فِيهَا الْعِيونُ * وَتَحْسِرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا

وقال المهلب : خيرُ المجالسِ ما بَعَدَ فيه مَدَى الطَّرْفِ وكَثُرَتْ فيه فائِدَةُ الجَلِيسِ . قيل لِلْأَوْسِيِّ : أَيْ مَنظَرُ أَحْسَنُ ؟ فقالت : قِصُورٌ يَبُصُّ في حَدَائِقِ خُضْرٍ . ونحوه قولُ عديِّ بنِ زيد

كَدَيْ العَاجِ في المَغارِبِ أَوْ كَالسَّيْضِ في الزُوضِ زَهْرُهُ مُسْتَدِيرٌ

حدثنا سهل بن محمد قل حدثنا الأصمعي قال : كان الأحنف إذا أتاه إنسان أوسع له ، فإن لم يجد موضعا تحرك ليريه أنه يوسع له . وكان آخرَ لا يُوسِعُ لأحد ويقول «تَهْلَانُ ذَا المَهْضِبَاتِ مَا يَحْتَمِلُ»^(١) . ١٠

قال ابن عباس : جليسي علي ثلاث : أن أرميه بطرفي إذا أقبل ، وأن أوسع له إذا جلس ، وأُصْنِي إليه إذا تحدث . وقال الأحنف : ما جلستُ مجلسًا نغفت أن أقامَ عنه لنفري . وكان يقول : لَأَن أَدْعِي من بعيد فأجيب أحبُّ إليَّ من أن أقصَى من قريب .

كان القمعاق بن شُور إذا جالسه رجل فصرفه بالقصد إليه جعل له نصيبا في ماله ، وأعانته على صدقه ، وشفع له في حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا . وقسم معاوية يوما أتية فضية ودفع إلى القمعاق حظَّه منها ، فأثر به القمعاقُ أقربَ القوم إليه فقال ١٥

(١) من «ودع» ككرم وضم : سكن .

(٢) هذا شعر بيت من قصيدة للقرزق وقد جاء في الأصل وفي جميع البلدان هكذا «تَهْلَانُ ذَا المَهْضِبَاتِ» بالرفع . وقال ابن بري فيا حكاة صاحب اللسان : صوابه «تَهْلَانُ ذَا المَهْضِبَاتِ» بالنصب لأن صدره : ٢٠

* فادفع بكلك إن أردت بئامنا *

وكنْتُ جليْسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ * وَلَا يَسْقَى بَقَعْقَاعٌ جليْسُ
صُخْرُوكَ السَّقِّ إِنْ نَفَقُوا بِخَيْرٍ * وَعِنْدَ الثَّمَرِ مَطْرَاقُ عَبَّاسٍ

- كان يقال : إياك ومصدر المجلس فإنه مجلس قُطْعَة . قبل لمحمد بن واسع : ألا
تجلسُ متكئاً ! فقال : تلك جِلسَةُ الْآمِنِينَ . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أمْلَهُمْ :
جليس ما فيهم عني ، وثوبى ما ستني ، وداجى ما حملت رجلى . وزاد آخر : وأمرأتى .
• ما أَحْسَنْتَ عِشْرَتِي .

- ذكر رجل عبد الملك بن مروان فقال : إِنْهُ لَا يَخْذُ بَارِعٌ ، تَارِكٌ لِأَرْبَعٍ : أَخَذُ
بِأَحْسَنِ الْحَدِيثِ إِذَا حَدَّثَ ، وَبِأَحْسَنِ الْإِسْتِغْنَاءِ إِذَا حُتَّتْ ، وَبِأَحْسَنِ الْيَشْرِ إِذَا لَقِيَ ،
وَبِأَيَّامِ الْمُسُونَةِ إِذَا خُولِفَ . وَكَانَ تَارِكاً لِحَادِثَةِ اللَّثِيمِ ، وَمُنَازَعَةً الْجَوَّجِ ، وَمَارَاةَ
السَّفِيهِ ، وَمَصَاحِبَةِ الْمَأْبُونِ .

- كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند آقضاء مجلسه قال : إِنَّكَ جَلَسْتَ
إِلَيْنَا عَلَى حِينٍ قِيَامٍ مَتَا أَتَاؤُنْ ؟ . قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ لِلثَّوْرِيِّ : دُلَّنِي عَلَى مَنْ
أَجْلَسَ إِلَيْهِ ، قَالَ : تِلْكَ حَالَةٌ لَا تُوجَدُ . قَالَ مَطْرُوفٌ : لَا تُطْعِمُ طِعَامَكَ مَنْ
لَا يَشْتَبِيهِ ، يُرِيدُ : لَا تُهَيِّلْ بِحَدِيثِكَ عَلَى مَنْ لَا يَقْبَلُ عَلَيْكَ بَوَاجِهِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ
سَلَمٍ : إِذَا لَمْ تَكُنْ الْمُحَدَّثَ أَوِ الْمُحَدَّثَ فَانْهَضْ . وَنَحْوُهُ قَوْلُ أَبِي مَسْعُودٍ : حَدِّثْ
الْقَوْمَ مَا حَتَّجَكَ بِأَيْصَارِهِمْ .

قال زياد مولى عياض بن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما
رأني رحل عن مجلسه وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلاً فلا
تأخذُ عليه شرفَ المجلس . وقال ابن عباس : ما أحذُّ أكرم طي من جليسي ، إن

(١) الذباب يقع عليه فيشق على . ذكر الشَّعْبَى قوما فقال : ما رأيتُ مثلهم أشدَّ تناوبا في مجلس ولا أحسنَ فهمًا عن محنت .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفسارَ ووطننا الحسنةَ وليسنا الذين وأكلنا الطيبَ حتى أجبنَّا ، ما أنا اليومَ إلى شيءٍ أخرجُ مني إلى مجلس أضعُ عنِّي مشونة التحفظ فيما يلينى وبينه .

روى ابن أبي ليلى عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال ، قال عمر بن الخطاب : لولا أن أسير في سبيل الله أو أضعَ جَبْهِي في التراب لله أو أجالسُ قوماً يلتقطون طيبَ القول كما يلتقط طيبُ الثمر لأحببت أن أكون قد لحقتُ بالله . قال طاهر بن عبد قيس : ما آسى على شيء من العراق إلا على ظمأ المواجر ، وتجابوب المؤذنين ، وإخوان لي منهم الأسود بن كَثُوم . وقال آخر ما آسى من البصرة إلا على ثلاث : فصب السكر ، وليل الخويز ، وحديث ابن أبي بكرة . وقال المغيرة : كان يجالس إبراهيم صيرفي ورجل منهم برأى الخوارج ، فكان يقول لنا : لا تذكروا الربا إذا حضر هذا ، ولا الأهواء إذا حضر هذا . وكان إمام مسجد الحرام لا يقول (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) إلا عند ختم القرآن في شهر رمضان من أجل اللّهيبين .

١٥ كان يقال : معادنة الرجال تُلْقِحُ ألبابها . كان بعض الملوك في مسيره ليلا فقال لمن حوله : إنه لا يُقَطَّعُ سرى الليل بمثل الحديث فيه فليُفَضَّ كل رجل منكم بنا

(١) في الأصول : تناوبا ، والتصويب عن العقد الفريد .

(٢) أجم العلماء وبقره : كرهه والله .

(٣) في الأصول : رطب والتصويب عن نمار القلوب للتمالي .

(٤) في الأصول : الحزن وهو تحريف والتصويب عن نمار القلوب ، قال الجاحظ : في أصل جياة البصرة موضع يقال له انزهر . يقال إن الناس لم يروا قط هواء أهل ولا نسيا أرق ولا أطيب من ذلك الموضع .

جَوْشًا مِنْهُ . قَالَ معاوية لعمر بن العاص : ما بقي من لذة الدنيا تَلَذُّهُ ؟ قَالَ :
مَحَادَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَخَبْرُ صَالِحٍ يَأْتِيهِ مِنْ ضَيْقِي . قَالَ أَبُو مُثَمِرٍ : مَا حَدَّثَ رَجُلًا
قَطُّ إِلَّا حَدَّثَنِي إِصْفَاؤُهُ : أَفْوَاهُ أُمِّ صَبِيحٍ .

باب الثَّقَلَاءِ

قال ابراهيم : إِذَا عَلِمَ الثَّقِيلُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ فَلَيْسَ بِثَقِيلٍ . كَانَ يُقَالُ : مَنْ خَافَ أَنْ
يُثْقَلَ لَمْ يَثْقُلْ . قِيلَ لِأَيُّوبَ : مَا لَكَ لَا تَكْتُبُ عَنْ طَاوُسٍ ؟ فَقَالَ : أَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ
بَيْنَ ثَقِيلَيْنِ : لَيْثَ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ ، وَعَبْدَ الْكَرِيمِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةٍ .

قال الحسن : قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ الثَّقَلَ فِي كِتَابِهِ قَالَ : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَأَنْتَشِرُوا) . كَانَ
أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا اسْتَقْبَلَ رَجُلًا قَالَ : اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لَهُ وَأَرْحَمْهُ مِنْهُ . وَكَتَبَ رَجُلٌ عَلَى
خَاتَمِهِ : أَبْرَمْتُ فَقَمٌ ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ ثَقِيلٌ نَاولَهُ إِيَّاهُ . قَالَ بَحْتِشُوعُ لِأَمُونٍ :
لَا تُجَالِسِ الثَّقَلَاءَ فَإِنَّا نَجِدُ فِي الطَّبِّ : مَجَالِسَةَ الثَّقِيلِ حُمَى الرُّوحِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
إِنِّي أَجَالِسُ مَشْهُرًا * نَوَكِي أَخْفَهُمْ ثَقِيلُ
قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتَهُمْ * صَدِثَتْ بِقَرَبِهِمُ الْعُقُولُ
لَا يُفْهِمُونِي قَوْلَهُمْ * وَيَدِقُّ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ
فَهُمْ كَكثيرِي وَأَعْمَلُ أَتَنِي بِهِمْ قَلِيلُ

أَخْبَرَنَا التَّوَجَّيَاتِي عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْفَرَسِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ :
أَتَيْتُ الْكُوفَةَ فَبُلَسْتُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ فَقَالَ
هَذَا الثَّقِيلُ يَحْمِلُهُ مِيتًا * بِأَهْلٍ مِنْ بَعْضِ جُلَسَائِنَا
فَمَا حَمَلَتْ عَنْهُ شَيْئًا .

(١) فِي التَّامِرِ : الْجَوْشُ الْقَطْعَةُ اللَّطِيفَةُ مِنَ اللَّبْلِ أَوْ مِنْ كَثَرَةِ الْهَلَاكِ وَالْجَوْشُ بَزَادَةِ التَّرْدِ لَفْظُهُ .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقيل، فقال له : كيف حالك ؟ فقال
وقائل كيف أنت قلت له * هذا جليمي فما ترى حالي
وقال بشار

ربما يثقل الجليس وإن كا * ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وقد في الأر * ض تهيل أربى على تهلان
كيف لم تحيل الأمانة أرض * حملت فوقها أبا سفيان^(١) !
وقال آخر

هل غربة الدار منك منجتي * إذا أغلقت بي قلائص دمل
وما أظن القلاء تمنني * منك ولا الفلك أيها الرجل^(٢)
ولو ركب البراق أدركني * منك على نأي دارك الثقيل
هل لك فيما ملكت نافذة * تأخذ جملة وترتحل
وقال أعرابي

كأني عند حمزة في مقي * ألا حيت عنا يا مدينا
ليتنا عنده حتى كانا * ألا هي بصحنك فاصبحنا
وقال آخر

تقيل يطالنا من أم * إذا مره رغم أني ألم
لطلننه ونرة في الحشا * كوخز المشارط في ألحنج
أقول له إذ بدا طالعا * ولا حلتبه إلينا قدم^(٣)
قدلت خيالك لا من عمي * وأذني كلامك لا من صمم^(٤)

(١) في العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٢ : أبا عمران . (٢) هكذا بالنسخين التتوграфия والأمانة
”تمني“ ولها ”منجتي“ . (٣) في العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : »اذ بدا لا بدا« وفي ديوان
ناظمه أبي نواس لا أني . (٤) في العقد الفريد والديوان : بصوت كلامك .

قال سهيل بن عبد العزيز: مَنْ تَهَلَّ عليك بنفسه وعَمَّك في سؤاله فالزمه أذناً صماءً وعيناً عمياءً .

- وكتب بعضُ الكُتَّاب في فصل من كتابه: ما آمَنُ نَزْعَ مُسْتَمِيعِ حُرْمَتِهِ، وطالِبِ حَاجَةِ رَدِّدَتِهِ، وَمُتَأَيِّرِ تَقْيِيلِ حُجَّتِهِ، أَوْ مُتَبَسِّطِ نَاطِقِ قَبْضَتِهِ، وَمُقْبِلِ بَعَانِهِ عَلَى لَوَيْتِ عَنْهُ، فَقَدْ قَلِمْتَ هَذَا بِمُسْتَحْفِيزٍ وَبَتَعَذُّرِ الْحَالِ، فَكَلِمَتِ رَحِمَكَ اللَّهُ، وَلَا تُطْعِمَ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ .

وقال بعضُ المُحَدِّثِينَ الْخَفِيلِ

نَحْنُ نَرِيدُ غُرَازَةً لَنَا * وَفِينَا زَيْدٌ أَبُو صَعَصَعَةٍ
فَسِتَّةٌ رَهِيطٌ بِهِ نَحْمَسُهُ * وَنَحْمَسُهُ رَهِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةٌ

باب البئاء والمنازل

١٠

الهيثم بن عديّ عن مجالدٍ عن الشَّعْبِيِّ قَالَ قَالَ السَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ: أَخْبِرْنِي عَنْ مَكَانٍ مِنَ الْقَرْيَةِ لَا يَجْرُبُ حَتَّى اسْتَقَطَعَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ، فَقَالَ لَهُ: مَا بَيْنَ الْمَاءِ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ، فَاخْتَصَطَّ لِقَيْفِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ: فَبِتُّ عَنْدهُمْ فَإِذَا لَيْلُهُمْ بِمَنْزِلَةِ النَّهَارِ .

١٥

وقال قائل في الدار: لَيْكُنْ أَوَّلُ مَا تَبْتَاعُ وَأَخْرَمَا تَبِيعُ .

وقال يحيى بن خالد لأبيه جعفر حين آخِطَ دَارَهُ لِيَنْتَبِهَا: هِيَ قَيْصُكَ فَإِنْ شِئْتَ فَوَسِّعْهُ، وَإِنْ شِئْتَ فَضَيِّقْهُ. وَأَتَاهُ وَهُوَ يَبْنِي دَارَهُ الَّتِي بِيَنْغَادِ بِقَرْبِ الدَّوْرِ، وَإِذَا هُمْ يُبْضِضُونَ حَيْطَانَهَا فَقَالَ: اعْلَمْ أَنَّكَ تُنْطَلِقُ النَّهْبَ بِالْفِضَّةِ، فَقَالَ جَعْفَرُ: لَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَكُونُ النَّهْبُ أَنْفَعَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى عِيَاءً؟ قَالَ: نَعَمْ، مَخَالِطُهَا دَوْرُ السُّوقَةِ .

٢٠

دخل ابن التوم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرة الذرع ، واسعة الصحن ، رفيعة السَّمَك ، عظيمة الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مئونة لا تُطْلَقُ ، وعيالا لا يُحْتَمَلُ مثلهم ، ولا بد لك من الخدم والستور والفرش على حسب ما أُبْتَلِيتَ به نفسك ، وإن لم تفعل هَجَّتَ رأيك .

٥ وقرأت في كتاب "الآيين" أنه كان يُسْتَقْبَلُ بِفِرَاشِ الْمَلِكِ ومجلسه المَشْرِقُ ، أو يُسْتَقْبَلُ به مَهَبُ الصَّبَا ، وذلك أن ناحية المَشْرِقِ وناحية الصبا يوصفان بالعلو والارتفاع ، وناحية الدُّبُورِ وناحية المغرب يُوصَفَانِ بالفضيلة والانهفاض ، وكان يُسْتَقْبَلُ بصدور إيوانات المَلِكِ المَشْرِقُ أو مَهَبُ الدُّبُورِ ، ويُسْتَقْبَلُ بصدور الخلاء وما فيه من المقاعد مَهَبُ الصَّبَا ، لأنه يقال : إن استقبَالَ الصَّبَا في موضع الخلاء أَمْنٌ من سِحْرِ السَّحَرَةِ ومن رِيحِ الْجَنَّةِ . ١٠

١ وكان عمر يقول : على كُلِّ خاتِنِ أَمِينانِ : الْمَاءُ وَالطَّيْنُ . ومن بِنَاءِ يُلْقَى بِأَجْرٍ وَجِصٌّ فقال : لمن هذا؟ قالوا : لفلان ، مائده ، فقال : تأتي الدُّرَاهِمُ إِلَّا أَنْ تُخْرِجَ أَعْنَاقَهَا ، وشاطرهُ مَالُهُ .

أبو الحسن قال : لما بلغ عمر أن سعدا وأصحابه قد بنَوْا بِالْمَدَرِ قال : قد كنتُ أكره لكم البَيَانُ بِالْمَدَرِ ، فأتا إذ قد قُتِلَ فَعَرَّضُوا الْحِيطَانَ ، وَأَطْلَعُوا السَّمَكَ ، وقاربوا بين الخشب . وقيل ليزيد بن المهلب : لم لا تَبْنِ بِالْبَصْرَةِ دارا؟ فقال : لأني لا أدخلها إِلَّا أَمِيرًا أو أَسِيرًا ، فإن كنتُ أَسِيرًا فالسجن دارى ، وإن كنتُ أَمِيرًا فدارُ الإمارة دارى . وقال : الصواب أن تُتَّخَذَ الدُّورُ بين الماء والسوق ، وأن تكون الدُّورُ شرقية والساكنين غربية .

٢٠ قال بعض الشعراء

بنو حمير مجدهم دارهم * وكل قورم لم يُجْمَدْ

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها معنى .

وقال آخر لأبي محمد الزيدى

قَوِّى خِيَارَ غَيْرِ مَا أَنَّهُمْ * صَوَّلْتُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
لَيْسَ لَمْ يَجِدْ سِوَى مَسْجِدٍ * بِهِ تَعَدُّوا فَوْقَ أَطْوَارِهِمْ
لَوْ هَدِمَ الْمَسْجِدُ لَمْ يُعْرِفُوا * يَوْمًا وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ

وقال رجل من خِزَاعَة

نَخِرَ الْمَسِيْبُ بِالْمَنَارَةِ * وَمَنَارُهُ يَرْمَى عُمَارَهُ ^(١)
فَإِذَا تَضَاعَرَتِ الْقُبَا * ثَلُّ مِنْ تَمِيمٍ أَوْ فَزَارَهُ
حَفَلَتْ عَلَيْكَ شُبُوحُ ضَبَّةٍ * بِالْمَسِيْبِ وَالْمَنَارَةِ

مرَّ رجل من الخوارج بدار ثُبَيْيَ فَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي يُقِيمُ كَفِيلًا ؟ . وقالوا :

كُلُّ مَالٍ لَا يَخْرُجُ بِخُرُوجِكَ وَلَا يَرْجِعُ بِرَجُوعِكَ وَلَا يَثْقُلُ فِي الْوَجْهِ بِاتِّعَالِكَ فَهُوَ
كَفِيلٌ .

وقالت الحكماء من أروم : أَصْلَحُ مَوَاضِعِ الْبَنِيَانِ أَنْ يَكُونَ عَلَى ثَلٍّ أَوْ كَبَيْسٍ وَثِيقٍ
لِيَكُونَ مُطْلَأًا ، وَأَحَقُّ مَا جُعِلَتْ إِلَيْهِ أَبْوَابُ الْمَنَازِلِ وَأَفْنِئَتُهَا وَكَوَاؤُهَا الْمَشْرِقُ وَاسْتِقْبَالُ
الصَّبَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَصْلَحُ لِلْأَبْدَانِ لِسُرْعَةِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَضَوْئِهَا طَلِيمٍ .

ومن حسن التشبيه في البناء قولُ علي بن أبي الجهم

مُحَوَّرٌ تُسَافِرُ فِيهَا الْعْيُونُ * وَتَحْتَرُّ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا
وَقُبَّةٌ مَلَكٌ كَأَنَّ النُّجُومَ * مَ تَصْنَعِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
وَقَوَارَةُ نَارُهَا فِي السَّمَاءِ * فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ نَارِهَا
إِذَا أَوْقَدْتَ نَارُهَا بِالْعِرَاقِ * أَضَاءَ الْجَحَازَ سَنًا نَارِهَا
تَرُدُّ عَلَى الْكَزَنِ مَا أُنْزِلَتْ * عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ أَقْطَارِهَا

(١) حلة بالكوفة تحسب إلى عمارة بن حنيفة بن أبي سفيان . معجم البلدان .

لَهَا شُرَفَاتٌ كَأَنَّ أَلْبَيْسَ * كَسَاهَا أَلْبَاصَ بِأَنْوَارِهَا
فَهَنَتْ كَمْطَطَجَاتٍ نَحْجَن * لَقَصَحَ النَّصَارَى وَافْطَارَهَا
فِيْن مَيْنٍ عَاقَصِيَّةٍ شَعْرَهَا * وَمُصَلِّحَةٍ عَقَدَ زُنَارَهَا
وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ كَعْبٍ

بَكَتْ دَارُ يُشِيرُ شَجْوَهَا أَنْ تَبْدَلَتْ * هَلَالُ بْنُ عِيَادٍ يَبْشُرُ بْنُ غَالِبٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ عَيْرٍ سَتَقَلَّتْ * عَلَى رَغْمِهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبٍ
وَقَالَ آخَرُ

أَلَمْ تَرَحَوْشًا أَسَى يُنَيِّ * قَصُورًا نَفَعَهَا لِيْنِي يُبْقِلُهُ
يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عَمْرَ نُوْحٍ * وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلِهِ

١٠ كَانَ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ هَوَى جَارِيَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَكَانَتْ تَنْزِلُ خُصْبًا وَكَانَتْ دَارُ
مَالِكٍ مَبْنِيَّةً بِأَجْرٍ فَقَالَ

يَالَيْتَ لِي خُصْبًا يُحَاوِرُهَا * بَدَلًا بِدَارِي فِي بَنِي أَسَدٍ
الْخُصْبُ فِيهِ تَهَرَّ أَعْيُنُنَا * خَيْرٌ مِنَ الْأَجْرِ وَالْكَدِّ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ بْنُ خِدَاشٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقُرَاتِ قَاضِي
مِصْرَ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لَابَنَتِهِ : يَا بَنِيَّ إِن
مِنْ ضَرِيحِ الْعَيْشِ شِرَاءَ الْخُبْزِ مِنَ السُّوقِ، وَالتَّقَلَّةُ مِنْ مَتَرٍ إِلَى مَتَرٍ .

١٥ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنَ الزَّهْدِاءِ فِي زُورَقٍ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى بِنَاءِ الْمَأْمُونِ وَأَبْوَابِهِ صَاحَ:
وَأَعْمَرَاهُ! فَسَمِعَهُ الْمَأْمُونُ فِدَمَا بِهِ فَقَالَ: مَا قُلْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ بِنَاءَ الْأَكْأَسْرِ فَقُلْتُ
مَا سَمِعْتُ، قَالَ الْمَأْمُونُ: أَرَأَيْتَ لَوْ تَحَوَّلْتُ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى إِيْوَانَ كَسْرَى
بِالْمَدَائِنِ هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَعِيبَ نَزُولِي هُنَاكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَرَاكَ إِذَا عِيبَ إِسْرَافِي

- في الثقة، قال : نعم، قال : فلو وهبت قيمة هذا ألباء لرجل أكنت تبيع ذلك؟
قال : لا، قال : فلو بعت هذا الرجل بما كنت أهب له بناء أ كنت تصيح به كما
صحّت بي ؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قصدتني لخاصتي في غمي لا لعلة هي
في غري، ثم قال له : هذا ألباء ضرب من مكائدنا نبنيه وتتخذ الجيوش ونعد
السلاح والكراع وما بنا إلى أكثره حاجة، فلا تعودت إلى فتمسك عقوبي، فإن
الحفيظة ربما صرفت ذا الرأي إلى هواه، فاستعمله .

باب المزاح والرخن فيه^(١)

- قال حنّشا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن هشام بن عروة عن
أبي سلمة قال : أخبرني عائشة أنها سأبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
فسبقته، وسابقته في سفر آخر فسبقها وقال : «هذه بتلك» .
١٠
حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع قال : كان أبو هريرة حل المدينة خليفة
لمروان، فربما ركب نارا قد شدّ عليه برذعة وفي رأسه طية فيلحق الرجل فيقول :
الطريق، قد جاء الأمير، وربما دعاني إلى عشاءه بالليل فيقول : دع العراق للأمير،
فأنظر فإذا هو ثريد بزيت .
١٠
قال حدثني محمد بن محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصلت الطاحي عن سعيد
ابن عثمان قال، قال الشعبي لخطاط مرّ به : عندنا حُبٌ مكسور تخيطه ؟ فقال
الخطاط : إن كان عندك خيوطٌ من ربح .

(١) كذا في الأصل، ولم نجد في القاموس ولا في اللسان الرخن بمعنى الترخيس والتسهيل، والوارد في هذا
المعنى إنما هو الرخصة بناءً على التأنيث قبل البناء سقطت من قلم النسخ .

(٢) الرّاق : الضمُّ أكل لحمه أو الظلم بجمعه .
(٣) في الأصل : الطاحي بالجم وهو تحريف والتصويب عن تلج العروم .

وحدثني بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبي ومعه في البيت امرأة فقال :
أيكم الشعبي ؟ قال الشعبي : هذه . ومسلل الشعبي عن لحم الشيطان فقال : نحن
نرضى منه بالكفاف ، قال : فما تقول في الذبان ؟ قال : إن اشتبهته فكُله .

قال خالد بن صفوان للفردق وكان يمازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذي لما
رأيناه أكبرته وقطعن أيليين ، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت فيه
الفتاة لأبيها : (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

حماد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشام بن حسان قال :
توفي البارحة ، أما شعرت ؟ بفزع واسترجع ، فلما رأى ابن سيرين جزعه قرأ (اللَّهُ يَتَوَفَّى
الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) .

مر بالشعبي حمائل على ظهره دَنُّ خَلٍّ ، فلما رآه وضع الدن وقال : ما كان اسم
امرأة إبليس ؟ فقال الشعبي : ذاك نكاح ما شهدناه .

حدثني محمد بن عبد العزيز عن الأصهباني عن يحيى بن أبي زائدة عن الأعمش
قال : عاذني إبراهيم فنظر إلى منزلي فقال : أما أنت فتعرف في منزلك أنك لست من
أهل القريتين عظيم .

وروي وكيع عن ربيعة عن الزهري عن وهب بن عبد بن زعمة قال ، قالت
أم سلمة : خرج أبو بكر في تجارة ومعه ثعبان وسويط بن حرملة ، وكانا شهدا بدرا ،
وكان نيمان على الزاد فقال له سويط وكان مزاها : أطمعني ، فقال : حتى يحيى .
أبو بكر ، فقال : أما والله لأغيظنك ، ففروا بقوم فقال لهم سويط : أشترون مني
عبدا لي ؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام وهو قاتل لكم : إني حر ، فإن كنتم
إذا قال ليكم هذه المقالة تركتموه فلا تخلصوا علي عبيدي ، فقالوا : بل نشتريه منك .

بشر قلائص، ثم جاءوا فوضعوا في عقه جبلا وعمامة واشتروه، فقال نبيان : إن
هنا يستهزئ بك وإلى حرّ، قالوا : قد أخبرنا بخبرك، وأطلقوا به ، وجاء أبو بكر
فأخبروه فاتبعهم فردّ عليهم القلائص وأخذه ، فلما قِيموا على النبي صلى الله عليه
وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منها حولا .^(١)

- حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب الجني عن أبي عوامة
عن قتادة أن عدى بن أرطاة تزوج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها
نفاصته إلى شريح ، قال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الحائط ،
قال : إلى رجل من أهل الشام ، قال : بعيد محقق ، قال : إلى تزوجت امرأة ،
قال : بالرفاء والبنين ، قال : وولدت غلاما ، قال : ليس بك الفارس ، قال : وشرطتُ
لها دارها ، قال : الشرطُ أملك ، قال : اقض بيننا ، قال : قد قضيتُ ، قال :
دَمَهُ ؟ قال شريح : « حَتَّ امرأتُ حديثين فإن أبت فارَّج » قال لي المحتث :
فأريه ، وإنما هو فارَّج أي كُفِّ وأمسك .

- وتقدّم رجلان إلى شريح في خصومة فاقر أحدهما بما يدعى الآخر عليه وهو
لا يعلم ، ف قضى عليه شريح ، فقال الرجل : اتقضى علىّ بشيء بينة ؟ فقال : قد شهد
عندي ثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالك .

كان ابن مبرين يُشيد

نُبِّئتُ أن فتاة كنتُ أخطبها * عُرِّقَ قُبُورُهَا مثلَ شهر الصوم في أطول

- (١) في القاموس في مادة نَم أن نبيان هو المزاح وأنه هو الذي باع سويطا وبعد نحو صفحتين من
هذا الكتاب متجد ذكر نبيان بأنه هو المزاح .
(٢) رَواه الميبداني « حَتَّ امرأة حديثين فإن لم تفهم فأريه وفسه بقوله أي زد ثم قال : وأراد
بالحديثين حديثا واحدا تكرر مرتين فكانت حديثا حديثين ، والمعنى كرهها الحديث لأنها أنصف نفسها فإن لم
تفهم فأخطبها أريها . ورواه في اللسان كما في الأصل وقال في معناه أي قف واقصر وهو من رجع رجع
إذا كف وأمسك .

وقال أيضا

لقد أصبحت عرسُ الفَرْدَقِ ناشزا * ولو رضيت رَحَّ آسته لاستقرت
وكان ابن سيرين يضعك حتى يسيل لعابه .

المدائني قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : إني رأيت البارحة في المنام كأن
القيامة قد قامت ووُضِعَت الموازينُ وأُحْضِرَ الناسُ للحساب ، فنظرت إليك وأنت
واقف قد أجمك العرقُ ، وبين يديك صحف كأمثال الجبال ، فقال معاوية : فهل
رأيت شيئا من دناير مصر !

كان معن بن زائدة ظليتنا في دينه، فبعث إلى ابن عباس المتتوف بالف دينار،
وكتب إليه : قد بعثت إليك بالف دينار اشتريتُ بها دينك ، فاقبض المال
وأكتب إلى بالتسليم ، فكتب إليه : قد قبضتُ الدنانير وبعتك بها ديني خلا التوحيد
ليأصرفتُ من زهدك فيه . ١٠

قال الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء من ربيعة ! فقال يزيد : أجل ،
ولكن منابهم أجنوع .

قال بلال بن أبي بردة لابن أبي علقمة : إنما دعوتك لأخفرك منك ، فقال له ابن
أبي علقمة : لئن قلت ذلك لقد حكم المسلمون رجلين يغير أحدهما من الآخر . ١٥

كان يقال : السبابُ مزاحٌ ^(١) التوكي . وقال الشاعر

أخو أجد إن جاددت أرضاك جلدته * ونو باطل إن شئت الهاك باطله
وقال يسعربن كدام لابنه

ولقد جوبتك يا كدام نصيحتي * فاسمع لقول أبي عليك شفيق
أما المزاحُ والمرءُ فدعهما * خُلقان لا أرضاهما لصديق
ولقد بلوئهما فلم أحدهما * لمهاور جار ولا لرفيق ٢٠

(١) كناية الأمل . وفي جميع الأمثال اليداني « المزاح سباب التوكي » ؛

وقال الكبي

وفي الناس أقناعٌ مَلْهِجٌ بالحقِّ * متى يَلُغِ الحَدَّ الحَفِيفَةَ يَلْعَبُوا

وبما يقارب هذا قول بعض المحدثين

أرأى سَابِدَى عند أول سكرة * هوأى لفضل في خفاء وفي ستر

فإن رَضِيتَ كان الرضا سببَ الهوى * وإن غَضِبْتَ حلتُ ذنبي على السكر

وقال الراعي - في نحو هذا يصف نساء -

يُنَاجِبُنَا بالطرف دون حديثنا * ويقضين حاجاتٍ وهنَ مَوَازِحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجل عاملين ليختار أحدهما فيوليه ، فقال : « كلاهما

وتمرا » ، فقال : أعتدى تمزح ! لا وَلَيْتَ لى عملا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ . وقال علي : إِذَا ضَحِكَ الْعَالِمُ

ضَحِكَتْ مِنْهُ الْعِلْمُ نَجْمَةٌ . وقال أكرم : « الْمَرْأَةُ تُكْهَبُ الْمَهَابَةِ » .

الهميم عن عوانة الكلبي قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموم

وعنده رجل كان يحسده الأخطل ويُقَارِضُهُ ، فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين عهدي

بأبي هذا الفتى وهو سيدنا معشر بني جُشَم ، وشيخنا الذي نصر عن رأيه ، فاهتر

لها الفتى وقال : يا أمير المؤمنين ، هو أعلم بنا قديما وحديثا ، قال الأخطل : إن أباه

أمرنا ذات يوم وقد تورت الرياض أن نخرج إلى روضة في ظهر بيوت الحى

فتحدثت فيها ، فخرجنا وابتسطننا لبا ، ونخرج الرجل منا بالبكرة الكوماء وبالخراف

والجدي ، وقام الفتان فاجتروا واشتروا ودارت السقاة علينا ، فبينما نحن كذلك

رُفِعَ أبوه فما تركنا فى الحى روثه حار إلا نَسَقْنَاهُ إِيَّاهَا فلم يرقأ دمه ، فقال لنا شيخ :

(١) هكذا بالاصول ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا « ابسط » ، ولله عزوف عن « ابسطنا » .

شُدُّوا خُصْيِي الشَّيْخِ عَصَبًا، ففعلنا ذلك فوقًا للدم، فواقه ما دارت الكأْسُ إلا دورة حتى أتاها الصَّرِيحُ عن أمِّه أنها قد رَعِفَتْ، فبادرنا إليها، فواقه ما درينا ما نَمِصُّبُ منها حتى نَحِرَتْ قَسَمًا، وعبد الملك يَحْصُصُ بِرْجِلِهِ ضَحْكًَا، والتقى يقول : كذب واقه، فقال عبد الملك : ألم ترعَم أنه أعلم الناس بهديكم وحديثكم !

٥ حدثني أحمد بن عمرو قال : كان رجل من الفقهاء في طريق مكة، فرأى وهو محرم يربوفاً قوماً بعضا كانت في يده فقتله، فقال الجَمَالُ : أَلَسْتَ مُحْرِمًا؟ قال : بلى وما كانت بي إلى رمية حاجة إلا أن تعلم أن إحرامى لا يمنعنى من ضربه . قال وكان الأعمش يقول : مِنْ تَمَامِ الْحَجِّ ضَرْبُ الْجَمَالِ .

المباينى قال : كان نُمَيْانُ رجلاً من الأنصار وشهد بدرًا وجلبده النبي عليه السلام في الخمر أربع مرات، فتر نُمَيْانُ بِحَرَمَةِ بْنِ نَوْفَلٍ وَقَدْ كُفَّ بِصَرِّهِ فَقَالَ : أَلَا رَجُلٌ يَقُودُنِي حَتَّى أَبُولَ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ نُمَيْانَ، فَلَمَّا [بَلَغَ] ^(١) مُؤَنَرَ الْمَسْجِدِ قَالَ : هَاهُنَا قَبِيلُ، فَيَا لِقَصِيحٍ بِهِ، فَقَالَ : مَنْ قَادَنِي؟ قِيلَ : نُمَيْانَ، قَالَ: قَهَّ عَلَى أَنْ أَضْرِبَهُ بِعَصَايَ هَذِهِ، فَبَلَغَ نُمَيْانَ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي نُمَيْانَ؟ فَقَالَ : نَعَمْ، فَقَالَ : قُمْ، فَقَامَ مَعَهُ فَأَتَى بِهِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَهُوَ يَصِلُ، فَقَالَ : دُونَكَ الرَّجُلَ، فَجَمَعَ يَدَيْهِ فِي الْعَصَا ثُمَّ ضَرَبَهُ، فَقَالَ النَّاسُ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ : مَنْ قَادَنِي؟ قَالُوا : نُمَيْانَ، قَالَ : لَا أَعُودُ إِلَى نُمَيْانَ أَبَدًا .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : قلت لخارجة بن زيد : هل كان الغناء يكون في العُرُوسَاتِ؟ قال : قد كان ذلك، وَلَا يُحْضَرُ بِمَا يُحْضَرُ الْيَوْمَ

(١) زيادة في النسخة الألمانية وهي لازمة .

من السفه، دنا أنا أخواننا بنو نبط في مدعاة لهم فشهد المدعاة حسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن وأنا، وجارياتان قننيتان

أنظر خليل بياب جليل هل * قُرُس دون البقاء من أحد

- فبكي حسان وقد كُف بصره ، وجعل عبد الرحمن يُومئ إليهما أن زيدا ، فلا أدري ماذا يُعجبه من أن تُبكي أباه ، ثم جىء بالطعام ، فقال حسان : أ طعامُ يد أم طعامُ يدين ؟ فقالوا : طعامُ يد ، يريدون الثريدَ فأكل ، ثم أتى بطعام آخر فقال : أ طعامُ يد أم طعامُ يدين ؟ قالوا : طعامُ يدين ، يمنون الشواء فكُف .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : كان طويس يتغنى في عرس ، فدخل النعمان ابن بشير العرس وطويس يقول

- ١٠ أجد بعمرة غنائها * قهجر أرام شائنا شائنا^(١)

وعمرة أم النعمان ، فقيل له : اسكت اسكت ، فقال النعمان : إنه لم يقل بأسا وإنما قال

وعمرة من سرورات النساء * تتفتح بالمسك أردانها

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا الجلاح بن نصير قال حدثنا شعبة عن قتادة عن

- ١٥ أبي العالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم ، فقال ابن عباس
وهن يمشين بنا حميسا * إن تصدق الطير نبل لميسا^(٢)

فقالوا : تقول الرفث وأنت محرم وابن عباس ! فقال : إنما الرفث عند النساء .

قال جابر الجعفي : رأيت الشعبي خارجا من الكوفة قتلته : أين ؟ قال : أنظر إلى الفيل .

- ٢٠ (١) كذا بالأصول ولسان العرب . وفي نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١ : أم شائنا شائنا وهو أوجه .
(٢) كذا في الأصل نبل باللام . وروى في شرح القاموس للرضي والعقد الفريد بالكاف بدل اللام .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا شريك عن جابر الجعفي عن عكرمة قال : حتن ابن عباس بنيه فارسلي فدعوت اللعائن فلعنوا فأعطاهم أربعمائة درهم^(١) .

حدثني شيخ لنا من أهل المدينة قال : ولي الأوقص المخزومي قضاء مكة فما ربي مثله في العفاف والنبل ، فيينا هو فائم ذات ليلة في جناح له مر به سكران يتغنى ، فأشرف عليه فقال له : يا هذا ، شربت حراما ، وأقفلت ثؤاما ، وغنيت خطأ ، خذ عني فادله له . وقال الأوقص قالت لي أمي : يا بني إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجاعة القيان في بيوت القيان ، إنك لا تكون مع أحد الا تحطتلك إليه العيون ، فعليك بالدين فإنه يرفع الحسيسة ويقيم القيصة ، فنفعني الله بكلامها قبلت القضاء . قال عبدالله بن جعفر لرجل : لو غتكت فلانة جاريتي صوت كذا ما أدركت دكانك .

حدثني شيخ لنا عن سلم بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مر بي عمر ، وأنا وعاصم بن عمر نتغنى غناء النصب^(٢) ، فقال : أعيدا ، فأعدنا ، فقال : مثلكما مثل حارَى العيادي ، قيل له : أي حمارك أشتر؟ قال : هذا ثم هذا .

وحدثني أيضا عن ابن عاصم عن ابن جريح قال : سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والجلد فقال : وما بأس ، لقد حدثني عبيد بن عمير اللبثي قال : كانت لداود نبي الله معزة يضرب بها إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجن والطير فيبي وأبكي من حوله . وقال لي غيره : ولهذا قيل : مزامير داود ، فإنه أغاني داود .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفوتوغرافية " أربعة درهم " ولا ندري أسقط من النسخ كلمة مائة أم ألف الجمع في دوام . (٢) ضرب من أغاني العرب . (٣) كنا بالأصل ، وفي جميع الأشكال «شر» وهو الافصح .

خرج أبو معاوية الضرير يوما على أصحابه فقال

وَإِذَا الْمِلَّةُ جَاشَتْ * فَأَرِمَهَا بِالْمِجْنِيقِ
بِثَلَاثٍ مِنْ نَيْدٍ * لَيْسَ بِالْحُلُوفِ الرِّقِ

النَّوْجِيَّانِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِقُولٍ عَنْ أَبِي حَصِينٍ
قَالَ : شَرِبَ الْأَسْوَدُ فَقَالَ : لَوْ سَقَيْتُمُونِي آخَرَ لَمُنَيْتُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ الْمَجَالِدِ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ :
صَحِبْتُ أَبْنَ مَسْعُودٍ حَوْلًا مِنْ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ لَمْ يَصُمْ يَوْمًا وَاحِدًا ، [ف]بَاهَمَنِي^(١)
ذَلِكَ وَسَأَلْتُ عَنْهُ ، وَلَمْ أَرَهُ صَلَّى الضُّحَى حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا .

قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ عَنْ مَهْدِيٍّ بْنِ يُمَيْنٍ قَالَ :
كَانَ أَبُو صَادِقٍ لَا يَتَطَوَّعُ مِنَ السَّنَةِ بِصَوْمِ يَوْمٍ ، وَلَا يَصَلِّي رَكْعَةً سِوَى الْفَرِيضَةِ
قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا ، وَكَانَ بِهِ مِنَ الْوَرَعِ شَيْءٌ عَجِيبٌ .

حَدَّثَنِي الزَّيْدِيُّ قَالَ قَالَ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ
الْفُقَهَاءِ وَهُوَ يَلْعَبُ بِالشَّطْرَنْجِ .

وَحَدَّثَنِي الزَّيْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَنَانَ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ
سَبْرِينَ عَنِ اللَّعِبِ بِالشَّطْرَنْجِ فَقَالَ : لَا بَأْسَ بِهِ هُوَ رِفْقٌ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ ، قَالَ أَبِي : تَرَوْنَ أَنَّ الشَّطْرَنْجَ^(٢)
وُضِعَتْ عَلَى أَمْرِ عَظِيمٍ ؟

(١) كذا في الأصل بالضمير والمراد في كتب التراجم «مجالد» بدون ال ، ودخولك في مثل المثلث
من اسم القاتل مع الصفة موقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضها سياق الكلام .

(٣) لم تقف في كتب اللغة على أنَّ الشطرنج مما يصح تأنيده ولعل تأنيده هنا على تأنيده بآلة لعب .

قال وحديثنا الأصح عن ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد قال: كان قيس ابن أبي حازم في منطة فقال لصاحب المنزل: طير .

حدثني شبابة قال حدثني القاسم بن الحكم العنزي قال: حدثني سليم مولى الشعبي أن الشعبي كان إذا اختضب فغرض لاعب أبته بالترد حتى يعلق الخضاب .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا النضر بن شميل قال حدثنا شعبة عن عبد ربه قال: سمعت سعيد بن المسيب وسئل عن اللعب بالترد فقال: إنما لم يكن قراراً فلا بأس .

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا الفضل بن موسى عن ريشدين بن كريب قال: رأيت عكرمة أقيم قائماً على اللعب بالترد . قال إسحاق: إن كان لعبه على غير معنى القمار يريد به التعلم والمكايمة فهو مكروه، ولا يبلغ ذلك إسقاط شهادته .

وروى عبد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال أخبرني أبي قال: رأيت أبا هريرة يلعب مع أبي بربعة عشر على ظهر المسجد .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثني علي بن عاصم عن أبي إسحاق الشيباني عن خوات التيمي عن الحارث بن سويد قال: أتى عبد الله بن مسعود رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن لي جاراً يرني وما يتوزع من شيء أصابه، وإنني أعير فاستسلمه، ويدعوني فأجبه، فقال: كل فلك مهوؤه وعليه وزره .

كان أبو فضالة أسن وشقت عليه الصلاة، فكان يقول: مشقة منصبه، مقبحة مقعدة، لا تزال بصاحبها حتى يضع أكرمه ويرفع أخشه .

(١) غرض: أمابه الملل .

(٢) كما يفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الياء وبهذا جاء ساكنة منبטה في ابن خلكان

ثم قال: ولعل له أيضاً راهويه يضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء .

قال عبد الله بن القعقاع الأسدي

أنا بها صفرَاءُ يزعم أنها * زَيْبٌ، فصنّفناه وهو كذوبٌ
فهو هي إلا ليلةً غابَ نجمُها * أصلى لربّي بسداً وأتوبُ

وقال آخر

- مَنْ ذَا يُجِرمُ ماءَ المزنِ خالطه * في جوفِ آنيةٍ ماءُ العنّاقيدِ
إني لأكره تشديدَ الرّواةِ لنا * فيها ويُصِحُّني قولُ ابنِ مسعود

وعيونُ الأخبارِ ومُتخَيّرُ الشعرِ في الشرابِ يقع في كتابي المؤلف في الأُشربة، ولذلك
تركته ذكرها .

- وكتب بعضُ الكُتّاب إلى صديق له في فصل : ونحن نحمد الله إليك فإن عَقْدَةَ
الإسلام في قلوبنا صحيحةٌ، وأواخيه ثابتةٌ ، ولقد اجتهد قومٌ أن يَدْخِلُوا قلوبَنَا من
مرضِ قلوبهم، وأن يَلْبِسُوا يَقِينًا بِشَكْهم، فنحنّا عصمةُ الله منهم، وحالُ توفيقه
دونهم، ولنا بعدُ مذهبٌ في الدّعاةِ جميلٌ ، لا يَشُوْبهُ أدنى ولا فَنى، يُرجع إلى
الأُس من العُبوس، وإلى الاسترسال من القُطوب، ويُلحِقنا بأحرار الناس وأشرافهم
الذين ارتفعوا عن لِبْسَةِ الرِّياء والتّصنّع .

- ١٥ التّوسّط في الأشياء، وما يُكره من التّقصير فيها والغلو

باب التّوسط في الدّين

حدّثني الزّيادة قال حدّثنا عبد العزيز الدّرّاوردي قال حدّثني محمد بن طحّلاء

عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن عن عائشة قالت ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :
”اَكْفُوا من العمل ما تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعَمَلِ
أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ“ .

حدثني محمد بن يحيى القطعي قال حدثنا محمد بن علي بن مُقَدَّم عن مَعْنٍ النِّقَارِيِّ
عن الْمُقْبَرِيِّ عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ
يُسْرٌ وَلَنْ يُسَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلِبَهُ، فَسَلِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا» .

حدثني الْقَوْمِيُّ عن أَحْمَدَ بنِ يُونُسَ عن زُهَيْرٍ عن قَابُوسَ عن أَبِيهِ عن ابْنِ عَبَّاسٍ
قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدِّينُ الْحَسَنُ وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ وَالْاِقْتِسَادُ
جَزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ جِزَاءً مِنَ النَّبَوَّةِ» .

حدثني محمد بن عُبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن خالد الحذاء عن
أبي قلابَةَ عن مسلم بن يسار أَنَّ رُقَّةَ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالُوا:
يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ فُلَانٍ، يَصُومُ النَّهَارَ، فَلَمَّا نَزَلْنَا قَامَ
يُصَلِّي حَتَّى تَنْزِلَ، قَالَ: «مَنْ كَانَ يَمْنُ لَهُ أَوْ يَكْفِيهِ أَوْ يَعْمَلُ لَهُ»؟ قَالُوا: نَحْنُ،
قَالَ: «كُلُّكُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ» .

وروى أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي عليه
السلام قال: خِيَارُكُمْ كُلُّ مُقْتَنٍ تَوَاطٍ . وقال علي أيضا: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَةِ النَّقْطُ
الْأَوْسَطُ، يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ النَّالِيُّ وَيَلْحَقُ بِهِمُ النَّالِيُّ^(١) .

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرة قال، قال حذيفة: خِيَارُكُمْ
الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ دِينِهِمْ لِآخِرَتِهِمْ، وَمَنْ آخَرْتَهُمْ لِدُنْيَاهُمْ . وَكَانَ يَقَالُ: دِينَ اللَّهِ

(١) كذا في اللسان والقند الفريد وفي الأصل «البال» وهو تحريف، ورواه في نهج البلاغة «نحن
الفرقة الوسطى» بها يلحق الثالث ولها يرجع الثالث، وفسره شارحه بأن آكل البيت أشبه بها للاستناد إليهم في أمور
الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر وأطراف الأضواء، ووصفها بالوسطى لاتصال سائر الأجزاء بها فكان
الكل يمتد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما يجانبها وآكل البيت على الصراط الوسط العدل يلحق بهم من قصر
ويرجع إليهم من غلا وتجاوزهم .

بين المقصّر والغالى . وقال المطوف لأبيه : يا بُنى، الحسنة بين السيئين، يعنى بين الإفراط والتقصير، وخير الأمور أوساطها، وشر السيِّر ^(١) الحَقِيقَةُ

وفى بعض الحديث المرفوع : «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه» . وقال : «إن الله يعنى بالحقيقة السهلة، ولم يعنى بالهيبانية المتدعة، سُنِّي الصلاة والنوم، والإفطار والصوم، فمن رَغِبَ عن سُنِّي فليس مَنِّي» . وفى الحديث : «إن هذا الدين مَتِينٌ فاوْغِلْ فيه يرفق، فإن المُنْتَبِت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبق» .

وكان يقال : طالب العلم وعامل البر كَأَكْلِ الطعام إن أخذ منه قوتا عَصَمَهُ، وإن أسرف في الأخذ منه بِشْمُهُ، ^(٢) ور بما كانت فيه مَنِيَّتُهُ، وكأخذ الأدوية التى قَصَدُهَا شفاءً، ومجاوِزَةُ القدر فيها السُّمُّ المِيتُ .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبي حفصة أن أبى

أبى نُعَيْمٍ كان يُهْلُ من السنة إلى السنة ويقول فى تليته : لييك، لو كان رياء لأصمحل .
حدثني أحمد بن أنليل قال حدثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبى إسحاق قال
[قال] عمر بن ميمون : لو أدرك أعمامنا محمد بن أبى نُعَيْمٍ لرجموه ، كان يُواصل كذا
وكذا يوماً ويُهْلُ بالحج إذا رجع الناس من الحج .

وقال سلمان : القصد والدوام وأنت السابق الجواد . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مريم لَبَّى رجلاً فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبد . قال : من يعبد عليك ؟ قال : أئسى، قال : أخوك أعبد منك .

(١) كذا بالأصل والمعروف فى كتب القرايم «مطوف» بدون ال . (٢) الحقيقة : أدعى السير وأنبه للظهر . (٣) فى الأصل «فتى» وهو تحريف . (٤) هكذا فى النسخ التى بأيدينا «بشم»
بغير ألف . وفى القاموس بالسان، يقال : شِمَّ الرجل وأبشمه الطعام .

رَوَى عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْجَحْجَحِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ : مَنْ يَدُلَّنِي عَلَى رَجُلٍ بَكَاءٍ بِاللَّيْلِ بِسَائِمٍ
بِالنَّهَارِ ؟

وَرَوَى أَبُو أُسَامَةَ عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ ، قَالَ مُطَرِّفٌ :
انظُرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا ذُكِرُوا بِالْقِرَاعَةِ فَلَا تَكُونُوا مِنْهُمْ ، وَانظُرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا ذُكِرُوا
بِالْفَجْرِ فَلَا تَكُونُوا مِنْهُمْ ، كُونُوا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ .

بَابُ التَّوَسُّطِ فِي الْمُدَارَاةِ وَالْحِلْمِ

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ : بَعْضُ الْمَقَارِبَةِ حَرَمٌ ، وَكُلُّ الْمَقَارِبَةِ عَجْزٌ ، كَانِخِشَةُ
الْمَنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ تُمَالٌ فَيَزِيدُ ظِلُّهَا ، وَيُفْرِطُ فِي الْإِمَالَةِ فَيَنْقُصُ الظِّلُّ . وَمِنْ
أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي هَذَا : « لَا تَكُنْ حُلُومًا قَسَّيْتُ وَلَا مُرًّا نَقَطْتُ » وَأَبُو زَيْدٍ يَقُولُ :
وَلَا مُرًّا فَتُحْقَى ، يُقَالُ : أَعْقَى الشَّيْءُ إِذَا أَشَدَّتْ مَرَارَتُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ

* وَأَتَى لَصِيبِ الْأُرَاسِ فَيُرْجُو حُوجِ *

وَقَالَ آخَرُ فِي صِفَةِ قَوْسٍ

* فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مُنَوَّعٌ *

وَقَالَ آخَرُ

* شَرَّ رَأْيَةٍ تَمْنَعُ بَعْدَ اللَّيْلِ *

وَقَالَ أَبُورِزْ لِأَبْنَتِهِ : اجْعَلِ لِقَتَصَادِكَ السُّلْطَانَ عَلَى إِفْرَاطِكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا قَدَّرْتَ
الْأُمُورَ عَلَى ذَلِكَ وَزَوَّجْتَهَا بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ وَقَوَّيْتَهَا تَهْوِيمَ التَّقَافِ ، وَلَمْ تَجْعَلِ لِلنَّدَامَةِ
سُلْطَانًا عَلَى الْحِلْمِ .

(١) سَرَطٌ وَاسْتَرَطَ : ابْتَلَاهُ .

(٢) هَذَا يَحْتَضِرُ أَنَّ التَّافَ فِي قَوْلِهِ تَمْنَعُ مَكْسُورَةٌ ، وَيُقَالُ : أَعْقَى الشَّيْءُ إِذَا قَطَعَهُ مِنْ فِيهِ لِمَرَاتِهِ ، وَهَذَا
يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْقَدَمُ مَبْنًى الْجَهْلُ ، وَكَذَلِكَ رَوَى الْمُثَلِّ بِالْوَجْهِينِ كَمَا فِي السَّانِ .

وقال الأنافة الجعدي

ولا خير في حلم إذا لم تكن له * بوادر تفي صفوه أن يكدر

وقال آخر

ولا خير في عرض أمرئ لا يصبوه * ولا خير في حلم أمرئ نل جانبه

وقال أكرم بن صبيح : الاقباض من الناس مكسبة للملوة ، وإفراط الأئس
مكسبة لقراءة السوء .

باب التوسط في العقل والرأى

روى في الحديث أن زياد بن أبي سفيان كان كاتباً لأبي موسى الأشعري فغزاه

عمر عن ذلك ، فقال له زياد : أعن عجز عرتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانه ؟

قال : لا عن ذلك ولا عن هذا ، ولكني كرهت أن أحمل على العائمة فضل عقلك .

وقال : إفراط العقل مضر بالحد . ون الأمثال المبتذلة : استندت العقل على

الحد فقال : اذهب لا حاجة بي اليك . وقال الشاعر

فعيش في جد أنوك حلفت * مقادير يساعدها الصواب

وقال آخر

إن المقادير إذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم

وقال آخر

أرى زماً نوكة أسعد أهله * ولكنه يسق به كل عاقل

وقال الحسن : تشبه زياد بعمر وأفراط ، وتشبه الجعاج زياد فأهلك الناس .

وقالت الحكماء : فضل الأدب في خير دين مهلكة ، وفضل الرأى إذا لم يستعمل

في رضوان الله ومنفعة الناس قائم إلى الذنوب ، والحفظ أراكي الواعي لغير العلم

النافع مضر بالعمل الصالح ، والعقل غير المودع عن الذنوب خازن الشيطان .

تنازع أثنان : أحدهما سلطاني والآخَر سُوقِيّ ، فضربه السلطانيّ فصاح :
وَأَعْمَرَاهُ ! وَرُفِعَ خَبْرُهُ إِلَى الْمَأْمُونِ فَأَمَرَ بِادْخَالِهِ عَلَيْهِ ، قَالَ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ
أَهْلِ قَابِيَةِ ، قَالَ : إِنْ عَمِرَ بِنُ الْخَطَّابِ كَانَ يَقُولُ : مَنْ كَانَ جَارُهُ نَبِيْطِيًّا وَاجْتَنَابَ إِلَى
ثَمَنِهِ قَلْبِيَّعُهُ ، فَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ سِيْرَةَ عَمْرِفَهَذَا حَكَمَهُ فِيمَكُم ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ .

باب ذم فضل الأدب والقول

قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَتَى يَكُونُ الْأَدَبُ شَرًّا مِنْ عَدَمِهِ ؟ قَالَ : إِذَا كَبُرَ الْأَدَبُ
وَقُصِّرَ الْعَقْلُ . وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنَطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ . وَيُقَالُ : مَنْ
لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ كَانَ حَقَّقَهُ فِي أَغْلَبِ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ * إِذَا سَامَهُ الْجَهْلُ لَيْتًا مُغِيرًا

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : زِيَادَةُ مَنَطِقِي عَلَى عَقْلِي خُدْعَةٌ ، وَزِيَادَةُ عَقْلِي عَلَى
مَنَطِقِي مُجْنَنَةٌ ، وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ مَا زَيَّنَ بَعْضُهُ بَعْضًا .

قَالَ ضِرَارُ بْنُ عَمْرٍو لِابْنَتِهِ حِينَ زَوَّجَهَا : أَمْسِكِي عَلَيْكَ الْفَضْلَيْنِ : فَضْلَ الْعَالِمَةِ
وَفَضْلَ الْكَلَامِ .

وَقَالَ عَمِرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ : رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَمْسَكَ فَضْلَ الْقَوْلِ وَقَدَّمَ فَضْلَ
الْعَمَلِ .

نَزَلَ الْمُنْذَرُ بْنُ الْمُنْذَرِ فِي كَتِيبَةٍ مَوْضَعًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَيْتَ الْآلِمْ إِنْ دُبِجَ رَجُلٌ
هَاهُنَا ، إِلَى أَيِّ مَوْضِعٍ يَبْلُغُ دُمُهُ مِنْ هَذِهِ الرَّابِعَةِ ؟ فَقَالَ الْمُنْذَرُ : الْمَذْبُوحُ وَإِنَّهُ أَنْتَ ،
وَلَا تَنْظُرَنَّ أَيْنَ يَبْلُغُ دَمُكَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضَرِهِ : « رَبُّ كَلِمَةٍ يَقُولُ [لِصَاحِبِهَا] دُعِي » .

(١) اتقى في جميع الأمثال اليداني : أن للقاتل هو المظروقه .

(٢) الزيادة عن جميع الأمثال اليداني .

قال زياد على المنبر: إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها ذنب عثر مصور ولو بلغت إمامه سفكت دمه . وقال أكرم بن صبيح: مَقْتُلُ الرَّجُلِ بَيْنَ نَفْسِهِ . وقال الأحنف: حَتَفَ الرَّجُلُ عَجْوَةً تَحْتَ لِسَانِهِ .

باب التوسط في الجدة

- كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من غنى مُبْطِرٍ ومن فقرٍ مُلْبٍ أو مُرِبٍ"^(١)، وكذلك "اللهم لا غنى يُطْغِي ولا فقرٌ يُنْهِي".
- وقال أبو المصنم السلمي: أناسُ ثلاثة أصناف: أغنياء وقراء وأوساط، فالفقراء موقى إلا من أغناه الله بمر القناعة، والأغنياء مُسْكَارَى إلا من عصمه الله بتوحيُّ الغَيْرِ، وأكثرُ الخَيْرِ مع أكثرِ الأوساط وأكثرُ الشرِّ مع الفقراء والأغنياء لِسَخَفِ الْفَقْرِ وبَطَرِ الْغِنَى . ومن أمثال العرب في هذا: «بَيْنَ الْمِخْطَةِ وَالْحَقَاءِ» .

باب الاقتصاد في الاتفاق والإعطاء

- قال الله عز وجل: (وَلَا تَحْمِلْ يَدُكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ)، وقال عز وجل: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .
- حدثني أحمد بن الحليل عن مسلم بن إبراهيم عن سُكَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ» .

وحدثني أيضا عن مسلم قال حدثنا أبو قتادة الخارث بن عبيد قال حدثنا بُرْدُ بْنُ سَيَّانٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: حُسْنُ التَّقْدِيرِ فِي الْمَعِيشَةِ أَفْضَلُ مِنْ نِصْفِ الْكَسْبِ، وَلَقَطَ حَبًّا مَبْثُورًا وَقَالَ: إِنَّ فَهْمَ الرَّجُلِ رَفْعُهُ فِي مَعِيشَتِهِ .

(١) من أب بالمكان يارب به : أقام به ورثه .

قال أبو الأسود لولده: لا تُجَارِدُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ أَجَدُّ وَأَعَجَدُّ، وإنه لو شاء أن يوسع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاجاً لفعل، فلا تُجَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ فِي التَّوَسُّعَةِ قَهْلَكُمْ هَذَا.

قيل لمحمد بن عمران قاضي المدينة — وهو من ولد طلحة بن عبيد الله —: إنك تُسَبِّحُ إلى البخل، فقال: والله إني لا أُجَدُّ في الحق ولا أذُوبُ في الباطل. وكان يقال:

« لا تَصْنُ كثيرًا عن حقٍّ ولا تَتَّقِ قِليلاً في باطلٍ. ومن أشال العرب في ذلك « لا وَكْسَ ولا شَطَطَ » و« إذا جَدَّ السَّوَالُ جَدَّ الْمَنَعُ ». وقال الأشاعر

إِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي * عَلَى كَرَادٍ فِي الظُّلُمَاءِ غَيْرُ لَعِيمٍ

وإِلَّا أَكُنْ كُلَّ الشَّجَاعِ فَإِنِّي * أَرْدُ سِنَانِ الرَّحِمِ غَيْرَ سَلِيمٍ

وقد صِلَتْ عَلَيَا هَوَازَنُ أُنْتَى * فَتَاهَا وَسُفْلَى عَامِرٍ وَنَمِيمٍ

قال معاوية: ما رأيتُ شرفاً قط إلا وإلى جانبه حقٌّ مُضَيِّعٌ.

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حدثني أرياشي قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن عمران قاضي المدينة أن طلحة

كان يقال له: [طلحة] الأخير، وطلحة ألقياض، وطلحة الطائعات وأنه فدى عشرة من أسارى بدر وجاء يمشي بينهم، وأنه سئل برحيم فقال: ما سئلت بهذه الرحم قبل اليوم، وقد بعث حاططاً لي بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخيار، فإن شئت أرتجعته وأعطيتك، وإن شئت أعطيتك منه.

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرني شيخ من مشيختنا، — وربما قال: هارون الأعور — أن قتيبة بن مسلم قال: أرسلني أبي إلى ضرار بن القعقاع بن عبيد ابن زُرَّارة فقال: قل له قد كان في قومك دماء وجراح، وقد أجابوا أن تحضر المسجد فيمن يحضر، قال: فأتيته فأبلغته فقال بإجازية: عديني، فجاءت بأرغفة

(١) زيادة في النسبة الألمانية.

- حُشِنَ فَرْدَتَهُنَّ فِي مَرِيَسٍ ثُمَّ بَرَقَتَيْنِ فَأَكَلَ، قَالَ قَتِيبة : بَخِلَ شَأْنُهُ يَصْطُرُّ فِي عَيْنِي وَنَفْسِي، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَقَالَ : الْحَمْدُ لله، حِنَطَةُ الْأَهْوَازِ وَتَمْرُ الْقَرَاتِ وَزَيْتُ الشَّامِ، ثُمَّ أَخَذَ نَعْلَيْهِ وَأَرْتَدَى، ثُمَّ أَتَانِي مَعِيَ وَأَتَى الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَحْبَبَنِي، فَمَا رَأَيْتُهُ حَلَقَةً إِلَّا تَهَوَّضَتْ إِلَيْهِ، فَاجْتَمَعَ الطَّالِبُونَ وَالْمَطْلُوبُونَ فَكَثَرُوا أَلْكَلامَ، فَقَالَ : إِلَى مَاذَا صَارَ أَمْرُهُمْ ؟ قَالُوا : إِلَى كَذَا وَكَذَا مِنْ إِبِلٍ، قَالَ : هِيَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَامَ .
- المهيم عن ابن عباس قال : كَانَ مَعْدِيكَرِبُ بْنُ أَرْبَعَةَ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى سَرِيرِهِ فَأَتَانِي بَفَتْيَانٍ قَدْ شَرَبُوا الْخَمْرَ، فَقَالَ : يَا أَعْدَاءَ اللهِ، أَتَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ؟ فَقَالَ مَعْدِيكَرِبُ : أَسْأَلُكَ اللهُ أَنْ تَقْضِيَهُ هَؤُلَاءِ^(١)، فَقَالَ : إِنْ أَلْحَقَ فِي هَؤُلَاءِ وَفِي غَيْرِهِمْ وَاحِدًا، فَقَالَ مَعْدِيكَرِبُ : يَا غَلَامُ صَبِّ مِنْ شَرَابِهِمْ فِي الْقَدَحِ، فَصَبَّ لَهُ فَشَرِبَهُ وَقَالَ : وَاللهَ مَا شَرِبْنَا فِي مَنَازِلِنَا إِلَّا هَذَا، فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : خَلَّوْا عَنْهُمْ، فَقِيلَ لَهُ : حِينَ أَنْصَرَفُوا : شَرِبْتَ الْخَمْرَ ؟ فَقَالَ : أَمَا وَاللهَ إِنْ اللهُ لَيَعْلَمُ أَنَّي لَمْ أَشْرَبْهَا قَطُّ فِي مَرٍّ وَلَا عِلَانِيَةً، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يُقْضِيَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ بِمَحْضَرِي .

- وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا قَالَ : مَدَحَ شَاعِرٌ الْيَحْيَى بْنَ سَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ : احْكُمْ، وَظَنَّ أَنَّ هِمَّتَهُ قَصِيصَةٌ، فَقَالَ : أَلَيْفَ نَاقَةٍ، فَوَجَّهَ الْيَحْيَى وَلَمْ يُكِنِّهِ، وَكَرِهَ أَنْ يُقْضِيَ .
- وقال : يَا هَذَا إِنْ بِلَادِنَا لَيْسَتْ بِبِلَادِ إِبِلٍ، وَلَكِنْ مَا قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ
- إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ إِبِلٌ فِعْزَى * كَأَنَّ قُرُونًا جِلَّتْهَا الْعِيَّ^(٢)
- قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ شاةٍ، فَأَتَانِي بِحَيٍّ بْنِ خَاقَانَ، فَأَعْطَاهُ بِكُلِّ شاةٍ دِينَارًا .

- (١) فِي هَامِشِ النُّسخَةِ الْقُتُوبِيَّةِ : « الْمَرِيَسُ تَمْرُوزِيَّةٌ » ، وَفِي الْقَامُوسِ أَنَّهُ التَّمْرُ الْمُرْسُ أَوِ الْبِنِ .
- (٢) بِرَقِ الطَّامِ زَيْتُ أَوْ سَمِينٌ : جَمَلٌ فِيهِ مَهٌ قَلِيلًا . قَامُوسٌ .
- (٣) هَكَذَا بِالنُّسخِ الَّتِي بِيَدِنَا ، وَظَاهِرُ الْكَلَامِ يَتَوَقَّفُ عَلَى « لَا » الْخَاتِمَةِ .
- (٤) فِي الْأَصْلِ بِمَصْرَى وَهُوَ مَحْرُفٌ . (٥) فِي الْأَصْلِ : عِيَّ . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الْهَرَوَانِ وَالْأَخْفَاقِ .

قال : وقدم زائر على أبي دُلَيْف فأمر له بألف دينار وكُسُوة ثم قال - وقال ابن
الشرعبيد الله بن طاهر -

أَعَجَلْنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرَانَا * قُلْنَا وَلَوْ أَهْلَتْنَا لَمْ يَحِلِّ
نَفْذِ الْقَلِيلِ وَكَنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ * شَيْئًا ، وَنَحْنُ كَأَنَّا لَمْ تَفْعَلْ

وقال بعض الشعراء

ليس جودُ الْفَتَيَانِ من فضل مالٍ * إنما الجودُ لِلْقَلِّ الْمَوَاسِي

وقال دَعِيلٌ في نحوه

لئن كنتَ لَا تُؤْتِي يَدًا دونَ إِمْرَةٍ * فليستَ بِمُولٍ نَائِلًا آخِرَ الْآخِرِ
فَأَيُّ إِثْمٍ لَمْ يَقْضَ عِنْدَ مَلِكِهِ ! * وَأَيُّ بَخِيلٍ لَمْ يُنَلِّ سَاعَةَ الْوَفْرِ !
وليس النقي المعطى على اليسر وحده * ولكنه المعطى على اليسر واليسر

ابن الكلبي قال : أخبرني غير واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله
ابنا العباس أن يقسما ميراثهما من أبيهما بمكة ، فدعى القاسم ليقسم ، فلما هذ الجبل
قال له عبد الله : أقيم المِطْمَرُ ، بنى الجبل الذي يَدُ . فقال له عبيد الله : يا أُنْحَى ، النارُ
دارك لا يُمَدُّ وأقنه فيها اليومَ مِطْمَرٌ . وكان يقال : مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ وَالسَّخَاءَ وَالْجِسَالَ
فليأت دار العباس ، كان عبدُ الله أعلم الناس ، وعبيدُ الله أخصى الناس ، والفضلُ
أجمل الناس .

باع عبدُ الله بنُ عبدة أرضاً بمائتين ألفاً ، فقيل له : لو اتخذتَ لولدك من هذا
المال دُخْرًا ! فقال : أنا أجملُ هذا المالَ دُخْرًا لي عند الله ، وأجعلُ الله دُخْرًا
لولدي ، وقسمَ المالَ .

ويقال : إنَّ أَوَّلَ مَا عُرِفَ بِهِ سُؤدَدُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ أَنَّهُ مَرَّ فِي بَعْضِ
طُرُقِ دِمَشْقَ وَهُوَ غَلَامٌ فَارَاطًا فَرَسَهُ صَبِيًّا فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ لَا يَتَحَرَّكُ أَمَرَ غَلَامَهُ

خمله، ثم انتهى به إلى أول مجلس مر به فقال : إن حَتَّ هذا الغلام حَتَّ الموت
فأنا صاحبه، أو طأته قوسى ولم أعلم .

قال عدي بن حاتم لأبْنِ له حَدِيثٌ : قُمْ بِالْبَابِ فَاَمْنَعُ مَنْ لَا تَعْرِفُ وَأَذِّنْ لِمَنْ
تَعْرِفُ، فقال : لا والله، لا يكونُ أوَّلُ شَيْءٍ وَلِيَّتُهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مَتَّعَ قَوْمٌ مِنْ
الطَّعَامِ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ضاف نبي زياد العنسيين ضيف، فلم يشعروا
إلا وقد أحتضن أمهم من خلفها، فرفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقال :
لا يضار الليلة عائدٌ أتي، إنه عاذٌ بحقوقها .

المدائني قال : أحدث رجلٌ في الصلاة خلف عمر بن الخطاب، فلما سلم عمرُ
قال : أعزِمُ على صاحب الضرطة إلا قام فتوضأ وصل، فلم يَمُ أَحَدٌ، فقال جرير
ابن عبد الله : يا أمير المؤمنين أعزِم على فسك وعلينا أن نتوضأ ثم نُعيد الصلاة،
فأما نحن فتصبر لنا نافلة، وأما صاحبنا فيقضى صلاته، فقال عمر : رحمك الله، إن
كنت لشريراً في الجاهلية ففياً في الإسلام .

كان عبد الله بن جُدعان التيمي حين كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يعطى شيئاً
من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : أدن مني، فإذا دامته لعنه ثم قال :
أذهب فاطلب بلمطمتك أو ترضى، فَرَضِيه بنو تيم من ماله . وفيه يقول ابن قيس
الرقياتي — حين غريادة قريش —

والذي إن أشار نحوكَ لعلَّ * تَسعَ اللطم نائلٌ وعطاءُ

وَأبْنِ جُدعانَ هو القاتل

إني وإن لم يتل مالى مدى طُلُقي * وهابٌ ما ملكك كفى من المال

لا أحبسُ المالَ إلا ريتُ أُلِفُّهُ * ولا تُغَيِّرُ حُلَّ عن الحال

الميثم عن حماد الراوية عن مشايخ طي قالوا : كانت عنبه بنت عفيف أم حاتم لا تليق شيئا بخفاء وجودها، فمنها إخوتها من ذلك فابت، وكانت مؤسسة فحسوها في بيت سنة يطعمونها قوتها رجاء أن تكف، ثم أخرجوها بعد سنة وظنوا أنها قد أقصرت ودفنوا إليها صرمة^(١)، فأتتها امرأة من هوازن فسالها فأعطتها الصرمة وقالت : والله لقد مسني من الجوع ما أليت معه ألا أمنع سائلا شيئا، وقالت

لعمري قد ما عصى الجوع عضة * فآليت ألا أمنع الدهر جامعا
فقولنا لهذا ألا نعي الآن أعفى * فإن أنت لم تفعل فقص الأصابع
[فإذا عساكم أن تقولوا لا تختكم * سوى مذكركم أو عدل من كان مانعا]^(٢)
ولا ما تزوت الدهر إلا طيعة * فكيف بركي يا بن أم الطبايع^(٣)

١٠ ابن الكلبي عن أبيه عن رجال طي قالوا : كان حاتم جوادا شاعرا، وكان حينما نزل عرف مثله، وكان ظفيرا إذا قاتل غلب، وإذا غيم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح سبق، وإذا أمر أطلق، وكان أقسم بالله : لا يقتل واحدا منه .

(١) كذا بالتسخين بين مهمة ونون وباء موحدة بعدها . ويواجه ما في الشعر والشعراء المؤلف وعلق عليه ناسره بأنه يرى «عنبه» و«عنبه» أظرف نسخة طيبة أوربا ص ١٢٣ و ١٢٤ ، وفي الأغاني طبع بولاق ج ١٦ ص ٩٧ «عنبه» . وكذا في شعراء النصرانية وعلق عليه الناسر بأنه في رواية الميداني «عنبه» . أظرف نسخة طبع بيروت ص ٩٨

(٢) لا تخفق : لا تمسك .

(٣) القطعة من الأبل واختلف في مدحها من البثرة الى الخمسين .

(٤) زيادة عن الأغاني وشعراء النصرانية .

٢٠ (٥) كذا بالتسخين . وفي الأغاني وشعراء النصرانية : «وماذا ترون اليوم» الخ، وفي هامش نسخة الشعراء والشعراء : «فهل ما ترون اليوم» الخ .

أبو أليقظان قال : أخذَ عيْدُ الله بن زياد عمروة بنَ أذينة^(١) [أخا] أبي بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره ، فقال لأهله ، أنظروا هؤلاء الموكِّلين بي فأحسنوا إليهم فإنهم أضيافكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يك عنده ما سال قال : اكتب عليّ بمسائلك جيلاً إلى أيام يُسرى .

باع أعرابي ناقه له من مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن في يده نظر إليها فذرفت عيناه ، ثم قال

وقد تترعُ الحاجاتُ بأتم معمرٍ * كراتمٍ من ربِّ زينَ ضنين

- فقال له مالك : خذ ناقك وقد سوغتك الثمن . اشترى عيْدُ الله بن أبي بكره جاريةً نفيسةً فطليقت دابةً فحمل عليها فلم تُوجد ، فجاء رجل بدايةً فحملها ، فقال له ١٠ عيْدُ الله : اذهب بالجارية إلى منزلك . باع ثابت بن عيْدُ الله بن أبي بكره دار الصفاق من مقاتل بن مسمع نسيئةً ثم اقتضاه فلزمه في دار أبيه ، فراه عيْدُ الله فقال : مالك ؟ قال : حبسني ابنك . قال : يم ؟ قال : بنين دار الصفاق ، قال : ياناب ؟ أما وجدت لقرماتك محسباً إلا داري ، إذفع إليه صكه وأعوضك . قيل لرجل : مالك تنزل في الأطراف ؟ فقال : منازل الأشراف في الأطراف يتناولون ما يريدون بالقدرة ١٥ ويتناولهم من يريدهم بالحاجة . لما كبر عدي بن حاتم أتاه برد الأرض وكان رجلاً

(١) كذا بالسنتين الألمانية والنعوجرافية وهو مخوف عن "أذينة"، وعمروة بن أذينة هذا هو الذي قتله عيْدُ الله بن زياد بن أبي سفيان فيمن قتل من اللوارج سنة ٥٨ هجرية . أنظر تاريخ ابن جرير الطبري طبع أوروبا المجلد الثاني من القسم الثاني ص ١٨٥ و ١٨٦ والكمال طبع أوروبا ص ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ .

(٢) هذه القصة ساقطة بالألمين سهواً من النسخ لأن المكتبي أبي بلال إنما هو أخوه مرداس بن أذينة لا هو . أنظر ابن جرير أيضاً في ص ١٨٥ والمعارف لابن خزيمة ص ٢٠٩

لِحَيَاةٍ فَهَشَّتِ الْأَرْضُ فَنَفَذَ بِهِ بَجْعَ قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا بَنِي مُعَلٍّ ، إِنِّي لَسْتُ بِمُجْرِمِكُمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا
 ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ أَبِي بِمَكَانٍ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، بَنَى لَكُمْ الشَّرَفَ وَبَنَى عَنْكُمْ الْعَارَ .
 فَاصْبِرْ الطَّائِفُ إِذَا ضَلَّ خَيْرًا قَالَ الْعَرَبُ : مِنْ حَتَّى لَا يُحْسَدُونَ عَلَى الْجُودِ وَلَا يُعْدَرُونَ
 عَلَى الْبُخْلِ ، وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ السَّنِّ مِائَتُونَ وَأَذَانِي بَرْدُ الْأَرْضِ فَادْنُوا لِي فِي وِطَاءِ فَوَائِهِ
 ٥ مَا أُرِيدُهُ نَفَرًا عَلَيْكُمْ وَلَا احْتِقَارًا لَكُمْ ، وَمَا خُيِّرَكُمْ : مَا عَلَى مَنْ وَضَعَ طِفْئَةَ وَقْعِدَةٍ
 حَوْلَهُ إِلَّا أَنْ الْحَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ فِي عِرْضِهِ وَيَخْذَعُ فِي مَالِهِ وَلَا يَحْسَدُ شَرِيفًا وَلَا يَحْقِرُ
 وَضِعًا ، فَقَالَ الْقَوْمُ : دَعْنَا الْيَوْمَ ، ثُمَّ خَذُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَرِيفِ ضَعْ الطِّفْئَةَ
 وَالْأَيْسَ التَّاجَ ، فَبَلَغَ ابْنَ دَارَةَ الشَّاعِرَ فَأَتَاهُ وَقَالَ : قَدْ مَدَحْتُكَ ، فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ
 حَتَّى أَتَبَيَّنَكَ بِمَالِي فَمَدَحَنِي عَلَى حَسَبِهِ ، لِي أَلْفُ ضَائِيَةٍ وَأَلْفَا دِرْهَمٌ وَثَلَاثَةُ أَعْبِيدَ^(١) ،
 وَفَرَسِي هَذَا حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، هَاتِ الْآنَ فَقَالَ

تَمَحَّنْ قُلُوبِي فِي مَعَدٍّ وَإِنَّمَا * ثَلَاثِي الرِّبْعُ فِي دِيَارِ بَنِي مُعَلٍّ
 وَأَبْنَى الْأَيَّالِي مِنْ عَدِي بْنِ حَاتِمٍ * حُسَامًا كَلَوْنَ الْمَلْحِ سَلَّ مِنْ الْخَلَلِ^(٢)
 أَبُوكَ جَوَادٌ مَا يُسْقَى غُبَارُهُ * وَأَنْتَ جَوَادٌ لَسْتَ تُعَدَّرُ بِالْعِلَلِ
 فَإِنْ تَفْعَلُوا شَرًّا فَتُكَلِّمُ أَتَقِي ، وَإِنْ تَفْعَلُوا خَيْرًا فَتُكَلِّمُ فَعَمَلٌ

فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ ، لَا يَبْلُغُ مَالِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَشَاطِرُهُ مَالَهُ .

جاء رجل الى معنٍ فاستحملة عيرًا فقال معنٌ : إِيْغْلَامُ أَعْطَاهُ عَيْرًا وَبَنَلًا وَرُذَوْنَا وَفَرَسًا
 وَهَبِيرًا وَجَارِيَةً ، وَلَوْ عَرَفْتُ مَرْكُوبًا غَيْرَ هَذَا لَأَعْطَيْتُكَه . وَكَانَ يُقَالُ : حَدَّثَ عَنْ
 الْبَحْرِ وَلَا حَرْجَ وَعَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرْجَ وَعَنْ مَعْنٍ وَلَا حَرْجَ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبَ
 لِلْحَكَمِ بْنِ عَوَّانَةَ وَهُوَ عَلَى السَّنَدِ : إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ ، فَقَالَ الْحَكَمُ : وَاللَّهِ لَأُعْطِيَنَّكَ عَطِيَّةً

(١) فِي الْمَقْدُودِ ، ج ١ ص ١١٧ زِيَادَةُ «ثَلَاثَ إِبَاه» .

(٢) رَوَاةُ الْمَقْدُودِ ، ج ١ ص ١١٧ «كَصَلَّ السِّيفُ» .

لا يُعطى العبد فأعطاه مائة رأس من السبي. وقرأت في بعض كتب المعجم أن جامات كسرى التي كان يأكل فيها كانت من ذهب، فسرق رجلٌ من أصحابه جاما وكسرى ينظر إليه، فلما رُفعت المواثِدُ اتَّفَقَ الطَّبَاخُ الجَسَامُ فَرَجَعَ يَطلبها، فقال له كسرى : لا تَتَمَنَّ فَقد أَخَذَهَا مَنْ لا يَرُدُّهَا وَرَأَاهُ مَنْ لا يُقْبِئِي عَلَيْهِ ، ثم دخل عليه الرجلُ بعد ذلك وقد حَلَّى سَيْفَهُ وَمِنْطَقَتَهُ ذُجْبًا ، فقال له كسرى بالفارسية : يا فلان هذا ، يعني السيف ، مِنْ ذاك قال : نعم وهذا ، وأشار إلى مِئْطَقَتِهِ . قالوا : لم يكن لخالد بن برمك أَخٌ إِلَّا بَنِي لَهُ دارا على قدر كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يُعِيشُهُمْ أَبَداً ولم يكن لإخوانه وَلَدٌ إِلَّا مِنْ جاريةٍ هُوَ وَهَبَهَا لَهُ .

بلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع دارا له لعين ركبته وكان يجلس في ظل داره، فقال : ما قُتُّ إِذَا بِمِجْمَعةٍ ظَلَّ داره إن باعها مُعَدِّمًا وَبِتَّ واجداً، فحمل إليه ثمن الدار وقال : لا تَبِيعْ . قال أبو اليقظان : باعَ تَبِيكُ بْنُ مالِكِ بْنِ معاويةَ إِبْلَهَ وَأَطْلَقَ بَيْتَهَا إِلَى بَنِي فُجَلٍ يُنْبِئُهُ ، والناسُ يقولون : مجنونٌ، فقال : لستُ بِمَجْنُونٍ وَلَكِنِّي سَمِعْتُ أُهَيِّمُكُمْ مَالِي إِذَا عَزَّ الْفَتْحُ . قال : وأتى عبد الله بن جعفر قَهْرَمَانُهُ بِحِسابِهِ فَكَانَ فِي أَوَّلِهِ حَبْلٌ بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا ، فقال عبد الله : لَقَدْ غَلَبَ الْحَبَالُ ، فقال الْقَهْرَمَانُ : إِنَّهُ أَبْرَقُ ، فقال عبد الله : إن كان أَبْرَقَ فَأَنَا أَجْزَرُهُ ، فهو الآنَ مَثَلُ مَضْرُوبٍ بِالْمَدِينَةِ . كان أبو سفيان إذا نزل به جار ١٥ تال له : يا هذا ، إِنَّكَ قَدْ اخْتَرَقَنِي جَارًا بِخَنَائَةٍ يَدُكَ عَلَى دُونِكَ ، وَإِنْ جَنَّتْ عَلَيْكَ يَدٌ نَاحَكُمُ عَلَى حَكْمِ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ . وقال بعض الشعراء — يُنْبِئُ عَلَى قَوْمٍ بِمَحْنِ الْجَوَارِ —

هُمُ خُلَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَدَافَعُوا * وَرَأَى بَرَكِي ذِي مَنَاقِبٍ مِدْفَعٍ
وَقَالُوا تَعْلَمُ أَنَّ مَالِكَ إِنْ يُصَبُّ * يَمُدُّكَ وَإِنْ تُحْبَسَ يَرُدُّكَ وَيَسْتَفِيعُ

وروى عبد الله بن بكر السهمي عن حاتم بن أبي صغيرة عن حبيب بن أبي ثابت ٢٠ أن الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وعياش بن أبي ربيعة خرجوا يوم اليرموك

حَتَّى أَتَبَوُّا، فَنَدَا الْحَارِثُ بَنَ هِشَامَ بَاءَ لِيُشْرِبَهُ، فَظَنَرَ إِلَيْهِ عِكْرَمَةُ فَقَالَ: ادْفَعْهُ إِلَى عِكْرَمَةَ
فَنَظَرَ إِلَيْهِ عِيَّاشٌ فَقَالَ عِكْرَمَةُ: ادْفَعْهُ إِلَى عِيَّاشٍ، ثُمَّ وَصَلَ إِلَى عِيَّاشٍ حَتَّى مَاتَ وَلَا جَادَ
إِلَيْهِمْ حَتَّى مَاتُوا، فَسُمِّيَ هَذَا حَلِيبَ الْكَرَامِ. وَهَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي مَوْضُوعٌ لِأَنَّ أَهْلَ
السَّيْرِ يَذْكُرُونَ أَنَّ عِكْرَمَةَ قُتِلَ يَوْمَ أَجْنَادِينَ وَعِيَّاشٌ مَاتَ بِمَكَّةَ، وَالْحَارِثُ مَاتَ
بِالشَّامِ فِي طَاعُونِ عُمَوَّاسٍ ^(١).

أَعْطَى رَجُلٌ أَمْرَأَةً سَائِلَةً مَا لَا عَظِيمًا، فَلَامَوْهُ وَقَالُوا: إِنَّهَا لَا تَعْرِفُكَ وَإِنَّمَا كَانَ
يُرِضِيهَا الْيَسِيرُ، فَقَالَ: إِنْ كَانَتْ تَرْضَى بِالْيَسِيرِ فَأَنَّى لَا أَرْضَى إِلَّا بِالْكَثِيرِ وَإِنْ كَانَتْ
لَا تَعْرِفُنِي فَأَنَا أَعْرِفُ نَفْسِي.

قال بعض الشعراء

وَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يَبْقَى الذَّمُّ رَبُّهُ * وَنَفْسٍ أَمْرِي فِي حَقِّهَا لَا يَبْقَاهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقَّى إِلَى أَحْوَرٍ * وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَهِنٍ ^(٣) حَالِي

نَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي بِخَيْلٍ * وَمَالِي لَا يَسْلُفُنِي ^(٤) فَعَالِي

وقال أيضا

وَلَا أَقُولُ نَعَمْ يَوْمًا فَأَتْبِعُهَا * مَتْنًا وَلَوْ ذَهَبَتْ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ

وَلَا أَؤْمِنْتُ عَلَى سِرٍّ فَبَحْتُ بِهِ * وَلَا مَدَدْتُ إِلَى غَيْرِ الْجَبِيلِ يَدِي

وقال كعب بن سعد التميمي

وَذِي نَدَبٍ دَامِيَ الْأَظْلَ ^(٥) قَسَمْتُه * مَحَافِظَةً بَنَى وَيَسَّرَ زَيْمِيلِي

(١) هكذا فتح آتله وسكون ثانيه كما في التاج وكما قل هو عن الرض الآت السبيل، ثم قل

أن أصحاب الحديث يحركون الميم وأن البكري في صحيحه ضبطها كذلك. (٢) هو عبد الله بن جعفر كما

في المقد الفريد ج ١ ص ١١٢ (٣) أقي في ديوان الحماسة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزي «مال».

(٤) في الأصول «ليس يله» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الحماسة مع شرح

التبريزي ج ٣ ص ١٠٢ (٥) الأظلم بطن الأصغر من الإنسان، ومن الإبل بطن النمس.

وزاد رفعت الكف عنه مجلًا * لأوثر في زادي على أكيلي
وما أنا لاشي الذي ليس نافي * وينضب منه صاحي يقوول

وقال زهير

وأبيض قياض يده غمامة * على معفيه ما تُفب نوافله
غدوت عليه غدوة فوجدته * قعوداً لديه بالصريم عواذله
فأعرضن منه عن كريم مرزأ * جموع على الأمر الذي هو قاعله
أحي ثقة لا تُثبب الخمر ماله * ولكنه قد يثبب المال نائله
تراه اذا ما جتته مهللاً * كأنك تُعطيه الذي أنت سائله

المدايني قال : أضل فيروز بن حصين سوطه يوماً ، فأعطاه رجل سوطاً فأمر له
بالف درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط فأمر له بالف
درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط ، قال : أعطه
ألف درهم ومائة سوطاً فأنقطع عنه . قال الشاعر

إني حصدت نبي شيطاناً إذ حصدت * نيران قومي فثبت فيهم النار
ومن تكرمهم في الخيل أنهم * لا يحسب الجار فيهم أنه جار

وقال آخر

نزلت على آل المهلب شاتياً * بعيداً قصي النار في زمن حبل
فما زال في الطائفهم وأفقادهم * وإكرامهم حتى حسبتهم أهل

وقال آخر

إذا كان لي شيطان يا أم مالك * فإن لجاري منهما ما تحيرا

(١) في الأصل « لا يذهب الجند » وهو تحريف ، والتصويب عن الديوان والشعر والنسب لابن زبينة .

وقال عمرو بن الأَتم

دَرَبِي فَاتَّ الشَّحَّ^(١) يَا أُمَّ هَيْمَ * لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
دَرَبِي وَحَطَّ^(٢) فِي هَوَايَ فَاَتَنَى * عَلَى الْحَسَبِ الْعَالِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ^(٣)
وَمُسْتَمْنَحٍ بَعْدَ الْمُدْوَةِ دَعْوَتُهُ * وَقَدْ كَانَ مِنْ سَارَى الشَّنَاءِ طُرُوقُ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا * فَهَذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقُ
أَضَفْتُ فَلَمْ أَخْشَ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ * لِأَخْرَمِهِ إِنَّ الْفِتَاءَ مَضِيقُ
لَتَمُرَّكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا * وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضِيقُ

كَانَ يُقَالُ : لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ثَوْبٌ لِعَارِي بْنِ حَاشِمٍ ، وَجَفَنَةٌ بِلَاحِهِ
وَيَقَطَّرَةٌ بِلَاحِهِمْ . قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ^(٤)

وَلَوْ خَذَلْتُ أَمْوَالَهُ جُودَ كَفَّهُ * لَقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ بَعْضَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَحْدِ فِي الْمُتَمَرِّقِ لَزَائِرُ * بِلَادَ لَهُ بِالشَّطْرِ مِنْ حَسَنَاتِهِ

وقال الفرزدق

إِنَّ الْمَهَابَةَ الْكَرَامَ تَحْمَلُوا * دَفَعَ الْمَكَارَهَ عَنْ ذَوَى الْمَكْرُوهِ
زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحَسَنِ حَدِيثِهِمْ * وَكَرِيمَ أَخْلَاقٍ بِحَسَنِ وَجْهِهِ

كَانَ يُقَالُ : الشَّرْفُ فِي السَّرْفِ . قَالَ طَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ

إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ يَوْمًا مُلْبِئَةً * تَسُوقُ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةً إِيَّانَا

(١) في الأصل «الشَّحَّ» وهو تمزيق والتصويب عن شرح ديوان الحماسة للثيريزي، ج ٤ ص ٩٤

(٢) في الأصل : حَطَّ بالفاء المعجمة ، والتصحيح عن شرح ديوان الحماسة للثيريزي، ج ٤ ص ٩٤

وتاج العروس في مادة «حَطَّ» ويقال كما في أساس البلاغة : «حَطَّ في هواه وأخطأ فيه» أي اندفع فيه

والمراد منه في البيت مساعدة على الجود . (٣) الذي في شرح ديوان الحماسة للثيريزي ج ٤ ص ٩٤

«الزَّاك» . (٤) هي خشبة فيها ثروق كل ثروق على قدرمة الساق يدخل فيها أربيل المحبوسين .

دَلَقْنَا لَهَا حَتَّى قَعَوَ مَيْلَهَا * وَلَمْ نَهْدَ عَنْهَا بِالْأَسَةِ أَوْ تَهْدَا
وَكَمْ مُطَهِّرٍ بَغْضَانَا وَدَّ أَنْسَا * إِنْ أَمَا التَّقِينَا كَانَ أَخْفَى الَّذِي أَبْدَى
مَطَاعِمُ فِي الْأَلَا وَمَطَاعِينَ فِي الْوُغَى * شِمَائِلُنَا تَشِي وَأَيْمَانُنَا تَشْدَى

وقال حاتم طي

- أَكْفُ يَدِي مِنْ أَنْ تَتَلَّأ كُفَّهُمْ * إِنْ أَمَا مَدَدَتَاهَا وَحَاجَتُنَا مَعَا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى * مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا

وقال جابر بن حبان^(١)

- فَإِنْ يَنْقَسِمُ مَالِي بَيْنِي وَنَسَوِي * فَلَنْ يَقْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَعْلِي^(٢)
وَمَا وَجَدَ الْأَضْيَافُ فِيمَا يُنَوِّهُهُمْ * لَمْ عِنْدَ عَلَاتِ الْغُفُوسِ أَبَا مِثْلِي^(٣)
أَهْنِ لَمْ مَالِي وَأَعْلَمُ أَتَى * سَأُورِثُهُ الْأَحْيَاءَ سِيرَةً مِنْ قَبْلِي

- كان سعيد بن عمرو مؤاخيا ليزيد بن المهلب، فلما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد
ومنع من الدخول عليه، أتاه سعيد فقال: يا أمير المؤمنين، لي على يزيد خمسون ألف
درهم وقد حُلَّتْ بَنِي وَبَنَاتُهُ، فإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْتِنِي لِي فَأَقْضِيهِ؟ فَإِنَّ لَهُ فِدْخَلًا عَلَيْهِ
فَنَسَرَّ بِهِ يَزِيدُ، وَقَالَ: كَيْفَ وَصَلْتَ إِلَيَّ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ يَزِيدُ: وَاللَّهِ لَا تَخْرُجُ إِلَّا وَهِيَ
مَمْلُوكَةٌ فَامْتَنِعْ سَعِيدٌ خَلَفَ يَزِيدُ لِقَبْضَتِهَا، فَقَالَ عَدِي بْنُ الرَّقَّاعِ

١٥

(١) كذا في الأصل . ورواية الحماسة مع شرح التبريزي ج ٤ ص ١١٨

أَكْفُ يَدِي عَنْ أَنْ يَتَلَّأ كُفَّهُمْ * أَكْفُ يَدِي حِينَ حَاجَتُنَا مَعَا

(٢) هكذا في الأصول «حَبَان» بالياء، الموحدة . والحق في ديوان الحماسة مع شرح الخطيب التبريزي

ج ٤ ص ١١٦ «حَبَان» بالياء، الثلاثة . (٣) في شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ج ٤ ص ١١٦

• «وإِنِّي» . (٤) الذي في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١١٧ «وَعِلَاتُ الزَّهَانِ» .

٢٠

لم أر محبوباً من الناس واحداً * حباً زائراً في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازته * بخمسين ألفاً تجلّت لسعيد
وقال بعض الشعراء

وإني لحلال في الحق، أتقى * إذا نزل الأضياف أن أتجهما
إذا لم تكذب البائها عن الحومها * حلياً لهم منها بأسافنا دما

دخل شاعر على المهدي فامتدحه، فأمر له بال فلما قبضه فزقه على من حضر وقال
لمست بكفى كفه أبتغي النفي * وما خلت أئام الجود من كفه بعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو النفي * أفنت وأعداني فبذت ما عندي

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون الماشي قال ، أخبرني وكيع قال حدثني
أبو العيئة قال : كان بالبصرة لنا صديق يهودي وكان ذا مال وقد تأدّب وقال الشعر
وعرف شيئاً من العلوم وكان له ولدٌ ذكورٌ، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفزقه على
أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميراثاً فعوتب على ذلك فقال

رأيت مالى أبر من ولدي * فاليوم لا نخلة ولا صدقة
من كان منهم لما فابعد الله ومن كان صالحاً رزقه

وحدثني الأخفش بهذا الخبر عن المبرد عن الرياشي والله أعلم

نجز الجزء الثالث وبه ينتهي المجلد الأول ويتلوه في أول المجلد الثاني
الجزء الرابع وبه كتاب الطبائع

دَارُ الْكِتَابِ الْمَدِينَةِ

الْقِسْمُ الْأَدَبِيُّ

كُتُبَانِي

عَبْدُ اللَّهِ الْأَخْبَارُ

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثاني

كتاب الطوائف والأخلاق المذمومة - كتاب العلم والبيان - كتاب الزهد

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٢٨ - ١٣٤٦ هـ

فهرست

المجلد الثانى من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة

صفحة

١	تشابه الناس فى الطبائع وذمهم
٥	رجوع المتخلق الى طبعه
٧	باب الشيء يفرط فينتقل الى غير طبعه
٨	باب الحسد
١٢	باب التوبة والعيوب
٢٠	باب السعاية
٢٥	باب الكذب والقصة
٣٠	باب سوء الخلق وسوء الجوار والسياب والشر
٣٧	باب الحق
٦٢	طبايع الانسان
٦٩	ما قص خلقه من الحيوان
٧٠	المشركات من الحيوان
٧١	المتعاضيات
٧١	الأمثال المضروبة بالطبايع
٧٣	الأنعام
٧٨	السباع وما شاكلها

صحيفة

٨٢	التشب
٨٣	القيـل
٨٣	الفهد
٨٣	الأرنب
٨٤	القرود والذب
٨٤	مصايد السباع العادية
٨٥	النعام
٨٨	الطير
٩٢	البـيض
٩٢	الخفاش
٩٣	الخطاف والزرزور
٩٣	العقاب والحدأة
٩٤	الغراب
٩٤	القطا
٩٤	باب مصايد الطير
٩٥	الحشرات
١٠٥	النبات
١٠٨	المجارة
١٠٩	الجن

كتاب العلم والبيان

١١٧	العلم
١٣٠	الكتب والحفظ
١٣١	القـرآن

صفحة	
١٣٤	الحديث
١٤٠	الأهواء والكلام في الدين
١٥٢	الرد على الملحدين
١٥٥	الإعراب واللمح
١٦١	التشادق والغريب
١٦٦	وصايا المعلمين
١٦٨	البيان
١٨١	الاستدلال بالعين والإشارة والنصبة
١٨٢	الشعر
١٨٦	حسن التشبيه في الشعر
١٩١	الآيات التي لا مثل لها
١٩٧	التلطف في الكلام والجواب وحسن التبريض
٢١٥	مقطعات ألفاظ تقع في الكتاب والكلام
٢٢٥	ألفاظ تقع في كتب الأمان
٢٢٦	ألفاظ تقع في كتب اليهود
٢٣١	الخطب
٢٣١	خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه
٢٣٢	خطبة لأبي بكر أيضا
٢٣٣	خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة
٢٣٤	خطبة لأبي بكر رضي الله عنه
٢٣٤	خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
٢٣٥	خطبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه
٢٣٥	خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
٢٣٦	خطبة عليّ بعد مقتل عثمان

صفحة	
٢٣٦	خطبة أيضا لعلى رضى الله عنه
٢٣٧	خطبة لمعاوية رضى الله عنه
٢٣٨	خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية
٢٣٩	خطبة لعنبة بن أبى سفيان
٢٣٩	خطبة لعنبة أيضا
٢٤٠	خطبة لمبد الله بن الزبير
٢٤١	خطبة زياد البتراء
٢٤٣	/ خطبة للمهاج حين دخل البصرة
٢٤٤	/ خطبة للمهاج أيضا
٢٤٥	/ خطبة أخرى للمهاج حين أراد الحج
٢٤٥	/ خطبة للمهاج أيضا
٢٤٦	خطبة لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
٢٤٦	خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد
٢٤٧	م خطبة للمهاج
٢٤٧	خطبة سليمان بن عبد الملك
٢٤٨	م خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد
٢٤٩	خطبة أبى حمزة الخارجى
٢٥٠	خطبة لقطرى الخارجى
٢٥١	وفى خطبة ليوسف بن عمر
٢٥١	/ وفى خطبة للمهاج
٢٥١	خطبة للتصور
٢٥٢	خطبة لداود بن على
٢٥٢	خطبة لداود بن على أيضا
٢٥٣	خطبة لأعرابي

صفحة	
٢٥٣	خطبة المأمون يوم الجمعة...
٢٥٤	وفي خطبة المأمون يوم الأضحي بعد التكبير الأول ...
٢٥٥	وفي خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول ...
٢٥٦	كلام من أربج عليه ...
٢٥٨	المنابر ...

كتاب الزهد

٢٦١	ما أوحى الله جل وعز الى أنبيائه عليهم السلام ...
٢٧٧	الدعاء ...
٢٩١	المناجاة ...
٢٩٣	باب البكاء ...
٢٩٨	التهجد ...
٣٠٢	الموت ...
٣١٩	الكبر والمشيب ...
٣٢٧	الدنيا ...

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

٣٣٣	مقام صالح بن عبد الجليل بن يدي المهدي ...
٣٣٣	مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور ...
٣٣٦	مقام آخر والمنصور بخطيب ...
٣٣٧	مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور ...
٣٣٧	مقام أعرابي بين يدي سليمان ...
٣٣٨	مقام أعرابي بين يدي هشام ...
٣٣٨	مقام الأوزاعي بين يدي المنصور ...

صفحة	
٣٤١	مقام خالد بن صفوان بن يدى هشام
٣٤٣	مقام محمد بن كعب القرظى بن يدى عمر بن عبد العزيز
٣٤٣	مقام الحسن عند عمر بن هيرة

باب من المواعظ

٣٤٤	كلام الحسن
٣٤٤	كلام لبعض الزهاد
٣٤٥	كلام لنيلان
٣٤٦	كتاب رجل الى بعض الزهاد
٣٤٦	وكتب رجل من العباد الى صديق له ، وجواب صديقه عليه
٣٥٠	موعظة مستعملة
٣٥١	موعظة لعمر بن عتبة
٣٥١	صفات الزهاد
٣٥٨	كلام من كلام الزهاد

كتاب

الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابه الناس في الطبائع وذمهم

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يحيى بن هاشم القسائي عن إسماعيل بن أبي خالد عن مُصعب بن سعد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الناس بأزمانهم أشبهُ منهم بأبائهم . قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان قال قال أبو الدرداء : «وجدتُ الناس أخيرَ قَتهُ» .
- قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا مُريحُ بن النعمان عن المُعافي بن عمرانَ عمرَ ابن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بقوم يتبعون رجلاً قد أخذ في رِيبة فقال : لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا في الشر .
- قال وحدثني محمد بن داود قال ، حدثنا الصُّلبيُّ بن مسعود قال حدثنا عَتَّامُ ابن علي عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عبيدة أن الوليد السُّوائي قال : لَقَطَ قومٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : يا رسول الله لو نَبَّهْتُم ! فقال : «لو نَبَّهْتُم أن يأتوا الجحونَ لأُتاه بعضهم ولو لم تُكُنْ له حاجةٌ» .
- (١) القتل للبعض وهو من باب ضروري ورضي والماء فيه السكت اذا أصابه اخبر الناس قتلهم فغذ الضير وجل محله الماحقة روى برفق الناس على الحكاية كقولهم « سميت الناس يتجسون غيثاً » البيت . ومناه وجدت : الناس مقول فهم ذلك . وروى أيضاً بنصه ، وتقديره وجدت : الناس أخيرَ قَتهُ أي وجدت الأمر كذلك ، وعلى كل حال فقفه فقط الأمر ومناه الخبر ، يريد أنك اذا خبرتهم فليهم ، وهو مثل يضرب في ذم الناس وسوء سافرتهم .

قال وحَدَّثَنَا عَنْ عَفَّانَ عَنْ مَهْدِيَّ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ غِلَّانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ قَالَ مَطْرُفُ :
 هَمَّ النَّاسُ وَهَمَّ النَّسَنَاسُ وَنَاسٌ غُمُّسُوا فِي مَاءِ النَّاسِ .
 قَالَ يُونُسُ بْنُ عُيَيْدٍ : لَوْ أَمَرْنَا بِالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا .

وَكُنْ يَقَالُ : لَوْ نَهَى النَّاسُ عَنْ فَتِّ الْبَعْرِ لَفَتَّوْهُ ، وَقَالُوا : مَا نُنَبِّئُ عَنْهُ إِلَّا فِيهِ شَيْءٌ . وَقَالَ الشَّاعِرُ

وَلِمَا أَنْ أُنِيتُ بَنَى جُورِي ، جَلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسُ
 يَنْسُتُ مِنَ الَّتِي أَقْبَلْتُ أَبْنَى ، لَيْسَ لِي ، إِنِّي رَجُلٌ يَشُورُ
 إِذَا مَا قُلْتُ أَهْمُ لِي لَيْ ، تَشَابَهَتِ الْمُنَاكِبُ وَالرَّيَوسُ
 وَيَقَالُ : «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا تَبَايَنُوا فَلِذَا تَسَاوَوْا هَلَكُوا»^(١) .

وَقَالَ آخَرُ

النَّاسُ أَسْوَأُ وَشَيْءٌ فِي الشِّمِّ * وَكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ بَيْتُ الْآلِدَمِ

وَقَالَ آخَرُ - يَذْكُرُ قَوْمًا -

سَوَاءٌ كَأَسْتَانَ الْجَمَارِ وَلَا تَرَى * لَدَى شَيْءٍ مِنْهُمْ عَلَى تَأْخِيْرِ فَضْلَا^(٢)

وَقَالَ آخَرُ «سَوَاسِيَةُ كَأَسْتَانَ الْجَمَارِ»^(٣)

وَكُنْ يَقَالُ «الْمَرْءُ تَوَاقُّ إِلَى مَا لَمْ يَنْتَلِ»^(٤)

وَالصَّحْمُ يَقُولُ : كُلُّ عَزٍّ دَخَلَ تَحْتَ الْقُدْرَةِ فَهُوَ ذَلِيلٌ .

(١) أوردته المبدئي في جميع الأثقال بلفظ «لن يزال الناس» الخ وساته ابن الأثير في النهاية والمرغص في تاج العروس على أنه حديث وأورداه بلفظ «لن يزال الناس بخير ما تفاخروا» الخ .

(٢) رواه في اللسان : الناس أعياف الخ ، والأعياف الضروب المختلفة في الأخلاق والأشكال .

(٣) كذلك بالأصل . وفي اللسان «سواس» والبيت منسوب نحوه لكثير .

(٤) كذلك بالأصول : نقي اللسان «فأ» . وفي جميع الأثقال «فلا» ، ولا يخفى أن الفاء هنا أحسن موقعاً من الواو وأنسب للسياق . (٥) كلاهما مثل كما في جميع الأثقال ولسان العرب .

وقالوا: كلُّ مقدورٍ عليه مملوءٌ محذورٌ .

وقال الشاعر

وزاده كَلَفًا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعَتْ * أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا

وقال آخر

تَرَى النَّاسَ أَسْوَأَ إِذَا جَلَسُوا مَعًا * وَفِي النَّاسِ ذَيْفٌ مِثْلُ ذَيْفِ الدَّرَاهِمِ .
وقال : النَّاسُ سَيْلٌ وَأَسْرَابٌ طَيْرٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

وقال طرفة

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَاتُهُ * لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاصِفَةً
كُلُّهُمْ أَرْوَعٌ مِنْ تَعْلِبٍ * مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

وقال آخر

فَإِنَّكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ حَوْلٍ * أَطْلُبِي كَانَ أَمَّكَ أَمْ حِمَارُ
فَقَدْ لَحِقَ الْأَسَافِلُ بِالْأَعَالِي * وَمَا جِئْتُ الْيَوْمَ وَأَخْتَلَطُ النَّجَارُ
وَعَادَ الْعَبْدُ مِثْلَ أَبِي قُبَيْسٍ * وَسِيقَ مَعَ الْمُطَهَّجَةِ الْمِشَارُ^(١)
يقول : سِيقَتِ الْإِبِلَ الْحَوَامِلُ فِي مَهْرِ اللَّيْثَةِ .

(١) كذا بالأصول . وفي لسان العرب في مادة «حب»

* وَحَبَّ شَيْئًا إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا *

وأصله حَبَّ بِضَمِّ الْبَاءِ ثُمَّ أَسْكَنْتِ وَأَدْغَمَتْ فِي الثَّانِيَةِ ، وَمَا فِي قَوْلِهِ مَا مُنِعَا فِي مَوْضِعِ الرِّفْعِ بِحَبَّ .

(٢) وفي رواية حكاه صاحب خزنة الأدب في ج ٣ ص ٢٣١ «الفتد» بكسر الفاء وسكون النون بدل العبد، وقصره بأنه قطعة من الجبل طولاً، وقيل الجبل العظيم . وأبو قيس جبل بمكة والمراد به الرجل الشريف كما يراه بالفتد الرجل الرضيع .

(٣) المطهجة : المرأة التيئة الأمل الفاسدة القصب . ورواه سيوري في كتابه عن خدش بن زهير

ج ١ ص ٢٣ . * وبأربع المطهجة المشار .

قال أبو محمد: بلغني عن إسماعيل بن محمد بن محمد بن محمد عن أبيه، قال: كنت عند الحسن فقال: أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا، صيان حيارى ما لم تهاقدوا [عقولهم] ^(١) وفراش نار وذبان طمع.

وقال أبو حاتم عن الأصمعي: لو قسمت في الناس مائة ألف درهم كان أكثر للآثمي من لو أخذتها منهم ^(٢).

ونحوه قول محمد بن الجهم: منع الجميع أرضى للجميع.

وقال ابن بشير

سوءة الناس كلهم * أنا في هذا من أولهم

لست تدري حين تسبهم * أين أذناهم من أفضليهم

وقال نهار بن قوسمة

عبت على سلم فلما فقدته * وجرت أقواما بكيت على سلم

وهذا مثل قولهم: ما بكيت من زمان إلا بكيت عليه.

وقال الأخنف بن قيس

وما مر يوم أرتجى فيه راحة * فأخبره إلا بكيت على أميس

وقال آخر

ونعيت أحيانا عليه ولو مضى * لكنا على الباقي من الناس أعتبا

وقال آخر

سبكا ونحسبه بلينا * فأبدى الكبير عن خبث الحديد

قال، وحديث أبو حاتم، قال حدثني الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال:

لا يزال في الناس قية ما تعجب من العجب.

(١) الزيادة عن القند الفريد ج ١ ص ٣٧٧ (٢) في النسخة المتوفرة «أن» بدل من.

رجوع المتخلق الى طبعه

بلغني أن أمراييا ربي يروى ذنب حتى شب وظن أنه يكون أغنى عنه من
الكلب وأقوى على الذنب عن الماشية فلما قوى وشب على شاة قتلها وأكل منها
فقال الأعرابي

أَكَلْتُ شُوبِي وَرَيْتَ فَيَا * لِمَا أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ

ويروى

* وَلَيْتَ بَقْفَرَةٍ وَتَشَأْتُ عِنْدِي *

إنما كان الطباع طبع سوء * فليس ينفع أدب الأديب^(١)

وقال الخريجي

يُلَامُ أَبُو الْفَضْلِ فِي جُودِهِ * وَهَلْ يَمْلِكُ الْبَحْرُ إِلَّا يَفِضَا ١٠

وقال أبو الأسد

وَلَأَنِّي لَأَمْتًا يَا قَيْضُ فِي النَّدَى * فَفَلْتُ لَهَا هَلْ يَقْدَحُ الْوَمُ فِي الْبَحْرِ
أَرَادْتُ لِنَتْنِي الْقَيْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى * وَمَنْ ذَا الَّذِي يَلْتَنِي السَّحَابَ عَنْ الْقَطْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الْقَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * مَوَاقِعُ مَاءِ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْفَقْرِ
وقال كثير

١٠

وَمَنْ يَتَدَخَّلُ مَالِيسٍ مِنْ سُوسٍ فَهِيَ * يَدَعُهُ وَيَقْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمَهَا

وقال زهير

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ * وَإِنْ خَالَهَا تَغْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

(١) كذا في الأصول، وطبع يكون في البيت إقراء، وروى في حياة الحيوان ج ١ ص ٢١٢

٢٠ * فليس ينفع فيها الأديب * وهذا يكون البيت سالما من هذا العيب .

(٢) الذي في اللسان : « من يخيم » والتميم الطيبة والأمل كالسوس .

وَأُنْشِدْنِي ابْنَ الْأَعْرَابِي لَدَى الْإِصْبَحِ الْمَدَوَانِي
كُلِّ أَمْرِي رَاجِعٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ * وَإِن تَخَلَّقْ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ
وَقَالَ آخِرُ

إِرْجِعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدَنَهُ * إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْبَى دُونَهُ التَّخَلُّقُ
وَقَالَ كَثِيرٌ فِي خِلَافِ هَذَا

وَفِي الْحِلْمِ وَالْإِسْلَامِ لِلرَّيْوَازِعِ * وَفِي تَرْكِ أَهْوَاءِ الْفَوَادِ الْمَتِيمِ
بَصَائِرُ رُشْدٍ لِّلْفَقِي مُسْتَنِينَةٌ * وَأَخْلَاقُ صِدْقٍ عَلِمُهَا بِالْعَلَمِ
وَمَحْوَةٌ لِلتَّمَسِ

تَجَاوَزَ عَنِ الْأَدْنَى وَأَسْتَبَقِي وَدَعَمُ * وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمُ حَتَّى تَحْلُمَا
وَقَالَ الطَّائِي

لَيْسَ الشَّجَاعَةُ إِنَّمَا كَانَتْ لَهُ * فَمِنَّمَا نَسُوغًا فِي الصَّبَا وَلِدُّوَا
بَاسًا قَيْلًا وَبَاسًا تَكْرُمُ * فِينَا وَبَاسَ قَرِيبَةٍ مَوْلُودَا
وَقَالَ أَبُو جَعْفَرِ الشُّطْرَنْجِي مَوْلَى الْمُهْدِي فِي سَوْدَاءَ

أَشْبَهَكَ الْمَسْكُ وَأَشْبَهْتَهُ * قَائِمَةٌ فِي لَوْنِهِ قَائِمَتُهُ
لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكَ وَاحِدٌ * أَنْتَكَ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ
وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ

تَلَقَّى النَّدَى فِي غَيْرِهِ عَرَضًا * وَرَأَاهُ فِيهِ طَيِّعَةً أَصْلًا
وَإِذَا قَرَنْتَ بِمَا قِيلَ أَمَلًا * كَانَتْ نَتِيجَةُ قَوْلِهِ فُصْلًا
وَأُنْشِدْنَا الرَّيَّاشِيَّ

لَا تَصْحَبَنَّ أَمْرًا عَلَى حَسَبِ * إِنْ رَأَيْتُ الْأَحْسَابَ قَدْ دَخَلَتْ

(١) الذي في اللسان في مادة «حلم» وكتاب سيره ج ٢ ص ٢٤٠ «حلم»

(٢) الذي في الهويان «بحر» هذا «فينا»

مَالِكٌ مِنْ أَنْ يُقَالَ إِنَّ لَهُ * أَبَا كَرِيمًا فِي أُمِّهِ سَقَفَتْ
بَلْ أَتَجَبَّنُهُ عَلَى طَبَائِعِهِ * فَكُلُّ نَفْسٍ تَجَسَّرِي كَمَا طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس

إِنَّكَ لَمْ تَكُ كَابِنَ الشَّرِيدِ * وَلَكِنْ أَبُوكَ أَبُو سَالِمٍ
حَلَّتِ الْمِثْرَ وَأَهْمَلَهَا * عَلَى أَذَى قُضِّدٍ رَازِمٍ
وَأَشْبَهْتَ جَدَّكَ شَرَّ الْجُدُو * دِوَالِ عِرْقٍ يَسِيرِي إِلَى النَّائِمِ

وقال بعض العبدین

وَمَا يَسْتَوِي الْمَرْءَانِ هَذَا أَبْنُ حُرَّةٍ * وَهَذَا أَبْنُ أُخْرَى ظَهَرَهَا مُشْرَكٌ
وَأَدْرَكَهُ خِلَافُهُ فَخَذَلْتَهُ * أَلَا إِنَّ عِرْقَ السُّوءِ لَا يَدُ بَدْرُكَ

باب الشئ ١٠ يَفْرِطُ فَيَنْقَلُ إِلَى غَيْرِ طَبْعِهِ

قرأت في كتاب للهند : لا ينبغي البُحَّاجُ في إسقاط ذى الهمَّةِ والرأى وإذائه فإنه
إِذَا تَبَرَّسَ الطَّبِيعَ كَالْحَيَّةِ إِنْ وَطِئَتْ فَلَمْ تَلْعَ لَمْ يُغْتَرَّبْهَا فِيمَا دَلَّوْطُهَا ، وَإِذَا تَبَحَّجَّ
الطَّبِيعَ كَالصَنْدَلِ الْبَارِدِ إِنْ أُفْرِطَ فِي حَمَكِهِ عَادَ حَارًّا مُؤْذِيًا . وقال أبو نواس

قُلْ لَزِمِي إِنْ أَدَا وَشَبَدَا * أَقْلِيلٌ وَكَثِيرٌ فَانْتَ مَهْدَارُ
تَخَفَّتْ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى صِرَتْ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
لَا يَجِبُ السَّامِعُونَ مِنْ صَفَتِي * كَذَلِكَ الشَّلْعُ بَارِدٌ حَارُ

وقال : إِنَّمَا مَلَحَ الْفَرْدُ عِنْدَ النَّاسِ لِإِفْرَاطِ قَبِيحِهِ . قال الطائي

أَخْرَجْنَاهُ يَكْرَهُ مِنْ حَبِيثِهِ * وَالتَّارِقُ قَدْ تَتَضَّى مِنْ فَاظِرِ السَّلَمِ ^(١)

(١) في الأصل «تتضي» والتصويب عن الديوان .

أَمِنْ عَمَى نَزَلَ النَّاسُ الرَّبِّيَ فَتَجَوَّاهُ ۝ وَأَتَمَّ نَصْبُ سَبِيلِ الْفِتْنَةِ الْعَرِيمِ
أَمْ ذَاكَ مِنْ هَيْمٍ جَاشَتْ فَكَمْ ضَمِيَّةٌ ۝ حَلَا الْبَهَا غُلُوُّ الْقَوْمِ فِي الْهَيْمِ
وَكُلَّانِ يَقَالُ : مِنْ التَّوَقُّى تَرَكَ الْإِفْرَاطَ فِي التَّوَقُّى

باب الحسد

قال حدثنا اسحاق بن راهويه قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أُمَيَّة
قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلُمُ مِنْهُمْ أَحَدُ الطَّيِّرَةِ وَالظَّنِّ
وَالْحَسَدِ» قيل : فما المخرجُ منهم يا رسول الله؟ قال : «إِذَا تَطَايَرَتْ فَلَا تَرْجِعْ وَإِذَا ظَنَنْتَ
فَلَا تُحَقِّقْ وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَتَّبِعْ». وقال بكر بن عبد الله : حَصَّنَكَ مِنَ الْبَاغِي حَسَنُ
الْمُكَاشَرَةِ، وَذَنَبُكَ إِلَى الْحَسَدِ دَوَامُ النِّعَمِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَقَالَ رَوْحُ بْنُ زَيْنَبٍ الْجُدَائِيُّ :
كُنْتُ أَرَى قَوْمًا دُونِي فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ يَدْخُلُونَ مَدَاحِلَ لَا أَدْخُلُهَا فَلَمَّا
أَذْهَبْتُ عَنِّي الْحَسَدُ دَخَلْتُ حَيْثُ دَخَلُوا . وَقَالَ ابْنُ حُمَامٍ
تَمَّتْ لِي الْمَوْتُ الْمَجْبُولُ خَالِدٌ ۝ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدَةً

وقال الطائي

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ۝ طَوَّيْتُ أَمْلَحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا أَشْتِمَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرْتُ ۝ مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَرَلْ ۝ لِلْحَاسِدِ النِّعَمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

وقال عبد الملك للحجاج : إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه فيبغى نفسه
قال : أعفني يا أمير المؤمنين . قال : لتغفلن . قال : أنا لجلوج حقود حَسُودٌ ، قال عبد الملك :
ما في الشيطان شرٌّ مما ذكرت . قال بعض الحكماء : الحسدُ من تَمَادَى الطَّبَائِعِ وَاسْتِخْلَافِ
التركيب وفساد مزاج البنية وَضَعِيفِ عَقْدِ الْعَقْلِ وَالْحَاسِدُ طَوِيلُ الْحَسَرَاتِ .

قال ابن المقفع : أقل ما لُتارك الحسد في تركه أن يصيرف عن نفسه عذابا ليس يُدرك به خطا ولا غافظ به عدوا، فإنما لم نرظلمنا أشبه بمظلوم من الحاسد، طول أسف ومخالفة كآبة وشدة تحرق، ولا يرج زلوايا على نعمة الله ولا يجد لها حزا إلا ويكدر على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعما ولا يزال ساخطا على من لا يرضاه ومتسخطا لما لن ينال فوقه، فهو منحص المعبشة دائم السخطة محروم الطيلة، لا بما قسم له يفتح ولا على ما لم يقسم له يقلب، والمحسود يتقلب في فضل الله مبائرا للسرور متسقا به ممهلا فيه الى مدة ولا يقدر الناس لما على قطع واستقصا .

قيل للحسن البصري : أتحمّد المؤمن أخاه ؟ قال : لا أباك ، أنيت إخوة يوسف . وكان يقال : إذا أردت أن تسلم من الحاسد فم عليه أمورك . ويقال : إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدوا لا رحمه سلط عليه حاسدا . وقال العتي ١٠
— وذكر ولده الذين ماتوا —

وحتى يركى لي حسانهم * وقد أفرحوا بالتموج العيون^(١)
وحسبك من حديث بامرئ * يرى حاسديه له راجعنا
قيل لسفيان بن معاوية : ما أسرع حسد الناس الى قومك ! فقال
إق العرائف تلقاها محسدة * ولا ترى للظالم الناس حسانا ١٥

وقال آخر

وترى اللبيب حسدا لم يحترم * شتم الرجال وعرضه مشنوم
حسدوا القى اذ لم ينالوا سميه * فالتوم أعداء له وخصوم^(٢)
كضرائر الحسنات قلن لوجهها * حسدا وظلما إنه لتسيم

(١) في النسخة الأتمانية «أزعوا» . (٢) هكذا في النسخين بالذال المعجمة وهي رواية ٢٠
نظم، قال صاحب اللسان : وقد بد ذلك عليه . والأصح رواية «إنه لسم» بالذال المعجمة .

وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدو مهين لا يدرك وتره إلا بالتمنى . قيل لبعضهم : أي الأعداء لأعجب أن يعود لك صدقاً ؟ قال : من سبب عداوته النعمة . وقال الأحنف : لا صدق لمأل ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لبخيل ولا سؤدد لسيئ الخلق . وقال معاوية : كل الناس استطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فانه لا أرضيه إلا زوالها . وقال الشاعر

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرِي إِمَاتَهَا * إِلَّا عداوة مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ

وفي بعض الكتب يقول الله : الحاسدُ عدوٌ لنعمتي متسخطٌ لقضائي غير راضٍ يسمي بين عبادي . وكان يقال : قد طلبك من لا يقصر دون الظفر وحسدك من لا ينأى دون الشفاء . وخطب المنجاني يوماً يستقبل بقول سويد بن أبي كاهل

كيف يزنون مفاطلي بعد ما * جلل الرأس بياض وصلع

رب من انضجت غيظاً صدره * قد نمت لي موتاً لم يطع

وراني كالشجافى حلقه * عمراً محرجه ما ينزع

مزبداً يخطر ما لم يرنى * فاذا أتممته صوتي أقمع

لم يضرنى غير أن يحسبني * فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع^(١)

ويحييني إذا لاقينته * وإذا يتخلوله حتى رنع

قد كفاني الله ما في نفسه * وإذا ما يكف شيئاً لا يضع^(٢)

وقال آخر

إن تحسبوني فإني لا ألومكم * فإني من الناس أهل الفضل قد حسدوا

(١) الضوع : طائر ليل .

(٢) كذا بالأهول . وفي النسخ والبعض : لا ينفع . وفي ما يكف شيئاً لم يضع .

فَلَمْ لِي وَلَكُمْ مَا بِي وَمَا يَكُنْ * وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا عَيْدُ
أَنَا الَّذِي تَجِدُونِي فِي حُلُوفِكُمْ * لَا أَرْتَقِي صُجْعًا فِيهَا وَلَا أَرْدُ

وقال بعضهم : الحسدُ أَقْبَلُ ذَنْبٍ عَصَى اللهُ بِهِ فِي الْعِبَاءِ ، يَنْفِي حَسَدَ إِبْلِيسَ آدَمَ ، وَأَوَّلُ
ذَنْبِ عَصَى اللهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ ، يَنْفِي حَسَدَ بَنِ آدَمَ أَخَاهُ سَيِّ قَتَهُ . وَأَشْدَى شَيْخٌ لَنَا عَنْ
أَبِي زَيْدٍ الْأَعْرَابِيِّ

لَا تَقْبَلُ الرُّشْدَ وَلَا تَرْعَى * ثَمَانِي رَأْسَ كَابِرٍ عَوَاءِ
حَسَدَتْنِي حِينَ أَقْدَنْتُ النَّحْيَ * مَا كُنْتُ إِلَّا كَابِرَ حَوَاءِ
عَادَى أَخَاهُ مُحَرَّمًا مُسْلِمًا * بَطْلَعَنِي فِي الصُّلْبِ تَجْلَاءِ
وَأَنْتَ تَقْلِبُنِي وَلَا ذَنْبَ لِي * لَكِنِّي حَمَلُ أَعْيَاءِ
مَنْ يَأْخُذُ النَّارَ بِأُطْرَافِهِ * يَنْضَحُ عَلَى النَّارِ مِنَ الْمَاءِ

مَرْقِسُ بْنُ زُهَيْرٍ بِلَادَ غَطَفَانَ فَرَأَى ثَرْوَةً وَجَاعَاتٍ وَعَدَدًا فَكَّرَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ
لَهُ الرِّيحُ بْنُ زَيْدٍ : إِنَّهُ يَسُوءُكَ مَا يَسُرُّ النَّاسَ ! فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي إِنَّكَ لَا تَدْرِي ، إِنَّ
مَعَ الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ التَّحَسُّدَ وَالتَّغَاذُلَ ، وَإِنَّ مَعَ الْقِلَّةِ التَّجَاهُدَ وَالتَّنَاضُرَ .

قَالَ الْأَعْمَشِيُّ : رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا قَدْ أَتَتْ لَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، فَقُلْتُ لَهُ :
مَا أَطْوَلَ عَمْرَكَ ! فَقَالَ : تَرَكْتُ الْحَسَدَ فَبَقِيْتُ . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْحَكَمِ التَّقْفِيُّ
تَمَلَّاتَ مِنْ غَيْظٍ عَلَى فَلَم يَزَلْ * بِكَ الْغَيْظُ حَتَّى كَدْتَ بِالْغَيْظِ تَنْشَوِي
وَمَا يَرِيحُ نَفْسَ حَسْبُودٍ حَسْبِيَّتَهَا * تَنْشِيكَ حَتَّى قِيلَ هَلْ أَنْتَ مُكْتَوِي
وَقَالَ النَّطَائِمِيُّونَ إِنَّكَ مُشَمَّرٌ * سَلَا لَا أَلَا بَلْ أَنْتَ مِنْ حَسَدٍ جَوِيٍّ

(١) فِي النِّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ : مَا حُلُو .

(٢) فِي الْأَصْلِ «دَوَى» وَالتَّصْوِيبُ عَنْ خِزَانَةِ الْأَدَبِ الْبَغْدَادِيِّ ج ١ ص ٤٩٧ هـ «جَوَى» مِنْ
الْجَوَى وَهُوَ اللَّيْلُ وَدَاءُ فِي الصَّدْرِ .

بدا منك غش طامًا قد كتمته * كما كتمت داء آيتها أم مُدوي
جمعت وفضًا غيبة ونيمَةً * خللاً ثلاثاً لست عنها بِمُرعي
وكان يقال : سِنَّةٌ لَا يَحْتَلُونَ مِنَ الْكَاتِبَةِ : رَجُلٌ أَفْقَرُ بَعْدَ غَيٍّ . وَغَيٌّ يُضَافُ عَلَى
مَا لَهُ التَّوَيُّ ، وَحَقُودٌ ، وَحَسُودٌ ، وَطَالِبٌ مَرْتَبَةٍ لَا يَلْفُهَا قَدْرُهُ ، وَخَالِطٌ الْأَدْبَاءِ
بغير أدب .

باب الغيبة والعيوب

قال حدثني أحمد بن الحليل قال حدثنا عبد الأعلى عن داود بن عطاء^(٢١) عن ابن خثيم
عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
«الْأَخْرَجْتُكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ» قالوا : بلى ، قال : «مِنْ شِرَارِكُمْ الْمَشَاوُونَ بِالنِّجْمَةِ الْمُسْتَلُونَ بَيْنَ
الْأَحْيَةِ الْبَاغُونَ الْبَرَاءَةَ الْمَنَتَ» .

قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
الأجلع عن الشعبي قال : سمعتُ النعمان بن بشير يقول على المنبر : يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا
عَلَى أَيْدِي سُنَّاتِكُمْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ قَوْمًا رَكِبُوا
الْبَحْرَيْنِ سَفِينَةً ، وَأَقْلَسُوا مَا فَاصَبَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَكَانٌ ، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُمْ الْقَامَسَ
فَنَقَرَ مَكَانَهُ ، فَقَالُوا : مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ : مَكَانِي أَصْبَحُ بِهِ مَا شِئْتُ ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى
يَدِيهِ نَجَا وَتَجَا ، وَإِنْ تَرَكُوهُ غَرِقُوا وَغَرِقَ» .

بلغني عن حماد بن زيد عن ابن عَوْنٍ قال ، قال أبو الدرداء : ليس من يوم أصبح
فيه لَا يَرِيْنِي النَّاسُ بِلَاغِي إِلَّا كَانَ نَعْمَةً مِنْ اللَّهِ عَلَيَّ . وقال حسان : قُلْتُ شِعْرًا
لَمْ أَقُلْ مِثْلَهُ

وإن أحرأً أَمْسَى وَأَصْبَحَ سالماً * من الناس إلا ما جنى لَسَعِيدٌ

(١) في النسخة الجغرافية «وَحَالَةً» .

(٢) في الأصل : «السلام» بالتصريف والتصريب عن تهذيب التهذيب .

وبلغني عن ابن عينة قال، قال مسمر : ما نصحتُ أحدا قط إلا وجدته يُفْتَشُّ
عن عيوي، وقال بعضهم : مَنْ عَابَ سَفِيلَةً ^(١) قَدْ رَفَعَهُ ، وَمَنْ عَابَ شَرِفاً قَدْ وَضَعَ
نَفْسَهُ . وقال عمر بن الخطاب : أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَى عُيُوي

أحمد بن يونس عن القُضَيْلِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ : إِنْ الْفَاحِشَةُ تَشِيعُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا
حَتَّى إِذَا صَارَتْ إِلَى الصَّالِحِينَ صَارُوا لَهَا خُرَّاتًا . قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ أَيْضًا : حَسَنَاتُكَ
مِنْ عَدُوِّكَ أَكْثَرُ مِنْهَا مِنْ صَدِيقِكَ ، لِأَنَّ عَدُوَّكَ إِذَا ذُكِرْتَ عَنْهُ يَتَنَابَأُكَ وَإِنَّمَا
يَدْفَعُ إِلَيْكَ الْمِسْكِينَ حَسَنَاتِهِ

محمد بن عبد الله الأنصاري قال حدثنا ابن عوف قال : مرَّ ابنُ سيرينَ بِقومٍ فقام
إليه رجل فقال : يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَدْ نَلَلْنَا مِنْكَ فَخَلَلْنَا ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَيْكَ ، فَأَمَّا مَا كَانَ إِلَيَّ فَهُوَ لَكَ .

محمد بن مسلم الطائفي قال : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : بلغني أنك نلتَ مِنِّي ،
فقال : قَسِي أَعْرُ عَلَى مَنْ ذَلِكَ .

الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال : أَخُ لَكَ كَلِمَاتُكَ أَخْبِرَكَ
بِعَيْبِ فَيْكَ خَيْرُكَ مِنْ أَخُ لَكَ كَلِمَاتُكَ لِقِيكَ وَضَعُ فِي كَفِّكَ دِينَارًا .

شريك عن حَقِيلٍ قَالَ ، قَالَ الْحَسَنُ : لَا غِيَةَ إِلَّا لِلثَّلَاةِ ، فَاسْقِ مجاهِرَ الْفِسْقِ ،
وَذِي بَدْعَةٍ ، وَإِمَامَ جَائِرٍ . وَكَانَ يُقَالُ : [مَنْ أَغْتَابَ ^(٢) تَرَقَّى وَمَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ رَفَا .

(١) كذا في الأصل ، وفي لسان قلا من الجوهري : يقال : هو من السَّفِيلَةِ وَلَا يُقَالُ : هو سَفِيلٌ لِأَجْمَعِ
والعامة تقول : رجل سَفِيلٌ مِنْ قَوْمٍ سَفِيلٍ . قال ابن الأثير : وليس يبري . ثم أورد صاحب لسان الحكاية
وقال : ظاهر هذه الحكاية أَنَّهُ يَمْجُوزُ أَنْ يُقَالَ الْوَاحِدُ سَفِيلَةً .

(٢) في الأصول «سالم» والتصويب عن المقد القرطبي ج ١ ص ٢٣٧ ويُرِيدُهُ أَنْ الْمَوْجُودَ فِي كِتَابِ
الترانيم «محمد بن مسلم الطائفي» ولم يوجد فيها من يسمى «محمد بن سالم» فنسبوا إلى الطائفي .

(٣) الزيادة من لسان العرب في مادة «رأى» .

وَقِيَّ بَعْضُ الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «إِذَا عَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ» . كَانَ يُقَالُ : إِيَّاكَ وَمَا يُصِمُّ الْأَذْنَ . الْعِتِيَّ قَالَ : قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ : كُنْتُ أَسِيرُ أَبِي وَرَجُلٌ يَقَعُ فِي رَجُلٍ ، فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي فَقَالَ : يَا بَنِي تَزَهْ سَمِعَكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَلَاءِ كَمَا تَمْتَرُهُ لِسَانُكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكُ الْقَاتِلِ ، وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى أَحَبِّتٍ مَا فِي وَعَاثِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَاثِكَ ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةُ جَاهِلٍ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْسُهَا كَمَا شَقِيَّ قَاطِلُهَا .

فَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُيَيْدَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا زَهَّدَهُ فِي الدُّنْيَا وَفَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَبَصَّرَهُ عِيُوبَهُ . قَالَ فَضِيلُ : وَرَبَّمَا قَالَ الرَّجُلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَوْ سَبَّحَانَ اللَّهَ فَأَخْشَى عَلَيْهِ النَّارَ ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ ، قَالَ : يُتَنَابَّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُسَجِّبُهُ ذَلِكَ فَيَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ ، إِنَّمَا مَوْضِعُ هَذَا أَنْ يَنْصَحَ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ .

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَنَّ أَمْرًا ثَلَاثِينَ صَامِتًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلْنَا تَتَابَعًا بَيْنَ النَّاسِ ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ : «صَامِتًا عَمَّا أُحِلَّ لَهَا وَأُفْعِلَتْهَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» . وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ سَامَةَ : مَا كُنْتُ تَقُولُهُ لِلرَّجُلِ وَهُوَ حَاضِرٌ فَقُلْتُهُ مِنْ خَلْفِهِ فَلَيْسَ بِشَيْئَةٍ .

طَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَسْتَدَلَّتْ عَلَى كَثْرَةِ عُيُوبِكَ بِنَا تَكْرُرٍ مِنْ عَيْبِ النَّاسِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعُيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

وَأَجْرًا مَنْ زَايَتْ يَطْهَرُ غَيْبٌ هـ عَلَى عَيْبِ الزُّجَّالِ ذَوُو التُّيُوبِ

وَأَشَدُّ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ :
اسْكُتْ وَلَا تَطِيقْ فَاثْتَ خِيَابٍ * كُفَّكَ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عَيْابٌ

وَأَشَدُّنِي أَيْضَا

رَبِّ غَرِيبٍ نَاصِحِ الْغَيْبِ * وَأَبْنِ أَبٍ مُتَّهِمِ الْغَيْبِ
وَكُلِّ عَيْابٍ لَهُ مَنَظَرٌ * مُشْتَمِلُ الثُّوبِ عَلَى الْعَيْبِ

وكان عتبة بن عبد الرحمن يعتاب الناس ولا يصبر، ثم ترك ذلك، فقيل له :
أتركها؟ قال : نعم، على أني وافقه أحب أن أسميها .

أَنَّ رَجُلًا عَمَرُو بْنُ مَرْثِدٍ فَسَّالَهُ أَنْ يُكَلِّمَ لَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَعَدَهُ أَنْ يَفْعَلَ، فَلَمَّا
قَامَ قَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : إِنَّهُ لَيْسَ مُسْتَحِقًّا لِمَا وَعَدْتَهُ، فَقَالَ عَمَرُو : إِنْ كُنْتُ
صَدَقْتُ فِي وَصْفِكَ إِيَّاهُ فَقَدْ كَذَبْتُ فِي آذَانِكَ مَوَدَّتًا، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ مُسْتَحِقًّا كَانَتْ
الْيَدُ مَوْضِعَهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا لَمَّا زِدْتُ عَلَى أَنْ أَعْلَمْتَنِي أَنَّ لَنَا بِمُعِينِنَا عَنْكَ مِثْلُ
الَّذِي حَضَرْتَ بِهِ مَنْ غَابَ مِنْ إِخْوَانِنَا .

وفى الحديث : « إِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّانَا » . قيل : كيف ذلك ؟ قال :
« لَأَنَّ الرَّجُلَ يَزْنِي فَيَتُوبُ ، فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَصَاحِبُ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ
صَاحِبُهَا » .

قال رجل للحسن : يا أبا سعيد إني اغتبت رجلا وأريد أن أَسْلِمَهُ ، فقال له :
لَمْ يَكُفِّكَ أَنْ اغْتَبْتَهُ حَتَّى أَرَدْتَ أَنْ تَبْتِهَ . اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم
فقال له قتيبة : أَمْسِكْ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَوَافَقَهُ لَقَدْ تَلَمَّظْتَ بِمُضْخَةٍ طَالَمَا لَقَطَهَا الْكَرَامُ .

(١) في النسخ التي بأيدينا « حباب » بالحاء المهملة والياء الموحدة وهو تحريف والتسوية عن اللسان
فانه ذكر هذا البيت في ماضي « خاب » و « عاب » وقال في ضمير « خياب » — بعد أن ذكر أن
الخياب اللدح الذي لا يجرى — : يجوز أن يكون فالأ من الخيبة ويجوز أن يقي به أنه مثل هذا القبح
الذي لا يجرى . (٢) في الإحيا ج ٣ ص ٩٩ « صاحب » .

مر رجلٌ يمارين له وسه ربيّة، فقال أحدهما لصاحبه: أقيمتَ مامعه من الربيّة؟
فقال الآخر: غلامي حُرّ لوجه الله شكرًا له إذ لم يُعرفني من الشرّ ما عرفك .

شعبةٌ عن يحيى بن الحصين عن طارق قال : دارين سعيد بن أبي وقاصٍ وبين
خالد بن الوليد كلامٌ ، فذهب رجلٌ ليقع في خالدٍ عند سعيد ، فقال سعدٌ : مه إن
ما بيننا لم يبلغ دفتنا . أى عداوةٍ وشرٍّ . وقال الشاعر

ولستُ بينى نيرب في الكرام * ومتاع خير وسبأها
ولا من إذا كان في جانب * أضاع العشرة وأغتابها
ولكن أطاوع ساداتها * ولا أتعلم ألقابها

وقال آخر

لا يامل الجار خيرًا من جوارهم * ولا تحالة من هزئه وألقاب

وقال الفرزدق

تصرم منى ود بكر بن وائل * وما خلت عنى ودهم يتصرم
قوارص تائبن ويحتقرونها * وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

أنشد أبو سعيد الضرير لبعض الضبيّين

ألا ربّ من يتناهى ودّ أتى * أبوه الذى يدعى إليه ويُنسب
على ريشة من أمه أوليفيّة * فيغلها فحل على النسل مُنجب
فإنه لير لا بالشرّ فاطلب مودتى * وأى أمرئ يتناهل منه الترهّب

(١) فى الأصول «حين» بدون ال . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا فى الأصول . وفى اللسان «فى الصديق» . ثم قال قال ابن رى : وصواب انشاده

ولست بينى نيرب فى الكلام * ومتاع قوى وسبأها

وانظر اللسان فى مادة «نيرب» .

وقال آخر في نحوه :

ولما عصبت العاذلين ولم أبل * ملامتهم ألقوا على غاربي حلي^(١)
وهازئة منى تود لو أبها * على شمتي أو أن قيمها مثلي

قيل ليزر جهر : هل من أحد ليس فيه عيب ؟ قال : لا ، إن الذي لا عيب فيه
لا ينبغي أن يموت . وقال في مثل هذا موسى شهوات :

ليس فيما بدا لنا منك عيب * طابه الناس غير أنك فاني
أنت خير المتاع لو كنت تبقى * غير أنك لا بقاء للإنسان

وقال أبو الأسود الدؤلي :

وترى الشقي إذا تكامل عيه * يرى ويرف بالذي لم يفعل^(٢)

- ١٠ لقي بكر بن عبد الله أخا له فقال : إذا أردت أن تلقى من النعمة عليك أعظم منها
عليه وهو أشكر للنعمة لقيته ، وإذا شئت أن تلقى من أنت أعظم منه جرماً وهو أخوف
لله منك لقيته . أرايت لو صحك رجلا : أحدهما مهتوك لك ستره ولا يئيب ذنباً
إلا رأيت ولا يقول هجراً إلا سمعته فانت تحبه على ذلك وتواقه وتكره أن تخارقه ،
والآخر مستور عنك أمره غير أنك تظن به السوء فانت تُبغضه ، أعذلت بينهما ؟ قال :
- ١٥ لا ، قال : فهل مثلي ومثلك ومثل من أنت راء من الناس إلا كذلك ؟ إنا نعرف ألقى
في الغيب من أنفسنا فضحاً على ذلك ، وتتلفن الظنون على غيرنا فنغضبهم على ذلك .
ثم قال : أنزل الناس منك ثلاث منازل ، فاجعل من هو أكبر منك سناً بمنزلة أهلك ،
ومن هو ربك بمنزلة أخيك ، ومن هو دونك بمنزلة ولدك ، ثم أنظر أي هؤلاء تحب
أن تهلك له سترًا أو تُبدى له عورة !

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة القنوجرافية «رجل» . (٢) يرف ، أى يُبأب ويهم .

سعيد بن واقد المزني قال حدثنا صالح بن الصقر عن عبد الله بن زهير قال :
وقد العلماء بن الحضرمي على النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أقرأ من القرآن شيئاً؟»
قرأ «ميس» وزاد فيها من عنده : وهو الذي أخرج من الحبل ، تسمتة تسعي ، من
بين شراسيف وحشي ؛ فصاح به النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : «كف فإن
السورة كافية» . ثم قال : «هل ترى من الشعر شيئاً؟» فأنشده :

حَيَّ تَدْرِي الْأَضْغَانُ نَسَبَ قُلُوبِهِمْ * نَحْبَتِكَ الْقُرْبَى فَقَدْ رُقِعَ النَّصْلُ
وَأِنْ دَحَسُوا بِالْكَرِهِ فَأَعْفُ تَكْرُمًا * وَإِنْ خَسَسُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسْلُ
فَاتِ الْكَلَى يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ * وَإِذَا أَلَدَى قَالُوا وَرَاعَكَ لَمْ يُقْلُ

فقال النبي عليه السلام : «إنا من الشعر حكا وإنا من البيان بصيرا» .

وحديثي أبو حاتم عن الأعمشى قال : قال رجل لبركر بن محمد بن علقمة : بلغني أنك
تقع في ؟ [قال] : أنت إذا أكرمك على من نفسي ! . وقال بعض الشعراء :
لَا تَخْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَقَرُوا * فَيَكْشِفُ اللَّهُ سِتْرًا عَنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرْ حَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِنْ أَدْرَكُوا * وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
وقال أبو الدرداء : لَا يُحْجِزُ الْإِنْسَانَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ إِلَّا قَبْرُهُ .

قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم مولاة : إن الولاة جعلوا العيون على العوام وأنا
أجلك عيني على قمي ، فإن سمعت مني كلمة ترأبني فيها أوفعاً لا لأتجبه فيظني
عنه وأنتهي عنه .

العتبي قال : تنقص ابن لعامر بن عبد الله بن الزبير على بن أبي طالب عليه السلام ؛
فقال له أبوه : لا تنقصه يا بني ، فإن بني مروان ما زالوا يستمونه ستين سنة فلم

- (١) دحس بين القوم : أفسد بينهم . (٢) هكذا بالأصل . وفي اللسان في مادة دحس «بالشر» .
(٣) خسسوا : أغفوا . (٤) زيادة من القيد ج ١ ص ٢٣٧ يترقب عليها سياق الكلام .
(٥) في القيد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «لا تهنكن» ، وفيه أيضاً : «هنك» بدل «فكشفت» .

يَزِدُّهُ اللهُ إِلَّا رُفْعَةً، وَإِنَّ الدِّينَ لَمْ يَبْنِ شَيْئًا فَهَدَمْتَهُ الدُّنْيَا، وَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَبْنِ شَيْئًا إِلَّا عَادَتْ عَلَى مَا بَنَتْ فَهَدَمْتَهُ. وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنِ غِييَا * فَلَمَّا أَتَيْتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَذَاكَ تُعَيِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَتُقْتَدَى * بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَتُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْتَهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ * عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فُلْتَ عَظِيمٌ
وقال آخر :

وَأَخَذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِي * مُرَادٌ لِعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبٌ
وقال آخر :

لَكَ الْخَيْرُ، لَمْ نَفْسًا عَلَيْكَ ذُنُوبُهَا * وَدَعْ لَوْمْ نَفْسٍ مَا عَلَيْكَ تِلْكَ^(١)
وَكَيْفَ تَرَى فِي عَيْنِ صَاحِبِكَ الْقَدَى * وَيَتَحَيَّ قَدَى عَيْنِكَ وَهُوَ عَظِيمٌ
كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَرَمِّمِينَ لَا يَزَالُ يَجِيبُ التَّيْدَ وَشَرَابَهُ فَذَا وَجَدَهُ سِرَّ شَرِبَهُ؛ فَقَالَ
فِيهِ بَعْضُ جِيرَانِهِ :

وَعِيَايَةَ لِلشَّرْبِ لَوْ أَنَّ أُمَّهُ * تَبُولُ نَيْسًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا
قَالَ رَجُلٌ لِعَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ : إِنِّي لَا أَرْجُكَ مِمَّا تَقُولُ النَّاسُ فِيكَ؛ قَالَ : أَقْسَمُ بِكَ
أَقُولُ فِيهِمْ شَيْئًا؟ قَالَ : لَا؛ قَالَ : لِأَيِّهِمْ فَارَحِمَ .
قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِأَمْرَأَتِهِ :

وَلَمَّا مَلَكَتُ فَلَا تَسْجُحِي * ظُلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَادَا
يَرَى جِلْدَهُ تَلَبَّ أَعْرَاضُهَا * لَدَيْهِ وَيُسْفُضُ مِنْ سَادَا

(١) ظلم : من أَلَامَ الرَّبْلَ إِذَا آتَى ذَنْبًا يَلَامُ عَلَيْهِ .

(٢) يَنْزَعُ إِذَا تَوَقَّرَ جُلْدَهُ ، وَمِمَّا أَلْزَمَتْ كَأَمْرِ ، أَيْ الْوُقُوفُ عَلَى الْفَتِيلِ الْكَلَامِ ، وَالزَّيْتِ
كَيْفَ يَنْزَعُ أَوْ قَرَمَهُ .

باب السَّعَاةِ

روى وكيع عن أبيه عن عطاء بن السائب قال : قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ فَلَقِنِي الشَّعْبِيُّ
فَقَالَ : يَا أَبَا زَيْدٍ أَطَرَفْنَا مَا سَمِعْتَ ؟ قُلْتُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَابِطٍ
يَقُولُ : لَا يَسْكُنُ مَكَّةَ سَائِكُ دِمٍّ ، وَلَا آكُلُ رِيًّا ، وَلَا مَشَاءُ بَنِيهِمْ ؛ فَجِئْتُ مِنْهُ
حِينَ عَدَلَ النِّمَّةَ بِسَفْكِ الدَّمَاءِ وَأَكَلَ الرِّيَّا ؛ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : وَمَا يُجِيبُكَ مِنْ هَذَا !
وَهَلْ تُسَفِّكُ الدَّمَاءَ وَتُرْكِبُ الْعُقَاتِمُ إِلَّا بِالنِّمَّةِ !

عَنْ مِصْعَبِ بْنِ أَزْرِيرٍ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ عَلَى شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ
مِنْ ذَلِكَ وَدَفَعَهُ ؛ فَقَالَ مِصْعَبٌ : أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الثَّقَةُ ؛ فَقَالَ الْأَحْنَفُ : كَلَّا
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ الثَّقَةُ لَا يُبَلِّغُ . قَالَ الْأَعْمَشُ :

وَمَنْ يُطِيعِ الْوَارِثِينَ لَا يَرْكُؤْ لَهُ * صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقَرَّبَا

وَذَكَرَ السَّعَاءُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضَرٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ
عِيهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أَبْغَضُ مَا يَكُونُونَ إِلَى اللَّهِ لَكَفَّاهُمْ^(١) .

سَمِعَ رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بَرِيْلَ ؛ فَقَالَ لَهُ : انصَرِفْ حَتَّى أَسْأَلَ عَمَّا
ذَكَرْتَ ، وَبَعَثَ فِي الْمَسْأَلَةِ عَنِ السَّاعِي فَلَمَّا هُوَ لغير أبيه الَّذِي يُدْعَى لَهُ ، فَقَالَ بِلَالٌ :

أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « السَّاعِي
بِالنَّاسِ لغيرِ رِشْدَةٍ^(٢) » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّا الْوَأَسِيُّ نَتَى يَوْمًا صَدِيقًا * فَلَا تَدْعُ الصَّدِيقَ لِقَوْلٍ وَآشِي

(١) مَا كَانَ الْكَلْبَانِ (إِلَّا أَنَّهُمْ) لَيْسَا بِالْأَصْلَ ، وَقَدْ قَلَّاهُمَا عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) كَلَّا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٦ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِلَى النَّاسِ » .

(٣) يُقَالُ : هَذَا رَدٌّ رِشْدَةً إِذَا كَانَ زَوْجًا صَاحِبًا ، وَبَاءَ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١

ص ٢٣٦ وَلِسَانُ الْعَرَبِ فِي مَادَّةِ « رِشْدَةٍ » بَلَقَطَ « السَّاعِي لغيرِ رِشْدَةٍ » .

أَنِّي رَجُلٌ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ عَلَى دِمَشْقَ لَا يَسِهِ ، قَالَ : لِأَمِيرٍ عِنْدِي نَصِيحَةٌ ؛ قَالَ : إِنْ كَانَتْ لَنَا فَاعْظِمُهَا ، وَإِنْ كَانَتْ لغيرنا فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا ؛ قَالَ : جَارِي عَصَى [وَقَرَّ^(١) مِنْ بَيْتِهِ ؛ قَالَ : أَمَّا أَنْتَ فَخَبِرْ أَنَّكَ جَارُ سَوْءٍ ، فَإِنْ شِئْتَ أَرْسَلْنَا مَعَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَقْصِيكَ ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقِبَكَ ، وَإِنْ شِئْتَ تَارِكًا ؛ قَالَ : بَلْ تَارِكِي .

وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ :

وَأَعْصُوا الَّذِي يُسَلِّي أَلِيمَةً بَيْنَكُمْ * مُتَّصِعًا وَهُوَ الْيَوْمُ الْمُتَّعِ^(٣)
يُزْجِي عَقَارِيهَ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ * حَرَابًا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقُ الْأَخْدَعُ^(١)
حَرَانٌ لَا تَسْنِي غَلِيلَ قُوَادِهِ * عَلَّ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مَشْتَعِ^(٥)
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَسْتَبِ صَبِيهِمْ * بَيْنَ الْقِبَالِ بِالْعَدَاوَةِ يَبِيعُ^(٦)
إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ خَلَاتَكُمْ * يَسْنِي صُدَاعَ رُجُوعِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا^(٧)
فَصَلَّتْ صَدَائِهِمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ * وَأَبَتْ ضِيَابُ صُدُورِهِمْ لَا تُنْزِعُ^(٨)
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظُّلَامُ عَلَيْهِمْ * حَلَجُوا قَنَافِدَ الْبَغِيمَةِ تَمْزَعُ^(٩)

(١) في النسخة الفوتوغرافية «من يسه» وفي الألمانية «من يسه» . وما وضناه وإلزامه عن

المند الفريد ج ١ ص ٢٣٦ (٢) رَوَاهُ صَاحِبُ الْمُحْضَلَاتِ : يَزْجِي الْفَتَامَ ، أَيْ يَسُوِّفُهَا .

(٣) رَوَاهُ صَاحِبُ الْمُحْضَلَاتِ : ذَلِكَ الْيَوْمُ . (٤) الْأَخْدَعُ : عَرَقٌ فِي السَّقَى فِي مَوْضِعِ

الْجَبَانَةِ . (٥) مَشْتَعٌ : مَزْجَجٌ . (٦) يَبِيعُ : يُؤْذِي جِيرَانَهُ ، وَرَوَى الشُّطْرُ الْأَخِيرُ مِنْ هَذَا

الْبَيْتِ فِي الْمُحْضَلَاتِ مَكْثًا : * بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يَبِيعُ *

وَيُتَّقَنُ مِنْ شَيْءٍ فَلَا يَكْأُ : أُولَى بِهِ . (٧) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَرَوَى فِي الْمُحْضَلَاتِ وَشَوَاهِدُ "الْمُسْتَدْرَكِ"

إِلَيْهِ" مِنْ تَلْخِيسِ الْمُفْتَاحِ :

٢٠ إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ * يَسْنِي ظِلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

(٨) الضِّيَابُ جَمْعُ ضَبٍّ ، وَالْمُرَادُ بِهِ : الْقَتْلُ الْخَفِيُّ فِي الصُّدُورِ بِالسَّيْفِ فِي جَهْرِهِ . (٩) دَمَسَ :

اشْتَدَّتْ ظِلْمُهُ . (١٠) حَلَجُوا قَنَافِدَ : رَطَبُوا ، أَرَادَ أَنَّهُمْ يَسِيرُونَ بِالْبَغِيمَةِ وَالْإِحْتِيَالِ فِي الشَّرْكَاءِ

يَسِيرُ الْقَتْلُ ، لِأَنَّهُ يَسِيرُ وَلَا يَسْلُمُ لَهُ أَجْمَعٌ . كَذَا فِي مَرْحِ الْمُحْضَلَاتِ . (١١) تَمَزَّجَ : تَمَزَّجَ .

وقال أبو تَعْبِيلَ الْجَحِيحِيُّ :

وقد قَطَعَ الواشُونَ مَا كَانَ بَيْنَنَا * ونحن إلى أن يُوصَلَ الْجَلْبُ أَحْوَجُ
رَأَوْا عَوْرَةً فَاسْتَقْبَلُوهَا بِأَلْيَمِهِمْ ^(١) * فَرَاخُوا عَلَى مَا لَا يُجِيبُ وَأَذِلُّوا
وَكَانُوا أَنَا كُنْتُ آمِنٌ غِيَبِهِمْ * فلم يَنْهَمُ حِلْمٌ ولم يَحْجَرُوا

وقال بِشَّارُ :

تَسْتَبِي قُرْبَكَ الْكَرَّابُ وَتَحْتَمِي * عَيْنَ وَائِشٍ وَتَقِي أَسْمَاعَهُ
أَنْتَ مِنْ قَلْبِهَا عَمَلُ شَرَابٍ * تَسْتَبِي شُرْبَهُ وَتَحْتَمِي صُدَاعَهُ

وقال أَبُو نَوَاسٍ :

كُنْتُ مِنَ الْهَبِّ فِي دُرَى نَبِقٍ ^(٢) * أَرُودٌ مِنْهُ مَرَادٌ مَوْسُوقٍ ^(٣)
حَتَّى تَنَاقَى عَنْهُ تَحْلُقُ وَآ * شِ كَذِبُهُ لَهَا يَتَرَوِقُ
جُبْتُ قَعَا مَا مَتَّعَ مُعْتَرِئًا * مِنْهُ وَقَدْ فُزْتُ بِعَدِّ تَخْرِيقٍ ^(٤)
كَقَوْلِ كَمَرِي فَيَا تَمَثَّلْهُ * مِنْ فُرْصِ اللَّصِّ عَجْجَةُ السُّوقِ

وقرأت في كتاب للهند: قلأاً يَمُخُّ الْقَلْبُ مِنَ الْقَوْلِ إِذَا تَرَدَّدَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْمَاءَ أَلِينُ
مِنَ الْقَوْلِ وَالْجَرَّ أَصْلَبُ مِنَ الْقَلْبِ، وَإِذَا أَعْتَدَ عَلَيْهِ وَطَالَ ذَلِكَ أَثَرُهُ، وَقَدْ تَقَطَّعُ
الشَّجَرَةُ بِالْفَوْسِ فَتَنْبُتُ وَيُقَطَّعُ أَلْهَمُ بِالسُّيُوفِ فَيَنْدَمِلُ وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْمُهُ،
وَالنُّصُولُ تَنْبُتُ فِي الْجُوفِ فَتُزْعُ وَالْقَوْلُ إِذَا وَصَلَ إِلَى الْقَلْبِ لَمْ يُزْعَ، وَلِكُلِّ حَرِيقٍ
مُطْفِئٌ: لِلنَّارِ الْمَاءُ، وَلِلْهَمِّ الْوَدَاءُ، وَلِلزَّنِ الصَّبْرُ، وَلِلْعُشْقِ الْفُرْقَةُ، وَفَارُ الْحَقْدِ لَا تَحْبُو.

(١) بِأَلْيَمِهِمْ . (٢) نَبِقٌ : مَرْتَعٌ .

(٣) فِي النِّسْبَةِ التَّوْغْرَانِيَّةِ «فِيهِ» .

(٤) فِي الْأَمَلِينَ وَنَسَبِي الدِّيَّانَ الْمَطِيوَةَ وَالْمُخْطَوَةَ * وَقَدْ فُزْتُ مِنْهُ بِعَدِّ تَخْرِيقٍ * رَأَى ابْنَهُ

رَوَاهُ فِي حَاشِئَةِ النِّسْبَةِ الْأَلْمَانِيَةِ . وَهِيَ اسْتَقَمَ الْوِزْنُ .

وقال طرفة بن العبد :

وتصد عنك محيلة الرجل السعير يض موصحة عن العظم
يحسام سيفك أو لسانك والشكل الأصيل كأوسع الكلام

ونحوه قوله :

• والقول ينغد ما لا تنغد الإبر •

وقال امرؤ القيس :

• وجرح اللسان بجرح اليد •

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلو، فقال لأصحابه : إنا شتم [تخروا]؛ فلما
تمت الرجل للكلام قال له : إياك وأن تمدحني فإني أعرف بنفسى منك، أو تكذبني
فإنه لا رأى لكذوب، أو نسى بأحد إلى، وإن شئت أن أقبلك أقتك؛ قال : أقبلني.

وقال ذو الرياستين : قبول السعاية شر من السعاية، لأن السعاية دلالة
والقبول إجازة، وليس من دل على شيء كن قبل وأجاز، فامقت الساعي على سعايته
وإن كان صادقا للؤمه في هتك العورة وإضاعة الحرمه، وعاقبه إن كان كاذبا لجمعه
بين هتك العورة وإضاعة الحرمه مبارزة فله يقول بهتان والزور.

وقال بعض المحدثين لعبد الصمد بن المغيرة :

لعمرك ما سب الأمير عنده • ولكننا سب الأمير المبلغ

وقال رجل للوليد بن عبد الملك : إنا فلانا شتمك؛ فأكب ثم قال : أراه شتمك.
وأتى رجل ابن عمر فقال له : إن فلانا شتمك؛ فقال له : إني وأخي عاصما لأنساب أحدا.
عوانة قال : كان بين حاتم طي وبين أوس بن حارثة اللطف ما يكون بين اثنين؛

فقال النعمان بن المنذر لجلسائه : والله لأقصدن ما بينهما؛ قالوا : لا تقدر على ذلك؛

(١) في كتاب الشعر والشعراء : «وردت»، واليريض : الرجل الذي يتعرض الناس بالشر.

(٢) زيادة في النسخة الألمانية.

قال : بلى قتلنا جرت الرجل في شيء إلا بلسنته؛ فدخل عليه أوس؛ قال : يا أوس ما الذي يقول حاتم؟ قال : وما يقول؟ قال : يقول إنه أفضل منك وأشرف؛ قال : أبيت اللعن، صدق! والله لو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لأتهبتا في مجلس واحد، ثم خرج وهو يقول :

يقول لي النعمان لا من نصيحة * أرى حاتما في قوله متطاولا

له فوقنا باع كما قال حاتم * وما النصح فيما بيننا كان حاولا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثل مقاله لأوس؛ قال : صدق، أين عسى أن أقع من أوس! له عشرة ذكور أحسبهم أفضل مني، ثم خرج وهو يقول :

يسألني النعمان كي يسترلني * وهيات لي أن أستضام فأصرنا

كفاني هصا أن أضيم حشيتي * بقول أرى في غيره متوسما

فقال النعمان : ما سمعت بأكرم من هذين الرجلين .

ذكر يعقوب بن داود أيام كان مع المهدي أنه وافاه في يوم واحد ثمانون رقعة كلها سماعية، منها ستون لأهل البصرة، وعشرون لسائر البلاد .

وشى واثب رجل إلى الإسكندر؛ فقال له : أئحب أن أقبل منك ما قلت فيه على أن أقبل منه ما قال فيك؟ قال : لا؛ قال : فكف عن الشربكف عنك الشر .

كتب بعض إخواننا من الكلاب إلى عامل وكان سعي به إليه : لست أنفك فيما بيني وبينك من إحدى أربع : إما كنت تحسنا وإنك لكذلك فأربب، أو سيئنا ولست به فأبقي، أو أكون ذا ذنب ولم أتمد فتعمد، أو مقروفا وقد تلحق به حيل الأشرار فتبث (ولا تطع كل حلاف مهين همار مشاء يميم)

باب الكذب والفحّة

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا سليمان بن داود عن مسلة بن علقمة عن داود بن أبي هند عن شهر بن حوشب عن الزريقان عن الثؤاس بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا يَصْلَحُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ الْحَرْبِ فَإِنِهَا خُدْمَةٌ وَالرَّجُلُ يَصْلَحُ بَيْنَ أَكْثَرَيْنَ وَالرَّجُلُ يُرْضَى أَمْرَانَهُ» .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا بربر بن هارون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَمْ يَكُذِّبْ مَنْ قَالَ خَيْرًا وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَكْثَرَيْنَ» .

قال : حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا أبو داود عن عمران عن قتادة قال : قال أبو الأسود الدؤلي : «إِنَّا سَرَكُ أَنْ تُكْذِبَ صَاحِبَكَ فَلَقْنَهُ» .

حدثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ قال : «نعم» قال : أَيْكُونُ بَجِيلًا ؟ قال : «نعم» قال : أَيْكُونُ كَذَابًا ؟ قال : «لا» . قال حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : عاتب إنسان كذابا على الكذب ، فقال : يَا بَنِ أَخِي لَوْ تَغَرَّغْتَ بِهِ مَا صَبَرْتُ عَنْهُ . قال : وَقِيلَ لِلْكَذَّابِ : أَصْبَقْتَ قَطْرًا ؟ قال : أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ لَا فَأَصْبُقُ .

وقال ابن عباس : الْحَدِيثُ حَدَّثَانِ : حَدَّثُ مِنْ فِكَ وَحَدَّثُ مِنْ فَرَجِكَ . وقال مدين : مَنْ هَمَلَ عَلَى صَدِيقِهِ خَفَّ عَلَى مَلُوهُ ، وَمَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ . ومثله قول الشاعر :

(١) وفي رواية : «مواطن» - (٢) كذا في الأصول ولم تحذف في كتب التراجم على من يسي بربر

ابن هارون ، ولعله يزيد بن هارون ، وهو أحد الرواة عن سفيان بن حسين كما في تهذيب الطبايع ج ٤ ص ١٠٨

(٣) تغرغت به : وقّعت في حلقك .

وَمَنْ دَخَلَ النَّاسَ إِلَى دَمِهِ * دَمَوْهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا * أَسْرَعُ مِنْ مُنْجِلٍ سَائِلٍ

بلغني عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: [كل] ما أصاب الصائم شوي^(٢)

ما خلا النية والكذب. وقال سليمان بن سعد: لو سمعني رجل فقال: أشرت خصلة

واحدة لا يزيد عليها، لقلت لا تكذبني. كان ابن عباس يقول: الكذب بقر، والنية

بقر، فمن كذب فقد بقر، ومن لم تقدر بقر. وكان يقال: أسرع الاستماع وأبطئ التحقيق.

قال الأحنف: ما خان شريف ولا كذب قائل ولا أغتاب مؤمن. وكانوا يحلفون

فيحتون ويقولون فلا يكذبون. ذم رجل رجلا فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طيبة

المعق^(٣) يعني السرق، وروغان الثلب يعني الخب، ولعان البرق يعني الكذب. ويقال

الأذلاء أربعة: التمام والكتاب والمدين والفقير. قال ابن المقفع: لا تهانن بإرسال

الكذبة في المزل فلها تسرع في إبطال الحق. وقال الأحنف: أثنان لا يمتنعان أبدا:

الكذب والمروءة. وقالوا: من شرف الصديق أن صاحبه يصدق على صدقه. وقال

الأحنف لأبيه: يا بني اتخذ الكذب كثرا، أي لا تخرجه. وقيل لأعرابي كان

يسب في حديثه: أما لحديثك هذا آخر؟ فقال: إذا أقطع وصلته. وقال ابن

عمر: "زعموا" زاملة الكذب. كان يقال: علة الكذب أقبح حلة، وزلة المتوق

أشد زلة. كان المهلب كذابا وكان يقال له: راح يكذب. وفيه يقول الشاعر

(١) الزيادة عن اللسان في مادة «شوي». (٢) أي: شيء يسرع. وأصل الشيء الأطراف

ومنى الحديث أن كل شيء أصابه الصائم حين لأنه بمنزلة الأطراف التي هي ليست مقال، ما عدا النية

والكذب فإنهما على تأخيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان. (٣) المعق: طائر على قدر

الجماعة وهو على شكل الغراب ويقال له: الققع، واللرب تشام به وتضرب به المشل في السرعة

وانتيافة وانثب. (٤) الزاملة: الهابة التي يحمل عليها، يريد أن فقط «زعموا» طية الكذب

تَبَدَّلَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ قُرَيْشٍ * مَزُونِيًّا يَفْقَحُهُ الصَّلِيبُ
فَأَصْبَحَ قَافِلًا كَرَمٌ وَجُودٌ * وَأَصْبَحَ قَادِمًا كَلْبٌ وَحُوبٌ

قال رجل لأبي حنيفة : ما كذبتُ كَذْبَةً قَطُّ؛ قال : أما هذه فواحدة يُسَدُّ بها عليك . قال ميمون بن ميمون : مَنْ عُرِفَ بالصدق جاز كذبه ، وَمَنْ عُرِفَ بالكذب لم يَحْزِرْ صدقه . قال أبو حنيفة الثوري - وكان كذابا - : عَنْ لِي ظَنِّي فَرَمِيَتْهُ فِرَاقٌ عَنْ مَهْمَى •
فعارضه واقفه السهم ، فراوغه السهم حتى صرعه ببعض الخبرات . وقال أيضا :
رَمِيْتُ ظِلِيَّةً فَلَمَّا نَفَذَ السهمُ ذَكَرْتُ بِالظَلِيَّةِ حَيَّةً لِي فَسَدَدْتُ وَرَاءَ السهمِ حَتَّى
قَبِضْتُ عَلَى قَلْبِهِ . وَصَفَ أَعْرَابِيَّ أَمْرًا قَلِيلٌ : مَا بَلَغَ مِنْ شِدَّةِ حُبِّكَ مَا ؟ قال : إني
لَأَذْكُرُهَا وَيُنِي وَيُنِي عَقِبَةُ الطَّائِفِ فَأَجِدُ مِنْ ذِكْرِهَا رِيحَ الْمَسْكِ .

١٠ أَنشد الفرزدقُ سِلَاحًا مِنْ عِيْدِ الْمَلِكِ :

ثَلَاثٌ وَأَتْنَتَانِ فَنُونٌ نَحْسٌ * وَسَادِسَةٌ تَمِيلُ إِلَى شِمَامِ
فَيْتَنْ يَحْيَايَ مُصْرَعَاتٍ * وَبِثُّ أَفْضُ أَغْلَاقِ الْخَسَامِ
كَأَنَّ مَقَالِقِي الرِّمَانِ فِيهِ * وَجَرَّعَ ضَا قَعْدَنَ عَلَيْهِ حَايِي

فقال له سليمان : ويحك يا فرزدق ، أَلَحَلَّتْ بِنَفْسِكَ الْعُقُوبَةُ ، أَقُرِّتَ عِنْدِي بِالزَّانِ وَأَنَا
إِمَامٌ وَلَا بَدَّ لِي مِنْ أَنْ أَحُدِّثُكَ ؟ فقال الفرزدقُ : بَأَيِّ شَيْءٍ أَوْجِبْتَ عَلَيَّ ذَلِكَ ؟ قال :
بِكَلْبِ اللَّهِ ؛ قال : فَإِنَّ كَلْبَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَدْرَأُ عَنِّي الْحَدَّ ؛ قال : وَأَيْنَ ؟ قال : فِي قَوْلِهِ :
(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَدْعُونَ أَنُيْسُوا لَهُمْ دَارًا فَمَا يَكْفُلُونَ)
فَأَنَا قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَمْ أَفْعَلْ ؛ وقول الشاعر :

وَأَنَا الشَّاعِرُ بِمَجْنُونٍ كَلْبٌ * أَكْثَرُ مَا يَأْتِي عَلَى فِيهِ الْكَلْبُ

٢٠ (١) كَذَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي مَادَّةِ «مَزَن» وَالْقِي فِي الْأَسْلِ «الْمَازِل» •

(٢) فِي الْأَسْلِ «الْمَحَارَات» وَفِي الْأَغَانِي «الْجَبَابَات» وَفِي الْبَيَانِ وَالْبَيْهِنِ «الْمَحَارَات» وَالصُّوْبِ عَنِ
الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ لَا يَنْ تَعْنِي • وَالْخَبَارَاتُ جَمْعُ خَبَارَةٍ وَهِيَ مَا لَانَ وَأَسْتَرْجَى مِنَ الْأَرْضِ وَسَاحَتْ فِيهَا الْقَوَائِمُ
فِي الْمَثَلِ «مَنْ تَحَبَّبَ الْخَبَارَاتِ الْبَنَارَ» • (٣) الْقَتْنُ جَمْعُ قَتْنَةٍ : رِيْشُ السَّهْمِ •

وقال الشاعر :

حَسَبُ الْكَذُّوبِ مِنَ الْبَلِيَّةِ بَعْضُ مَا يُجْحَى عَلَيْهِ
مهما سَمِعَتْ بِكَذِبِيَّةٍ * مِنْ غَيْرِ تُسَبِّتُ إِلَيْهِ

وقال بشار :

وَرَضِيتُ مِنْ طُولِ النَّاءِ بِبَاسِهِ * وَالْيَأْسُ أَيْسَرُ مِنْ عِدَاتِ الْكَاذِبِ

والعرب يقول : « أَكْذَبُ مِنْ سَالَتِهِ »^(١) وهي تكذب مخافة العين على سَمْنِهَا . و « أَكْذَبُ مِنْ مُجَرَّبٍ » لأنه يخاف أن يُطْلَبَ مِنْ هَتَاتِهِ . و « أَكْذَبُ مِنْ يَأْسٍ » وهو السراب . منصور ابن سامة الخزازي قال حدثنا شبيب بن شيبه أبو معمر الخطيب قال : سمعت ابن سيرين يقول : الكلام أوسع من أن يكذب ظريف . وقال في قول الله عز وجل : (لَا تَقْرَأْ هَٰذَا الْقُرْآنَ ظَنًّا أَنْ يَأْتِيَنَّكَ السَّاعَةُ) لم ينس ولكننا من معاريض الكلام . وقال القيني : أَصْدَقُ

في صغار ما يضركني لأُصَدِّقَ في كبار ما ينفعني . وكان يقول : أنا رجل لا أبالي ما استقبلت به الأحرار . فافر رجل من جرم رجلا من الأنصار الى رجل من قريش ، فقال للجرمي : أيا الجاهلية تُفانحه أم بالإسلام ؟ فقال : بالإسلام ، فقال : كيف تُفانحه وهم آووا رسول الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلام ؟ قال الجرمي : فكيف تكون قلة الحياء . وقال آخر : إنما قويتُ على خصومي بآني لم أستتر قط بشيء من القبيح . وذكر أعرابي رجلا فقال : لودُّكَ وجهه بالحجارة لرضها ، ولو خلا بأستار الكعبة لسرقها . قيل لرجل من بني أسد : بأي شيء غلبت الناس ؟ قال : أبهتُ الأحياء وأستشهدُ الموتى . وقال طريحُ الثقيي يذم قوما :

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخْفَوْهُ وَإِنْ عَالِمُوا * شَرًّا أَذِيعُوا وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَّبُوا

(١) في جميع الأمثال "الساعة" بالتريف ، وهي التي تسلا السن أو تلبسه وتعالجه ، قال الميداني في جميع الأمثال : ركبها أنها تقول : قد ارتجى ، قد احترق . والارتجاء ألا يتخلص منها .
(٢) الماء : القطران .

وكان يقال : آثَنَانِ لَا يَتَقَنَّانِ أَبَدًا : القناعة والحسد، وآثَنَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ أَبَدًا : الحرص واليقظة، وقال الشاعر :

إِن يَحْفَلُوا أَوْ يَغْدِرُوا * أَوْ يَفْخَرُوا لَا يَحْفَلُوا
يَقْدِرُوا عَلَيْكَ مُرَجِّلِينَ كَانَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا
كَأَيِّ بَرَأَقَشٍ كُلُّ لَوْ * يَنْ لَوْهُ يَغْفِلُ

هَجَا أَبُو الْهَوَلِ الْحَمِيرِيُّ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى ثُمَّ أَنَاهُ رَاغِبًا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : وَيْلَكَ بِأَيِّ وَجْهِ تَقْنَانِي ! قَالَ : بِالْوَجْهِ الَّذِي أَلْقَى بِهِ رِقِّي وَذَنُوبِي إِلَيْهِ أَكْثَرُ فُضَحِكَ وَوَصَلِهِ .

ومن أمثال العرب في الوقاح «رَبَّتْنِي بَدَائِهَا وَأَنْسَلَتْ» . وقال الشاعر :

أَكُوْلُ لِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ إِذَا شَاءَ * صَبُورٌ عَلَى سُوءِ النَّتَاءِ وَقَاحٌ

- ١٠ قال رجلٌ لقومٍ يفتنونه ويكذبونَ : تَوَضُّعُوا فَإِنَّ مَا تَقُولُونَ شَرٌّ مِنَ الْحَدِّثِ . وبلغني عن حماد بن زيد عن هشام عن محمد قال : قُلْتُ لَمَيْسَةَ : مَا يَوْجِبُ الْوَضُوءَ ؟ قَالَ : الْحَدِّثُ وَأَذَى الْمُسْلِمِ . رَوَى الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ عَنْ عُقْبَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : بَعَثَنِي أَبُو مَوْسَى الْأَشْعَرِيُّ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى عَمْرٍاءَ فَسَأَلَنِي عَنْ أَحْوَالِ النَّاسِ ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ يَصْلُحُ أَهْلُ بَلَدٍ جُلُّ أَهْلِهِ هَذَانِ الْحَيَّانِ : بَكْرُ بْنُ وائِلٍ وَبَنُو عِمِّمٍ ، كَذَبَ بَكْرٌ وَبَخِلَ عِمِّمٌ . ذَكَرَ بَعْضُ الْحُكَّامِ أَطَاغِيْبَ الْبَحْرِ وَزَيْدَ الْبَحْرِيِّينَ فَقَالَ : الْبَحْرُ كَثِيرُ الْعَجَائِبِ ، وَأَهْلُهُ أَصْحَابُ تَزْيِيدٍ ، فَاسْتَدْعُوا بِقَلِيلِ الْكَذِبِ كَثِيرَ الصَّدَقِ ، وَأَدْخَلُوا مَا يَكُونُ فَيَا يَكْأَدُ لَا يَكُونُ ، وَجَبَلُوا تَصْدِيقَ النَّاسِ لِمَنْ فِي غَرِيبِ الْأَحَادِيثِ سُلَمًا إِلَى أَدْعَاءِ الْمُحَالِ .
- حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كان يقال : الصَّدَقُ أَجْنَانٌ مُحَرَّمٌ .

- (١) جَزَمَ « يَنْدَرَا » لِأَنَّهُ يَدُلُّ مِنْ « لَا يَحْفَلُوا » فَإِنَّ غَدَمَ مُرَجِّلِينَ حَوْفٍ مَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَحْفَلُوا . كَذَا يُرْغَذُ مِنَ الْهَانَ . وَالتَّرْيِيلُ : مَشَطُ الشَّعْرِ وَلِوْسَالُهُ . (٢) أَبُو بَرَأَقَشٍ : طَائِرٌ يَتَوَلَّى الْوَأَانَا شَيْبَةً بِالْقَنْفِزِ أَمْلَ رَيْثٍ أَغْرَأَ وَسَلَهُ أَحْمَرًا وَسَلَهُ أَسْوَدًا فَإِذَا انْتَفَشَ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ الْوَأَانَا شَيْبَةً . كَذَا فِي الْهَانَ .
- (٣) كَمَا يَسْتَعْمَلُ النَّتَاءُ فِي ذِكْرِ الْمَرْءِ بِالْغَيْرِ يَسْتَعْمَلُ فِي ذِكْرِهِ بِالْشَّرِّ .

٤. حدثني شيخنا عن أبي معاوية قال حدثنا أبو حنيفة عن معن بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود : ما كذبتُ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا كذبة واحدة ، كُنتُ أُرسلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء رجلٍ من الطائفة قلت : هذا يغلبني على الرجال ، فقال : أيُّ الرجال أحبُّ إلى رسول الله ؟ قلت : الطائفة المكية ، فرسل بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ رَجَلَ لَنَا هَذَا» فقالوا : الطائفة ، فقال : «مُرُوا عَبْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَنَا» فعدتُ إلى الرجال .

باب سوء الخلق وسوء الجوار والسباب والشر

- حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تَحْصِلَانِ لِأَجْمَعَيْنِ فِي مُؤْمِنٍ سُوءُ الْخُلُقِ وَالْبُخْلِ» .
١٠. قال وحدثني أحمد بن الحليل عن أنس بن جميل عن إسماعيل بن حكيم عن الفضل بن عيسى عن محمد بن المنكدر عن جابر [قال] : قيل : يا رسول الله ما الشؤم ؟ قال : «سُوءُ الْخُلُقِ» .

- قال وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الْمُسْتَبَانِ مَقَالًا فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا مَا لَمْ يَمْتَدِ الْمَظْلُومُ» .
- ١٥.

قال وحدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : حدثني شيخ يمي قال : صحبَ أيوبَ رجلٌ في طريق مكة فأذاه الرجلُ بسوء خلقه ، فقال أيوبُ : إني لأرحمه لسوء خلقه .

- قال وحديثي عبدالرحمن عن الأصمعي قال : قال أبو الأسود : لو أطمعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم . وأوصى بنو فقال : لا تجاؤدوا الله فإنه أجد وأجود ، ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاج لفعل ، فلا يجهدوا أنفسهم في التوسع فتهلكوا هزلا . قال : وسمع رجلا يقول : من يعشى الجائع ؟ فقال : على به ، فغشاه ثم ذهب ليخرج ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أهلك ، قال : هيات ، على الآثري المسكين الليلة ، ووضع في رجليه الأدم حتى أصبح . قال : وأكل أعرابي معه تمرا فسقطت من يده الأعرابي تمرة فأخذها وقال : لا أدعها للشيطان ، فقال أبو الأسود : لا والله ولا لجبريل . نظر ابن الزبير يوما الى رجل وقد دق في صدور أهل الشام ثلاثة أرماج فقال : أعترل حربنا فإن بيت المال لا يقوم لهذا . وذكر أبو عبيدة أنه كان يأكل في كل سبعة أيام أكلة ويقول في خطبته : إنا بطني شبري شبر وما عسى أن يكفيني . وقال أبو وبرة مولى آل الزبير :
- لو كان بطنك شبرا قد شيعت وقد * أنفخت فضلا كثيرا للمساكين
فإن تصيبك من الأيام جائحة * لآتيتك منك على ذئب ولا دين
- وفيها يقول :
- ما زلت في سورة الأعراف تلمسها * حتى فؤادك مثل الخزفي اللين
- وفيها يقول :
- إنا أمرأ كنت مولاه فضييعني * يرحو الفلاح ليمدني حق مغبون
- وفيها يقول آخر :
- رايت أبا بكر - ورمك غالب * على أمره - بيني والخلافة بالمر

(١) أي ابن الزبير كما في النسخة القريش ج ٣ ص ٣٢٢

(٢) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة التونسية وفي النسخة القريش ج ٣ ص ٣٢٢ «نوادى» .

هذا حين قال : أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي . وقال بعضُ الشعراء :
 مِنْ دُونِ سَيْكِ لَوْ لَيْلٌ مُظْلِمٌ * وَخَفِيفٌ نَابِغَةٌ وَكَلْبٌ مُوسَدٌ^(١)
 وَأَخْرَجَكَ مُخْمَلٌ عَلَيْكَ ضَغِينَةٌ * وَمُسَيْفٌ قَوْمِكَ لَا تَمُّ لَا يَمْحَدُ^(٢)
 وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدَ سَالِخٍ * لَا يَلُ أَحْبَبُهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ^(٣)
 وَمَدَحَ أَعْرَابِيٌّ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ قَتَالَ :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ لَا تَخْشِ ضِلَّةً * سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ يَلَدٍ
 لَنَا سَيِّدٌ أَرْبَى عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ * جَوَادٌ حَتَّى فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ^(٤)
 فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ يَهْجُوهُ :

لِكُلِّ أَحَبِّ مَدِيحٍ ثَوَابٌ يُدَّه * وَلَيْسَ لِمَدِيحِ الْبَاهِلِ ثَوَابٌ
 مَنَحَتْ أَبْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِيحُ مَهْزُومٌ * فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ
 وَقَالَ فِهِمُ الْمُزَنِّيُّ الْحَضَرِيُّ :

إِذَا وَلَّيْتُ حَلِيلَةً بَاهِلًا * غَلَامًا زَيْدٌ فِي مَدَدِ اللَّحَامِ
 وَعِرْضُ الْبَاهِلِ وَإِنْ تَوَقَّى * عَلَيْهِ مِثْلُ مَنَدِيلِ الطَّلَامِ
 وَلَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ بَاهِلِيًّا * لَقَصَّرَعَنَ مُسَامَاةَ الْكَرَامِ

وَدَخَلَ قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، بِالْبَابِ الْأَمِّ
 الْعَرَبُ ، قَالَ : وَمَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : سَأُولِي رَسُولُ مُحَارَبِي إِلَى بَاهِلٍ ، فَضَحِكَ قُتَيْبَةُ . وَقَالَ آخَرُ

(١) السبب : الطاء ، وفي النسخة في التتوغرافية والألمانية : « شريك » بالثين المعجمة وهو تحريف

(٢) النابغة بالجيم (كما في الألمانية) وبالحاء (كما في التتوغرافية) : الرمح الشديدة فكلاهما صحيحة .

(٣) موسد من أوسد الكلب بالصيد : أغراه به . (٤) المسيف : من هلك ماله فافقر .

(٥) الأسود السالغ : الأفعى ، ووصف بالسالغ لأنه يسلمج جهه كل عام . (٦) في النسخة

الألمانية « جنى » والتتوغرافية « حنى » وكلاهما تحريف والتصويب من المقد الفريد ج ١ ص ١٠٧

قَوْمٌ اِنَا اَكَلُوا اخَفَوْا كَلَامَهُمْ * وَاسْتَوْهَوْا مِنْ رِجَالِ الْبَابِ وَالْتَارِ
لَا يَقِيْسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ * وَلَا تُكْفَى يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائفي من أهل حمص :

تَمَّتْ الْمَدِيحَ رَجَالًا دُونَ قَدِيرِهِمْ * صَدُّ قَبِيحٌ وَلَفْظٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزِ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ * رَجُلٌ الْبِعُوضَةِ مِنْ نَخَارَةِ اللَّيْلِ

وقال آخر :

أَلَا أَمْ وَأُعْطِيَ الْبَغِيْلُ مَجَاوِرِي * إِلَى جَنْبِ بَيْتِي لَا يَلَامُ وَلَا يُعْطَى

ونحو هذا قولهم : مَنَعَ الْجَمِيعَ أَرْضَى الْجَمِيعِ . وقال بشر :

أَعْطَى الْبَغِيْلُ فَمَا آتَنَعْتُ بِهِ * وَكَذَلِكَ مَنْ يُعْطِيكَ مِنْ كَدِيرِهِ

١٠ قيل لخالد بن صفوان : ما لك لا تُشْفِقُ فَإِنَّ مَالَكَ عَرِيضٌ ؟ قال : الدهرُ أعرَضُ
منه ؛ قيل له : كأنك تأملُ أن تعيش الدهر كله ؛ قال : ولا أخافُ أن أموتَ في أوله .

قال الجاحظ : قُلْتُ مَرَّةً لِلْحَزَاحِيِّ : قَدْ رَضِيتَ بِقَوْلِ النَّاسِ : عَبْدُ اللَّهِ بَخِيلٌ ؛ قَالَ :

لَا أَعْدِيَنِي اللَّهُ هَذَا الْأَسْمَ ؛ قُلْتُ : كَيْفَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ فَلَانٌ بِخَيْلٍ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ ،

فَسَلَّمَ لِي الْمَالُ وَأَدْعَيْ بَأَى أَسْمٍ شَتَّ ؛ قُلْتُ : وَلَا يُقَالُ بَخِيٌّ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ ، فَقَدْ

١٥ جَمَعَ هَذَا الْأَسْمَ الْمَالُ وَالْحَمْدُ وَجَمَعَ هَذَا الْأَسْمَ الْمَالُ وَالنِّقَمُ ؛ قَالَ : بَيْنَهُمَا فَرْقٌ ؛

قُلْتُ : هَاتِهِ ؛ قَالَ : فِي قَوْلِهِمْ بَخِيلٌ تَثْبِيْتُ لِإِقَامَةِ الْمَالِ فِي مِلْكِهِ ، وَفِي قَوْلِهِمْ بَخِيٌّ

لِإِخْبَارٍ عَنْ خُرُوجِ الْمَالِ عَنْ مِلْكِهِ ، وَأَسْمُ الْبَخْلِ أَسْمٌ فِيهِ حَزْمٌ وَذَمٌّ ، وَأَسْمُ السُّطَاءِ أَسْمٌ

فِيهِ تَضْيِيقٌ وَحَدٌّ ، وَالْمَالُ رَاهَنٌ نَافِعٌ وَمِكْرٌ لِأَهْلِهِ مِزٌّ ، وَالْحَمْدُ رِيحٌ وَمُخْرِقَةٌ وَأَسْتِمَاعَةٌ

(١) أَيْ دَائِمٌ بَاقٍ .

صَمَفٌ وَفُسُولَةٌ، وَمَا أَقَلَّ وَاللَّهِ غَنَاءَ الْحَمْدِ عَنْهُ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ وَعَرِيَ جِلْدُهُ وَضَاعَ عِيَالُهُ وَنَمَتَ عَدُوُّهُ^(١) .

وكان محمد بن الجهم يقول : مِنْ شَأْنٍ مَنْ أَسْتَفْنَى عَنْكَ أَلَا يُقِيمَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْكَ أَلَا يَنْهَبَ عَنْكَ ، فَمَنْ ضَنَّ بِصَدِيقِهِ وَأَحْبَبَ الْأَسْتِغْنَاءَ مِنْهُ وَأَحْبَبَ التَّقَنُّعَ بِهِ أَحْتَالَ فِي دَوَامِ رَغْبَتِهِ بِأَنْ يُقِيمَ لَهُ مَا يَقْوَتْهُ وَيَمْتَنِعَ مَا يُغْنِيهِ عَنْهُ ، فَإِنَّ مِنَ الزُّهْدِ فِيهِ أَنْ تُغْنِيَ عَنْكَ وَمِنَ الرِّغْبَةِ فِيهِ أَنْ تُجَوِّجَهُ إِلَيْكَ ؛ وَإِقَاؤُكَ مَعَ الضَّنِّ بِهِ أَكْرَمُ مِنْ إِغْنَاؤِكَ لَهُ مَعَ الزُّهْدِ فِيهِ ؛ وَقِيلَ فِي مَثَلٍ : « أَسْجَحْ كَلْبَكَ بِقَبْلِكَ » . فَمَنْ أَعْنَى صَدِيقَهُ فَقَدْ أَغْنَاهُ عَلَى الْغَدْرِ وَقَطَعَ أَسْبَابَهُ مِنَ الشُّكْرِ وَالْمَعِينِ عَلَى الْغَدْرِ شَرِيكَ الْغَادِرِ ، كَمَا أَنَّ مُزَيْنَ الْفَجْرِ شَرِيكَ الْفَاجِرِ . قَالَ : وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ وَقَالَ فِي وَصِيَّتِهِ : يَرْعَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الثَّلَثُ ، وَالثَّلَثُ كَثِيرٌ » ؛ وَأَنَا أَزْعُمُ أَنَّ ثَلَاثَ الثَّلَاثِ كَثِيرٌ ، وَالْمَسَاكِينُ حَقُّهُمْ فِي بَيْتِ الْمَسَالِ ، إِنْ طَلَبُوا طَلَبَ الرِّجَالِ أَخَذُوهُ ، وَإِنْ جَلَسُوا جَلَسَ النِّسَاءُ مَتَعُوهُ ، فَلَا يُرْغِمُ اللَّهُ إِلَّا أَنْفَهُمْ وَلَا يَرْحِمُ اللَّهُ مَنْ يَرْحِمُهُمْ .

تَقَدَّمَ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى سُورٍ أَحَدُهُمَا يُنَازِعُ مَوْلَى لَهُ فِي حَذِّ أَرْضٍ أَقْطَعَهَا أَبُوهُ مَوْلَاهُ ؛ فَقَالَ سُورٌ : أُتْنِزِعُ مَوْلَاكَ فِي حَذِّ أَرْضٍ أَقْطَعَهَا أَبُوكَ إِيَّاهُ ؛ فَقَالَ : الشَّحِيحُ أَغْدُرُ مِنَ الظَّالِمِ ؛ فَرَفَعَ سُورٌ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ ارْجُدْ عَلَى قُرَيْشٍ أَخْطَارَهَا .

(١) كذا في النسخة الأصلية ، والقسولة : النفاثة وقلة المروءة ، وفي القنوغرافية « قنولة » وهو تعريف .
(٢) كتب يهاشم الأصل القنوغرافي بمناسبة التقاطع عن البخل ما نصه : « سبطان الله ! يا رأيت أنهن جابنا البخل والبلاء وأعين كلاما وأصدق حجة وأبعد من المقدمات الواهية والقضايا المردودة من هذا الرجل ولولا [أن] السناء سجية من السجايا الرائعة في أتمس الأجنيا . كاد والله يهدم دكه ويميل عماده ويكدر موده بل ويمتنع السحاب من المطر والبحر من ريح القنطر وإن هذا لمن إحدى الكبر » ١٠٠ .
(٣) في النسختين « تصديقه » وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . (٤) الأخطار جمع خطر وهو الشرف ، ويهاشم الأصل القنوغرافي هذه الجملة : « إنما قال ذلك حتى لا يظلموا الناس قلة ما يديهم » .

وقال الخَزَرَجِيُّ :

إِنَّ جُودَ الْمَكِّيِّ جُودٌ مِجَارٌ ۖ وَجُودُ الْحِجَازِ فِيهِ اقْتِصَادٌ
كَيْفَ تَرْجُو النَّوَالَ مِنْ كَفِّ مُعِطٍ * قَدْ غَدَّته الْأَقْرَاصُ وَالْأَمْدَادُ

نظر سليمان بن مَرْاحِمٍ إلى درهم فقال : في شِقِّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»
وفي وجه آخر «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ»^(١) ، ما ينبغي أَنْ يكونَ هذا إِلَّا
مَعَادَةً وَقَدَّه في الصَّنَدُوقِ . أَتَشَدُّنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ هَانِيٍّ صَاحِبُ الْأَخْضَشِ عَنْ
الْأَخْضَشِ لِلْخَلِيلِ :

كَفَاهُ لَمْ تُخْلَقْ لِلنَّدَى * وَلَمْ يَكُ بَظْلُهُمَا بَدْعَةً
فَكَفَّ عَنْ الْخَيْرِ مَقْبُوضَةً * كَمَا قَصَّصَتْ مِائَةٌ نِسْنَةً^(٢)
وَكَفَّ ثَلَاثَةَ آلَافَهَا * وَسَمِعْتُمَا لَهَا شِرْعَةً^(٣)

١٠

(١) في الأصلين بعد قوله القَيُّومُ كلمة «فقال» والسياق يبيِّن وجودها ، وقد وردت هذه الحكاية في نهاية
الأرب ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ولم تذكرها هذه الكلمة . (٢) كذا في اللسان
مادة شرع . وفي الأصلين «يخلقها» والكف مؤنث لا مذكر . وفي المصباح مادة كفف :
«قال ابن الأثير» : وزعم من لا يوثق به أَنَّ الكف مذكر ولا يعرف تذكيرها من يوثق ببلده .

(٣) في تاج البروس واللسان مادة شرع : * كما حُطَّ من مائة صبه .

١٥

وقد قيل : إنَّ العربَ حساباً خاصاً غير ما هو مذهب اليوم وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعا كلاً منها
بإزاء عدد مخصوص ثم رتبوا لأوضاع الأصابع أعداداً وعشرات ومئات وألوفاً ، فيشارعن الواحد مئلاً يقبض
الخنصر وعن الاثنين قبض البصر وهكذا ، فالمد الذي أراده الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضى توابعهم
في هذا الحساب بأن تقبض الخنصر والبصر والوسطى من اليد اليمنى لتدل على عدد ثلاثة وتجهل السبابة حقيقة
غير مجتوعة لتدل على عدد تسعين ، ولهذا نزع رواية اللسان عن رواية الأصل . وكذلك تقضى توابعهم في عدد
الآلاف بأن تقبض من اليد اليسرى الخنصر والبصر والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجهل سبابة اليسرى
حقيقة غير مجتوعة لتدل على عدد تسعة آلاف . انظر «بلوغ الأرب في أحوال العرب» ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٩
(٤) يقال : هذا شرعة ذلك أي مثاله ؛ عن اللسان .

٢٠

قال أبو علي الضرير :

لعمرك ما نُسب المعل * إلى كرم وفي الدنيا كرم
ولكن البلاد انا أفسحت * وصوح ثبها ربي ألهم

وقال آخر :

أمر خوف فقر، فجعله * وأخرت إهائي ما تجمع
فصرت الفقير وأنت ألسني * وهل كنت تعدو الذي تصنع

خوف رجل رجلا جوادا الفقر وأمره بالإبقاء على نفسه؛ فكتب إليه: إني أكره
أن أترك أمرا قد وقع، لأمر لعله لا يقع. وقال أبو الشمقمق :

أيت الخبز عز لديك حتى * حبيت الخبز في جوار السحاب
وما روجتنا لئدب عنا * ولكن خفت مرزقة الذباب

وقال ذيول :

صدق الله إذ قال مجتهدا * لا والرغيف، فذاك البر من قسمة
قد كان يسجني لو أت خبرته * على جرائقه كانت على حريمه
فإن همت به فأفكك مجبرته * فإن موقعها من لحمه ودمه

وقال الشاعر :

أرفق بمفصر حين تأ * كل بالمعاوي من طعامة
الموت أيسر عنده * من مضغ ضيف والثقابة
وتراه من خوف الترييل به يروع في منامة
مبيان كسر رغيقه * أو كسر عظيم من عظامه

(١) كذا في النسخة الألمانية، وفي الفونوغرافية "الخبر" بدل "الخبر".

(٢) جمع جرذ أو جرذة، وهو الرغيف، وفي النسخة الألمانية «جراذه» وهو اللفظ الأصلية فيه.

لا تَكْثَرَتْ رَغِيْفَه * إِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي كَلَامِهِ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِبَابِهِ * فَاحْفَظْ رَغِيْقَكَ مِنْ غُلَامِهِ

وقال أبو نُوَاس :

خُبِرُ إِسْمَاعِيلَ كَالْوَشْيِ إِذَا مَا أُنْشِقَ يَرْقَا
عَجَبًا مِنْ أَثَرِ الصَّنِيعَةِ فِيهِ كَيْفَ يَنْقَى
إِنْ رَقَاءَكَ هَذَا * أَحْدَقُ الْأُمَةِ كَفَا
فَإِذَا قَابَلَ بِالنَّصْفِ * مِنَ الْجُرْدِ نِصْفًا
أَحْكَمُ الصَّنِيعَةِ حَتَّى * لَا تَرَى مَوْضِعَ إِنْشَى^(١)^(٢)
مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ التَّنْشُورِ مَا ظَلَرَ حَرْفًا
وَلَهُ مِنَ الْمَاءِ أَيْضًا * عَمَلٌ أَبْدَعُ ظَرْفًا
مَنْزُجُهُ الْعَذْبَ بِمَاءِ الْكَبِيْرِ كَيْ يَزْدَادَ ضِعْفًا
فَهُوَ لَا يَشْرَبُ مِنْهُ * مِثْلَ مَا شَرِبَ صَرْفًا

باب الْخَمْرِ

قال الشعبي لرجل استجهله : مَا أَحْوَجَكَ إِلَى مُحْدَرِجٍ شَدِيدٍ الْقَتْلِ جَبَدِ الْجِلَازِ
عَظِيمِ الثَّمَرَةِ لَدُنِ الْمَهْزَةِ يَأْخُذُ مِنْكَ فَيَا بِنَ عَجِبٍ الدَّنْبُ وَمَغْرُزُ الْعُنُقِ فَتَكْثُرُ لَهُ رَقَصَاتُكَ^(٣)
مِنْ غَيْرِ جَلَلٍ ؟ فَقَالَ : وَمَا هَذَا ؟ فَقَالَ : بَعْضُ الْأَمْرِ .

(١) في النسخة الفتوغرافية : « أرقى » . (٢) في ديوان أبي نواس " مفرز " .

(٣) الإشقي : الخشب (٤) في ديوان أبي نواس : " لا يقيق " ، وفي هامش النسخة الفتوغرافية ما يوضح الرواية التي هنا ، وهو أن يقدّم مفعول القتل الثاني هو ماء البر ويصير المعنى : لا يشرب من المزوج مثل ما يشرب من ماء البر ، لأن في المزوج من العذب ما يجعله على الحرس والتقدير .

(٥) في هامش النسخة الفتوغرافية " المحدرج : السوط ، والجلاز : جودة القتل ، ولان ، أي لين " .

(٦) ثمرة السوط : عقد أطرافه . (٧) عجب القتب : العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز .

قال حدثني الثَّوْمِيّ عن محمد بن الصَّلْتِ الأَسَدِيّ عن أَحَدِ بْنِ بَشِيرٍ عن الأَعْمَشِ
عن سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ عن عَطَاءٍ عن جابر قال : كان في بني إسرائيل رجل له حمارٌ ، فقال :
يا رَبِّ لو كان لك حمارٌ لعلَّفْتُهُ مع حمارى هذا ، فهم به نبيٌّ ، فأوحى الله إليه : إنما أُثِيبُ
كُلَّ إنسانٍ على قَدْرِ عقله .

حدثني محمد بن خالد بن خَدَّاش عن أبيه عن حمَّاد بن زيد عن هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ
عن محمد بن سيرين أن رجلاً رأى في المنام أن له غنًى وكأنه يُعطى بها ثمانية ثمانية ،
ففتح عينه فلم ير شيئاً ، فغمَضَ عينه ومدَّ يده وقال : هاتوا أربعة أربعة .

مرَّ رجلٌ من العُبَّادِ على عتقه عصا في طرفها زَبِيلَانِ ^(٤) قد كادا يَحِيطَانِهِ ، في أحدهما
بُرُوفِي الأَنْثَرِ تَرَابٌ ، قيل له : ما هذا ؟ قل : عدلتُ البرَّ بهذا الترابِ ، لأنه كان
قد أُمَاتَنِي في أحد جانبي فأخذ رجلٌ زَبِيلُ الترابِ فقلَّبه وجعل البرَّ نصفين في الزبيلين
وقال له : أحمِلِ الآنَ ، فحمَله ، فلما رآه خفيفاً قال : ما أعظَمَكَ مِنْ شَيْخٍ ! خَصَرَ
أعرابيٌّ لقومٍ قَبْرًا في أيامِ الطاعونِ بدرهمين ، فلما أعطوه الدرهمين قال : يا بِي دَعُوهُمَا
عندكم حتى يَجْتَمَعَ لِي ثَمَنُ ثوبٍ . كانت أمُّ عمرو بنتُ جُنْدَبٍ بنِ عمرو بنِ جُحْمَةَ
السُّدُوسِيّ عند عَتَّانَ بنِ عَفَّانَ ، وكانت حمقاء تجعلُ الخُنُفَسَاءَ في فيها ثم تقول :
حَاجَّتِيكَ مَافِي فَمِي ؟ وهى أمُّ عمرو وأبانُ ابْنِي عَتَّانَ

إبراهيم بن المنذر قال حدثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن
جده قال : رأيتُ طارقاً وهو وإلٍ لبعض الخلفاء من بني أمية على المدينة يدعو بالغداء
فيتنقذ على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكون فيه العظمُ المُخِخُ فينكثه على
رُعْمَانَةِ الْخَبَرِ فَيَا كُلَّهُ .

(٤) الزبيل كأمير وسكين وقيل : القنقة .

قالت أم غَزْوَانُ الرَّقَاشِيَّ لَابْنِهَا - ورائه يقرأ في المصحف - : يا غَزْوَانُ، أما تجد فيه بعيراً لنا ضلَّ في الجاهلية ؟ فأكهرها وقال ^(١) : يا أمه، أجد والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً .

سفيان بن عُيينة عن أيوب بن موسى قال : قال ابن أبي عتيق لرجل : ما أسماك ؟ قال : وثأب ؛ قال : فما كان اسمك ؟ قال : عمرو ؛ قال : وإخلافاه !

قال أبو الرداء : علامة الجاهل ثلاث : العجب ، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه ، وأن ينهي عن شيء ويأتيه . أُنحى على رجل من الأزد فصاح النساء وأجمع الجيران وبعت أخوه إلى غاسل الموتى بقاء فوجده حياً بعد ؛ فقال أخوه : اغسله فإنك لا تفرغ من غسله حتى يقضى . وقال أَرْدَشِيرُ : يحسبك دلالاً على عيب الجاهل أن كل إنسان يتخفى منه ويغضب إذا نُسب إليه . وكان يقال : لا يفرك من الجاهل قرابه ولا أخوه ولا إلف فإن أحق الناس يتحرق النار أقربهم منها .

قال عمر بن عبد العزيز : خصلتان لا تمدانك من الجاهل : كثرة الالتفات وسرعة الجواب . وقال عمر بن الخطاب : زياك ومؤاخاة الأحق فإنه يريد أن ينفك فيضرك . وقال بعضهم : لأن أزاويل أحق أحب إلى من أن أزاويل نصف أحق ؛ يعني الأحق المتعاقل . وقال هشام بن عبد الملك : يعرف حق الرجل بأربعة : بطول لحيته ، وشداعة كنيته ، وهش خاتمه ، وإفراط شهوته ؛ فدخل عليه ذات يوم شيخ طويل الثمنون ، فقال هشام : أتما هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين هو من الثلاث ؛ فقبل له : ما كنيته ؟ فقال : أبو الياقوت ؛ وقالوا : ما نقش خاتمك ؟ قال : (وجاءوا على

(١) كهرتج : اتر . (٢) في النسخة الألمانية : " لا تمد ما بك " ، وفي القصورافية

" لا يد ما بك " ، ولعل ما أئنتاه أقرب الى الصواب .

قَبِيصِهِ يَدِيمٌ كَذِبٌ) . وفي حكاية أخرى (وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَنْدُودَ) ؛
فَقِيلَ لَهُ : أَيْ الطَّعَامُ تَسْتَبِي ؟ فقال : جَلَنَجِينَ ، وفي حكاية أخرى مصابغة .^(١١)
^(١٢)

سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً ينادى رجلاً : يا أبا العُمرين ، فقال : لو كان له عقلٌ
كفاه أحدُهما . وقال أبو العَاج يوماً لجلسائه - وكان يلى واسطَ - : إنا الطويل لا يخلو
من أن يكونَ فيه إحدى ثلاث : أن يَفَرِّقَ الكلابَ ، أو يكونَ في رجلِهِ قُرْعةٌ ، أو يكونَ
أحقُّ ، وما زِلْتُ وأنا صغيرٌ في رجلِي قُرْعةٌ ، وما فَرَّقَ الكلابَ أحدُ فَرَّقِي ، وأما الحقُّ
فانتم أعلمُ بوالبكم . وقال : الأحقُّ أعلمُ بشأنه من العاقلِ بشأن غيره . وقال بشار :
خَلِيلِي إِنْ عَسَرَ صَوْفٌ فُيْقُ * وَإِنْ يَسَارًا فِي غَدٍ نَلِيْقُ
وما كنتُ إلا كالزمان إذا صحا * صَحَوْتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمانُ أَمُوقُ
فَرِيْنِي أَشْبَهَ هُمَى بِرَاجٍ فَلَاقِي * أَرَى الدَّهْرَ فِيهِ تُرْبَةٌ وَمَضِيْقُ
١٠

وقال رجل : فلانٌ إلى مَنْ يُداوِي عقلَه أحوَجُ منه إلى مَنْ يُداوِي بدَنَه . قيل لبعض
الحكماء : متى يكون الأدبُ شراً من علمه ؟ قال : إذا كثر الأدبُ وقصَّ العقلُ .

وقرأت في كتاب للهند : مِنَ الْحَقِ اتِّسَاسُ الرَّجُلِ الْإِخْوَانَ بِغَيْرِ وِفَاءٍ ، وَالْأَجَرَ
بِالرَّيَاءِ ، وَمَوْتَةَ النِّسَاءِ بِالنَّفَقَةِ ، وَهَضَعَ نَفْسَهُ بِضَرِّ غَيْرِهِ ، وَالْعِلْمَ وَالْفَضْلَ بِالْبُدْعَةِ
وَالْحَفِيزِ . وفيه : ثلاثةٌ يهزأُ بهم : مدعى الحرب ولقاءِ الزُّخُوفِ وَشِدَّةِ النَّكَايَةِ
١٥ في الأعداءِ وَبُدْنَةِ سَلِيمٍ لَا أَثَرَهُ ، وَمُسْتَعِلاً عِلْمَ الدِّينِ وَالْاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَهُوَ ظَلِمْ

(١) في مفردات ابن البيطار ج ١ ص ١٦٦ أنه الورد مربب بالصل أو بالسكر - وفي أقرب الموارد أنه
مربون يصل من الورد والصل ، فأرى مغرب عن «كل» ومناه ورد «انكتين» ومناه وصل .

(٢) لعلها محذرة عن مصوص بفتح الميم وضم الصاد وهو كما في القاموس طعام من لحم يطبخ ويضع
في الخل أو يكون من لحم الطير خاصة .
٢٠

(٣) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل ، ولعلها : «العاقل بشأن غيره أعلم من الأحق بشأنه» لأن الكلام
في ذم الحق .

- الرقية أحسن من الأئمة، والمرأة الخلية تيب ذات الزوج . وفيه : مَنْ يَعْمَلُ بِجَهْلِ
خَسَّة : مُسْتَعْمِلُ الرَّمَادِ فِي جَنَّتِهِ بَدَلًا مِنَ الزَّيْلِ ، وَمُظْهِرُ مَسْتَوْرِ عَوْرَتِهِ ، وَالرَّجُلُ
يَتَرَيَا بَرَى الْمَرَأَةَ وَالْمَرَأَةُ تَتَرَيَا بَرَى الرَّجُلَ ، وَالتَّمَلُّكُ فِي بَيْتِ مُضِيغِهِ ، وَالتَّكَلُّمُ بِمَا
لَا يَنْبَغُهُ وَلَا يُسْأَلُ عَنْهُ . وفيه : الْأَدَبُ يُحِبُّ عَنِ الْعَاقِلِ الْسُّكْرَ وَيَزِيدُ الْأَحْقَ سُكْرًا ،
كَمَا أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ بَصْرًا وَيَزِيدُ الْخُفَافِينَ سُوءَ بَصَرٍ . وَكَانُوا يَكْرَهُونَ
أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ .

قال الشاعر في جاهل :

مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَأْخُذُونَ وَيُفْطِنُونَ وَيَسْتَمِعُونَ بِاللَّشَبِ
وَأَنْتَ مِثْلُ الْحَمَارِ أَبْهَمُ لَا * تَشْكُو جِرَاحَاتِ السِّنِّ الْعَرَبِ

- ١٠ سمع الأحنف رجلاً يقول : مَا أَبَالِي أُمِدِحْتُ أَمْ هُجِّيتُ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ :
أَسْتَرَحْتُ مِنْ حَيْثُ تَعِبَ الْكَرَامُ .

- كَانَ عَامِرُ بْنُ كُرَيْرٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ مِنْ حَقِّ قُرَيْشٍ ، نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ
يُخْطَبُ فَأَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ وَقَالَ : إِنَّهُ وَاقِعٌ مِنْ هَذَا وَأَشَارَ إِلَى ذِكْرِهِ .
وَمِنْ حَقِّ قُرَيْشٍ الْمَاضِ بْنِ هِشَامٍ أَخُو أَبِي جَهْلٍ وَكَانَ أَبُو هَلَبٍ قَامَرَهُ
فَقَمَرَهُ مَالَهُ ثُمَّ دَارَهُ ثُمَّ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ وَأَهْلَهُ وَقَسَمَهُ فَأَتَّخَذَهُ عَبْدًا وَأَسْلَمَهُ قَيْنًا ، فَلَمَّا كَانَ
يَوْمٌ بَدَرَ بَسَتْ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ فَقَتَلَ بَيْدَرَ كَافِرًا ، قَتَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ خَالَ عُمَرَ .
وَمِنْ حَقِّ قُرَيْشٍ الْأَحْوَصُ بْنُ جَصْفَرٍ بِنِ عُمَرَ بْنِ حُرَيْثٍ ، قَالَ لَهُ يَوْمًا جُلَّاسُوهُ :
مَا بَالُ وَجْهِكَ أَصْفَرُ ! أَتَشْتَكِي شَيْئًا ؟ وَأَعَادُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ يَوْمُهُمْ
وَيَقُولُ لَهُمْ : أَنَا شَاكٍ وَلَا تُعْلِمُونَنِي ! أَلْقُوا عَلَيَّ الثِّيَابَ وَأَبْشُوا إِلَى الطَّيِّبِ . وَتَمَارَضَ
مَرَّةً فَعَادَهُ أَصْحَابُهُ وَجَعَلَ لَا يَتَكَلَّمُ ، فَدَخَلَ شُرَاعَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّعْدِيِّ وَكَانَ أَمْلَحَ

٢٠

أهل الكوفة، فعرف أنه متمرّد فقال : يا فلانُ كذا أميس بلحيرة فأخذنا الخمر ثلاثين قنينة بدينار، والخمر يومئذ ثلاث قناتي بدينار، فرفع الأحوص رأسه وقال : كذا مني في كذا من أثم الكاذب، وأستوى جالسا، فشرأهله على شراعة السكر، فقال له شراعة : أجلس لا جلست وهات شرابك، فشربا يومهما .

ومن حمق قريش بكّار بن عبد الملك بن مروان ، وكان أبوه ينهأ أن يحالّس خالد بن يزيد بن معاوية لِمَا يعرف من حمق ابنه ، فجلس يوما إلى خالد ، فقال بكّار : أنا والله كما قال الأول :

* مرّدد في بني القنّاء ترديدًا *

وكان له بازٍ فقال لصاحب الشرطة : أغلق أبواب المدينة لئلا يخرج البازي .

ومن حمق قريش معاوية بن مروان أخو عبد الملك بن مروان . بينما هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان فظر إلى حمار الطحان يدور الرحا وفي عنقه جُلجلٌ ، فقال للطحان : لم جعلت في عنق الحمار جُلجلا ؟ فقال : ربما أدركني سائمة أو نعسة فإذا لم أسمع صوت الجُلجل علمت أنه قام فصيحْتُ به ؛ فقال معاوية : أرايت إن قام وحرك رأسه ما علمك أنه قائم ؟ قال الطحان : ومن لحماري بمثل عقل الأمير ! .
وقال معاوية هذا لأبي أمرأته : ملأنا أبتك الباردة بالدم ؛ فقال : لأنها من نسوة يحبّان ذلك لأزواجهن . وقال له أيضا يوما آخر : لقد نكحت أبتك بعصبة ما رأت مثله قط ؛ قال : لو كنت عتيّا ما زوجناك .

ومن حمق قريش سليمان بن يزيد بن عبد الملك ، قال يوما : لعن الله الوليد أخى فإنه كان فاجرا ، والله لقد أرداني على أن يفعل بي ؛ فقال له قائل : أسكت فواقه لئن كان هم لقد فعل .

خطب سعيد بن العاص عائشة بنت عثمان على أخيه ، فقالت : هو أحق
لا أتروجه أبداً ، له برذونان أشبهان فهو يحتمل مشونة اثنين وهما عند الناس واحد .
وأخبرني رجل أنه كان له صديق له برذونان في شية واحدة فكأن لا نظن إلا أن له
برذونا واحداً ، وغلامان يُسميان جميعاً بفتح ، وكان إذا دعا واحداً قال : يا فتح الكبير ،
وإذا دعا الآخر قال : يا فتح الصغير .

قال أبو عبيدة : أرسل ابن لجبل بن لجيم فرساً له في حلبة بجاء سابقاً ، فقال لأبيه :
يا أيت ، بأي شيء أسميه ؟ فقال : ألقأ إحدى عينيه وسمه الأور . وقال الشاعر :
رمتني بنو عجيل بلاء أيسم * وأى عباد الله أنوك من عجيل !
ليس أبوهم عار عيب جواده * فاحتض به الأمثال تضرب في الجهل

١٠ ومن عجل "دعة" التي يضرب بها المثل في الجهل ، فيقال : هي دعة بنت مفتح ،
ويقال : دعة لقب ، وأسمها مارية بنت زمنة . قال أبو القظان : ومن عجل حين
أبن غضبان ورث نصف دار أبيه فقال : أزيد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري
النصف الباقي فتصير كلها لي .

ومن القبائل المشهورة فيها الحق "الأزد" . قال رجل منهم في المهلب بن أبي صفرة :

١٥ نعم أمير الرقة المهلب * أبيض وضاح كتييس الحلب
يتقص بالقوم اقتصاص الكوكب *

(١) يقال : "أحق من دعة" أورده الميداني في جميع الأمثال وقال في شرحه : إنها مارية بنت مفتح
بالعين المهملة ورواه صاحب اللسان في مواد «عج ودعا رجس» بالنون المجبة ، وفي شرح القاموس
مادة جهر قلا عن البكري في شرح أمال القائل أن الفضل بن سلة قال : من أعجم العين فتح الميم ومن
أهلها كسر الميم . ولها قصة مشهورة أوردها الميداني في جميع الأمثال طبع بولاق ج ٢ ص ١٩٣

٢٠ (٢) يقال تيس حليب وتيس ذو حليب . والحلب قلة جعدة غبراء في خضرة تنبسط على الأرض يسيل
منها اللبن إذا قطع منها شيء ، وهي تنبت في القيط بالقيمان وشطآن الأودية .

فلما أنشد الملهب، قال : حسبك رحلك الله ! .

ومن أشعارهم :

ياربُّ جارية في الحى حالية * كأنها عومة في جوف راقود^(١)

وقال آخرهم :

زياد بن عمرو عينه تحت حاجبه * وأسنانه بيض وقد طرَّشَاربه

وقال عمر بن بكيا يصف إبلا :^(٢)

تَصَطَّكُ^(٣) أَلْهِيهَا عَلَى دِلَائِيهَا * تَلَاطُمُ الْأَزْدِ عَلَى عَطَائِيهَا

وقال أبو حية الثمري :

وكانَ ظَلَّ دَنَائِهِمْ فِي دُورِهِمْ * لَفَطُ الْعَتِيكِ عَلَى خِوَانِ زِيَادِ^(٤)

١٠ كتب مسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب : والله ما أنت بصاحب هذا الأمر، صاحب هذا الأمر مقهورٌ موتورٌ وأنت مشهورٌ غير موتورٍ؛ فقام إليه رجل من الأزد فقال : قدَّم أبنتك غنلنا حتى يُقتل قصير موتورًا .

١٥ قام رجل من الأزد إلى عبيد الله بن زياد فقال : أصلح الله الأمير، إن أمرأتى هلكت وأردت أن أتزوج أمها وأزوج أبنتها وهذا عريفي، فأعني في الصداق؛ فقال : في كم أنت من العطاء؟ قال : في سبعمائة؛ قال : خطأ عنه أربعائة، يكفيك ثلثمائة .

(١) دويصة تسبح في الماء . (٢) ورد بالأملين «عمرو» والصواب من الكامل

البرد ص ٣٢٤، ٥٦٣ طبع ليسج وأمالى فقال ج ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق واللسان مادة «جلا» . (٣) أَلْهِيهَا جمع لَهِيَ على أَفْعُلْ، وكسرت الماء لمناسبة الياء، والهمي : منبت الهية .

(٤) الْعَتِيكَ بالألف واللام : نخل من الأزد والنسبة إليها عَتَكَيَّ . ٢٠

(٥) العريف : القيم بأمر القليلة أو الجماعة من الناس على أمورهم ويتعرف الأميره أحوالهم .

ومن حمى الأزْدَ قَيْصَةُ بن المَهْلَب ، رأى جرادا يطيرُ فقال : لا يَهْلِكُكُمْ مَا تَرَوْنَ
فإنَّ عاقبتهم موتٌ . وقال يوما : رأيتُ غُرْفَةً فوقَ بَيْت . وقال لفلامه : أذهب إلى
بَيَاضِ اللَّيْلِ .

ومن حمى العربِ كِلَابٌ بن صَعَصَعَةَ ، خرج إخوته يَسْتَرُونَ خيلاً ونرج معهم
كِلابٌ فجاء يَجْعَلُ يَقُوهُ ، فقال له إخوته : ماهذا ؟ قال : فرسٌ أَشْرَيْتُهُ ، قالوا :
يا مائقُ ، هذه بقرةٌ أَمَا تَرَى قَرْنَهَا ! فرجع إلى بيتِه ففُطِعَ قَرْنُهَا ، فأولاده يُدْعَوْنَ
« بَنِي فَارِسِ الْبَقَرَةِ » . قال الكُمَيْتُ :

وَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَذُبُّهُ * يَجْتَلِ عَنْ السَّجْلِ الْمُرْقِعِ مَاصِلٌ ^(١)

وكان شُدْرَةُ بنُ الزَّرِّقَانِ من الحمي ، دخل يوم الجمعة المسجدَ فَاخَذَ بِمِصْبَاحِ الْبَابِ ^(٢)
ثم قال : السلامُ عليكم ، أَلَيْجُ شُدْرَةُ ؟ فقالوا له : هذا يومٌ لَا يُسْتَأْذَنُ فِيهِ ، قال : أَفَلَيْجُ
مِثْلِي عَلَى جَمَاعَةٍ مِثْلِي هؤُلَاءِ وَلَا يُرْفُ مَكَائِهِ !

عَوَانَةُ قال : اسْتَعْمَلَ معاويةُ رجلاً من كَلْبٍ ، فذكر المحجوسَ يوماً فقال : لَعَنَ
اللهُ المحجوسَ يَنْكِحُونَ أُمَهَاتِهِمْ ، والله لو أُعْطِيتُ عَشْرَةُ آلَافٍ مَا نَكَحْتُ أُمِّي ، فبلغ
ذلك معاويةً ، فقال : قَبَسَهُ اللهُ ! أَرُونَهُ لَوْ زَادُوهُ فَعَلَ ! وعزله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : سأل القومُ الحارثَ بنَ جِرَّانٍ أنْ يَمِيزَهُمْ فِي تَأْسِيسِ
مَسْجِدِهِ ، فقال : قَبِيرُهُ وَعَلَى الْوَدَّعِ .

خطب والي البصرة فقال : إن الله لا يُقَارُ عَلَى الْمَاضِي عِبَادَهُ ، وقد أَهْلَكَ أُمَّةً
عَظِيمَةً فِي نَاقَةٍ مَا كَانَتْ تُسَاوِي مَا نَحْنُ فِيهِمْ ، فُسِّمَى مُقَوِّمَ النَّاقَةِ .

شَرْدَ بَعِيرٌ مُبْتَقَةٌ ، وأسمه يزيدُ بنُ ثَرَوَانَ ، فقال : مَنْ وَجَدَ بَعِيرِي فَهُوَ ؛ فَقِيلَ
له : وما يَنْفَعُكَ مِنْ هَذَا ؟ قال : إِنَّمَا لَا تَدْرُونَ مَا حَالُ الْوَجْدَانِ .

(١) المِرْج : الذي أَخَذَتْ غِرَّتُهُ جَمِيعَ رِجْلِهِ . (٢) ضَادَاتُ الْبَابِ : الْخَشَبَانِ الْمَصُوبَتَانِ
مِنْ بَيْنِ الدَّخْلِ مِنْهُ وَمَخَالِهِ .

وقال المنصور للرَّبِيع: كيف تَعْرِفُ الرَّبَّ؟ قال: أَنظُرُ إِلَى خَاتَمِي فَإِنْ كَانَ سَلِسًا
فَهِيَ شَمَالٌ وَإِلَّا فَهِيَ جَنُوبٌ؛ فَسَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّلْحِيُّ عَنْ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: أَضْرِبْ
بِيَدِي إِلَى خُصَصِي فَإِنْ كَانَتْ قَدْ قَلَصَتْ فَهِيَ شَمَالٌ وَإِنْ كَانَتْ مُتَدَلِّتِينَ فَهِيَ جَنُوبٌ.

قال أبو كعب القاصُّ في قَصَصِهِ: إِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي كَيْدِ حِمْرَةٍ
مَا قَدْ عَلِمْتُمْ قَادِعُوا اللَّهَ أَنْ يُطْعِمَنَا مِنْ كَيْدِ حِمْرَةٍ. وَكَانَ يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: لَيْسَ فِي خَيْرٍ
وَلَا فِيكُمْ، قَبِّلُوا بِي حَتَّى تَجِدُوا خَيْرًا مِنِّي. وَقَالَ هُوَ أَوْ غَيْرُهُ فِي قَصَصِهِ: كَانَ أَسْمُ
الذِّئْبِ الَّذِي أَكَلَ يَوْسَفَ كَذَا وَكَذَا؛ قَالُوا: فَإِنْ يَوْسَفَ لَمْ يَأْكُلِ الذِّئْبُ؛ قَالَ:
فَهَذَا أَسْمُ الذِّئْبِ الَّذِي لَمْ يَأْكُلْ يَوْسَفَ.

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمِّه قال: كَانَ قَاصُّ يَقُصُّ فِي الْمَسْجِدِ
فَيَقُولُ: مِثْلُ الْكَافِرِ مِثْلُ قَصْرِ الْإِسْكَافِ خَارِجُهُ حَسَنٌ وَدَاخِلُهُ خَجَرَةٌ؛ وَمِثْلُ الْمُؤْمِنِ
مِثْلُ قَصْرِ زُرِّيٍّ جِدَارُهُ كَالْحِجَابِ وَدَاخِلُهُ زَهْرَةٌ. وَيَقُولُ: وَمَا الدُّنْيَا! أَنْزَى اللَّهُ
الدُّنْيَا! إِنَّمَا مِثْلُهَا مِثْلُ آيِرِ حِمَارٍ، بَيْنَا هُوَ قَدْ أَنْظَرَ إِذْ طَفِيَ. وَقَالَ: الْمُؤْمِنُ غِذَاؤُهُ
فَلَقَّةٌ وَسَمَكَةٌ شِلْقَةٌ وَدَوَاؤُهُ عُلْقَةٌ وَمَرْقَتُهُ سِلْقَةٌ.

أصاب داودُ المصَابَ مُصِيبَةً فَأَغْتَمَّ؛ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ لَهُ: لَا تَغْتَمَّ اللَّهُ فِي قَضَائِهِ؛
فَقَالَ دَاوُدُ: أَقُولُ لَكَ شَيْئًا وَتَكْتُمُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: وَاللَّهُ مَا صَاحِبِي غَيْرُهُ.
وَأَسْتَشَارُهُ وَجَلَّ فِي حِلْمِ أَمَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَقَالَ: إِنْ حَلَمْتُهَا فِي الْبَرِّ خَفْتُ عَلَيْهَا
الْأَلْوَصَ، وَإِنْ حَلَمْتُهَا فِي الْمَاءِ خَفْتُ عَلَيْهَا الْفَرْقَ؛ فَقَالَ: خُذْهَا ^(١) سَفْتَجَةً.

(١) قَصْرُ الْبَصْرَةِ فِي سَكَةِ الْمَرْيَدِ لِمَسْلَمٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ قَتِيبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ، وَكَانَ يَلِيهِ غُلَامٌ يُقَالُ
لَهُ: زُرِّيٌّ. (٢) الْفَلَقَةُ: الْكِبْرَةُ، وَالْأَلْقَى: شَيْءٌ عَلَى خِلْقَةِ السَّمَكَةِ صَغِيرُهُ رِبِيلَانٌ عِنْدَ ذَنْبِهِ
كَجِلِّ الضَّفَدَةِ لَا يَدِينُ لَهُ يَكُونُ فِي أَنْهَارِ الْبَصْرَةِ وَلَيْسَتْ بِرَبِيَّةٍ. كَذَا فِي السَّانِ. وَالْمَلَقَةُ: مَجْرِيَّتُهَا فِي الشَّوَاءِ
تَقْلَعُ بِهَ الْإِبِلَ حَتَّى تُدْرِكَ الرَّبِيعَ. وَالْمَلَقَةُ: الْجَرَادَةُ، لَهَا يَرِيدُ أَنْ يَجْتَزِيَ مِنَ الْمَرْقِ بِالْقَلِيلِ مَعَهُ حَتَّى إِذَا
لَيْكْفِيهِ مَرْقٌ جَرَادَةٌ وَاحِدَةٌ. (٣) السَّفْتَجَةُ: أَنْ تَقْلَعَ مَالًا لِرَجُلٍ لَهُ مَالٌ فِي يَدِهِ تَرِيدُ أَنْ تَسَافِرَ
إِلَيْهِ فَتَأْخُذُ بِهِ خَطًا مِنْ عِنْدِ الْمَالِ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ أَنْ يَطْلُبَكَ مِثْلُ مَالِكِ الْقَيْ دَفَعَهُ إِلَيْهِ قَبْلَ مَرْكٍ، وَهُوَ
مَرْبُ سَفْتٍ بِالْقَارِسَةِ وَهِيَ النَّحْلُ، الْحَكْمُ، سَمِيَ بِهِ هَذَا الْقَرَضُ لِإِسْكَامِ أَمْرِهِ.

دعا بعض السلاطين مجنونين ليضربك منهما، فاسمعهما فغضب فعدا بالسيف؛ فقال أحدهما للآخر: كما آتيت وقد صرنا ثلاثة. قال رجل لابن ميادة مولى بني أسد: ما أراك تعرف الله؛ قال: أتراني لا أعرف من أجاعني وأعراي وأخراني. قيل لأعرابي: كيف ريك بأمك؟ قال: ما قرعتها سوفا قط. وقيل لآخر وهو يضرب أمه: ويحك! تضرب أمك! فقال: أحب أن تنشأ على أدبي. وقال بعض الشعراء:

جُنُونُكَ مجنونٌ ولست بواجِدٍ * طيِّباً يداوِي من جُنُونِ جُنُونٍ

وقال آخر:

وكيف يُفِيْقُ النَّهْرَ كُفُّ بِنُثَاقٍ * وَشَيْطَانُهُ مِنْ الْأَهْلِ بَصَرُ
وقال أعرابي: وذكر الله عز وجل:

خلق السماء وأهلها في جمعة * وأبوك يَمْدُرُ حَوْضَهُ فِي عَامٍ^(١)

كان أبو العجاج وإلى واسط، وأتاه صاحب شرطته قَوَادِيه فقال: أصليح الله الأمير، هذه قَوَادِيه؟ قال: وأي شيء تصنع؟ قال: تجمع بين الرجال والنساء؛ قال: لماذا؟ قال: للزنا؛ قال: وإنما أتيتني بها لتعرفها متلى! خل عنها لعنة الله. وأتاه يوماً مُحَنَّتٌ؛ فقال له: ما هذا؟ قال: مُحَنَّتٌ؛ قال: وما يصنع؟ قال: يُنَكِّحُ كما تُنَكِّحُ المرأة؛ قال: يَبْدُلُ هذا آسته وأحضر أنا عليه! أذهب يا بن أختي فارتد لها^(٢).

خطب وكيع بن أبي سُودٍ بِحُرَّاسَانَ فقال: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر؛ فقيل له: إنما ستة أيام؛ فقال: والله لقد قلَّ لها وأنا أستقلها.

(١) مددت الحوض أمدته، أي أسلحه بالمد وهو قطع العين اليابس.

(٢) كلا في الأصل التوغراني، وفي النسبة الألمانية: «قارند يا».

تَعْدَى رَجُلٌ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ وَلِيُّ عَهْدٍ وَقَدَّامَهُ جَدَى، فَقَالَ لَهُ
سُلَيْمَانُ: كُلُّ مَنْ كَلَّبَتْهُ فَلْنَاهَا تَزِيدُ فِي الدَّمَاعِ؛ فَقَالَ: لَوْ كَانَ هَذَا هَكَذَا كَانَ رَأْسُ
الْأَمِيرِ مِثْلَ رَأْسِ الْبَقْلِ .

أَبُو عَيْدَةَ: أُجْرِيتَ الْخَلِيلُ فَطُلِعَ مِنْهَا فَرَسٌ سَابِقٌ جَعَلَ رَجُلٌ مِنَ النَّظَّارَةِ يُكَبِّرُ
وَيَسُبُّ مِنَ الْفَرَحِ؛ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ إِلَى جَانِبِهِ: يَا قَتَّى، هَذَا الْفَرَسُ فَرَسُكَ؟ قَالَ: لَا
وَلَكِنِّي الْجَبَّامُ لِي . دَخَلَ أَبُو عَتَّابٍ عَلَى عَمْرُو بْنِ هَدَّابٍ وَقَدْ كُتِفَ بِصَرِّهِ وَالنَّاسُ
يُعْزِزُونَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا زَيْدٍ، لَا يَسُوءُكَ نَحَابُهُمَا، فَإِنَّكَ لَوَرَأَيْتَ نَوَابَهُمَا فِي مِيزَانِكَ
تَعْنَيْتَ أَنَّ اللَّهَ قَطَعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَدَقَّ ظَهْرَكَ . كَانَ رَجُلٌ يَقُودُ أَعْمَى يَكْرَاهُ،
فَكَانَ الْأَعْمَى رَجُلًا عَثَرَ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي بِهِ قَائِدًا خَيْرًا مِنْهُ؛ وَيَقُولُ الْقَائِدُ: اللَّهُمَّ
أَبْدِلْنِي أَعْمَى خَيْرًا مِنْهُ . ١٠

أَدْعَى أَبُو بَكْرٍ الشَّيْبَانِيَّ إِلَى الْعَرَبِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَاصْبَحَ مِنَ الْغَدِ عَلَى الشَّمْسِ فَقَعَدَ
فِيهَا فَتَارَتْ بِهِ مِرَّةٌ، فَجَلَّ يَحْكُ جَسَدَهُ بِأُطْفَارِهِ نَحْمًا وَيَقُولُ: إِنَّمَا نَحْنُ إِبِلٌ؛ فَقَالَ لَهُ
قَائِلٌ: وَاللَّهِ إِنَّكَ تُشْبِهُ الْعَرَبَ؛ فَغَضِبَ وَقَالَ: أَيْقَالَ لِي هَذَا! أَنَا وَاقِعُ حِرَابٍ
تَشْقِيَةٍ، يَنْهَدُ لِي مِوَادُّ لُونِي وَغُورُ عَيْنِي وَجِيَّ لِلشَّمْسِ .

قِيلَ لِأَبِي السَّفَّاحِ عِنْدَ مَوْتِهِ: أَوْصِهِ؛ فَقَالَ: إِنَّا لِكِرَامُ فَوْجٍ طَلُفَةٌ؛ قَالُوا: قُلْ
خَيْرًا يَا أَبَا السَّفَّاحِ؛ فَقَالَ: إِنْ أَحْبَبْتَ أَمْرًا نِي فَاعْطُوهَا بِبِرٍّ؛ قَالُوا: قُلْ خَيْرًا؛

(١) كَذَا فِي الْمَقَدِّ الْفَرِيدِ ج ٢ ص ٢٠٩ وَفِي الْأَمَلِينَ «عَمْرِيْنَ هَلْزَاب» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَمَلِينَ «مَنْصِبَةٌ» وَالتَّصْحِيحُ عَنْ لِسَانِ الْعَرَبِ فِي مَادَّةِ «نَضَبٍ» وَحَيَاةُ الْخَيَوَانِ ج ١ ص ٢٠١
وَالنَّضْبَةُ رَاحَةُ النَّضْبِ وَهُوَ شِمْرُهُ شَوْكُ تَصَارُفِهِ الْخَرَابِي .

(٣) طَلْفَةٌ بِالْهَمْزِ وَالْفَتْحِ: جَمَلٌ أَحْمَرٌ طَوِيلٌ حَذَاهُ أَبَارُومَنْجَلٌ . وَهُوَ يَوْمٌ طَلْفَةٌ لَيْتِي وَرَجُوعٌ عَلَى
قَابُوسِ بْنِ الْمُتَمَرِّ بْنِ مَاءِ السَّيَاءِ .

قال : إِذَا مَاتَ غُلَامِي فَهُوَ حَرٌّ . وَقِيلَ لِرَجُلٍ عِنْدَ مَوْتِهِ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَأَعْرَضَ ،
فَاعَادُوا عَلَيْهِ مَرَارًا ، فَقَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ أَبِي طَالِبٍ أَقَالَمَا عِنْدَ مَوْتِهِ ؟ قَالُوا : وَمَا
أَنْتَ وَأَبُو طَالِبٍ ! قَالَ : لَا أُرْغَبُ بِنَفْسِي عَنْهُ . وَلَمَّا احْتَضَرَ الْعَجِيرُ السُّلُولَى قَالَ
لِقَوْمٍ عِنْدَهُ : أَنَا فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ ، وَاللهُ لَنْ
يُجِدْتُ لِي عِنْدَ اللَّهِ مَوْضِعًا لَا كَلِمَتَهُ فِيكُمْ . وَقِيلَ لِأَوْسَ بْنِ حَارِثَةَ عِنْدَ مَوْتِهِ : قُلْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ : لَمْ يَأْنِ لَهَا بَعْدُ . وَقِيلَ لِأَخْرَعْدَ عِنْدَ مَوْتِهِ : أَلَا تُوصِي ؟ قَالَ :
أَنَا مَغْشُورٌ لِي ، قَالُوا : قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ : قَدْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ ، قَالُوا : لَا تَدَّعِ
الْوَصِيَّةَ ، فَقَالَ لِبَنِي أَخِيهِ :

بَنِي حُرَيْثٍ أَرْفَعُوا رِجَالِي * وَأَحْتَفِظًا بِالْجَلَّةِ الْجِلَادِ

١٠

* فَإِنَّمَا حَوْلَكُمُ الْإِعَادِي *

قَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ : ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمَجَانِينِ وَإِنْ كَانُوا عَقْلَاءَ : الْغَضِبَانُ وَالنَّيِّرَانُ
وَالسَّكَرَانُ ، قَالُوا : فَمَا تَقُولُ فِي الْمُنْعِطِ ؟ فَضَحِكَ وَقَالَ :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو * بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا

قَالَ الْوَلِيدُ : أَلَا إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ يَقُولُ : إِنْ الْمَجْلَاحَ جِلْدَةً مَا يَنْ
عَيْنِي ، أَلَا وَإِنْ الْمَجْلَاحَ جِلْدَةً وَجْهِي كُلُّهُ .

١٥

خَطَبَ عَنَابُ بْنُ وَرْقَاءَ خَتَّ عَلَى الْجِهَادِ وَقَالَ : هَذَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتْلُ عَلَيْنَا * وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الدُّنْيُولِ

وَقَالَ آخَرُ الرِّبْعِ وَلِيَ الْإِمَامَةِ :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ * وَأَنَّ الرِّبْعَ الْعَامِرِي رَفِيعٌ^(١)

٢٠

أَقَادَ لَنَا كَلْبًا بِكَلْبٍ وَلَمْ يَدْعُ * دِمَاءَ كَلَابِ الْمَسْلَمِينَ قَضِيعٌ

(١) كذا بالنسخة الألمانية وهو الموافق لما في العهد القديري ج ٣ ص ٣١٢ والبيان والتبيين للجاحظ
ص ١٧ طبع المطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ ، وفي الأصل القنوغرافي : « دَفِيع » بالفاء . وهو تحريف .

دخل شاب على المنصور فسأله عن وفاة أبيه، فقال : مات رحمه الله يوم كذا وكذا، وكان مرضه رضى الله عنه كذا وكذا، وترك عفا الله عنه من المال كذا وكذا، فاتهره الربيع وقال : أين يدعى أمير المؤمنين ثوالى الدماء لأبيك ! فقال الشاب : لا الوُملُ، إنك لم تعرف حلاوة الآباء، فما علم أت المنصور صحتك مثل صحتك يومئذ . وكان الربيع لهيظا .

دخل رجل من بنى هاشم على المنصور فاستجلسه ودعا بفدائه فقال للفقى : أدته؛ فقال : قد تفتيت؛ فلما خرج استخف به الربيع ودفع في قفاه، وقال : هنا كان يسلم من بعيد ويتصرف، فلما استدناه أمير المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه الى طعامه تبدل بين يديه فبلغ من جهله بفضيلة المتزلة التي صيره فيها أن قال : قد تفتيت، وإنما ليس عنده لمن تفتى مع أمير المؤمنين إلا سد خلة الجوع .

يونس المحجري قال : مات رجل من جند أهل الشام فحضر المجاج جنازته، وكان عظيم القدر، فصلى وجلس على قبره وقال : ليت قبره بعض إخوانه؛ فتلهمهم، فقال أحدهم وهو يسوى عليه : رحلك الله أبا فلان ! إن كنت ما صلتك لتجيد الفناء وتسرع رب الكأس، ولقد وقعت في موقع سوء لا تخرج منه الى الدكة؛ فما تمالك المجاج أن صحك فاكثر، وكان لا يكتر الضحك في جد ولا هزل، ثم قال له : لا أم لك ! هذا موضع هذا ! قال : أصلى الله الأمير، فرمى حيس لو سمعه يتغنى : * يا بئنى أوقدى النارا * لانتشر الأمير على سعة، وكان الميت يقب سمعة، وكان من أوحش خلق الله صورة وأدمهم؛ فقال المجاج : إنا لله ! أخرجه عن القبر، ثم قال : ما أين حجة أهل العراق في جهلكم يا أهل الشام . ولم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ صيحا .

(١) في الأصلين : «وتبدل» والسياق يقتضى حذف الواو .

- تبع داود بن المتعمر امرأة ظن أنها من الفوائد، فقال لها : لولا ما رأيت عليك من سيما الخير لم أتبعك؛ فضجكت المرأة وأسندت ظهرها إلى الحائط ثم قالت : إنما يتعصم مثلي من مثلك بسيما الخير، فلذا صار سيما الخير هو الدال لمثلك على مثلي فافقه المستعان . كلف بهلول المجنون يتغنى بقرابط ولا يسكت إلا بدانيق . وكان رجل يهوى جارية تختلف في حوائج أهلها، وكانت إذا خرجت إلى السوق ولم يعلم بخر وجها ثم رجعت فزأها قال وهو يسيمها : (لو كنت أعلم القيب لاستكثرت من الخليل)، وإن وعدته شيئا فآخفت قال : (يايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون)، فإن تفضت لشيء بلغها عنه قال : (يايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق فنبهوا^(١)) .

- ١٠ . جرت بعض الحمقى بامرأة قاصدة على قبر وهي تبكي، فرق لها وقال : من هذا الميت؟ قالت : زوجي؛ قال : لما كان عمله؟ قالت : يحفر القبور؛ قال : أبعد الله أما علم أن من حفر حفرة وقع فيها ! أكلت رجل من الحمقى ليلة على باب رجل، فلما خرج الرجل زلق ووقع على ذراعه فانكسرت، واجتمع الجيران وجعلوا يختصمون ويوقفون الظنون وهو ناحية يسمع كلامهم، فلما أكثروا قال :

- ١٥ . رأيت الحرب يحنينها رجال * ويصلي حرما قوم برأه
فأخذوه وقالوا : أنت صاحبنا . قال داود المصاب : رأيت رؤيا يصفها حق ونصفها باطل، رأيت كاة على حنق بدرة^(٢) فقلها أكلت فاستيقظت فرأيت الحدت ولم أر البسدة . ربي أعرابي يبكي بكاء شديدا، فُسئل عن سبب بكائه فقال : بلغني أن جالوت قُتل مظلوما . رأى رجل أحق شيئا في الحمام أعكن^(٣)

- ٢٠ . (١) القيراط : نصف الفاق، والفاق سدس الدينار . (٢) البدة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . لسان العرب . (٣) أعكن البطن : أى فبطه عكن وهو ثيابا .

البلطن، فقال له : يا عم إني أشتي أن أصح هذا — يعني ذكرك — في سرك؛ فقال له الشيخ : يا بن أخی فاین يكونُ استك حيقده نزل يهودی على أعرابی فأت عندہ ، فقام الأعرابی يُصَلِّي عليه فقال : اللهم إنه ضيفٌ وحقُّ الضيف ما قد علمت، فأَمَهِلْنَا إلى أن قَضَى زِمَامَهُ ثم شَأْنُكَ والكلب .

وحديثي عبد الرحمن عن الأصمعي قال : كان بين اثنين عبدٌ فقام أحدهما فجعل يضربه فقال له الآخر شريكه : ما تصنع ! قال : إنما أضربُ حصتي . قال أعرابي لرجل : ما أسمك ؟ قال : عبدالله ، قال : ابن من ؟ قال : ابن عبيد الله ، قال : أبو من ؟ قال : أبو عبد الرحمن ، قال : أشهدُ إنك لتلوذُ باللهِ لو أَدَّيْتُمْ جَبَانٌ . قال بعضهم : رأيتُ رجُلين بالبصرة على باب مؤنسٍ يتنازعان في العنب التروزي والرازي : أيهما أطيب ، فخرى بينهما كلامٌ إلى أن تواتبا ، فقطع الكوفي إصبعَ البصري وفقاً للبصري عين الكوفي ، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى رأيتُهما مُتصافيين مُتتاديين .

قال وقال ثُمَامَةُ : مررتُ في غيبِ مماءٍ والأرضُ نَدِيَّةٌ والسماءُ مُتَقِيمةٌ والريحُ شمَالٌ وإذا شيخٌ أصفرُ كأنه جَرَادَةٌ ، وقد قعد على قارعة الطريق وحجَّامٌ يَمِجُّهُ على كاهله وأخذَ عيه بحاجمٍ كأنها قِطَابٌ وقد مَصَّ دمه حتى كادَ يَسْفِرُغُهُ ، فوَقَفْتُ وقلتُ : يا شيخُ لم تَحْتَجِمُ ؟ قال : لمكان الصغار الذي بي . أتى الطَّمَحَانُ قوماً يعودُ عليهم فمزَّاهم به ، قالوا : إنه لم يَمُتْ ، فرجع وهو يقول : يموتُ إن شاء الله ، يموتُ إن شاء الله .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال : كان الناضريُّ من أحمقِ الناس ؛ فقيل له : ما حَقُّه ؟ فجعل يترَبُّثُ ، فلما أَكْثَرَ عليه قال : قال لي مرَّةً : البحرُ من حَقَره ؟ ^(١) وها حُقِرَ فاین نَبِيَّتُهُ ؟ ^(٢) أَرَى أميرَ المؤمنينَ يَقدِرُ على أن يَحْفَرَ مثله في ثلاثةِ أيام ؟ ^(٣)

(١) في النسخة الألمانية «موتى» . (٢) يَرَبُّثُ : يَلْبَثُ .

(٣) التَّبْعُ : تراب البر والتهر .

دخل رجلٌ من الحَقِّق من الشعراء على رجل من الأشراف يُقالُ في نسبه، فقال :
إني قد أمتدحك بشعرٍ لم تُمدح قطُّ بأفع لك منه ؛ قال : ما أخرجني إلى المنفعة
فهايته ؛ فقال :

سألتُ عن أصلك فيما مضى * أبناء سبعين وقد نيفوا
فكلُّهم يُخبرني أنه * مهلبٌ جوهرة يعرف

فقال له : قُم في لعنة الله وفي مخطئه ! لعنك الله ولعن من سألت ومن أجابك .
وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمه فقال :
يا عم ، إن ولدَ جارية آل فلانٍ مِنِّي فأقديهِ ، ففعل ؛ ثم جاءه مرةً أخرى فقال له مثل
ذلك ؛ فقال له عمه : لو عزَّلت ! قال : بلغني أن العزْلُ مكروهٌ .

قال : وحدثنا الأصمعي قال : بلغني عن شيخٍ جَرَعَ على ميتٍ جرْعاً شديداً ؛ فقتل
له في ذلك ؛ فقال : نحن قومٌ لم تتعوَّد الموتُ .

أبو الحسن الجعفری قال : قيل لكَدَمِ السُّدُومِي : كُلُّ ؛ قال : ما أريدُ ؛ قيل :
ولم ؟ قال : أَكَلْتُ قَلِيلَ أَرْزٍ فَأَكْثَرْتُ منه . ضَلَّ بَصِيرُ أَعْرَابِيٍّ ففعلَ يَشُدُّهُ إِلَى أَنْ
دخلَ الإمارةَ فأخذَ منها بصيراً ؛ فقيل له : إني بصيرُكَ كانَ أَعْرَابِيًّا ؛ قال : إنه لما
أَكَلَ مِنْ مَالِ الإمارةِ تَبَخَّثَ^(١) .

الهيثم عن ابن عباس قال : لما وَلِيَ مروانُ وِجَهَ جيشِ ابنِ بُلَّةِ التَّيَّي إلى المدينة
وكان يصعدُ المنبرَ ويضعُ الكُفَّةَ من التمرِ فأكَلها ثم يُلقِي النوى على وجوه أهل المدينة
يميناً وشمالاً ، ثم يقول : يا أهلَ المدينة ، إني لأعلمُ أن هذا المكانَ في حرِّته وموضعُه

(١) تَبَخَّثَ مَارِجِحًا بِهِ بَنَاتٍ وَهِيَ الْإِبِلُ لِلرُّسَانِيَةِ .

ليس موضع أكل ولا شرب، ولكني أُحِبُّ أَنْ أُرِيَكُمْ هَوَانَكُمْ عَلَى اللَّهِ . قيل لمعلم بن معلم : مالك أحمق ؟ قال : لو لم أكن أحمق كنتُ ولدَ زنا . قال بعضُ الشعراء :
فإن كنتُ قد بايعتُ مروانَ طائعا * فصرتُ إذا بعد المشيبِ مُعلما
وقال آخر :

وكيف تُرَجَّى العقلَ والرأى عند مَنْ * يروحُ على أُنْثَى وَيَعْدُو على لِفْلٍ
ابن المدائني قال : تحول أبو عبد الله الكرخي^(١) إلى الخربة^(٢) فادعى الفقه وظن أن ذلك يجوز لمكان لحيته وسميته ، فالتقى على باب داره البوارى وجلس . فجلس إليه قوم فقال له رجل منهم : يا أبا عبد الله ، رجلٌ في الصلاة أدخل إصبعه في أنفه فخرج عليها دم ، أى شئ يصنع ؟ قال : يحْتَجِمُ رَحِمَكَ اللهُ ، فقال له السائل : ظننتُ أنك فقيهٌ ولم أدر أنك طبيبٌ . قال رجلٌ للشعبي : إني أجِدُ في قَفَاسِ حَكَّةَ قَرَى لِي أَنَّ أَحْتَجِمُ ؟ فقال الشعبي : الحمد لله الذي قَلَّنا مِنَ الْفَقْهِ إِلَى الْإِجْهَامَةِ . وقال له آخر : رجلٌ أَسْتَمَنِي فِي يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ هَلْ يُوجَرُ ؟ قال : أَوْ مَا يَرْضَى أَنْ يَقِلَّتْ رَأْسًا بِرَأْسٍ . نازع النعمي رجلٌ من بنى عمه في حائطٍ بينهما فبعث إلى قومٍ يُسَهِّلُهُمْ ، فأماه جماعةٌ من القبائل ، فوقف بهم على ذلك الحائط وقال : أَشْهَدُكُمْ جَمِيعًا أَنَّ نَصَفَ هَذَا الْحَائِطِ لِي . وَقَدِمَ آخَرُ رَجُلًا إِلَى الْقَاضِي فِي شَيْءٍ يَدْعِيهِ عَلَيْهِ ، فَأَنكَرَ الرَّجُلُ ، فقال : أَيُّهَا الْقَاضِي أَكْتُبْ إِنْكَارَهُ ، فقال القاضي : الْإِنْكَارُ فِي يَدِكَ مَتَى شِئْتَ .

قال مسعدة بن طارق الدِّرَاعُ^(٣) : إِنَّا لَوُقُوفٌ عَلَى حُدُودِ دَارٍ لِنَقِصِمَهَا وَنَحْنُ فِي خُصُومَةٍ ، إِذَا قَبِلَ سَيْدٌ بَنِي تَيْمٍ وَمُؤَمَّرُهُمْ وَالْمَصَلَّى عَلَى جَنَائِزِهِمْ ، فَأَمْسَكَا عَنِ الْكَلَامِ ، فقال :

(١) الخربة : موضع بالبصرة . (٢) البوارى : جمع بارية : الحصار المنسوج .
(٣) في الأصل : الزابح . ولعل الصواب ما أثبتناه هنا قلا عن العقد الفريد فإنه منسوب إلى الدرع وهو القياس بالزراع .

حَدَّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضًا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا ؟ قَالَ مُسَعَّدٌ : فَنَانَا مِنْذَ سِتِينَ سَنَةً أَفْكَرْتُ فِي كَلَامِهِ فَمَا أَذْرِي مَا عَنَى . أَنْتَ جَارِيَةٌ أَبَا سَمْعَةَ فَقَالَتْ : إِنَّ هَذَا قَبْلِي ؛ فَقَالَ : يَاقَتِي ، أَذْعَنَ لَهَا بِحَقِّهَا ، قَبْلِيهِ عَافَاكَ اللَّهُ كَمَا قَبْلَكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : (وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) .

• حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : أُفْقِيتَ عَلَى رَجُلٍ فَرِيضَةً فَاسْتَلْتُ عَلَيْهِ بِفِعْلِ يَحْسَبُ غَيْرَهَا ؛ فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ ؛ فَقَالَ : عَمَى أَنْ يَكُونَ تَرَكَ غَيْرَ مَا ذَكَرُوا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي نُورٍ قَالَ : قَالَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ لِأَشْعَبَ : لَوْ رَوَيْتَ الْحَدِيثَ وَتَرَكْتَ النُّوَادِرَ كَانَ أَنْبَلُ لَكَ ؛ قَالَ : وَاقِهِ قَدْ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ وَرَوَيْتُهُ ؛ قَالَ : لِحَدَّثْنَا ؛ قَالَ : حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : خَلَّتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كَانَتْ مِنْ خَالِصَةِ اللَّهِ ؛ قَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ فَمَا هُمَا ؟ قَالَ : نَبِيٌّ نَافِعٌ وَاحِدَةٌ وَنَسِيتُ أَنَا الْأُخْرَى . وَكَانَ الْبَصْرَةُ ثَلَاثَةً إِخْوَةً مِنْ وَلَدِ عَتَابِ بْنِ أَسِيدٍ كَانَ أَحَدُهُمْ يَمْجُجُ عَنْ حِمَزَةٍ وَيَقُولُ : اسْتَشْهِدْ قَبْلَ أَنْ يَمْجُجَ ، وَكَانَ الْآخَرُ يُضَعِّجُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَيَقُولُ : أَخْطَأَ السَّنَةَ فِي تَرْكِ الْأُخْيَةِ ، وَكَانَ الْآخِرُ يُفْطِرُ عَنْ طَائِفَةٍ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ وَيَقُولُ : فَلَطَطْتُ فِي صَوْمِيهَا أَيَّامَ الْعِيدِ ، فَمَنْ صَامَ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَانَا أَفْطَرُ عَنْ أُمِّي حَائِثَةً .

١٥

قَالَ ثُمَامَةُ : كُنَّا فِي مَقَرٍّ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّاهِقِينَ وَفِينَا شَيْخٌ مِنْهُمْ ، فَأَتَى رَبَّ الْبَيْتِ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ فَدَحَنَ بَعْضًا رَأْسَهُ وَبَعْضًا لِحْيَتَهُ وَمَسَحَ بَعْضًا شَارِبَهُ وَبَعْضًا يَدَيْهِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَذْهَبُوا أَسَاتِمْكُمْ تَأْمِنُوا الْحَزَّازَ ، وَأَمْرُوهَا عَلَى وُجُوهِكُمْ ؛ فَأَخَذَ شَيْخٌ

(١) فِي الْمَقَدِّ الْقُرَيْشِيِّ ص ٢١٣ : هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضًا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا .

٢٠

(٢) الصَّاهِقِينَ جَمْعُ صَاحِقٍ : رُؤَسِ الْإِطْمِ .

(٣) الْحَزَّازُ : هَبْرَةٌ فِي الرَّأْسِ كَأَنَّهَا نَحْلَةٌ ، وَاحِدَةٌ حَزَازَةٌ .

منهم بطرف أصبعه فأدخله في أنفه ومسح حاجبيه، فعمد الشيخ إلى قبعة التهن فصبه في أذنه، فقلنا له : ويحك ! هل رأيت أحدا أتى بدهن طيب فصبه في أذنه ؟ قال : إنه مع هذا يضُرني .

قال عبد الله بن المبارك : كان عندنا رجل يُكنى أبا خارجة، فقلتُ له : لم كنوك أبا خارجة ؟ قال : لأني ولدتُ يوم دخل سليمان بن عليّ البصرة . قال عمرو بن بحر : ذكر لي ناكراً عن شيخ من الإباضية أنه جرى ذكر الشيعة عنده فانكر ذلك واشتد غضبه؛ فقلتُ له : ما أنكرت ؟ قال : أنكر مكان الشين في أول الكلمة لأني لم أجدها قط إلا في مسخوط عليه مثل سُوم وشرّ وشيطان ونَحْ وشَنْب وشَب وشكّ وشرك وشمّ وشيبة ويطرّج وشاكي وشاني وشجّ وشوصة وشابشي وشكوى؛ فقلت : ما تقوم هؤلاء قائمةً أبداً . قال : وسمعتُ رجلاً يقول : عجبتُ لمن يأخذ النوم وهو لا يزعم أن الاستطاعة مع الفعل؛ فقلتُ له : ما الدليلُ على ذلك ؟ فقال : سبحان الله ! الأشعارُ الصّحاحُ؛ قلتُ : مثل ماذا ؟ قال : مثل قول ربيعة :

• ما إن يَمَنَّ الأرض إلا وفقاً •

وقوله : • يَورِثُ شَقِيَّ وَيَقَعْنَ وفقاً •

وقوله : • يَهْكُرُ مَهْرَ مُقْبِلٍ مَدْرِعاً • ١٥

وقولهم في المثل : «وَقَعَا كَيْمَكَيَّ عَيْرٌ»^(١) ثم قال : هل في هذا تَجَنُّعٌ ؟ قلتُ : بلى وفي دُونِ هذا .

- (١) في الأصلين : «في أول كلمة» بالتكرير وظاهر أن السياق يأباه؛ فقل الصواب ما ذكرناه أو أن في الكلام خطأ . (٢) كذا بالأصلين ولم نجده في مادة «شجج» في اللسان والقاموس مصدرًا أضره . ولله عزوف عن «شجج» وهو أثر النسخة في الجين . ٢٠
- (٣) كذا في النسخة الألمانية، وفي الأصل القنوزاني «بهدها» بك «أهدا» .
- (٤) كذا بالأصلين، وفي اللسان في مادة عكر : «مَما كَيْمَكَيَّ العَيْرِ» واليكم : البذل مادام فيه المنافع .

وَعَدَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنَ الْحَقِّ أَنْ يُهْدِيَ لَهُ مِنْ مَكَّةَ نَعْلًا، فَطَالَ عَلَيْهِ الْإِسْتِظَارُ، فَاتَّخَذَ قَارُورَةً فَبَالَ فِيهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا الطَّيِّبَ ثُمَّ قَالَ : أَنْظِرْ فِي هَذَا الْمَاءِ هَلْ يُهْدَى لِي بَعْضُ إِخْوَانِي نَعْلًا حَضْرَمِيَّةً ؟ . وَقَالَ الزَّيَادِيُّ : مَرَّ أَشْعَبُ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ طَبَقًا وَقَالَ لَهُ : زِدْ فِيهِ طَوْقًا، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لَعَلَّهُ يَهْدِي لِي فِيهِ شَيْءٌ .

- ٥ أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدثنا إبراهيم بن القعقاع قال : رأيتُ أشعَبَ بسوق المدينة معه قطيفة قد ذهبَ نَمْلُهَا وهو يقول : مَنْ شَتَرِي مِنَ الرِّمْدَةِ ؟ فَأَنَاهُ رَجُلٌ فَسَاوَمَهُ، قَالَ : أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَيْبٍ فِيهَا، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَحْتَرِقُ إِنْ أَنْتَ لَيْسَتْهَا . سقط أعرابيٌّ من بَعِيرٍ لَهُ ، فَأَنْكَسَرَتْ ضِلْعٌ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَتَى الْجَابِرَ يَسْتَوْصِفُهُ ، فَقَالَ : خُذْ تَمْرًا جِدًّا فَانْزِعْ أَفْسَاحَهُ وَنَوَاهُ وَأَعْجِنْهُ بِسَمْنٍ ثُمَّ اضْمِئْهُ عَلَيْهِ ؛ قَالَ : أَيْ يَأَيُّ أَنْتَ مِنْ دَاخِلٍ أَمْ مِنْ خَارِجٍ ؟ قَالَ : مِنْ خَارِجٍ ؛ قَالَ : لَا أَبَا لَشَائِكَ هُوَ مِنْ دَاخِلٍ أَنْصَحُ لِي ؛ قَالَ : ضَعُهُ حَيْثُ تَعْلَمُ أَنَّهُ أَنْصَحُ .
- ١٠ ماتَ أَبْنُ صَغِيرٍ لِأَعْرَابِيٍّ ، فَقِيلَ لَهُ : نَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَكَ شَفِيعًا ، فَقَالَ : لَا وَكَفَلْنَا اللَّهُ إِلَى شَفَاعَتِهِ ، حَسْبُهُ الْمِسْكِينُ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِ نَفْسِهِ .

- جاء أعرابيٌّ إِلَى الْمَسْجِدِ وَالْإِمَامُ يُخْطَبُ ، فَقَالَ لِبَعْضِ الْقَوْمِ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الطَّعَامِ ؛ قَالَ : فَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْمَنْبَرِ ؟ قَالَ : يَقُولُ مَا يَرْضَى الْأَعْرَابُ أَنْ يَأْكُلُوا حَتَّى يَجْمَلُوا مَعَهُمْ ، فَتُخْطَى الْأَعْرَابِيُّ النَّاسَ حَتَّى دَنَامَ مِنَ الْوَالِي فَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مَا تَقُولُ سَهْلُؤُنَا .

أَخَذَ الْجُحَّاجُ لَصًا أَعْرَابِيًّا فَضَرَبَهُ سَبْعًا مِائَةً سَوْطًا فَكَلَّمَا قَوْمَهُ بِسَوْطٍ قَالَ : اللَّهُمَّ شَكَرًا ، فَأَنَاهُ أَبْنُ عَمٍّ لَهُ فَقَالَ : وَاقِهِ مَا دَعَا الْجُحَّاجَ إِلَى التَّمَادَى فِي ضَرْبِكَ إِلَّا كَثْرَةُ

(١) كذا في النسخة الألمانية وفي الأصل القنوغرافي : «الرودة» والرودة : اللكرة التي سارت كلون الرماذ . (٢) في الأصلين «أو» وسياق الكلام يقتضى «أم» .

شكركَ، لأن الله يقول : (لَنْ شَكَّرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ؛ فقال : إنا هنا في كتاب الله؟
فقال : اللهم نعم ؛ فأنشأ الأعرابيُّ يقول :

يَا رَبِّ لَا شُكْرَ فَلَا تَرُدَّنِي • اسْرَفْتُ فِي شُكْرِكَ فَاعْفُ عَنِّي
بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

• فبلغ الحجاجَ غلَى سبيله . جاء أعرابيٌّ إلى صيرَتِي بدينهم ؛ قال : هذا سُتُوقٌ ؛ فقال
الأعرابيُّ : وما هو السُّتُوقُ بأبي أنت ؟ قال : داخلُه نَحَّاسٌ وخارجُه قَضَةُ ؛ قال :
ليس كذلك ؛ قال : أَكْسِرُهُ فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ ؟ قال : نعم ؛ فكسره فلما
رأى النحاسَ قال : بأبي أنت ، متى أموتُ ؟ فانا أشهدُ أنك تعلم النيبَ .

لما حضرت الحُطَيْيَّةَ الوفاةَ قال : أحملوني على حمارٍ فإنه لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطُّ
فلعلِّي أن أبقى ، ثم تمثَّل :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَنَّةٌ غَيْرَ أُنْتَى • رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَدِيدٍ

المناثيُّ قال : دعا رجلٌ بمكةَ لأئمةٍ ؛ فقال له قاتل : فما بالُ أبيك ؟ قال : هو
رجلٌ يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ . قيل لأشعَبَ : أَرَأَيْتَ أَحَدًا قَطُّ أَطْمَعَ مِنْكَ ؟ قال : نعم
نَحَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ فَتَرَلْتُ أَنَا وَرِفِيقِي لِي بِدَيْرِيهِ رَاهِبٌ ، فَتَلَحَّيْنَا فِي أَمْرٍ فَقُلْتُ :
الكَاذِبُ مِمَّا كَذَا مِنَ الرَّاهِبِ فِي كَذَا مِنْ أُمَّةٍ ، فَأَتَى الرَّاهِبُ وَقَدْ أَنْظَرَ وَهُوَ يَقُولُ :
بَابِي مِنَ الْكَاذِبِ مِنْكَ • مرَّ إِصْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَاشِيَّ بِقَاصٍ وَهُوَ قَرَأُ :
(يَجْعَلُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَيِّغُهُ) ، فَتَنَفَّسَ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ يَجْعَلُهُ وَيُسَيِّغُهُ .

الأصمعيُّ عن أبيه : قُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ : أَفِيكُمْ زَنَا ؟ قال : بِالْجَرَارِ ؟ ذَاكَ عِنْدَ اللَّهِ
عَظِيمٌ ، وَلَكِنْ سَاعَةٌ بِهَذِهِ الْإِمَاءِ . موسى بن طلحة قال : جاءنا عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ شَبَابٌ مِنْ شَبَابِ قُرَيْشٍ ، فَتَجَنَّبْنَا لَهُ عَنِ الْأُسْطُوَانَةِ

وقانا : هاهنا راعهم ؛ فقال : يا بني أحمى ، أتم لشيؤكم خير من مهرة فإنه إذا كبر الشيخ فيهم شدوه عقالا ثم يُقال له : ثب فيه ، فإن وثب خلوا سبيله وقالوا : فيه بقية من علالة ، وإن لم يثب قلموه فضرىوا علاوته وقالوا : لا يصيبك عندنا بلاء .

قبل لبحرين الأحنف : ما يمنحك أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل . وقال يوما لبراء جارية أبيه : يا زانية ؟ قالت : لو كنت كذلك جئتُ أباك بمنلك .
 أبو الحسن قال : جاء قوم إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جاركَ فلان فُرلنا بكفني ؛ فقال : ما عندنا اليوم شيء ولكن قصودون ؛ قالوا : أفنملي إلى أن يتيسر عندك شيء ؟ . وأتى رجل رجلا فقال له : أصلحك الله ، تيسرنا ثوبا نكفن فيه ميتا ؟ قال قاسم التمار في كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .
 وقال أيضا : رأيت لروان كسرى فلنا هو كأنما رُفست اليد عنه أول من أمس .

كان عبد الملك بن هلال الهيتاني له زبيل مملوء حصا للتسبيح ، فكان يُسبِّح بواحدة واحدة ، فلما ملَّ طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا ، فلما زاد ملأه طرحه قبضة قبضة وقال : سبحان الله عندك ، فلما صجر أخذ وصرى الزبيل وقال : الحمد لله بعد هذا كله . دخل قوم منزل الرُستمي لأمر وقع ، فحضر وقت صلاة الظهر فقالوا : كيف القبلة في دارك هذه ؟ فقال : إنما نزلناها منذ شهر .

المداخلة عن علي بن مجاهد عن حميد بن أبي البختري أن الشعبي قال : مريضٌ فلقيت ابن الحرفاء فمرني أن أمشي كل يوم إلى التوبة ، فكنت أغدو كل يوم إليها ،

(١) مهرة : حى من العرب والهم تصب الإبل المهرة .

(٢) العلالة : أعل الرأس والعتى .

(٣) كذا بالأصلين ولم نجد لهذه النسبة أصلا في أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان وغيرها .

(٤) كذا في الأصل المتخوف عن وقوعه كتب القصة والأنساب ، وفي الألفية والبحري : بلقاء المهمة .

فانصرفت ذات يوم فلما كنت في جُهينة الظاهرة^(١) إذا شيخٌ منهم قاعد على طفنة متكىً على وسادة ، فسألت ثم ألقيت نفسي على الرمل ؛ فقال : لقد جلستَ جلسة عاجز أو ضعيف ؛ قلت : قد جمعتهما ؛ قال : أدام الله لك ذلك . ثم قال : إن أهلي كانوا يخشون عليّ ثلاثاً : قصان البصرو ترك النساء والقِطَاف في المشي ، فوالله إنهم ليرون الشخص واحدًا وأراه اثنتين ، ولقد تركت النساء فألى فيهن من حاجة ، وإنى لأمشي فأهملج ؛ قلت : أدام الله لك ذلك .

قال المدائني : ركب يزيد بن شهشل النهشلي بعيرا وقال : اللهم إنك قلت (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِبِينَ) وإنى لبعبري هذا المَقْرِن ؛ فنقر به فطرحة وبقيت رجله في النَرَز ، فجعل يضرب برأسه كل حجر ويمر حتى مات .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : آخضمت الطفاوة وبنو راسب في رجل يدعيه الفرغان إلى ابن عرياض ، فقال : الحكم بينكم أين من ذلك ، يُلْقَى في النهر فإن طفا فهو لطفافة ، وإن رَسِب فهو لبني راسب .

المدائني قال : لما حضرت الخطيئة الوفاة قيل له : أوص ؛ قال : بم أوصي ! مالى للذكور دون الإناث ؛ فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا ؛ فقال : لكني أمر به ، ثم قال : ويل للشعر من راوية الشعر ؛ فقيل له : أوص يا أبا مليكة للساكنين بشيء ؛ قال : أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور . قيل : أعق صبدك يساراً ؛ قال : أشهدوا أنه عبد ماني . قيل : فلان اليتيم مأتوصي فيه ؟ قال : أوصي أن تأكلوا ماله وتيكوا أمه ؛ قالوا : ليس إلا هذا ! قال : أحملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لعل أنجو ؛ ومات مكانه .

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل القنغراقي : « الظاهرة » .

(٢) الطفاوة وبنو راسب : حيان من العرب .

لما حضرت سعد بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بني أوصيك بالناس شراً ،
كلّهم تزراً ، وأنظروا إليهم شراً ، ولا تقولوا لهم مُدراً ؛ قَصِّروا الأئمة ، وأخذوا الإسيّة ،
تاكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد . ولما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال : يا بني
إني لأعلم أن قوماً سيأتونكم قد أفرحوا بجاههم وعرضوا لحلمهم يدعون أن لهم على
أبيكم ديناً فلا تقضوهم ، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر الله له لم تضرّوه ،
وإلا فهي مع ما تقتل .

تقدم رجل من بني العتير إلى سوار فقال : إن أبي مات وتركني وأخالي ، وخطأ
خطين ناحية ، ثم قال : وهجيتاً لنا ، ثم خط خطأ آخر ناحية ، ثم قال : كيف يتقسم
المال بيننا ؟ فقال : المال بينكم أثلاثاً إن لم يكن وارث غيركم ؛ فقال له : لا أحسبك
فهمت ، إنه تركني وأخى وهجيتاً لنا ؛ فقال سوار : المال بينكم سواء ؛ فقال الأعرابي :
أياخذ المجهين كما أخذ وبأخذ أخى ؟ قال أجل ! فغضب الأعرابي وقال : تعلم والله
أنك قليل الخلال بالآخفاء ؛ فقال سوار : إذا لا يضرك [ذلك] عند الله شيئاً .
قال بعض الثمال لأعرابي : ما أحسبك تدرى كم تصلى في كل يوم وليلة ؛ فقال :
أرايت إن أنباتك بذلك تجعل لي عليك مسألة ؟ قال : نعم ؛ قال الأعرابي :

١٥ إن الصلاة أربع وأربع * ثم ثلاث بسلح أربع
* ثم صلاة الصبح لا تضيع

قال : قد صدقت ، فسأل ؛ قال : كم قفّار ظهرك ؟ قال : لا أدري ؛ قال : انصحك
بين الناس وأنت تجهل هذا من همك !

أخبرني رجل حضر مجلس محمد بن الجهم البرمكي أنه دخل عليه رجل يكتب
في حوائج له ؛ فقرأها ووعده قضاءها ؛ فنهض وهو يدعو له وقال : أهلك الله وحفظك
وأنتم نعمته عليكم ؛ فقال له محمد بن الجهم : كتابي إليك وأنا في عافية .

طبائع الإنسان

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن مُنبّه أنه وجد في التوراة :
 أتى حين خلقت آدم رُكبت جسده من أربعة أشياء ثم جعلها وراثته في ولده حتى
 في أجسادهم وتَمَوَّنَ عليها الى يوم القيامة : رطب ويابس وتُخْنَن وبارد، وذلك لأني
 خلقتهم من تراب وماء ثم جعلت فيه نفساً وروحاً، فيُوسِءُ كُلَّ جَسَدٍ مِنْ قَبْلِ التراب،
 ورُطوبته من قبل الماء، وحرارته من قبل النفس، وبرودته من قبل الروح، ثم خلقت
 الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق الآخر وهي مَلَأَكَ الجسد بإذني
 وقوامه، لا يقوم الجسد إلا بهن ولا تقوم واحدة إلا بهن، المِزَّةُ الصفراء والمِزَّةُ السوداء
 والدم والبلغم، ثم أسكنتُ بعض هذه الخلق في بعض فجعلت مَسْكَنَ اليبوسة في المِزَّةِ
 السوداء ومسكن الرطوبة في الدم ومسكن البرودة في البلغم ومسكن الحرارة في المِزَّةِ
 الصفراء، فأبْجَدَ جَسِدَ أَخَذْتُ فِيهِ هَذِهِ الْفِطْرَةَ الْأَرْبَعُ فَكَانَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رُبْعاً
 لا يزيد ولا ينقص كملت صحته وأعتدل بُيُوتُهُ، وإن زادت واحدة مِنْهُنَّ غلبَتْ
 وقهرتْهُنَّ ومالت بهن ودخل على أخواتها السَّعَمُ من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت
 ناقصةً قَلَّ عَنْهُنَّ مِلَنُهَا وَعَلَوْنَهَا وَأَدْخَلَنَ عَلَيْهَا السَّعَمُ مِنْ نَوَاحِيهِنَّ لَقَلَّتْهُنَّ عَنْهُنَّ حَتَّى
 تَضْمَعْنَ عَنْ طَائِفَتِهِنَّ وَتَعْجَزَ عَنْ مُقَاوَمَتِهِنَّ، قَالَ وَهْبٌ : وَجَعَلَ عَقْلَهُ فِي دِمَاغِهِ وَشَرَّهُهُ
 فِي كَلْبَتِهِ، وَغَضَبُهُ فِي كَيْدِهِ، وَصَرَامَتُهُ فِي قَلْبِهِ، وَرُعبُهُ فِي رِشَتِهِ، وَصَحِيحُهُ فِي طِحَالِهِ،
 وَحَرَّتُهُ وَفَرَحُهُ فِي وَجْهِهِ، وَجَعَلَ فِيهِ ثَلَاثِينَ وَسْتِينَ مَفَصِلاً .

(١) في الألمانية : « وإذا كانت نائمة قتل عنها ومن ... » .

(٢) كذا في المقد القريديج ٣ ص ٣٥١ وفي الأصلين : « عن مقاربتهن » والقفلان فيما (تضيف وتعمير)

بالياء والسباق يقتضي ثاء التانيث كما وضعت .

(٣) في الأصلين وسره . وما ذكرناه عن المقد القريديج ٣ ص ٣٥١

- قال : حدثني زيد بن أنعم^(١) قال : حدثنا بشر بن عمر عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كُلُّ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضَ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ فِيهِ رُكْبٌ". وقالت الحكماء : ائْتَمَرْتُ بِعَتْرِ الْأَعْرَابِ وَالْأَكْرَادِ وَالزَّيْجِ وَالْمَجَانِينِ وَكُلِّ صَنَفٍ إِلَّا الْخُصِيَّاتِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ خُصِيٌّ مَحْنُثٌ. وقالوا : كُلُّ ذِي رِيحٍ مُتَنَتْنَةٍ وَذَقَرٍ كَالْتَيْسِ وَمَا أَشْبَهَهُ ، إِذَا خُصِيَ قَصَصَتْهُ وَذَهَبَ صُنَانُهُ غَيْرَ الْإِنْسَانِ فَإِنَّ تَنَتْنَهُ يَشْتَدُّ وَصُنَانُهُ يَحْدُ وَعِرْقُهُ يَجُبُّثُ وَرِيحُهُ . وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ يُخْصِي فَإِنَّ عَظْمَهُ يَلْدِقُ ، فَإِذَا دَقَّ عَظْمُهُ آسَرْتَنِي لِمِهِ وَبَرًّا مِنْ عَظْمِهِ خِلَا الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ إِذَا خُصِيَ طَالَ عَظْمُهُ وَعَرُضَ . وقالوا : الْخُصِيُّ وَالْمَرْأَةُ لَا يَصْلَعَانِ ، وَالْخُصِيُّ تَطُولُ قَدَمُهُ وَتَعْظُمُ . وبلغني أنه كان لمحمد بن الجهم برذونٌ رقيق الحافر خَفَصَاهُ بِلَادَ حَافِرِهِ ، أَعْتَبَرْتُ ذَلِكَ بِالْإِنْسَانِ إِذَا خُصِيَ عَظُمَتْ رِجْلُهُ . وقالوا : وَالْخُصِيُّ يَشْتَدُّ وَقَعُ رِجْلِهِ لِأَنَّ مَعَاقِدَ عَصَبِهِ تَسْتَرِيحُ ، وَيَتَرِيهِ الْأَعْوِجَاجُ وَالْقَدَحُ فِي أَصَابِعِهِ ، وَتُسْرِعُ دَمَعَتُهُ ، وَيَتَحَدَّدُ جِلْدُهُ ، وَيُسْرِعُ غَضَبُهُ وَرِضَاهُ ، وَيَضِيقُ صَدْرُهُ عَنْ كِتَابِنِ السَّرِّ . وَيَزْعُمُ قَوْمٌ أَنَّ أَعْمَارَهُمْ تَطُولُ لِتَرْكِ الْجَمَاعِ ، قَالُوا : وَتِلْكَ عَلَّةٌ طَوَّلَ عَمْرَ الْبَقْلِ . وقالوا : عَلَّةٌ قِصَرُ عَمْرِ الْمُصْفُورِ كَثْرَةُ سَفَادِهِ . قَالُوا : وَشَأْنُ الْفَرِيقِ إِذَا كَانَ رَجُلًا ثُمَّ ظَهَرَ عَلَى الْمَاءِ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى قَفَاهُ ، وَإِنْ كَانَ أَمْرَأَةً أَنْ تَظْهَرَ عَلَى وَجْهِهَا . وَالرَّجُلُ إِذَا ضُرِبَتْ عَقْبُهُ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ يَقْلِبُهُ ذِكْرُهُ إِذَا آتَنَخَ . قَالُوا : وَفِي الْغُلْبَانِ مِنْ لَا يَحْتَمِلُ أَبَدًا ، وَفِي النِّسَاءِ مِنْ لَا تَحْجِضُ أَبَدًا ، وَتِلْكَ عَيْبٌ . وَفِي النَّاسِ مَنْ لَا يَسْقُطُ قَفْرُهُ وَلَا يَسْتَبْدِلُ مِنْهُ ، مِنْهُمْ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ ذَكَرُوا أَنَّهُ دَخَلَ قَبْرَهُ بِرَوَاضِهِ .

(١) في الأصل : أنعم . والصواب عن كتب التراجم .

(٢) كذا في النسخة النورغرافية ، وفي النسخة الألمانية أربعة أُمُفَارٍ بدل قوله وريحه ، وكتب في التعليق عليه باللغة الألمانية : سقطت كلمة . وفي القيد الفريديج ٣ ص ٣٥١ : ونجبت عرقه وريحه .

وَالضَّبَّ لَا تَسْقُطُ لَهُ سَنٌ . وَكَذَلِكَ الْخَطِيرُ لَا يُبْقِي شَيْئًا مِنْ أَسْنَانِهِ . وَلِذَلِكَ يَقُولُ ^(١)
العرب في مَثَلٍ لها : «لَا آتِيكَ مِنَ الْحِمْلِ» ^(٢) يريدون لَا آتِيكَ أَبَدًا . ويقول الأطباء :
إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَدِيمِ السَّيِّءِ إِلَّا الْإِنْسَانُ ، وَذَلِكَ لِكِرَامَتِهِ
عَلَى اللَّهِ . وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : إِنْ الْجَنَيْنَ يَنْتَضِي دَمُ الْحَيْضِ يَسِيلُ إِلَيْهِ مِنَ السَّرَّةِ بِفِذَائِهِ ؛
وَقَالُوا : لِذَلِكَ لَا تَحْيِضُ الْحَوَامِلُ . وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ الْحَوَامِلِ مَنْ تَحْيِضُ . وَالْعَرَبُ
تَقُولُ : حَمَلَتْ فَلَانَةٌ مَهْوَاءً ، إِنْهَا حَاضَتْ عَلَى الْحَمْلِ . قَالَ الْمُتَلَيِّحُ يَمْدَحُ رَجُلًا : ^(٣)

وَمُبَرَّأً مِنْ كُلِّ غَيْرِ حَيْضِيَّةٍ * وَرَضَاعٍ مُغِيلَةٍ وَدَاءٍ مُعْصِلٍ ^(٤)

فَأَعْلَمَكَ أَنَهَا لَمْ تَرْطِبْهُ دَمُ حَيْضٍ فِي حَمْلِهَا ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ . قَالُوا : فَإِذَا
خَرَجَ الْجَنَيْنَ مِنَ الرَّحِمِ دَفَعَتْ الطَّبِيعَةُ ذَلِكَ الدَّمَ الَّذِي كَانَ يَتَذَيُّهُ إِلَى التَّنْدِينِ ،
وَهِيَ عُضْوَانُ نَاهِدَانِ عَصَبِيَّانِ فَعْيَرَاهُ وَجَعَلَاهُ لَبَنًا . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَإِنْ لَكُمْ ^(٥)
فِي الْأَنْفَاعِ لَئِبَةً تَنْسِفُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ يَدٍ فَرِثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) .
قَالُوا : وَالْإِنْسَانُ يَمِيشُ حَيْثُ نَحْيَا النَّارَ وَيَتَلَفُّ حَيْثُ لَا تَبْقَى النَّارُ . وَأَصْحَابُ الْمَعَادِنِ
وَالْحَفَائِرِ إِذَا هَجَمُوا عَلَى تَفَقٍّ فِي بطنِ الْأَرْضِ أَوْ مَنَارَةٍ قَتَلُوا شَمْعَةً فِي طَرَفِ قَفَاةٍ فَإِنْ
ثَبَتَ النَّارُ وَتَاشَتْ دَخَلُوا فِي طَلَبِ مَا يَرِيدُونَ وَإِلَّا أَمْسَكُوا . وَالْعَرَبُ تَقْتَسِمُ بِبَكْرِ
وَلَدِ الرَّجُلِ إِذَا كَانَ ذَكَرًا . وَكَانَ قَيْسُ بْنُ زَهْرٍ أَزْرَقَ بَكْرًا يَنْ بَكْرِينَ .

(١) فِي الْأَسْلِينَ : «وَكَذَلِكَ ...» وَظَاهِرٌ أَنَّ مَا ذَكَرْتَهُ هُوَ الْأَنْسَبُ بِالسِّيَاقِ . (٢) الْحِمْلُ
وَالضَّبُّ . (٣) هُوَ بَابُ شَرٍّ . (٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي السَّانِ فِي مَادَّةِ «ضِر» وَالتَّعْدِ
الْقَرِيدِ ج ٣ ص ٣٥٢ وَفِيهِ الْخَمَاسَةُ لِلْقَبْرِيزِيِّ ج ١ ص ٤٣ :

* وَفَسَادٌ مُرْتَضٌ وَدَاءٌ ، مَثِيلٌ * وَقَدْ أَوْرَدَهُ صَاحِبُ السَّانِ هَكَذَا بِجُرُورٍ وَقَالَ هُوَ مُسَوِّفٌ عَلَى قَوْلِهِ :
* وَلَقَدْ مَرِيتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمَنْشَمٍ * وَهُوَ صَدْرِيَّتٌ مُتَقَدِّمٌ فِي الْقَصِيدَةِ . وَفِي شَرْحِ الْخَمَاسَةِ لِلْقَبْرِيزِيِّ :
يَرَى مَبْرَأً بِالضَّبِّ وَمَبْرَأً بِالْجَرِّ ، فَالضَّبُّ عَلَى قَوْلِهِ «غَيْرُ مَبْلٍ» وَبِالْجَرِّ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ جَدُّ مِنَ الْفَتَيَانِ .
وَالْقَبْرِيزِيُّ بِأَيِّ الْحَيْضِ - الْمُنِيَّةِ : الْحِمْلُ أَوَّلُ قُبْحٍ وَحَى تَرْضَعُ ؛ وَلَكِنْ الَّذِي وَرَدَ فِي السَّانِ وَالْقَامُوسِ :
أَخْلَتْ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَثِيلٌ . (٥) كَذَا فِي الْأَخْيَانِيَّةِ ، وَفِي التَّوْغْرَايَةِ «بَادَات» .

حدثني محمد بن عائشة عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : يكره
اليكرين شيطان غنّاد لا يموت الى يوم القيامة ؛ يعني من الشياطين . قالوا : وابن المذكّرة
من النساء والمؤنث من الرجال أحب ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه
وخصال أمه . والعرب تذكر أن القنري لا يحب . قال عمرو بن معديكرب

ألسنت تصير^(١) اذا ما تُسبست^(٢) بين المفارة والأحق

وقال بعض الحكماء : كلّ امرأة أودابة تُطلى عن الجبل ، إذا واقفها الفصل في الأيام
التي يجرى الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله ، قال عبيد الله بن الحسن : إذا أردت
أن تذكر المرأة فأغضبها ثم قع عليها . وقال الحارث بن كلدة : اذا أردت أن تحبل المرأة
فشها في عرصه الدار عشرة أشواط فإن رجها يزل فلا تكاد تحفل . والعرب
تقول : إن المرأة اذا قسحت في قبل الطهر في أول الشهر عند تبليغ الفجر ثم أذكرت
جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعاني :

قسحت في الهلال عن قبل الطهر وقد لاح للصباح بشير

ويقولون : إذا أكره الرجل المرأة وهي مذعورة ثم أذكرت أنجبت . قال أبو كبير الهذلي :

حلت به في ليلة مزودة * كرها وعقد نطقها لم يحلل^(٤)

فأنت به حوش الجنان مبطل * مهذا أنا ما نام ليل الهوجل^(٥)

ومبرأ من كلّ مبر حضية * ورضاع مغيلة وداء مفضل

(١) في الأصل : قصيرا ، والتصويب عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ (٢) القارة : من أغارها
زبحها بزبحه عليها . (٣) قبل الطهر : أوله . (٤) مزودة : مذعورة ، وفي تعليقات الشيخ
الشطي على أشعار الهذليين المخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش : كان أرويدة ينصب
مزودة والأصمى يجرها بحبل الزود ليلته . وساق هذا البيت صاحب مثنى اليب في أول الكتاب وقال :
يروى بالبرصفة ليلته وبالنصب حالا من الضمير في حلت . وضمف هذا الوجه بأن ذكر اليلة حيلة . لا كير
قائدة فيه . (٥) حوش الجنان : حديدته . ومبطل : ضامر البطن نحيمه . ومعد : قليل النوم .
والهوجل : التقليل . وقد روى في الأصل القنغرافي : * اذا ما قام ليل الهوجل * وهو
تحرىف والتصويب عن النسخة الألمانية ولسان العرب في مادة «حوش» .

يقول : لم ترعليه في حملها دما باقيا من حيضة ولا حملته وهي تُرضع ولا أرضعته وهي حامل ؛ فكانت العرب تكره ذلك وتسب به . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد هممت أن أنهي عن النسيلة^(١) ثم ذكرت أن فارس والروم يفعلونه فلا يضرم" وفي حديث آخر : "إنه ليذكر الفارس فيدعته" أي يطرحه .

- ٥ حدثني إسحاق بن راهويه قال : أخبرنا يحيى بن آدم عن الحسن قال : رأيت جنة أبة إحدى وعشرين سنة . قال : وأوّل أوقات حمل المرأة تسع سنين ، وهو أوّل وقت الوطء . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامشة وهي بنت تسع . وقال عبد الله ابن صالح : حدثني الليث عن ابن جحّال أن أمراة حملت له مرة وأقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت له ، وحملت له مرة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت . قال الليث : وحملت مولدة لعمر بن عبد العزيز ثلاث سنين حتى خافت أن يكون في جوفها داء ثم ولدت غلاما ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتي أهلنا . وفي بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أمه لثمانية أشهر ، ولذلك لا يولد مولود لثمانية أشهر فيعيش . وروى زيد بن الحباب عن ابن سنان قال : حدثني ثابت بن جابر العجلي أن الضحّاك بن مزاحم ولد وهو ابن ستة عشر شهرا . فأما يزيد بن هارون فإنه روى عن جوير أن الضحّاك ولد لستين . وولد شعبة لستين . حدثنا الرياني ١٥ أو رجل عنه قال حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مؤمل عن ابن أبي مليكة أن عمر رحمه الله قال : يا بني السائب ، إنكم قد أضويتم^(٢) فأنيكحوا في التزاع . قال : وقال

(١) ورد هذا الحديث في طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٧٧ طبع مدينة لندن وفيه غفلة غير جمهورية لرواية الأصل ، وفيها : "قال مالك بن أنس : الغيلة أن يمس الرجل امرأته وهي ترضع" .

٢٠ (٢) أضوى الرجل : ولد له غلام ضاوى ، والضاوى : الضئيف . (٣) التزاع جمع تزينة وهي المرأة التي تزوج في غير حقيقتها .

الأصمعي قال رجل : بنات العم أصبر، والفرائب أنجب، وما ضرب ربوع الأبطال
كأبن عجمية . والعرب تقول : آفتروا لا تفتروا ، أى أنكحوا فى الفرائب فإن
الفرائب يفترون الأولاد . قال الشاعر :

إنك بلا لآ لم تئسسه أمه * لم يناسب ظله وعمه

وقال آخر :

تجبتها للنسل وهى غريبة * بجات به كالبلد نحرًا معًا^(١)

فلو شاتم الفتيان فى الحى ظالمًا * لما وجدوا غير التكذب مسامًا

وكان يقال : أنجب النساء القروك، لأن الرجل يغلها على الشبه لزمدها فى الرجال .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي أن المنجية التى تترع بولدها الى أكرم الجدين .

- ١٠ أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثنا حرب بن قطن قال : يقال : إن الرجل يستفرغ
ولد امرأة ابن، يؤلد له وهو ابن تسعين سنة . وقالت طائفة : لا تلد امرأة بعد خمسين
سنة . قالت الحكماء : الزنج شرار الخلق وأردؤهم تركيا لأن بلادهم مخضت فأحرقهم
الأرحام، وكذلك من بردت بلاده فلم تطبخه الأرحام، وإنما فضل أهل بابل لعلّة
الاعتدال ؛ قالوا : والشمس شيطت شعورهم فقبضتها، والشعر إذا أدبته الى النار

- ١٥ تجعد، فإن زده تغفل، فإن زده أترق . وقالوا : أطيب الأم أفواها الزنج وإن لم
تستن^(٢) ؛ وكل إنسان رطب الفم كثير الريق فهو طيب الفم ؛ وحلوف فم الصائم يكون
خلوثة^(٣) الريق ؛ وكذلك الخلوف فى آخر الليل . وقالت الحكماء : كل الحيوان إذا ألقى
فى الماء سبج إلا الإنسان والقرد والفرس الأعسر^(٤)، فإن هذه تفرق ولا تسبج إلا أن

(١) كذا بالأصليين، وأورده صاحب النهاية والسان على أنه حديث . (٢) الخرق : القنى الحسن

الكرم الخليفة . (٣) القروك : المرأة تبغى زوجها . (٤) ستن : تسلك .

(٥) الخلوة منه الرقة . (٦) الأعسر : القى يمل بالثيال دون البين .

يتعلم الإنسان السباحة . قالوا : والرجل اذا ضربت عنقه فألقى في الماء قام في وسط الماء . وانتصب ولم يلزم القعر جاريا كان الماء أو ساكنا ، حتى اذا جف آتلق وظهر بدنه كله مستلقيا إلا المرأة فإنها تظهر منكبة على وجهها . وقالوا : كل من قطعت يده لم يجد الموت ، وكذلك الطائر اذا قطعت رجلاه لم يجد الطيران . قالوا : وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الحضر^(١) إلا أخذ عن يساره إلا أن يترك عزمه أو سؤم طبيعته . ولذلك قالوا : فطاعك على وحشيته ، وأنحى على شؤمي يديه . وقالوا : كل ذى عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشية والإنسية فإنما الأشفار بلحنته الأعلى إلا الإنسان فإن الأشفار — نعى المذهب — بلغني : الأعلى والأسفل . قالوا : ليس في الأرض إنسان إلا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتريه الغلط في شعره وولده . قال الطائي :

ويُسئ بالإنسان بئنا لا كمن * هو بأبسه وبشعره مفتون

وقالوا : كل ذى جلد فإن جلده ينسلخ إلا جلد الإنسان ؛ فإنه لا ينسلخ كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي طرفة الهذلي عن جندب بن شبيب قال : إذا رأيت المولود قبل أن ينتدى من لبن أمه فلي وجهه مصباح من البان ؛ يريد أن ألبان النساء تُغيره ؛ ولذلك قولهم : اللبن يُستبه عليه ؛ يراد أنه يترع بالمولود في شبه القثّر . قال الشاعر :

لم أرَ ضج الدهر إلا تكدى واحدة * لواضع الوجه يحى ساحة الدار

(١) الحضر : ارتفاع القرس في دمه . (٢) وحش كل شيء شقه الأيسر وفي الأصلين «وحشة» وما وضعناه هو الذي يناسب السياق . (٣) أنحى على شؤمي يديه : اعتمد عليها ، وشؤمي اليد من اليسرى ، وفي الأصلين «الحى» بدل «أنحى» . (٤) في الأصل «كل من» والتصويب عن الديوان . (٥) المراد من البان هنا الصفاء والإنبراق .

وحدثني الزبدي قال : حدثنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أن عمر أتى
بأسرة ولدت لسته أشهر فهم بها فقال له علي : قد يكون هذا قال الله عز وجل :
(وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) وقال : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) .
أبو حاتم عن الأصمعي قال : أختصم رجلان في غلام كلاهما يتبعه ؛ فقال عمر
أمه ؛ فقالت : غشيتي أحدهما ثم هزقت دما ، ثم غشيتي الآخر ، فدعا عمر قاتلتي فسألها ؛
فقال أحدهما : أملين أم أسير ؟ قال : أسير ؛ قال : أشتركا فيه ؛ ففضله عمر حتى أضطجع
ثم سأل الآخر ؛ فقال مثل قوله ؛ فقال : ما كنت أرى أن مثل هذا يكون . وقد علمت
أن الكلبة يسفدها الكلاب فتؤذي إلى كل فخل نجله . وركب الناس في أدجلهم
وركب ذوات الأربع في أبيئها ، وكل طائر كفه في رجليه .

ما نقص خلقه من الحيوان

١٠

حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : الفرس لا يطال له ، والبعير لا مראה له ،
والظليم لا يخ لعظمه . قال زهير :

كَانَ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ ^(١) * مِنَ الظُّلُمَانِ جُوجُؤُهُ ^(٥) هَوَاءُ

وكذلك طير الماء وحياتان البحر لا ألسنة لها ولا أذمة . وصفت البعير لا بيضة

فيه . والسحكة لا رئة لها ولذلك لا تنفس ، وكل ذي رئة يتنفس .

١٥

(١) القاتف : الذي يتبع الآثرويرها ويرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

(٢) كذا في النسخة الجغرافية وهو المواق في المقد الفريد . وفي الألمانية : ركة .

(٣) الظليم : الذكر من النعام .

(٤) الصل : الطويل . وفي الجغرافية «مقل» .

(٥) الجوجؤ : الصدر .

(٦) السفن : وعاء الخسفة .

٢٠

المشتركات من الحيوان

(١) الراعى بين الورشان والحمامة . (٢) والبخاني من الإبل بين العرب والفواالج . (٣) والحير الأندرية من الأختار وهو فرس كان لأردشير توحش فحى عانات من الحير فغرب فيها ، وأعمارها كأعمار الخيل . (٤) والزرافة بين الناقة من فوق الوحوش وبين البقرة الوحشية وبين الضبان ، وأسماها اشتركاو بلنك أى بين الجمل والكركد ؛ وذلك أن الضبان يبلد الحبشة يسعد الناقة فتجىء بولد خلقه بين الناقة والضبع ، فإن كان ولد الناقة ذكرا عرس للهامة فالقحها زرافة . (٥) ومثبت زرافة لأنها جماعة وهى واحدة كأنها جمل وبقرة وضبع ؛ والزرافة فى كلام العرب الجماعة . وقال صاحب المنطق : الكلاب تسفدها الذئاب فى أرض سلوقية (٦) فيكون منها الكلاب السلوقية . (٧)

- ١٠ (١) الراعى : طائر متولد بين الورشان والحمام كثير النسل يعيش طويلا . (٢) الورشان : ذكر القمارى كما فى حياة الحيوان . (٣) فى الأصل « الجماعة » وما أثبتناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٥٥ (٤) البخاني جمع بخى وهى الإبل الخمرمانية . (٥) الراب : إبل خلاف البخاني كما فى اللسان . (٦) جمع فالج وهو جمل ضخم ذو ستين يحمل من الست لفطة . (٧) جمع غاة وهى القطيع من حمر الوحش . (٨) هو الذكر من الضبان وهو مفرد . (٩) كلمة فارسية كما فى القاموس والصاح مركة من اشترأ البحر وكاوى البقر وبلنك أى الغر وفى حياة الحيوان ج ٢ ص ٥ وبلنك الضبع ؛ والأول هو المعروف فى الفارسية . (١٠) فى النسخة الألمانية « الكركن » وهو قريب مما أثبتناه وفى النسخة القنوزرافية « الكرك » وهو طائر كبير معروف . والكركد كما فى حياة الميران حيوان طوله مائة ذراع فأكثر وسماه الجاهظ الكركد ، ومباده بلاد الهند والثوبى وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والقبيل . وتفسير المؤلف لكلمة (أشتركاو بلنك) يتألف بعض مخالفة تفسير القاموس ، وتفسير صاحب حياة الحيوان . (١١) الهامة : البقرة الوحشية ، وفى الأصلين : « المهرة » والسياق يحتم ما وضعنا . فطل ما فى الأصل تحريف من الناصح . (١٢) نسبة الى سلوق وهى قرية باين تسب اليها الدروع والكلاب . (١٣) فى الأصل « بينا » وما أثبتناه عن العقد الفريد .

المتعادات

- بين البوم والغراب عداوة . وبين الفأرة والعقرب عداوة . وبين الغراب وابن عرس عداوة . وبين الحداة^(١) والنداف عداوة . وبين العنكبوت^(٢) وبين المغاطة عداوة . وبين الحية وبين ابن عرس عداوة . وبين ابن آوى والنساج عداوة . وبين السنور والحمام عداوة . وبين البوم وبين جميع الطير عداوة ، لأن البومة رديّة البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يقو عليها شيء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهي بالنهار تضربها وتتف ريشها ، ولحرسها على ذلك صار الصائد ينصبها للطير . وبين الحمار وبين عصفور الشوك عداوة ، ومتى تنقّ الحمار سقط بيض عصفور الشوك . وبين الحمار وبين الغراب عداوة . وبين الحية والخنزير عداوة . والغراب مصادق للثعلب . والثعلب مصادق للحية . والجلل يكره قرب الفرس أبداً ويقاومه . وبين الأسد وبين الفيل عداوة . ويقال : إن الأسد والتمر مختلفان ، والأسد والبقر متفقان .

الأمثال المضروبة بالطبايع

- يقال : فلان « أسمع من فراد » ، والفردان تكون عند المساء فإن قربت الإبل منها تحركت وانتعشت ، فيستدلون بذلك على إقبال الإبل . و« أسمع من فرس » . و« أحزم من فرخ العقاب » ، وذلك أنه يكون في عرض الجبل فلا يتحرك فيسقط . و« أحلم من

(١) النداف : الغراب ونص بعضهم به غراب القبط الضخم الوافر الجناحين . لسان العرب .

(٢) هذه فئة أهل المالية ، ولغة بني تميم « النطاية » بالياء ، قال صاحب حياة الحيوان قتلا عن الأزهري :

هي دويّة ملساء تعدو وترتد كثيرا تشبه سائمة أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذي ، وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل . (٣) ابن آوى : حيوان طويل الخالب والأختار ، يأكل اللبؤور ، وخوف

النساج منه أشد من خوفها من الثعلب ، ويذكر التميمي أن ابن آوى إذا مر تحت الفساج وهي على الشجرة أو الجدار تساقطت وإن كانت عددا كثيرا . (٤) البير مضبوط في اللسان والقموس يفتح الباء الأولى

وسكون الثانية وصرح في حياة الحيوان أنه يفتح الأولى وكسر الثانية : فخرج من السباع شيء أبين آوى .

(٥) الفراد بالضم واحدة فرادة وهي دويّة تصطف بالبير ونحوه .

حَيَّةٌ . «وَأَهْدَى مِنْ قَطَاةٍ وَحَامَةٍ» . «وَأَخَفَ رَأْسًا مِنَ الذَّنْبِ» . «وَأَنُومَ مِنْ قَهْدٍ» .
و «أَظْلَمَ مِنْ حَيَّةٍ» ، وذلك لِأَنَّهَا تَدْخُلُ حِجْرَةَ الْحَشَرَاتِ وَتُخْرِجُهَا . و «أَحْذَرُ مِنْ
غُرَابٍ» . و «أَصْنَعُ مِنْ تَوَاطُطٍ» ، وَهُوَ طَائِرٌ يَصْنَعُ عُشًا مِثْلُ مِنَ الشَّجَرِ . و «أَصْنَعُ
مِنْ سُرْفَةٍ» ، وَهِيَ دَوِّيَّةٌ تَعْمَلُ بَيْتًا مِنْ قِطْعِ الْعِيدَانِ . و «أَسْرَقَ مِنْ زَبَابَةٍ» ، وَهِيَ
فَأْرَةٌ بَرِّيَّةٌ . و «أَسْرَقَ مِنْ كُنْدُشٍ» وَهُوَ الْعَقَقُ ؛ وَيُقَالُ أَيْضًا : «أَحَقَّ مِنْ عَقَقِي»
لأنَّهُ مِنَ الطَّيْرِ الَّذِي يُضَيِّعُ فِرَاحَتَهُ . و «أَخْرَقَ مِنْ حَمَامَةٍ» ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا لَا تُجِيدُ
عَمَلَ الْعُشِّ فَرَبِمَا وَقَعَ الْبَيْضُ فَانْكَسَرَ . قَالَ عَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ :

عَيُّوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا • عَيَّتْ بِلَيْضِنِهَا الْحَمَامَةُ
جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ • نَثْمٍ وَأَخْرَمَ نَمَامَهُ^(١)

يَقُولُ : قَرَنْتِ النَّثْمَ بِالنَّمَامِ وَهُوَ ضَعِيفٌ فَكَثُرَ وَوَقَعَ الْبَيْضُ فَانْكَسَرَ . وَفِي الْإِنْجِيلِ
أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ : كُونُوا حُلُمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُلَهَاءَ كَالْحَمَامِ . و «أَعَقَى
مِنْ ضَبٍّ» ، لِأَنَّهُ يَأْكُلُ وَلَدَهُ مِنَ الْجُوعِ . و «أَبْرَمَ مِنْ هِرَّةٍ» ، وَهِيَ تَأْكُلُ وَلَدَهَا مِنْ
شِدَّةِ مَحَبَّتِهِ . و «أَرَوَّغُ مِنْ قَمَلٍ» . و «أَمَوَّقُ مِنْ رَنَحَةٍ»^(٢) . و «أَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ»
لأنَّهُ يَقَعُ عَلَى أَنْفِ الْمَلِكِ وَتَاجِهِ . و «أَصْنَعُ مِنَ الدَّبَرِ» ، وَهِيَ النَّمَلُ . و «أَسْمَحُ مِنْ
لَافِظَةٍ» ، وَيُقَالُ : هِيَ الْمَتَرْتَمِصُ بِالْحَلَبِ ، وَيُقَالُ : الزَّحَا ، لِأَنَّهَا تَلْفِظُ مَا تَطْعَنَهُ
لَا تَحْبِسُ مِنْهُ شَيْئًا . و «أَصْرَدُ مِنْ عَيْنِ حِرَابَةٍ»^(٣) . و «أَلَحَّ مِنَ الْخُتْمَسَاءِ» . و «أَخْبَلُ
مِنْ مُدَالَةٍ» ، وَهِيَ الْأَمَةُ تُهَانَ وَهِيَ تُتَبَخَّرُ . و «أَحْلَمُ مِنْ فَرْخِ الطَّائِرِ» . و «أَكْبَسُ
مِنْ قِشَّةٍ» ، وَهِيَ الْقِرْدَةُ . و «أَجَبَنَ مِنْ صَافِرٍ» ، وَهُوَ مَا صَفَرَ مِنَ الطَّيْرِ ، وَيُقَالُ : هُوَ

(١) النثم بالضمريك : شجر جليل يتخذ منه القسي ، والنمامة واحدة النمام : بنت ضعيف .

(٢) أموق : أحق ، من الموق وهو الحق . (٣) في جميع الأمثال ليداني : الحرياء . بالترصيف ، وعلاه
بأن الحرياء تستقبل الشمس أبدا بينما تستقبلها الدف . وورد فيه بعض هذه الأمثال بالترصيف أيضا .

- الصفافر بالمرأة للرؤية . و « أتم من صبح » . و « أبعد من بيض الأتوق » ، والأتوق :
 الرّجّة يبيض في أعالي الجبال والشواحق حيث لا يبلغه سُبُح ولا طائر . و « أشجع من
 لَيْثِ عِفْرَيْن » ، قال بعضهم : هو الأسد ، كأنه قال : أشجع من لَيْثِ لُيُوثٍ تَغِيرُ من
 نازعها وتصرعه ، وقال الأصمعيّ : هو دابةٌ مثل الحِرَاءِ يتخذى الراكب ويضربه
 بذنبه . و « أحنُّ من شاريّف » ، وهى الناقة المُسِنَّة . و « أسرع من عدوى الثّوباء » .
 و « أروى من القنّاقه » ، وهى الضّفادع . و « أزنى من قِرْد » ، ويقول بعضهم : إنه
 رجل من هُدَيْل كان كثير الزّنا . و « أخدع من ضَبّ » . و « أشام من الزرقاء »
 وهى ناقة .

الأنعام

- ١٠ حدثني يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهليّ عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه
 عن جدّه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما خلق الله دابةً أكرم عليه من النّجعة »
 وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها .
 وقال : حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن إهاب بن عمير قال : كان لنا جمل يعرف
 كَشْحَ الحامل من غير أن يُسمّها . قيل لأبنة الخُلس^(٥) : ما تقولين في مائة من المعز ؟
 ١٥ (١) وفي النسخة الألمانية : « بالمرأة المريّة » عبارة الأساس « هو القى يفسر ليه فهو رجل أن
 يظهر عليه ، وقيل : هو طائر ينكس رأسه لئلا يلتصق برجله وهو يفسر خيفة أن ينام فيؤخذ » .
 (٢) في الأصلين « تمقر » والسياق يقتضى ما وضعنا إذ سبق الفعل لبيان الاشتقاق . (٣) في جميع
 الأمثال اللياني : « أشام من ورقاء » . قال : يعنون الناقة وهى مشؤمة وذلك لأنّها قد قترت فذهبت
 في الأرض . وما في الأصل حكاه الميداني عن أبي اللدى وقال : الزرقاء ناقة قترت براكمها فذهبت
 في الأرض . (٤) كذا في القند الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ وقد وردت هذه الكلمة في الأصل الفوتوغرافي
 هكذا « يها » وفي النسخة الألمانية « يهي » . (٥) أبنة الخلس : امرأة من إياد جاءت عنها
 الأمثال راسمها هند وكانت مدروية بالقصاحة .

قالت : قَتِي ؛ قيل : فائمة من الضأن ؟ قالت : غَيّ ؛ قيل : فائمة من الإبل ؟ قالت : مَيّ . والعرب تضرب المشل في الصرد بالمعزى فتقول : « أَصْرَدُ مِنْ صَتْرِ جَرَبَاءَ » . وسئل دَغْفَلٌ عَنْ بَنِي غَزُومَ ، فقال : مِعْزَى مِطْيَةِ ، عليها قُشْعَرِيَّةٌ ، إلا بَنِي الْمُغْيِرَةِ ؛ فَإِنَّ فِيهِمْ تَشَادُقَ الْكَلَامِ ، وَمُصَاهَرَةَ الْكِرَامِ .

وقالت العرب فيما تقول على ألسنة البهائم : قالت المِعْزَى : الْأَسْتُ جَهْوَى ، وَالذَّبُّ أَلْوَى ؛ وَالْخُلْدُ رُقَاقٌ ، وَالشَّعْرُ دُقَاقٌ . قالوا : والضأن تضع مرة في السنة وتُفَرِدُ وَلَا تُنْثِمُ ، وَالْمَاعِزُ قَدْ تَلَدَ مَرَّتَيْنِ فِي السَّنَةِ ، تَضَعُ الثَّلَاثَةَ وَأَكْثَرَ وَأَقْلَ ، وَالنَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ وَالْعَدَدُ فِي الضَّأْنِ ؛ وَكَذَلِكَ الْخَنَازِيرُ تَضَعُ الْأَثْنَى مِنْهَا عَشْرِينَ خِصْوصًا وَلَا نَمَاءَ فِيهَا . ويقال : ابْجَؤَامِيسُ ضَأْنُ الْبَقْرِ ، وَالبُخْتُ ضَأْنُ الْإِبِلِ ، وَالبَرَاذِينُ ضَأْنُ الْخَيْلِ ، وَالْخِرْدَانُ ضَأْنُ الْفَارِ ، وَالتُّلُّلُ ضَأْنُ الْفَنَافِذِ ، وَالتَّمْلُ ضَأْنُ النَّزْرِ . ويقول الأطباء : وَلَحْمُ الْمَاعِزِ : إِنَّهُ يُوْرِثُ الْهَمَّ وَيَحْزِكُ السُّودَاءَ وَيُورِثُ النَّسْيَانَ وَيُجِيلُ الْأَوْلَادَ وَيُفْسِدُ التَّمَّ ، وَلَحْمُ الضَّأْنِ يَصْرُ مِنْ يُصْرَعٍ مِنْ الْمِزَّةِ لِإِضْرَارِهِ شَدِيدًا حَتَّى يَصْرَعَهُمْ فِي غَيْرِ أَوَانٍ الصَّرْعِ . وَأَوَانُ الصَّرْعِ الْأَهْلَةُ وَأَنْصَافُ الشُّهُورِ ؛ وَهَذَانِ الْوَقْتَانِ هُمَا وَقْتُ مَدِّ الْبَحْرِ وَزِيَادَةِ الْمَاءِ وَالتَّمِّ ، وَلِزِيَادَةِ الْقَمَرِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ بِدْرًا أَثَرُهُ فِي زِيَادَةِ التَّمِّ وَالدَّمَاعِ وَجَمِيعِ الرُّطُوبَاتِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضَأْنٍ * فَهُمْ يَسْجُونَ قَدْ مَالَتْ طَلَاهُمُ

وفي الماسرة : إِنَّمَا تَرْتَضِعُ مِنْ خَلْفِهَا ^(٤) وَهِيَ مُحْقَلَةٌ ^(٥) حَتَّى تَأْتِيَ عَلَى كُلِّ مَا فِيهِ ؛ قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ

(١) الصرد: البرد، لأن المعزى لا تكمل قلة شعرها . (٢) جهوى: مكشوفة . (٣) الرجل البعج: الضعيف المشي كأنه مبعوج البطن ، وفي النسخة الألمانية : « فهم يسجون » بإياء المتأنة وهو محرف . (٤) الخلف بالكسر: حلبة الفرع . (٥) المحقلة : التي تركلها أيا ما ليجمع اللبن في ضرعها .

إني وجدتُ نبيَّ أعيا^(١) وجاملهم * كالعترِ تطيُّفُ روقيا^(٢) قترَضَعُ

وإذا رعت الضائئة والماعزة في قصير نيت لم ينبت ما تأكله الماعزة لأن
الضائئة تهرضه بأسنانها والماعزة تقتله وتجنِّبه فتنته من أصله . وإذا حمل على
الماعزة فحملت أنزل اللبن في أول الحمل إلى الضرع ، والضائئة لا تُبزل اللبن إلا عند
الولاد ، ولذلك يقول العرب «رَمَمَتِ المِعْزَى فَرْقِي رَقِيَّ» و«رَمَمَتِ الضَّائِنُ فَرْقِي رَقِيَّ»^(٣)
وذكور كل شيء أحسن من إناثه إلا الثيوس فإنها أقبح من الصفايا . وأصوات
الذكور من كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها .
فيل لأعرابي : بأي شيء تعرف حمل شاتك ؟ قال : إذا ورم حيائها ورجعت
شعرتها وأستفاضت خالصتها .

قال الأحمسي : لبي عقيل ماعزة لا ترد ، تجترى بالرطب . وقرأت في كتاب من
كتب الروم : إن أردت أن تعرف ما لو أن جنين النجعة فافظر إلى لسانها فإذا الجنين
يكون على لونه . وقرأت فيه أن الإبل تنجس أمتها وأخواتها فلا تسفدها .
قالوا : وكل ثور أفسس ، وكل بعير أعلم ، وكل ذباب أفرح . وقالوا : البعير إذا صعب^(٤)
وخافه الناس أستعانوا عليه حتى يُبرك^(٥) ويُقتل ثم يركبه غُلٌّ آخر فيذل . والعرب تعرف

- (١) كنا في الأصل والصلاح والقي في اللسان في مادة «وضع» : * لقي رأيت بخي سم وعزم
وداعيا » أبو جهم من أسد كاف في اللسان . (٢) الجامل طليع من الإبل سما رجاتها وأربابها .
(٣) الروق : القرن ، يريد أنهم لا يحيطون بياهم وإنما يرضعونها غشية أن يسمع الباقون صوت الحلب
فيطلبون اللبن منهم . (٤) التريد : أن تظلم الضروع . والتريق : الانتظار . والمعنى أن عظم
ضرع الماعزة لا يلد على قرب ولادتها . (٥) أي هي الأولاد الأرقاء (جمع رقيق بالكسر
وهو حبل فيه عقدة عري يشد به البهم . كل عروة رقيقة بالكسر والفتح) يعني أن عظم ضروع البان يلد
على قرب ولادتها ، وهو مثل يضرب لما لا يخطر وقوعه انتظارا طويلا على عكس المثل الأول .
(٦) الاطس : الذي تطلعت قصبة أهله وانتشرت أراشهم أهله في وجهه . (٧) العلم :
المشقوق المشقرا الاطل . (٨) الأفرح : الذي يوجهه فرحة تظهر كأنه .

البعير المَغْدُ بِسُقُوطِ الذِّبَابِ عَلَيْهِ . وَيَقُولُونَ : بَعِيرٌ مَذْبُوبٌ إِذَا عَرَّضَ لَهُ دَاءٌ يَدْعُو
الذِّبَابَ إِلَى السَّقُوطِ عَلَيْهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْقُصَّاصِ : مِمَّا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ الْكَثْبَشَ أَنْ جَعَلَهُ
مُسْتَوْرَ الْعَوْرَةِ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ دُبُرٍ ، وَمِمَّا أَهْلَانُ بِهِ التَّيْسُ أَنْ جَعَلَهُ مَهْمُوكَ السَّتْرِ
مَكشُوفِ الْقَبْلِ وَالدُّبُرِ .

٥٠ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْمَنَعَمِ عَنْ أُمِّةٍ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ
فِي مَنَاجَاةٍ عَزْرِي : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْتَرْتَ مِنَ الْأَنْعَامِ الضَّائِنَةَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْحَمَامَةَ ، وَمِنَ النَّبَاتِ
الْحَبْلَةَ ، وَمِنَ الْبُيُوتِ بَيْتَكَ ^(٢) وَإِلْيَاءَ ، وَمِنَ الْإِلْيَاءِ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ ^(٣) . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَمْرَأَةً
أَتَتْ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، إِنِّي أَتَمَخَّنْتُ غَنَمًا أَتَنَى
نَسْلَهَا ^(٤) وَرَسَلَهَا وَإِنِّي لَا تَتَوَقَّعُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَّا أَلَوَانَهَا" ، قَالَتْ :
سُودٌ ، فَقَالَ : "عَفْرَى" ^(٥) ، وَبَسَّ إِلَى الرَّعِيَانِ "مَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ سُودٌ فَلْيَخْلُطْهَا بِعَفْرَى
فَإِنَّ دَمَ عَفْرَاءٍ أَزْكَى مِنْ دَمِ سُودَاوَيْنِ" . وَقَالَ : "الْغَنَمُ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ
أَقْبَلَتْ . وَإِلَّا بِإِذَا أَدْبَرَتْ أَدْبَرَتْ وَإِذَا أَقْبَلَتْ أَدْبَرَتْ وَلَا يَأْتِي تَعْمُهَا إِلَّا مِنْ جَانِبِهَا
الْأَشَامِ" ^(٦) . وَالْأَقْطُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْمَعْرَى ؛ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

لَنَا غَنَمٌ نُسَوِّقُهَا غِزَارًا * كَأَنَّ قُرُونَهَا جِلَّتْهَا عِصَى
فَتَمَلَّأَتْ بَيْتَنَا أَقْطًا وَشَمْنَا * وَحَسِبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرَى

١٥ وَقَالُوا : مِثْقَلَةُ الْبَعِيرِ : لَمَّا أَنَّهُ يُخْرِجُهَا . وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْغَنَمِ قَوْلُ عُثْمَانَ
أَبْنِ شِهَابٍ فِي تَيْسٍ غَنَمِهِ :

(١) أَغْدُ الْبَعِيرُ : أَحَبُّ الْبَنَةِ ، وَهِيَ طَاعُونُ الْإِبِلِ . (٢) فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ "فِي مَنَاجَاةٍ
عَزْرِي إِنَّكَ . . ." وَتَظَاهَرُ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ . (٣) الْحَبْلَةُ تَقَالِقُ عَلَى بَقْعَةٍ طَبِيعَةٍ مِنْ ذِكْرِ الْبَقْلِ
وَعَلَى الْكَرَمِ وَعَلَى شَجَرِ النَّضَاءِ . (٤) بَيْتٌ : مَكَّةَ . وَإِلْيَاءُ : أَمُّ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ .
(٥) الرَّسْلُ : الْبَعِيرُ . (٦) عَفْرَى : مِنَ الْعَفْرِ وَهُوَ الْبَيَاضُ . (٧) الْأَشَامُ : الْبَهَالُ .

وراحت أصيلاً كأن ضروعها * دلاء وفيها وائد القرن بلب^(١)
له رعشات كالشئوف وغرة * شديج^(٢) ولون كالوذيلة^(٣) منهج^(٤)
وعينا أحم المقتلين وعصمة^(٥) * يواصلها دنان من الظلف مكب^(٦)
إذا دوحه من محرف الضال أذبلت * عطلها كما يعطو ذرى الضال قرحب^(٧)

• أبو الحور والفقر اللواتي كآتيا * من الحسن في الأعناق جزع^(٨) متعب^(٩)
تري صيفها فيها بيت بنبطة * وضيف^(١٠) ابن قيس جائع^(١١) يحزب^(١٢)

فوقد ابن قيس هذا على النعمان فقال: كيف المخارق فيكم؟ قال: سيد كريم من رجل
يلدح تيسه ويهجو ابن عمه. قال العجاج في وصف شاة: حرام المقم شعراء المؤثر
إذا أقبلت حسبتها نافرا، وإذا أدبرت حسبتها ناثرا، أى كأنها تعطس، يريد من أى
أقطارها رأيتها وجلسها مشرفة.

١٠

(١) وائد القرن: متصبه. (٢) قال صاحب الدان: أراد باللب شفقه على الحزى أى
أرسل فيها فهو ذو لبلة عليها أى ذو شفقة. (٣) رعشات الشاة: زغمتها تحت الأذنين. وفي الأصل
الفتوغرافى: غرثات وهو محريف. (٤) جمع شف وهو القرمط، وفي الأصل الفتوغرافى
كالسيوف وهو محريف. (٥) غرة شادخة وشديج: غشت الوجه من الناصية إلى الأنف.
(٦) المرأة أو ضلة من القضة بجولة. (٧) العصمة: اليأس في ذراعى العلي أو الوصل.

١٥

(٨) الظلف: ظفر كل ما أجزر، وهو ظلف البقرة والشاة والظلي وما أشبهها.
(٩) مكب: ظليظ، من الكتب وهو ظليظ يد الرجل والتلف والحافر واليد.
(١٠) الخرف: الذى حان نراه أى أعتلاف ثمره.
(١١) من السطو وهو التناول. (١٢) القرحب من الثيران: المسن الضخم.

٢٠

(١٣) الجزع بالفتح ويكسر: انلرز الجاني الصبي فيه سواد ويأض.
(١٤) يحزب: يتربص. كذلك وردت في كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٤٤ وفي الفتوغرافية: «يحزوب»
ولم نجد هذا الفعل وإنما ورد الخربة: المجاعة.
(١٥) هكذا بالأصول، والذى في كتاب الحيوان الجاحظ ج ٥ ص ١٤٠ «سيد شريف يلدح» الخ
بدون من رجل.

قال الأصمعيّ: قال أعرابيٌّ يهزأ بصاحبه: اشترى لي شاة فقها كأنها تضحك، مُندلقةٌ خائصةً ناهية، لما صرّح أرقط كأنه جيب؛ قال: فكيف العطل؟ قال: أتى لهذه عطل! العطل: العتق. يقول: من يمنها يحسب أنه لا عتق لها.

ومما تخوله العرب على السنة البهائم. قالت الضائفة: أولد رَحَلاً وأَجَرَ جُفَلاً وأَحَلَبَ كُتَباً فقالوا ولم ترمثل مالا حَقَلاً. تقول: أجز مرةً وذلك أن الضائفة إذا جُزّت لم يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يؤتى عليه، والكُتَب جمع كُتْبة وهي الدفعة من اللبن، تقول: أحلب دُفْعاً فقالا من اللبن، وذلك لأن لبنها أدمم وأختر من لبن المزم فهو أهل.

السباع وما شاكلها

- يقال: إنه ليس شيء من السباع أطيب أفواها من الكلاب، ولا في الوحوش أطيب أفواها من الظباء، ويقال: ليس شيء أشدَّ بهراً من أسد وصقر، ولا في السباع أسيح من كلب. وليس في الأرض حقلٌ من جميع أجناس الحيوان لذكركه ظمٌّ ظاهر إلا الإنسان والكلب. والأسد لا يأكل الحار ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض وكذلك أكثر السباع. وتقول الرُّوم: إن الأسد يُدعّر بصوت الديك ولا يدنو من المرأة الطامث. والأسد أنا بال شغركا يشغرك الكلب؛ وهو قليل الشرب الماء، ونحوه

- (١) الفم: تفتح الثنايا العليا. (٢) في الأصل الفتور في متلقة بالذال المعجمة والقاف وفي الألمانية «متلقة» بالذال المعجمة والقاف. ولعل الصواب ما أثبتناه؛ والاندلاق: الاسترخاء. (٣) الرخال: جمع رخل بالكسر وياء. وكذلك: الأثني من زوله الضأن. (٤) الخفال كثرة الب: العظم. (٥) كذا في القيد الفرديج ٣ ص ٣٥ وهي أنسب بالسياق. وفي الأصلين: «الكلب». (٦) كذا في القيد الفرديج وفي الأصلين: «الحوض». (٧) كذا في النسخة الألمانية، وفي الفتورغرافية: من صوت «الذئب». وصارة الهيرى «يفزع من صوت الديك وتقر الطست». (٨) من الطست وهو الحوض، وعبارة الهيرى «ولا يدنو من المرأة الحامض ولو بلغ الجهد». (٩) شغل الكلب: رفع إحدى رجليه بال أو لم يبل.

يشبه نجو الكلب، ودواء عَضَّتْه دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب . وقالوا : العيون التي تضيء بالليل عيونُ الأسد والثور والسنابير والأفاعي . والعرب تقول هو « أحمق من جِيَهْرَة » وهي الذئبة لأنها تدع ولدها وتَرْضِع ولد الضَّبُع . ويقولون : الضَّبُع إذا صيدت أوقُتلت عَال الذئب أولادها وأُتاهَا بالحم ، قال الكُتَيْب :

كما خَافَتْ في بيتها أُم طامِر^(١) * لدى الحبل حتى عَال أَوْس^(٢) عِيَالها^(٣)

أَوْس : الذئب .

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع في قِيَتها : الأسد والكلب والسنور ، ويقال : الضَّبُّ أيضا . وأمراض الكلاب ثلاثة : الكَلْب وهو جنون ، والذئبة والقرس . والعرب تقول : دماء الملوك شفاء من عَضَّة الكَلْب الكَلْب والجنون والحلب ؛ قال الفرزدق :

من الدارميين الذين يداؤهم * شفاء من البلاء المحببة والحلب

ويُلْفَنِي عن الخليل بن أحمد أنه قال : دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب الدَّرَارِج^(٤) والعَدَس والشراب العتيق يُصنع ؛ وقد ذَكَر كيف صَنَعْتَهُ وكَيْف يُشْرَب منه وكيف يُتَعَالَج به ، والكَلْب الكَلْب إذا عَضَّ إنسانا فرما أحاله نَبَاحا مثله ثم أحبله وألقعه بأجر صفار ترأها عَقْلًا في صُور الكلاب .

(١) أم طامر : كنية الضبع .

(٢) الحبل على هذه الرواية حمل الرمل وروى « قى الحبل » والمراد بذي الحبل الصائد القى يلقى الحبل في مرقوب الضبع .

(٣) كذا في الأصلين وفي لسان العرب في مادة عال . وأورده صاحب اللسان أيضا في مادة أوس : قال أوس بالفتن المحببة وقال في قصصها : يَمْنَى أَكَل جِرَامِها .

(٤) الدَّرَارِج جمع دَرَج وهي دوية حراء متقطعة بسواد أعظم من القباب شيئا .

(٥) جمع جرو .

قال أبو اليقظان : كان الأسود بن أوس بن الحمرّة أتى النجاشي فعلمه دواء الكلب ، فهو في ولده الى اليوم . فن ولده الحجل ، وقد داوى الحجل عتيبة بن مرداس فأنخرج منه مثل جرّاء الكلاب علقاً ، قال ابن فسوة^(١) حين برأ :

ولولا دواء ابن الحجل وعلمه * هربت انا ما الناس هركليها
وأخرج بعد الله أولاد زاريج * مؤلعة^(٢) أكتافها^(٣) وجنوبها^(٤)

الكلب : جمع كلب على غير قياس مثل عبد وعبيد .
وعض رجلا من بني المنبر كلب كلب فيال علقاً في صور الكلاب ، فقالت امرأته :
أبالك أدرأصا وأولاد زاريج * وتلك لعمري نهيّة المتعجب

ويزعمون أنه يطلب الماء أشد طلب ، فلما أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد لا أريد ، أو شيئاً في معنى ذلك . قالوا : وتام حمل الكلبة ستون يوماً ، فإن وضعت في أقل من ذلك لم تكد أولادها تعيش . وإناث الكلاب تحيض في كل سبعة أيام ، وعلامة ذلك أن يرمّ قعر الكلبة ولا تريد السفاد في ذلك الوقت . وذكور السلوقية تعيش عشرين سنة ، والإناث تعيش اثنتي عشرة سنة . وليس يلقى الكلب شيئاً من أسنانه سوى النابتين .

قالوا : وعلامة سرعة الكلب أن يطول ما بين يديه ورجليه ويكون قصير الظهر .
ويوصف الكلب بصغر الرأس وطول العنق وغلظها وإفراط الضيف^(٨) وزرق العينين

(١) ابن فسوة كنية عتيبة بن مرداس ، وظاهر ما في الأصل أن اليقين لعنية نفسه ولكن المؤلف في كتابه الشعر والشراء قال : فقال فيه الشاعر ، ثم ساق اليقين . (٢) زاريج : اسم كلب ، ومنه قيل للكلاب أولاد زاريج . (٣) التوليع أن يكون في الدابة ضروب من الألوان . (٤) في النسخة الألمانية : « أكلتها » . (٥) جمع درص — بالفتح ويكسر — وهو ولد الفخذ والأرنب والبربرع والقارة والحمة ونحوها . (٦) في النسخة القزوينية « وأيام » . (٧) الثر — بالفتح ويضم — الباع والمخالب كالحياض الثلاثة . (٨) الضيف : استرخاء الأذن .

- وعظم الملتين وطول الخَطْم مع اللطافة وسعة الشَّدين وتواء الحديقة وتواء الجبهة وعمرهما، وأن يكون الشعر الذي تحت حنكته طافيةً طاقةً ويكون غليظاً، وكذلك شعر خذيه، ويكون قصير الديدن طويل الرجلين عريض الظهر طويل الصدر، في ركبته أمتلاء . ويكره للذكور طول الأذنان . ومن علامة القراة التي لا تكاد تختلف أن يكون على ساقيه أو على أحدهما أو على رأس الذنب حَبْلٌ ، وينبغي أن يُقَطَّع من الساقين . وسود الكلاب أعقرها، ولذلك أمر بقتلها .

- قالوا : وإذا هرم الكلب أُطِمَ السَّمَنَ مراراً فإنه يعود كالشَّاب ، وإذا حفي بُهِتت آسته وأُجِمَ ومُسِحَ على يديه ورجليه القطران . وإذا بلغ أن يُشَفَّرَ فقد بلغ الإلفاح . والكلب من الحيوان الذي يحتمل . قالوا في الكلبة : إنه يسفدها كلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤذي إلى كل ما فسد شكله وشبهه .

- فقد جماعة من أصحابنا يمتدوا ما جاء في الكلب من الأمثال فحفظت منه : « الأُمُّ من كلبٍ على عَرَقٍ » و « أجبَّ كلبك يتبعك » و « نعيم كلبٍ في بُؤس أهله » و « أسيَّئ كلبك يا فلان » و « أحرص من كلبٍ على عني صبي » و « أجوج من كلبية حومل » و « أبول من كلب » و « جلس فلان مزجر الكلب » و « الكلاب على [البقر] » و « الكلب أحب أهله إليه الظاعن » و « هو كالكلب في الأذى لا يتفلس ولا يبدع الدابة تختلف » .

- (١) كذا في الأصل القنوغرافي، وفي النسخة الألمانية : « أدم » . وأجِم : ترك يستعيد قوته .
(٢) في الأصلين : « قالوا في الكلبة » وظاهر أن الواو زائدة .
(٣) العرق : السَّمُّ أكل لحمه ، أو السَّمُّ بضم .
(٤) البقر : أول حدث الصبي .
(٥) الزيادة من جمع الأمثال ، وهو مثل يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة .

الذنب

الذنب إذا سَقَدَ الذنبة فالتحم الفرجان وهم عليهما حاجِمٌ قتلها كيف شاء، إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك، لأن الذنب إذا أراد السَّفاد تَوَسَّى موضعا لا يَطْوُهُ أنيس خوفا على نفسه . وتقول الروم : إن الذنب إذا نهش شاة ثم أَفْلَتَتْ منه طاب لهما وخَفٌ وميلت من الفِرْدان . قالوا : والذنب إذا رأى إنسانا قبل أن يراه الإنسان أَمَحَ الذنبُ صَوْتَ ذلك الإنسان . وقالوا : في طبع الذنب حُبَّةُ الدَّمِ، ويبلغ به طبعه أنه يرى الذنب مثله قد دَمِيَ فيلب عليه فيمزقه؛ قال الشاعر :
وكنْتَ كذنبِ السَّوءِ لما رأى دَمًا * بصاحبه يوما أحال على القم^(١)

قالوا : والفرس إذا وطئ أثر الذنب ثقلت قائمته التي وطئ بها . وفي كتاب علي رضي الله عنه إلى ابن عباس : لما رأيت العدو على ابن عمك قد حَرَبَ، وإزمان قد كَلَبَ، قلبت لأجن عمك ظهر الحَيِّينَ بفراقهم المفاقرين، ورخذلانه مع الخاذلين ، وأختطفَت ما قَدَرَت عليه من الأموال اختطافَ الذنب الأزل^(٢) دامية المعزى . ويقولون : إن الذنب ربما نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى؛ وقال حميد بن ثور :

ينام بإحدى مُقَلْبِيهِ وَيَتَّقِي * بأخرى المنايا فهو يَقْظَانُ هاجِج^(٣)

والذنب أشدُّ السَّباعِ مطالبة، وإذا عجز عوى عواء استغاثت قسامت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله ؛ وليس شيء من السَّباع يفعل ذلك .

(١) هو الفَرَزْدَق (راجع ص ٢٦ من ديوانه طبع باريس سنة ١٨٧٠) .

(٢) أحال على الدَّمِ : أقبل عليه .

(٣) الذنب الأزل : الأروع (الخفيف الوركين) يتوقد بين الضيق والذنب .

(٤) في السد الفريد وغيره :

* بأخرى الأعداء فهو يَقْظَانُ قائم *

الفيل

قالوا: لسان الفيل مقلوبٌ طَرَفُهُ إلى داخل . والهند تقول: لولا أن لسانه مقلوبٌ
لتكلم . والفيل إذا ساء حُفُّهُ وَصَّعَبَ عَصَبُوا رجله فسكن . وليس في جميع الحيوان
شيءٌ لذكوره تَدَى في صدره إلا الإنسان والفيل . والفيل المنتظم إن سمع صوت
يُخَوِّص من الخنازير ارتاع وفر . والفيل يَفْرَع من السَّوَر . وترجم الهند أن نَابِي
الفيل هما قرناه يخرجان مستطنتين حتى يخرقا الحنك ويخرجا أعقفين . وقال صاحب
المنطق : ظهر فيل عاش أربعائة سنة . وقال حدثني شيخ لنا قال : رأيت فيلا
أيام أبي جعفر قيل : إنه سجد لسابور ذي الأكتاف ولأبي جعفر ، والفيلة تضع
في سبع سنين .

الفهد

قالوا: السَّباع تستهي رائحة الفهد، فإذا سَمِنَ الفهد عَرَفَ أنه مطلوب وأن حركته
قد ثقلت فأخفى نفسه حتى ينقضي الزمان الذي تسمُن فيه الفهود . ويمتري الفهد
داء يقال له خاتمة الفهود ، فإذا اعتراه أكل العنبرة فبرأ . والوحشي المَسْنُ منها
في الصيد أقنع من الجرو المُرَبِّب^(١) .

الأرنب

قالوا : الأرنب تحيض ولا تسمُن إلا بزيادة اللحم . وقضيب الذَّكَر من الأرناب
ربما كان من عظم ، وكذلك قضيب الثعلب . والأرنب تنام مفتوحة العين . وإفصحة
الأرنب إذا شربتها المرأة من بعد أن تظهر من المحيض مُنعت من الحبل . والكلف^(٢)
إن طلي بدم الأرنب أذهب .

١٠ (١) بالاصلين : « وضمف » وظاهر أن ما أُنشِئناه هو الذي يلائم السياق . (٢) المُرَبِّب :
الذي يربو به لأن الجرو يخرج غباً ويخرج المسن على الناديب صبوراً غير غيب . كنا في كتاب الحيوان
لجامط (ج ٦ ص ١٦٠) . (٣) الكلف بالتمريك : شيء يملأ الوجه كالسمسم ويعرف بالتمش .

الفرد والذب

قال : حدثني محمد بن خالد بن خلداس قال : حدثني سلم بن قتيبة عن هشام عن حصين وأبي بلع عن عمرو بن ميمون قال : زنت قردة في الجاهلية فربحها القردود ورجعها معهم . قالوا : وليس شيء يجتمع فيه الزواج والغيرة إلا الإنسان والقرد ؛ قالوا : والذئبم حرو الذب تضعه أمه وهو كفيرة لحم قهرّب به في المواضع العالية من النّز والتمل حتى تستد أعضاءه .

مصايد السباع العادية

السباع العادية : تُصطاد بالزّي والمقوّيات وهي آبار تُحفر في أنساز الأرض ، فلذلك يقال : قد «بلغ السيل الزّي» ، قال صاحب الفلاحة : وما تُصاد به السباع العادية أن يؤخذ سمك من سمك البحر الجبار البمان فتقطع قطعاً ثم تُسرح ثم تُكَلَّ كَلًّا ثم تُوجج نار في غائط من الأرض يقرب فيه السباع ثم تعذب تلك الكَل في النار واحدة بعد واحدة حتى ينتشر دخان تلك النار وقار تلك الكَل في تلك الأرض ثم تُطرح حول تلك النار قطع من لحم قد جعل فيها الخريق الأسود والأقيون وتكون تلك النار في موضع لا تُرى فيه حتى تُهيل السباع لريح القنار وهي آمنة فأكَل من قطع اللحم ويُفتى عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاعوا .

(١) المقوّيات : بفتح الواو مشددة : جمع المنواة وهي حفرة كائنية تحفر للأسد .

(٢) أنساز : جمع نَز وهو المكان المرقع .

(٣) الزّي : جمع زية وهي الزاية لا يملوها ماء ، وهي كلك حفرة للأسد .

(٤) الغائط : المطنن الواسع من الأرض .

(٥) القنار : ريح الشواء .

(٦) الخريق : بكسر : بنت كالم يشئ على أكه ولا يقتله .

النعام

قالوا في الظلم : إن الصيف إذا أقبل وأبتدأ البسر في الحمة أبتدأ لون وظيفيه^(١) بالحمة ولا يزالان يتلونان ويزدادان حمة إلى أن تنتهي حمة البسر، ولذلك قيل له : خاضب . وفي الظلم : إن كل ذي رجلين إذا أنكرت إحدى رجليه قام على الأخرى وتحامل على ظلم غيره فإنه إذا أنكرت إحدى رجليه جثم ، ولذلك قال الشاعر •
في نفسه وأخيه :

فلئن وإياه كرجلي نعامية * على ما بنا من ذي غنى وقدير

يقول : لا غنى بواحد منا عن الآخر . وقال آخر :

إذا أنكرت رجل النعامية لم تجهد * على أختها نهضا ولا باستها حبوا^(٢)

قالوا : وطلة ذلك أنه لا تخ له في ساقيه ، وكل عظم فهو يخبر إلا عظام لا تخ فيه ؛
وزمان الشاء لا يخبر ؛ قال الشاعر^(٣) :

أجندك لم تطلع رجل نعامية * ولست بنهاض وعظمك زخمر

أي أجوف لا تخ فيه . والظلم ينتدى المرو والصخر فتذيه فانصته بطنها حتى يصير كالماء ؛ قال ذو الرقة يذكره :

(١) الوظيف : مستق الاذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها والجمع أرفقة ووظف .

(٢) في اللقد القريد : ولا دنيا صبرا .

(٣) كذا في حياة الحيوان (ج ٢ ص ٢٠) وفي الأصل : «جبرا» .

(٤) الزمان جمع زمنية وهي كل عظم أجوف لا تخ فيه .

(٥) القوانص الطير كالصايرين للصيد .

ألهاء^(١)اء وتُسوم^(٢) وسيد^(٣) * من لائح المرو والمروى له عقب

قال أبو النجم :

والمرو يُلقب به الى أمعائه * في سِرط^(٤)م هادٍ على آتوائه

والظلم يتلع الجرة وربما ألقي الحجر في النار حتى إذا صار كانه جمره قُذِفَ به بين يديه فينتله وربما ابتلع أوزان الحديد . وفي النعامة لأنها أخذت من البعير المنسم والوظيف والمُتَقِّ والخرامة ؛ ومن الطائر الزيش والخنابين والمنقار فهو لا يبر ولا طائر ؛ وقال أوس بن سحر :

وتبى ذوى الأحلام عني حلوهم * وأرفع صوتي للنعام المخزم

جمله مخزماً للفرق بين اللذين في عرض أفعه في موضع الخرامة من البعير . قال

يحيى بن نوفل : ١٠

ومثل نعامة تُدعى بغيراً * مُعاصيتنا إذا ما قيل طيري

فإن قيل أحمل قالت فإني * من الطير المريبة في الوكور^(٥)

وتقول العرب في المثل : هذا «أموق» من نعامة وذلك أنها ربما خرجت لطلب

الطعم فترت بيض نعامة أخرى فخصته وترك بيضها ؛ ولذلك قال الشاعر وهو

أبن هرمة : ١٥

(١) الآ : جمره ثمناً له للنعام . (٢) قال ابن سيده : التسوم : سجره حمل مزاركتل

حب الخروع ، ويتلقى عرب يأكله أهل البادية ؛ وكيفما زالت الشمس تبها بأعراض الورق ،

وواحدة تنومة . (٣) قال في اللسان : وعقبه المشاية في الرعى أن ترعى الخلفة عقبه ثم تحول

الى الخفض ، فالخلف عقبها ، وكذلك إذا تحولت من الخفض الى الخلة ، فالخلفة عقبها . (٤) السرط :

اليوم . (٥) كذا في حياة الحيوان لقسري . وفي الأصل «معاظله» . (٦) المريبة :

القيمة ؛ وفي حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤١٨) «المربة» .

وإني وتركت ندى الأكرمين • وقدحى بكفى زينا شحاما
نكاركة بيضا بالعراء • ومليسة بيض أخرى جناحا
وقال سبهم بن حنظلة :

إذا ما لقيت بنى عامر • رأيت جفاء ووكا كبيرا
نعام تمشد بأعناقها • ويمتئها نوكتها أن تطيرا

ويضرب بها المثل في الشراء والتجارة قل بشر بن أبي خازم :
وأما بنو عامر بالنسار • فكانوا غداة لقنونا نعاما

يريد : مروا منهزمين • وربما حضنت النعامة أربعين بيضة أو نحوها وأخرجت
ثلاثين راءا ، قال ذو الرمة :

كانه خاضب بالبي مرته • أبو ثلاثين أسمى وهو مقلب

والبواقي من بيضا الذي لا تتقفه يقال لها : التراكك ، وأشد ما يكون الظلم عدوا
إذا استقبل الريح لأنه يضع عنقه على ظهره ثم يحرق الريح وإذا استدبرها كبته من
خلفه • والنعامة تضع بيضا طولا ثم تقطعها كل بيضة بما يصلها من الحصن ؛
قال ابن أحرر :

• وضعن وكلهن على غيرار •

وقال آخر :

• على غيرار كاستواء المطمر •

- (١) النوك : الحق • (٢) النسار : موضع ، وقيل : هو ماء لبني عامر ، ومنه يوم النصارى لبي أم
وذيان على جشم بن صاوية • (٣) كذا في الأصل المختصرافي • وفي لسان العرب في مادة «خضب»
«أذاك أم خاضب ... الخ» وهي رواية الديوان ، يعني : أذاك الثور الذي وصفته يشبه فاق في سرعتها
أم ظليم هذه صفته • (٤) السى : القلاة • (٥) تقفت النعامة الليعة : تقبها واستغربت ما فيها •

والمطمر خيط البناء، إلا أن عملية بن صمير خالف ذلك فقال يذكر العظيم
والنعامة :

فذكرنا قفلاً رثيداً بعد ما * ألفت ذكاه يمينها في كافر^(٢)

- والرثيد : المنضود بعضه على بعض . قالوا : الوحش في القلوات ما لم تعرف
الإنسان ولم تره لا تتفر منه إذا رأيته خلا النعام فإنه شارد أبداً ؛ قال ذو الرمة :
وكل أحسن المفلتين كانه * أخو الإنس من طول الخلاء المغفل^(٣)
يريد : أنه لا ينفّر من الناس لأنه في خلاء ولم ير أحداً قبل ذلك . وقال الأحمير
السعدي : كنت حين خلعتي قومي وأطل السلطان دمي وهرمت وترددت في البوادي
ظننت أني قد جرت نخل وبار أو قرب منها ، وذلك أني كنت أرى النوى في رجع
الذئاب وكنت أغشى الظباء وفيها من بهائم الوحش فلا تنفّر مني ؛ لأنها لم تر أحدا
قبلي وكنت أمشي الى الظبي السمين فأخذه ، وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش
إلا النعام فإنه لم أره قط إلا تافراً فريداً .

الطير

- قال حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا طلحة بن يزيد الشامي
عن يحيى بن الوليد عن عداة بن أبي كبشة عن أبيه قال : كان النبي عليه السلام
يُعبّجه أن ينظر الى الأترج وإلى الحمام الأحمر .
حدثني الرياشي قال : ليس شيء يفتب أذناه إلا وهو يبيض ؛ وليس شيء يظهر
أذناه إلا وهو يلد ، وروى ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام .

(١) الثقل بالتحريك : متاع المسافر وحشيه . (٢) ذكاه : هي الشمس ، والكافر هو
الليل ، من الكفر وهو السر والتغطية ، يريد أنهما تذكرتا متاعهما بعد الغروب . (٣) أحسن :
أسود . (٤) المغفل : المجهول ، وفي الأصلين «المغفل» والتصويب عن الديهان .

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن جريح قال أخبرني شهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أربع لا يُقتَنان النخلة والتخلة والمُهدَّد والصدُّ^(١)» . بلغني عن مكحول قال : كان من دعاء داود النبي عليه السلام : يا رازق العُقاب في عُشِّه . وذلك أن الغراب إذا قَفَص عن فراخه خرجت يعضا فإذا رآها كذلك نَزَرَ عنها فتفتَحُ أفواهها ويرسلُ الله لها ذبابا فيدخلُ في أجوافها فيكون غداءها حتى تسودَ ، وإذا أسودت عاد الغراب ففدَّها ويرفعُ الله عنها الذباب .

قال حدثني أحمد بن النليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك بن يحيى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تطرُقوا الطير في أوكارها فإت الليل أمانُ الله» .

- حدثني أبو سفيان الثوري عن معاوية بن عمرو عن طلحة بن زيد عن الأخصب ١٠ . ابن حكيم عن خالد بن معدان عن رجل من الأنصار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الذيكَ الأبيضُ صديقٌ وصديقُ صديقٍ وصدق علق الله يحرُسُ دارَ صاحبه وسيع أدور^(٢)» . وكان النبي عليه السلام يُبيتُه معه في البيت .
- قالوا : الطير ثلاثة أضرب ، بهائمُ الطير وهو ما لقط الحبوبَ والبرورَ وسباعُ الطير وهي التي تفتدي اللحمَ ، والمشتركُ وهو مثلُ الصنفور يشاركُ بهائمَ الطير في أنه ليس بذئٍ يَحَلَب ولا منسٍ وإذا سقط على عود قَدَّم أصحابه الثلاث وأخر الدابة . ١٥ . وسباعُ الطير قَدَّم إصبعين وتَوَخَّرَ إصبعين ويشاركُ سباعَ الطير بأنه يَقِمُّ فراخه ولا يَرْقُ وأنه يأكل اللحمَ ويصطاد الجرادَ والنملَ .

(١) الصد : طائر أبيض العين أخضر الظهر خفيف الرأس والمشار له غلب يصطاد الصافير وصغار الطير ويكنى بأبي كثير . (٢) هذا الحديث موضوع وقد نبه عليه ابن الجوزي وملاط القناري في موضوعاتها (راجع موضوعات ملاط القناري ضمن مجموعة مخطوطة محفظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٤ حديث) .

قالوا: والعصفور شديد الوطء، والفيل خفيف الوطء، والورشان يصرع في كل شهر مرة. قالوا: وأسوأ الطير هداية الأسود، والأبيض لا يحيى من الغاية لضعف قوته وأجودها هداية النمر والنمر.

قال صاحب الفلاحة: الحمام يحب بالكون وبالف موضع الذي يكون فيه الكون، وكذلك العدس ولا سيما إذا أقيم في عصير حلوه وما يصالحن عليه ويكثرن أن تدخن بيوتهن بالملح، وأسلم مواضعها وأصلحها أن يبنى لها بيت على أساطين خشب ويعمل فيه ثلاث كوى: كوة في سلك البيت وكوة من قبل المشرق وكوة من قبل المغرب، وبابان من قبل مهب الجنوب. قال: والسذاب إذا أُلقي في البرج تحامته السناير البرية.

حدثني ابن أبي ساعد عن علي بن الصباح عن أبي المنذر هشام بن محمد قال: حدثني الكلبي أن أسماء كانت نوح إذا غشيت في زوايا بيت حمام تمت القروح وسلبت من الآفات. قال هشام: قد جربته أنا وغيري فوجدته كما قال أبي. قال: وأسم امرأة سام بن نوح «محات نحو»، وأسم امرأة حام «أذنف نسا»، وأسم امرأة يافث «زذقت نهث».

قالوا: وأحراض الحمام أربعة: الكجاء والختان والسل والقمل، فدواء الكجاء الزعفران والسكر الطبرزد وماء الهندباء يحل في سكرجة ثم يُمحج في حلقه قبل أن يلتقط شيئا.

(١) في الأصلين: الغاية، والتصويب من تحب الحيوان لملاحظ. والغاية الموضع الذي يرسل إليه الحمام المدرب على إبلاغ الرسائل. (٢) السذاب: اسم نبات له خواص وطبائع ذكرها ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٣ ص ٥). (٣) الكتان: جمع كفة بالفتح، وجمع قادر، كأنهم تومروا فيه فعبه ونحوها بما يتكرر على ضائل. والكمة امرأة الأبن أو الأخ. (٤) جارة العقب الفريد (ج ٣ ص ٥) وأسم امرأة سام بن نوح «محت نم» وأسم امرأة حام «ذنف نسا» وأسم امرأة يافث «قال». (٥) الكجاء كغراب: وجع الكبد. (٦) الختان: داء يأخذ الطير في حلقها. (٧) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب. (٨) الهندباء: يقل معروف يؤكل، له مضار ومنافع ذكرها ابن البيطار في مفرداته، وداود الأظفاري في تذكره. (٩) السكرجة: الصمغة.

ودواء الخُنَيْنِ أَنْ يَلَيْنَ لِسَانُهُ يَوْمًا أَوْ اثْنَيْنِ يُدْهِنُ الْبَنْسَجَ ثُمَّ بِالرَّامَادِ وَالْمَلْحِ وَيُدْلِكَ
 بهما حتى تَنْسَلَخَ الْجِلْدَةُ الْعُلْيَا الَّتِي غَشِيَتْ لِسَانَهُ ثُمَّ يُطْلَى بِعَسَلٍ وَدُهْنٍ وَرَدٍّ حَتَّى يَبْرَأَ .
 ودواء السَّلِّ أَنْ يُطْعَمَ الْمَاشُ الْمَقْشُورَ وَيُجَّحَ فِي حَلْقِهِ لَبَنٌ حَلِيبٌ وَيُقَطَّعَ مِنْ وَطْئِهِ
 عِرْقَانِ ظَاهِرَانِ فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ مِمَّا عَلَى الْمَفْصِلِ . ودواء الْقَمَلِ أَنْ تُطْلَى أَصُولُ رِيشِهِ
 بِالزَّبْدِ الْمَخْلُوطِ بِدُهْنِ الْبَنْسَجِ ، يُفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ مَرَارًا حَتَّى يَسْقُطَ قَمَلُهُ ، وَيُكْنَسُ مَكَانُهُ
 ٥ الذي يَكُونُ فِيهِ كَنْسًا نَظِيفًا .

قالوا : وَالطَّيْرُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ وَرَكِهِ بِاللَّيْلِ الْبُومَةُ وَالصَّدَى وَالْهَامَةُ وَالضُّبُوعُ
 وَالْوَطَاطُ وَالنَّفَّاثُ وَغَرَابُ اللَّيْلِ . قالوا : إِذَا خَرَجَ فَرْخُ الْهَامَةِ نَفَخَ أَبْوَاهُ فِي حَلْقِهِ
 الرِّيحَ لِتَنْتَفِعَ الْحَوْصَلَةُ مِنْ بَعْدِ آتِحَامِهَا وَتَنْتَفِقَ ، فَإِذَا أَسْمَعْتَ زَقَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ اللَّعَابِ
 ثُمَّ زَقَاهُ مَوْجِ أَصُولِ الْحَيْطَانِ لِيُدْبِغَ بِهِ الْحَوْصَلَةُ ، ثُمَّ زَقَاهُ بَعْدُ الْحَبِّ .
 ١٠

قال الْمُخَنِّيُّ بْنُ زُهَيْرٍ : لَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ فِي رِجْلِ وَأَمْرَأَةٍ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْحَمَامِ ،
 رَأَيْتُ حَمَامَةً لَا تَرِيدُ إِلَّا ذِكْرَهَا ، وَرَأَيْتُ حَمَامَةً لَا تَمْنَعُ شَيْئًا مِنَ الذَّكُورِ ، وَرَأَيْتُ
 حَمَامَةً لَا تَزِيْفُ إِلَّا بَعْدَ شِدَّةِ طَلَبٍ ، وَرَأَيْتُ حَمَامَةً تَزِيْفُ لِلذَّكَرِ سَاعَةً يَطْلُبُهَا ،
 وَرَأَيْتُ حَمَامَةً وَهِيَ مُمَكِّنٌ آخَرًا مَتَعْنُوهُ ، وَرَأَيْتُ حَمَامَةً تَهْمِيْطُ حَمَامَةً ، وَرَأَيْتُ حَمَامَةً
 تَهْمِيْطُ الذَّكَرَ ، وَرَأَيْتُ ذَكَرًا يَهْمِيْطُ الذَّكَرَ ، وَرَأَيْتُ الذَّكَرَ يَهْمِيْطُ مَالِقِيَّ وَلَا يَزَاوِجُ ،
 ١٥ وَرَأَيْتُ ذَكَرًا لَهُ اثْنَانِ يَحْضُنُ مَعَ هَذِهِ وَهَذِهِ وَيَزُقُّ [مَعَ] هَذِهِ وَهَذِهِ .

(١) الْمَاشُ : حَبٌّ مَدَوْرٌ أَصْفَرٌ مِنَ الْحُمْصِ أَسْمَرُ الْقَرْنِ يَمِيلُ إِلَى الْخَضِرَةِ يَزُكُّ كُلَّ طَبْعِينَا وَأَجُودُهُ الْمَضِيُّ
 ثُمَّ الْبَيْتِيُّ وَأَرْوَدُهُ الشَّامِيُّ . (٢) الزَّبْدُ بِاللَّيْلِ : دُهْنُ الْيَاسْمِينِ . وَفِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ «الزَّبْدُ» بِالْيَاءِ .
 (٣) الضُّبُوعُ : طَائِرٌ مِنْ طَيْرِ اللَّيْلِ ، قَبْلَ هُوَ الذَّكَرُ ، وَقَبْلَ هُوَ الذَّكَرُ الْيَوْمَ . (٤) كَذَا بِالْأَصْلَيْنِ ،
 وَلَهُ «الصَّارُوجُ» وَهُوَ الْكَلْبُ سَبْعِيٌّ وَيُطْلَى بِهِ حَيْطَانُ الْبَيْتِ . وَفِي «كِتَابِ الْحَيَوَانَ» لِيَا حِظُّ (ج ٣ ص ٤٧) :
 ٢٠ «فِي كَلْبَيْنِ مِنْ صُرُوحِ الْحَيْطَانِ وَهِيَ شَيْءٌ مِنَ الْمَلْحِ وَالْحَمْضِ وَبَيْنَ التُّرَابِ أَخْلَاصُ فِرْقَانِ الْقَرْنِ . . الخ » .
 (٥) فِي اللَّسَانِ : الْهَامَةُ تَزِيْفُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَمَامِ الذَّكَرَ ، أَيْ تَمْنِيْ مَلَقَهُ . (٦) الزِّيَادَةُ عَنْ
 «كِتَابِ الْحَيَوَانَ لِيَا حِظُّ» .

اليض

- قالوا : والبيض يكون من أربعة أشياء : منه ما يكون من السفاد ؛ ومنه ما يكون من التراب ؛ ومنه ما يكون من نسيم الريح يصل إلى أرحامها ؛ ومنه شيء يعتري ^(١) الجمل وما شاكله في الطبيعة ، فإن الأثنى منه ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من شق الذكري في بعض الزمان فتحثي من ذلك بيضا ، وكذلك النحلة تكون يجنب ^(٢) الفحل وتمت ريمه فتلقح بتلك الرميحة وتكتفي بذلك ، والدجاجة إذا هربت لم يكن لبيضا مح ، وإذا لم يكن للبيضة مح لم يخلق فيها فرخ ، لأنه لا يكون له طعام يذوقه ، والفرخ والفروج يخلقان من البيض وغذاؤهما الصفرة ، وإذا باضت الدجاجة بيضتين في اليوم كان ذلك من علامات موتها ؛ والطار إذا تفت ريشه احتبس بيضه وإذا سمع صوت الرعد الشديد . ١٠

الخفاش

- قالوا : عجائب الخفاش أنه لا يبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة وتعمل وتلد ويبيض وتضع وتطير بلا ريش ، وتعمل الأثنى ولدها تحت جناحها وربما قبضت عليه بغيبها خوفا عليه ، وربما ولدت وهي تطير ، ولها أذنان وأسنان وجناحان متصلان برجليها ، وأبصارها تصح على طول العمر ، وإنما يظهر في القمر منها المستأن ، وقال بعض الحكماء : الخفاش فأر يطير . ١٥

(١) الجمل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالفقار أحمر المقار والرجلين ويسمى دجاج البر . (راجع

حياة الحيوان للقمي ج ١ ص ٢٨٤) .

(٢) التحال : ذكر النخل خاصة .

(٣) الخفاش مشتق من الخفش وهو ضعف في البصر ، وضيق في العين ، وقيل : هو فساد في بطن ٢٠

العين وأحرار فتيق له العيون من غروب ولا ترح .

الْخُطَّافُ وَالزُّرُورُ

قالوا : الْخُطَّافُ ^(١) وَالزُّرُورُ ^(٢) يَتَبِعُ الرَّبِيعَ حَيْثُ كَانَ . قَالُوا : وَتُحْلَقُ إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَرَجُ . وَالزُّرُورُ لَا يَمْشِي وَمَتَى وَقَعَ بِالْأَرْضِ لَمْ يَسْقُطْ وَأُخِذَ ، وَإِنَّمَا يُعَشَّشُ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُرْتَفَعَةِ فَإِذَا أَرَادَ الطَّيْرَانِ رَى بِنَفْسِهِ فِي الْمَوَاءِ فَطَارَ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ أَقْفَضَ عَلَيْهِ فَشَرِبَ مِنْهُ آخِلًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْقُطَ بِالْأَرْضِ .

الْعُقَابُ وَالْحِدَاةُ

قالوا : الْعُقَابُ تَبِيضُ ثَلَاثَ بَيضَاتٍ فِي أَكْثَرِ حَالَاتِهَا فَإِذَا فَرَخَتْ غَدَّتِ أَشْيَيْنِ وَبَاعَدَتْ عَنْهَا وَاحِدًا فَيَتَعَهُدُ طَائِرُ قَالَ لَهُ : كَاسِرُ الْعِظَامِ ، وَيَنْدُوهُ حَتَّى يَكْبُرَ وَيَقْوَى . وَقَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ : الْعُقَابُ وَالْحِدَاةُ يَتَبَدَّلَانِ فَصِيرُ الْعُقَابِ حِدَاةٌ وَالْحِدَاةُ عُقَابًا ، قَالَ : وَكَذَلِكَ الْأَرَانِبُ ^(٥) تَبْدَلُ فَيَصِيرُ الذِّكْرُ مِنْهَا أُنْثَى وَتَصِيرُ الْأُنْثَى ذَكَرًا .
قَالَ صَاحِبُ الْمِثْقَلِ : الْعُقَابُ إِذَا أَشْتَكَّتْ كَيْدَهَا مِنْ رَفْعِهَا التَّحْلِبَ وَالْأَرْنَبَ فِي الْمَوَاءِ وَحَطَّهَا لِنَلِكِ وَأَشْبَاهِهِ تَعَابَلَتْ بِأَكْلِ الْأَكْبَادِ حَتَّى تَهْرَأَ .

(١) الخُطَّاف : المصغور الأسود ، وهو الذي يحده العامة مصغور الجنة .

(٢) الزُّرُور يسم الزاى : طائر من نوع المصغور يسمى بذلك لزروره أى تصويبه .

(٣) أى لم ينض .

(٤) كاسر العظام : طائر يسمى « المكثفة » لأن العقاب لما كانت صفة الخلق تبض ثلاث بيضات فتخرج فراخها وتلق واحدًا منها فيأخذه هذا الطائر الذى يتكلف به . (راجع حياة الحيوان القديمى ج ٢ ص ٢٨٧) .

(٥) فى الأصلين « يتبدلان » .

الغراب

الغِرَابُ لَا تَقْرَبُ النَّخْلَ الْمَوَاقِيرُ ^(١) وَإِنَّمَا تَسْقُطُ عَلَى النَّخْلِ الْمَصْرُومَةِ فَتَلْقُطُ مَا يَسْقُطُ ^(٢)
 مِنَ التَّمْرِ فِي الْقَلْبَةِ وَأَصُولِ الْكَرْبِ. ^(٣) وَعَلَى إناث الغِرَابِ الْحَضْنُ ^(٤) وَعَلَى الذَّكَورِ أَنْ تَأْتِيَ
 الْإناثَ بِالطَّعْمِ * وَالْإِوْزَةُ دُونَ الذَّكَرِ * وَالغِرَابُ أَكْثَمُ شَيْءٍ لِلسَّفَادِ. ^(٥)

القَطَا

قَالُوا : وَالْقَطَا لَا تَضَعُ بَيْضَهَا أَبَدًا إِلَّا أَفْرَادًا، قَالَ أَبُو جَرَّةَ :
 وَهِيَ تَنْسَبُ ^(٦) وَهَئَا كُلُّ صَادِقَةٍ * بَاتَتْ تُبَاشِرُ عُرْمًا غَيْرَ أَزْوَاجٍ ^(٧)
 الْحَيَوَانُ الَّذِي لَا يَصْلُحُ شَأْنُهُ إِلَّا بِرئيسٍ أَوْ رَقِيبٍ : النَّاسُ، وَالغُرَانِيقُ ^(٨)، وَالكَرَاكِي
 وَالنُّعْلُ، فَأَمَّا الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْخَمِيرُ فَتَتَخَذُ رِيسًا مِنْ غَيْرِ رَقِيبٍ .

باب مَصَايد الطَّيْرِ

قَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِلطَّيْرِ وَالْبَجَاجِ حَتَّى يَتَحَيَّرَ وَيُنْشَى
 عَلَيْهِمْ حَتَّى يَصْبِيَهُنَّ عَمْدًا إِلَى الْحِلْيَةِ ^(٩) فِدَاهَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ جَعَلَ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ شَيْئًا
 مِنْ عَسَلٍ ثُمَّ أَهْمَّ فِيهِ بَرًّا يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ أَلْقَى ذَلِكَ الْبَرَّ لِلطَّيْرِ فَإِنَّمَا إِذَا أَلْقَتْهُ تَحَيَّرَتْ

(١) النخل المواقير: الكثيرة الحمل . (٢) المصرومة من صرم النخل إذا جره وقطعه . (٣) القلبة
 جمع قلب وهو شعبة النخل وله أو أجود خوصه . وفي التهذيب: القلب بالضم: السنف (جريد النخل أو ورقه)
 الذي يطلع من القلب (راجع شرح القاموس مادة «قلب»). (٤) الكرب بالفتحريك: أصول السنف
 الغلات المراض . (٥) وردت هذه الجملة في الأصلين هكذا ولا علاقة لها بالسباق . ولعلها زائدة
 من النسخ . (٦) كذا في الأصلين ، وفي اللسان في مادة «عرم» وفي كتاب الحيوان لم يحط
 (ج ٥ ص ١٦٦) : ما زلت . (٧) الهرم: بيض القطا . (٨) الغرانيق: الذكور من طيور
 الماء، سود وقيل بيض وهي في قدر الباط . (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١٥) . (٩) الحليته:
 صمغ الأنجذان يفتح الحزمة ويضم الجهم وهو نبات أسود وأبيض وأصله أغظ من الإصمغ ينزع كثيرا وله
 قرون كقرون الربوا فيها بذر كاللوس أسود حاراً بيض لطيف .

وَعُثِيَ عَلَيْهَا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الطَّيْرَانِ إِلَّا أَنْ تُسْقَى لَبَنًا خَالِطَهُ سَمٌّ. قَالَ : وَإِنْ عُمِدَ إِلَى طَاحِينَ بَرٍّ غَيْرِ مَتَخُولٍ فَصَحْنِ بَحْرٍ ثُمَّ طَرِحِ الطَّيْرَ وَالْمَجْلَ فَاكَلَنَ مِنْهُ تَحِيْرًا. وَإِنْ جُعِلَ نَحْرٌ فِي إِيَاءٍ وَجُعِلَ فِيهِ بَنَجٌ فَشَرِبَنَ مِنْهُ عُثِيَ عَلَيْهِنَ. قَالَ : وَمِمَّا يُصَادُ بِهِ الْكِرَاكِي وَغَيْرُهَا مِنَ الطَّيْرِ أَنْ يُوضَعَ لَهَا فِي مَوَاقِعِهنَ إِيَاءٌ فِيهِ نَحْرٌ وَقَدْ جُعِلَ فِيهِ تَحْرِيقٌ أَسْوَدُ وَأُتِيقَ فِيهِ شَعِيرٌ فَإِذَا أَكَلَتْ مِنْهُ أَخَذَتْهُنَّ الصَّائِدُ كَيْفَ شَاءَ .

- ١٠ قال غيره : وَمِمَّا تُصَادُ بِهِ الْعَصَافِيرُ بِأَسْهَلِ حِيلَةٍ أَنْ تُؤْخَذَ شَبَكَةٌ فِي صُورَةِ الْحَبْرَةِ الْيَهُودِيَّةِ الْمَتَكُوسَةِ وَيُجْعَلُ فِي جَوْفِهَا عَصْفُورٌ فَتَنْقَضُ عَلَيْهِ الْعَصَافِيرُ وَيَدْخُلْنَ عَلَيْهِ وَمَا دَخَلَ مِنْهَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ فَيَصِيدُ الرَّجُلُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مَائَتِينَ وَهُوَ وَادِعٌ. قَالَ : وَيُصَادُ طَيْرُ الْمَاءِ بِالْقَرَعَةِ وَذَلِكَ أَنْ تُؤْخَذَ قَرَعَةٌ بِأَسَةٍ صَحِيحَةٍ فَيُرْمَى بِهَا فِي الْمَاءِ فَإِذَا تَهَوَّكَ فَإِذَا أَبْصَرَهَا الطَّيْرُ تَهَوَّكَ فَرَجَّ فَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَسَّ حَتَّى لَرِمَا يَسْقُطُ عَلَيْهَا ثُمَّ تُؤْخَذُ قَرَعَةٌ يَقْطَعُ رَأْسُهَا وَيُحَرَّقُ فِيهَا مَوْضِعُ عَيْنَيْنِ ثُمَّ يُدْخَلُ الصَّائِدُ رَأْسَهُ فِيهَا وَيَدْخُلُ الْمَاءَ فَيَمْسِسُ إِلَيْهَا مَشِيًا رُويْدًا فَكَلَّمَهَا دَا مِنْ طَائِرٍ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْمَاءِ قَبْضَ عَلَى رِجْلَيْهِ ثُمَّ غَمَسَهُ فِي الْمَاءِ ثُمَّ دَقَّ جَنَاحَهُ وَخَلَّاهُ فَبَقِيَ طَائِفًا فَوْقَ الْمَاءِ يَسْبِغُ بِرِجْلَيْهِ وَلَا يَطْبِيقُ الطَّيْرَانِ، وَسَائِرُ الطَّيْرِ لَا يُمْكِنُ أَنْفَاسُهُ فَإِذَا فَرِغَ مِنْ حَصِيدٍ مَا يُرِيدُ رَمَى بِالْقَرَعَةِ ثُمَّ يَلْقِطُهَا وَيَجْلِيهَا .

١٥

الحشرات

حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْحٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ : الْقَارَةُ يَهُودِيَّةٌ وَلَوْ سَقَيْتَهَا الْإِبِلَ مَا شَرِبَتْهَا، وَالْقَارُ أَصْنَافٌ : مِنْهُنَّ الزَّيَابُ وَهُوَ أَصَمٌّ، قَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِزَّازٍ :

- ٢٠ (١) كَذَا فِي الْمَعْدِنِ (ج ٣ ص ٣٥٨) فِي الْأَصْلَيْنِ : «تُؤْخَذُ سَلَّةٌ فِي صَدْرِهَا الْحَبْرَةُ» وَفِي كِتَابِ الْحَيَوَانَاتِ (ج ٥ ص ٧٦) «يَسْلُكُونَ لَهَا حَصِيدًا وَيَجْلِسُونَ لَهَا بِذِيَّةٍ فِي صُورَةِ الْحَبْرَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ الْمَتَكُوسَةُ الْأُتُورِيَّةُ» . (٢) جَمْعُ زَيْبَاةٍ وَهِيَ كَمَا قَالَ الدَّمِيرِيُّ فِي حَيَاةِ الْحَيَوَانَاتِ : قَارَةٌ بَرِّيَّةٌ تَسْرُقُ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمَا تَسْتَحْيِي عَنْهُ .

وَهُمْ زَبَابٌ سَائِرٌ * لَا تَسْمَعُ الْإِنْسَانُ رَعْدًا^(١)

وَالْخُلْدُ هُوَ أَعْمَى؛ وَتَقُولُ الْعَرَبُ: هُوَ «أَسْرَقٌ مِنْ زَبَابِيَّةٍ»، وَفَارَةُ الْبَيْشِ، وَالْبَيْشُ سَمٌّ قَاتِلٌ، وَيُقَالُ: هُوَ قُرُونُ السَّنْبِلِ، وَلَهُ فَارَةٌ تَنْتَظِرُهُ لِأَنَّهُ أَكَلَ غَيْرَهُ، وَمِنْ غَيْرِ هَذَا فَارَةُ الْمَسْكِ وَفَارَةُ الْإِبِلِ [فَاحَتْ] أَرَوَّاحُهَا إِذَا عَرِقَتْ. قَالُوا: وَمِنْ الْحَيَاتِ مَا يَقْتُلُ وَلَا يَخْطِئُ: الثَّعْبَانُ وَالْأَفْعَى وَالْمِندِيَّةُ؛ فَأَمَّا سَوَى هَذِهِ فَإِنَّمَا يَقْتُلُ بِمَا يَمْكُهُ مِنَ الْفَزَعِ، لِأَنَّهُ إِذَا فَزِعَ تَفْتَحَتْ مَنَافِسُهُ فَوَضَعَ السَّمَّ إِلَى الْمَوَاضِعِ الصَّحِيمِ وَعُمِيقِ الْبَدَنِ، فَإِنْ نَهَشَتْ النَّاتِمَ وَالْمُعَمَّى عَلَيْهِ وَالطِّفْلَ الصَّغِيرَ وَالْمَجْنُونِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ لَمْ تَهْتَلِ.

وَأَذْنَابُ الْأَفْعَى تُطْمَعُ قَتْنَتْ وَنَابِهَا يُقَطَعُ بِالْمَكَازِ فَيَنْبُتُ حَتَّى يَمُودَ فِي ثَلَاثَ لَيَالٍ؛ وَالْحَيَّةُ إِذَا نُقِيتْ فِيهَا حُمَاضُ الْأُتْرُجِ وَأُطْبِقَ لَحْيَا الْأَعْلَى عَلَى الْأَسْفَلِ لَمْ تَهْتَلْ بِمَعْضَتِهَا أَيَّامًا صَالِحَةً. وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَهْضِقُ فِي فَمِ الْحَيَّةِ فَيَقْتُلُهَا بِرَفْعِهِ، وَالْحَيَاتُ تَكْرَهُ رِيحَ السَّادِبِ وَالشَّيْخِ، وَتُجَبِّبُ بِالْفُفَّاحِ وَالْبَطِيخِ وَالْحَرْفِ وَالتَّخْرَدِلِ الْمُؤَخِّفِ وَاللَّبَنِ وَالْخَمْرِ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ حَيَوَانٌ أَصْبَرُ عَلَى جُوعٍ مِنْ حَيَّةٍ؛ ثُمَّ الضَّبُّ بِمَدِّهَا، فَإِذَا هَرِمَتْ صَفُرَتْ فِي بَنِيهَا وَأَقْنَعَهَا النَّسِيمَ وَلَمْ تَسْتَهْطِطْ بِالطَّعَامِ، وَلَقَدْ قَالَ الرَّابِيزُ:

* حَارِيَّةٌ قَدْ صَفُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ *

- ١٥ (١) أَيْ لَا تَسْمَعُ أَذَانُهُمْ صَوْتَ الرَّعْدِ. (٢) اخْطَفَ فِي قَارَةِ الْإِبِلِ وَفَارَةُ الْمَسْكِ؛ هَلْ يَمِيزَانِ أَوْ لَا يَمِيزَانِ؟ فَذَكَرَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ قَارَةَ الْمَسْكِ فِي «ف أ ر» وَقَالَ: أَوِ الصَّوَابُ إِبْرَادُهَا فِي «ف و ر» قُرُونًا وَارْتِمَاتُهَا. وَفَارَةُ الْإِبِلِ فِي «ف و ر» وَهَلْهُ الصَّائِلَانِ أَنَّ قَارَةَ الْإِبِلِ مِنَ الْقُرُونِ قَطْعًا؛ وَأَمَّا الرِّقْصُ قَارَةُ الْإِبِلِ فِي «ف أ ر» مُسْتَدْرَكًا بِهِ عَلَى صَاحِبِ الْقَامُوسِ. (٣) زِيَادَةُ فِي النُّسْخَةِ الْأَمَانِيَّةِ، وَهِيَ سَائِقَةٌ فِي الْأَمْلِ الْغَيْوُغَرَاتِي، وَلَهَا «فُوح» فِي الْقَامُوسِ وَاللَّسَانِ مَادَّةُ «فُور»؛ «فَارَةُ الْإِبِلِ فُوحٌ جُلُودُهَا إِذَا تَنَكَّيَتْ بَعْدَ الْوَرْدِ» أَيْ فَاحَتْ مِنْهَا رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ. (٤) الْمَكَازُ: صَاذَاتُ رَجٍّ. (٥) الْفُفَّاحُ: ثَبَاتٌ يَقَطِّعُ أَصْفَرُ شَيْءٍ بِالْيَدَيْنِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ. (٦) الْحَرْفُ بِالْقَسَمِ: حَبِ الرِّشَادِ. (٧) الْمُؤَخِّفُ: الْمَجْرُونُ. (٨) فِي الْأَمْلِ جَارِيَةٌ، وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْمُخَصَّصِ (ج ٨ ص ١٠٩) وَالْحَارِيَّةُ اسْمُ الْأَفْعَى، لِأَنَّهُ جَسْمُهَا قَدْ تَحَرَّى أَيْ قَصَصَ مِنْ طَوْلِ الشَّمْرِ.

وقال صاحب الفلاحة : إن الحية إن ضربتها بقصبة مرة أو هنتها القصبية في تلك الضربة وحيرتها ، فإن ألحمت عليها بالضرب أنسابت ولم تكثرث . قال : ومن جيد ما يُعالج به الملسوع أن يُسَّق بطن الضفدع ثم يُرْفَد به موضع لسعة العقرب . والضفدع لا يصيح حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء ، فإذا صار في فيه بعض الماء صالح ، ولذلك لا تسمع للضفادع قريبا إذا خرجن من الماء ، قال الرازي :

يُدْخَلُ فِي الْأَشْدَاقِ مَا مِصْفَةٌ * حَتَّى يَنْقُ وَالتَّقِيْقُ يُنَلِّغُهُ

يريد أن التقيق يدل عليه حية البحر ، كما قال الآخر :

ضَفَادِعُ فِي ظُلُمَاءِ لَيْلٍ مَجَاوِثُ * فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وقال في السبخ : إنه إن أنخرق فيه نرق بمقدار مضخ الثور حتى تدخله الريح استحل

ذلك السبخ ضفادع . والضفادع لا عظام لها ، ويضرب بها المثل في الرِّجْم ؛ فيقال :
« أَرِجْ مِنْ ضِفْدَعٍ » و« اجْطَعْ عَيْتًا مِنْ ضِفْدَعٍ » .

قالوا : وكل شيء يأكل فهو يحرك فكذلك الأسفل إلا التماسيح فإنه يحرك فكذلك الأمل . وبمصر سمك يقال له الرَّعَادُ ، مَنْ صاد منه سمكة لم تزل يله ترعد وتنفخ ما دام في شبكته أو شصه . والجعل^(٢) إذا دفنته في الورد سكنت حركته حتى يتوهم

مَنْ رَأَاهُ أَنَّهُ قَدَامَاتُ ، فإذا أعدته إلى الورد تحرك ورجع في حسه . والبعير إذا ابتلع

(١) في الأصلين "ينطقه" والتصويب عن حياة الحيوان للسيدي (ج ٢ ص ١٠٢) قال : وليس المراد هنا العلك بل المراد حتى يبلغ نصف فك الأمل . (٢) الرِّجْم : خفة لم العيز والفتن .

(٣) اللص بالكسر والفتح : حديدية صفاء يصاد بها السك [وهي المعروفة بالصائرة] . (٤) الجعل كهر ، والناس يسمونه « أبا جبران » وهو دويصة تفض البهائم في فروجها قنرب ، وهو أكبر من الخنفساء ، شديد السواد ، في طله لون حمر ، يوجد كثيرا في مراح البقر والجواميس ومواضع الورد ويترك غالبا من أعنان البقر ، ومن شأنه جمع التماسه وأقارها . ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد إلى الورد عاش (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٢٤٤) .

في علقه خنفساء قتله إن وصلت الى جوفه حية . وأطول شيء ^(١) دماء الخنفساء ^(٢) فإنها يسرج على ظهرها قصير ويمشي .

والضبُّ يذبح فيمكث ليلة ثم يقرب من النار فيتحرك . والأفعى إذا دُبِحت تبقى أياما تحرك وإن وطئها واطى نهشته ، ويقطع ثلثها الأسفل قمعش وينبت ذلك المقطوع . والكلب والخنزير يُحرَّحان الجرح القاتل فيعيشان .

قالوا : وللضبِّ ذكران وللضبة حران ، خبرني بذلك سهل عن الأصمعي أو غيره . قال : ويقال لذكره نرْك وأنشد :

سِبْجَلٌ لَهُ نَرْكَانٌ كَانَا فَضِيلَةً * عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْبِلَادِ وَنَاطِلٌ ^(٥)

وكذلك الحرفون ^(٦) . والذئبان لا تقرب قسدا فيها ^(٧) كدأة ^(٨) . وسام أبرص لا يدخل بيتا فيه زعفران . ومن عضبه الكلب الكلب أحتاج الى أن يستد وجهه من الباب لئلا يسقط عليه . ومُرطومُ الباب يده ، ومنه يُنتى ، وفيه يُجرى الصوت كما يُجرى الزامر الصوت في القصبة بالنفخ .

(١) وبارة الحيوان لملاحظ (ج ٣ ص ١٦٠) : « وقال في الفضل الصنبري : يقولون للضب أطول

شيء دماء ، والخنفساء أطول من دماء ؛ وذلك أنه يبرز في ظهرها شوكة ثاقبة وفيها ذبالة تستوقد وتصبح لأهل الدار رمي تدب بها وتجرول » . (٢) القماء بحدود : بقية النفس . (٣) يسرج : يوقد .

(٤) السبجل كقنطرة الضب . (٥) في اللسان مادة نرك « في الأقام » . وذكر هذا البيت ضمن أبيات فالها حمران ذو القصة يصف بها ضبابا أهداها نخله بن عبد الله القسري .

(٦) الحرفون بكسر الحاء ، وبالفتح المسجمة : دويبة شبيهة بالضب ، وقيل هو ذكر الضب ، لأن له ذكرين مثله وهو من ذوات السوم له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع الى الأنامل (راجع حياة الحيوان) .

(٧) جمع القباب . (٨) الكدأة : نبات يقال له شم الأرض ، والعرب تسميه : « جدرى الأرض » وقيل هو أصل مستدير كالقنقاس لا ساق له ولا عرق ، لوته الى الحفرة ، يوجد في الريح تحت الأرض وهو عديم العلم ، وأما واه كثيرة ، فكل نيه ومطبوخه (راجع مفردات ابن الطيار ج ٤ ص ٧٨) .

- قالوا : ليس شيء يذتر إلا الإنسان والغلة والقارة . ^(١) والذرة تذتر في الصيف للشتاء فإذا خافت العفن على الحبوب أخرجتها الى ظاهري الأرض فشررتها ، وأكثر ما تفعل ذلك ليلا في القمر . فإن خافت أن ينبت الحب هرت وسط الحبة ثلاثين . ^(٢) والسحفاة اذا أكلت أقصى أكلت سقرا جبليا . ^(٣) وأبن عريس إذا قاتل الحبة أكل السذاب . ^(٤) والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح . ^(٥) والأبل إذا نهشته الحبة أكل السراطين . ^(٦) قال ابن ماسويه : فلذلك يظن أن السراطين صالحة لمن نيش من الناس . ^(٧) والوزغ يراق الحيات ويباربها ، ويكرع في اللبن والمرق ثم يمتج في الإثناه . وأهل السجين يعملون من الوزغ سماء أخذ من [سم] البيض ومن ربي الأفاعي ، وذلك أنهم يدخلون الوزغة قارورة ثم يصبون فيها من الزيت ما يضرها ويضعونها في الشمس أربعين يوما حتى تنهز في الزيت ، ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) فإن مسح على اللقمة منه مسحة في الشمس أربعين يوما حتى تنهز في الزيت ، فإن مسح على اللقمة منه مسحة وأكله أكل مات من يومه .

- (١) الذرة واحدة القروى صفرا تمل . (٢) شررتها : شررتها في الشمس ليجف . (٣) السراطين طيب الرائحة حريف ، زهره أبيض الى النيرة ، ويقال له السمري بالصاد ، وهي اللفة الجليدة ، والعامة تبدل السين زايًا . (٤) في العقد للفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « داء » . (٥) الأبل يشديد اليا ، المكسورة : ذكر الأوعال وهي الثيوس الجليدة . (٦) جمع سرطان وهو حيوان مائي ويمشي في البر أيضا ، وهو جلد المشي مرج الطود ذو فكين وغالب وأظفار حداد (راجع حياة الحيوان) . (٧) الوزغ جمع وزغة بالتحريك : حشرة من جنس «سام أبرص» . (٨) في الأصل الفتور غراف « وينارها » وما أشتناه عن النسفة الألمانية والحيوان الجاحظ (ج ٤ ص ٩٧) . (٩) كذا في الأصل ، وفي العقد للفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « وبيض الناس » وفي الحيوان الجاحظ ج ٤ ص ٩٧ « وأهل السحر » . (١٠) الزيادة عن الحيوان (ج ٤ ص ٩٧) والبيض بالكسر نبات كالزنجبيل ولبا وياسا وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان . (١١) كذا في الحيوان الجاحظ ج ٤ ص ٩٧ وفي الأصلين : « لية » . (١٢) من تنهز الغم إذا طبع حتى يغمخ .

والجراد إذا طلع فعمد إلى الترمس والحنظل فطبخا بماء ثم نضج ذلك الماء على زرع تنجبه الجراد . وإذا زرع تحرك في نواحي زرع نجا من الدب . وإذا أخذ المرء أسنج فحجن بعجين ثم طرّح للفار فاكلته مؤذن عنه، وكذلك برأيه الحديد . وإذا أخذ الآقون والثونيز والبارزد وقرن الأبل وبابونج وظلف من أظلاف المعز فخلط ذلك جميعا ثم دق ونجّن بخل عتيق ثم قطع قطعا فدخلن بقطعة منه هرت لذلك الحيات والهوام والنمل والقارب ، وإن أحرق منه شيء ودخن به هرب ما وجد منها تلك الريح . والنمل تهرب من دخان أصول الحنظل . وإن عمد إلى كبريت وسداب وتربق فدنق ذلك جميعا وطرح في قرية النمل قتلها ومنعها ظهورهن من ذلك الموضع ذهبن . والبعض تهرب من دخان القلقديس إذا دخن به ومعه حب السوس، وتهرب من دخان الكبريت والملك .

وقالت الأطباء : لحم ابن عرس نافع من الصرع . ولحم القنفذ نافع من الجذام والسسل والتشنج ووجع الكلى ، يحقّف ويُسرب ويُطعمه العليل مطبوخا ومشويا ويضمده به المتشنج . والعقرب إذا شقّ بطنها ثم شدّ على موضع السعة نفعت . وقد

(١) كذا في النسخة الألمانية، والهدى : أصفر الجراد والنمل . وفي الأصل الفترغرافي (الروبا) .

(٢) كذا بالأصل، وفردات ابن اليطار (ج ٤ ص ١٥٠) وقال هو المرتك . وفي القاموس :

المراد سنج معروف وقد أمّقط الزاء مرب مردار منك ومعناه الجراد الخبيث . (٣) الثوبير :

الحية السوداء . (٤) البارزد في القاموس : « يرزد » بكسر الباء الفارسية : صمغ نبات يشبه

التنا في شكله، وينبت في أرض سورية، وهو من النباتات النافعة لأعراض عدة . وقد ذكر خواصه ومعناه ابن اليطار في مفرداته (راجع ج ٤ ص ٢٧) .

(٥) في الأصل الفترغرافي : قتيق، وفي النسخة الألمانية قتيق، والصوب من العقد القريد (ج ٣ ص ٣٥٧) . (٦) السداب : اسم نبات .

(٧) كذا في الأصل، والمراد من العبارة ظاهر . (٨) القلقديس كلمة يونانية مرّة سناها في الكيمياء الحديثة : كبريتات الحديد ؛ وقيل سناها : الصبغة السوداء لصانعي الأخذية .

(٩) السوس : شجر في عروقه حلاوة وفي فروعه مرارة . (١٠) كذا في النسخة الألمانية .

وفي الأصل الفترغرافي «التشنج» .

- تجمل في جوف نَخَّار مشدود الرأس مُطَيَّن الجوانب ثم يوضع القَعَارُ في شُور، فإذا صارت
العقربُ رَمَادًا سُمِّيَ مِنْ ذَلِكَ الرَّمَادِ مَنْ بِهِ الْحَصَاةُ مَقْدَارَ نَصْفِ دَانِقٍ وَكَثُرَ قِيَمَتُ
الحصاةِ من غير أن يضرَّ بشيءٍ من سائر الأعضاء والأغلاط، ^(١١) وقد تَلَسَّعُ العقربُ
مَنْ بِهِ حُمَّى عَتِيقَةٌ فَتَقْلَعُ، وَتَطْسَعُ المفلوجَ فيذهبُ عنه الفالجُ، وتُلْقَى في النُّعْنَ وتُتْرَكُ
فيه حتى يأخذَ اللُّهْنُ منها وَيَتَخَذَبُ قُوَاهَا فيكون ذلك اللُّهْنُ مُفَرَّقًا للأورامِ النليظة .
- ومن طبع العقرب أكل إن ألقيتها في ماء تخمر بقيت في وسط الماء لا تطفو ولا ترسب،
وهي من الحيوان الذي لا يسبح . وعين الجراد عَيْنُ الْأَفْهَى لا تدوران، وإنما تَسْبُجُ
من العناكب الأثني، والذكر هو الخنثى . وولد العنكبوت يسبح ساعة يولد، والقملُ
يُخْلَقُ في الرموس على لون الشعر إن كان أسود أو أبيض أو مخضوبا بالحناء . الخلكاء ^(١٢)
دَوِيَّةٌ تنفوس في الرمل كما ينفوس طائر الماء في الماء . وبنات النقا كذلك، وهي التي
يُقَالُ لها : شَحْمَةُ الْأَرْضِ . وأُمُّ حَبِينٍ لَا تُقِيمُ بِمَكَانٍ تَكُونُ فِيهِ السَّرْفَةُ، والسَّرْفَةُ دَوِيَّةٌ
يُضْرَبُ بِهَا الْمُثُلُ فِي الصَّنِعةِ فيقال : «أَصْنَعُ مِنْ سَرْفَةٍ» .
- ومن أحسن ما قيل في الأفعى قول امرأة ^(١٣) من الأعراب :

(١) أخلط الإنسان عند الأطباء : الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

(٢) الخلكاء : دويّة تسكن الرمل كأنها سمكة ، لها فيها بياض وحمرة ؛ والعرب تسميها :
« بنات النقا » .

(٣) أم حنين : دويّة على خلفه الحرياء عريضة الصدر عظمية البطن ؛ وقيل : هي دويّة على قدر
الخضاء يلعب بها الصبيان .

(٤) السرة بالضم : دويّة سوداء الرأس وسائرها أحمر تحب لنفسها بيتا مرميا من دقاق البيدان على
مثل الناوروس بعضها إلى بعض يطايا ويخدعه فتدث في (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٤) .

(٥) في اللسان مادة «فرطح» أن القاتل لهذه الأبيات أحد شعراء العرب ، ونص على ذلك بقوله :
« وأنتد لرجل من بطارث بن كعب يصف حية ذكرا وهو ابن أحراريل ليس الباهل » :
جاءت طائفة منهن رؤسهن * كالقرص فرطح من طمحين شعر»

خَلَقَتْ لَهَا زَيْمَهُ عَزِينَ^(١١) وَرَأْسَهُ * كَالْقُرْصِ فُرُطَحَ^(١٢) مِنْ دَقِيقِ شَمِيرٍ
وَكَانَ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَشْوِيقٍ^(١٣) * مَلَقَاكَ كَفَّةً مَنَجِلٍ^(١٤) مَاطُورٍ^(١٥)
وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ^(١٦) كَانَهَا * سَمَرَاءُ طَاحَتْ مِنْ قَبِيضِ بَرِيرٍ^(١٧)^(١٨)

قيل لاسمرجويه : تَجِدُ مَلْسُوعَ الْعَرَبِ يُعَالِجُ بِالْأَسْفِيُوشِ فَيَنْفَعُهُ ، وَآخِرُ يُعَالِجُ
بِالْبَنْدُقِ فَيَنْفَعُهُ ، وَآخِرُ يَشْرَبُ الْأَقْطَاسَ فَيَنْفَعُهُ ، وَآخِرُ يَأْكُلُ التَّفَاحَ الْحَامِضَ فَيَنْفَعُهُ ،
وَآخِرُ يَطْلِيهِ بِالْقَبْرِ^(١٩) ، وَآخِرُ يَصْبِغُ عَلَيْهِ النَّوْمَ الْحَارَّ الْمَطْبُوعَ ، وَآخِرُ يَدْخُلُ
بِيَدِهِ فِي مَرْجَلِ حَارٍّ لَا مَاءَ فِيهِ فَيَحْمِدُهُ ، وَآخِرُ يَمَالِجُهُ بِالنُّخْلَةِ الْحَازَةِ فَيَحْمِدُهَا ، وَآخِرُ يَحْمِيحُ
ذَلِكَ الْمَوْضِعَ فَيَحْمِدُهُ ، ثُمَّ رَأَيْنَاهُ يَتَعَالَجُ بِسَدِّ ذَلِكَ الشَّيْءِ لِلْسَّعَةِ أُخْرَى فَلَا يَحْمِدُهُ !

- (١) الهازم : أسرار الحكيم واحدتها لزمة بالكسر ؛ وقيل إنها عظام تاتان في العين تحت الأذن .
(٢) عزين : متفرقة . (٣) وردت هذه الكلمة في اللسان في مادة « فرطح » بالراء وفي مادة
« قطع » باللام ، واستشهد بالبيت في المادتين ، وجاء فيه : « وكل شيء عرضة فقد قطعته وفرطته »
ورودت في الأصل الفتوغرافي « قطع » وفي النسخة الألمانية « أقطع » وفي كتاب الحيوان لملاحظ (ج) :
ص ٦٠ « أقطع » . (٤) التتوة : الأرض الواسعة الجيدة الأطراف . (٥) المنجل بالكسر :
آلة حديد موجية يقطع بها الزرع وضربه ، وفي الأصل الفتوغرافي « منخل » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية
والحيوان لملاحظ . (٦) ماطور من الأطر وهو صلف الشيء . قبض على أحد طرفيه فتوجه .
(٧) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي اللسان « وداع » ، وفي النسخة الألمانية وكتاب الحيوان
لملاحظ : « وقواع » . (٨) القبض قبيل من القبض وهو التحريك ، ورواية اللسان في مادة
« فرطح » قبض بالقاف والصاد . (٩) البرير : ثمر الأراك طامة . وفي اللسان بعد هذا البيت :
وكان شقيقه إذا استحكك * شدنا مجوز مضمت لظهر

- (١٠) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي « بالاسفيوس » بالنون وقلعه محووف ، لأن
هذا الاسم ورد في مفردات ابن اليطار هكذا « الاسفيوس » بالسين المهملة في آخره ، وورد في تذكرة دارود
« الاسفيوس » بالسين المعجمة في آخره ، وهي كلمة فارسية معناها « يزدق طوعة » . (١١) الأقطاس :
الحوامض وفي النسخة الألمانية « الأقطاس » بالقاف . (١٢) القل بالكسر : شب الصغرو له منافع
كناقي الملح إلا أنه أهدمته (راجع مفردات ابن اليطار ج ٤ ص ٣١) .

فقال : لما اختلفت السموم في أنفسها بالجنس والقدر والزمان ، وباختلاف ما لاقاه
اختلف الذى يوافقه على حسب اختلافه . قالوا : وأشد ما تكون لسممها إذا خرج
الإنسان من الحمام ، لتفتح المنافس وسعة المجارى ومثونة البدن .

وحديث أبو حاتم عن الأصمى قال : قال أبو بكر البصرى ^(١) : ما من شيء يضرب
إلا وفيه منفعة . وقيل لبعض الأطباء : إن قاتلا قال : أنا مثل القرب أضرت
ولا أنفع ، فقال : ما أقل علمه بها ، ^(٢) إنما لتنع إذا شق بطنها ثم شئت على موضع
"اللسعة" وقد تجعل في جوف نحر مشدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع القنار
"في ثور" فإذا صارت القرب مداما سقي من ذلك الرماد مقدار نصف داق أو أكثر
"قليل من به الحصاة فتقا من غير أن يضرب شيء من سائر الأعضاء والأحلاط .
"وقد تأسع القرب من به الحصى المتبقية فتلق عنه . ولست القرب رجلا مفلوجا"
"فنجب عنه الفالج . وقد تلقى القرب في الدهن وتترك فيه حتى يأخذ الدهن منها"
"ويجذب قواها فيكون ذلك الدهن مفزقا للأورام الغليظة" .

قال أبو صبيدة : ولست أعرايا عقرب بالبصرة ، وخيف عليه فاشتد جرحه ،
فقال بعض الناس له : ليس شيء خيرا من أن تفسل له خصية زنجي مرق ففعلوا ،
وكان ذاك في ليلة ومدة ^(٣) ، فلما سقوه قطب ففعل له : طعم ماذا تجد ؟ قال : أجده
طعم قرية جديدة .

قال المأمون : قال لي بجيشوع وسامويه وابن ماسويه : إن الذباب إذا دلك على
موضع لسعة الزبور هدأ وسكن الألم ، فلعنى زبور فحككت على موضعه أكثر

(١) كذا بالأصلين ، وفي النقد التريد (ج ٣ ص ٣٥٨) : « المجرى » ولم نجد هاتين التبيين
في كتب الأنساب التي تحت أيدينا . (٢) السطور المحصورة بين هذه "مكررة لأنها تحدث
في ص ٩٥ من هذا الجزء بكتابتها وأقارنها مع اختلاف بسيط وقد أعيناهما هنا لورودها في الأصلين ،
بأكثرها بهذه الإشارة تنبها القارئ . (٣) ليلة ومدة : شديدة الحر .

من عشرين ذبابة فما سكن الألم إلا في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبق في يدى منهم إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبور حقيقاً قاضياً، ولولا ذلك العلاج قتلك . قالوا : وما ينفع من اللسعة أن يصيروا على موضعها قطعة رصاص رقيقة وتشد عليه أياها . وقد يموت بهذا قوم فيجعلونه خاتماً فيدفعونه إلى المسوع إذا نهش في أصبعه .

قال محمد بن الجهم : لا تنهونوا بكثير مما ترؤن من علاج العجائز، فإن كثيراً منه وقع اليهن من قدماء الأطباء، كالذبّان يلقي في الإيمد فيسحقُ معه، فيزيد ذلك في نور البصر ونفاذ النظر وتشديد مراكر الشعر في حافات الجفون . قال : وفي أئمة من الأمم قوم يأكلون الذبّان فلا يرمدون، وليس لذلك يا كلونه، ولكن كما يأكل غيرهم فراخ الزناير.

وقال ابن ماسويه : المجربُ للسهل المقرب أن يُسقى من الزراوند المدحرج ويُشرب^(١) عليه ماء بارد، ويُضغ ويوضع على اللسعة . قال : وللسع الأفاعي والحيات ورقى الآس الرطب يُعصر ويُسقى من مائه قدر نصف رطل، وكذلك ماء المرزنجوش وماء ورق التفاح المدقوق والمصبور مع المطبوخ، ويضمّد الموضع بورق التفاح المدقوق . والأدوية والسموم القاتلة البنديق والتين والسذاب يُطعم ذلك العليل . قال والثوم والملح يقر

(١) الزراوند المسرج وهو أرنأ أنواعه : تفت خصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشئ أحمر قليل الرائحة، وهو كثير بأرض الشام، كما في تذكرة داود؛ وله فوائد وغراس ذكرها ابن البيطار في مفرداته .
(٢) الآس : نبات يزرع كثيراً بأرض العرب بالسهل والجبل، ونخضره دائماً، ويسمى حتى يكون شجراً خالياً وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمره سوداء إذا أبيضت تحلوا فيها مع ذلك علكة .

(٣) المرزنجوش ويقال له مرزجوس ومرقدوس : فارسي، والعرب تسميه : السمسق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان ينبت في نبله، وله ورق مستدير، وهو طيب الرائحة جداً . له منافع وغراس ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

(٤) في النسبة الألمانية «الشي» .

- الغيم نافع جدًا إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحية إلا أن تكون أصلية، فإن الأصلية تُوضَعُ
على لسعها الكُتَّانَ جميعاً بالزيت والعسل . والحطمي^(٢) إذا أُخِذَ ورقُه ففُقَ ثم وُضِعَ
على لسع قملة السر كان دواء له . وإن طلى أحد به يديه أو جسده لم يلدغ ذلك الموضع
منه زنبور . وإن لدغ أحدًا زنبور فأذاه فشرب من مائه نفعه . والبشكول^(٤) وهو
الطرشقوق إن دُقَّ فضمَّ به لسعة العقرب نفع إذا أُغلى أو شُرب من عصيره . قالوا :
وإن أخذ من حذر على نفسه السموم القاتلة الثين مع الشونيز على الرقي وقاه .

النبات

- حدثني إصحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن
كُليب أبي وائل رجل من المطوعة قال : رأيت بيلاد الهند شجرا له ورد أحمر مكتوب
فيه بياض "محمد رسول الله" . والعرب تقول في مثل هذا هو : "أشكرن البروق"^(١) ،
وهو نبات ضعيف ينبت بالقيم . ويَزعم قوم أن التارجيل هو نخل المقل قلبه طبايع
البلد . وقال صاحب الفلاحة : بين الكرنب وبين الكرم عداوة ، فإذا زرع الكرنب
بمحيرة الكرم ذبل أحدهما وتشتج ، ولذلك يطيئ السكرعمن أكل منه ورقاته على ريق
النفس ثم شرب . وقضبان الرمان إذا ضُرب بها ظهر رجل أشتد عليه الألم . قالوا :
(١) الأصله ففتح الهزة والصاد واللام : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تنب على الفارس فقتله ،
كما في حياة الحيوان للسيدي قلا عن ابن الأثير . (٢) الحطمي بالكسر وفتح : نبات محلل
ملين نافع لسر البول والحصى ، وهو مع الخلل مفيد لوجع الأسنان مضغضة ونهش الحوام .
(٣) قلة السر : دوية أعظم من القمل وإذا عضت قتلت ، وتكون في بلاد الجبل (مدن) بن أذربيجان
ومراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وميت قلة السر ، لأنها تخرج منه .
(٤) كفا في الأصلين ، وفي مفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ٢٠٠) : «البشكوك» ، وخاصة
النفع من لسع الحوام إذا أكل أو شرب مائه . (٥) في جمع الأمثال والقاموس «بروق»
وهي كما قال الميداني : شجرة تحضر من غير مطر بل تنبت بالمطرب إذا شأنا فما يقال ،

وكل زهر وتؤثر فإنه يخبر مع الشمس ويحول إليها وجهه ؛ ولذلك يقال : هو
يضاحك الشمس . قال الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن ممشية * خضراء جاد عليها مسيل مطل^(١٢)
يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر يميم التبت مكتمل^(١٣)

وقال آخر :

* فتواره ميل إلى الشمس زاهره^(١٤) .

والخيازي ينضم ورقه بالليل ويفتح بالنهار . والتلوثر ينبت في الماء فيغيب
الليل كله ويظهر إذا طلعت الشمس . وقالوا في الطحلب : إن أخذ بحفف^(١٥)

(١) الحزن : ما ارتفع من الأرض . (٢) مسيل : مطر ، من السيل يمتلئ وهو المطر .
(٣) مطل ، من المطل بالكسكون وهو نتائج المطر المتفرق العظيم القطر . (٤) الكوكب : ما طال
من النبات ، والشرق : الريان . (٥) مؤزر : ملط . (٦) مكتمل : تام الطول .
(٧) التوار : واحدة نواة الفضة ، وهي الزهرة المشرقة . (٨) مجزيت تحلية ، ومردو :
* بمسأد القران سقناه *

وقوله
حما سلا من سليمي ظاهره * تمشى به ظليانه ويكذره
(راجع ص ٦٢ من ديوان الحلي طبع ليسك سنة ١٨٩٣ م) . ونسب الجاحظ في كتاب الحيوان البيت
(بمسأد ... الخ) إلى قنران البسي (راجع ج ٥ ص ٣٥) .

(٩) الخيازي ويقال : الخيزي : اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ، ويطلق في العرف
الشافع على نبت يرى مستدير الورق في وسط أوداه شيء عجوز دقيق ، له زهر إلى الصفرة ويزر إلى السواد
مفرطح ، كما قال داود الأنطاكي في تذكرته . (١٠) التلوثر : نبات هندي سمى بلغتهم وأكثر
ما ينبت في مستقعات المياه وراكها والأجام ، ولا ينبت إلا في الماء الغلب القائم في أرض طيبة تربة
سليمة من كل الفساد . ومن عادة أنه يحول وجهه إلى الشمس إذا طلعت وارتفعت ، فإذا وقع شعاعها
عليه أرم يقع اتضحت وودته كلها ، ولا يزال فتحيه يزيد بزيادة الشمس إلى أن تحرب من أول العصر
وتطلب التروب فيبتدى ينضم على ذلك التريب الذي كان تفتح حتى تقرب الشمس فيضم في كرة ويضم مضموما
الليل كله إلى الصباح . راجع الجزء الأول من كتاب الفلاحة النبوية لابن وحشية في ٣٢ من التفسير الحلي
المحفوة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ زراعة . (١١) الطحلب : الخضرة التي تنمو المياه
الراكدة ، وله فوائد وغواص ذكرها ابن الطياري في مفرداته .

- في الظل ثم سقط في النار لم يحترق . وذكروا أن قساً راهباً على صليب في عنقه من خشب أنه لا يحترق، وقال : هو من العود الذي صُلب عليه المسيح، فكان يقنُّ بذلك خلقاً حتى قطن له بعض أهل النظر فأناهم بقطعة عود تكون بكرمان فكان أبق على النار من صلبه . والطلق كذلك لا يصير جمرًا . وطلاء النفاطين طلقٌ وخطمي ومغرة . وقالوا : إذا أخذ زُرُّ السذاب البري وزُرْع وطال به ذلك تحوّل حرملًا ،
والنمُّ إذا اعتق تحوّل حبقًا . قالوا : والقسط إنما هو جزرٌ بحري . قالوا : بالسند نبت من الحشيش يُسمى تريّة ، إذا أخذ فطبخ ثم صُفّي مائه بجعلٍ في واء لم يلبث إلا يسيراً حتى يشتد ويسكر شاربُه إسكاراً خمر .

- قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يضرب بمقلاة عمداً إلى شيء من ثمره البَط فليخلط به مثله من ملح ثم طرّحاً في ماءٍ فديفاً فيه فينضج ذلك الماء على البقل فإنه يفسد .
قال : ومن أراد إفساد الزمان الكثير ألقى في أضغافه نوى التمر والملع والجريش .
ومن أراد قتل السمك في الماء القائم عمداً إلى نبت يسمى "ما هي زهره" فنقّ وطرح في الماء فإنه يموت سمك ذلك الماء ، والمازريون يفعل ذلك . قال : وما يحف له الشجر أن يُعمد إلى معمار من حديد فيحصى بالدار حتى تشتد حمرته ثم يلق في أصل الشجرة ، وأن يُعمد إلى وتد من طرفاء فيثقب أصل الشجرة بمثقب حديد

- (١) الطلق : حجر يراق ينخد منه مضاري للهامات بدلا عن الزجاج . (٢) النافلون : الرابة بالظن وهو القطران . (٣) النمام : نبت ووه كالسذاب ، له بذر كالزيتون عطرى تسمى الرائحة من ذلك لسطوح رائحته ، الواحدة نمامة . (٤) الحقيق : نبات يشبه النمام ، ويكثر نباه على الماء ، ويسمى بالقارسية القودنج . (٥) القسط : مقار من غنائم البحر ، والقار : السمكة .
(٦) لفظ فارسي وتعبيره سم السمك . (٧) المازريون : نبت له أغصان طويلة شبر ، وورده شبيه بورق الزيتون إلا أنه أدق منه ، وهو من بلاد السان ؛ له فوائد ومنافع ذكرها ابن الجبار في مفرداته .

ثُمَّ يُجْعَلُ ذَلِكَ الْعُودُ عَلَى قَدْرِ الثَّقَبِ فِي الْمِثْقَبِ فَتَجْفُ الشَّجَرَةُ إِنْ كَانَ غِلْظُ الْعُودِ عَلَى قَدْرِ الثَّقَبِ .

قيل لِمَ سرجويه : ما بال الأكرة ^(١) وسكان البساتين مع أكلهم الكراث والتمر وشربهم الماء الحار على السمك المالح أقل عُيَانًا وَعُورَانًا وَعُمَشَانًا؟ قال : فَكَرْتُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ أَجِدْ عِلَّةً إِلَّا طَوْلَ وَقُوعِ أَبْصَارِهِمْ عَلَى الْخَضِرَةِ .

الحجارة

قال أرسطو طاليس : حجر سقيلا إذا رُبط على بطن صاحب الاستسقاء نُسِفَ منه الماء، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجد قد زاد في وزنه؛ وإذا كُرْتُ بهذا رجلا من علماء الأطباء فعرفه، وقال : هذا الحجر مذكور في التوراة .
 ١٠ وحجر المناطيس يَجْنِبُ الحديد من بُعْدٍ [و] إذا وُضِعَ عليه عَقْلُهُ، فَإِنْ ذَلِكَ بِالثَّوْمِ بَطَلَ عَمَلُهُ . قالوا : والثماد والقيل يدبران فيستحيلان حجارة سودا تصلح للأرجاء . ومن الحجارة حصاة في صورة النواة تَسْبِجُ في الخل كأنها سمكة . ومنها نَرَزَةُ الْعُقْرَانِ ^(٢) كانت في حَقْوِ الْمَرْأَةِ فلا تَجْبَلُ . وحجر يُوَضَعُ على حرف التَّنُورِ فيساقط خبز التَّنُورِ كله . وبمصر حجر مَنْ قَبِضَ عليه يَجِيعُ كَفَيْهِ فَا كُلَّ شَيْءٍ فِي جَوْفِهِ فَإِنْ هُوَ لَمْ يَنْبُدْهُ مِنْ كَفَيْهِ خِيفَ عَلَيْهِ . ومن الحجارة النَّشْفُ، ليس شيء من الحجارة يَطْفُو على الماء غيره وفيه حفر صغار .

(١) كذا بالنسخة الألمانية؛ وفي الأصل التتوغرافي : « على قدر في المثقب » .

(٢) الأكرة : جمع أكار وهو الحشرات لحفرة الأرض، كأنه جمع آكر في التصدير . (٣) كذا بالأحدين؛ ولم نجد ذكر هذا الحجر ضمن الأجرام المذكورة في مفردات ابن البيطار، ولا في تذكرة داود، ولا في عجائب المخلوقات للقريني . (٤) القفر : القم، وهو استقام رحم المرأة فلا تحمل .
 ٢٠ (٥) الحقر : النحصر . (٦) النشف : حجارة سود كأنها محترقة، وهي التي يثق بها الوسخ في الحمامات .

قالوا : الرصاص قد يدبر فيستحيل مُرداً سنجاً ^(١) . وإقليمياء النحاس يدبر في صير
توتياء . وحجر البازهر يُفرق الأورام . وبالين جبل يقطر منه ماء ، فإذا صار إلى الأرض
ويَس آستحال وصار شياً ، وهو هذا الشب الباني .

حدثنا الرياشي عن الأحمسي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا
بالين : الورس ^(٢) والكندر ^(٣) والخطر ^(٤) والعصب ^(٥) . وبصر حجر تحركه قسقم في جوفه
شيئاً يتقلقل كالنواة .

حدثني شيخ لنا عن علي بن حاصم عن خالد الخلاء عن محمد بن مسير بن قال :
أختم رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : إني أستودعُ هذا وديعة فإني أن
يردّها عليّ ؟ فقال له شريح : ردّ علي هذا الرجل وديعته ، قال : يا أبا أمية ، إنه حجر
إذا رآته الحبلى ألفت ولبّعا ، وإذا وقع في الخلل غلّ ، وإذا وُضع في التنور بردّ ،
فسكت شريح ولم يقل شيئاً حتى قاما .

الجنّ

قالوا : الشياطين مُردة الجنّ ، والجنّ ضَعْفُ الجنّ . وبلغني عن يحيى بن آدم
عن شريك عن ليث عن مجاهد قال قال — يعني إبليس عليه لعنة الله — : أُعطينا
أنا نرى ولا نرى ، وأنا ندخل تحت الثرى ، وأنت شيخنا يردّ قتي .

١٥

(١) الإقليمياء بالكسر : قُلّ يلو السبك أو دخان . (٢) البازهر مرّوب بازهر : حجر تنب
إليه قوى غريبة في مقاومة السموم ، فارسي مركب من باد وسماء : روح أوسد ، وزهر وسماء : سم ؟
وله منافع وغواص ذكرها ابن اليطار في مفرداته . (٣) نبات الورس — كما في مفردات ابن اليطار —
كنبات السمسم ، فإذا جف عند إدراكه تخففت سفة (وعاء ثمرته) فينتفض من الورس . ينبت كل سنة
ويُفرّ ، وأجوده حديث . وهو أنواع : بعضه يخرج منه أصفر خالص المصفرة ، وبعضه في صلبه حمرة .
(٤) الكندر كلمة فارسية معناها : البان . (٥) الخطر بالكسر : نبات يخضب به .
(٦) العصب : صبح لا ينبت إلا بالين . وكتب بهامش الأصل المتنوغرافي بالهـ : « قلت : وعصرنا
زاد غنامسا وهو القهوه » .

٢٠

حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال : حدثني يعلى بن عتبة — شيخ من أهل المدينة مولى لآل الزبير — : أن عبد الله بن الزبير بات بالفقر، فقام ليروحل فوجد رجلاً طوله شبران عظيم الهبة على الولية^(١)، فنفضها فوقع ثم وضعها على الراحلة، وجاء وهو بين الشرخين، فنفض الرجل ثم شتمه، وأخذ السوط ثم أتاه، فقال : من أنت؟ قال : أنا أرب قال : وما أرب؟ قال : رجل من الجن؛ قال : أفتح فاك أنظر؛ ففتح فاه؛ قال : أهكذا حلوكم! لقد شوه حلوكم! ثم قلب السوط فوضعه في رأس أرب حتى شقه.

حدثني خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا عمر بن يونس قال حدثنا عكرمة ابن عمار قال حدثنا إسحاق بن أبي طلحة الأنصاري قال حدثني أنس بن مالك قال : كانت بنت عوف بن صفراء مضطجعة في بيتها فائلة إذ استيقظت وزججى على صدرها أخذاً بحلقها، قالت : فامسكني ما شاء الله وأنا حينئذ قد حرمت على الصلاة؛ فبينما أنا كذلك نظرت إلى سقف البيت يتفرج، حتى نظرت إلى السماء فإذا صحيفة صفراء تهوى بين السماء والأرض حتى وقعت على صدرى، فنشرها وأرسل حلقى فقرأها، فإذا فيها : من رب كئيز إلى كئيز، اجتنب أبنه العبد الصالح إنه لا سبيل لك عليها، ثم ضرب بيده على ركبتي وقال : لولا هذه الصحيفة لكان دم، أى لدمجتك؛ فاسودت ركبتي حتى صارت مثل رأس الشاة، فأتيت عائشة، فذكرت لها ذلك؛ فقالت لى : يا بنه أئى^(٢)، إذا حضبت فالرعى عليك ثيابك فإنه لا سبيل له عليك إن شاء الله . فحفظها الله بأبيها وكان استشهد يوم بدر .

أبو يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير عن الشعبي عن زياد بن النضر أن عجوزاً سألت جنباً فقالت : إن بلى عروس وقد تمزط شعرها من حمى ربه بها، فهل

(١) في الأصل المتوغراني «الوية» وفي النسخة الألمانية «الوية» والصواب عن لسان العرب، والولية : البرذعة . (٢) شربط الرسل : حرقاه وبياناه، وقيل : خشبانه من وراءه ومقدم . (٣) في الأصلين : «لها» والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٤) تمزط الشعر : تساقط ونحلت .

عندك دواء؟ فقال: أحمدي إلى ذباب الماء الطويل القوائم الذي يكون بأفواه الأنهار فاجعليه في سبعة ألوان من العيين^(١): أصفر وأحمر وأخضر وأزرق وأبيض وأسود وأغبر، ثم آجعليه في وسطه وأقتليه بأصبعك هكذا ثم أعقديه على عضلها اليسرى، ففعلت فكانها أنشطت من عقل.

- حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: أخبرني محمد بن مسلم الطائي في حديث ذكره أن الشياطين لا تستطيع أن تغير خلقها ولكنها تسخر.

وقال الأصمعي: حدثنا أبو عمرو بن العلاء قال حدثنا الثعالب بن قهم^(٢) قال: دخلت مريدا لنا فإذا فيه شيء كالبحرول له قرنان وله ريش ينظر إلى كأنه شيطان.

- حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال: سمع رجلا يرض بها أحد قالا من تحتهم يقول: من يمزك شعيراتي؟ ذاك مقيط، وظل مغلي، حاشا للنزول وعبد الملك وجمعه الأدم؛ وكانوا يرون أن الأصمعي سمع هذا، وذلك أنه كان في آخر عمره وقد أصابه مس ثم ذهب عنه.

- حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرنا عمر بن الهيثم عن عمير بن ضبيعة قال: بينا أنا أسير في فلاة أنا وأبن ظبيان—أو رفيق له آخر ذكره—عرضت لنا عجوز—كنا سمعته يقول، إن شاء الله—أو شيخ—ورأيت في كتاب محمد آية—وصبي يبيكي فقال: إني منقطع في هذه الفلاة فلو تممتاني! فقال صاحب عمير: لو أردفته! فحملته خلقه؛ فكنا ساعة فنظر في وجه عمير وتنفس فخرج من فيه نار

(١) العين: الصوف أو المصوغ ألوانا . (٢) كنا بالأمل القنوغرافي، وفي النسخة

الألمانية «أقلبه» بالالف . (٣) في النسخة الألمانية «المناسب» وهو تحريف .

(٤) في الأصلين: فهم بالفاء، وهو تحريف، والتصويب عن قريب التلخيص وفتح القاموس .

(٥) البحرول: الدل . (٦) كنا في الأصل القنوغرافي. وفي النسخة الألمانية: «البريد» .

مثل نار الأتون فأخذ له عمير السيف ؛ فبكى وقال : ما تريد مني ؟ فكف عنه ولم يعلم صاحبه بما رأى ؛ فكت هنيئة ثم عاد ، فأخذ له السيف ؛ فبكى وقال : ما تريد مني ؟ وبكى ؛ فتركه ولم يعلم صاحبه ؛ ثم عاد الثالثة فغفر في وجهه ؛ فعمل عليه بالسيف ؛ فلما رأى الجدد وثب وقال : قاتلك الله ما أشد قلبك ! ما فعلته قط في وجه رجل إلا نهب عقله .

بلغني عن محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن عن أبي أيوب الأنصاري أنه كان في سفرة له وكانت الغول تحي ، فشكاها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : « إذا رأيتهما فقل باسم الله أجبي رسول الله » ؛ فجاءت فقال لها ذلك ؛ فأخذها فقالت : لا أعود ؛ فأرسلها ؛ فقال له النبي عليه السلام : « ما فعل أسيرك » ؟ فأخبره ؛ فقال : « إنها عاتمة » ؛ فعملت ذلك مرتين أو ثلاثا ، وقالت في آخرها : أرسلني وأعلمك شيئا تقوله فلا يضرك شيء ؛ آية الكرسي ؛ فأتى النبي عليه السلام فأخبره ؛ فقال : « صدقت وهي كدوب » .

حدثني زيد بن أنس قال : حدثنا عبد الصمد عن همام عن يحيى بن أبي كثير أن عامل عُمان كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إنا أتينا بساحرة فألقيناها في الماء فطفت ؛ فكتب إليه عمر : لست من الماء في شيء ، إن قامت البينة وإلا نفل عنها .

حدثني زيد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا ابن جريج عن ابن أبي الحسين المكي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَمَتِ الدُّخْنَةُ الْبُأْنُ وَالْبُأْنُ دُخْنَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَلَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا دُخْنٌ فِيهِ بُلْبَانٌ سَاحِرٌ وَلَا كَاهِنٌ » .

حدثني عبد الله بن أبي سعيد قال : حدثني عبد الله بن مروان بن معاوية من ولد أسماء بن خارجة قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت أعرابية تقول : من

يشتري متى الحزا؟ فقلت: وما الحزا؟ قالت: يشتريه أكابيس النساء للطشة والخافية والإفلات، قال عبد الله: سألت ابن منذر فقال: الطشة: شيء يصيب الصبيان كالزكام. والخافية: الجن. والإفلات: قلة الولد. يريد أن المرأة إذا ولدت يموت أولادها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: امرأة مقلات.

٥. بلغني عن شيخ من بني ثعلبة أنه قال: أضللت أبا عمر بالشريف فخرجت في بنتها فدأيت أياها فامسيت شية بوادي موحش وقد كدنت راحتي فأخفيت لها من الشجر وأصبحت لها من الماء ثم قيدتها وأضطجعت مغموما، فلما جرى ومن النوم في عيني إذ همس قدامي قريبا مني، فأنهيت قريبا وإذا شيخ يتحنن وهو يقول: لا رية عليك أيم سلم وجلس؛ ثم جاء آخر وتحدث حتى تألفوا أربعة فقالوا: ما بك أيها المسلم؟ فقلت: أضللت أبا عمر وأنا في طلبها منذ أيام؛ فقال لي الأول منهم: ١٠ كئن لك ما كن، وقد ودع قن، وصرن حيث صرن، فلا تسمعن؛ فأجترأت على المسئلة فقلت: أئمن الخافية أئمن تشدتم بالهكم؟ قالوا: نعم وإلهنا وإلهكم واحد؛ فقلت: علموني مما علمكم الله شيئا أنفع به؛ قالوا: إذا أردت حفظ مالك فأقرأ عليه: (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) إلى آخر ثلاث الآيات، وآية الكرسي، وإذا أمسيت في خلأ وحلك فأقرأ ١٥ المعوذتين، وإن أحببت ألا يبت بك ولا بأهلك ووليك عابث متافيك بالديك الأبيض، وأجعل في مجور صبيانك بريما، يعني خيطا من صوف أبيض وأسود، وأحشوا بالإذخر ينثر في الصوف، فحلتوني كحديثنا تلك الليلة، فلما أصبحت رجعت.

٢٠. (١) الشريف: اسم ماء لبني نير. (٢) اغتليت من الاختلاء، وهو اجتاز النسل وهو الحشيش تلف به الغراب. (٣) لارية: لافزع، من راح يريح إذا فرغ. (٤) الإذخر بالكسر: نبات مزهر طيب الرائحة.

قال المداينى : كانت وفاة زياد بالعرقة ^(١) ظهرت في إصبعه ، وأشتد عليه الوجع
 بجمع الأطباء فشاوهم في قطع إصبعه ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم :
 أتعبد الوجع في الإصبع أم تعبد في قلبك والإصبع ؟ قال : في قلبي وفي إصبعي ؛ قال :
 عيش سليما وميت سليما ، وأمره أن يفيمسها في الخل ، فكان ذلك يُخفف عنه بعض الوجع ،
 فكث بذلك سبعة عشر يوما ثم مات ؛ وسمع أهل الجبس ليلة مات قائلا يقول : أنا
 النقاد ذو الرقبة قد كفيتمكم الرجل . والعرب تدعو الطاعون رماح الجن . وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم «إنه ونز من الجن» يعنى الطاعون . والله أعلم .

(١) العرة : قرصة تخرج في ياض الكف .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي]

تم كتاب الطبايع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لأبن قتيبة ويتلوه في الكتاب
 الخامس كتاب العلم . والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي
 وآله وصحباة وأهل بيته أجمعين .

وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ؛
 وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

الى هنا ينتهي آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمدينة جوتعين سنة ١٨٩٩ م .
 وسنعمد في مراجعة الجزء الخامس الى آخر الكتاب على الأصل الفتوغرافي وعلى
 المصادر التي يعول عليها في تصحيح الكتاب .

[جاء بعد خاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :]

- كان سديف مولى بنى هاشم يقول : اللهم إنه قد صار قيتنا دولةً بعد القسمة ، وإمارتنا غلبةً بعد المشورة ؛ وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة ، واشترت الملاحى والمعارف بسهم اليتيم والأرملة ؛ وحكم فى إنباش المسلمين أهل اللمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل ، وبلغ نبتة ، واستجمع طريقه ، اللهم فافتح له من الحق يداً حاصدةً تبدد شمكه ، وتفرق ناسته ، ليظهر الحق فى أحسن صوره ، وأتم قوره . والسلام .

- وقيل : كانوا يتوقون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هذا الدماء :
« باسم الله ، إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت خبيثاً . إخشوا فيها ولا تكلمون . »
أخذت سمعك وبصرك بسمع الله وبصره ، وأخذت قوتك بقوة الله ، بينى وبينك ستر النبوة الذى كانت الأنبياء تستتر به من سطوات الفراعنة ؛ جبريل عن يمينك ، وميكائيل عن شمالك ، ومحمد أمامك ، والله مطلق عليك يحجزك منى ويمنعى منك .
والسلام .

- وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : « أما بعد ، فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكر قدرة الله عليك وتقاد ما تاتى اليهم ، وبقاء ما يأتون إليك .
والسلام . »

(١) إنباش : جمع بشر ، وإلبشر : الخلق والشخص يطلق على الأنثى والذكر والاشين والجمع وقد يقى

على شرين ويجمع على إنباش (اللسان) . (٢) الثامنة والثامنة : الحس والحركة وحياة النفس .

(٣) فى الأصل «الى» والسياق يقتضى ما أتناه .

وَقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ التَّوَّاجِي قَتِيلٌ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ ؟ قَالَ : مَظْلُومًا لَا يَتَّصِرُ ، وَظَالِمًا لَا يَتَّهَرُ . وَالسَّلَامُ .

فِي الْحَبْسِ :

مَا يَدْخُلُ السَّجْنَ إِنْسَانٌ قَسَّاهُ * مَا بَالُ مَحْبُوسِكَ إِلَّا قَالَ مَظْلُومٌ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

إِنْ اللَّيَالِي الَّتِي شُغِفْتُ بِهَا * غَيَّبَهَا الدَّهْرُ فِي ثَقْلَبِهِ
لَهُ أَهْرَى مَا مَلْتُ قَطُّ إِلَى * شَيْءٍ يُقَلِّي إِلَّا جُعْتُ بِهِ
عَرَفْتُ حَقِّي مِنَ الزَّمَانِ فَلَا * أَلُومَ خَلْقًا عَلَى تَجَنُّبِهِ
وَكُلَّ سَهْمٍ أَمَدَدْتُهُ وَقَعْتُ * بِهِ اللَّيَالِي حَتَّى رُمِيْتُ بِهِ

١٠. وَحَكَى أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ أَتَوْهُ بِرَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ فَأَرَادَ قَتْلَهُ ، فَأَدْخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنَ لَهُ صَغِيرًا وَهُوَ بَيْكِي ، فَقَالَ الْخَارِجِيُّ : دَعِهِ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَرْحَبُ لَشِدْقِهِ ، وَأَحْسَنُ لِمَافِهِ ، وَأَذْهَبُ لَصَوْتِهِ ، وَأُخْرَى إِلَّا تَأْتِي عَلَيْهِ عَيْنُهُ إِذَا حَفَرْتَهُ طَاعَةُ اللَّهِ فَاسْتَدْعَى عَهْرَتَهَا ، فَأَعْجَبَ عَبْدَ الْمَلِكِ بِقَوْلِهِ وَقَالَ لَهُ مَتَعَجِّبًا : أَمَا يَشْغَلُكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : مَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْغَلَ الْمُؤْمِنَ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ شَيْءٌ ، فَأَمَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ بِمَحْسَدِهِ ، وَصَفَّحَ عَنْ قَتْلِهِ .
- ١٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب العلم والبيان

المعلم

- حدثني الزياتي قال حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن عبد الله بن سعد عن الصائبي^(١) عن معاوية بن أبي سفيان قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الأغلوطلات ، قال الأوزاعي : يعني صعاب المسائل .

حدثني مهيل بن محمد عن الأصمعي قال سمعت عمران بن حدير يحدث عن رجل من أهل الشام قد سمع ، قال : قال كعب الأحبار لقوم من أهل الشام : كيف رأيكم في أبي مسلم الغلو^(٢) لاني ؟ فقالوا : ما أحسن رأيًا فيه وأخذنا عنه ! فقال : إن

- (١) في الأصل «الصائبي» (بـياء مثاقير بعد الألف) وهو تحريف ، إذ هو عبد الرحمن بن حنبل الصائبي (بـياء موحدة وحاء بعد الألف) ، نسبة إلى مناج من حجر ، كما ذكر المؤلف في كتابه (المعارف) (ص ٢١٥) طبع جويتين سنة ١٨٥٠ م والحد القريد (ج ١ ص ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ٢٣٥) . (٢) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث ، لأنه لا معنى لأن يهوى النبي من صعاب المسائل ، والأوجه ما فسرها به الزعفراني إذ قال في الأساس : «وهي المسائل التي يطالب بها» ، وي زيد هذا التفسير ما جاء بالحد القريد (ج ١ ص ٢٠٤) : «وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للمائل : أسكنها حتى تسأل عنها أخاك «إليس» . (٣) هو عبد الله بن ثوب بنهم الملقب وضع الرواية بها موحدة وقيل بإشباع وقيل ابن أنوب وزن آخر : طاب رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يدركه ، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية (تقريب التهذيب) .

أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الْحَاكِمِ أَهْلُهُ ، وَإِذَا مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ الْبَلَاءَةِ تَكُونُ فِي الْقَوْمِ فَيَرْغَبُ فِيهَا الْغُرَبَاءُ ، وَيَزْهَدُ فِيهَا الْقُرَبَاءُ ، فَيَبْئُتُ ذَلِكَ غَارَ مَاؤُهَا ، وَأَصَابَ هَؤُلَاءِ مَنَافِعُهَا ، وَبَقِيَ هَؤُلَاءِ يَتَفَكَّرُونَ ، أَيْ يَتَلَمَّحُونَ .

وفي الإنجيل أن عيسى صلى الله عليه وآله أراهم العجائب ، وضرب لهم الأمثال والحكمة ، وأظهر لهم هذه الآيات ، قالوا : أليس هذا ابن النجار ! أوليست أمه مريم وأخوه يعقوب ويوسف وشمعون ويهوذا وأخواته كلهن عندنا ! فقال لهم عيسى : إنه لا يُسَبِّ النبي ولا يُحَقَّرُ إِلَّا فِي مَدِينَتِهِ وَيَبْلُغَتُهُ .

حدثنا الراشدي قال حدثنا الأصمعي قال : قيل لندخل النسابة : هم أدركت ما أدركت من العلم ؟ فقال : بلسان سؤال وقلب عقول ، وكنت إذا لقيت عليا أخذت منه وأعطيته .

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا العلاء بن أسلم عن رؤية بن العجاج قال : أتيت النسابة البكري فقال لي : من أنت ؟ فقلت أنا ابن العجاج ، قال : قصرت وعرفت ، لعلك من قوم إن سكث عنهم لم يسألوني ، وإن تكلمت لم يعوا عني ، قلت : أرجو ألا أكون كذلك ، قال : ما أعداء المرأة ؟ قلت : تحبوني ، قال : بنو عم السوء إن رأوا حسنا ستروه ، وإن رأوا سيئا أذاعوه ، ثم قال : إن للعلم آفة ومحنة ونكبات ، فآفته نسيانه ، ونكته الكذب فيه ، ومحنته نشره عند غير أهله . كان يقال : لا يزال المرء طالبا ما طلب العلم فلما ظن أن قد علم فقد جهل .

(١) * لها ابنة قال في اللسان : والجحوم : البر الكثرة الماء ، وبرجة ويحوم : كثيرة الماء .

(٢) في الأصل «ليس» بغيراء التأنيث .

(٣) في هامش الأصل التوضيحي عن نسخة أخرى : ع .

حدثني شيخٌ لنا عن محمد بن عُبيد عن الصلت بن مهران عن رجل عن الشعبي
عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من تعلم العلم لأربعة دخل النار
ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يميل به وجوه الناس أو يأخذ به من
الأمرء» .

- وحدثني عن أبي معاوية عن حجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : «ما من عبد يُخلص العبادة لله أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه» . وقرأت في حِكْمَ لُحْيان أنه قال لأبيه : يا بُني ، اغد عالما
أو متعلما أو مُستمعا أو مُعيبا ، ولا تكن الخامس قهلك .

- حدثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن إسماعيل عن ابن ميثاق عن معاذ
ابن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : «يحمل هذا
العِلْمُ من كلِّ حَلْفٍ عُدُوْلُهُ يَتَّقُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ النَّالِيَةِ^(١) وَاتِّحَالَ الْمُبْتَغِلِينَ وَتَأْوِيلَ
الْبَاطِلِينَ» .

- وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال قال علي عليه
السلام : كَلِمَاتٌ لَوْ رَحَّلَ الْمَطِيُّ فِيْهَا لَا تُصِيبُوهُنَّ قَبْلَ أَنْ تُكْرِكُوا مِثْلَهُنَّ : لَا يَرْجُوَنَّ
عبد إلا ربّه ، ولا يَخَافَنَّ إلا ذَنْبَهُ ، ولا يَسْتَحْيَ من لا يَعْلَمُ أن يَعْلَمَ ، ولا يَسْتَحْيَ إذا
سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أن يَقُولَ : الله أعلم . وأعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كنزلة
الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان .
وكان يقول : من حق العالم عليك إذا أتيتَه أن تُسَلِّمَ على القوم عاتمةً وتُخَصِّصَ بالتحية ، وأن

- (١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧) طبع بولاق ، وفي الأصل «به» . (٢) كذا في الأصل
ومنه في أدب الدنيا والدين . وفي النقد الفريد (ج ١ ص ٢٠١) «تحريف القائلين» .
(٣) في أدب الدنيا والدين (ص ٦٧) ما نصه : «وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : خمس خلو من
عني ، فلو كنتم الفلك ما وجدتموهن إلا عني : ألا لا يرحون أحد إلا ربه ... الخ» .

تَجَلَّسَ قُدَّامَهُ وَلَا تُشِيرَ بِسُودِكَ ، وَلَا تَعْمَرْ بَعَيْنِكَ ، وَلَا تَقُولَ قَالَ فَلَانٌ خِلَافًا لِقَوْلِهِ ^(١) ،
وَلَا تَقْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تَسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذَ بِشُوبِهِ ، وَلَا تُلَحَّ عَلَيْهِ إِذَا
كَسَلَ ، وَلَا تَقْرُضَ ^(٢) مِنْ صَحْبَتِهِ لَكَ ، فَإِنَّمَا هُوَ بِمِزْلَةِ النَّخْلَةِ لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا
شَيْءٌ . وَفِيهَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا كَيْلُ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يَحْرُسُكَ
وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النِّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِثْقَابِ . وَقَالَ : قِيمَةُ
كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ . وَيُقَالُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
يُسَدُّ رَفِيعُ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ طَالِمًا * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِمُحْسِبٍ
وَلِنْ حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعِلْمِهِ * وَمَا عَالِمٌ فِي بَلَدٍ بِغَرِيبٍ

قَالَ زُرَّجِيهَرٌ : مَا وَرَّثَ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْأَدَبِ ، لِأَنَّهُا تَكْتَسِبُ
الْمَالُ بِالْأَدَبِ وَبِالْجَهْلِ تُتْلَفُ فَتَقْعُدُ عَنْهَا مِنْهُمَا . قَالَ رَجُلٌ لِنَظَائِدِ بْنِ صَفْوَانَ :
مَالِي إِذَا رَأَيْتُمْ تَنْتَازِرُونَ الْأَخْبَارَ ، وَتَتَلَارِسُونَ الْأَثَارَ ، وَتُقَاتِلُونَ الْأَشْمَارَ ، وَقَعَ
عَلَى النَّوْمِ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ حِمَارٌ فِي مَسْلَاحِ ^(٣) إِنْسَانٍ .

نَحْرَجُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ حَاجِبًا وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَكَانَا
بِبَعْضِ الطَّرِيقِ يَلْعَبَانِ بِالشُّطْرُنِجِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ تَهْيِيفٍ فَأَذِنَ لَهُ وَسَتَرَ

(١) عبارة العقدة القريد «خلاف قولك» . (٢) لا تقترض : لا تفتقر . وفي الأصل «تقرض»
بالهاء . وهو تحريف . وعبارة العقد «ولا تلح عليه في السؤال» ، فإنما هو بمِزْلَةِ النَّخْلَةِ المِزْلَةُ التي لا يزال
يسقط عليك منها شيء . (٣) في الأصل : «تكيل العلم خير من المال» وهو تحريف ،
والصواب ما أئتمناه ، فقد جاء في العقد القريد (ج ١ ص ٢٠٠) ما نصه «عن كبريل النخعي قال : أخذ
يبدى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نفراج في إلى ناحية الجبابة فلما أصبح رتقتن الصمداء ثم قال :
يا كليل ، إن هذه القلوب أوعية تغيرها أروعاها فأخبط عنى ما أقول لك ... الخ» وكذلك وردت العبارة
في الإحياء (ج ١ ص ٧) طيبة بولاق . (٤) أرذله الله : لم يرض عنه . (٥) في العقد
القريد «عاقلة» . (٦) المسلاح : الجلد .

الشَّطْرَنَجَ بِمَنْدِيلٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ فَسَأَلَهُ حَاجَتَهُ ، قَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ ؟
 قَالَ : لَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! شَغَلَنِي عَنْهُ أُمُورٌ وَهَنَاتٌ ، قَالَ : أَتَعْرِفُ الْفِقْهَ ؟
 قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَرَوَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَعَلَيْتَ مِنْ أَيْلَمِ
 الْعَرَبِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَكَشَفَ الْمَنْدِيلَ عَنِ الشَّطْرَنَجِ وَقَالَ : شَاهِكُ ،
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : اسْكُتْ فَمَا مَعْنَى أَحَدٍ .

وَفِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ : الْعَالِمُ إِذَا اقْتَرَبَ فَمَعَهُ مِنْ عِلْمِهِ كَافٍ ، كَالْأَسَدِ مَعَهُ قُوَّتُهُ
 الَّتِي يَعْيشُ بِهَا حَيْثُ تَوَجَّهَ . وَكَانَ يُقَالُ : الْعِلْمُ أَشْرَفُ الْأَحْصَابِ ، وَلِلْمَوَدَّةِ أَشَدُّ
 الْأَسْبَابِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ خَيْرٌ كَرِيمٌ • لِلرَّوْزَيْنِ إِذَا هُمَا اجْتَمَعَا
 صِنُونَانِ لَا يَسْتَمِ حَسَنُهُمَا • إِلَّا يَجْمَعُ لَدَا وَفَاكَ مَعَا
 كَمْ مِنْ وَضِيعٍ مِمَّا بِهِ الْعِلْمُ وَالْعِلْمُ فَنَالِ الْعِلَاءَ وَارْتَفَعَا
 وَمِنْ رَفِيعِ الْبِنَاءِ أَضَاعَهُمَا • أَحْمَلُهُ مَا أَضَاعَ فَاتَّضَعَا .

قَالَ الْأَحْنَفُ : كَادَ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَكُونُوا أَرْبَابًا ، وَكُلُّ عَزٍّ لَمْ يُؤَكِّدْ بِعِلْمٍ فَإِنَّ ذَلِكَ
 مَا يَصِيرُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسَ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ ذَلِكَ ،
 فَلَا تَزَالُ الْكَرَامَةَ بِزَوَالِهَا ، وَلَكِنْ لِيُعْجِبَكَ إِنْ أَكْرَمَكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ . وَفِي بَعْضِ
 الْحَلِيقِ الْمَرْفُوعِ : «مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَلُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ» . وَكَانَ يُقَالُ :
 اسْتَدِلَّ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُحِبُّ أَنْ لَهُ بِحِظِهِ مِنْهُ خَطَرًا . قَالَ يُونُسُ بْنُ
 حَبِيبٍ : صَالِحُكَ مِنْ رُوحِكَ ، وَمَالُكَ مِنْ بَدَنِكَ . قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ : الْمُلُوكُ حُكَّامٌ
 عَلَى النَّاسِ ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمُلُوكِ .

قيل لَبُزُّ جِهْمٍ : العلماءُ أفضلُ أم الأغنياءُ؟ فقال : العلماءُ، فقيل له : فما بألِّ
 العلماءِ بأبوابِ الأغنياءِ أكثرُ من الأغنياءِ بأبوابِ العلماءِ؟ فقال : لمعرفة العلماءِ بفضلِ
 الغنى وجَهْلِ الأغنياءِ بفضلِ العلمِ . وفي الحديث : « ليس المَلَقُ من أخلاقِ المؤمنِ
 إلَّا في طلبِ العلمِ » . قال ابن عباس : ذَلَّتْ طالباً، فمَزَزْتُ مطلوباً، وكان يقول :
 وجدتُ عاتمةَ عِلْمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحى من الأنصارِ، إنَّ
 كنتُ لأَقِيلُ بِيَابِ أحدهم ولو شئتُ أُذِنَ لى ، ولكن أبتغى بذلك طيبَ نفسه .
 وكان يقال : أوَّلُ العلمِ الصَّمْتُ والثانى الاستِمَاعُ، والثالثُ الحِفْظُ، والرابعُ العقلُ،
 والخامسُ نُشْرُهُ . ويقال : إذا جالستَ العلماءَ فكُنْ على أن تَسْمَعَ أَحْرَصَ منك
 على أن تقول . قال الحسن : مَنْ أَحْسَنَ عِبَادَةَ الله في شبيبته لقاءَ الله الحكمةُ
 في سِنِّه، وذلك قوله : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال بعض الحكماء من الصحابة : تقول الحكمة : مَنْ اتَّسَفَى فلم يَحْصِدْنِي
 فَلْيَفْعَلْ بِأَحْسَنِ مَا يَعْلَمُ، وَلْيَتْرَكْ أَقْبَحَ مَا يَعْلَمُ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَأَنَا مَعَهُ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْنِي .
 وكان يقال : لا يكون الرجلُ طامساً حتى يكونَ فيه ثلاثٌ : لا يَحْقِرُ مَنْ دُونَهُ في العلمِ،
 ولا يَحْسُدُ مَنْ فَوْقَهُ، ولا يَأْخُذُ على علمه تَمَنَّا . وقال ابن عيينة : يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ إِذَا
 عُلِمَ الْأَيْسَفُ، وَإِذَا عُلِمَ الْأَيُّفُ . وفي كلام لُقْيَلَانَ ، لا تَكُنْ كَعَلَمَاءِ زَمَنِ الْمَرْجِ (١)
 إِنْ عُلِمُوا أَفْعُوا وَإِنْ عُلِمُوا عَفَوْا . وفي حكمة لُقْيَانَ : إِنْ الْعَالِمَ الْحَكِيمَ يَدْعُو النَّاسُ
 إِلَى عِلْمِهِ بِالصَّمْتِ وَالْوَقَارِ ، وَإِنْ الْعَالِمَ الْأَخْرَقَ يَطْرُدُ النَّاسُ عَنْ عِلْمِهِ بِالْمَذْدَرِ
 وَالإِثْكَارِ . قال إبراهيم بن المنصور : سَلْ مُسْئِلَةَ الْحَقِّ وَأَحْفَظْ حِفْظَ الْأَكْبَاسِ .
 وَأَنْشُدْ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ :

ما أقرب الأشياء حين يسوقها * قدر وأبسطها إذا لم تُقدر
فصل الفقيه تكن قصها مثله * من يسع في عمل يفقه بمهير
وتدبر الأمر الذي تُعنى به * لاخير في عمل بغير تدبر
فلقد ييجد المرء وهو مقصر * ويحبب جد المرء غير مقصر
ذهب الرجال المقتدى بقعالم * والمنكروك لكل أمر منكرو
وقييت في خلف يزين بعضهم * بعضا لينفع معور عن معور
وقال الشاعر (٢):

شفاء العي طول السؤال وإنما * تمام العي طول السكوب على الجهل

وقال بعضهم: خير خصال المرء السؤال. ويقال: إذا جلست إلى عالم فصل تفقهها
ولا تسئل تفتأ. قال الحسن: من استتر عن الطلب بالحياء ليس للجهل سرهالة، فطعموا
١٠ سراويل الحياء، فإنه من رقى وجهه رقى علمه؛ وقال: إني وجدت العلم بين الحياء
والستر. وقال الخليل: منزلة الجهل بين الحياء والأفقه. وقال علي بن أبي طالب
عليه السلام: قرنت الهيبة بالحيية، والحياء بالحرمان، والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها
ولو في يدى أهل الشرك. وقال عروة بن الزبير لبيته: تعلموا العلم فإن تكونوا صغار
قوم فمضى أن تكونوا كبار قوم آخرين، فيا سوء ما ذا أقيح من جهل بشيخ! وكان
١٥ يقال: علم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت
وحفظت ما علمت.

قيل لبزرجهر: يم أدركت ما أدركت من العلم؟ قال: بشكوك كبشكور
الغراب، وحرص كحرص الخنزير، وصبر كصبر الجمار. وقال الحسن: طلب العلم

(١) معور من أعور الشيء إذا بدت عورته. (٢) هو بشار بن برد كان في أدب الدنيا والعين
(ص ٤٩ طبعه بولاق) وبعد البيت:

فكن سالا عما هناك وإنما * دميت أبا حنبل فبحث بالفضل

في الصغر كالنقش في الحجر، وطلب العلم في الكبر كالنقش على الماء. ويقال: التفقه على غير علم كإمرار الطاحونة يدور ولا يترج. وفي الحديث المرفوع «ارحموا عزيزنا ذلّ ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين جهال» ويقال: أحق الناس بالرحمة عالم يجوز عليه حكم جاهل .

قال المسيح عليه السلام : يا بني إسرائيل لا تفتقوا اللؤلؤ إلى الخنازير، فإنها لا تصنع به شيئا، ولا تخطوا الحكمة من لا يريدتها، فإن الحكمة أفضل من اللؤلؤ، ومن لا يريدتها شر من الخنازير. قال ديمقراط : عالم معاند خير من مُنصف جاهل. وقال آخر: الجاهل لا يكون مُنصفاً؛ وقد يكون العالمُ معانداً . قال سُفيان: تَوَدُّوا باقة من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر. قيل للحسن : الحِرْفَةُ في أهل العلم؛ ولغيرهم الثروة، فقال : إنك طلبت قليلا في قليل فأعجزك، طلبت المال وهو قليل في الناس، في أهل العلم وهم قليل في الناس . وقال الخزيمى :

لا تَظْطَرَّ إِلَى عَقْلٍ وَلَا أَدَبٍ • إِنَّ الْجُدُودَ قَرِينَاتُ الْحَافَاتِ

وقال آخر :

مَا أَزِدْتُ مِنْ أَدَبٍ حَرْفًا أُسْرِبُهُ • إِلَّا تَزِيدْتُ حَرْفًا تَحْتَهُ سُوءُ
إِنَّ الْمُقَدِّمَ فِي حِلْقٍ بَصْنَعْتَهُ • أُنَى تَوَجُّهِ مِنْهَا فَهُوَ عَرُومُ

وقال الطائي لمحمد بن عبد الملك :

أَبَا جَفْرِ إِنَّ الْجَهْلَةَ أُمُّهَا • وَلَوْ وَأُمُّ الْعِلْمِ جَذَاءُ حَائِلٍ^(١)

(١) في الأصل : «العالم» وظاهر أنه تحريف .

(٢) جذاء : من الجذ وهو القطع، والمراد أنها مقطوعة التسلسل .

(٣) الحائل : كل أنثى لا يحمل - ٢٠

قال الثوري : من طلب الرئاسة بالعلم سرى ما فاتهُ علمٌ كثيرٌ وقال : يَتَنَفَّسُ العلم بالعمل فإن أجابه وإلاً أَرَحَلَ . قال بعض أهل العلم : يُغْفَرُ لِلْجَاهِلِ سَبْعُونَ ذَنْبًا قبل أن يُغْفَرَ لِلْعَالِمِ ذَنْبٌ واحدٌ . قال بلال بن أبي بُرَّة : لا يَمْتَنِعُكُمْ سَوْءُ مَا تَعْمَلُونَ منا أن تَقْبِلُوا أَحْسَنَ مَا تَسْمَعُونَ . وقال الخليل بن أحمد :

- اَعْمَلْ بِعِلْمِي وَلَا تَتَفَرَّ إِلَى عَمَلِي * يَتَفَكَّرُ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ قَصْبِي
- كتب رجل إلى أخ له : إِنَّكَ قَدْ أَوْتَيْتَ عِلْمًا فَلَا تُطْفِئْ نَوْرَ عِلْمِكَ بِظُلْمَةِ الذُّنُوبِ فَتَبْقَى فِي الظُّلْمَةِ يَوْمَ يَسْمَى أَهْلُ الْعِلْمِ بِنُورِ عِلْمِهِمْ .

- وقال بعض الحكماء : لولا العلمُ لم يُطَلَبِ العملُ ، ولولا العملُ لم يُطَلَبِ العلمُ ، وَلَئِنْ أَدْعَ الْحَقُّ جَهْلًا بِهِ أَحَبَّ إِلَى مَنْ أَنْ أَدْعَاهُ زُهْدًا فِيهِ . وقال مالك بن دينار :
- ١٠ إِنْ الْعَالِمُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنْ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْقَطْرُ عَنْ الصِّفَاءِ (١)
- ونحوه قولُ زياد : إِذَا نَجَّحَ الْكَلَامُ مِنَ الْقَلْبِ وَقَعَ فِي الْقَلْبِ ، وَإِذَا نَجَّحَ مِنَ اللِّسَانِ لَمْ يَجَاوِزِ الْآذَانَ .

- وقال : العلماءُ إِذَا عَلِمُوا يَمْلُؤُوا ، فَإِذَا عَمِلُوا شُغِلُوا ، فَإِذَا شُغِلُوا قُتِلُوا ، فَإِذَا قُتِلُوا طُلبُوا فَإِذَا طُلبُوا هَرَبُوا . قال الحسن : ما أَحْسَنَ الرَّجُلَ نَاطِقًا عَلِيمًا وَمُسْتَمَاعًا وَاعِيًا وَوَاعِيًا حَامِلًا . وقال ابن مسعود : إِنِّي لَأَحْسِبُ الرَّجُلَ يَتَنَسَّى الْعِلْمَ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا .
- ١٥ وقال ابن عباس : إِذَا تَرَكَ الْعَالِمُ قَوْلَ لَا أَدْرِي أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

إِذَا مَا تَحَدَّثْتُ فِي تَجَالِسٍ * تَتَاهَى حَدِيثِي إِلَى مَا عَلِمْتُ

وَلَمْ أَحْصِدْ عِلْمِي إِلَى غَيْرِهِ * وَكَانَ إِذَا مَا تَتَاهَى قَصَرْتُ

- ٢٠ (١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٦٩ طبعه يولاق) وفي الأصل : ” نهيف “ وظهر أنه تحريف . (٢) ورواية القندل القريد (ج ١ ص ٢١١) « اعمل بعلمى وإن قصرت عن عملى »
- وفي أدب الدنيا والدين « اعمل بقول ... » . (٣) الصفا جمع صفاة ، وهي الجمر الصفاة التي لا يثبت .

وقال آخر: ^(١)

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده * أطال فأملئ أم شأهي فأقصرا
ويخبرني عن غائب المرء فمُله * كفى الفعل عما غيب المرء مُحيرا

قال عمر بن الخطاب: لا أدركت لأنا ولا أنت زمانا يتفاير الناس فيه على العلم
كما يتفايرون على الأزواج . قال سلمان : علم لا يُقال به ككثرة لا يُنق منه .
وفي الحديث المرفوع : « العلم علمان علم في القلب فنلك العلم النافع وعلم على اللسان
فذلك حجة الله على ابن آدم » قال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء إلى شيء أحسن
من علم إلى علم ومن عفو إلى قدرة . قال أبو الدرداء : من زدد مسلما يزدد
وجعاً .

قال أفلاطون : لولا أنت في قول لا أعلم سبباً لأني أعلم قلت إنني لا أعلم .
وقال آخر : ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي بأنني لست أعلم .

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجل يدري ويدري أنه يدري فسلوه ،
ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذاك ناس فذكروه ، ورجل لا يدري ويدري أنه
لا يدري فذلك مسترشد فسلوه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك
جاهل فارفضوه .

كتب كسرى إلى بُزرجهر وهو في الحبس : كانت ثمرة عليك أن صرت بها
أهلاً للحبس والقتل ، فكتب إليه بُزرجهر : أما ما كان معي الجحد فقد كنت أتنفع
بثمرة العلم فالآن إذ لا جدّ فقد صرتُ أتنفع بثمرة الصبر مع أني إن كنتُ قد كنت كثير
الخير فقد استرحمت من كثير الشر .

قال بزرجمهر : من صلح له العمر صلح له التعلم . وقيل لبعض الحكماء :
أيحسن بالرجل أن يتعلم ؟ فقال : إن كانت الجهالة تهيج به فإك العلم يحسن به .
ويقال : التوعد زين العلم .

قال عمر بن الخطاب ^(١) : ما من غاشية أدم أرقا ، وأبطأ شيئا من عالم . قال
مالك بن دينار : من طلب العلم لنفسه فالفيل منه يكتنى ، ومن طلبه للناس
فخوائج الناس كثيرة .

قال إقراط : العلم كثير ، والعمر قصير ، والصنعة طويلة ، والزمان جديده ،
والتجربة خطأ .

قال المسيح عليه السلام : إلى متى تصفون الطريق للذين ، وأتم مقيمون مع
المشجرين ، إنما ينبغي من العلم القليل ، ومن العمل الكثير . قال سلمان : لو حدثت الناس
بكل ما أعلم لقالوا رحم الله قاتل سلمان . كان يقال : لا تقبل فيها لا تعلم فها تعلم .
وكان يقال : العلم قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون ، فإذا كان قائد بلا سائق بلدت
وإذا كان سائق بلا قائد ضللت يمينا وشمالا ، فإذا اجتمعا آتت طوطا وكرها . قال
أبو ب : لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يعرف الاختلاف . ويقال : غريزة
العقل أنى وما يستفاد من العلم ذكر ولن يصلح إلا معا .

قال المسيح عليه السلام : إن أبغض العلماء إلى الله رجل يحب الذكر بالمغيب ،
ويوسع له في المجالس ، ويدعى إلى الطعام ، وتفرغ له المزاول ^(٢) ، بحق أقول لكم : إن
أولئك قد أخذوا أجورهم في الدنيا ، وإن الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة .

(١) الفاشية : السؤال الذين يشركون بربك فضلك ومروفتك . (٢) وفي العقد الفريد
(ج ١ ص ١٩٨) : « وقد قالت الحكماء : العلم قائد والعقل سائق والنفس خرد فإن كان قائد بلا سائق
هلك ، وإن كان سائق بلا قائد أضلعت يمينا وشمالا وإذا اجتمعا آتت طوطا أو كرها » .
(٣) المزاول جمع منزه كثير وهو ماء الزاد .

لما دُلَّ زيد بن ثابت في قبره قال ابن عباس : من سرَّه أن يرى كيف ذهب العلمُ فهكنا ذهابُ العلم .

ويقال : إذا أردتَ المحبة من الله فكن طاملاً بكاهل . وقال بعض الشعراء في تَلَقُّي العلماء :

إذا تَلَقَّيْتُ الْفُيُوسُكُ^(١) وَأَزْدَحَمْتُ * فكيف حالُّ البُعُوضِ في الوَسْطِ

وقال ابن الرُّقاع :

ولقد أصبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَذَّةً * وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْخَطُوبِ شِدَادَهَا
وعلمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا * عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا
ويقال : أربعٌ لَا يَأْتِيَنَّ الشَّرِيفُ : قيامُهُ عن مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وقيامُهُ على قَرَسِهِ وإن كَانَ لَهُ مائَةٌ عِيْدٍ ، وخدمته الْعَالِمَ لِيَأْخُذَ مِنْ عِلْمِهِ .

قيل لِعَطَاءِ بْنِ مُصْعَبٍ : كَيْفَ ظَنَنْتَ عَلَى الْبَرَامِكَةِ وَعِنْدَهُمْ مَنْ هُوَ آدِبٌ مِنْكَ ؟
قال : لَيْسَ لِلْقُرْبَاءِ ظَرَفَةُ الْغُرَبَاءِ ، كُنْتُ بَعِيدَ الدَّارِ ، غَرِيبَ الْأَسْمِ ، عَظِيمَ الْكِبَرِ ، صَغِيرَ الْجُرْمِ ، كَثِيرَ الْإِتْيَاءِ ، شَمِيحًا بِالْإِمْلَاءِ ؛ فَقَرَّبَنِي إِلَيْهِمْ تَبَاعُدِي مِنْهُمْ ، وَرَغَبِي فِي رَغَبَتِي عَنْهُمْ .

قال أبو يعقوب الأنزلي^(٢) : تَلَقَّانِي سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فَقُلْتُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أَذْهَبُ لِمَلِّي أَسْمَعَ حَدِيثًا حَسَنًا ، ثُمَّ تَلَقَّانِي أَنَسُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ فَقُلْتُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : عِنْدِي حَدِيثٌ حَسَنٌ فَأَنَا أَطْلُبُ لَهُ إِنْسَانًا حَسَنَ الْفَهْمِ حَسَنَ الْإِسْتِمَاعِ ، قُلْتُ : حَدِّثْنِي بِهِ قَالَ : أَنْتَ حَسَنُ الْفَهْمِ سَيِّئُ الْإِسْتِمَاعِ ، وَمَا أَرَى لِهَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا إِسْمَاعِيلَ بْنَ غَزْوَانَ . وَقَالَ الطَّائِي فِي نَحْوِ هَذَا :

(١) جمع فِيل . (٢) هو إسماعيل بن حسان ويكنى أبا يعقوب الأنزلي [بالراء المهملة] كما ذكره المؤلف في كتابه «الشعر والنسب» (ص ٥٤٢) طبع مدنة «لندن» سنة ١٩١٢ م .

وَكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قُتُوجٍ * تَوَعَّضَهُ صَفُوحٌ مِنْ مَلُولٍ^(١)
فَصُرْتُ أَذَلَّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ * بِهِ قَفَرٌ إِلَى قَهْمٍ جَلِيلٍ

كان يقال : إذا أردت أن تكون علما فاقصد لثمن من العلم ، وإذا أردت أن تكون أدبيا فخذ من كل شيء أحسنه . قال إبراهيم بن المهدي :

- قد يُرْزَقُ المسرء لم تتعب رواجله * ويحرم الرزق من لم يؤت من تعب
مع أني واجد في الناس واحد * الرزق أروغ شيء عن ذوى الأدب
وسلّة ليس فيها من يخالفني * الرزق والتوك مقرّنان في سبب^(٢)
يا ثابت العقل كم طابت ذا حقي * الرزق أغرى به من لازم الجرب

قال أنوشروان اللويذ^(٣) : ما رأس الأشياء ؟ قال : الطبيعة النقية تكتفي من الأدب

- ١٠ براعته ، ومن العلم بالإشارة إليه ، وكما يذهب البئر في السباخ ضائعا ، كذلك الحكمة
تموت بموت الطبيعة ، وكما تغلب السباخ طيب البئر إلى العفن ، كذلك الحكمة^(٤)
تفسد عند غير أهلها ، قال كسرى : قد صدقت وبحق قلداك ما قلداك .

قال بعض السلف^(٥) : يكون في آخر الزمان علماء يزهدون في الدنيا ولا يزهدون ،
ويرغبون في الآخرة ولا يرغبون ، يتهون من غشيان الولادة ولا يتهون ، يقرّبون

- ١٥ (١) كذا في الأصل القنوغرافي ، وفي نسخة ديوان أبي تمام الخطبة المحفوظة بدار الكتب المصرية
رقم ١٠٦ أدب ص ٢٣٤ وفي ديوانه المطبوع : « عن جهول » .

(٢) كذا في المحاسن والأضداد لم يحاط : (ص ١٣٤ طبع مدينة لندن) واللب : الحبل .
وفي الأصل القنوغرافي : « نسب » .

(٣) اللويذ بضم الميم وفتح الباء ومنه اللويذان : قبة للفرس وما كم الجرس .

- ٢٠ (٤) السباخ جمع سبخة محركة ومسكة وهي الأرض ذات التراب والمخ .

(٥) في العقد القريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبع بولاق) « قال ضيق بن مريم طيب السلام سيكون... الخ » .

الأغنياء ويُباعِدون الفقراء، وَيَقْبِضُونَ عند الحُقَرَاءِ، وَيَبْسُطُونَ عند الكُبراء: ^(١)
أولئك الجَبَّارُونَ أعداءُ الرحمن. ^(٢)
نافع عن ابن عمر قال: العلم ثلاثة: كتاب ناطق؛ وسنة ماضية؛ ولا أدري.

الْكُتُبُ والحِفظ

حدثني إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني قريش بن أنس قال سمعت الخليل بن أحمد
يقول: اسلم من الوَحْدَةِ، قيل له: قد جاء في الوَحْدَةِ ما جاء، فقال: ما أفسدنا
للجاهل! قال بعض الشعراء في قوم يجمعون الكُتُبَ ولا يَمْلِكُونَ:
زَوَامِلٌ لِلْأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عَنْهُمْ * يَجِيئُهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَامِي ^(١)
لعمرك ما يَدْرِي الْمَطْلُ إِذَا غَدَا * بِأَحَالِهَا أَوْ رَاحَ مَا فِي الْفَرَائِجِ ^(٢)

قال يحيى بن خالد: الناس يَكْتُبُونَ أحسن ما يَسْمَعُونَ، ويَحْفَظُونَ أحسن ما يَكْتُبُونَ، ويَحْتَدِثُونَ بأحسن ما يَحْفَظُونَ. قال الشَّعْبِيُّ: لو أن رجلاً حَفِظَ ما نَسِيَتْ كَانَ طَالِمًا. وَوَصَفَ رَجُلٌ رَجُلًا فَقَالَ: كَانَ يَقْلُطُ فِي عَالِمِهِ مِنْ وَجْهِهِ أَرْبَعَةَ: يَسْمَعُ غَيْرَ مَا يُقَالُ لَهُ، وَيَحْفَظُ غَيْرَ مَا يَسْمَعُ، وَيَكْتُبُ غَيْرَ مَا يَحْفَظُ، وَيُحَدِّثُ غَيْرَ مَا يَكْتُبُ.

قيل لأبي نُوَاسٍ: قد بَسُتُوا إِلَى أَبِي عُيَيْنَةَ وَالْأَصْمَى لِيُجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ:
أَنَا أَبُو عُيَيْنَةَ لِأَن أَمْكَنَهُ مِنْ شُقرِهِ قَرَأَ عَلَيْهِمْ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ؛ وَأَمَّا الْأَصْمَى فَبُيِّلُ
فِي قَفْعِينَ يُطْرِبُهُمْ بِنَفْسَاتِهِ.

(١) في العقد الفريد «ويحدون» - (٢) في العقد الفريد «ويبسطون الكبراء، ويقبضون
عن الفقراء». - (٣) في العقد الفريد «أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن». - (٤) زوامل جمع
زائلة وهي التي يملح بها من الإيل ويقرها. - (٥) الفرائض جمع غرارة بالكسر وهي ما يعمل فيه التبن ويغوى.
(٦) الشقر صرد: الكلاب، وق المثل: «جاء بالشقر والبقر» أي جاء بالكلام المنير من زجده الصديق.

القرآن

حدثني الزياتي قال : حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون بيع المصاحف ويروونه عظيما ، وكانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم الغلمان شيئا .

- حدثني محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عليه السلام قال : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ؛ ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ؛ ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الرجحانة ريحها طيب وطعمها مر ؛ ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الخنظلة طعمها مر ولا ريح لها .

- 1- وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أمية وليث بن أبي سليم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسمأوا بالقرآن الى أرض المدنؤ فاني أخاف أن يتأله المدنؤ » .

حدثني أبو سفيان الثوري قال حدثنا حميد بن عمران الطلاف قال : حدثنا خزيمة

ابن أسد المري قال : كان سعيد بن المسيب يستفتح القراءة ب (بسم الله الرحمن الرحيم)

- 1- ويقول : إنها أول شيء كتبت في المصحف ، وأول الكتب ، وأول ما كتب به سليمان بن داود الى المرأة ^(١) .

(١) ورد في الأصل «أية» وهو تعريف لأن إسماعيل بن أمية المذكور عن روى عنه «أبو إسحاق

القرائي» ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق القزاعي أيضا فبينما ورد في الأصل أن «أبا إسحاق» هو المقصود في هذه الرواية راجع تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤)

ج ١٠ ص ٢١٥) . (٢) هي يفتيس بكسر الباء والفتاف : ملكة سبا وقصتها معروفة .

وحديثي أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعي قال : حدثنا رجل عن عمران بن حدير قال : قرأت على أعرابي آثر سورة « براءة » فقال : كان هذا من آثر ما نزل . قالوا : كيف ؟ قال : أرى أشياء تُقضى وعهوداً تُبَدُّ . قال : وقرأت عليه سورة الأحزاب . فقال : كأنها ليست بتاتقة .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عُيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قال ابن مسعود : (ح) دِياج القرآن ، قال : وزاد فيه مسعر ، قال عبد الله : اذا وقعت في آل (ح) وقعت في روضات دِمَنَات أَنَاتِقُ فِيمَن .

حدثني شيخ لنا عن الحارثي قال : حدثنا بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن الحسن قال : قرأ القرآن ثلاثة رجل آتخذه بِضَاعَةٌ يُنْقَلُهُ من مصر الى مصر ، يطلب به ماعند الناس ؛ وقوم حَفِظُوا حروفه ، وَضِعُوا حُدُودَهُ ، وَأَسْتَدْرُوا به الْوَلَاةَ ، وَأَسْتَطَالُوا به على أهل بلادهم — وقد كَثُرَ الله هذا الضَرْبُ في حَمَلَةِ القرآن لا كَثُرَهم الله —

ورجل قرأ القرآن قَبْدًا بما يَعْلَم من دَوَاء القرآن فَوَضَعه على دَاءِ قَلْبِهِ ، فَسَهَرَ لَيْلَهُ وَهَمَلَتْ عَيْنَاهُ ، تَسْرَبَلُوا الْخُشُوعَ ، وَأَرْتَكُوا بِالْحُزْنَ ، وَرَكَدُوا في محاريبهم ، وَجَثُوا في برائسهم ، فَبِهِمْ يَسْقَى الله الْغَيْثَ ، وَيُنْزِلُ النَّصْرَ ، وَيَرْفَعُ الْبَلَاءَ ، والله لَهَذَا الضَرْبُ

(١) هو مسعر بن كدام بن ظهير الحنظلي العامري الرقاسي ، أحد الأعلام (راجع تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١١٣) . (٢) في النهاية لأبْنِ الْأَثِير مادة « دمت » : إذا قرأت « آل حم الخ » . وفي مادة « أنق » : إذا وقعت في آل حم الخ . (٣) دَمَنَات : مهلة ليلية . (٤) بالمجعة والون آخره سين مهمله معضرا كذا في تهذيب التهذيب والتعريب والخلاصة . وفي الأصل « خنيس » بالمجعة في آخره وظاهر أنه تعريف . (٥) كذا في الأصل بواو الجماعة والمقام يقضي الأفراد لقوله : « ورجل قرأ القرآن ... الخ » وفي هذا ماورد في القند القريد (ج ١ ص ٢٠٩ مطبعة بولاق) ونصه : « ... ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليله وهملت عيناه وتسربل الخشوع وأرتدى القوار واستقصر الحزن وداقه ... الخ » . (٦) في الأصل : خثرا . (٧) البرانس جمع برنس بالضم وهو فلسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام ، وكل قريب رأسه ملتق به .

- في حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَقْلُ مِنَ الْكِبَرِيَّةِ الْأَحْمَرِ . رَوَى الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « كَتَبَ اللَّهُ فِيهِ خَبْرًا مَا قَبْلَكُمْ وَبَنَاءًا مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمًا مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْمَزَلِ هُوَ الَّذِي لَا تُزَيِّغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَشْجَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَتَخَلَّقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَقْضِي عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جِبَارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ آتَنَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ وَالَّذِي كَرَّ الْحَكِيمُ وَالْعَصْرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ » ؛ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ .

- الْحَارِثِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِقْوَلٍ عَنْ أَخِيهِ عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بِلِيلِهِ إِذَا النَّاسُ نَامُوا ، وَيُجِزُّهُ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ ، وَيَبْكَاةُ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ ؛ وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ عَلِيمًا حَكِيمًا لِيَا مُسْتَكِينًا .

- وَكِعٌ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ الْمَدِينِيِّ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَيْدٍ اللَّهِ بْنِ كَرِزٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ تَعْظِيمِ جَلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ وَإِكْرَامَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَإِكْرَامَ حَامِلِ الْقُرْآنِ » . قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (سَاصِرُونَ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) أَحْرِمُهُمْ فَهَمَّ الْقُرْآنُ .

- (١) رواية المقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبع بولاق) «حل» . (٢) ورد في الأصل ١٥ «معل» بالعين المهملة وهو تحريف - وسوايه بالمعجمة كما في التلخيص وتهليل التلخيص .
(٣) في الأصل «سكتيا» وما أثبتناه عن الإحياء (ج ١ ص ٢٦٠) طبع بولاق ، وجماعة الإحياء عن ابن مسعود «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بيله إذا الناس نامون ، وبهارة إذا الناس يفرطون ، ويجزته إذا الناس يفرحون ، ويبكاه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يفرحون ؛ ويجشوه إذا الناس يمتثلون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا عاريا ولا صايحا ولا محتجابا ولا حديدا» . (٤) ذكره ابن حبان في الضعيف وقال : كلما يجيء في الأخبار «كُرِّزَ» مرة ، يضم الكاف إلا هذا أه تهليل .

سَمِعَ أَعْرَابِيَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ قَرَأَ (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) قَال : وَاللَّهِ مَا أَهْنَمَهُمْ مِنْهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَهُمْ فِيهَا ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : خُذْنَاهَا مِنْ غَيْرِ قَبِيضَةٍ .

الحديث

٥ . حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ الشَّهِيدِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَبِيعَةَ يَجْعَلُ صَبِيَّانَ الْكُتَّابَ فَيُحَدِّثُهُمَا كَيْلَا يَنْسِيَ حَدِيثَهُ . وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الشَّهِيدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : قَالَ لِي حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَدَّثَنِي عَنْكَ بِحَدِيثٍ مَا بَالَيْتُ أَنْ أُرْوِيهِ عَنْكَ .

١٠ . حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَعْمَشِيِّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : أَلَفَ مِنْ أَلْفٍ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ عَنْ وَاحِدٍ إِنْ فَلَاحَ عَنْ فَلَاحٍ يَتَرَعَّ السَّنَةُ مِنْ أَيْدِيكُمْ . حَدَّثَنِي الرِّاشِيُّ قَالَ : رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُعْتَمِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُنْقَذٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : وَجَّحَ : رَحْمَةً .

١٥ . حَدَّثَنَا الرِّاشِيُّ قَالَ : رَوَى رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ ؛ قَالَ رَبِيعَةُ : ثُمَّ ذَا كَرْتُ سُهَيْلًا بِهَذَا الْحَدِيثِ فَلَمْ يَحْفَظْهُ ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَرْوِيهِ عَنِّي عَنْ نَفْسِهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَعْمَشِيِّ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ : كَانَ قَتَادَةُ إِذَا حَدَّثَ بِالْحَدِيثِ الْجَدِيدِ ثُمَّ ذَهَبَ يَحْيَى بِالثَّانِي غُلُوقًا .

بلغني عن ابن مهدي قال: سئل شعبة: من الذي يُترك حديثه؟ فقال: الذي يثبهم بالكذب، ومن تكثر بالغلط، ومن يخطئ في حديث يُجمع عليه فلا يثبهم نفسه ويقيم على غلطه، ورجل روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون.

وعن مالك أنه قال: لا يؤخذ العلم من أربعة: سفيه معان بالسفه، وصاحب هوى، ورجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تثبهم في الحديث، ورجل له فضل وتقف وصلاح لا يعرف ما يحدث.

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي أنه روى سفيان بن عيينة ^(١) قال: قليلك سفيان باغي سنة درست * ومُسْتَبْتِ أَثَارَاتِ وَأَثَارِ ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ومُبْتَغَى قُرْبِ إِسْنَادٍ وَمَوْعِظَةٍ * وَأَقْبِيُونَ مِنْ طَارٍ وَمِنْ طَارٍ أَمْسَتْ مَجَالِسُهُ وَحَشًا مَعْطَلَةٌ * مِنْ قَاطِنِينَ وَجُحَّاجٍ وَنَحَّارٍ ^(٦) ^(٧) مَنْ لَحِثَ عَنْ الزُّهْرِيِّ حِينَ تَوَى * وَأَوَّلَ أَحَادِيثَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ لَوْ يَسْمَعُونَ بَعْدَهُ مَنْ قَالَ حَلَسْنَا الزُّهْرِيَّ مِنْ أَهْلِ بَلَاءٍ أَوْ بِأَحْضَارٍ لَا يَهْتَأُ الشَّامِتُ الْمَسْرُورَ مَصْرَعَهُ * مِنْ مَارِقِينَ وَمِنْ مُجَادِ أَفْئَادٍ

- (١) قال ابن خلكان: كان إماماً عالماً بجمعاً زاهداً ورعاً مجتهداً على صحة حديثه وروايته؛ توفي آخر يوم من جمادى الآخرة سنة ١٩٨ هـ. (٢) المستبْت: الفقير، والمراد به هنا الطالب. (٣) جمع أَثَارَةٍ وهي البقية من العلم تَوَرَّى. (٤) جمع أَثَرٍ وهو التبر. (٥) أَقْبِيُونَ جمع أَقْبَى أَرَأَيْتَ (صفة إلى الآفاق أو إلى الألق). (٦) هو أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والحدّثين والأعلام التابعين بالمدينة رأى عشرة من الصحابة وروى عنه جماعة من الأئمة، منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري، توفي سنة ١٢٤ هـ لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان (راجع ابن خلكان). (٧) هو عمرو بن دينار المكي، كان من أشدّ الناس إيماناً بالحديث روى عن ابن عباس وابن الزبير وأبي هريرة؛ توفي سنة ١٢٥ هـ أو ١٢٦ هـ.

وَمِنْ زَادِقَةٍ ، جَهْمٌ يَقُودُهُمْ * قَوْدًا إِلَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ وَالنَّارِ
وَمُؤَلِّمِينَ وَمُرَاتِينَ قَدْ خَلَطُوا * بِسُنَّةِ اللَّهِ أَهْتَارًا بِأَهْتَارِ^(٢١)

وقال آخر في مالك بن أنس الفقيه :

يَأْتِي الْجَوَابَ فَأُرَاجِعُ هَيْئَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِرُ الْأَذْقَانِ
هَذِي الْقِتَّةُ وَعِزُّ سُلْطَانِ الْقِتَّةِ * فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا محمد بن سوار قال حدثنا هشام بن حسان قال :
كان الحسن يحدثنا اليوم بالحديث ويرده ألفد ويريد فيه ويتقص إلا أن المعنى
واحد .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال :
قال حذيفة بن اليمان : إنا قوم عرب فنفسم وقور وزيد ونقص ، ولا نريد
بذلك كذبا .

أبو معاوية قال : قال أبو إسحاق الشامي : لو كان هذا الحديث من الخبر نقص .
أبو أسامة قال : قال مسعر : من أبغضني ففعله الله عذنا . أبو معاوية قال :
سمعت الأعمش يقول : والله لأن أتصلق بكثرة أحب إلى من أن أخلص
بستين حديثا .

أبو أسامة قال : سمعت سُفْيَانَ يَقُولُ : لَوِ دِدْتُ أَنَّهَا قُطِعَتْ مِنْ هَامِي ، وَأَوْثَمَا
إِلَى النَّكَبِ ، وَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ شَيْئًا .

(١) هو جهم بن مغوان صاحب البهية وهو من الجيرة الخالصة ظهرت بدعه برمه وقتله سالم
ابن أسود المازني يروي في آخر ملك بن أمية ورواه الحرة في نفي الصفات الأتلية وزاد عليهم بأشياء ذكرها
الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٦٠) -
(٢) جمع قروحه السقط .

قال ابن عيينة : ما أحب لمن أحب أن يكون أحفظ الناس للحديث . قال بعضهم : إني لأسمع الحديث عطلاً فأشقه وأقرطه وأقلده فيحسن ، وما زدت فيه معنى ، ولا نقصت منه معنى .

أبو أسامة قال : سأل حفص بن غياث الأعمش عن إسناده حديثاً فأخذ يحلقه وأسنده إلى الحافظ وقال : هذا إسناده .

وحدث ابن السكك بحديث قال له رجل : ما إسناده ؟ فقال : هو من المرسلات عرفاً . وحدث الحسن بحديث قال له رجل : يا أبا سعيد ، عن قال وما يصنع بعمن ؟ أما أنت فقد نالتك موعظته ، وقامت عليك حجته .

يعلی قال : قال الأعمش : إذا رأيت الشيخ لم يطلب الفقه أجبت أن أضيقه .

ابن عيينة قال : قال الأعمش : لولا تعلم هذه الأحاديث كنت كعوض بقال الصكوفة .

ازدحم الناس يوماً على باب ابن عيينة أيام المومم وبالقرب منه رجل من حاج نراسان قد حط بحمله فديس وكثير ما كان معه وأتتبه كهك وسوقه ، فقام يسير إلى مسفيان ويلعب ويقول : إني لا أحل لك ما صنعت ؛ فقال مسفيان : ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا في السماع رحك الله .

أفسدني أبو حاتم عن الأصمعي للعلاء بن المهال النخوي في شريك :^(١)

(١) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي . تول القضاء بالكوفة أيام المهدي ثم عزله موسى الهادي ، وكان عالماً قتيماً فهما ذكياً فظلاً . توفي سنة ١٧٧ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ١٧٢ طبعه باريس سنة ١٨٢٨) . وقد ورد هذان البيتان مع أبيات أخرى للمال في شريك أيضاً في المجلد الأول من هذا الكتاب (ص ٦٧ و ٦٨) .

(١١) لَيْتَ أَبَا شَرِيكَ كَانَ حَيًّا * فَيُقَصِّرَ حِينَ يُبْصِرُهُ شَرِيكَ
وَيَتَرَكَ مِنْ تَذْرِيهِ طِينًا * إِذَا قَلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَا
وقال آخر :

تَحْزَنُ سَفِيَانٌ وَفَرُّ بَدِينِهِ * وَأَمْسَى شَرِيكَ مُرْصَدًا لِلدَّرَاهِمِ
وقال آخر في شهر بن حوشب :

لَقَدْ بَاعَ شَهْرُ دِينِهِ بِخَرِيطةٍ * فَمَنْ يَأْمَنُ الْقِتْرَاءَ بِعَدِكَ يَا شَهْرُ

وذلك أنه كان دخل بيت المال فسرَقَ خَرِيطةً، ورافق رجلا من أهل الشام
فسرَقَ حِقَّتَهُ . وقال ابن مَظَرٍ (١٢) :

(١) هكذا وردت في الأصل، وفي اللسان (ج ١ ص ٦٦) و(ج ٢٠ ص ٧١) ووردت في المجلد
الأول من هذا الكتاب (ص ٦٨) : « غليت » .

(٢) في الأصل : « تَذْرِيهِ » بإدخال الحسبة والياء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان
(ج ١ ص ٦٦ و ج ٢٠ ص ٧١ و ٧٢) وجاء في اللسان (ج ١ ص ٦٦) « قال ابن سيده : إنما أراد
من تذرته (أي من تلاوهه وتكرره) فأبدل الهزنة إيدالا مصححا حتى جعلها كأن موضوعها الياء وكسر الراء المجاورة
هذه الياء المبدلة كما كان يكسرهما لو أنها في موضوعها حرف حلة كقولك : تقضيا وتعلميا ، ولو قال : من
تذرته لكان مصححا ، لأن قوله : تذرته مفاطن ؛ قال : ولا أدري لما فعل اللغاة هذا مع تمام الوزن
وخلوص كثرته من هذا البديل الذي لا يجوز مثله إلا في الشعر ، اللهم إلا أن يكون اللغاة هذا
لغته البديل » .

(٣) في شرح القاموس مادة « تذر » ماضيه : « وأبن متاذر بالفتح ممنوع من الصرف ويضم فيصرف
قال الجوهري : هو محمد بن متاذر شاعر بصري فن ضح الميم منه لم يصرفه ويقول إنه جمع متذر لأنه محمد
ابن المنذر بن المنذر من ماضيه صرفه » اهـ . وقد ورد ما ذكرناه بالغيم لآخر فقد جاء في معجم
البديعيات لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة « ليدن ») ماضيه : « ذكر المبرد أن محمد بن متاذر
الشاعر كان إذا قيل ابن متاذر ففتح الميم يفتضب ويقول أمتاذر الكبير أم متاذر الصغير وهي كورتان من
كبر الأرواح ، إنما هو متاذر على وزن مفاعل من تاذر تاذر فهو متاذر مثل ضارب فهو مضارب » وقد ورد
في المتن في أسماء الرجال للذهبي (ص ٤٥٧ طبع مدينة ليدن) بالغيم أيضا .

ومن يبيع الوصاة فإن عندي * وصاة للكهول وللشباب
خُدوا عن مالك وعن ابن عَوْنٍ * ولا تزروا أحاديث ابن دَابِ

عبد العزيز بن أبان عن سُفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال : طلبنا هذا الأمر
وما لنا فيه نية ، ثم إنَّ النية جاءت بعدد ؛ فقال سُفيان : قال زيد بن أسلم : رأيتم
رجلا مَدْرَجَ له فقال : اقطعوها سوف أجبرها . قيل لرقبة : ما أكثر شكك ! قال :
• عمامة عن اليقين . وقال بعضهم : سأل سُعبةُ أيوب السَّخَّيَّانِي عن حديث فقال :
أنا أشك ، فيه قال : شكك أحب إلى من يقين سبعة .

حدثني زيد بن أنس قال : سمعت عبد الله بن داود يقول : رأيت الاعمش يضم
كفيه ثم يضرب بهما صدره ويقول : اسكن .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثني بعض الرواة قال : قلت للشرقي بن
قُطَيْمَى : ما كانت العرب تقول في صلاحها على موتها ؟ فقال : لا أدري ، فأَكْثِب
له ، قلت : كانوا يقولون :

ما كنت وَكْوَكَاً ولا زَرْوَنَك * رُوَيْدَكَ حَتَّى يَبْعَثَ الْحَقُّ إِهْنَهُ

وَوَكْوَكَ : غليظ ، وزَوَنَك : قصير ، قال : فإذا أنا به يُحَدِّثُ به في المقصورة يوم
الجمعة ؛ قال أبو نُوَاس :

(١) ابن داب الذي قصده الشاعر هو عيسى بن زيد كان يضع الحديث بالمدينة كما في تهذيب التهذيب
(ج ٩ ص ١٥٣) طبع الهند واستشهد بالبيت .

(٢) في الأصل «لشرقي بن القطامي» وما أئتمناه من المتن للهي وشرح القاموس واللامعة .

(٣) ورد هذا البيت في لسان العرب في مادة «زلك» هكذا :

ولست يوحى بكرك ولا بزرك * بكرك حتى يبعث الحق بأحو
٢٠

حدثني الأزرقي المحدث عن * عمرو بن شمر عن ابن مسعود^(١)

لا يُخْلِفُ الوعدَ غيرَ كافرٍ * وكافرٍ في الجحيمِ مَصْفُودٍ^(٢)

حدثني مهيار قال : حدثني هُدْبَةُ بن عبد الوهاب عن شقيق البلخي أنه أطرى

يوماً أبا حنيفة رحمه الله بمرو فقال له علي بن إسحاق : لا تُطْرِهِ بمرو فإنهم لا يحتملون

ذلك ؛ فقال شقيق : قد مدحه سُساوِرُ الشاعر فقال :

إذا ما الناسُ يوماً قَايَسُونَا * بِأَيِّدٍ مِنَ الْفِتْيَا ظَرِيفَةٍ

أَتَيْنَاهُمْ بِمُقْيَاسٍ صَحِيحٍ * تَلَادٍ مِنْ طِرَازِ أَبِي حَنِيفَةٍ

إذا سَمِعَ الْفَقِيهَ بها وعَاطَا * وَأَثْبَتَهَا بِحُسْبٍ فِي صَحِيفَةٍ

فقال له : قد أجابه بعض أصحابنا :

إذا ذُو الرُّأْيِ خَاصَمَ فِي قِيَاسٍ * وَجَاءَ بِبَلَدَةٍ هَنَةٍ ضَعِيفَةٍ

أَتَيْنَاهُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِيهَا * وَأَخَارَ مَبْرُزَةٍ شَرِيفَةٍ

فَكَمْ مِنْ قَرْجٍ مُحْصَنَةٍ عَفِيفٍ * أَحَلَّ حَرَامُهُ بِأَبِي حَنِيفَةٍ

أَقَالَ أَبُو حَنِيفَةٍ بِنْتَ صُلَيْبٍ * تَكُونُ مِنَ الزَّانِعَاتِ مَا صَحِيفَةٍ

سَمِعَ رَجُلٌ مُنَادِيًا يُنَادِي : مَنْ يَدُلُّنَا عَلَى شَيْخٍ ضَلَّ ؟ قال : ما سمعتُ كالِيومَ

شَيْخٌ يُنَادِي عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى يَسْرِ الْمَرْبِيعِيِّ قَالَ : هَذَا شَيْخٌ ضَالٌّ تَخَذُ بِيَدِهِ ؛

وَكَانَ يَسْرُ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقِرَاقِ .

الأهواء والكلام في الدين

قال المأمون يوماً لعلي بن موسى الرضى عليهما السلام : بم تدعون هذا الأمر ؟

قال : بقرابة علي من النبي صلى الله عليه وسلم ، وبقرابة فاطمة رضى الله عنها ؛ فقال

(١) لم نجد هذين البيتين في ديوانه الملبوع بمصر سنة ١٨٩٨ م (٢) كذا في الأصل يعني

«جاسده» ولعلها «خافره» لأن التقريب معناه قضى العهد والتدر به وهو يفتي والسياتي .

المأمون : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة فني خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته مَنْ هو أقرب إليه من عليٍّ، وَمَنْ هو في القرابة مثلهُ ؛ وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله ، فإنَّ الحقَّ بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلِّي في هذا الأمر حقٌّ وهما حيَّان ؛ وإذا كان الأمر على ذلك ، فإن عليًّا قد أبرَّهما جميعاً وهما حيَّان صحيحان ، وأستولى عليٌّ على ما لا يجبُ له ؛ فإِ أَسَارُ عليٍّ بن موسى نطقاً .

حدثنا الرِّياشي قال سمعت الأصمعيَّ ينشد :

وإِنِّي لَأَغْنِي النَّاسَ عَنْ مُتَكَلِّمٍ * يَرَى النَّاسَ ضُلَّالًا وَلَيْسَ يُبْهَتَدَى
وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا الرِّياشي :

وعاجزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِقُرْصَتِهِ * حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ حَاتَبَ الْقَدَرَا

وقال آخر :

إِذَا عَصِرُوا قَالُوا مَقَادِيرُ قَدَرْتُ * وَمَا الْعَارُ إِلَّا مَا تَجَرُّ الْمَقَادِيرُ

وَأُنْشِدُنِي مَهَلٌ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ :

يَا أَيُّهَا الْمُضْمِرُ هُمَا لَا تُهْمُ * إِنَّكَ إِنْ تُهَدَّرَكَ الْحَيُّ تُهْمُ
وَلَوْ غَدَوْتَ شَاهِقًا مِنَ الْعِلْمِ * كَيْفَ تَوَقَّيْكَ وَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ

وَأُنْشِدُنِي فِيهِ :

هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلْتُسْنِي أَوْ قَنَرِ * إِنْ كُنْتُ أَخْطَا تُفْأَخُطُ فَمَا أَخْطَا الْقَدَرُ

قال أبو يوسف : مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلامِ تَزَلَّتْ ، وَمَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمِيَاءِ أَفْلَسَ ، وَمَنْ طَلَبَ غُرَائِبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ . كان مُسْلِمٌ بْنُ أَبِي مَرْيَمٍ - وهو

(١) ما أَسَارَ نطقاً : مارة جواباً .

(٢) العلم : الجليل ، والشايق : ما أَرَضَعَ مَه .

مَوْتٌ لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ حُمِلَ عَنْهُ الْحَنِيئُ — شَدِيدًا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ ^(١)، عَائِبًا لَمْ وَلَكُلَا لَهُمْ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ فَتَرَكَهَا وَلَمْ يَجْبُرْهَا، فَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : يَكْبُرُهَا هُوَ وَأَجْبُرُهَا أَنَا ! لَقَدْ عَانَدْتَهُ إِنَّا . قَالَ رَجُلٌ لِهِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ : أَتَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَعِندَهُ كَلَفْنَا مَا لَا نُنْطِيقُ ثُمَّ يَدْبُنَا ؟ فَقَالَ هِشَامُ : قَدْ وَافَقَهُ فَعَلَّ ، وَلَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكَلِّمَ .

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ : صَاحَبَ رَجُلٌ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ مَجُوسِيًّا فِي سَفَرٍ فَقَالَ لَهُ الْقَدَرِيُّ : يَا مَجُوسِيَّ ، مَا لَكَ لَا تُسَلِّمُ ؟ قَالَ : حَتَّى يَشَاءَ اللَّهُ ! قَالَ : قَدْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْعُكَ، قَالَ الْمَجُوسِيُّ : فَأَنَا مَعَ أَهْوَاؤِهِ .

اجْتَمَعَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ وَعُمَرُو بْنُ حَبِيدٍ فَقَالَ عُمَرُو : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَ وَعَدًا وَأَوْعَدَ لِمَاعَادَا وَإِنَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمْرٍو : أَنْتَ أَتَعْمُ ! لَا أَقُولُ إِنَّكَ أَتَعْمُ اللِّسَانَ ، وَلَكِنَّكَ أَتَعْمُ الْقَلْبَ ! أَمَا تَعْلَمُ ، وَيَحْكُ ! أَنَّ الْعَرَبَ تَعْسُدُ بِإِنْجَازِ الْوَعْدِ مَكْرُومَةً ، وَتَرْكُ الْإِيفَاعِ الْوَعِيدِ مَكْرُومَةً ؟ ثُمَّ أُنْشَدَهُ :

وَيْئًا وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ * تَخْلِفُ لِصَادِي وَمُنْجِزٌ مَوْعِدِي ^(٢)

(١) فِي الْأَمَلِ : « تَشْدِيدًا » . (٢) الْقَدَرِيَّةُ — عَمْرُؤُ — جَاهِدُوا الْقَدْرَ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَوْقُودَةٌ . قَالَ بَعْضُ مُتَكَلِّمِيهِمْ : لَا يَلِزُنَا هَذَا الْقَلْبُ لِأَنَّا نَتَنَبَّأُ الْقَدْرَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ أَتَمِّهِ فَوَاقِدُ بِهِ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَهَذَا تَوْبِيحٌ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ يَنْهَوْنَ الْقَدْرَ لِأَقْسَمِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ قَدَرِيَّةٌ (رَاجِعْ شَرْحَ الْقَامُوسِ) . (٣) فِي الْعَقْدِ الْقَرِيدِ (ج ١ ص ٢٥٥) « إِنَّ أَذْنَ اللَّهِ عَلَ كُلِّ ذَاكَ كَانَتْ » وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَثَلَةُ فِي حَدِيثِ جَرَى بَيْنَ عُمَرُو بْنِ عَبْدِ وَبَيْنَ مَجُوسِيٍّ رَكِبَ مَعَ صَفِيَّةٍ بَصِيْفَةٍ تَخَافُ بَعْضَ الْخَافَةِ مَا هِيَ وَبِأَنَّ الْعَقْدَ الْقَرِيدَ (رَاجِعْ ص ٥١ مِنَ الْمَجْمُوعَةِ وَفِي ٣٥٢ تَوْحِيدَ بَدَارِ الْكَلْبِ الْمَصْرِعَةِ) .

(٤) حَادِثَةُ كِتَابِ الْمَنِيَّةِ وَالْأَمَلِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْمَالِ وَالنَّصْلِ (ص ٤٧ طَبْعَةُ دَارَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ . بِمَجْدَرِآبَد) وَرَوَى أَنَّ أَبَا حُلٍّ [الْجَلْبَانِيُّ] فَاطَرَ بَعْضِهِمْ فِي الْإِرْبَاءِ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالزَّيْبِرَ حَاضِرَانِ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ لَقِيَ عُمَرُو بْنَ عَبْدِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَيَّانَ، إِنَّكَ أَتَعْمِيَّ ، وَلَسْتُ بِأَتَعْمِيَّ اللِّسَانَ، وَلَكِنَّكَ أَتَعْمِيَّ الْقَلْبَ، إِنَّ الْعَرَبَ إِذَا وَعَدَتْ أَتَمَّتْ وَإِذَا أَوْعَدَتْ أَخْلَفَتْ ؟ فَأَنْشَدَ : =

حبيب بن الشهيد قال : قال إياس بن معاوية ^(١) : ما كنتُ أحدًا يعقلُ كله إلا صاحبَ القدر ^(٢) ؛ قلت : ما الظلمُ في كلام العرب ؟ قال : هو أن يأخذ الرجل ما ليس له ؛ قلت : فإن الله له كلُّ شيء .

وفي كتاب للهند : اليقينُ بالقدر لا يمنعُ الحازمَ توفّي الممالك ، وليس على أحدٍ النظرُ في القدرِ المُغيَّب ، ولكن عليه العمل بالحزم ، ونحن نجمعُ تصديقًا بالقدر وأخذًا بالحزم .

حدثني خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شَيْبَانَةُ بْنُ سَوَّارٍ قال : سَمِعْتُ رجلاً من الرافضة يقول : رَحِمَ الله أبا لؤلؤة ! قُلت : تترحم على رجلٍ يُجوسى قتلَ عمرَ ابنِ الخطَّابِ رضي الله عنه ! فقال : كانت طعنته لعمرَ إسلامه .

== وإبراهيم بن أحمد الخاليت ، قال أبوعل : إن أبا عثمان أجاب به المسكت ، قاله : إن الشاعر قد يكذب ويصدق ، ولكن حدثني عن قول الله تعالى عن رجل : (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) إن ملأها أهول صدق ؟ قال : نعم ، قال : فإن لم يملأها أهول صدق ؟ فسكت أبو حنيفة . (١) هو الذي يضرب به المثل في القدحاء ، توفي رحمه الله سنة ١٢٢ هـ . (٢) عبارة القصد القريد : « كنتُ الفرقُ كلها يعض على ، وكلتُ القديري يعقلُ كله ، قلت له : دعوكم فها ليس لك ظلم ما . قال : نعم ، قلت : فان الأمر كله » .

١٥ . (٣) الرافضة : فرقة من الشيعة بإسراء زيد بن علي ثم قالوا له : تسمي من الشيعة ، فأبى وقال : كانوا وزيرى جدى . فركوه ورفضوه ؛ قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٢٩٩ هـ في كتابه « الفرق بين الفرق » (ص ٢٥ طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) ما قصه : « كان زيد بن علي قد باه به على إمامه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة » وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على الرافعين ، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له : إننا نتصرك على أمدائك بعد أن نخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين طلبا جثتك على بن أبي طالب . فقال زيد : إني لا أقول فيها إلا خيرا ، وما سمعت أبي يقول فيها إلا خيرا ، وإنا خرجت على بن أبي النبي فأتانا جدى الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم دوا بيت الله بصبر المتجنيق والنار ، فأوروه عند ذلك حتى قال لهم : رفضتموني ، ومن يرفض سموا رافضة » .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا الأصمعي قال أخبرني عاصم بن محمد
العمري قال: كنت جالسا عند أمير من أمراء المدينة فأتني برجل ستم أبا بكر وعمر
فأسلمه حجما حتى حقيق .

وقال بعض شعراء الرافضة في محمد بن الحنفية ^(١) :

ألا قل للوصي قدتكم همي * أطلت بذلك الجبل المقام ^(٢)
أضر بمعشر وألوك منا * وسوء الخليفة والإماما
وطادوا فيك أهل الأرض طرا * مقامك عنهم ستم عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمورق شعب رضوى * تراجمه الملائكة الكلاما ^(٣)

وقال كثير عزة فيه وكان رافضيا يقول بالرجعة :

آلا إن الأئمة من قريش * ولأه الحق أربعة سواء
على الثلاثة من بينه * هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسيبسط ميسط إيمان ور * وسيبسط غيبته ككر بلاه

(١) هو السيد المجري . كما ذكر صاحب الأغاني (راجع ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) . (٢) هو

أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والحنفية أمه ، وهي خولة بنت جعفر بن قيس ، وقيل
بل كانت من سبي الإمامة وصارت الى علي ، وقيل بل كانت سندية سوادا وكانت أمة لبي سينة ولم تكن
منهم ، الى آخر ما ذكر ابن خلكان ، توفي رحمه الله في أول الحزم سنة ١٨١ هـ وقيل ١٨٣ هـ ودفن
بالقيح ، وقيل دفن ببلاد أيلة . (٣) هو سبيل رضوى ، وكان قوم من القائلين بإمامة محمد بن الحنفية
يزعمون أنه حي لم يموت وأنه في جبل رضوى وصده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه ، وعن
يحيى أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائهم الى وقت خروجه (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧) .

(٤) كذا في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) والفرق بين الفرق (ص ٣٠) . وفي الأصل : « وادرك » .

(٥) كذا في الأصل ، ومنه في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) وفي الفرق بين الفرق : « بجري » .

(٦) في الأصل « الكراما » وما أئنفاه عن الأغاني .

وَيَسْبِطُ لَا يُلْطِقُ الْمَوْتَ حَتَّى * يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْتُلُهَا اللَّوَاءُ
تَغِيبُ - لَا يَرَى - عَنْهُمْ زَمَانًا * رَضَوِي عَنْهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ

وهم يذكرون أنه دخل شعباً باليمن في أربعين من أصحابه فلم ير لهم أثر.

قال طلحة بن مصرف لرجل : لولا أني على وضوءٍ لأخبرتك بما هول الشيعة .

قال هارون بن سعد السجستاني وكان رأس الزيدية :

أَلَمْ تَرَ أَنَا الرَّاغِبِينَ تَهْرَقُوا * فَكُلُّهُمْ فِي جَعْفَرٍ قَال مُنْكَرًا
فَطَافَتْهُ قَالُوا إِلَهُ^(١) وَمِنْهُمْ * طَوَائِفُ سَمَتْهُ النَّبِيُّ الْمُطَهَّرَا
فَإِنْ كَانَ يَرْضَى مَا يَقُولُونَ جَعْفَرُ * فَإِنِّي إِلَى رَبِّي أَفَارِقُ جَعْفَرَا
وَمَنْ تَعَجِبَ لَمْ أَقْضِهِ جِلْدَ جَعْفَرِهِمْ * بَرِّتْ إِلَى الرَّحْمَنِ مِمَّنْ تَجْعَفُرَا
بَرِّتْ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ رَافِضٍ * بَصِيرِ بَابِ الْكُفْرِ، فِي الدِّينِ أَعُورَا
إِنَّا كَفَّ أَهْلَ الْحَقِّ عَنْ دِلْعَةِ مَضَى * عَلَيْهِا وَإِنْ يَمْضُوا عَلَى الْحَقِّ قَصْرَا
وَلَوْ قَالَ إِنَّ الْفِيلَ ضَبَّ لَصَبَّحُوا * وَلَوْ قَالَ زَيْجِي تَحُولُ أَحْمَرَا
وَأَخْلَفَ مِنْ بَوْلِ الْبَعِيرِ فَإِنَّهُ * إِذَا هُوَ لِلْإِقْبَالِ وَجْهٌ أَدْبَرَا
فَقَبَّحَ أَقْوَامٌ رَمَوْهُ بِفِرْيَةٍ * كَمَا قَالَ فِي عِيْسَى الْفَرَى مِنْ تَنْصَرَا^(٢)

- ١٥ (١) في الأصل «إمام» وما أُنْبِئناه عن كتاب «الفرق بين الفرق» ويتأصل له بما جاء في كتاب المال والنحل للشهرستاني (ص ١٣٦) طبع ليصبح سنة ١٩٢٤ م : «زعم أبو الخطاب (محمد بن أبي زينب الأجلع) أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال يألهة جعفر بن محمد وآلهة آبائهم وهم أبناء الله وأحباؤه» .
(٢) في كتاب «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣٩) «ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفرا الصادق قد أودعهم جلدًا فيه لم كل ما يحتاجون إليه من الغيب ومما ذكك الله جعفرا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم» اهـ .

(٣) في الأصل «قول» ولعله تحريف من التامع .

(٤) وفي الأصل «بقرية» وهو تحريف .

سمعت بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل للشعر، فإنه قال يوما : ما سمعتُ بالكذب من بني تميم ! زعموا أن قولَ القائل :
 بيتٌ، زُرارةٌ مُحْتَبٌ بِفَنَانِهِ * وَجَبَّاحٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ
 إنما هو في رجال منهم ؛ قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله ، وزُرارة
 الحجر ؛ قيل له : فجبَّاح ؟ قال : زمزم جَشِعت بالماء ؛ قيل له : فأبو الفوارس ؟
 قال : أبو قيس ؛ قيل : فهشَل ؟ قال : نهشل أشدَّ ، وفكر ساعة ثم قال : نعم ،
 نهشل ! مصباح الكعبة طويلٌ أسودُ فذاك نهشل ! .

قال أحنى همدان يذكر قتل الرافضة الناس :

إِذَا بَرَّتْ فِي عَجَلٍ فَمِرْفَى صَحَابَةٍ * وَكُنْدَةٌ فَاحْذَرُهَا حَذَارَكَ لِحْصِفٍ
 وَفِي شَيْبَةِ الْأَعْمَى زِيَادٌ وَغَيْلَةٌ * وَلَسْبُ وَإِعْمَالٌ لِحَنْدَلَةِ الْقَدِيفِ
 الأعمى هو المنيرة . وزِيَادٌ يعني الخلق . وَاللَّسْبُ : السِّمُّ ؛ وإِعْمَالٌ لِحَنْدَلَةِ الْقَدِيفِ :
 يريد رَحْمَتَهُمْ رَمَوْسَ النَّاسِ بِالْمُجَاهَرَةِ . ثم قال :

- (١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) وردت هذه العبارة باختلاف في كثير من الألفاظ
 ثبتها هنا لوضوحها ، ونصها : « قال الشعبي : ما سمعت تأويل الرافض في القرآن إلا بتأويل رجل
 مضبوط من بني مخزوم من أهل مكة وجده قاعدا بفناء الكعبة ، فقال الشعبي : ما عندك في تأويل هذا
 البيت ؟ فإن بني تميم يظنون فيه يزعمون أنه ما قيل في رجل منهم وهو قول الشاعر (ورواه هكذا) :
 بيتا زُرارةٌ مُحْتَبٌ بِفَنَانِهِ * وَجَبَّاحٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ
 (وظاهر تحريفه) قتل له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هذا البيت ، وأشار بيده إلى الكعبة .
 وزُرارة : الحجر نَزَدَ حول البيت ؛ قتل له : فجبَّاح ؟ قال : زمزم جَشِعت بالماء . قلت : فأبو الفوارس ؟
 قال : هو أبو قيس جبل مكة . قلت : فهشَل ؟ فتركه طويلا ثم قال : أصعبه ، هو مصباح الكعبة
 طويل أسود وهو النهشل . (٢) الاحتباب هو أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به
 مع ظهره ويثبت عليه . (٣) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل « الجبي » وهو تحريف .
 (٤) في أب الحيوان لجامح (ج ٦ ص ١٢٩) « خنثان » . (٥) يقال : قتله غيلة إذا خدعه
 فذهب به إلى موضع قتله .

وكلهم شر على أن رأسهم * حميدة والميلاء حاضنة الكيسف

والكيسف هذا هو أبو منصور، سمي بذلك لأنه قال لأصحابه: في نزل: (وإن يروا كسفا من السماء ساقطاً) وكان يدين بجنح الناس وقتلهم. ثم قال: متى كنت في حبي بجيلة فاستمع. فلما لم قصفا يدل على حثيف كان المغيرة بجيلة موثق لهم

إذا أعتروا يوما على قتل زائر * تملأوا طيه بالنباح وبالعرف
وكان ابن عينة يفسد:

إذا ما مررتك العيش * فلا تأخذ على كنة

يريد أن الخناقين من المنصورة أكثرهم بالكوفة من كنة، منهم أبو قطبة

الخناق.

١٠

(١) في الأصل «رأس» وما أئنتاه عن كتاب الحيوان لملاحظ (ج ٦ ص ١٣٠). (٢) حميدة كانت من أصحاب ليل الناعلة ولما راسه في الناعلة (القرة الزايدة من مذهب الشيعة) والناعلة هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجهم من حدود الخلقية وحكوا فيهم بأحكام الإلمية. (راجع المل والنعل ص ١٣٢ طبع ليسج، والحيوان ج ٦ ص ١٣٠، ومفاتيح العلوم للوارزي ص ٣٠ طبع أوربا).

(٣) الميلاء حاضنة أبي منصور البعل صاحب المنصورة الذين استملوا حتى تحالفهم. (٤) هو أبو منصور البعل أحد الذين أذكروا الإمامة، وزعم أنه خرج به إلى الساء وراى معبوده فسبح بيده رأسه وقال له: يا بني، انزل فبلغ حتى، ثم أهبطه إلى الأرض، فهو الكسف الباسق من الساء. وقد وقف يوسف بن عمر الثقفي والى العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصته ونبئت دعوته فأخذته وصلبه (راجع المل والنعل ص ١٣٦). (٥) قال صاحب كتاب الحيوان (ج ٦ ص ١٣٠): «وذلك أن الخناقين

لا يسيرون إلا ما ولا يقيمون في الأمصار إلا كلك، فإذا مزم أهل دار مل حتى إنسان كانت السلامة بينهم القرب على دق أو طيل على ما يكون في دور الناس، وعندهم كلاب مرتيلة، فإذا تجار يروا بالعرف لينحن الصوت ضريوا تلك الكلاب فنبحت، وربما كانت منهم ملل يؤذّب في الدرب، فإذا سمع تلك الأصوات أمر الصبيان برقع المياه والقراءة والحساب» اهـ. (٦) في كتاب الحيوان «تورد». (٧) كانت دار أبي قطبة الخناق بالكوفة في كنة وقد قتل وصلب (راجع الحيوان ج ٦ ص ١٢٩).

٢٠

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن ابن أبي زائدة قال: قال هشام بن القاسم: أخذ خالد بن عبد الله المنيعة فقتله وصلبه بواسط عند منظر العاشر، فقال الشاعر:

طال التجاور من بيان واقفا * ومن المنيرة عند جذع العاشر
يأليه قد شال جذعا تحلة * بأبي حنيفة وأبن قيس الناصر

وبيان هذا هو بيان الثبان وكان يقول: إلى أشار الله إذ يقول: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ وهو أول من قال بمتاح القرآن.

(١) في الأصل «خلف» وظاهر أنه تحريف (راجع الطبري ص ١٦١٩ — ١٦٢١ ج ٦ من القسم الثاني طبع مدينة ليندسة ١٨٨٩ م، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليندسة ١٨٧٠ م، والكامل للبردج ص ٢٠ طبع ليسج سنة ١٨٦٤ م).

(٢) واسط: اسم مدينة بالعراق اختطها الحجاج بن يوسف في سنتين.

(٣) المنظر: الموضع الذي ينظر منه وقد يطلب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق وغيره؛ اتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط، وكان إذا دخن أهل قزوين دخنّت المناظر إن كان نهارا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٨٦ طبع ليسج).

(٤) هو بيان بن مصان التميمي الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه وأنه يفتي كله بالإرجس، وتأول على زعمه قوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) وقوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ) وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم، وأنه يهزم به السائر؛ وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه، رُفِعَ خبره إلى خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق فأحتال عليه حتى ظفريه وصلبه سنة ١١٩ هـ وقال له: إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تمرره فأهزم به أعزائي عنك (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ — ٢٢٨ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليندسة ١٨٧٠ م).

(٥) هو المنيرة بن سعيد السبيل زعم أنه هو المهدي المنتظر، وزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور له أعضاء وتلقب تبعه الحكمة، وأن أعضائه على صور حروف الهجاء؛ سمع خالد بن عبد الله القسري بخبره وضلالاته فطلبه وقتله سنة ١١٩ هـ (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٣١ والمثل والنحل ص ١٣٤ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليندسة ١٨٧٠ م).

(٦) الثبان: تابع الثبن.

وأما المغيرة فكان موثقاً لبيحيلة وكان سبائياً وصاحباً ليرنجيات^(١٦) . قال الأعمش : قلت للمغيرة : هل كان عليٌّ يُحْيِي الموتى؟ فقال : لو شاء لأحيا طائفاً وتمود وقروتا بين ذلك [كثيراً]^(١٧) .

بَلْفَنِي عن أبي عاصم عن إسماعيل بن مسلم المكي قال : كنت بالكوفة فإذا قوم من جيرانى يكثرُونَ الدخول على رجل ، فقلت من هذا الذى تدخلون عليه؟ فقالوا : هذا علي بن أبي طالب ، فقلت : أدخلوني معكم فضيبتُ معهم ونجأتُ معي سوطاً تحت ثيابي فدخلتُ فإذا شيخٌ أصلعٌ بطين ، فقلت له : أنت علي بن أبي طالب ؟ فأومأ برأسه : أى نعم ، فأنرجتُ السوطَ فما زلتُ أقتعه وهو يقول : لناوى لناوى ، فقلتُ لهم : يا فاسقة ! علي بن أبي طالب نبيٌّ^(١٨) ! ثم قلتُ له : وبك ! ما قصتُك ؟

- ١٠ (١) في الأصل « سبائيا » [يا من موحدتين بينها ألف] وفي مفتاح العلوم القوارزى (ص ٣١) طبع أوربا « السبائية » وهذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧) وشرح القاموس مادة « سبأ » وهم أتباع عبد الله بن سبأ (صاحب السبائية) الذى غلا في علي رضي الله عنه ، وزعم أنه كان نبيا ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا الى ذلك قوما من غرابة الكوفة ، وذهب بعضهم في عليّ مذهب النصارى في المسيح ؛ وفيهم يقول السيد الخميني :

- ١٥ قوم ظفرا في علي لا بالهمس * وأجسوا أهدا في حبه تعباً
قالوا هو الإبن جل الله خالقنا * من أن يكون له أن أرىكون أيا
رفع خريمه الى علي رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم في خفرتين حتى قال بعض الشعراء في ذلك :

لهم في المحدث حيث شئت * إذا لم ترمي في المحدثين

- ثم إن علياً رضي الله عنه خاف من إهراق الباقيين منهم شامة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه طبعه ففى ابن سبأ الى سباط المدائن (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والمثل والنمل ص ١٣٢ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧) . (٢) اليرنجيات : أخذ كالميرليست بحقيقته إنما هي تشبيه وتطيس (مترتبة) .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧)

(٤) يقال : قنع رأسه بالسوط : علاه به .

(٥) التلطيح نسبة الى التلطيح وهم قوم من الأعاجم يزلون سواد العراق .

قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أنا رجلٌ من أهل السواد أخذنى هؤلاء فقالوا : أنت على ابن أبي طالب .

حدثنى رجل من أصحاب الكلام قال : دخل هشامُ بن الحكم على بعض [الولاة] (٢٣) العباسيين فقال رجل للعباسي : أنا أقررُ هشاماً بأنَّ علياً كان ظالماً ، فقال له : إن فعلتَ ذلك فلك كذا ، فقال له : يا أبا محمد ، أما علمتَ أن علياً نازع العباسَ الى أبي بكر؟ قال : نعم ، قال : فأيهما كان الظالم لصاحبه ؟ فتوقف هشامُ وقال : إن قلتُ العباسَ خُفْتُ العباسيَ ، وإن قلتُ علياً ناقضتُ قولي ، ثم قال : لم يكن فيهما ظالمٌ ، قال : فيختم أثنان في أمرٍ وهما مُحَقَّقان جميعاً ؟ قال : نعم ، أختصم الملكُان الى داودَ وليس فيهما ظالمٌ إنما أرادنا أن يُنبِّهنا على ظلمه ، كذلك أختصم هذان الى أبي بكرٍ ليعرفاه ظلمه [فأسكت الرجل وأمر الخليفة لهشام بصلته] . (٢٤)

قال حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما :

ثَلَاثَةٌ بَرَزُوا بِسَيِّئِهِمْ * فَضَرَمَ رَبِّهِمْ إِذَا تُسِيرُوا (٢٥)
عَاشُوا بِلاَ فُرْقَةٍ حَيَاتِهِمْ * وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَيِّتِ إِذْ قُبِرُوا
فَلَيْسَ مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ بَصَرٌ * يُنْكِرُ مِنْ فَضْلِهِمْ إِذَا ذُكِرُوا

- ١٥ (١) المواد : قرئ العراق . (٢) ورد هذا الخبر في العقد الفريد باختلاف في بعض الكلمات لا يفرجه عن المعنى المراد هنا (راجع ج ١ ص ٢٧٠) . (٣) الزيادة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٤) في العقد الفريد « الخليفة » . (٥) الملكان هما اللذان بشما الله تعالى الى داود عليه السلام في صورة إنسانين ؛ وهذه القصة وردت في القرآن الكريم في سورة «ص» في قوله تعالى : (إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً ۖ الْآيَةُ وَشَرُّهَا الْفُسُوقُ) . (٦) الزيادة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٧) فضرم ربههم : منهم وحسنهم . (٨) هذه الأبيات لم ترد في ديوانه المطبوع بمدينة ليدن سنة ١٩١٠ م ولا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش ولا في ترجمته بالأغاني (ج ٤ ص ٢ — ١٧ طبع بولاق) ولا في كتب الأدب التي تحت أيدينا .

وقال أعرابي لعبد الله بن عمر :

إليك ابن خير الناس إلّا محمداً * وإلا أبا بكر نروح وننتلي

وقال أبو طالب في سُهَيْل بن بَيْضَاء، وكان أَسِرَ فَأَطْلَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ بغيرِ فِدَاءٍ، لَأَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا مَكْرَهًا عَلَى الْخُرُوجِ :

وَهُمْ رَجَعُوا سُهَيْلَ بْنَ بَيْضَاءَ رَاضِيًا * وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدٌ

وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ :

أَنَا عُيَيْدُ اللَّهِ يَتِمُّنِي عُمَرُ * خَيْرُ قُرَيْشٍ مَنْ مَضَى وَمَنْ ضَبَّرَ

بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَالشَّيْخِ الْأَعْرُ * مَهْلًا عُيَيْدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ نَظَرَ

وقال حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ يَرِثِي أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

إِذَا تَذَكَّرْتُ تَجَبُّوا مِنْ أَبِي ثَقِيَّةٍ * فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا قَمَلَا

خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعْلَمَلَا * بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوَقَلَا بِمَا حَمَلَا

وَالثَّانِي الصَّادِقُ الْمَعْدُودُ مَثْبُتُهُ * وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا

وَكَانَ حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا * مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَمِلْ بِهِ رَجُلَا^(١)

حَدَّثَنِي مِثْقَالُ الرَّازِي قَالَ : قَالَ جَرِيرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ : حَصَرْتُ شَيْطَانًا مَرَّةً فَقَالَ :

ارْثُقْ بِي فُلَانٌ مِنَ الشَّيْعَةِ ، فَقُلْتُ : فَنَ تَعْرِفُ مِنَ الشَّيْعَةِ ؟ قَالَ : الْأَعْمَشُ ،

نُفْلِيتُ سَبِيلَهُ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ السَّجَلِيُّ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ طَهُمِ السَّلَام :

أَبَا جَعْفَرٍ أَنْتَ الْوَلِيُّ أَحْبَبْهُ * وَأَرْضَى بِمَا تَرْضَى بِهِ وَأَتَابِعُ

أَنْتَنَا رِجَالٌ يَحْمِلُونَ عَلَيْكُمْ * أَحَادِيثَ قَدْ ضَاهَتْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ

أَحَادِيثَ أَفْشَاهَا الْمُنْصِيَّةُ فِيهِمْ * وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ الْبَدَائِعُ

(١) ورد في الأصل «الثاني الثالث ... الخ» وما أتبعناه من ديوانه المطبوع وكذا المخطوط .

(٢) لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع ولا المخطوط وورد فيها بدل هذا البيت :

ماضٍ حبيداً لأمر الله متبجاً * يهدي صاحبه الماضي وما أتبعلا

حدثني هارون بن موسى عن الحسن بن موسى الأشيب عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضاً لمخضومات أكثر التقل . قال :
ما ضر من أصبح المأمون سائسه * إن لم يسسه أبو بكر ولا عمر

الرد على الملحدين

قال بعض الملحدين لبعض أصحاب الكلام : هل من دليل على حدوث العالم؟
[قال : الحركة والسكون] فقال : الحركة والسكون من العالم ، فكأنك إذا قلت :
الدليل على حدوث العالم العالم ؟ فقال له : وسؤالك إياي من العالم ، فإذا جئت
بمسئلة من غير العالم جئتك بدليل من غير العالم .

قال المأمون لثنوي يناظر عنده : أسألك عن حرفين قط ، خبرني : هل ندم^(١)
مسيء قط على إساءته ؟ قال : بلى ؛ قال : فالتدم على الإساءة إساءة أو إحسان ؟
قال : بل إحسان ؛ قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ؟ قال : بل هو الذي
أساء ؛ قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر ، وقد بطل قولكم ، إن الذي ينظر
نظر الوعيد هو الذي ينظر نظر الرحمة ؛ قال : فإني أزم أن الذي أساء غير الذي
ندم ؛ قال : فندم على شيء كان من غيره أو على شيء كان منه ؟ فأمكنه .

(١) في الأصل « حدث » . (٢) زيادة يقتضها السياق .

(٣) الثنوي واحد التنوية وهم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان
بجلاف الجبرس فإتهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه ؛ وهو لا يقالوا بتساويهما في القدم واختلافهما
في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح (راجع الملل والنحل ص ١٨٨) .
(٤) كتاب الأصل . وفي الحيوان للمأخذ (ج ٤ ص ١٤١) « قطع » عبارة العقد الفريد

(ج ١ ص ٢٥٥) « عن حرفين لا أزيد عليهما » .

- (١) دخل الموبد على هشام بن الحكم فقال له : يا هشام ، حول الدنيا شيء ؟
قال : لا ، قال : فإن أخرجت يدى قَمَّ شيء رَدَّها ؟ قال هشام : ليس ثم شيء
رَدُّك ، ولا شيء تُخرج يدك فيه ؛ قال : فكيف أعرف هذا ؟ قال له : يا موبد ؛
أنا وأنت على طرف الدنيا فقلتُ لك يا موبد : إني لا أرى شيئا ، فقلتُ لى :
ولم لا ترى ، فقلتُ لك : ليس هاهنا ظلامٌ يمنعنى ، قلتُ لى أنت : يا هشام
إنى لا أرى شيئا ، فقلتُ لك : ولم لا ترى ؟ قلتُ : ليس ضياءٌ أنظر به ؛ فهل
تَكَافَأَتِ اللَّيْثَانِ فى التناقض ؟ قال : نعم ، قال : فلماذا تَكَافَأَتَا فى التناقض لم تَسْكَفَا
فى الإبطال أنْ ليس شيء ؟ فأشار الموبد بيده أن أَصَبَتْ . ودخل عليه يوما آخر
فقال : هما فى القُوَّة سواء ؟ قال : نعم ؛ قال : بجوهرهما واحد ؟ قال الموبد لنفسه
— وَمَنْ حَضَرَ يَسْمَعُ — إن قلتُ : إنَّ جَوهرهما واحد عاذا فى نَعْيٍ واحد ، وإن
قلتُ : مُخْتَلِفٌ آخِلَتَا أيضا فى الهمم والإرادات ولم يَتَّفِقَا فى الخلق ، فإن أَرَادَ
هذا قصيرا أَرَادَ هنا طويلا ؛ قال هشام : فكيف لا تُسَلِّمُ ! قال : هَيْهَاتَ !

- (١) الموبد : فقيه الفرس وساحم المحجوس كقاضى القضاة السليمان . (٢) فى الأصل :
« هشام بن عبد الحكم » بزيادة « عبد » وهو خطأ . وهشام بن الحكم صاحب « المشامة »
كان من مشايخ الرافضة . زعم أن مبدوده جسم ذو حة ونهاية ، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل
عرشه مثل عمقه ، ولم يثبت طولاً غير الطويل ولا عرضاً غير العريض ؛ وقال : ليس ذهابه فى جهة الطول
أزيد على ذهابه فى جهة العرض . وزعم أيضا أنه نور سامع بلا كالسيكة الصافية من الغشة وكالزقوة
المستديرة من جميع جوانبها . وزعم أيضا أنه ذلول وعلم ورائحة ومجبة ، وأن لونه هو طمسه ، وطمسه هو
رائحته ، ورائحته هى مجبته . ثم قال : قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان إن تحرك لحدث مكانه
بحركته فصار فيه ، ومكانه هو الرش . (انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٨ — ٥١ والهل والنمل
ص ١٤١ — ١٤٢ وكتاب الانتصار فى الرد على ابن الروندى فى باطل المعتزلى ص ٤٠ — ٤١ ، ٦٠
طبع مطبعة دار الكتب المصرية ، ومفاتيح العلوم لعمادى زى ص ٢٧) .

وجاء رجلٌ مُلِحِدٌ فقال له : أنا أقول بالآتين وقد عَرَفْتُ إِنْصَافَكَ فَلَسْتُ أَخَافُ مُشَاقَبَتَكَ ؛ فقال هشامٌ وهو مشغولٌ بِشُوبٍ يَبْشُرُهُ ولم يَقُلْ عليه : حَفِظَكَ اللهُ ، هل يَقْدِرُ أَحَدُهَا أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا لَا يَسْتَعِينُ بِصَاحِبِهِ عَلَيْهِ ؟ قال : نعم ؛ قال هشامٌ :^(١) فما تَرْجُو من آتين ! واحدٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ أَصَحُّ لَكَ ! فقال : لم يَكُنْ لِي بِهِذا أَحَدٌ قَبْلَكَ .

٥ قال المأمون لمرثد^(٢) إلى النصرانية : خَبَرْنَا عن الشيء الذي أَوْحَشَكَ من ديننا بعد أَنَسِكَ بِهِ وَأَسْتَيْطَاشِكَ مِمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ عِنْدَنَا دَوَاءَ دَائِكَ تَعَالَجْتَ بِهِ ، وَإِنْ أَخْطَا بِكَ الشَّفَاءُ وَنَبَأَ عَنْ دَائِكَ الدَّوَاءُ كُنْتَ قَدْ أَضَرْتَ وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى نَفْسِكَ بِلَا مَسْءَةٍ ، وَإِنْ قَتَلْنَاكَ قَتَلْنَاكَ بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ ، وَتَرْجِعُ أَنْتَ فِي نَفْسِكَ إِلَى الْأَسْتَبْصَارِ وَالثَّقَةِ وَتَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تُقْصِرْ فِي أَجْتِهَادٍ وَلَمْ تُهْرَطْ فِي الدُّخُولِ مِنْ بَابِ الْحَزْمِ ؛ قَالَ الْمُرْتَدُّ :
١٠ أَوْحَشَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَخْتِلَافِ فِيكُمْ ؛ قَالَ الْمَأْمُونُ : لَنَا اخْتِلَافَانِ : أَحَدُهُمَا كَالْاِخْتِلَافِ فِي الْأَذَانِ ، وَالتَّكْبِيرِ فِي الْجَنَازِ ، وَالتَّشَهُدِ ، وَصَلَاةِ الْأَعْيَادِ ، وَتَكْبِيرِ النَّشْرِيقِ ، وَوُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ ، وَوُجُوهِ الْقُنْيَا ، وَهَذَا لَيْسَ بِاخْتِلَافٍ ، إِنَّمَا هُوَ تَحْيِيرٌ^(٣) وَسَمْعَةٌ وَتَخْفِيفٌ مِنَ الْمِحْنَةِ ، فَمَنْ أَذَنٌ مَتَى وَأَقَامَ مَتَى لَمْ يُخْطِئْ مِنْ أَذَنٍ مَتَى وَأَقَامَ فُرَادَى ، وَلَا يَتَعَايَرُونَ بِذَلِكَ وَلَا يَتَمَيَّسُونَ ، وَالْاِخْتِلَافُ الْأَخْرَجُنَا مِنْهُ اخْتِلَافَانَا فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ كِتَابِنَا ، وَتَأْوِيلِ الْحَدِيثِ مَعَ أَجْتِمَاعِنَا عَلَى أَصْلِ التَّنْزِيلِ وَاتِّفَاقِنَا عَلَى عَيْنِ الْخَبَرِ ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَوْحَشَكَ هَذَا حَتَّى أَنْكَرْتَ هَذَا الْكِتَابَ ، فَقَدْ يَبْغَى أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ بِجَمِيعِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مُتَّفَقًا عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا يَكُونُ مُتَّفَقًا عَلَى تَنْزِيلِهِ ، وَلَا يَكُونُ

(١) ورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٥) أن هذه القصة وقعت مع المأمون لامع هشام بن الحكم .

(٢) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «قال المأمون لمرثد الخراساني الذي أسلم على يديه وحمله

منه إلى العراق فارتد عن الإسلام : أخير... الخ » وقد ورد فيه هذا الخبر بزيادة عن الأصل مع

اختلاف في العبارة . (٣) كنا في الأصل . وفي العقد الفريد : «السبة» .

بين جميع اليهود والنصارى اختلافٌ في شيءٍ من التأويلات ؛ وبني لك ألا ترجع
إلا إلى لغةٍ لا اختلاف في تأويل ألفاظها ؛ ولو شاء الله أن يُقرِّل كُتُبَهُ وَيُجَمِّلَ كَلَامَ
أَنْبِيَائِهِ وَوَرِثَةِ رُسُلِهِ لا يحتاج إلى تفسيرٍ لَفَعْلٍ ، ولكلُّا لم ترَ شيئا من الدين والدنيا
دُفِعَ إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمرُ كذلك لسقطتِ البَلَوَى والمِحْنَةُ ، وذهبت
المسابقةُ والمنافسةُ ولم يكن تفاضلٌ ، وليس على هذا بنى الله الدنيا . قال المرتد :
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن المسيحَ عبدٌ ، وأن محمداً صادقٌ ، وأنتَ أميرُ المؤمنينَ حقاً .

الإعراب والمحسن

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : سمعتُ مَوْلىَ لَآلِ عُمَرَ بن الخطاب يقول :
أَخَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِنُ مَرَّ وَأَنْ رَجُلًا كَانَ يَرَى رَأَى الْخَوَارِجَ رَأَى شَيْبَ ، فقال له :
أَلسْتَ الْقَاتِلُ :

١٠

وَمِنَّا سُوَيْدٌ وَالْبَطِينُ وَقَعْنَبُ * وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبُ^(١)

فقال : إنما قلتُ : « وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبُ » بالنصب ، أى يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَأَمْرٌ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ .

(١) هو شيب بن يزيد الخزاز صاحب الشيعة ، كان من أصحاب صالح بن مسرح الحميري ثم تولى
الأمر بعده على جنته وبايعه أتباعه إلى أن خالف صالحاً في شيء واحد وهو أنه مع أتباعه أجازوا إمامة
المرأة منهم إذا قامت بأمرهم ونهزت على مخالفتهم . وزعموا أن غزاة أُم شيب كانت الإيمان بعد قتل
شيب إلى أن قُتِلَتْ ، وأستدلوا على ذلك بأن شيئاً لما دخل الكوفة سنة ست وسبعين هجرة أقام أمه على
منبر الكوفة حتى خطبت .

كان من أهل القوة البائدة والباس الشديد والمرة الثامة بأمر الحروب ؛ انتصر على جيوش الحجاج
الكثيفة وكبار قوادحها بحسن كبره ؛ وكان يصيح في جنات الجيش فلا يلقى أحداً له أحد . وفيه
يقول الشاعر :

٢٠

إن صاح يوم أحببت الصخر تنهدرا * والريح عاصفة والوجع يلطم =

حدثني عبد الله بن حيان قال : كتب رفيع بن سلمة المعروف بدماذ إلى
أبي عثمان النحوي :

تَفَكَّرْتُ فِي النَحْوِ حَتَّى مَلَلْتُ وَأَتَيْتُ نَفْسِي بِهِ وَالْبَدَنُ
وَأَتَيْتُ بَعَثًا وَأَصْحَابَهُ * بطول المسائل في كلِّ فنٍّ
[فَإِنْ عَلَيْهِ ظَاهِرٌ يَتَّبِعُ * وَمِنْ عَلَيْهِ غَائِضٌ قَدْ بَطُنَ] ^(١)
فَكُنْتُ بظَاهِرِهِ عَلِيًّا * وَكُنْتُ بِبَاطِنِهِ ذَا فِطْنٍ
خَلَا أَنِّي بِأَبَا عَلَيْهِ الْعَفَا * ءُ لَلْفَاءِ يَالَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
وَاللَّوَاوِ بَابٌ إِلَى جَنَّتِيهِ * مِنْ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لُغِنَ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا يُقَالُ لَسْتُ بِأَتِيكَ أَوْ تَاتِيَنِي ^(٢)
أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هَذَا كُنَّا * عَلَى النِّصَبِ قَالُوا لِإِضْهَارِ أَنْ ^(٣)

== وسويد بن سليم ، والبلعین بن قنعب ، وقنعب بن سويد ، كانوا من رؤساء جيش شيب وقيادة جنده
وأهل الرأي فيهم . يزلون إلى الهجاء في شجاعة الأسد ، وبأس الحديد ، ومضاء السيف ، ومروق السهم ،
وأقتضاض النسر ، وألتهاب النار ، مع سعة العلم بتدبير الحروب والتميز على أعمالها ، وتعام الخيرة بمحليها ومكايدها .
(راجع أخبار شيب والخوارج في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ — ٣٥٠ طبع مدينة ليدن
سنة ١٨٦٩ والمقد الفريد ج ١ ص ٤٤ والفرق بين الفرق ص ٨٩ — ٩٢ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٤
ص ٨٨١ — ٩٧٥ من القسم الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٥ وملخص تاريخ الخوارج للرحوم
الأستاذ الشيخ محمد حريف سليم طبع مصر سنة ١٩٢٤ م) .

(١) في الأصل : « غسان بن رفيع » وما أئبناه عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) طبع مطبعة
دار الكتب المصرية . والكامل للفرد (ج ١ ص ٢١٤) طبع ليسع سنة ١٨٦٤ م وكنيته « أبو غسان »
كافي المقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .

(٢) في أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) : « يعني بيكر أبا عثمان المازني » ، فبلغ ذلك المازني فقال :
واقفه ، أحسب أنه سألتني فطف فكيف أقصيني » . (٣) الزيادة عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) .

(٤) رواية القالي في أماليه : إذا ظلت هاتوا لما قيل ذا * ظلت بآتيك أو تاتين

(٥) رواية القالي في أماليه : بما نصوه أينسوه لي * فقالوا جيبا بإضمار أن

[وما إن رأيتُ لها موضعا * فأعترف ما قيل إلا بظن]
فقد خُفْتُ يا بَكْرُ من طول ما * أفكر في أمر «أن» أن أجن^(١)

قال ابن سيرين : ما رأيتُ على رجل أحسن من فصاحة ، ولا على امرأة أحسن من تفهم .

- وقال ابن شبرمة : إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا ، ويصغر في عينك من كان في عينك عظيما فتمل العربية ، فإنها تجريك على المنطق وتُدنيك من السلطان . ويقال : النحو في العلم بمنزلة الملح في القندر والرامك في الطيب .
ويقال : الإعراب حيلة الكلام وشبهه . وقال بعض الشعراء :

النحو يسد من لسان الأَلَكَيْن * والمرء تُكرمه إذا لم يحسن

- وإذا طلبت من المعلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الألسن

قال رجل لأعرابي : كيف أهلك بكسر اللام ؟ — يريد كيف أهلك — فقال الأعرابي : صلبا^(٢) ظن أنه سألَه عن هلكته كيف تكون .

وقيل لأعرابي : أتميز إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجل سوء^(٣) قيل له : أتميز فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوي . وقيل لآخر : أتميز القارة ؟ فقال : الهرة تميزها .

- وقيل : كان بشر المريسي يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهتوها ، فقال قاسم التمار : هذا كما قال الشاعر :

(١) الزيادة من أمال القائل .

(٢) الزامك : شئ أسود كالفار يحلط بالمسك . (٣) هو إسحاق بن خلف التبراني كما في الكامل

لبرّد (ج ١ ص ٢٣٩) . (٤) الصلب : قطة مبرقة وهي أن يشق الرجل من يديه ورجليه على

جذع . (٥) «قالوا : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهز إلا الضغط والصر» . كذا في كتاب
المصاحي لابن فارس ص ٨ طبة القاهرة .

إِنَّ سُلَيْمِيَّ وَاللَّهِ يَكُونُهَا * صَنَّتْ بَشِيْرًا كَانَ يَرْزُؤُهَا^(١)

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ مُؤَدِّيًا يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ بِنَسَبِ رَسُولٍ ، قَالَ :
وَيْحَكَ ! يَفْعَلُ مَاذَا ؟ .

قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَدِيٍّ الْمَلِكُ : الْخَنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنَ الْجُدَرِيِّ فِي الْوَجْهِ . وَقَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : الْخَنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنَ التَّفْتِيْقِ فِي الثُّوبِ الْغَيْسِ . قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :
لَا تَنِي لِأَجْدٍ لَخْنٌ عَمَزًا كَفَنَزَ الْهَمِّ .

قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : أَشْدَنِّي أَعْرَابِيٌّ :

وَإِنَّ كِلَابًا هُنَا عَشْرُ أَبْطُنٍ * وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قِبَالِهَا الْعَشْرِ^(٢)

فَجَعَلْتُ عَجَبٌ مِنْ قَوْلِهِ : عَشْرُ أَبْطُنٍ حِينَ أَنْتَ لِأَنَّهُ عَنَى الْقَبِيلَةَ ، فَلَمَّا رَأَى عَجَبِي
مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : أَلَيْسَ هَكَذَا قَوْلُ الْآخَرِ^(٣) :

فَكَانَ يَجْنِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَى * ثَلَاثَ شُخُوصٍ كَلَابِيَّانٍ وَبِعَصْرٍ^(٤)

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْقَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٦) فِي الْمَحَاسِنِ وَالْأَخْدَادِ ص ٩ طبع مدينة ليدن
سنة ١٨٩٨ م فِي الْبَيَانِ وَالتَّيْيِينِ (ج ٢ ص ١١٠ طبع مصر سنة ١٣٣٢ هـ) - وَرَوَايَةُ الْأَصْلِ :
ظَنَنْتُ . وَجَاءَ فِي الْعَقْدِ بِهَذَا الْبَيْتِ : "وَبَشَرِ الْمَرْيُوسِ رَأْسَ فِي الرَّأْيِ ، وَتَقَامُّ الْكَارِ مُتَقَدِّمٌ فِي أَصْحَابِ
الْكَلَامِ وَأَحْسَابِهِ بَشَرٌ عَجَبٌ مِنْ لَحْنِ بَشَرٍ" . وَجَاءَ الْمَحَاسِنُ وَالْأَخْدَادُ وَالْبَيَانُ وَالتَّيْيِينُ : "فَكَانَ اسْتِجَابُ
الْقَاسِمِ أَطْيَبُ مِنْ لَحْنِ بَشَرٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَلَامُهُ كَانَ مُضْمَكًا لَخْلُوِ الْبَيْتِ مِنَ الشَّاهِدِ الْمُرَادِ . (٢) كَذَا بِالْعَقْدِ
الْقَرِيدِ ، وَالدِّيُّ بِالْأَصْلِ : «الْفَش» . (٣) قَاتِلُ الْبَيْتِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كَلَابٍ يُسَمَّى «النَّوَّاحُ» كَمَا
فِي نَزَاةِ الْأَدَبِ (ج ٤ ص ٤٨٤) . (٤) قَاتِلُ الْبَيْتِ هُوَ عَمْرُو بْنُ أَبِي دُرَيْبَةَ مِنْ قَبِيلَةِ طُوبَةَ مِنْهَا :
فَلَمَّا قَدِمْتُ الصَّوْتُ مِنْهُمْ وَاسْتَحَفْتُ * «مَتَابِعُ شَيْتٍ بِالْغَنَاءِ وَأَتُورُ

(رَاجِعِ الْكَامِلَ الْعِيدِ ص ٣٨١ - ٣٨٥) .

(٥) الْحَيْنُ : الْآنَ . وَالْمُرَادُ فِي هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُهُ «ثَلَاثَ شُخُوصٍ» حَيْثُ أَنْتَ لِأَنَّهُ يُرِيدُ بِالشَّخْصِ
النَّفْسَ وَكَأَنَّ مَنِيَّ كَأَعْبُوهِيَ الَّتِي يَدْعُو بِهَا لِلْهَوَى ، وَكَأَنَّ مَرْفُوعَ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ لِمَنْبَأٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ هُوَ
كَأَنَّ مَرْفُوعًا ، وَالمَصْرُوعُ الَّتِي دَخَلَتْ صَوْرَتُهَا بِهِنَّ . (رَاجِعِ شَرْحَ الْعَيْنِ بِمَا شِئْنَا نَزَاةَ الْأَدَبِ
لِلْبَيْدَايِيِّ ج ٤ ص ٤٨٤) .

قال رجل من الصالحين : لئن أعربتني في كلامنا حتى ما نلحن لقد لحننا في أعمالنا حتى ما نعرب^(١) .

دخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون، فقال : سبحان الله ! يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح ! .

دخل رجل على زياد فقال له : إن أبيتنا هلك ، وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبائنا؛ فقال زياد : ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك .

قال الراشي عن محمد بن سلام عن يونس قال قال بلال لشبيب بن شيبه وهو يستعدي على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال : أحضرني، قال : قد دعوتك لكل ذلك يأبى ؛ برفع كل ؛ قال بلال : فالتنب لكل . قال بعض الشعراء :

١٠ إنا تربي وأثوابي مقاربه * ليست تجز ولا من تسج تكان
فأت في المحيد هملتي وفي لنتي * علوية ولساني غير لحان

وقال قبل مولى زياد زياد^(٢) : أهدوا لنا همار وهش^(٣)، فقال : ما نقول ؟ وبك ! فقال : أهدوا لنا أبرأ^(٤) فقال زياد : الأول خير .

- (١) رواية البيان والبيان (ج ٢ ص ١١٤) : « وقال بعض السالك : أعربتني في كلامنا فانلحن حرفا ولحننا في أعمالنا فانعرب حرفا » . (٢) عبارة البيان والبيان (ج ٢ ص ١١٥ طبع القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) « التي أضمت من لسانك أضرطك مما أضمت من مالك » . (٣) مقاربة بكسر الراء، أي ليست بغيسة . (٤) هو زياد بن أبي سفيان، كما في القاموس . (٥) في الأصل « أهدوا لنا همار جهش » وما أقتناه من البيان والبيان (ج ٢ ص ١١٠) ونهاية الأرب القوي (ج ٣ ص ٣٩٢ طبع دار الكتب المصرية) يريد « أهدوا لنا حاروش » وفي نهاية الأرب « احدا » بأبدال الهاء جاء، وهذا الإبدال يعرف بالكثرة وهي جمعة في اللسان وهي . (٦) يريد عمرا وهو الحمار إذا كان أحملا أو وحشا وقد غلب على اللفظ .

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ وَالْيَا يَحْتَبُ فَلَحَنَ مَرَّةً أَوْ اثْنَتَيْنِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَمَكَ مَلَكْتَ بَقَرًا .
وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ إِمَامًا يَقْرَأُ ﴿وَلَا تُشْكِرُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ [فتح تاء تشكروا]
فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا قَبْلُ الْإِسْلَامِ فَبَيْحٌ فَكَيْفَ بَعْدَهُ! قَبِيلُ لَهُ: إِنَّهُ لَحَنَ،
وَالْقِرَاءَةُ ﴿وَلَا تُشْكِرُوا﴾ قَالَ: قَبِيحُهُ اللَّهُ، لَا تَجْعَلُوهُ بَعْدَهَا إِمَامًا فَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ
اللَّهُ. قَالَ الشَّاعِرُ فِي جَارِيَةٍ لَهُ:

أَوَّلُ مَا أَسْمِعَ مِنْهَا فِي السَّحَرِ * تَذَكُّرُهَا الْأُنْثَىٰ وَتَأْنِيثُ الذَّكَرِ
* وَالسُّوءَةُ السُّوءَاءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ^(١)

قَالَ الْجَنَاحُ لِرَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ تَخَاسُ: أَتَبِيعُ الدَّوَابَّ الْمَعِيَةَ مِنْ [جُنْدِ] السُّلْطَانِ؟
فَقَالَ: «شَرِيكَاتَا فِي هَوَازِمَا وَشَرِيكَاتَا فِي مَدَائِنِهَا وَكَمَا نَجَىءُ تَكُونُ» قَالَ الْجَنَاحُ:
مَا قَوْلُ؟ فَفَسَّرُوا لَهُ ذَلِكَ، فَضَحِكَ وَكَانَ لَا يَضْمُكُ.

أَمَّ الْجَنَاحُ قَوْمًا يَقْرَأُ ﴿وَالْمَدَائِنَ صَبِيحًا﴾ وَقَرَأَ فِي آخِرِهَا ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ يَوْمَ يَوْمَئِذٍ
بِنَصَبٍ أَتَى، ثُمَّ تَبَيَّنَ عَلَى اللَّامِ فِي تَحْوِيلٍ وَأَنَّ «إِنَّ» قَبْلَهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مَكْسُورَةً فَخَلَفَ
اللَّامَ مِنْ خَيْرٍ، فَقَرَأَ ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ يَوْمَ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ﴾.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: قُلْتُ لِتَحْلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ: لِمَ قَالُوا فِي تَصْنِيفِهِ وَاصِلٌ أَوْ يَصِلُ وَلَمْ
يَقُولُوا وَوَصِلَ؟ فَقَالَ: كَرِهُوا أَنْ يُسَبَّحَ كَلَامُهُمْ بِنَجِ الْكَلَابِ.

(١) رواية البيان والتبيين ونهاية الأرب «أكثر». (٢) السوءة السوءاء: الخلة الفضيحة.
(٣) لأنها كانت إذا أرادت أن تقول: «القمرة» قالت: «الكر» والكمر جمع كمر فوهى شفة الذكر؛
وهذا الإبدال يعرف بالفتحة وهي أن تبدل الحرف إلى حرف غيره. (٤) هو أبو الجهمير الخراساني
التخاس كما في البيان والتبيين والتخاس: يتبع الدواب والريق. (٥) الزيادة عن البيان والتبيين
(ج ١ ص ٩٠). (٦) كنا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠)؛ وفي الأصل: «شَرِيكَاتَا فِي هَوَازِ
وَمَدَائِنِهَا وَكَمَا نَجَىءُ تَكُونُ» وقد أثبتنا عبارة البيان والتبيين لوضوحها. (٧) جاء في البيان والتبيين
(ج ١ ص ٩٠) «فَقَالَ بَعْضُ مَنْ قَدْ كَانَ اعْتَادَ سَمَاعَ الْخَطَا وَكَلَامَ الطُّرُجِ بِالْعَرَبِيَّةِ حَتَّى مَارَ بِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ»
يقول شركاتًا بالأهواز والمداين يعنيون إلينا عنده الدواب فمن نعيمها على وجهها.

التباعد والغريب

حدثني سهل عن الأصمعي قال : كان عيسى بن عمر لا يدع الإعراب لشيء .
 وخاصم إلى بلال بن أبي ردة في جارية اشتراها مُصَابَةً ، فقال : لَأَن يَنْهَبَ بَعْضُ
 حَقِّي هَذَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَلْحَنَ ، فقال له : وَمَنْ يَعْلَمُ مَا تَقُولُ ؟ فقال : ابْنُ
 طَرُونَةَ . وضربه عمر بن هُبَيْرَةَ ضرباً كثيراً في وَدِيعة أودعها إياه إنساناً فظليها ،
 لما كان يزيد على أن يقول : والله إن كانت إلا أُثَيَاباً ^(١) في أُسْفَاطٍ ^(٢) قَبَضَ عَشَارُوكَ ^(٣) .
 تَبَعَ أبو خالد التَّمِيمِي صاحبُ الغريب جاريةً مُتَقَبَّةً فَكَلَمَهَا فلم تُكَلِّمْهُ ، فقال :
 يا غَرِيبةُ ، لَقَدْ كُنْتَ عِنْدِي عَرُوباً ^(٤) أَمَقَّكَ ^(٥) وَتَسَلَّيْنَا ^(٦) !

وقال سهل بن هارون بخارية له رومية أعجمية : إن أقل ما يَطْلُو عليه ضميري
 من ريسيس حُبِّكَ لأجلُ من كلِّ جليل ، وأكثرُ من كلِّ كثير .
 وقال مالك بن أسماء في جارية له :

أَمَغَطِي مَنِّي عَلَى بَصْرِي لِلشَّحْبِ أَمْ أَنْتِ أَكَلِ النَّاسِ حُسْنًا ^(٧) ؟

- (١) كذا في الأصل ولم نوقف إلى معرفة هذا الاسم في الكتب التي بين أيدينا . (٢) أُثَيَابٌ :
 جمع ثوب مع تشديد لفظ الجمع . (٣) الأَسْفَاطُ : جمع سَفَطٍ بالتحريك وهو الذي يبي في اليد الطيب
 وما أشبهه من أدوات النساء . (٤) عَشَارُوكَ : جمع عَشَارٍ وهو أخذ العشر وجا به وقرنه .
 (٥) التَّغَرِيبةُ : الحية . (٦) العُروبُ : الحسة التبل . وتقول المرأة التحية إلى زوجها .
 (٧) تَمَقَّكَ : تَحَبَّكَ . وتَسَلَّيْنَا : تَبَنَيْنَا . وفي الأصل «ولكننا» وهو تحريف . والتصويب عن
 الكامل للرد (ص ١٨) طيبة ليسج) وقد وردت هذه العبارة فيه هكذا : «لقد كنت أحسبك عروبا» فا
 بالتأنيك وتسلينا ! فقالت : يا بن النخلة أتمجشني ! . أي أتنازلي وتلاصقي . (٨) ريسيس الحب :
 بقرته وأثره . (٩) كذا في خطبة هذا الكتاب في المجلد الأول من هذه الطبعة ، والبيان والتبيين
 (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) . وفي الأصل هنا :

أَمَغَطِي مَنِّي عَلَى بَصْرِي بِالشَّحْبِ أَمْ أَنْتِ أَكْرَمُ النَّاسِ حُسْنًا

وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مَا * يَشْتَبِي النَّاعَتُونَ يُوزَنُ وَزَنًا
مَنْطِقُ صَائِبٌ وَيَلْحَنُ أَحْيَا * نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا
قال ابن دُرَيْدٍ : استعمل منها الإعراب .

دخل أبو علقمة على أَعْيَنَ الطبيب فقال له : أَمَتَّ اللهُ بِكَ ، إني أكلت من لحوم
هذه الجواريل فطسَّبت طسًّا ، فأصابني وجع ما بين الولايلة ^(٤) إلى داية العنق فلم يزل
يربو ويثني حتى خالط الخلب ^(٦) والشراسيف ^(٧) ، فهل عندك دواء ؟ فقال أَعْيَنُ : نعم ،
خذ تحريقًا وشلقًا ^(٨) وشبرقًا ^(٩) فزهرقه ^(١٠) وزرققه ^(١١) وأغسله بماء روثٍ وأشربه ؛ فقال
أبو علقمة : لم أفهم عنك ؛ فقال أَعْيَنُ : أفهمتك كما أفهمتي . وقال له يوما آخر :
إني أجد معمة في بطني وقرقرة ؛ فقال له : أما المعمة فلا أعرفها ، وأما القرقرة
فهي ضراطٌ لم يتضح .

- (١) كذا بالأصل هنا وفي المقدمة ، وفي الأصل العالي : « شتبه القوس » وفي البيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) : « نبت الناعوت » . (٢) كذا في الأصل والمقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .
وفي المحاسن والأضداد لملاحظ (ص ١٤ طبعة لندن) والمحاسن والمساوي للبيق (ج ٣ ص ٤٧٠ طبعة
ليبسج) : « الجرازي » . والجواريل : فراخ الحمام ، وقيل يرم الجواريل نوع الفراخ . (٣) طس : انغم
من الطعام . (٤) الرواية : طرف الضد في الكتف . (٥) الداية : قرة العنق . (٦) الخلب :
جباب بين القلب وسواد البطن . (٧) الشراسيف : جمع شرسوف وهو رأس الضلع مما على البطن .
(٨) كذا في المقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) وفي الأصل : « خرقا » بالنون والنون بكسر : ضرب
من الأدوية ونبت كالمس ينشئ على آكله ولا يقتله ؛ وقيل : نبات كلسان الحمل أبيض وأسود يقع
الصريح والجنون والحق والقناج . (٩) هكذا وردت في الأصل « شلقا » بالشين والفاء والقاف بعد
اللام ولم تقف هنا على معنى . وفي المقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) والمحاسن والمساوي للبيق « شلقا »
وفي البيان والتبيين : « سلقا » . (١٠) كذا في الأصل والمقد الفريد . والشبرق كزبرج :
نبت من جنس الشوك إذا كان رطبًا فهو شبرق وإذا يس فهو الصريح . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٤٢) :
« جرقا » وفي المحاسن والأضداد لملاحظ « سرقا » .

أتى رجل الهيثم بن العريان بغيره له قد مظهره حقه فقال : أصلح الله الأمر، إني
 لي على هذا حقا قد غلبني عليه ؛ فقال له الآخر : أصلحك الله، إن هذا باعني عنجلا^(١)
 واستنساؤه حولا وشرطت عليه أن أعطيه مشاهرة فهو لا يلتقي في لقمي^(٢) إلا أقتضاني ؛
 فقال له الهيثم : أمن بنى أمية أنت ؟ قال : لا ؛ قال : فمن بنى هاشم ؟ قال : لا ؛
 قال : فمن أكفأهم من العرب ؟ قال : لا ؛ قال : وعلى عليك ! انزع ثيابك بإجلواز^(٣) ،
 فلما أرادوا أنزع ثيابه قال : أصلحك الله، إني إزارى مرعبل^(٤) ؛ قال : دعوه ، فلو ترك^(٥)
 الغريب في وقت لتركه في هذا الوقت .

ومر أبو طلحة ببعض الطرق بالبصرة فهاجرت به مرة فسقط ووثب عليه قوم^(٦)
 فاقبلوا يعصرون إبهامه ويؤذنون في أذنه ، فأفلت من أيديهم وقال : ما لكم تنكأ كشون^(٧)
 على كما تنكأ كشون على ذي جنة ! افرقوا عني ؛ فقال رجل منهم : دعوه فإن^(٨)
 شيطان هندی ، أما تسمعون به يتكلم بالهندية . وقال لجمام يحججه : أنظر ما أمرك به
 فاصنعه ، ولا تكن كمن أمر بأمر فضيعة ، أتني غسل المحاجم وأشد قصب الملازم^(٩)

(١) المتجد بكسر وقذف وحذف : الزبيب .

(٢) استنساء : سأله أن يفسده به ، أي يؤذنه . (٣) في المحاسن والأضداد الجاحظ (ص ١٥)

والمحاسن والمساوي للبيح (ج ٣ ص ٤٧٠) : « مياومة » .

(٤) القم محركة وكسر : الطريق أو وسطه .

(٥) الجلاواز : الشرطي .

(٦) مرعبل : مزق .

(٧) هكذا في المحاسن والمساوي للبيح والمحاسن والأضداد الجاحظ . وفي الأصل : « الطريق » .

(٨) في المحاسن والأضداد ، والمحاسن والمساوي « مضمون » .

(٩) تنكأ كشون : تجمعون . افرقوا : فترقوا .

(١٠) الملازم جمع ملزم بكسر الميم : خشبات مشدود أو ما طمها بمجديفة تحيل في طرفها ثمانية

(مفتاح موج طويل) فخر ما فيها لزوما شديدا ، تكون مع الصياغة والآبارين ويجعل الكتب وغيرهم .

وَأَرْهَفَ ظِلَاتِ الْمَشَارِيطِ وَأَسْرَعَ الْوَضْعَ وَجَعَلَ التَّرْعَ، وَلِيَكُنْ شَرْطُكَ وَتَرْخًا، وَمُصْبَكُ نَهْزًا، وَلَا تُكْرِهَنَّ آيَاءَ، وَلَا تَرْدَنَّ آيَاءَ؛ فَوْضِعَ الْجَحَامِ عَاجِجَهُ فِي جُوسْتِهِ وَمَضَى .

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ أَبَا الْمَكُونِ النَّحْوِيَّ فِي حَقِّقَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَاءِ الْأَمْسِقَاءِ :
اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَاهِنَا وَمَوْلَانَا صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا ، اللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَأَحِطْ ذَلِكَ السُّوءَ بِهِ كِلَاحِطَةَ الْقَلَائِدِ عَلَى تَرَاتِبِ الْوَلَائِدِ، ثُمَّ أَرِيحْنِهِ عَلَى هَامَتِهِ كَرُسُوحِ السَّجِيلِ،
عَلَى هَامِ أَصْحَابِ الْفِيلِ، اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيئًا مُجَلِّجًا مُسَحْفِرًا هَزِجًا سَحَابًا
سُقُوحًا طَبَقًا غَدَقًا مُتَعَجِّرًا؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : يَا خَلِيفَةُ نُوحٍ [هَذَا] الطُّوفَانُ وَرَبِّ
الْكَبَةِ، دَخَنِي آوِي لِي جَبِيلٌ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : كَانَ غَلَامٌ يَقْعُرُ فِي كَلَامِهِ، فَأَتَى أَبَا الْأَسْوَدَ الدُّؤْلِيَّ يَلْتَمِسُ مَاعْنَدَهُ
فَقَالَ لَهُ أَبُو الْأَسْوَدِ : مَا فَعَلَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : أَخَذْتُهُ الْحُمَى فَطَبَخْتُهُ طَبَخًا وَفَضَخْتُهُ

- (١) أَرْهَفَ : حَدَّدَ (٢) ظِلَاتُ جَمْعُ كِتْبَةٍ، وَهِيَ حِدَّةُ السِّيفِ أَوِ السَّانِ وَنَحْوُهُ .
- (٣) فِي الْحَاسَنِ وَالْأَضْدَادِ لِلْحَاسِظِ (ص ١٥) وَالْحَاسَنِ وَالْمَسَاوِيَّ لِلْبَيْقِ (ج ٣ ص ٤٧١) :
- «وَعُفَّ» . (٤) الْجَوْنَةُ بَيْنَ الْجَمِ : سَلِيلَةٌ مَفْشَاةٌ أَدْمَا تَكُونُ مَعَ السَّطَّارِينَ . (٥) فِي الْعَدِّ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : «بَاعْتَانِ» . (٦) السَّجِيلُ : حِجَارَةٌ كَاللُّدْرِ، وَقِيلَ هُوَ جَرَمٌ مِنْ طِينٍ، دَخِيلٌ مَوْجِبٌ مِنْ «سَلَكُ وَكَلَّ» أَيْ حِجَارَةٌ وَطِينٌ . (٧) الْمَجَلِيلُ مِنَ السَّحَابِ : الْقَدَى فِيهِ صَوْتُ الرِّيدِ .
- (٨) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْمَسْحُورُ : الْكَثِيرُ الْعَبْرُ الْوَاسِعُ . (٩) الْمَرْجُ مِنَ الْمَرْجِ وَهُوَ صَوْتُ الرِّيدِ . (١٠) طَبَقٌ : عَامٌّ وَاسِعٌ . (١١) التَّنَقُّ : الْمَطْلُ الْكَثِيرُ . (١٢) الْمُنْبَرِجُ : السَّيْلُ الْكَثِيرُ . وَفِي الْأَصْلِ «مُنْبَرِجًا» . (١٣) الزِّيَادَةُ مِنَ الْعَدِّ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) .
- (١٤) يَقْعُرُ فِي كَلَامِهِ : يَتَشَقَّقُ وَيَتَكَلَّمُ بِأَقْصَى حَلْقِهِ . (١٥) كَتَا فِي الْأَصْلِ وَالْيَابَانِ وَالْيَعِينِ (ج ١ ص ٢٠١) - وَفِي الْعَدِّ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : «وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيُّ لِأَبِي عَقْبَةَ : مَا حَالُ أَبْنِكَ ... الْخ» . (١٦) فَضَخْتُهُ : دَفَعْتُهُ .

فَضَحًا وَفَضَحَةً فَتَحَا فَرَخًا؛ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: فَمَا ضَعَلْتَ أَمْرًا لِي كَانَتْ تُجَارُهُ
وَتُشَارُهُ وَتُرَارُهُ وَتُهَارُهُ؛ قَالَ: طَلَقَهَا فَرَوَّجَتْ غَيْرَهُ فَرَضَيْتُ وَحَظَيْتُ وَظَيْتُ،
قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: قَدْ عَرَفْنَا حَظَيْتُ، فَمَا ظَيْتُ؟ قَالَ: حَرْفٌ مِنَ الْغَرِيبِ لَمْ يَلْفُكْ؛
قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: يَا بَنَ أَخِي، كُلُّ حَرْفٍ مِنَ الْغَرِيبِ لَمْ يَلْفُ عَمَكَ فَاسْتَرْهَ كَمَا تَسْتَرْ
السُّنُورَ نَحْرَاهَا.

قَالَ زَيْدُ بْنُ كَثِيرٍ: أَتَيْتُ بَابَ كَبِيرِ دَارٍ وَهَنَّاكَ حَنَّادٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْجُ السَّارِفَ فَدَلَّظَنِي
دَلْظَةً وَأَدْرَسَ النَّاسَ عَلَيْهِمْ فَوَافَقَهُ إِنْ زَلْنَا نَظَّارَ نَظَّارٍ حَتَّى عَقَلَ الظَّلَّ. وَقَالَ أَيْضًا:
أَتَيْتُ بَابَ كَبِيرٍ وَإِذَا الرِّجَالُ صَبِيحَتَانِ وَإِذَا أَرِيدْنَا كَثِيرَةً وَعُلَاهَا لَا أَحْصِيهِمْ وَلِحَاسٌ
كَانَهَا أَكَّامٌ. وَقَالَ الطَّائِيُّ:

أَيُوسُفُ جِئْتُ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ • تَرَكْتُ النَّاسَ فِي شَكٍّ مُرِيبِ
سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ تَأِيدُ • وَلَمْ أَتَمَعْ بِسِرَاجِ أَدِيبِ

- (١) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالْتِمِيزِ (ج ١ ص ٢٠١) وَضَعَهُ: أَوْعَتْهُ وَأَضْعَفَهُ. وَفِي الْأَصْلِ:
«ضَعْنَهُ» بِالضَّاءِ الْمُنْتَهَا، وَلَمْ يَجِدْ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي كِتَابِ الْفَنِّ مَعْنَى يَنْسَبُ الْمَقَامَ. (٢) الْفَرَحُ: الضَّعِيفُ
الْمُتَهَوِّكُ. (٣) تُجَارُهُ: تَطَارُلُهُ. وَتُشَارُهُ: تُخَاصِمُهُ. وَتُرَارُهُ: تُضَعِّفُهُ. وَتُهَارُهُ: تَهَيَّرُ وَرُجْهَهُ كَمَا
يَعْرِضُ الْكَلْبُ. (٤) فِي الْبَيَانِ وَالْتِمِيزِ (ج ١ ص ٢): «وَقَدْ طَبَعْنَا رَضِيَتْ وَحَظَيْتُ فَاظَيْتُ...».
- (٥) أَلَى بِالْفَتْحِ «ظَايِلَتْ» إِبْطَاءً لِحَظَيْتٍ مِثْلَ حَسَنِ بَسْنٍ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ «يَطْلُ» أَنْظَرَ الْبَاسَانَ
مَادَّةً «بَطْلًا». (٦) الْحَدَادُ: الْبَرْدَابُ. (٧) دَلَّظَهُ: دَفَعَهُ فِي صَدْرِهِ. (٨) هَذِهِ الْبَيَانَةُ
وَارِدَةٌ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا وَلَمْ تَوْفُقْ إِلَى تَحْقِيقِهَا. (٩) نَظَّارٌ مِثْلُ قَطَامٍ: اسْمُ فُلٍّ أَسْرَعَ مِنْ أَنْتَظَرِ
وَالْمَعْنَى: فَالْزِلْنَا بِمَا قَالُوا نَظَّارًا نَظَّارًا. (١٠) عَقَلَ الظَّلَّ: قَامَ قَائِمُ الظُّلْمَةِ. (١١) صَبِيحَتَانِ:
فَرَقَاتَانِ. (١٢) الْأَرِيدَاءُ: جَمْعُ رِمَادٍ. (١٣) هُوَ يُوسُفُ السَّرَاجِ الشَّاعِرُ الْمَعْرِيُّ
كَأَنَّ فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ طَبْعَ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْبَرَاءِ الْخَلِيطِ. (١٤) النَّادُ: نَعْتُ الدَّاهِيَةِ
أَرْبَدُهَا مِنْهَا وَالْمُرَادُ دَاهِيَةٌ شَدِيدَةٌ.

أَمْ لَوْ أَنَّ جِهْلَكَ كَانَ عَلَيَّ * إِذَا لَفِثْتُ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
فَالَّذِ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ * تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

قال رؤبة بن العجاج : خرجت مع أبي ، زيد سليمان بن عبد الملك ، فلما صرنا
في الطريق أُهْدِيَ لَنَا جَنْبٌ مِنْ لَحْمٍ عَلَيْهِ كَرَانِي الشَّعْمِ وَخِرِطَةٌ مِنْ كِمَاةٍ وَوُطْبٌ
مِنْ لَبَنٍ فَطَبَخْنَا هَذَا هَذَا ، فَاذْأَلْ ذِفْرِي أَيُّ تَقْصَانٍ مِنْهُ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ . (الكُرَانِي :
الطبقات ، وكذلك كُرَانِي السَّابِ) .

وصايا المعلمين

قال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده : لَيْكِنْ إِصْلَاحُكَ بَنِي
إِصْلَاحُكَ نَفْسُكَ ، فَإِنْ عُيُوبُهُمْ مَعْقُودَةٌ بِصَبْرِكَ ، فَالْحَسَنُ عَنْهُمْ مَا اسْتَحْسَنْتَ ،
وَالْقَبِيحُ مَا اسْتَقْبَحْتَ ، وَعَالِمُهُمْ سِرُّ الْحِكْمَاءِ ، وَأَخْلَاقُ الْأَدْبَاءِ ، وَتَهَادُّهُمْ فِي وَأَدْبَهُمْ
دُونِي ، وَكَنْ لَمْ كَالطَّبِيبِ الَّذِي لَا يَسْجُلُ بِاللِّدْوَاءِ حَتَّى يَعْرِفَ الدَّاءَ ، وَلَا تَنْكَبَنَّ عَلَى عُذْرٍ
مَنِي ، فَإِنِّي قَدْ أَتَكَلْتُ عَلَى كِفَايَةِ مَنْكَ .

قال الجراح المؤدب بنه : عَلَيْهِمُ السَّبَاحَةُ قَبْلَ الْكَتَابَةِ ، فَإِنَّهُمْ يَجِدُونَ مَنْ يَكْتُبُ
عَنْهُمْ ، وَلَا يَجِدُونَ مَنْ يَسْبِغُ عَنْهُمْ .

- ١٥ (١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : « رُسِيت » . (٢) كذا في الكامل للبرد (ص ١٤٠)
طبعة ليسنج سنة ١٨٦٤) وفي الأصل : « زيد » . (٣) الخريطة : رداء من آدم وغيره .
(٤) الكَاة : نبات لا ساق له ولا مرق ، لوته إلى الثيرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض ، وهو عديم العلم
يؤكل فيه ومطبوخه . . (٥) الوطْب : سقاء اللبن . (٦) ذِفْرِي أَيُّ تَنْتِيَةِ ذِفْرِي ، وهو العظم الشاخص
خلف الأذن . (٧) كذا في الكامل للبرد (ص ١٤٠) وتقصان : ترشحان بالفرق .
٢٠ وفي الأصل « دِيَان » . (٨) وردت هذه العبارة في البيان والبيان (ج ٢ ص ٣٥) طبعة القاهرة
سنة ١٣٣٢) وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) زيادة عما هنا واختلاف يسير في بعض التراكيب لا يخرجهما
عن المعنى المراد ؛ إلا أنها تحسب في العقد الفريد لعمرو بن حنبل .

وقال عبد الملك المؤدّب ولده : علمهم الصلح كما تعلمهم القرآن ؛ وجنبهم السفلة
فإنهم أسوأ الناس رعة وأقبحهم أدبا ، وجنبهم الحشم فإنهم لم يفسدوا ؛ وأخف
شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقووا ؛ علمهم الشعر يحدوا ويجلدوا ، ومنهم
أن يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مصا ولا يصبوه صبا ؛ وإذا احتجت إلى أن تتاولهم
بأدب فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهنوا عليه .

وقال آخر للمؤدّب ولده : لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن أصطكاك
العلم في السمع وأزدحمته في الؤهم مَضَلَّةٌ للفهم .

وكان لشریح ابن یاعق بالکلاب ، فكتب شریح إلى معلمه :

١٠ ترك الصلاة لأكل يسى بها * طلب الهراش مع النواة الرجس
فإذا خلوت فضبه بملامة * وعظنه وعظك لأريب الكئيس
وإذا هممت بضربه فبدرة * وإذا بلغت بها ثلاثا فاحس
وأعلم بأنك ما فعلت نفسه * مع ما يحرجني أعز الأنيس

وقال آخر لرجل يلعب بالکلاب :

١٥ أيها المبطل بحب الكلاب * لا يحب الكلاب إلا الكلاب
لو تعريت وسطها كنت منها * إنما قفها بلبس الثياب^(١)

(١) يقال : فلان سبي الرية إذا كان ظيل الورع .

(٢) أحسن الرجل رأسه أو شاربه : بالغ في قصه .

(٣) في المحاسن والمساوي للبيهقي (ج ٣ ص ٦٢١) : « الزواح » .

(٤) في التحد القرب (ج ١ ص ٢٧٧) « بيني » .

(٥) في المصدق القريدي (ج ١ ص ٢٧٧) « أذاك » .

(٦) كذا في الأصل ، وفيه الإقراء ، وهو اختلاف حركة الروي في الإعراب . ولورود هكذا :

لا يحب الكلاب غير الكلاب ، نلأ من هذا اليب .

وقال آخر :

لَبَّيْكَ يَا أَحْمَدَ قِرْدَةً * وَكَلْبُ هَرَّاشٍ وَدِيكَ صَلُوحُ
وَطَيْرٌ زَبَالٌ وَقُرْبَةٌ ^(١) * هَتُوفُ الْعَثَى وَكَبْشٌ نَطُوحُ

بلغني عن أبي الحسن السُكَلِّي عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال : سمعت

٥ أبي يقول قال لقمان : ضربُ الوالدِ ولده كالسَّيِّدِ للزَّرع .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن

أسامة بن زيد عن مكحول قال : كتب عمر إلى أهل الشام : علموا أولادكم السَّباحَةَ
والزَّعْمَ والقُرُوسِيَّةَ .

وكانت العرب تُسمِّي الرجل ، إذا كان يكتُب ويُحسِن الرِّمَى ويُحسِن العَومَ

١٠ وهى السَّباحة فيقول الشَّعر ، الكامل .

البيان

حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن

عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : "إن من البيان ^(٢) سحرًا" فاطلبوا الصلاة وأقصرُوا الخُطْبَ . وقال العباس :

١٥ يا رسول الله ، فِيمَ الْجَمَلُ ؟ قال : "فِي اللِّسَانِ" .

وكان يقال : عقلُ الرجل مدفونٌ تحت لسانه .

وقال يزيد بن المهلب : أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ عَقْلُ الرَّجُلِ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ . يريد أنه

لا يكون عقله إلا في الكلام . وقال الشاعر :

(١) القمريه : ضرب من الحمام . (٢) بعض الروايات : « لسحرًا » باللام .

كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ * لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانٌ
وَمَا حُسْنُ الرَّجُلِ لَهُمْ بَرِّينَ ^(١) * إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْحَسَنَ الْبَيَانَ

وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك ، فإنه كان يقرى العين جمالا ، والأذن
بيانا . وقال الخمر بن توفيل :

أَعِزَّنِي رَبِّ مِنْ حَصِيرٍ وَيْحِي * وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجَهَا عَلَاجَا
وَمِنْ حَاجِبٍ نَفْسِي فَأَعِصَنِي * فَإِنْ لَمْ تُضْمِرَاتِ النَّفْسَ حَاجَا .

وصف أعرابي رجلا يتكلم فيحسن فقال :

* يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثَّقِيبِ ^(٢) *

ومثله قولهم : فلان يُجِيدُ الْحَزَّ ، وَيُصِيبُ الْمَقْصِلَ ، وربما قالوا : يَقِلُّ الْحَزَّ ^(٣) .

وقال معاوية في عبد الله بن عباس :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ * لَيْعِي وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هَجْرٍ
يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا اتَّعَى * وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّغِيرِ

وقال حسان فيه :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِفَائِلِ * بِلَمَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فُصْلَا

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٥ طبعه يولاني) . وفي الأصل : «لما» .

(٢) الهناء : القطران . والثقب : جمع قبة وهي أول ما يبدو من الجرب ، أي أنه لا يتكلم إلا بما يجب

فيه الكلام ، مثل الطال الذي يضع الهناء موضع الثقب (راجع النقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

(٣) هذا وما قبله من الأمثال التي تنصب في البلاغة ، وذلك أنهم شبهوا البالغ المبرز الذي يقل

الكلام ويصيب المانع ، بالجزار الرقيق يقل حزامه ويصيبه ففاحله (راجع النقد الفريد ج ١

شَفَى وَكَفَى مَا فِي النَّفْسِ فَلَمْ يَدَعْ • لَذَى إِذِيَّةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
 سَمَوَتْ إِلَى الْعِلْبَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ • فَيَلَتْ ذُرَاهَا لَا دَنِيًّا وَلَا وَغْلًا^(١)
 ويقال : الصمتُ منامٌ والكلامُ يَهْطُلُ • ويقال : خير الكلام ما لم يُخْتِجْ بعده
 إلى الكلام •

• ذكر العباس بن الحسن الطالبي رجلاً قال : ألفاظُهُ قَوَالِبُ مَعَانِيهِ • ومدح
 أعرابي رجلاً قال : كلامه الوَيْلُ عَلَى الْخَلِّ ، وَالْعَنْبُ الْبَارِدُ عَلَى الْفَطَمَا •
 وقال الحُطَيْيئة :

وَأَخَذْتُ أَفْطَارَ الْكَلَامِ فَلَمْ أَدَعْ • ذَمًّا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ

وكان الحطيطية يقول : إِنَّمَا شِعْرِي حَسْبُ مَوْضُوعٍ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ
 فقال : كَذَبَ ، تَرَحُّهُ اللَّهُ ، إِنَّمَا ذَلِكَ التَّقْوَى •

قيل لعمر بن عبید : ما البلاغة ؟ فقال : ما بَلَغْتُ الْحَقَّ ، وَعَدَلْتُ بِكَ عَنِ النَّارِ ؛
 [قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : فـ] ما بَصْرَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبَ
 غَيْبِكَ ؛ قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : مَنْ لَمْ يُحْسِنِ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ يُحْسِنِ
 الْقَوْلَ ؛ قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” إِنَّمَا مَعَشَرُ
 الْأَنْبِيَاءِ بَكَاءٌ “ ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنَطِقُ الرَّجُلِ حِلِّي عَقْلَهُ ؛ قال : ليس هذا
 أريد ؛ قال : كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ قِتْنَةِ الْقَوْلِ [وَمِنْ مَقْطَعَاتِ الْكَلَامِ مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ

(١) في الأصل : «وملا» بالعين • وما أُنْتَبَاهَ عَنْ دِيْوَانِ حِصَانِ (ص ٧٤ طبعة لندن سنة ١٩١٠م)
 وهو الأنسب للقام ؛ والوزن : الضميف النذل الساقط المقصر في الأشياء • (٢) الويل : الخطر الشديد •
 (٣) الخلل : الجلب • (٤) تَرَحُّهُ الله : أحزنه وتقصمه • (٥) الزيادة عن القدر القريد
 (ج ١ ص ٢١٣) • وفي الأصل : «ربما بصرك ...» بالواو عطفًا على ما قبله • (٦) بَكَاءٌ جمع بَكَءٍ ،
 وهو ما قُلَّ كلامه خلقته • (٧) كَذَا في البيان والبيان (ج ١ ص ٦٣) • وفي الأصل : «يكرهون» •

- (١) فَنَّةُ السَّكُوتِ [وَمِنْ سَقَطَاتِ الصَّمْتِ؛ قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ؛ قَالَ : فَكَأَنَّكَ إِنَّمَا تَرِيدُ تَحْيِيرَ الْفَلْظِ فِي حَسَنِ إِفْهَامٍ] قَالَ : نَعَمْ؛ قَالَ : إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَهْرِيرَ حُجَّةٍ اللَّهُ فِي عُقُولِ الْمُكَلَّفِينَ ، وَتَخْفِيفِ الْمُتَوَنُّةِ عَلَى الْمُسْتَمْعِينَ ، وَتَزْيِينِ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فِي الْأَنَافِ ، الْمَقْبُولَةِ عِنْدَ الْأَذْهَانِ ، رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ ، وَتَقْيِ الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ مِنَ الْكُتُبِ وَالسُّنَنِ ، كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فَصْلَ الْخُطَابِ ، وَاسْتَوْجِبْتَ عَلَى اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ .

- قَالَ بَعْضُهُمْ : مَا رَأَيْتُ زِيَادًا كَاسِرًا أَحَدِي عَيْنِيهِ وَاضِعًا أَحَدِي رِجْلِيهِ عَلَى الْأُخْرَى يُحَاطَبُ رَجُلًا إِلَّا رَحِمْتُ الْخَطَّابَ . وَقَالَ آخَرُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فَيُحْسِنُ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يَصُمْتَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُسَيَّءَ إِلَّا زِيَادًا فَإِنَّهُ كَلَّمَ زَادَ زَادَ حُسْنًا ، وَقَالَ : وَقَبْلَكَ مَا أُعِيثَ كَاسِرَ عَيْنِهِ * زِيَادًا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى حَبَالَةٍ
- ١٠ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا رَأَى رَجُلًا يُجْلِسُ فِي كَلَامِهِ قَالَ : خَالِقِي هَذَا وَخَالِقِي عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ وَاحِدٌ !

وَتَكَلَّمَ عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَشْثَقُ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَقَدْ رَجَوْتُ عَقْرَتَهُ لِمَا تَكَلَّمَ ، فَاحْسِنِي حَتَّى خَشِيتُ عَقْرَتَهُ إِنْ سَكَتَ .

- (١) التَّكَلُّفُ عَنِ الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ (ج ١ ص ٦٣) وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ . (٢) فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ ١٥ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ : « الْمُتَكَلِّفِينَ » . (٣) تَأْتِي هَذَا الْبَيْتَ الْفَرَزْدَقُ ، قَالَ لَهُ بَلَرُ بْنُ قُصَيْدَةَ قَعَمَ فِي ثَلَاثَةِ وَتَسْمِينِ يَتَا مَبْنِيَةٍ فِي كِتَابِ الْفَنَائِضِ (طَبْعُ مَدِينَةِ « لَيْدِن » سَنَةِ ١٩٠٨ م ص ٦٠٠ - ٦٢٩) وَبَعْدَ الْبَيْتِ :
- فَأَسَمْتُ لَا آتِيهِ سَجِينُ حِجَّةٍ * وَلَوْ شَرْتُ مِنْ الْفَنَائِضِ وَكَاهَلَهُ
- ٢٠ وَالْفَنَائِضُ : لِقَابُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْخَزَزِيُّ وَكَانَ أَسِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ لِقَبْلِ أَهْلِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ يَكُونُونَ بِقَفِيرٍ فَقَالَ : إِنْ تَقَرَّرْتُمْ لِقَابِي . أَيْ كَبُرَ رَاسِي (رَاجِعُ الْفَنَائِضِ ص ٦٠٧) .
- (٤) لَعَلَّ « مَا » حَتَا مُصَدَّرَةٌ أَوْ زَائِدَةٌ . (٥) كَلَامًا فِي الْفَنَائِضِ وَالْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ (ج ١ ص ١١٠) . وَفِي الْأَسْلُ : « تَعْلُقُ » .

أبو الحسن قال: قال معاوية لصُحَّار العبدى: ما هذه البلاغة التي فيكم؟ فقال: شيءٌ يُعْجِبُ به صلورنا ثم تَهْدِفُهُ على ألسنتنا؛ فقال رجلٌ من القوم: هؤلاء بالبسر أبصر؛ فقال صُحَّار: أجل، والله إنا لنعلم أن الرِّيحَ تُلْقِيهِ وَأَنْ الْبَرْدَ يُعْقِدُهُ وَأَنْ الْقَمَرَ يَصْبِغُهُ وَأَنْ الْخُرَيْضَ يَضْبِغُهُ؛ فقال معاوية: ما تُعْدُونَ البلاغةَ فيكم؟ قال: الإيجاز؛ قال: وما الإيجاز؟ قال: أن تُجِيبَ فلا تُبْطِئَ، وتَقُولَ فلا تُخْطِئَ، ثم قال: يا أمير المؤمنين، حسن الإيجاز ألا تُبْطِئَ ولا تُخْطِئَ.

أبو الحسن قال: وقد الحسن بن عليّ على معاوية الشام، فقال عمرو بن العاص: إِنَّ الْحَسَنَ رَجُلٌ أَفْقَهُ فُلُوحَاتِهِ عَلَى الْمُنْتَبِرِ فَكَلِمَ فَسَمِعَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ طَائِبُهُ؛ فَأَمَرَهُ فَصَعِدَ الْمُنْتَبِرَ فَكَلِمَ فَأَحْسَنَ؛ وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ طَلَبْتُمْ أَبْنَاءَ لَنَيْبِكُمْ مَا بَيْنَ جَابِرٍ إِلَى جَابِقٍ لَمْ يَجِدُوهُ غَيْرِي وَغَيْرَ أُنَى وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. فسأه ذلك عمرًا وأراد أن يَقْطَعَ كَلَامَهُ، فقال: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، هَلْ تَتَعَتُّ الرُّطْبَ؟ فقال: أجل، تُلْقِيهِ الشَّمَالُ وَتُخْرِجُهُ الْجَنُوبُ وَيَضْبِغُهُ بَرْدُ اللَّيْلِ بِحَرِّ النَّهَارِ؛ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، هَلْ تَتَعَتُّ الْخِرَاءَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، تُبْعِدُ الْمَشْيَ فِي الْأَرْضِ الصَّحْبَ حَتَّى

- (١) كلمة «البسر» مطبوعة في الأصل وأستأنا على معرفتها بما في الياقوتيين القى وردت فيه العبارة هكذا: «فقال له رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين، بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب... الخ»
والبسر: الترتيل لإطالته وذلك إذا لَوَّنَ ولم يَنْفِجْ . (٢) يَشْدُو . يظنله .
(٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) يمد قوله فلا تبطئ ولا تخطئ: «أطلق يا أمير المؤمنين؛ قال: قد أفلتت، قال: لا تبطئ ولا تخطئ». قال أبو حاتم: استعمل الكلام الأول فاستقال وتكلم بأبرزه .
(٤) كذا في الأصل والمقد الفريد . والأوصاف الخلقية الظاهرة أكثر ما تنجى . على «أفضل» والذي في كتب اللغة أن الوصف من التفاهة (رعى الشئ في المثلث) : قد كُفِّخَ وفيه دلفته . (٥) جابر: مدينة بأقصى المشرق . (٦) جابق: مدينة بأقصى المغرب . (٧) الخروامة بالكسر: النخل والقمود الحاجة . (٨) الصحاح صابدين مهملتين: ما استوى من الأرض مع الأساع . وفي الأصل: «المنضخ» بضادين سيجمين .

تَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ، وَلَا تَسْتَقِيلُ الْقَبِيلَةَ وَلَا تَسْتَدِيرُهَا، وَلَا تَسْتَعِجِي بِالرَّوْتَةِ وَلَا الْعَظْمِ، وَلَا تَبُولُ فِي الْمَاءِ الرَّاكَدِ، وَأَخَذَ فِي كَلَامِهِ .

وكان يقال : كلُّ شيءٍ يَفْصُرُ ما خلا الكلامَ، فَإِنَّكَ كَلَّمَا شَيْئَهُ طَال . قال الحسن : الرجال ثلاثة : رجلٌ بنفسه، ورجلٌ بلسانه، ورجلٌ بماله .

تَكَلَّمَ صَمْعُصَةُ بْنُ صُوحَانَ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : يَهْرِكُ الْقَوْلُ !
فقال صمصة : إِنَّ الْحَيَاءَ نَفْصَاةٌ لِلْمَاءِ .

ويقال : أُلْغِيَ الْكَلَامُ مَا سَابِقُ مَعْنَاهُ لِقَوْلِهِ .

وَفِي كِتَابِ الْهِنْدِ : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ اجْتِمَاعُ آلِيهِ الْبَلَاغَةِ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَاطِبُ الْجُلُشِ^(١)، سَاكِنُ الْجَوَارِحِ قَلِيلُ الْخَطِّ مُتَعَمِّرًا لِلْفَنِّ، لَا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ، وَلَا الْمُلُوكَ بِكَلَامِ السُّوقَةِ، وَيَكُونُ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ، وَلَا يَدْفُقُ الْمَعَانِي كُلَّ التَّدْقِيقِ، وَلَا يُنْقِصُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِصِ وَلَا يُصَفِّيهَا كُلَّ التَّنْصِيفِ [وَلَا يُهَيِّبُهَا غَايَةَ التَّهْذِيبِ، وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصَادِفَ حَكِيمًا أَوْ فِيلَسُوفًا عَلِيًّا] وَيَكُونُ قَدْ تَمَوَّدَ حَذَفَ فُضُولِ الْكَلَامِ وَاسْقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ، قَدْ تَنَظَّرَ فِي صِنَاعَةِ الْمُنْطَقِ عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ لَا عَلَى جِهَةِ الْإِعْتِرَاضِ وَالتَّصْفِيعِ .

وَنَحْوُ هَذَا قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ وَقِيلَ لَهُ : مَا الْبَيَانُ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ يُحِيطُ بِمَعْنَاكَ وَيَحْكِي عَنْ مَفْزَاكَ^(٢)، وَيُخْرِجُهُ مِنَ الشَّرَكَةِ وَلَا تَسْمَعِينَ طَلِيهَ بِالْفِكْرَةِ، وَالَّذِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مَسْلِيًّا مِنَ التَّكَلُّفِ، بَعِيدًا مِنَ الصَّنَاعَةِ، بَرِيثًا مِنَ التَّنْقُدِ، غَنِيًّا عَنِ التَّأْوِيلِ .

١ . (١) الْجُلُشُ : رَوَاعِ الْقَلْبِ إِذَا اضْطَرَبَ عِنْدَ الْفَرَحِ . (٢) الزِّيَادَةُ مِنَ الْبَيَانِ وَالتَّيْيِينِ (ج ١ ص ٥٢) .

٢ . (٣) حَيَارَةُ الْبَيَانِ وَالتَّيْيِينِ : «مِنْ قَدْ تَمَوَّدَ ... الخ» . (٤) فِي الْبَيَانِ وَالتَّيْيِينِ (ج ١ ص ٥٨) : «يَمِيلُ» . (٥) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّيْيِينِ : «رَاقِي لَا يَلْمُهُ ... الخ» .

قال الأصمعي : اليلج من طبق المَفِصَل وأغناك عن المفسر .

قال المدائني : كتب قُبَيْبَةُ بْنُ مُسْلَمٍ إِلَى الْجَحَّاجِ يَسْكُو قَلَّةَ مَرَزَاتِهِ مِنَ الطَّعَامِ وَقَلَّةَ غَشِيَانِهِ النِّسَاءَ وَحَصْرَهُ عَلَى الْمَنِيرِ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ : اسْتَكَثِرْ مِنَ الْأَلْوَانِ لَتُنْصِيبَ مِنْ كُلِّ صَحْفَةٍ شَيْئًا ، وَاسْتَكَثِرْ مِنَ الطَّرِيقَةِ تَجِدَ بِذَلِكَ قُوَّةً عَلَى مَا تُرِيدُ ، وَأَنْزِلِ النَّاسَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ يَسْكُ وَخَاصَّتِكَ ، وَأَرَمَ بِبَصْرِكَ أَمَامَكَ تَبْلُغَ حَاجَتَكَ .

قال بعض الشعراء :

إِنْ كَانَ فِي الْيَمِّ آفَاتٌ مُقَدَّرَةٌ * فِي الْبَلَاغَةِ آفَاتٌ تُسَاوِيهَا

تَكَلَّمَ رَجُلٌ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَهَدَرَ ، فَلَمَّا أَطَالَ قَالَ : أَاسْكُتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ :
وَهَلْ تَكَلَّمْتَ !

ويقال : أَعْيَا الْيَمِّيَّ بِلَاغَةً يَمِّيَّةً ، وَأَقْبَحُ الْفَنِّ لَحْنٌ بِأَعْرَابِ .

وقال أعرابي : الْحِظُّ لِلرَّءِ فِي أُذُنِهِ ، وَالْحِظُّ لِنَفْسِهِ فِي لِسَانِهِ .

ويقال : رَبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي .

ويقال : الصَّمْتُ أُلْفٌ مِنْ عِيٍّ بِلَاغَةٍ . ونحوه قول الشاعر :

أَرَى الصَّمْتَ أَذْنِي لِبَعْضِ الصَّوَابِ * وَبَعْضَ التَّكَلُّمِ أَذْنِي لِي

وقال جعفر البرمكي : إِذَا كَانَ الْإِكْثَارُ أُلْفًا كَانَ الْإِيْمَارُ تَقْصِيرًا ، وَإِذَا كَانَ الْإِيْمَارُ كَافِيًا كَانَ الْإِكْثَارُ مِيًّا .

(١) المرزقة من الطعام : الإصابة منه . (٢) الطروقة : زوجة الرجل ، وأنى الفصل .

(٣) حذر في كلامه : خلط وتكلم بما لا ينبغي . (٤) في الأصل : « أَعْيَا الْيَمِّيَّ بِلَاغَةً يَمِّيَّةً » .

(٥) يريد أن حظ الرجل في أذنه لنفسه لأنه بها يسمع ما يقال ، والحظ في لسانه لغيره لأنه إذا تكلم

فإنما الحظ والفائدة فيه لغيره .

قال ابن السماك : العربُ تقول : العَيُّ الناطقُ أعيانُ العَيِّ الصامت .

قال أنوشروان لبزرجهر : متى يكون العَيُّ بليفا ؟ فقال : إذا وصِفَ حَيِّيا .

قال يونس بن حبيب : ليس لبي مروة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولو بلغ يافوخه أعنان السماء . قال بعض الشعراء :

لَجِبْتُ لِإِدْلالِ الْعَيِّ بِنَفْسِهِ • وَصِمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمَا
وَفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلْعَيِّ وَإِنَّمَا • صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

قال سعيد بن العاص : موطنان لا أستحي من العَيِّ فيهما : إذا أنا خاطبتُ جاهلا ، وإذا أنا سألتُ حاجةً لنفسي .

ذكر أعرابي رجلا يَمِيَّا فقال : رأيتُ عوراتِ الناسِ بين أرجلِهِم ، وعورةَ فلانِ بينَ فَكِّهِ .

وعاب آخر رجلا فقال : ذاك من يتأذى الخيلس ، أبلغ ما يكون في نفسه أعيان ما يكون عند جِساأته .

قال ربيعة الرأي : الساكتُ بين التائم والأترس .

تذاكر قوم فضّل الكلام على الصمت وفضّل الصمت على الكلام ، فقال أبو مُسَهِرٍ : كَلَّا ! إِنَّ النَّجْمَ لَيْسَ كَالْقَمَرِ ، إِنَّكَ تَصِفُ الصَّمْتَ بِالْكَلَامِ ، وَلَا تَصِفُ الْكَلَامَ بِالصَّمْتِ .

(١) يافوخ : هو الموضع الذي يلتقي فيه عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره . (٢) أعنان السماء : نواحيها .

وذم قوم في مجلس سليمان بن عبد الملك الكلام، فقال سليمان: اللهم غفراً، إن من تكلم فأحسن قدر أن يصمت فيحسن؛ وليس من صمت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن .

قال بكر بن عبد الله: طول الصمت حبة^(١). ونحوه قول عمر بن الخطاب: ترك الحركة عقله .

وكان نوفل بن مساحق إذا دخل على امرأته صمت، وإذا خرج من عندها تكلم؛ فقالت له: أما عندى فتطرق، وأما عند الناس فتتطرق! قال: أدق^(٢) عن جليلك ويملين عن دقيق .

وفي حكمة لقمان: يا بُنى، قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت .

قال ابن إسحاق: النساء خلقن لخدمة من ويد ورجل يقف بها، وأهل البيت يصطادونهم؛ فخرج قوم في صيدهم فأروا ثلاثة نفر منهم فأدركوا واحداً ففقروه وذبحوه وتوارى آثنان في الشجر، فقال الذى ذبحه: إنه لسمين، فقال أحد الاثنين: إنه أكل ضرراً، فأخذوه فذبحوه، فقال الذى ذبحه: ما أتع الصمت! قال الثالث: فهانا الصميت فأخذوه وذبحوه . (الضر: حة الخضراء)^(٣) .

كان يقال: إذا فأك الأذنب فأكرم الصمت .

(١) في البيان والتبيين (ج ١ ص ١٥٠) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤): «نومة». والحبة بالضم: اسم من الاحساس وهو تضرع الكلام عند إرادته . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٦): «قال: إنى أجل عن دقيقك، وتدقن عن جليل». (٣) وردت هذه الحكاية في كتاب الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٤١٥) باختلاف يسير في بعض ألفاظها لا يخرجهما عن المعنى المراد . (٤) كذا في حياة الحيوان . وفي الأصل: «ينقر» .

وقال بعضهم : لا يَحْتَرَى على الكلام إلا قَاتِيٌّ أو مَاتِيٌّ^(١) .

وقال الشاعر يمدح رجلا :

صَمَوْتُ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ * وَفَقَاتُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْخُسَمُ^(٢)

قال أبو الدرداء : أَنْصَفَ أَذُنِيكَ مِنْ فَيْكِ ، فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أَذُنَانِ [اثْنَانِ]^(٣) وَفَمٌ وَاحِدٌ ، لَتَسْمَعَ أَكْثَرَمَا قَوْل .

حَضَرَ قُشَيْرِيُّ^(٤) مجلسا من مجالس العرب فأطال الصمت ، فقال له بعضهم : بحقٍّ مُبْتِمَى تُعَرِّسُ العرب ؛ فقال القُشَيْرِيُّ : يا أحمى ، إِنْ حَظَّ الرَّجُلُ فِي أُذُنِهِ لِنَفْسِهِ ، وَحَظَّهُ فِي لِسَانِهِ لغيره .

وقال بعضُ الحكماء : أَكْثَرُ الصَّمْتِ مَا لَمْ تَكُنْ مُسْتَوْلا فَإِنَّ قُوَّةَ الصَّوَابِ أَيْسَرُ مِنْ خَطَلِ الْقَوْلِ ؛ وَإِذَا نَازَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى مَرَاتِبِ الْفَائِزِينَ الْمُصِيبِينَ ، فَادْكُرْ مَا دُونَ الصَّوَابِ مِنْ وَجَلِ الْخَطَا وَفُضَاهِجِ الْمُقْصَرِّينَ .

تَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِ الْهَيْمِ بْنِ صَالِحٍ بِخَطَا ، فَقَالَ لَهُ الْهَيْمُ : يَا هَذَا ، بِكَلَامٍ مِثْلِكَ رَزَقَ أَهْلُ الصَّمْتِ الْحَيَاةَ . وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

خَلَّ جَنَّتِكَ لِرَأْمٍ * وَأَمِضْ عَنْهُ وَسَلَامٌ

مُتَّ بَدَأَ الصَّمْتِ خَيْرٌ * لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

إِنَّمَا السَّالِمُ مِنَ السَّجَمِ فَاهٌ يُلْجِمُ^(٥)

(١) القاتى : الأديب العالم . والماتى : المهلك حقا وبغواية .

(٢) في الأصل «المختبر» وهو مخريف ، لأن القافية ميمية ؛ وهذا البيت لعبد الله بن المبارك صاحب الرقائق يرى مالك بن أنس المدني كما في القند الفريد لأبن عبد رب (ج ١ ص ٢٩٣) وبهذه :

وحى ما وحى القرآن من كل حكمة * ونبئت له الآداب بالهم والدم

(٣) الزيادة عن القند الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) - (٤) في البيان والبيان (ج ١ ص ١٤٩) :

«المسلم» .

وقال آخر:

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ * إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدثنا صاحبنا لنا عن مالك بن دينار أنه قال : لو كانت الصحف من عندنا لأقلنا الكلام .

وقال الأصمعيّ : إذا تظنّف العربيّ كثُر كلامه ، وإذا تظنّف الفارسيّ كثُر سكوته .

قال حاتم طي : إِذَا كَانَ الشَّيْءُ يَكْفِيكَ التَّرْكُ فَاتْرُكْهُ .

قال عبد الله بن الحسن لأبنته : استعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول ، فإن القول ساعات يضُرُّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب .

وقال إياس بن قتادة :

تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحِلُّمُ رَأْيُنَا * وَنُشْمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالْأَكْلَمِ

تكلم ابن السكّك يوما وجارية له تسمع كلامه، فلما دخل إليها قال: كيف رأيت كلامي؟ قالت: ما أحسنه لولا أنك تُكثر تركّده! قال: أردده حتى يفهمه من لم يفهمه؛ قالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد ملّه من فهمه! .

قال عيسى بن مريم: مَنْ كَانَ مَنَظِقُهُ فِي غَيْرِ ذِكْرٍ فَقَدْ لَنَا، وَمَنْ كَانَ نَظَرُهُ فِي غَيْرِ أَعْتَابٍ فَقَدْ سَمَّا، وَمَنْ كَانَ صَحْتُهُ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا .

(١) في نهاية الأدب (ج ٦ ص ٦) وحاشية أبي تمام فرج البربري (طبع مدينة بـ): «ويجمل أيدينا ... الخ» ونسب البيت فيها إلى سعيد بن طحمة - ونسب في أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٣) إلى إياس بن قتادة، كما في الأصل ها .

كان العباس بن زُفر لا يُكَلِّم أحدا حتى تَهْبِطَ الشمسُ، فإذا أَقْتُلَ عَنْ صَلَاتِهِ
ضَرَبَ الْأَعْنَاقَ وَقَطَعَ الْأَيْدِيَ وَالْأَرْجُلَ . وَكَانَ جَرِيرَ لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى تَبْزُغَ الشَّمْسُ ،
فَإِذَا بَزَغَتْ قَذَفَ الْمُحْصَنَاتَ .

قال قتادة : مكتوب في التوراة : لا يُعاد الحديث مرتين .

قال الزُّهْرِيُّ : إعادة الحديث أشد من وَقْعِ الصَّبْغِ .

وفي كتب العجم : أن أربعة من الملوك اجتمعوا فقالوا كلُّهم كلمة واحدة كأنها
رمية بهم : ملك فارس ، وملك الهند ، وملك الروم ، وملك الصين . قال أحدهم :
إذا تكلمتُ بالكلمة ملكتُني ولم أملكها . وقال آخر : قد نِدِمْتُ على ما قُلْتُ ولم أُنْدِم
على ما لم أَقُلْ . وقال آخر : أنا على ردِّ ما لم أَقُلْ أقدرُ منِّي على ردِّ ما قُلْتُ . وقال آخر :
ما حاجني إلى أن أتكلَّم بكلمة ، إن وقعتْ على ضرتي ، وإن لم تقعْ على لم تنفعني .
قال زُبَيْدُ الْيَاسِيِّ ^(٢) : أسكتني كلمةُ أبْنِ مسعود عشرين سنة : مَنْ كَانَ كَلَامُهُ
لَا يُوَافِقُ فِعْلَهُ فَإِنَّمَا يُوَجِّحُ نَفْسَهُ .

وفي كتاب كليله ودمنة : ثلاثة يؤمرون بالسكوت : الرائي في جبل طويل ،
وآكل السمك ، والمُرَوِّى في الأمر الجسيم . قال بعض الشعراء ^(٤) :

قد أفلح السالمُ الصُّمُوتُ * كلامُ واعى الكلام قوتُ

(١) اقتل عن صلاته : انصرف عنها . (٢) كذا في الأنساب السعديَّة ؛ وتهذيب التهذيب ؛
وتاج العروس . وهو زييد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب الياسي نسبة إلى يام بن من همدان .
وفي الأصل « زييد الياسي » بالنون وهو تخریف . (٣) المروى : من روى في الأمر ويقال روى
(بالهمزة) إذا ظفر به وتعقبه ولم يسجل ببواب . (٤) هو محمد بن أبي النجاشي كافي الأغاني (ج ٣
ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذکور أيضا في ديوان والده أبي النجاشي (ص ١٤ طبع بيروت) .

ما كلُّ تُطْقِي لَهُ جوابٌ * جوابٌ ما يَكْرَهُ السَّكُوتُ
يا عَجِبًا لَأَمْرِي ظُلُومٌ * مُسْتَقِرٌّ أَنَّهُ يَمُوتُ

بلغني عن أبي أسامة عن ابن عَوْن عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلموا
وصمتَ الأحنف ؛ فقال معاوية : يا أبا بَجْر، مالك لا تتكلم ؟ قال : أخافكم إن
صدقتكم ، وأخاف الله إن كذبت .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا الحميد بن حنبل قال حدثنا أبو الحكم مروان بن
عبد الواحد عن موسى بن أبي درهم عن وهب بن منبه قال قال ابن عباس :
كفى بك ظالماً ألا تزال مُحَاصِماً ، وكفى بك آثماً ألا تزال تُمارِياً ، وكفى بك كاذباً
ألا تزال مُحَدِّثاً بغير ذكر الله تعالى .

وقال بعضهم :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَقْرَةٍ بِلِسَانِهِ * وليس يموتُ المرءُ من عَقْرَةِ الرَّجُلِ^(١)
فسدته من فيه تَرِي بِرَأْسِهِ * وعثرته بالرجل تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

سُئِلَ بعضُ الحكماء عن البلاغة ، فقال : من أخذ معاني كثيرةً فأذاها بالفاظ
قليلةً ، أو أخذ معاني قليلةً فولد فيها ألفاظاً كثيرة .

بلغني عن أبي إسحاق الفزاري قال : كان إبراهيم يُطِيلُ السَّكُوتَ ، فإذا تكلم
أنبسط ، فقلت له ذات يوم : لو تكلمت ! فقال : الكلام على أربعة وجوه ، فنه
كلامٌ تريجو منفعتَه وتَحْشَى عَاقِبَتَهُ ، فالفضلُ منه السلامة ؛ ومنه كلامٌ لا تريجو منفعتَه
ولا تحشى عَاقِبَتَهُ ، فأقول مالك في تركه خِفةُ الْمُؤَوَّنةِ على بَلَدِكَ ولِسَانِكَ ؛ ومنه كلامٌ

(١) هذا البيت لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كما في القصد الفريد

لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته، وهذا هو الداء المضال؛ ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمين عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره؛ قال: فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام.

(١) الاستدلال بالعين والإشارة والنصبة

- يقال: رُبَّ طَرَفٍ أَفْصَحَ مِنْ لِسَانٍ. قال أعرابي:
- إِن كَانُوا الْقَلِيلَ تَمَّتْ عِيُونُهُمْ * وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ
- وقال آخر:
- إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا * تُضْمِرُهُ أَنْبَتَكَ عَنْهَا الْعُيُونُ
- آخر:

- أَمَا تُبَصِّرُ فِي عَيْنِي عُنْوَانَ الَّذِي أُبْذَى
- وقال ذو الرمة:
- نَمَّ هَاجَتِ الْأَطْلَالُ شَوْقًا كَفَى بِهِ * مِنَ الشَّوْقِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ
- فَمَا زِلْتُ أَطْوِي النَّفْسَ حَتَّى كَانَهَا * بِذِي الرِّمْتِ لَمْ تَحْطُرْ عَلَى بَالِ ذَاكَ
- حَيَاءً وَإِشْفَاقًا مِنَ الرِّكْبِ أَنْ يَرَوْا * دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّائِرِ
- وقال الحارثي يذكر ميتا:

- أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَعْجَدْنَا قَرَى * مِنَ الْبَيْتِ وَاللَّيْلِ الدَّخِيلِ الْخَطِيمِ
- وَأَوْسَعَنَا عِلْمًا بَرْدًا جَوَانِنَا * فَأَعْجَبَ بِهِ مَنْ نَاطِقٍ لَمْ يُحَاورِ

(١) النصبة بالضم: هي الحال الناطقة بنير القنط والمشيئة بنير اليد (عن البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥).

(٢) أطوى النفس: أضرها على شيء من حبيبة. وذو الرمت: اسم وادٍ لبي أسد.

(٣) أعجبتا: أذهبتا. (٤) البت: التهم والحزن، وقيل أذهلت.

ومثل هذا قول القائل : سَلِ الْأَرْضَ قَلْ لَهَا : مِنْ شَقِّ أَنْهَارِكَ ، وَغَرَسِ
أَشْجَارِكَ ، وَجَنِّ نِجَارِكَ ، فَإِنْ لَمْ تَجِبْكَ حِوَارًا ، أَجَابَتْكَ أَعْيَارًا . قال أبو العتاهية :^(٣)

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ * دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ * مَقَائِدِسٌ وَأَشْبَاهُ

يُنَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ * إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ

وَفِي الْعَيْنِ غَيٌّ لِلْعَيْنِ أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ^(٤)

الشعر

يقال : خَيْرُ الشَّعْرِ مَا رَوَّكَ نَفْسُهُ . ويقال : خَيْرُ الشَّعْرِ الْحَوْلِيُّ الْمُتَقَحُّ الْمُحَكَّمُ .

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يُنْشِدُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : سُرَّ

لَا حَلَاوَةَ لَهُ . قِيلَ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ : أَرَأَيْتَ الشَّاعِرِينَ يَهْتَمُّونَ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ

فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ؟ فَقَالَ : عَقُولُ رَجُلٍ تَوَافَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهَا .

قال بشار يصف نفسه :

زُورَ مُلُوكٌ طِيَهُ أَهْبَةً * يُعْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطْبَةٍ

قَلَّ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ * مِنْ قَوْلٍ لَا يُنَامُ مِنْ طَلْبَةٍ

يَخْرُجْنَ مِنْ فِيهِ فِي النَّدَى كَمَا * يَخْرُجُ ضَوْءُ الْمِرْجَاحِ مِنْ هُبَّةٍ^(٦)

(١) القائل هو الرقاشي كما في الصناعتين لأبي حلال العسكري (ص ١١ طبة الأستاذة سنة ١٣١٩هـ) .

(٢) الحوار بكسر الحاء : من حاوره إذا جاوره وواجهه في الكلام . (٣) لم نجد هذه الأبيات في ديوان

أبي العتاهية المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٨ م . (٤) في البيان والتبيين (ج ١ ص ٤٤ طبة القاهرة

سنة ١٣٣٢هـ) : «الرد» . (٥) الزيد : الزائر . (٦) كذا في الأصل ، وفي ديوان بشار

(ص ١٠٣ طبة القاهرة سنة ١٩٢٥ م) : «يخرج ... لتعنى ... الخ» .

تَرَوُا إِلَيْهِ الْخُلُثَاءُ غَادِيَةً * وَلَا تَمَلُّ الْحَدِيثَ مِنْ نَجْبَةٍ
تَلْعَابُهُ تَعَكُّفُ الْمُلُوكِ بِهِ * تَأْخُذُ مِنْ حَيْثُهِ وَمِنْ لَعْنَةٍ
يَزِدُّهُمْ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ * بِيَابِهِ مُمَرِّصِينَ فِي أَدْبِهِ

وقال الطائي يذكر الشعر :

- إِنَّ الْقَوَائِيَّ وَالْمَسَاعِيَّ لَمْ تَزَلْ * مِثْلَ النَّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا
هِيَ جَوْهَرٌ تَرَى فِيهِ أَنْفَتَهُ * بِالشَّعْرِ صَارَ قَلْبًا كَدًّا وَعُقُودَا
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ الْأَلَى * يَدْعُونَ هَذَا سُودْدًا يَجْدُونَ^(٣)
وَتَبْدُ عَنْدهُمْ الْعَلَا إِلَّا عِلًّا * جُعِلَتْ لَهَا مِرْدُ الْقَرِيضِ قُبُودَا^(٤)
- وقال أيضا :

- وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ تُدْعَى حُقُوقُهُ * مَفَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ وَهِيَ مَفَانِمُ^(٥)
وَإِنَّ الْعَلَا مَا لَمْ تَرَ الشَّعْرَ بَيْنَهَا * لِكَالْأَرْضِ غُفْلًا لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ^(٦)
وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَتَرَى فَيَنْتَدِي * لَهُ غُرُرٌ فِي أَوْبِهِ وَمَوَاسِمُ^(٧)
يَرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ * وَيَقْضَى بِنَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمُ^(٨)
وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَنِهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى * بُنَاةُ الْعَلَا مِنْ أَيْنَ تَوَقَّى الْمَكَارِمُ

- ١٥ (١) رجل تلمية بكسر اللام : كثير الخرج والمداينة .
(٢) في ديوان أبي تمام الملبوع (ص ٩٠) : «الجنان» .
(٣) في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٦ أدب (ص ٤٨) وديوانه الملبوع أيضا (ص ٩٠) : «محدودا» بالحاء المهملة .
(٤) المردج جمع مرة ، والأصل في المرة طاقة الجبل .
(٥) رواية الديري (ص ٢٨٦) : «ولا كالللا ما لم يرد... فكلا أرض... الخ» .
(٦) النفل من الأرض : ما لا حكمة فيه .
(٧) كذا في ديوانه ، وفي الأصل «تري» .
- ٢٠

وقال عمر بن الخطاب لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ؛ قال : ولمَ ذلك ؟ قال :
لأنِّي أقولُ البيتَ وأخاه ، ولأنك تقول البيتَ وابنَ عمِّه .

قيل لعقيل بن علفة : ألا تُطيلُ الهجاء ؟ فقال : يكفيك من القِلادة ما أحاط
بالعنق .

وقال بعضهم : خيرُ الشعرِ المُطْمَع .

قيل لكثير : يا أبا مخفر ، كيف تصنع إذا صرَّ عليك قولُ الشعر ؟ قال :
أطوفُ بالرباع الخَلِيلِ^(١) والرباع المَعشِيَةِ ، فيسْمُلُ على أرضه ويُسرِعُ إلى أحسنه .
ويقال : إنه لم يُستدع شاربُ الشعرِ بمثل الماءِ الجارى ، والشرفِ العالى ،
والمكانِ الخَضِرِ الخَلَى أو الخَلَى .

وقال عبدُ الملك بن مروان لأَرْطَافَ بنِ سُبَيْة : هل تقول الآن شعرا ؟ قال :
ما أشرب ، ولا أطرب ، ولا أغضب ؛ وإنما يكون الشعرُ بواحدة من هذه .

(١) عبارة القند الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مالك لا تطيل... الخ» .

(٢) كذا في كتاب الشعر والشعراء للزواج (ص ١٨ طبعه لندن سنة ١٩٠٢) والخَلِيلُ : الخالصة
من السكان ؛ يقال : خلت الدار وأخلت . وفي القند الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : « بالرباع المحبلة »
وهى التى أنت عليها أحوال ضيّرتها . وفى الأصل : المحبلة بانتهاء المعجزة .

(٣) كذا فى الشعر والشعراء (ص ١٨) والقند الفريد (ج ٣ ص ١٤٢) وفى الأصل : «لم يُسرِع» .
(٤) الخَلَى هو الخالى من الضوضاء . وقد وردت هذه العبارة فى القند الفريد (ج ٣ ص ١٤٢)
بدون الكلمة «الخالى» ثم قال صاحب القند : «تأول بعضهم «الخالى» يريد الخالى من النوارى حتى الرِياض
وهو توجيه حسن» . وأما «الخالى» بالمعنى فهو الخالى بالنوار ، ومنه قول أبى بكر بن عبد الرحمن الزهرى
(ج ٢ ص ٨٩ من ديوان الجماسة لأبى تمام طبعه مصر سنة ١٣٢٢هـ) :

ولما نزلنا من لاطة النَّسْدَى * أتينا وبُستاناً من النَّورِ حاليما

(٥) فى الشعر والشعراء (ص ١٨) : «قال كيف أقول وأنا ما أشرب... الخ» .

وقيل لكثير: ما بقي من شعرك؟ فقال: ماتت عزة فإ أطرب، وذهب الشباب فما أعجب، ومات ابن ليلى فما أرغب - يعني عبد العزيزين مروان - وإنما الشعر بهذه الحلال.

وقيل لبعضهم: من أشعر الناس؟ فقال: أمرؤ القيس إذا ركب، والنابعة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب.

وقيل للمعجاج: إنك لا تحسن الهجاء، فقال: إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نعلم، وأحساباً تمنعنا من أن نعلم، وهل رأيت بانيلاً لا يحسن أن يهمل!

وقلت في وصف الشعر: الشعر معدن علم العرب، وسفر حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على ماثرها، وألحنت المبحجوز على مفانرها، والشاهد العنق يوم النفار، والجمعة القاطعة عند انحصار، ومن لم يحم عندهم على شرفه وما يدعيه لسفه من المناقب الكريمة والفعال الحميد بيت منه، شئت مساعيه وإن كانت مشهورة، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جسماً، ومن قيدها بقوافي الشعر، وأوثقها بأوزانها، وأشهرها بالبيت النادر، والمثل السائر، والمعنى اللطيف، أخلدها على الدهر، وأخلصها من الجحد، ورفع عنها كيد العنق وغصص حين الحسود.

وهاء في الشعر كثير. وقد أفردت للشعراء كتاباً، وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب. وذكرت هذه التفتة في هذا الكتاب كراهية أن أخليه من فن من الفنون.

(١) رواية الأمازي (ج ١ ص ٣٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية): «قيل لكثير: ما لك لا تقول الشعر! أجبت: قال: والله ما كان ذلك، ولكن قتلت الشباب فما أطرب، ووزنت عزة فما أنسب، ومات... الخ» وفسر أبو علي فقال: «أجبت» بقوله: «أجبت» أي أقطعت عن قول الشعر. أخذ من قولهم: أجبل الحافر إذا انتهى إلى جبل فلم يتمكن الحفر» (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣): «وقالوا: أشعر الناس، النابعة إذا رهب، وزهير إذا غضب، وزهير إذا رغب».

حُسن التشبيه في الشعر

من ذلك قولُ ابنِ الزُّبَيْرِ الأَسَدِيِّ في الثُّرَيَّا :

وقد لاحت في النورِ الثُّرَيَّا كأنما * به رايةٌ بيضاءُ تُخَفِّقُ للطنينِ ^(١)

شبه الثُّرَيَّا حينَ تَدَلَّتْ للغيبِ رايةٌ بيضاءُ خَفَقَتْ للطنينِ .

ومن ذلك قولُ عترةٍ في الذُّبابِ :

وحَلَا الذُّبابُ بها فليسَ بنازِحَ * هَزِجًا كَفَعِلَ الشَّارِبِ المُتَرَمِّمِ ^(٢)
غَرْدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ * فَعِلَ المِكْبَ على الزَّادِ الأَجْذَمِ ^(٣)
شبه حَكَّهُ يَدَهُ بيده رَجُلٌ مقطوعُ الكَفَيْنِ يَقْدَحُ النارَ بِعُودَيْنِ . ^(٤)

ومن ذلك قولُ أعرابيٍّ في العنبِ :

يَحْمَلْنَ أَوْعِيَةَ السُّلَافِ كأنما * يَحْمِلُنَّهَا بَأَكَارِعِ النَّفَرَاتِ ^(٥)

أَوْعِيَةَ السُّلَافِ : العنبُ ، جعله ظرفًا للحمر ، وشبه شُعَبَ العناقيد التي تَحْمِلُ

الحَبَّ بأَرْجُلِ النَّفَرَانِ . (والنَّفَرُ : طائرٌ مثلُ الصَّفُورِ أحمرُ الخنَّارِ) .

(١) كذا في معاهد التنصيص ص ١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ ، ونسخة خطية من الأُفَافِ
محفوفة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ م في أخبار أبي نيس بن الأُسَلْتِ . وفي نسخة خطية أخرى من
الأُفَافِ رقم ١٢٦١ : «تخفّض» بدل «تخفّض» وفي طبعة بولاق م (ج ١٥ ص ١٦٦) «وقد لاحت
في النور...» بالقاف . وفي الأصل هنا :

وقد سحر النور الثريا كأنها * له راية بيضاء تخفّض للطنين

وفيه أيضا «خففت» في تفسير المؤلف البيت بدل خفقت التي أبتناها ، تبعاً للرواية التي أشرنا لها
في البيت . (٢) يروى هذا البيت في شرح المعلقات للزوزني (طبع القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ) :

«...فليس يابح - غرداً» و يروى البيت الذي بعده «هزجاً يحك ... قدح المكب» .

(٣) الضمير في «بها» يعود على الروضة التي تصبى عترة لوصفها في مقلته . (٤) هزج ككف :

مصوّت . (٥) غَرْدٌ : من غَرَدَ الطائرُ إذا رفع صوته في غنائه وطرب . (٦) المكب : من

أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . (٧) الأجزم : المقطوع اليد ؛ وقيل القاهب الأنامل .

(٨) في اللسان مادة «نفر» : «يحملن أزقاق المدام... بأظفر... الخ» .

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال الآخر، وكان غشي عينيه بياض أو نزل فيها ماء :

يقولون ماء طيب خان عينه * وما ماء سوء خان عيني بطيب
ولكنه أزمان أنظر طيب * بعيني غدا في علا فوق مرقب^(١)
كأن ابن جمل مد فضل جناحه * على ماء إنسانيهما المتفب^(٢)

شبه ما علا الحفدة بجناح قريح من قراخ الزناير قد مد على ناظره .

ومن ذلك قول امرئ القيس وذكر المقاب :

كأن قلوب الطير رطباً وبابساً * لدى وكريها العناب والحشف البالي^(٣)

شبه الرطب بالعناب، واليابس بالحشف . وشبه شيتين بشيتين في بيت واحد .

ومن ذلك قول أوس بن حجر وذكر السيف :

كأن مدب النمل يلتمس الرمي * ومدج ذر^(٤) خاف برداً فأسهلا

شبه فيرند السيف بمدج الذر ومدب النمل .

ومن ذلك قول أبي نواس في البازي :

وملمس أكلف فيه شفا * كأنه عقفد^(٥) ثمانينا^(٦)

(١) الندافى : الشديد السواد، نسبة إلى النداف وهو التراب وفي الأصل : «عيني خدافيا» .

(٢) الجمل يتقدم الجمل على الحاء : اليسوب العظيم، وهو في خلق الجراد إذا سقط لا يضم جناحه ،

والجمل جمل وجلان . (٣) العناب كزتان : شجر معروف ، له ثوب الزيتون في شكله .

(٤) الحشف : ما يس من القر، ولم يكن له علم ولا نوى . (٥) القر : صغار النمل، واحدة

ذرة . (٦) فرغ السيف بكسر القاء والراء : جوهرة ووشيه وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل .

(٧) الشفا : زيادة في المغار الأعلى على الأسفل مع تعففت وانطاف ، ولذا سميت المقاب بالشفواء .

(٨) شبه منسر البازي الذي فيه الشفا بقدر ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جاهليتهم ، وصفة عقد

الثمانين : أن يحصل رأس السبابة على ظهر الإبهام . (راجع بلوغ الأرب للأوس طبعة بغداد ج ٣

ومن ذلك قول أعرابي في امرأة :

قامت تصدّى له عمداً لتقتله * فلم ير الناس وجداً مثل ما وجدا
بجسد آدم لم تُعقد قلائده * وتأهده مثل قلب الظبي ما نهدا
فظل كالخاتم الميائين ليس له * صبر ولا يأمن الأعداء إن وردا

شبه تديها في نهوده بقلب الظبي في صلابته ، ولا نعلم أحداً شبه التدي بقلب
الظبي غيره .

ومن ذلك قول جحدر الكُحلي في امرأة :

على قدم مكنونة اللوب رخصة * وكعب كغفرى جودر الرمل أدرما
شبه كعبها بأصل أذن الجودر ، وهو الصغير من أولاد البقر .

ومن ذلك قول حميد بن ثور يصف قرخ القطاة :

كان على أشداقه نور حنوة * إذا هومد الحيد منه ليطما
ومن ذلك قول يعيل يهجو امرأة :

كان التأليل في وجهها * إذا مفرّت يلد الكشمش
لها شعر فرد إذا آزيت * ووجه كبيض القطا الأبرش

(١) يقال : ظي آدم إذا ضرب لونه يابسا . (٢) الخاتم : السلطان الذي يحوم حول الماء .

(٣) الحيان : السلطان . (٤) الغفرى : الظم الشاخص خلف الأذن . (٥) كب آدم :

سحر . (٦) كما رواه المؤلف في كتابه « الشعر والشعراء » (ص ٢٣٠) . والحفة بالفتح : نبات

مهيئ طيب الريح . وفي الأصل « غنوة » بأنحاء وهو تحريف . (٧) في شرح حاسة أبي تمام

القمري (ص ٨٢١ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨) : « أن أباعيدة أنشد هذا الشعر لأبي القطنش

الحني » . (٨) التأليل جمع تؤول وهو الحبة تظهر في الجلد كالخامة فادونها . (٩) البد

جمع بدة وهي القطعة . (١٠) الكشمش بكسر الكاف والميم : العنب الصغير .

(١١) كنا في ديوان الحامة ، وفي الأصل : « إنا زيت » . (١٢) الأبرش : ما به برش ،

والبرش كالبرص وزنا ومعنى .

ومن ذلك قول أبي نواس في وصف البط :

* كأنما يصفرن من ملاحق^(١) *

ومن ذلك قول بعض الرُجَّاز في جارية سوداء :

كانها والكحل في مِرْوَدِها * تكملُ عينيها ببعضِ جلِدها

ومن ذلك قول الجعدي في فرس :

خيَطَ على زفرةٍ قَمَّ ولم * يَرَّجُ إلى دِقَّةٍ ولا هَضَمِ^(٢)

يقول هو مستفخ الجَنَيْنِ، فكانه زَرَفَاتُشخ جنباه ثم خيَطَ على ذلك .

ومن ذلك قول الطَّيِّتِاح يصف الثَّوَدَ :

يَسْدُو وتُضْمِرُه البِلادُ كأنه * سيفٌ على شَرَفٍ يَسْلُ ويَعْمَدُ^(٣)

ومن ذلك قول النابغة النعمان :

فإنك كالليل الذي هو مُدِيرِي * وإن خِلْتُ أن المتأبى عنك واسعُ^(٤)

ومن ذلك قوله في المرأة :

نظرتُ اليك بحاجةٍ لم تَقْضِها * نظَرَ المريض إلى وجوه العودِ

يقول : نظرتُ اليك ولم تَقْدِرْ أن تُكَلِّمَ، كما ينظر المريض إلى وجوه عواده

ولا يَقْدِرْ أن يُكَلِّمَهُمْ .

(١) عجزه كما في الشعر والشعراء ص ٥٢٠ :

* صرصة الأكلام في المهايق *

(٢) كذا في اللسان مادة «زفر» و «هضم» وفي الأصل «الجفري» . (٣) زفرة الفرس :

وسه، يقال لفرس إنه لطيم الزفرة، أي عظيم الجوف . (٤) كذا في اللسان . وفي الأصل

«ولا هرم» والمهضم : استقامة الضلع ودخول أعاليها، وهي من عيوب الخيل التي تكون خلقة .

(٥) كذا في «الشعر والشعراء» ص ٨٠ وفي الأصل «درمضد» . (٦) كذا في ديوان النابغة

طبع باريس واللسان مادة «نأى» وفي الأصل «ظلت» . (٧) يريد بالمرأة المتجوزة زوج النعمان .

ومن ذلك قول طرفة :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى * لكأطول المرتضى وثنياء باليد

ومن ذلك قول بعض الضبيين يصف أباريق الشراب :

كأن أباريق الشمول عشيّة * لأوز بأعلى الطف عوج الحناجر

ونحو قول أبي الهندي :

مسخني أبا الهندي عن وطيب سالم * أباريق لم يعلق بها وضّر الزيد

مقدمة قسراً كأن رقابها * رقاب بنات الماء تفرع للرد

ومن ذلك قول نصيب في عيد العزيز بن مروان :

وكذلك آنس بالمعتنين * من الأم بآبتها الزائرة

ومن ذلك قول عدي بن الرقاع في الظبية :

ترعى أغش كان إبرة روقه * قلم أصاب من الندوة مدادها

ومن ذلك قول بشار :

كان مثار التبع فوق رموسهم * وأسياقنا ليل تهاوى كواكبها

(١) الطول : الجبل الطويل منه به قاعة الهابة ويمسك صاحبها بطرزه ويركها ترمى .

(٢) القائل لهذا البيت هو شيرمة الضبي كما في اللسان مادة « برق » . (٣) الطف : ما أذرف

من أرض الرب على ريف العراق . (٤) هذا في اللسان وهو المناسب ، لأن المراد عوج

الرقاب . وفي الأصل : « المنابر » ببناء المسجدة ، ولعلها « المنابر » ببناء المسجدة ، جمع منحور وهو موضع

النحر من الخلق . (٥) هو عيد المؤمن بن عبد القلوس كما في اللسان مادة « وضر » .

(٦) الوضر : ريح الجسم والبن . (٧) المقدم : الإبريق الذي على فم فدام وهو خرقة من قز

أرضيه . (٨) يريد بنات الماء الإوز وما يشابهها من طيور الماء . (٩) ترمى :

تسوق . (١٠) الأغش من الغباء : ما في صوته غف . (١١) الروق : القرن .

(١٢) كذا في الأصل والنحر والشراء . وفي التلخيص للقرظيني « فوق رموسنا » وهي الرواية المشهورة .

ومن ذلك قوله :

جَعَلْتُ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى * كَانَ جُفُونَهَا عَنْهَا قَصَارُ

ومن ذلك قول الآخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا لَيْسَ مِنِّي أَطَابَةُ

يقول : لا أَقْدِرُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ مِنْ بَعْضِهِ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ .

ومن ذلك قول الآخر :

كَأَنَّ نِيرَانَهُمْ فِي كُلِّ مَتَرَةٍ * مُصِيبَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارِ^(١)

النَّاسُ يَسْتَحْصِنُونَ هَذَا ، وَأَنَا أَرَى أَنَّ أَقُولُ : الْأَوَّلَى أَنْ يُسَبَّحَ الْمُصِيبَاتُ

بِالنِّيرانِ ، لَا النَّيرانِ بِالْمُصِيبَاتِ .

الآبيات التي لا مثل لها

١٠

حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَشَا مُعْتَمِرَ عَنِ لَيْثٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ

قَالَ : إِنَّهَا كَلِمَةٌ نَجِيَّةٌ :

سَتَيْدِي لَكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَبَاتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ

حَدَّثَنِي الرَّيَّاشِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : أَرْبَعُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلُ أَبِي ذُوؤَيْبٍ :

١٥

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَهْتَمُّ

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْكِبَرِ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ قُورٍ الْهَلَالِيِّ :

أَرَى بَصِيرِي قَدْ رَآبَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ * وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَأَسْلَمَا

(١) المصِيبَاتُ : الثَّيَابُ الَّتِي صُبَّتْ وَلَوْنَتْ بِالْبَسِغِ .

(٢) الْأَرْسَانُ جَمْعُ رَسَنٍ بِالْمَعْرُوكِ وَهُوَ الْحِيلُ .

٢٠

(٣) الْقَصَارُ : الَّذِي يُحَوِّرُ الثَّيَابَ وَيُدْخِلُهَا بِالْقَصْرَةِ ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ .

وأحسن من ابتداء مرثية أوس بن حجر في قوله :^(١)

أيتها النفس أجمل بجزنا * إن الذي تكرهين قد وقعا^(٢)

وأغرب من ابتداء قصيدة النابغة في قوله :

كليني لم يا أميمة ناصب * وليل أفاسيه بعل الكواكب

حدثني الخنقي الشاعر قال : أحسن بيت قيل في الجنب قول نهشل

ابن حري :^(٣)

فلو كان لي فسان كنت مقاتلا * بإحداهما حتى تموت وأسلما

قال : وبيت الخليل في قساوة القلب :

يبكي علينا ولا يبكي على أحد * لنحن أغلظ أجادا من الإبل

قال : وبيت حيد في الاستغفار :

من يسأل الناس يغرموه * وسائل الله لا يجيب

قال : وبيت متجوف بن مرة السلمي في الاحتفاظ بالمال :

وأدفع عن مالي الحقوق وإنه * لجم فلك الدهر جم مصائبه

قال : وبيت الخطيئة في إكرام النفس :

وأكرم نفسي اليوم عن سوء طعمة * ويقتني الحياة المرء والريح شجرة^(٤)

(١) في الأصل : « وأحسن من ابتداء مرثية قول أوس بن حجر » . (٢) في الشعر

والشعر (ص ٧) « تحذرين » . (٣) في الأصل : يرى بالجم . وما أبتاه عن الأغانى (ج ٨

ص ١٥٩) ولبقات الشعراء همى ص ١٣٠ طبعة لندن سنة ١٩١٣ م . (٤) في الأصل :

« شاجر » وما أبتاه عن ديوان الخطيئة (طبع ليسج سنة ١٨٩٣ ص ٦٤) ورواية الديوان : وأكرمت

نفسى ... الخ . قتي الحياة (وزان فرح) : لزمه . والبيت من قصيدة يذكر فيها الزرقان ويمدح آل

شماس عليها :

فما سلطان من سليمي لغامره * تمشى به ظلماته ويجاذره

(١) قال : وقول كعب في الإقدام :

نَصلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِمُخْطَوَاتِ * قُدْنَا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْجُحِ

قال : وبيت عمرو بن الإطنابة في الصبر :

وقولي كُلُّمَا جَشَّاتُ وَسِجَّاتُ * مَكَانِكَ مُحَمَّدِي أَوْ تَسْتَرْحِي

وأحسن من هذا عندي قول قَطْرِي :
(٢)

وقولي كُلُّمَا جَشَّاتُ لِنَفْسِي * مِنَ الْأَيْطَالِ وَيَحِيكَ لَا تُرَآيَ

فإنك لو سألت بقاء يوم * على الأجل الذي لك لَمْ تُطَاعِي
(٣)

قال : وبيت مسكين الناري في الجود :

طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ * وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقْتَعُ

قال : وفي حسن الحوار قوله :

ناري ونار الجار واحدة * وإليه قبل تَزَلُّ الْقِنْدُ

ما ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ * إِلَّا يَكُونُ لِبابِهِ سِتْرُ

قال : ومن رضى بالقليل جميل ، قال :

أَقْلَبُ طَرَفِي فِي السَّمَاءِ لِمَلَّةُ * يُوَاغِقُ طَرَفِي طَرَفَهَا حِينَ تَنْظُرُ

(١) هو كعب بن مالك ، كما في الكامل للبرد طبع أوربا (٦٦ ص) والأعقاب (ج ١ ص ٣٠) وورد

فيه «يوما» بدل «قدما» . (٢) روى هذا المصراع في حاشية أبي تمام هكذا :

أقول لما وقد طارت شطاط * من الأبطال ... الخ

(٣) هكذا في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢٧) وحاشية أبي تمام . وفي الأصل : «... حياة ...

من الأجل ... الخ» وفي القند الفريد : «... حياة ... سوى الأجل ...» (٤) في شرح

حاشية أبي تمام للبريزي : «قال حجة بن بجير ، وقيل إنه لمسكين الناري» . وروى البيت

فيه هكذا :

لما في لحاف الضيف والبيت يه * ولم يلهني عنه غزال مقتع .

(١)
وقول الآخر:

أليس الليل يُليسُ أم عمرو * وإيانا فذاك بنا تتأني
تري وفتح النهار كما أراه * ويسلوها النهار كما علاي
قال : وبيت عمرو بن كلثوم في الجهل :

ألا لا يجهل أحدٌ علينا * فتجهل فوق جهل الجاهلينا

قال : وبيت النابتة في ترك الإلحاح :

فأستقي ذلك للصديق ولا تكن * قتباً^(٢) بعض بفارب ملتحاح

قال : وفي إدراكه التار قول مهليل :

لقد قتل بني بكرٍ برجمهم * حتى بكيت وما يبكي لم أحد

قال : وبيت عمرو بن الورد في تبليغ العذر في الطلب :

لئبلغ عذراً أو تُفيد غنيمة^(٣) * ومبلغ نفس عذرها مثل منجج

قال : وبيت جميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى :

كلوا اليوم من رزق الإله وأبشروا * فإن على الرحمن رزقكم خدا

قال : وفي الشجاعة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالي * أحتفي كان فيها أم مساها

(١) هو الملوط كما في نخب الشعر والشراء المؤلف (ص ٢٦٧) ويرى فيه صدر البيت الثاني هكذا :

* بل ترى إليه كما أراها *

(٢) القتب : رجل صغير على قدر البنام - وفي أساس البلاغة : « ومن المجاز قولهم اللع : هو قتب
بعض بالغارب ، وقب ملتحاح » ثم ساق بيت النابتة مستشهداً به على ذلك . (٣) في نزاة الأدب

للبنادى (ج ١ ص ٢٠٣) : « أكثر قتلى ... الخ » . (٤) رواية ديوان عمرو بن الورد

طبع المطبعة الأهلية ببيروت (ص ٨) : « ... أو تصيب رغبة ... الخ » .

قال : وبيت المتأس في المال وتيمره :^(١)

قليلُ المالِ تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وأخبرنا دَعْبِل بن عليّ الشاعر قال : أحمي بيتَ قيل قولَ الطَّرِمَاح في تميم :
تميمٌ بطريقِ اللُّؤمِ أهدى من القَطَا * ولو سلكَتْ طُرقَ المكارمِ ضَلَّتْ

قال : وكذلك قولُ الأخطَل :

قومٌ إذا استنبح الأضيافَ كلَّهم * قالوا لأُمهم بُولى على النارِ

قال : وكذلك قولُ الحُطَيْئة للزَّيرِ قَان في قِصرِ الهِمْمة :

دَعِ المكارِمَ لا تَرَحَّلْ لِيُفِتِنَا * وأقعدُ فإنك أنتَ الطَّليمُ الكامِي

قال غيره : وقولُ الطَّرِمَاح في القَلْبَةِ والنَّجْمُول :

لو كان يَخْفَى على الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ * من خَلَقَه خَفَيْتَ عَنْهُ بَنُو أَمِيدِ

ونحوه قولُ الآخر :

وأنتَ مَلِيخُ كَلَمِ الحُؤَا^(٢) * لا أنتَ حُلُوٌّ ولا أنتَ مُرُّ

وكذلك قولُ جَرِيذٍ في التَّيمِ^(٣) :

(١) كذا في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٩ طبة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ) والشعر والشعراء (تولف

(ص ٨٨) ، ونهاية الأدب للزُّبَيْرِي (ج ٣ ص ٦٤) . ويرى صدرالبيت في الأغاني والشعر
والشعراء : « وإصلاح القليل يزيد فيه ... الخ » . ويرى في نهاية الأوب : « ... مع الفساد » :
وفي الأصل نسب البيت « لعيد » . (٢) مليخ : لا علم له ، ونحوه بعضهم يلزم الحوار الذي يخر
حين يقع من بطن أنه فلا يوجد له علم . (٣) وقد ورد البيتان في ديوان جرير المخطوط المحفوظ
بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٠٠ ، ضمن قصيدة طويلة مطلعها :

ألا زابت وأهل بيتي هجود * وليت عيالها بيتي هجود
ويرى في الديوان : « ... لواقيت ... أحم ... الخ » . ويرى : « ... ولا يستأرون ... الخ » .
وقد عزا صاحب الأغاني (ج ٧ ص ١٧٧ طبة بولاق) البيت الأول مع بيت آخر من القصيدة إلى الأخطَل .

وَأَتَكَ لَوْ رَأَيْتَ عَيْدَ تَيْمٍ * وَتَيْمًا قَلَّتْ أَهْمُهَا الْعَيْدُ
وَيُغْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيْبَ تَيْمٍ * وَلَا يُسْتَأْذَنُ وَهُمْ شُهُودُ

وأحسن ما قيل في الهيبة :

بُغِضَ حَيَاءٌ وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ * فَمَا يَكْمُرُ إِلَّا حِينَ يَتَيْسِمُ
وَأَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي مَصْلُوبٍ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَخْرَةَ مَوْتَى الْأَنْصَارِ :

لَعَمْرِي لَنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَدِّبٍ ^(١) * طَوِيلَ تَعْقِيكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ
لَقَدْ عَشَّتْ مَبْسُوطَ الْبَدَنِ مُرْزَا * وَعُوفِيَتْ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ
وَأَفْلَتَ مِنْ ضَيْقِ التُّرَابِ وَغَمِّهِ * وَلَمْ تَقْعِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ
وَأَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي مَجْمُوعٍ قَوْلُ أَعْرَابِي :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ طَبِيبَ الْمَشَاشِ ^(٢) * وَأَنْتَ بَحْرُ جَوَادٍ خَصَمَ
وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْجَحِيمِ * إِذَا مَا تَرَدَّدْتَ فِيمَنْ ظَلَمَ ^(٣)

ومن أغرب ما قيل في دَعَى قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَنَوِيِّ :

لَوْ أَنَّ مَوْتَى تَيْمٍ كُلَّهَا تُسْرُوا * وَأَثْبَتُوكَ لَقِيلَ الْأَمْرُ مَصْنُوعُ
مِثْلَ الْحَدِيدِ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِي * تَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الثَّوْبَ مَرْقُوعُ ^(٤)
وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْبَاحِرِ :

أَجَارَتَنَا بَانَ الْخَلِيلُ فَأَنْشُرِي ^(٥) * فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ يَبِينَ خَلِيلُ
أُطَاتِبُهُ فِي عِرْضِهِ لِيَصُونَهُ * وَلَا عَلِمَ لِي أَنَّ الْأَمِيرَ لَقِيلُ

- (١) جذع مشدب : مقشراً عليه من الشوك . (٢) مرزاً : كريم يصيب الناس خيره .
(٣) في أساس البلاغة الترخشي : « ومن المجاز : فلان طيب المشاش ، وإنه لكريم المشاش إذا كان برا » . (٤) كذا بالأصل . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب : « البنى » بتقديم النون على الباء ولم توضع في المخطأ التي بين أيدينا إل استبانة . (٥) في ديوان المعاني : « إنَّ الجسد ... الخ » . (٦) انطليط : القوم الذين أمرهم واحد .

ونحوه قول دِجِل في مالك بن طوق :

النَّاسُ كُلُّهُمْ يَسْعَى لِمَا جَنَّهُ * مَا بَيْنَ ذِي فَرْجٍ مِنْهُمْ وَمَهْمُومٍ
وَمَالِكٌ ظَلَّ مَشْغُولًا بِنِسْبَتِهِ * يَوْمَ مِنْهَا نَحْرًا يَأْخُذُ غَيْرَ مَرْمُومٍ^(١)
بَنَى بَيْوتًا نَحْرًا لَا أُنَيْسَ بِهَا * مَا بَيْنَ طُوقٍ إِلَى عَمْرٍو بْنِ كُثُومٍ

التلطف في الكلام والجواب وحسن التعريض

٥

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ترك عَقِيلٌ علياً وذهب إلى معاوية ؛ فقال
معاوية : يا أهل الشام ، ما ظنكم برجل لم يصلح لأخيه ؟ فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ،
إن أنى خير لنفسه وشراً لي ، وإن معاوية شر لنفسه وخير لي . قال : وقال معاوية يوماً :
يا أهل الشام ، إن عم هذا أبو لمب ، فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ، إن عمه هذا حمالة
الحطاب ؛ وكانت أم جميل امرأة أبي لمب وهي بنت حرب .

١٠

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو هلال عن قتادة قال قال عبيد الله
أبن زياد لقيس بن عباد : ما تقول في وفي الحسين ؟ فقال : أغفني أخاك الله !
فقال : لتقولن ؛ قال : يحيى أبوه يوم القيامة فيشفع له ، ويحيى أبوك فيشفع لك ؛
قال : قد علمت غشك وخبثك ، لكن فارقتني يوماً لأضعن بالأرض أكثرك شعراً .
فيل لميمون بن مهران : كيف رضاءك عن عبد الأعلى^(٢) ؟ قال : نيم المرء عمرو
أبن ميمون .

١٥

مرَّ عمر بن الخطاب بالصبيان وفهم عبد الله بن الزبير ، ففرَّوا ووقف ؛ فقال
له عمر : ما لك لم تفر مع أصحابك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أجزم فأخافك ،
ولم يكن بالطريق ضيق فأوسع لك .

٢٠

(١) دِمَ الحافظ ونحوه : أمله . (٢) عبد الأعلى هذا هو ابن ميمون أخو عمرو .

حدثني الفضل بن محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة قال : قال عبد الله ابن طاهر ذات يوم لرجل امره بعمل : احذر أن تخطئ فأعقبك بكنا (لأمر عظيم) قلت له : أيها الأمير، من كانت هذه عقوبته على الخطأ فما ثوابه على الإصابة ! .

رأى رجل من قريش رجلاً له هيئة رثة، فسأل عنه، فقالوا : من قلب، فوقف له وهو يطوف بالبيت، فقال له : أرى رجلين قلباً وطناً البطحاء، فقال له : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة، وهي لي دونك؛ وبطحاء ذي قار، وأنا أحق بها منك؛ وهذه البطحاء وسوء الماكف فيه والبادي .

حدثني سهل عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أو غيره : أت معاوية عرّض فرساً على عبد الرحمن بن حسان فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجش هزيم^(١) . يريد قول النجاشي : ١٠

ويجي ابن حرب^(٢) سابع ذو علالة * أجش هزيم^(٣) والرماح دواني

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا أبو سامة عن حماد بن سامة قال أخبرنا داود بن أبي هند عن محمد بن عباد المخزومي أن قريشاً قالت : قبضوا لأبي بكر^(٤)

(١) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات . (٢) بطحاء ذي قار : موضع قريب من ذي قار التي كانت في الوقت المشهورة بين السجم والحرب وانتصرت فيه العرب (راجع ما يؤيد طبعه في المضاف والمضاف إليه) . (٣) يريد بطحاء مكة . (٤) يقال : فرس أجش إذا كان غليظ الصهيل ، وهو عما يحد في الخيل . والحزيم من الخيل : الشديد الصوت . (٥) هو قيس ابن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب . (٦) لما بلغ معاوية أن النجاشي قال فيه هذا البيت دفع ثنوديه (تنزة تشدوه وهي الرجل بمنزلة الذي للراة) وقال : لقد علم الناس أن الخيل لا تجري بمثل فكيف قال هذا ! راجع للشعر والشراء المؤلف (ص ١٨٩) . (٧) العلالة بضم العين : بقية جرى الفرس . (٨) قبضوا : هيئوا وأكثبوا له . ١٥ ٢٠

- ٩ رجلاً يأخذه، فَيَقْبِضُوا لَهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَأَتَاهُ وَهُوَ فِي الْقَوْمِ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ قُمْ لِي؟ قَالَ : لَأَتَمَّ تَدْعُونِي؟ قَالَ : أَدْعُوكَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : مِنَ اللَّاتِ؟ قَالَ بَنَاتُ اللَّهِ، قَالَ : فَمَنْ أَتَمُّهُمْ؟ فَسَكَتَ طَلْحَةُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَجِيبُوا صَاحِبَكُمْ، فَسَكَتُوا، فَقَالَ طَلْحَةُ : قُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عبيد الله بن عمر أن عمر قال : من يُخْبِرُنَا عَنْ قَنْدَابِيلَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاؤُهَا وَشَلٌّ ، وَتَمْرُهَا دَقْلٌ ، وَلِصَبَا بَقْلٌ ، إِنْ كَانَ بِهَا الْكَثِيرُ جَاعُوا ، وَإِنْ كَانَ بِهَا الْقَلِيلُ ضَاعُوا ، قَالَ عُمَرُ : لَا يَسْأَلُنِي اللَّهُ عَنْ أَحَدٍ بَعَثْتُهُ إِلَيْهَا أَبَدًا .

- ١٠ حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : مَرِيضٌ زِيَادٌ فَدَخَلَ عَلَيْهِ شُرَيْحٌ ، فَلَمَّا نَزَجَ بَعَثَ إِلَيْهِ مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ ^(٤) [يَسْأَلُهُ] كَيْفَ تَرَكْتَ الْأَمِيرَ؟ قَالَ : تَرَكْتُهُ يَأْمُرُ وَيَنْهَى ، فَقَالَ [مَسْرُوقُ] : إِنْ شُرَيْحًا صَاحِبُ تَعْرِيضٍ فَسَلُّوهُ [فَسَأَلُوهُ] ، قَالَ : تَرَكْتُهُ يَأْمُرُ بِالْوَصِيَّةِ وَيَنْهَى عَنِ الْبُكَاءِ . وَمَلَتْ أَبْنُ لَشُرَيْحٍ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ ، فَفَعَدَا عَلَيْهِ قَوْمٌ يَسْأَلُونَهُ ، وَقَالُوا : كَيْفَ أَصْبَحَ مَنْ تَصِلُ يَا أَبَا أُمَيَّةَ؟ قَالَ : الْآنَ سَكَنَ ^(٦) عَظْرُهُ وَرَجَاهُ أَهْلُهُ .

١٥

(١) كذا في مصمم ياقوت ومصمم ما استجيب البكرى ، هي مدينة بالسند . وفي الأصل : «قندابيل» بالفاء .

(٢) الوشل بالضمريك : الماء القليل والكثير منه . والمراد هنا الماء القليل .

(٣) القتل بالضمريك : أردأ التمر .

(٤) الزيادة ما عوذة من القعد القريد (ج ١ ص ٢٩١) .

(٥) كذا في القعد القريد وفي الأصل : «... صاحب عريص الخ» .

(٦) المز بالضمريك : القلق والكره عند الموت .

٢٠

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني بعض الأعراب قال : هَوَى رَجُلٌ
امْرَأَةً ثُمَّ تَزَوَّجَهَا ، فَأَهْدَى إِلَيْهَا ثَلَاثِينَ شَاةً وَزِقْلًا نَحْرًا ، فَشَرِبَ الرَّسُولُ فِي الطَّرِيقِ
بَعْضَ النَحْرِ وَذَبَحَ شَاةً ، فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ لِمَا أَرَادَ الْأَنْصِرَافُ : اقْرَأْ عَلَيَّ مَوْلَاكَ السَّلَامَ ،
وَقُلْ لَهُ إِنَّ شَهْرَنَا قَصَّ يَوْمًا ، وَإِنْ مُجِيبًا رَاجِعًا شَانِئًا أَنَا نَا مَرْتُومًا . فَلَمَّا أَتَى مَوْلَاهُ
فَأَخْبَرَهُ ضَرِبَهُ حَتَّى أَقْرَ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : خَطَبَ أَعْرَابِي إِلَى قَوْمٍ ، فَقَالُوا : مَا تَبْذُلُ
مِنَ الصَّدَقَاتِ ؟ وَأَرْفَعُ السَّجْفَ^(٢) فَرَأَى شَيْطَانًا كَرِهَهُ ، فَقَالَ وَاقِهِ مَا عِنْدِي تَقْدَرُ ، وَإِنِّي
لَأَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ عَلَيَّ دَيْنٌ .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : قَالَ سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ الشَّعْبِيِّ : مَا تَسْتَهْيِي ؟
قَالَ : أَعَزُّ مَفْقُودٍ ، وَأَهْوَنُ مُوجُودٍ ، قَالَ : يَا غُلَامُ أَسْقِهِ مَاءً .

المدائني قال : كَانَ لِابْنِ عَوْنٍ ابْنٌ عَمُّ يُؤْذِيهِ ، وَلَأَحَاهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَوْنٍ ،
لِمَا بَلَغَ مِنْهُ : تَسْكُتُنْ أَوْ لَا تَسْكُتُنْ مُسْئِلِمَةً . فَشَهِدَ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ ،
فَرَدَّ شَهَادَتَهُ .

المدائني قال : قَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : مَا خَدَعَنِي أَحَدٌ قَطُّ خَيْرَ غُلَامٍ مِنْ بِلْعَارِثِ بْنِ
كَعْبٍ ، فَإِنِّي ذَكَرْتُ امْرَأَةً مِنْهُمْ ، قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! لَا خَيْرَ لَكَ فِيهَا ، إِنِّي رَأَيْتُ
رَجُلًا قَدْ خَلَا بِهَا يَقْبَلُهَا ، ثُمَّ بَلَغَنِي بَعْدُ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : أَلَمْ تَعْلَمَنِي
أَنَّكَ رَأَيْتَ رَجُلًا يَقْبَلُهَا ؟ قَالَ : بَلَى ! رَأَيْتُ أَبَاهَا يَقْبَلُهَا .

(١) مَرْتُومٌ : مَكْسُورٌ ، يُقَالُ : رُمْتُ أَفْ ظِلَانِ أَوْ غَوْهَ إِذَا كَسَرْتَنِي قَطْرًا بِأَلَمٍ .

(٢) السَّجْفُ يَفْتَحُ السَّيْنَ وَكَرْمًا : السَّرَّ .

(٣) لَأَحَاهُ : تَزَوَّجَهُ .

قال المدائني : أتى شُرَيْحًا القاضي قومٌ برجل ، فقالوا : إن هذا خطبٌ إلينا :
فسألناه عن حرفته فقال : أبيع الدوابَّ ؛ فلما زعجناه ، فإذا هو يبيع السنانير ؛ قال :
أفلا قلم أيُّ الدوابِّ تبيع ! وأجاز ذلك .

المدائني قال : دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابنٌ شُبْرَمَة ، فقال له :
أتعرفه ؟ [وكان رُحَى عنده بريئة] قال : نعم ، إنَّ له بيتًا وشرقًا وقدمًا ، [تُخْلِ سبيله] ^(١)
فلما خرج قال له أصحابه : أعرفه ؟ قال : لا ، ولكني أعلم أن له بيتًا يأوى إليه ،
وشرقه أذناه ومنجابه ، وقلمه هي قدمه التي يمشي عليها .

المدائني قال : سئل الشعبي عن رجل ، فقال : إنه لنافذ الطُّعنة ، رَكِبَ التُّعْمَةَ ^(٢) ،
يعني أنه خياط [فأتوه فقالوا : غررنا ، فقال : ما فعلت ! وإنه لَكَا وصفت] ^(٣) .

المدائني قال : أتى السُّريَانُ بن الهيثم بشابٍ سكران ، فقال له : من أنت ؟ فقال :
أنا ابنُ الذي لا يَتَلَّ الدهرَ قَدْرُهُ * وإن تزلتَ يومًا فسوف تعودُ ^(٤)
تري الناسَ أفواجًا إلى ضوئه ناره * فنهم قيامٌ حولها وقعودُ
فظنَّ أنه من بعض أشراف الكوفة فخلَّاه ، ثم ندِمَ على ألا يكون سألَه مَنْ هو ،
فقال لبعض الشرط : سَلْ عن هذا ، فسأل ، فقالوا : هو ابنُ بَيْاعِ الباقِلِ .

دخل حارثة بن بدر النَّدائِي على زياد ، وكان حارثة صاحب شرابٍ وبوجه أثر ،
فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال حارثة : أصلح الله الأمير ، رَكِبْتُ فرسا ^(٥)

(١) الزيادة عن المقد القرطبي (ج ١ ص ٢٩١) . (٢) في نهاية الأرب النوري (ج ٢

ص ١٥٨) : « رَكِبَ الجلطة » . وفي البيان والبيان (ج ١ ص ١٨٣) : « دزين الخيل » .

(٣) الزيادة عن نهاية الأرب . (٤) في المقد القرطبي (ج ١ ص ٢٩٠) : « الأرض » .

(٥) في الأصل : « فقال زياد » وهو سهو من النسخ .

لى أشقر فحملنى حتى صدم بى الحائط ؛ فقال زياد : أما إنك لو ركبت الأشهب لم يُصَبِّك مكروه . عني زيادُ اللَّبنَ ، وعني حارثةُ النيدِ .

قعد قوم على نيدٍ فسقط دُبابٌ فى قدح أحدهم ، فقال رجل منهم : عَطَّ التيمى ، فقال آخر : عَطَّه فإن كان تيمياً رَسَبَ ، وإن كان أزدياً طَفَا ؛ قال ربّ المنزل : ما يسرنى أنه كان [قال] بعضكم حرفاً . وإنما عني أن أزدَ عُثمانَ ملاحون .

المدائنى قال : رأى رجل فى يد امرأة كانت تأتبه خاتم ذهبٍ ، فقال لها : ادفعى لى خاتمك أذكرك به ؛ فقالت : إنه ذهبٌ ، وأخاف أن تنهب ، ولكن خذ هذا المود لملك تعود .

حدثنى الزيادةُ قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال : أقبل النبی صلى الله عليه وسلم الى المدينة مُردفاً أباً بكر شيخاً يُعرف ، ورسول الله شاب لا يُعرف ، فلبقى الرجلُ أباً بكر فيقول : يا أباً بكر ، من هذا [الرجل الذى] بين يديك ؟ فيقول : [هذا الرجل] يهدينى السبيل ؛ فيحسب السامع أنه يهديه الطريق ، وإنما عني سبيل الخير .

كان سنان بن مَكلٍ النخیری يُسَير أبن هُبيرة يوماً وهو على بغلة ، فقال له عمر بن هُبيرة : غَضَّ من بطنك ؛ قال : كلا ! إنها مكتوبة . أراد أبن هُبيرة قول الشاعر :

(١) ورد هذا الخبر فى كتاب الحيوان لمجاظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع السامى) بتفصيل عما هنا . ولمنحه أن القوم كانوا من الأزد وسهم رجل مقلد يتصحب لأصحابه من تميم . فلما رأى القوم يبتون تيمياً عرض بأنهم ملاحون فغيرا لهم . (٢) زيادة من كتاب الحيوان لمجاظ . (٣) فى الأصل : «قصم» وهو تحريف . وفى كتاب الحيوان : «بضم» . (٤) الزيادة من صحيح البخارى فى باب الهجرة . (٥) كذا فى الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . وفى نهاية الأرب للزيرى (ج ٣ ص ١٦١) : «قال عمر بن هُبيرة الفزارى لأيوب بن غيلان النخيرى ... الخ» . وفى كتاب النكاحات للشافعى (ص ٢٠٧) المطبوع بمطبعة الجواثب سنة ١٣٠١ هـ : «سأير شريك بن محمد النخيرى عمر بن هُبيرة الفزارى على بغلة فجازت البغلة عمر فقال له : أغضض بطنك ؛ فقال شريك : إنها مكتوبة ... الخ» . (٦) هو جرير .

فَنُصِّصَ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ * فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كَلَابًا
وأراد سنان قول الآخر: ^(١)

لَا تَأْمَنْتَ فَرَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ * عَلَى قَلُوصِكَ وَأَكْبَهَا بِأَسْيَارِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: قال معاوية للأحنف: يا أحنف، ما الشيء
الملقف في الجِّاد؟ فقال: هو السَّخِينَةُ ^(٢) يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر:

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ * فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ بَعْضُ بَرَادٍ
بِجُزْءٍ أَوْ بَتَرٍ أَوْ بِسَمِينٍ * أَوَالِشَيْءِ الْمَلْفِ فِي الْجَادِ ^(٣)

وأراد الأحنف أن قرشنا مُعِيرًا بِكُلِّ السَّخِينَةِ .

المداثني قال: سأل الحرَّسيُّ أبا يوسف القاضي عن السواد؛ فقال: النور

في السواد . يعني نور العينين في سواد الناظر .

المداثني قال: لقي شيطانَ الطَّاقِ خارجيًّا فقال: ما أَفَارَقَكَ أَوْ تَبَرَّأَ مِنْ عَلِيٍّ،

فقال: أنا من عليٍّ ومن عثمان براء . يريد أنه من عليٍّ، وبراء من عثمان .

يسمع عمر بن الخطاب امرأة في الطَّوَّافِ يقول:

فَنَنْقُ مِنْ مُسْقَى بِسَلْبٍ مُبَرَّدٍ * تُقَاخُ قُلُوكَ حَسَدَ ذَلِكَ قَوَّيْ ^(٥)

ومنهن من مُسْقَى بِأَخْضَرِ آجِنٍ * أُتَجَّاجُ وَلَوْ لَا خَشْيَةُ اللَّهِ قَوَّيْ ^(٦)

(١) هو سالم بن دارة كافي الشعر والشعراء، توفيت (ص ٢٣٧) والكمال للبرد ص (٤٨١) ونزارة

الأدب البغدادي (ج ١ ص ٨٥٥ ونهاية الأريب (ج ٣ ص ١٦٢) . (٢) السخينة: طعام يخبز

من دقيق ومن وكانت قريش تكثر من أكلها فغيرت بها حتى سموا سخينة . (٣) الجباد: كساء

مخطوط من أكمة الأعراب . (٤) الطاق: حصن ببلستان سكن به محمد بن النعمان أبو جعفر

الأحرول الملقب بشيطان الطاق؛ وبه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة . (٥) القناخ: الماء البارد

الذهب الصافي . (٦) الآجين: الماء المتغير بالعلم والورن . (٧) ماء أجاج: شديد الحمرية والمرارة

فعلم ما تشكو ، فبعث الى زوجها فوجده متغيراً الفم ، فغيره بين نحماسة درهم
أوجارية من التي ، على أن يطلقها ، فاختار نحماسة ، فأعطاه وطلقها .

حدثني أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال : كنت واقفا بهذا المكان ، وأقبلت
امرأة من هذه الناحية ، وغلماً من الناحية الأخرى أبيضُ الوجه رائحة ، ونظرت
إليه المرأة ، فلما ألقيا قالت له : ما اسمك يا فتى ؟ قال : محمد ؛ قالت : أين من ؟
قال : أين زانة ، وتبسم عن ثغرها فطلع مختلف قبيح ؛ فقالت : وحراباه على ما قال !
فقلت لها : قد وقعت لك عليها ؛ قالت : من أين ؟ قلت : من كنية أبي الخير
النصراني كاتب سعيد الحاجب . أراد أن الياء إذا نُقلت عن أبي الخير الى زانة ، صار
هذا أبا الخير ، وصار هذا ابن زانية .

١٠ مر ابن أبي طحمة يجلس بنى ناجية فبكاً حماره لوجهه فضحكوا ؛ فقال :
ما يضحككم ! إنه رأى وجوه قريش فسجد .

قال عمرو بن بحر قال أبو الهذيل لمحمد بن الجهم وأنا عنده : يا أبا جعفر ، إنني
رجلٌ مُنْخَرِقُ الكَفِّ لا أَلِيقُ درهما ، ويدي هذه صنّاعٌ في الكسْب ولكنّها في الإِنْفَاقِ
تَرْقَاءُ ، كم من مائة ألف درهمٍ قَسَمْتُها على الإِخْوانِ في مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك !
أسألك بالله يا أبا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال : يا أبا الهذيل ما أشك فيما تقول ؛
قال : فلم يرَضَ أنْ حَضَرْتُ حتى آسْتَشْهَدَنِي ، ولم يرَضَ إِذْ آسْتَشْهَدَنِي حتى
استحلقتني .

(١) أطلع : متباحداً ما بين الأسنان .

(٢) ناجية : قبيلة ، وهم بنو ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك . (ياقوت) .

(٣) هو الجاحظ وقد ورد هذا الخبر في كتابه « الجلاء » (ص ١٤٨ طبع مديّة « لندن »

سنة ١٩٠٠ م) . (٤) يقال : فلان ما يليق درهما : أي ما يسلك .

قال المثنائي: بعث يزيد بن قيس الأرحبي، وكان وإلياً لعل، إلى الحسن والحسين رضي الله عنهم بهدياً بعد أنصرافه من الولاية وترك ابن الحنفية، فضرب على - عليه السلام - على جنب ابن الحنفية وقال:

وما شرُّ الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصحينا^(١)

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفية بهدية منية.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني موسى بن محمد قاضي المدينة، قال: مر رجل بأعرابي يوقد في أصل ميل، فقال: كم على الميل؟ فقال: لست أقرأ، ولكن كتابه فيه؛ قال: وما كتابه؟ قال: محجن^(٢) وحلقة سمط وثلاثة أطباء وحلقة منبئة^(٣) (يعني صورة خمسة).

قال أبو اليقظان: إن عمرو بن مالك بن ضبيعة هو الذي قيل فيه:

لدى الحلم قبل اليوم ما قرع العصا * وما علم الإنسان إلا ليلاب^(٤)

وفذلك أن سعد بن مالك كان عند بعض الملوك، فأراد الملك أن يبعث رائداً يرتاده لمتزلاً يتره، فبعث بعمرو فأبطأ عليه، قال الملك لئن جاء ذاماً أو حامداً ليقنته، فلما جاء عمرو وسعد عنده، قال سعد للوك: أأتدنى لي فأكله؟ قال:

إذا أقطع لسانك؛ قال: فأشير إليه؛ قال: إذا أقطع يديك؛ قال: فأومئ إليه؛ قال:

أقطع حنوتي^(٥)؛ قال: فأقرع له العصا؛ قال: أقرع. فأخذ العصا فضرب بها

(١) كذا في نسخة عمرو بن كلثوم، وفي الأصل «لا تصحينا» ومعنى لا تصحينا: لا تسقيبه الصباح. (٢) يريد بالحجين: رأس الخلاء، وبحلقة سمط: الميم، وبثلاثة أطباء: السين، وبحلقة مذنية: الهاء. والأطباء جمع طبي بكسر الطاء وتضم: طبات الضرع التي فيها اللبن من ذوات الحافر والسباع. (٣) ورد هذا الخبر في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) مع اختلاف في الألفاظ. (٤) هو الثمان الأكبر كما في الأغاني. (٥) حنوتين: جابها وهو العلم الذي ينبت عليه الحاجب.

عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزها بين يديه، فلَقِن عمرو، قال: أَيْتَ
اللَّعْنُ! أَيْتُكَ من أرض زائرها واقف، وساكنها خائف، والشَّبَعِي بها نائمة،
والمهزولة ساهرة جائعة، ولم أر خصباً محلاً، ولا جدباً مزلاً.^(١)

لما حَكَّم أبو موسى وقَدِمَ ليحكم، دَسَّ معاوية إلى عمرو رجلاً يعلم طبعه
وينظر كيف رأيته؛ فأتاه الرجل فكلَّبه بما أمره به؛ فَعَصَّ عمرو على إبهامه ولم
يُجِبْه؛ فَهَضَّ الرجل فأتى معاوية فأخبره؛ فقال: قاله الله! أراد أن يعلمني أني
قَرَرْتُ قَارحاً.^(٢)

حدثني أبو حاتم قال حدثني الأصمعي قال حدثني عيسى بن عمر قال: سأل
الجاحج جبر بن حبيب عن رجل، وكره أن يعاقبه إن دلَّ عليه، فقال: تركته والله
جسداً يُحَرِّكُ رأسه يُصَبُّ في حلقه الماء، والله لئن حُمِلَ على سريره لَيَكُونَنَّ عليه
عودة؛ قال: فتركه.

حدثني القاسم بن الحسن عن خالد بن خَدَّاش عن حماد عن مجاهد عن عُمَيْرِ
ابن رُوَيْدٍ قال: حَطَبْنَا عَلَى عليه السلام فقال: لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل
عثمان لا أدخلها ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا أدخلها؛ فقبيل له:^(٣)

(١) لئن كفرح: فهم. (٢) كذا في الأصل. وورد الخبر في جمع الأمثال ليداني
(ج ١ ص ٣٢ طبع بولاق): «... فأقبل عمرو حتى قام بين يدي الملك قال له: أخبرت، هل حدث
نصباً أو ذمت جدباً؟ فقال عمرو: لم أذم مزلاً، ولم أجد بطلا؛ الأرض مشككة، لا خصيباً يعرف،
ولا جدبياً يوصف، وإنما واقف، ومنكرها عارف، وأنها خائف؛ قال الملك: أولئك». وورد
هذا الخبر في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٥ طبع مدينة ليدن) كما ورد في جمع الأمثال وفيه «لم أذم جدباً»
بدل «لم أذم مزلاً». (٣) فَرَأَاهُ أَبَةً فَرَأَاهُ فَرَاراً: كشف عن أسنانها ليرف ما سنها.
والفارج من ذى الحافر: القى طلع نابه وهو بمنزلة البازل من الإبل، والمراد هنا أنه اختبر بمكنا.
(٤) كذا في الأصل. ولم نشر على هذا الاسم. (٥) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٠):
«لا دخلها أبدا».

ما صنعت! قَوَّمتَ الناس! نَخَطَهم فقال: إنكم قد أكثرتم في قتل عثمان، ألا وإن الله قَتَلَهُ وأنا معه؛ قال: لَخَفَّتْنا خالد عن حَمَاد عن حَبِيب بن الشَّهيد عن محمد بن سيرين قال: كلمةٌ عربيَّة لها وجهان. أى وسيقتلنى معه.

سأل زيادُ رجلاً بالبصرة: أين متلك؟ فقال: وأسط، قال: مالك من الولد؟^(١)

- قال: تسعة. فلما قام، قيل لزياد: كَذَبَكَ في كل ما سألته، ماله إلا ابنٌ واحد، وإن متلّه بالبصرة. فلما عاد إليه، قال: ذكرتُ أن لك تسعة من الولد، وأن متلك بواسطة؟ قال: نعم؛ قال: خُبِّرْتُ بِغير ذلك؛ قال: صَدَقْتُ وَصَدَّقوك، دفنتُ تسعةً بنين فهم لى، ولى اليوم ابن واحد ولست أدري أَيْكون لى أم لا؛ وأما منزلى فالى جانب الجبلان بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، فأى منزلٍ أوسط منه!
- قال: صدقت.

١٠

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال قال المختار الجندی: يا شُرطة الله، لِيُخْرِجَنى الى قريبٍ على الكعبة الحرام دابةً له ستٌ قوائمٌ وله رأسٌ بلا عُنُق، ثم آتفت الى رجل الى جانبه فقال: أعنى العُصُوب.

كان إبراهيم إذا لم يعجبه الرجل قال: ما هو بأعجب الناس الى.

- بلفنى عن معاوية بن حيان عن المبارك بن فضالة عن عبد الله بن مسلم بن يسار، قال: كان أبى إذا غَضِب على البهيمة، قال: أَكَلتِ سَمًا قاضيا.

(١) في السند التريدي (ج ١ ص ٢٩٠): «كذلك من الولد».

(٢) في السند التريدي (ج ١ ص ٢٩٠): «... لى تسعة من الولد فقدت منهم ثمانية فهم لى وبقى

مى واحد، فلا أدري ألى يكون أم لى».

(٣) الجبلان والجلابة بالتشديد: المقبرة. (٤) تنفع الدابة على الذكر والمؤنث؛ فيقال

٢٠

هذا دابة وعنده دابة.

حدثني زيد بن أنس^(١) قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا أبو المنهال البكر^(٢) قال :
كان الحسن أنا أخذ من لحيتي شيء ، قال : لا يكن بك سوء .

وقيل للحسن : أتى رجل صاحباً له في منزله وكان يصلي ، فقال : أدخل ؟ فقال
في صلاته : (أَدْخُلُوهَا سَلَامًا آمِينَ) ؛ فقال : لا بأس .

كان محمد بن عليّ أنا رأى مبتلياً أخفى الاستماعة . وكان لا يسمع من دارة
يا سائل يورك فيك ، ولا يا سائل خذ هذا ؛ ويقول : سمّوهم بالحسن الجميل عباد
الله ، فتقولون : يا عبد الله يورك فيك .

قيل لعليّ بن أبي طالب عليه السلام : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة^(٣)
مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم (يعني للشمس) .
كان رشم^(٤) عمر بن مهران الذي يرثم به على طعامه : اللوم أحفظه من يحفظه .

خرج رجل من بني أسد بإبل له يسقيها ، ومعه أبنه له جميلة عاقلة ، حتى دفع
إلى ماء لبنى فزارة ، فسلم أن يأذنوا له في سقي إبله ؛ فقالوا : على ألا تجأجئ بها ،
قال : فإذا لا تشربُ شربُ خير ؛ قالوا : إن رَضِيتَ وإلا فانصرف ؛ فقالت له
الجارية : اشْرُطْ لهم ما طلبوا وأنا أكفيك ؛ فأخذ الدلو ، وجعلت الجارية ترمي
وتقول :

- (١) هو مجيبين كما في تهذيب التهذيب ، وفي الأصل «أنس» بالحاء المهملة وهو تحريف .
- (٢) البكر أي ففتح الباء وسكون الكاف بعدها الراء المهملة منسوب إلى أبي بكر الثقفى وهو من الصباية الذين نزلوا البصرة رضي الله عنهم كما في كتاب الأتصاب السعافى .
- (٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : « مسيرة ساعة لدعوة مستجابة » .
- (٤) الرشم : ختم الخطة بالروشم ، والروشم لوح منقوش تحته به الياءد .
- (٥) بجاءاً بالإيل : دعاها لورود الماء لتقرب بقوله : جى جى .

جارية شَبَّتْ شَبَابَ السُّلُجِ * ذَاتُ وَشاحين وذاتُ مُلُجِ^(١)
وذاتُ ثَغِيرٍ أَشْنِبِ مُلُجِ * وذاتُ خَلْقٍ مُسْتَبِ مُدَجِ^(٢)

في أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رويت من غير أن جاجا بها .

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازرا ولا يتنحج ، فلما شربه
[و]أَقَطَعَ في حَقِّهِ ؛ قال : كَبَشُ أُلُجِ ؛ فقال صاحبه : فَعَلَهَا وَرَبَّ الْكَبَةِ ؛ فقال :
مَنْ فَعَلَهَا فَلَا أُلُجِ . وكان ما تبايعا عليه كبشا .

قال الأصمعي : قلت لأعرابي معه شاة : لمن هذه الشاة ؟ فقال : هي لله عندي .

حدثني أبو الخطَّاب قال حدثنا أبو داود عن عمارة بن زاذان قال حدثنا
أبو الصهباء قال : قال الجحاج لسعيد بن جبير : اخْتَرِ أَيَّ قِتْلَةٍ شِئْتَ ؛ فقال له :
بل أخترت لنفسك ، فإن القصاص أمامك .

ولِي هَرْمَةٌ الْحَرَسَ مكان جعفر بن يحيى ، فقال له جعفر : ما أنتقلت حتى نعمة
صارت إليك .

أمر الجحاجُ ابنَ القِرْبَةِ أن يأتي هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين ، ويمنعها
بشرة آلاف درهم ، فأتاها فقال لها : إن الجحاج يقول لك : كُنْتَ فِينَتْ ، وهذه
عشرة آلاف مُنْعَةٌ لك ؛ فقالت : قل له : كُفَا فَا حِمْدُنَا ، وَبِنَا فَا نِدْمُنَا ؛ وهذه
العشرة الآلاف لك يشاركك إياي بطلاق .

(١) السلج : النمنم الناعم . والسلج : ما يشد على الضد من الحلي .

(٢) الثور الأشنب : ما فيه رقة وصفاء . ومستبم : مستقيم . ومدج : مكثر غير مستقيم .

(٣) اللين الحازر : الحامض .

(٤) زيادة يقتضها الكلام .

(٥) ورد هذا الخبر في المحاسن والأنداد للجاحظ (ص ٢٤٠) بتبسطة عما هنا .

سئل سفيان بن عيينة عن قول طاووس في ذكاة السمك أو الجراد؛ فقال آبنه عنه : ذكّاه صيده .

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من عُترة يقال له يزيد بن المقنع ، وأخترط من سيفه شبرا ، ثم قال : أمير المؤمنين هذا ، وأشار إلى معاوية ، فإن يئلك فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فن أبى فهذا ، وأشار إلى سيفه . فقال معاوية : أنت سيد الخطباء .

قال رجل من أهل الحجاز لابن شبرمة : من عندنا نخرج العلم؛ قال آبن شبرمة : ثم لم يعمد إليكم .

قال المدائني قال معاوية لابن عباس^(١) : أتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم؛ فقال آبن عباس : وأتم يا بني أمية تصابون في بصائرهم . وقال له معاوية : ما آيين الشّيب في رجالكم ! فقال : هو في نساءكم آيين .

أبو اليقظان قال : قال آبن ظبيان التيمي لزُرعة بن صُمرة : لقد طلبتك يوم الأهواز ولو ظفرت بك لقطعت منك طابقاً شُخفاً ؛ قال : أفلا أدلك على طابقي هو أسخن وأحوج إلى القطع ؟ قال : بل ! قال : بطريين إسكتني أمك .

أبو اليقظان قال : بعث الجحّاج إلى الفضيل بن بزّوان المدوّاني ، وكان خيراً من أهل الكوفة ، فقال : إني أريد أن أولئك ، قال : أو يعفني الأمير ؟ فأبى وكتب عهده ، فأخذه وخرج من عنده فرجى بالمهد وهرب ، فأخذ وأبى به الجحّاج ، فقال : يا عدوّ الله ؛ فقال : لستُ لله ولا للأمير بعلوّ ؛ قال : ألم أكرمك ! قال : بل أردت أن تُهينني ؛ قال : ألم أستعملك ! قال : بل أردت أن تستعبدني ؛ قال :

(١) أى استله من غده بمقدار شبر . (٢) في المقد الفريد (ج ٢ ص ١٣٣) «حقيل» مكان «آبن عباس» .

(إِنَّمَا جَرَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) الآية ؛ قال : ما استوجبت واحدة منهم ؛ قال : كل ذلك قد استوجبت بخلافك . وأمر رجلا من أهل الشام أن يضرب عنقه .
سليمان بن أبي شيخ قال حدثني حجر بن عبد الجبار عن عبد الملك بن عمير قال :
كُلف في مجلس زياد ، الذي يجلس فيه للناس بالكوفة ، في أرج زواياه كتاب
بقلم جليل : "الوالى شليد في غير عنف ، لئن في غير ضعف ؛ الأعطية لإبائنا ،
والأرزاق لأوقاتها ، البُعث لأنجبر ؛ المحسن يُجزى بإحسانه ، والمسيء يُؤخذ على يديه"
كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها .

قال سليمان وحدثنا أبو سفيان الحميري قال : أئلى أبو جهنم بن كنانة يوم الرواية ، فقال له المجالج : من أنت ؟ قال : أنا أبو جهنم بن كنانة ، قال له المجالج : قد زدناك في اسمك ألفا ولما فانت أبو الجهم ، وزدنا في عطائك ألفا .

المباس بن بكار عن عبيد الله بن عمر القسائي عن الشعبي قال : قال معاوية لشداد بن أوس : يا شداد ، أنا أفضل أم علي ؟ وأينا أحب إليك ؟ فقال : على أقدم هجرة ، وأكثر مع رسول الله إلى الخير سابقة ، وأصحح منك قلبا ، وأسلم منك نفسا ؛ وأما الحب فقد مضى علي ، فانت اليوم عند الناس أرجى منه .

قال الأحنف لمعاوية في كلام : أنت أعلمنا يزيد في ليله ونهاره ، وسمه وولائته ، فلا تلقمه الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة .

(١) ورد هذا الخبر في المقدم القريد (ج ٣ ص ٤) هكذا : « كان في مجلس زياد مكتوب : الثلاثة في غير عنف ، والذين في غير ضعف ؛ المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يساقب بإساءته ؛ الأخطيات في أيامها ؛ لا احتجاب عن طارق ليل ، ولا صاحب ثغر » . (٢) تجير البعث : جمعهم في الثبور وجمعهم عن البود إلى أهلهم . ومه حديث المرمزان : إن كسرى جمر بوث فارس . وروى الربيع أن الشافعي أشده :

وجهرتنا تجير كسرى بجنوده * وميتتنا حتى نفسنا الأمانيا

خطب التجاج فشكا سوء طاعة أهل العراق؛ فقال جامع المحاربى: أما إنهم لو أجبوك لأطاعوك، على أنهم ما شئتوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فذبح ما يباعدهم منك الى ما يقربهم إليك، واتمس العافية فيمن دونك تعطلها عن فوقك، وليكن إقطاعك بعد وعيدك، ووجدك بعد وعيدك؛ فقال التجاج: والله ما أراى أرد بنى اللكيمة الى طاعنى إلا بالسيف؛ فقال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاق السيف ذهب الخيار؛ قال التجاج: الخيار يومئذ لله؛ قال: أجل! ولكلك لا تدري لمن يعمل الله؛ قال: يا هناه، إنك من محارب! فقال جامع:

ولحرب سميّا وكنا محارباً * اذا ما لقنا أمسى من الطعن أحمر

فقال التجاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك؛ فقال له يا حجاج: إن صدقتك أغضبتك، وإن كذبتك أغضبتنا الله، فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله.

قال الأصمعي أخبرنا شيخ من قضاة، قال: ضلنا مرة الطريق فاسترشدنا عجموزاً؛ قالت: استبطن الوادى وكن سيلاً حتى تبلغ.

ابن الكلبي قال: كتب معاوية الى قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت يهودى ابن يهودى، إن ظفر أحب القرين اليك عزرك واستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكل بك، وقد كان أبوك وترقوسه ورمى غرضه، فأكثر الحز وأخطأ

(١) في الأصل «لنفسك» وقد أثبتنا ما في البيات والحقين (ج ٢ ص ٦٨) لمنع التكرار مع قوله «لذات نفسك». (٢) هن: كلمة يكتي بها عن اسم الإنسان، فإذا ناديت مذكراً بغير التصريح باسمه قلت: يا هن أقبل. وقد تزايد الألف والهاء فيقال للرجل: يا هناه أقبل، بضم الهاء على تقدير أنها تتر الاسم، وبكسرهما لاجتماع الساكنين. (انظر اللسان مادة هتا). (٣) وردت هذه الحكاية بكتاب الكامل البرد ص ٢٩٨ طبع مدينة ليسج وكتب عليها بأقسل الصحيفة ما نصه «هذه حكاية غير صحيحة». (٤) في الكامل: «الى قيس بن سعد وهو والى مصر لعل بن أبي طالب».

الْفَصِيل، نَغْذَلَهُ قَوْمُهُ، وَأَدْرَكَهُ يَوْمُهُ؛ ثُمَّ مَاتَ طَرِيدًا بِمَجُورَانَ؛ وَالسَّلَامُ . فَكُتِبَ
إِلَيْهِ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ وَثْنٌ ^(١) وَابْنُ وَثْنٍ، دَخَلْتَ فِي الْإِسْلَامِ كَرَهَا
وَنَجَرْتَ مِنْهُ طَوْعًا، لَمْ يَقْدَمْ إِيمَانُكَ وَلَمْ يَحْدُثْ نِقَاطُكَ، وَقَدْ كَانَ أَبِي وَتَرَقُوسَهُ
وَرَمَى غَرَضَهُ ، وَشَغَبَ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ كَعْبَهُ وَلَمْ يَسُقْ غُبَارَهُ، وَنَحْنُ أَنْصَارُ الدِّينِ
الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ، وَأَعْدَاءُ الدِّينِ الَّذِي خَرَجْتَ إِلَيْهِ؛ وَالسَّلَامُ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ : سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : شَرَعْتَ
أَنْ مَتْرَاكَ لِأَعْرَفٍ إِلَّا بِي حَتَّى يُقَالَ عِنْدَ مَتْرَلِ الْأَعْمَشِ ؛ فَقَالَ خَالِدٌ : صَدَقْتَ،
مِثْلَ حَمَامٍ عَتَرَةٍ، وَيُقَالُ وَرْدَانٍ وَيَطَارُ (حِوَان) .

قَالَ الرَّبِيعُ لَشَرِيكَ بْنِ بَدَى الْمَهْدِيِّ : بَلَنْفَى أَنْتَ خُنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ
شَرِيكَ : لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَأَتَاكَ نَصِيكَ .

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ : أَرَيْتُ الْبَارِحَةَ فِي مَنَامِي كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ جَمِيعَ
مَا فِيهَا مِنَ الْقُصُورِ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذِهِ ؟ فَقِيلَ : لِلْعَرَبِ ؛ فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَهُ مِنَ
الْمَوَالِي : أَصْبَحْتَ الْغُرُفَ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَتَكُنْ لَنَا .

وَكُتِبَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلَمٍ إِلَى عُثَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَلْيَانَ : أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ عَشِمَشِمَ
أَعْنَى الشَّجَرِ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ ابْنُ ظَلْيَانَ : مِنْ ذَلِكَ الشَّجَرِ كَانَ بَرِيْطُ أَبِيكَ . يَمْنَى
مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَ مَغْنِيًا لِزَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ .

- (١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَالْبَيَانِ وَالتَّيْنِ (ج ٢ ص ٤٣ طبع طبعة الفروع الأدبية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ)
وَالْكَامِلُ الْبَرْدُ (ص ٢٩٨) وَلَهَا : وَثْنٌ ابْنُ وَثْنٍ، نَسَبٌ إِلَى الْوَثْنِ وَهُوَ الصَّمْ . (٢) شَغَبَ عَلَيْهِ
(بِالتَّشْدِيدِ) : هَيَّجَ عَلَيْهِ الشَّرَّ . (٣) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَمْ نَتَوَقَّعْ إِلَى تَحْقِيقِهِ أَوْ فُهِمَ التَّحْرِيزُ مِنْهُ .
(٤) الْبَرِيْطُ بِكَسْرِ الْبَاءِ : الْوَدْعُ مِنَ آلَاتِ الْوَدْعِ ، وَقِيلَ هُوَ مَعْرَبٌ «بَرِيْطُ» بِكَسْرِ الرَّاءِ، كَمَا هُوَ مَعْرَبُوطٌ
فِي الْأَصْلِ هُنَا، وَمَعْنَى بَرِيْطُ بِالْقَاهِرَةِ : صِلَةُ الْإِزْوَءِ، أَطْلَقَ عَلَى الْوَدْعِ لَشَبْهِهِ بِهِ .

قال بحر بن الأخنف لجارية أبيه زَبْرَاءَ : يا فاعلة ؛ قتالت : لو كنتُ كما تقول
أُتيتُ أباك بمنلك .

وقال رجل لأبيه : يا بن الفاعلة ؛ فقال : والله لئن كنتَ صدقتَ ما فعلتَ
حتى وجدتك غلَّ سوء .

• أنت ابنة الخس عكاظ ، فأناها رجل يمتحن عقلها ويمتحن جوابها ، فقال لها :
إني أريد أن أسألك ؛ قالت : هات . قال : كاد ؛ فقالت : المشيل يكون راجيا .
قال : كاد ؛ قالت : الفقر يكون كُفرا . قال : كاد ؛ قالت : العروس تكون مليكا .
قال : كاد ؛ قالت : النعامة تكون طائرا . قال : كاد ؛ قالت : المرار يكون سحرا .
ثم قالت للرجل : أسألك ؟ قال : هاتى ، قالت : عجبت ؛ قال : للسباخ لا ينبت
كلؤها ولا يحف تراها . قالت : عجبت ؛ قال : للجارية لا يكبر صغيرها ولا يهرم
كبيرها . قالت : عجبت ؛ قال : لشفرِك لا يُدرك قعره ولا يُملأ حفره .

المداخلى قال : كان عرام بن شتير عند عمر بن هبيرة ، فأتى إليه ابن هبيرة خاتمه
وفضبه أخضر ، فعمد عرام في اختلعه سيرا . أراد عمر قول الشاعر :
لقد زينتُ عيناك يا بن مَكَمَبَرٍ * كما كلُّ ضبيٍّ من اللؤم أزرُق
وأراد عرام :

لأمانتِ فزاريا خلوت به * على قلوبك وأكتبها بأسيار

قال جرير للأخطل : أُرقتُ نومك ، واستهضمتُ قومك ؛ قال الأخطل :
قد أُرقتُ نومي ، ولو نمتُ كان خيرا لك .

(١) كذا في الطبري (طبع أوروبا ص ١٢٠٣ — ١٢٠٤ من القسم الثاني) . وفي الأصل :
”عظام“ بالفتح المعجمة . (٢) كذا في اللسان مادة ”زرق“ والأعاني (ج ١٩ ص ٤٩ طبع
بولاق) وفيه ينسب الشاعر إلى سويد بن أبي كاهل . وفي الأصل : ”كما ظل ظبي ...“ وهو تحريف .

أراد معاوية أن يخطب بصقين فقال له عمرو بن العاص : دعني أتكلم ، فإن أتيت على ما تريد وإلا كنت من وراء ذلك ، فأذن له ، فتكلم بكلمات ، قال : قدموا المستليمة^(١) وأتروا الحمر ، كونوا مقص الشارب ، أعيرونا أيديكم ساعة ، قد بلغ الحق مقصله ، إنما هو ظالم أو مظلوم .

- ٥ حدثني ابن أبي سعد عن محمد بن الحسن التميمي عن عبد الله بن أحمد بن الوضاح ، قال : دخل أعرابي على عبد الملك بن مروان^(٢) فقال له : يا أعرابي صف النمر فقال : شمول إذا شجعت وفي الكأس مرة * لها في عظام الشارين ديب تريك القدي من دونها وهي دونه * لوجه أخيهما في الإماء قطوب فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد أتتكم عندي حسن صفتك لها ، قال : يا أمير المؤمنين وأتتكم عندي معرفتكم بحسن صفتي لها .
- ١٠

مقطعات ألفاظ تقع في الكتاب والكلام

- لو أخطأت سبيل إرشادك ، لما أخطأت سبيل حسن النية فيما بيني وبينك .
لو خطر ذلك بيالي من فعلك ، ما عرضت مستر الإخاء للهتك بيني وبينك .
قد أحسنت في كذا قديما . وفعلك كذا إحدى الحسنيين بل أطفهما موقعا .
أنت رجل لسأتك فوق عقلك وذكائك فوق حزمك . فقسلم على نفسك من^(٣)
قدّمك على نفسه . الله يعلم أنك ما خطر بيالي في وقت من الأوقات إلا مثل
الذكر منك لي محاسن تزيدني صبا به إليك وضئيا بك واعتباطا بجانك . لعل الأيام

(١) المستليمة : الطائفة التي عليها اللأم وهي الدروع .

(٢) القى في الأغاني (ج ٦ ص ١٢٧ طبع بولاق) : « دخل ابن الأفرع على الوليد بن يزيد ... » .

٢٠ « وورد في الشعر الأول من البيت الأول هكذا : « كيت اذا شجعت وفي الكأس وردة » .

(٣) كذا في المقدم الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) . وفي الأصل : « أتتكم على نفسك ... » .

أَنْتَ تُسهِّلُ لِأَخِيكَ السَّبِيلَ إِلَى مَا تَهْتَضِيهِ نَفْسُكَ مِنْ بَرِّكَ وَمُعَاوَضَتِكَ بَعْضَ مَا سَلَفَ لَكَ .

ما هذا الغيِّا الجيب الذي الى جانبه فِطْنَةٌ لطيفة . حَكَمَ الْفَلَاتُ خِلَافُ حَكَمِ الْإِصْرَارِ .

من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يُؤْخَذُ^(٢) بالعين، كان حَرِيًّا أَنْ يُحْطَى في باطن دينه وفيما يُؤْخَذُ بالعقل .

ومن أَوَّلَ مَا أَحَبَّ أَنْ أُورِّكَ بِهِ وَأَقْضَى فِيهِ وَاجِبَ حَقِّكَ، تَبْهِيكَ عَلَى عَظِيمِ مَا لَكَ عَنْكَ، وَحَقِّكَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ مِمَّا يَزِيدُكَ .

من كان بمثل موضعك بِجَمِيعِ لَهُ حَمْدُ إِخْوَانِهِ وَرِضَا مُعَامِلِيهِ وَالِاسْتِقْبَاءُ مَعَ ذَلِكَ لِمَنْ اسْتَكْفَاهُ، قَدْ عَظُمَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ، وَلَا أَعْلَمُ بِمَا أَسْمَعُ فِيكَ إِلَّا أَنَّكَ كَذَلِكَ وَالْحَمْدُ لَهُ .

ما أغنى الْفَقِيرَ عَنِ الْحَمْدِ، وَأَحْوَجَهُ إِلَى مَا يَحْدُ بِهِ طَعْمُ الْحَمْدِ !
قَدْ حَسَدَكَ مِنْ لَا يَنَامُ دُونَ الشِّفَاءِ، وَطَلَبَكَ مِنْ لَا يَقْصُرُ دُونَ الْغُفْرِ، [فَأَسْتَدُ حَيَاةَ يَمْلِكُ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ] .

أَنْتَ تَجِبُنِي عَلَى مَا لَكَ لَتُنْقِضَهُ بِأَسْبَابِ الْبَلَاءِ، كَمَا يَدْفَعُ مِنْ مَالِهِ الْبَخِيلُ بِوُجُوهِ الْإِعْتِلَالِ . أَنْتَ طَالِبٌ مَغْتَمٍّ، وَأَنَا دَافِعٌ مَغْرَمٍ، فَإِنْ كُنْتَ شَاكِرًا لِمَا مَضَى، فَاعِذِرْ فِيمَا بَقِيَ . مَكْرُكَ حَاضِرٌ، وَوَفَاؤُكَ مُتَأَخِّرٌ . أَنَا رَاضٍ بِغُفْرِكَ، بَأَنْتَ لِمُجْهُودِي .

نَوَائِبُ الْأَيَّامِ رَمَتْ بِهِ نَاحِيَتَكَ؛ وَإِذَا رَأَيْتَهُ أَنْبَاكَ ظَاهِرُهُ عَنْ بَاطِنِهِ وَدُحَاكَ إِلَى حَبِيَّتِهِ قَبُولُهُ، وَهُوَ فِي الْأَدَبِ بِحَيْثُ الْمُسْتَغْنَى عَنِ النِّسَبِ^(٥) .

٢٠ (١) في الأصل "وساؤنك" . (٢) كذا في العقد القريد . وفي الأصل : "وفيما توجد..." .

(٣) في الأصل : "السفا" . (٤) زيادة من العقد القريد . (٥) في الأصل : "السبب" .

قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم والأ يكون غيرك فيما يملكك أوثق من نفسك فيما تعرفه .

هنا فلان قد أهلك على رقة من حاله وبعيد من شقته ، فنشدتك الله أن تقدم شيئاً على تصديق ظنه وسد خلته وبيل ما يلبس هذه التكب من أدبته ، فإنه غدي نعمة وخدين مروعة .

أنا أسأل الله أن ينجزي ما لم ترل الفراسة تدنيه فيك . الحرية نسب . فهمت ما اعتذرت به في تأثرك ، وعضضت به منى طرقاتاً طامحا إليك ونفساً تواقفة الى قُربك .

وصل كتابك فكان موقعه موقع الروح من البدن . فإن أمير المؤمنين يجب ألا يدع سبيلا من سبيل البروان عفا ودثر إلا أثاره وأوضح محبته ، ولا خلة من خلال الخيل لا أول لها إلا أهبل الفرصة في إنشائها ، واختيار مكرمة ابتدائها ، لتجيب له مساهمة الفارط في أجره ، ويكون أسوة النابر في ثوابه .

لولا وجوب تقديم العذر لصاحب السلطان ، في النهول عن مواصلة من يجب عليه مواصلته ، بما يستولى عليه من الشغل بعمله ، إذا لكثرة العتب .

إنك لكل حسن ألبيته ، ومعروف أسديته ، وجعل أمنيته ، وبلاء كان لك ربيته ، أهل في الدين والحسب القديم .

لك — أعزك الله — عندى أباد تشفع لي الى محبتك ، ومعروف يوجب عليك الرب والإتمام .

(١) احتيل القرصة : اغتصبا . (٢) الفارط : السابق . (٣) الرب : الزيادة .

أفعال الأمير مختارة كالأماني، متصلة عندنا كالأيام؛ ونحن نختار الشكر لكرم فعله، ونواصل النساء والذكر مواصلةً ربه .

أبدأ بذكر يلك التي أجازتني على صرف الزمان، ووقفت نوايب الأيام، وتمرت لي بقية النعمة، وصانت وجهي عن استعباد من الرجال، وبسطت لي الأمل في بلوغ ما ناله بك من رفعت خبيثته وتوتت بذكره، وأعانني على اتباع منهج الماضين من سلفي في الوفاء لكم، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدي غيركم، حتى خلصت لهم منكم فضوا، ولم يشغلوا شكرهم بغيركم حين شكروا، ولم يحتملوا صليعة لنواكم لما أعتدوا، ولم تشعبهم الدنيا عنكم إذ اضطروا .

إت الله أحلك منا أهل البيت عللاً تراك به عوصاً من الغائب، وخلفاً من الممالك، ويجلك خصوصاً بضرائنا إذ كنت ولي سرائنا، وكلاك كالجوارح نألم لكل ما ألم منها .

نحن نفوذ باقه من مخطك، ونستجير به من غضبك، ونسألك النظر فيما كتبنا به صادقين، كما سمعت قصص الكاذبين، فإننا على سلامة مما رقبه .

كتبي — أحرزك الله — ثاتيك، في الوقت بعد الوقت، على حسب الدواعي، وإن كان حقلك يكرمني ألا تفتبك، لولا ما أتذكر من زيادتها في شغلك .

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهض بأعباء أهل مودته، الصابر على ما ناب من حقوقهم .

كنت أميس — أكرمك الله — عيللا، وركبت اليوم على ظلع ظاهر وريقة شديدة، فلما أنصرفت أهرت بإغلاق الباب للتودع، ووافق ذلك من سوء نيتك وإرصادك صديقك بما يستدعي حبيبك عليه وعته عليك ما وافق .

(١) في الأصل : «أهلك ...» . (٢) أي رفضه اليك من الأخبار الكاذبة .

(٣) في الأصل : "منلع" .

لا أزال — أبجاءك الله — أسأل الكتاب إليك في الحاجة ، فأتوقف أحيانا أتوقف المبتقى عليك من المؤونة ، وأكتب أحيانا كتاب الراجح منك الى الثقة والمعتد منك على المقة ؛ لا أعلمنا الله دوام عزك ، ولا سلب الدنيا بهجتها بك ، ولا أخلانا من الصنع [ق] على يدك وفي كنفك ، فإننا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعما وندي إلا في ظلك .

إن كان هذا مما ترضاه لي ، فليست أتمنى أكثر منه ، وقوفا بنفسى عند الحظ الذى رضىته لي .

أنا والله أراك في رتبة المنعم إجلالا ، وبجل الشقيق من القلب عبة وإخلاصا . أما شكرى فقصور على سالف أياديك ، وبه قصور عنه فكيف يتسع لما جَدته !

١٠ لله عندك نِعْمٌ جِسامٌ تقاضاك الشكر . وَقَالَ الله شَرَفْ نَفْسَكَ ، فإنها أقرب أعدائك إليك .

ولم أزل ورجلا من حادثة كذا عليك ، إذ كان ما يثلك — لا أنا لك الله موعدا — متصلا بي ومُدخلا الضرر على في ركني منك أعتمد عليه ، وكَنَفٍ لك أَسْتَدِيرُ به .

١١ وصل الى كتاب منك ، لما رأيت كتاباً أسهل فتونا ، ولا أملس متونا ، ولا أكثر عيونا ، ولا أحسن مقاطع ومطالع ، ولا أشد على كل مقصِّل حُرٍّ منه ؛ أنجزت فيه عِدَّةَ الرأى وبشرى الفراسة ، وطاد الظن بك يقينا ، والأمل فيك ميلوفا .

لا غيبك الله عن مواطن العز والصنع ، وأشهدك إياها بسلوئك ، وهبوب ريحك ، وأستقادة جميع أهلها بزمام طاعتك .

(١) كذا وردت هذه الجملة من هذا الفصل في القيد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٨) وفي الأصل : « لا أزال قد سطت الكتاب ... الخ » وهو غير مستقيم . (٢) في القيد الفريد : « الخفيف منك ... » . (٣) الزيادة مأخوذة من القيد الفريد .

قد رُميتَ غَرَضَ الحقِّ بهم الباطل وحلَّت عقاب الشر .^(١)
كُنْتُ سَالِكاً إِنْ سَلِمْتُ مِنْ حَقِّكَ .^(٢)

أنا أتوسل إليك بحسن ظني بك، وأسألك بحق صبري على ظلمك لما أسعفتَ
بما سألتُكَ .

ليس ينبغي لك أن تستبطع فهمي وقد أسأت إفهامي .
مَنْ أَبْعَدُ مِنَ الْبُرِّ مَنْ مَرِيضٌ لَا يُؤْتِي فِي دَائِهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ دَوَائِهِ، وَلَا فِي عِلَّتِهِ
إِلَّا مِنْ قِبَلِ حِمِيَّتِهِ ! .

لستُ في حَالٍ يَقِيمُ عليها حراً ويرضى بها كريم، وليس يرضى بهذا الأمر إلا من
لا ينبغي لك أن ترضى به .

١٠ قد شِغْتُ فِي ذَرَاكَ وَهَرَمْتُ فِي ظِلِّكَ ، فَإِذَا رَدَدْتَ عَلَيَّ شَبَابِي وَأَعَدْتَ لِي
قُوَّتِي، وَإِذَا دَفَعْتَ إِلَيَّ مَا يَنْوِبُ عَنِ الشَّبَابِ وَيَجْبُرُ الضَّعْفَ، وَلَا يَدَّ مِنْ أَحَدِهِمَا،
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ وَأَخْرَجْتَ إِلَيْنَا مِنْ هَذَا الدِّينِ؛ فَقَدْ أَمْسَكْنَا عَنِ التَّقَاضِي مَا مُمْكِنُ،
وَصَبَرْنَا عَلَى الْمَوَاعِيدِ مَا صَلَحَ؛ وَدَعْنَا مِنَ الْحَوَالَةِ فَإِنَّ الصَّبِيَّةَ لَا تَمُتُ بِالْحَوَالَةِ؛ وَإِنْ
جَازَ أَنْ نَقِيمَ لَنَا زَعِيًّا بِالنِّعْمَةِ، جَازَ أَنْ نَقِيمَ لَكَ زَعِيًّا بِالشُّكْرِ؛ وَإِنْ جَازَ أَنْ نُؤَمِّلَكَ
وَيَحَقِّقَ آمَالُنَا غَيْرَكَ، جَازَ أَنْ نَشْكُرَ غَيْرَ الْمُنْعَمِ وَنَأْمَلَ غَيْرَ الْمُصْطَنِعِ .

ما استعظم أن تسبقني إلى حسن بل استعظم أن تسبقني إليه وتُنَبِّئَ عليه .
لَنْ كُنْتُ جَاوِزْتُ بِي قُدْرِي عَنْكَ لَمَّا بَلَغْتُ بِكَ أَمَلِي فِيكَ .^(٣)
لَا يَقْبَضُكَ عَنِ الْأَنْسِ بِي تَقْصِيرُكَ فِي الْبِرِّ .

(١) كما وردت هذه الجملة في الأصل . وظاهر أن فيها تديلاً وقعاً . ولعل صوابها : قد رُميت
غرض الباطل بهم الحق، وحلَّت عقاب الشرير الخير . (٢) في الأصل : «كُنْتُ سَلِمْتُ...» .
(٣) في الأصل : «ولا يرضى بها...» وهو غير مستقيم . (٤) في الأصل : «إن كنت...» .

بلغني عِلَّتكَ فَنَالِي مِنَ أَلْمَا ، وَغَالِي مِمَّا مَسَّكَ فِيهَا حَسْبُ حَقِّكَ وَمَا يُجْصِي
مِنْ كُلِّ حَالٍ تَصَرَّفْتُ بِكَ .

أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ تَأَخُّرِ كِتَابِي عَنْكَ بِرَأْيِ الثَّقَلَةِ وَتَقَاذُفِ الْغُرْبَةِ وَعَدَمِ الطَّمَأْنِينَةِ ،
فَإِنِّي مِنْذُ فَارَقْتُكَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

- وَكُنْتُ قَدَاةَ الْأَرْضِ وَالْأَرْضِ عَيْنُهَا * تُجْلِعُ شَخْصِي جَانِبًا بَعْدَ جَانِبٍ
إِنِّي - أَعْرَكَ اللَّهُ - عَلَى تَشَوُّكَ مَرْتِدٍ ، فَمَا أُحَاشِي بِكَ أَحَدًا ، وَلَا أَقِفُ
لَكَ عَلَى حَسَنَةٍ يَوْمًا إِلَّا أَسْتَنْبِهَا لَكَ فَضْلًا غَدَهُ .

- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَمِيرَ مَعْقُودَ النَّبِيِّ بِطَاعَتِهِ ، مَطْوُونِي الْقَلْبِ عَلَى مُنَاصَحَتِهِ ،
مُشْحُوذَ السِّيفِ عَلَى عَدُوِّهِ ، ثُمَّ وَهَبَ لَهُ الظَّفَرَ ، وَدَوَّخَ لَهُ الْبِلَادَ ، وَشَرَّدَ بِهِ الْمَلُوكَ ،
وَحَصَّه بِشَرَفِ الْفَتْوحِ الْعِظَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبَرَا وَبَجَرَا .

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو شِدَّةَ الْوَحْشَةِ لِنَيْبَتِكَ ، وَقَرِظَ الْجَلْنَزِجِ مِنْ فِرَاقِكَ ، وَظَلَمَةَ الْأَيَّامِ
بِمَلَكِكَ ، وَأَقُولُ كَمَا قَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ :

- يَبْنَ الْبَيْنُ فَقَسَدَهَا ، قَلَمًا تَعْرِفُ فَقَسَدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَقْيَا
وَرَدَّ كِتَابُكَ ، فَيَالَهُ وَارِدًا بِالرَّيِّ عَلَى ذِي ظُلْمًا ! مَا أَهْمُهُ لِلْفَلِيلِ ، وَأَعْدَلُ شَهَادَتَهُ
لَكَ بِكَرَمِ الْمَقْدَرِ ، وَصِدْقِ الْوَدِّ ، وَحُسْنِ الْمُنِيبِ ، وَرِعَايَةِ حَقِّ الصَّحْرَمِ ، وَبُيُودِ الشِّيمَةِ
مِنْ شَيْئِ أَهْلِ الزَّمَانِ إِلَّا مِنْ عَصَمِ اللَّهِ ، وَقَلِيلٍ مَا هُمْ ، وَقَدْ أَبْرَاكَ لَقَدْ أَوْجَدَكَ .

فَدَاجَلَ اللَّهُ خَطَرَكَ عَنِ الْإِعْتِنَارِ ، وَأَغْنَاكَ فِي الْقَوْلِ عَنِ الْإِعْتِلَالِ ، وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا
أَنْ تَفْعَلَ بِمَا فَعَلْتَ ، وَنَرْضَى بِمَا أَتَيْتَ وَصَلْتَ أَوْ قَطَعْتَ ، إِذْ وَهَبْنَا بِحُسْنِ نَيْبَتِكَ وَتَقَاءَ
طَوَيْتِكَ ، وَأَلْزَمْنَا أَنْ نَأْخُذَ أَنْفُسَنَا لَكَ بِمَا لَا نُحْمَلُكَ مِثْلَهُ ، وَلَا نَتَمَسَّكَ مِقَابِلَهُ بِهِ .

ما أتركبي عنك إلا ما أنا عليه من إثار التخفيف بقطع الكتب، إلا عند حق يقع فاقضيه، أو نعمة تحدث فأهني بها، والقصد للزيادة في البر بالزيارة في الغيب، واستدعاء دوام الوداد بانتهاز فرص الوصل.

وكتبت إلى محمد بن عبد الله بن طاهر :

أنا شكري للأمر على سالف معروفه فقد غار وأنجد . وأما أبتاهي إلى الله
في جزائه عني بالحسن في إخلاص النية عند مظان القبول . وأما أمل فأحياء على
بُعد العهد بلاؤه عندي، إذ كان ما تقم منه شافا في المزيد، وفسحة وصيه إياي
عند مفارقتي له، إذ كان مؤذنا بالإيجاز . وأما زلي في التأخر عما أوجب الله عليّ له،
فقرؤن بالمعقوبة فيما حرمت من عز رياسته، ونهاة محبته، وعلو الدرجة به، وإن
كنت سائر أيام أقطاعى عنه مُعتقلا بسبب لا خيار معه . مكاتبك — أعزك الله —
وأنا مجاورك ببلد دون السعي اليك مجالا لقدرك مما أكبر . لا يَكُ بكائي هذا فلان،
وله على حقان : حق مع المسلمين فلزمي بلزومه لهم، وحق خصني بالحرمة والعشرة .
فرأيك في كذا إن سهل السبل إلى ذلك ورحب، وإن يثق طائق فلست على جميل
رأي عندي بمنهم .

للفضل أن يخص بفضل من يشاء؛ والله الحمد ثم له فيما أعطى، ولا حجة عليه
فيا منع .

مُستعني السلطان أحد ثلاثة : رجل آثر الله وما عنده، وأسأل الله توفيقه؛
ورجل يحجز عن عمله بخاف بعجزه عواقب تقصيره، وأستعين الله؛ ورجل سمّت به
نفسه عن قليل هو فيه إلى كثير أمته . وأعوذ بالله من أن أدنس نعمة الله بك عليّ

وعلى سقَى قبلى بالتصدى لمن لا يشبه دهره يومك، ولا أكثر جهده في المعروف أقل عقوبك .

- كن كيف شئت ، فأنى واحدُ أمرى خالصةً سرى رقى ، أرى ببقائك بقاء سرورى ، وبتمام النعمة عليك تمامها عندى ، فإنه ليس من نعمة يُحدثها الله لأمر المؤمنين في نفسه خاصةً إلا أنصَلت برعيته عاقبة ، وشملت المسلمين كافة ، وعظم بلاءُ الله عندهم فيها ، ووجب [عليهم] ^(١) شكره طيباً ، لأن الله جعل بنعمته تمام نعمتهم ، وبسلامته هدوئهم واستقامتهم ، وبتيديده صلاح أمورهم وأمنهم ، وبذبه عن دينهم حفظ حريمهم ، وبحياطته حق دمايتهم وأمن سبلهم ، وبرعيته أنساقهم وانتظامهم ، فاطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيداً بالنصر، معزاً بالتمكين، موصولاً
- الطلب بالغفر، ومدة البقاء بالنعيم المقيم .

١٠

فهمت كتابك . ولم تعد في وعدك وعيدك سبيلَ الراغب في رب عاقته ، الخاضع على سالف بلائه ، المؤثر لاستتمام صنيعته . وإنى لأرجو أن أكون على غاية ما عليه ذونية حسنة في شكر مصطفاه ، وعناية بأداء ما يلزمه لولئ نعمته ، ومراقبة لرئيسه في سر أمره وعلايته ، وإيتار للقليل من جميل رأيه على كثير المنافع مع تخطئه .

١٥

وليس منحي فيما أشرحه من العذر وأطيل بذكره الكتب، منعب من يؤه بالاحتجاج ويحتاج في الاحتذار، ومن تطعمه نفسه في سلامة النعمة مع فساد النية، وفي محمود العاقبة مع شره النفس ، وفي زيادة الحال مع التفريط في العمل . ولو كنت ممن سولت له نفسه ذلك سائر دهره ، لقد وجب إلى أن يضطرنى إلى

(١) زيادة من القيد القريد (ج ٢ ص ٢٤٢) . (٢) في الأصل : « وبذبه عن دينهم

وحفظ ... » بزيادة الواو، وقد وردت هذه الباء في القيد القريد بملحقها . (٣) في الأصل :

« وعنايه ... » . (٤) في الأصل : « وقد وجب ... » ولا حتى ذكر الواو مع اعتبارهما

الجملة بجواب الواو، كما هو ظاهر السياق، على أن في جيل « قد » جواباً « لو » نظراً .

التزوع عنه تأديبك وتعويمك . وإني لمجتهدٌ أن [يكون] أثرُ فعلٍ هو المخبر عني دون
قولي ، وأن يكون ما أُمْتُ به اليك ظاهراً كفايتي دون ذمائي .

لولا ما أنا بسبيله من العمل ، وما في الإخلال به من تعريضه للانتشار ودخول
التخلل ، وعلى بأن طاعة السُلطان مقرونة بطاعة الأمير ، وأنه لا فرقَ عنده بين
الطائى على السُلطان وعليه ، لكننتُ الجوابَ راجلاً معظماً لأمره ، مُكبراً لسخطه ؛
وإن كان الله قد جعل عند الأمير من إيتار الحق والعمل به ، وتقديم الروية قبل
الإقناع ، والاستثناء ^(٢) بمن وَجَّحَ ذنبه وظهر جُرمه دون من وقعت الشبهة في أمره ،
ما أمتنى بادرةً غَضَبه ونازلَ سَطوته .

لم أكن أحسبني أحلَّ عندك محلَّ مَنْ جَهِلَ حِفْظَه ، وَعَلِمَ تَمِيِزَه ، وَغَيَّ عَمَّا عَلَيْهِ
وَعَمَّا لَهُ ؛ إذ تَوَهَّمتُ على آتَى أبيعَ خطيراً من رضاك ، وتقيساً من رأيك ، وشرفاً باقياً
على الأيام بطاعتك ، ومُتَّةً للنواب استظهر بها من نصرتك ، بالثمن البخس الحقيق
من كذا ، أو أن أستبدلَ بما أنا ذو فاقة إليه من عزِّ كَتَفِكَ ومنيعِ ذَرَاكَ ، ما قد
وهب الله الغنى عنه بمحمد .

كان ورودك وشغوصك في وقتين أنطورياً عني ، وكان مقامك في حالٍ شغلي منك
ومنى ، ولذلك فقدتني في التفاضيل لحقك والمتأخرين على لقاءك .

ورد كتابك مضمناً من ريك وتطولك ما حسن شكرى ، وأهمل ظهري ، وأُزِج عن
مضاهاتك بمنتهى قولي ؛ فذكرت به — إذ تحيرت دون تأمله ، وَضَعْتُ عن تحمله ،
وتحيزت عن الشكر عليه عند تحمله — قولَ القائل ^(٣) :

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) الاستثناء : الانتظار . (٣) هو أبو نواس .

وقد ورد في ديوانه (المبرج بالمطبعة السومية بمصر سنة ١٨٩٨ م ص ٧١) : "جلتني" بدلا من
"أوليتي" و "لا تسدين" بدلا من "لا تحسبن" .

أنت أمرؤ أوليتي نيمًا * أو هت قوَى شكرى قد ضعُفا
لا تُحْدِثَنَّ إلى عارفة * حتى أقوم بشكر ما سَلَفَا

ألفاظ قهق في كتب الأمان

- هذا كتاب من فلان لفلان : إني أثبتك على دمك ومالك وموَالِك وأتباعك ،
• لك ولهم ذمَّةُ الله الموقِّ بها ، وعهده المسكونُ إليه ، ثم ذمَّةُ الأنبياء الذين أرسلهم برسائِهِ
وأكرمهم بوجهِه ، ثم ذمَّةُ النجباء من خلائِفِهِ : يحقن دمك ومن دخل اسمهُ مَعَكَ
في هذا الكتابِ ، وسلامةَ مالك وأموالهم وكذا وكذا ؛ فأقبلوا معروضه ، وأسكنوا
إلى أمانه ، وتعلقوا بحبلِ ذمته ، فإنه ليس بعد ما وُكِّدَ من ذلك مُوثَّقٌ لئلا يخل في أمان
إلا وقد اعتلقت بأوثق عُراء ، ولجأتم إلى أحرز كهوفه ، والسلام .

وفي كتاب آخر :

- هذا كتاب من فلان : إن أمير المؤمنين ، ^(١) لما جعل الله عليه نيَّته في إقامة العائز
وأستصلاح الفاسد ، رأى أن يتلافك بعفوه ، ويتنمذ زلاتك برُحمه ، ويُسِّط لك
الأمانَ على ما خرجت إليه من الخلاف والمعنِية : على دمك وشعرك وبشرتك
وأهلك وولدك ومالك وعقارك ؛ فإن أنت أثبتت وسمعت وأطعت ، فأنت آمن بأمان
الله على ما أثبتك عليه أمير المؤمنين ، ولك بذلك ذمَّةُ الله وذمَّةُ رسوله ، إلا
• ما كان من حق قائم بعينه لمسلم أو معاهد ، والله بذلك راع وكفيل ، وكفى
بالله وكلاء .

(١) في الأصل «ورأى ...» بزيادة الواو . ولله بهو من التامع .

وفي كتاب آخر :

إن فلانا أستوهب أمير المؤمنين ذنبك، وسأله أن يقبل توبتك وإبانته ،
ويؤمنك على دمك وشعرك وبشرک وأهلك وولادك ومالك وعقاراتك ، على أن
تسمع وتطيع وتُشاج ، وتؤالي أوليائه ، وتُعدى أعدائه ؛ فأجابه أمير المؤمنين الى
ذلك ، لرایه في العفو والصفح وما يحتسب في ذلك من الثواب والأجر، فانت آمن
بإمان الله على كذا لا تؤخذ بشيء مما سلف من أحداثك، ولا تُتبع فيه بمكروه ما أملت
على الوفاء ولم تُحِلْ حَدَثًا تُفسخ به أمانك وتجعل به سبيلا على نفسك ، والله لك
بذلك راع كفيلا ؛ وكفى به شهيدا .

ألفاظ تقع في كتب العهود

أمره بتقوى الله فيما أسند اليه وجعله بسبيله ، وأن يؤزر الله وطاعته أخذًا ومُعطيا ،
وأعلمه أن الله سائله عما عمل به وجأزيه عليه ، وأنه خارج من دنياه خروجه من
بطن أمته إنا متبوطا محمودا ، وإنا مذموما مسلوبا . فليعتبر بمن كان قبله من الولاة
الذين ولوا مثل ما ولي ، أين صار بهم سر الليل والنهار ، وما أهلبوا به من أعمالهم
الى قبورهم ! ويترود لنفسه الزاد النافع الباقي (يوم يحيد كل نفس ما عملت من خير
مُحْضَرًا وما عملت من سوء تود لو أن بيننا وبينه أمدا بعيدًا) .

وفي فصل آخر :

وقد ولّك أمير المؤمنين ما ولّك من أمور رعيته ، وأشركك فيما أشرك فيه من
أمانته ، ثقة بك ، رجاء لما بتك وإيثارك الحق وأهله ، ورفضك الباطل وأهله ؛
وعهد إليك في ذلك بما إن أخذت به أهلك الله وستدك ، وإن خالفته خذلك
وطأبك .

وفى الحج :

فإن أمير المؤمنين قد آخى^(١) الحج لو قد الله وزور بيته ، للأمر العظيم قدره ، الشريف منزلته ؛ فليكن بتقوى الله ؛ وإيتار مراقبته ، ولزوم الهدى المحمود والطريقة المثلى والسيرة الجميلة التي تُشبه حالك .

- فصل — فإن الله زه الإسلام عن كل قبيحة ، وأكرمه عن كل رذيلة ، ورفضه عن كل دنية ، وشرعه بكل فضيلة ، وجعل سماء أهله الوفاء والسكينة .

فصل — وإن أحق الناس بالازدياد في طاعته ومناصحته وأداء الأمانة في عمله من عظم حق الأمير عليه في الخاصة بفضل الصنعة من الأمير عنده ، مع حق الله عليه في العامة بحق الولاية .

- فصل — وكنت سيقاً من سيوف الله ، ونكلاً من أنكale لأهل الشقاق ، وشجياً لمن آتبنى غير سبيل المؤمنين ، قد أحكمتك التجارب وضربتكم الأمور ، وفيرت عن الذكاء وحلبت النهر أشطره .

فصل — أنت ابن الحزينة والمرقة ، ومن لا يلحقه طارئة ولا بؤة .

- فصل — قد آلمست مواجعتك بشركك ووصف ما أُجِن لك وأخلص من ذلك وأبيل من قدرك وأعتد من إحسانك ، فلفتني عن ذلك تملأ الخلوعة مع آتياض وحشمة .

(١) كذا في الأصل واختيار النظم والمثور لابن طيفور (النسخة الخطية المخطوطة بدار الكتب

المصرية تحت رقم ١٨٦٠ أدب ص ٣٣٣) ولها : « في الحج » .

(٢) في الأصل : « فإن الله بحمده الإسلام ... » .

(٣) في الأصل : « واحد ... » .

فصل — قد أغنى الله بكرمك عن ذرية اليك ؛ وما تآزى عنى نفسى إلى
استعانة بك إلا أبى ذلك حسنُ الظن بالله فيك، وتأميلُ نَجح الرغبة إليك دون
الشفعة عندك .

فصل — مثلك تهزب إلى الله بالتواضع لنعمته، والإغاثة لمستغيثه، والمائدة^(١)
على راجيه بفضلِه .

فصل — تبا لمن يأتى رأيك ! وقبحا لمزُوب عقلك، وأقن تديرك ! ما أبعد
منهيك في الخطأ، وأسوأ أثرك على السلطان، وأقصرَ باعك عن النهوض ! جزالة^(٢)
تفقدك، ومهانة تُضربك، وزهو يملوك، ونخوة يسمخ لها عرينك . لقد آنصرف
رأى أمير المؤمنين عنك، ودعوت له عتيك، وكشفت له عن قناع سترك، واجتررت
إليك سخطه وعطفت نحوك موجدته، وكنت على نصيبك منه والضئ بمثلتك عنده
أولى تقدما وأقرب رشدًا . والله الغنى الحميد .

أصحاب السلطان ثلاثة : رجلٌ يعمل الدنيا نُصبَ عينه، ينصب فيها الخاصة
مكايدَه، ويرفع عن مصلحة العامة همته، يذهله عن التقوى الهوى، وتُنسيه أيام القدرة
العثرة، حتى تصرم مدته وتنقضى دولته، لم يرتب بدنياه شكرا ولا قَدَم بها إلى معاده
ذُخرا . ورجلٌ لا يحفل^(٣) مع صلاح الخاصة ما دخل من الخلل في أمور العامة، ولا مع
وفور حظه^(٤) ما أدخل النقص في حظ رعيته . ورجلٌ حاول في ولايته لإرضاء من ولى
له وظيفه، وأعانته التبة وحَذَّكَ الكفاية . وقد جمع الله لك الثقة والرضا من فوقك،

(١) المائدة : اسم من ماله مبرورة إذا أقبِل . (٢) كذا في الأصل وفيها ضعف لعدم
اتساقها في السياق مع ما بعدها . (٣) الآن : بالتحريك : ضعف الرأى والتدبير .

(٤) كذا في الأصل . (٥) في الأصل «لا يجبل ...» وهو تحريف . وحفظه وبه : بلاه .
(٦) في الأصل : «مع وفور خطر ...» .

والإقياد والمجبة ممن دونك ، وأعاد الى الناس بك عهد السلف الماضي وعمر بك
آثارهم ، حتى كأنهم بك أحياء لم تحترمهم منية ، وجميع لم تصدع بينهم فرقة ، فليبتك
أنت من تقدمك من أهل الفضل في السيرة غير متقدم لك ، ومن معك مقصر عنك ،
ومن دونك مقنن لأمرك . فلا زالت الأيام لك ، ولا زالت النعم عنك ، ولا أنتقلت
عمرى الأمور وأزمتها عن يدك .

فصل — أبى طبع الزمان أن يسمح لنا بك ، كما أبى ذلك في مثلك ، فلم
يزل حتى أعترض بمكروهه دونك ، وكمن من نعمة ذهلت عنها النفس حين أدبرت
بغيرك ، فإن تعلق القلب بك على قدرك في مواهب الله وقدرها عندك .

فصل — ولم تأت في جميع ما علدت من أياديك شيئا ، وإن كان متناها
إلى الناية ، مختارا كالأمنية ، متجاوزا للأصحاق ، إلا وأنت فوقه والمأمول
للزيادة فيه .

وفي كتاب — إن كان ما خبرني به فلان عن هزل فقد أحوجتنا هزلك
إلى الجلد ، ووقفنا موقف المعتذرين من غير ذنب ، وإن كان عن حقيقة فقد ظهر
لنا من ظلمك وتعميفك ما دل على زهلك منا في مثل الذي رغبنا منك فيه .

فصل في كتاب العيد — كتابي إلى الأمير يوم كنا بعد خروجي فيه
ومن قبل من المسلمين إلى المصلى وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيد ،
ونحن بغير حالٍ آجتماع عليهما فريق من المسلمين في عيد من أعيادهم وتجمع من
بجامعهم ، وكان نخرجنا إلى المصلى أفضل مخرج ، ومصرفتنا عنه أفضل منصرف ،

بما وهب الله من سكون العامة وهدوئها وألفتها، وأحتشاد الجند والشاكرية^(١) بأحسن الزيّ والهيئة، وأظهر السلاح والمئدة . فالحمد لله على كذا، وهذا الله الأمير كذا .

فصل — القلب قرينٌ ولّه حليفٌ حيرة ، أنظر^(٢) بعينٍ كليليةٍ وأحضر بقلب غائب : إلى ورود كتابك بما تقتضيه . فاما النوم فلو مثل لمنى لتقررت^(٣) إلقاءً للشهاد .

فصل في كتاب بيعة — فبايعوا الأمير المؤمنين ولعلّان بعهده على اسم الله وبركته وصنع الله وحسن قضائه لدينه وعباده، بيعةً منبسطةً لها أكثفكم، منسرحةً بها صدوركم، سليمةً فيها أهواؤكم، شاكرين لله على ما وفق له أمير المؤمنين .

عُدّ معاويةً على الأحنف ذنباً؛ فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! لم ترد الأمور على أعقابها ! أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لين جوائننا، وإن السيوف التي قاتلتك بها لعلّ عواقبنا؛ ولئن ملّدت^(٤) [لنا] بشبر من غدري، لنمّدت إليك باعاً من حتر^(٥)، ولئن شئت لتستصيقن كدر قلوبنا بصفو حملك ؛ قال معاوية : فإني أفعل .

تقدم رجل إلى سوار، وكان سوار له مِبْفَضَا، فقال سوار في بعض ما يكلمه به : يَأْنِ الخُفَاء ! فقال : ذاك خَصْمِي ؛ فقال له الخضم : أَعِدْنِي عليه، فقال له الرجل : خذ له بحقه وخذ لي بحقي ؛ ففهم، وسأله أن ينفّر له ما قرط منه إليه، ففعل .

الأوزاعي قال : دخل نُحْرَيْمُ بْنُ فَاتِكٍ على معاوية ، فنظر إلى ساقيه فقال : أَيْ مَاقِينِ ، لو كانتا على جارية عاتق^(٦) ! فقال له نُحْرَيْمُ : في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين .

(١) الشاكرية : المستخدمون . (٢) في الأصل «عين جلية ...» . (٣) في الأصل « يستمر ... » . (٤) زيادة من لسان العرب (مادة حتر) . (٥) الختر (بالفتح) : الخدية والندبر . (٦) أعدنّي عليه : انصرفني عليه وقوني . (٧) العاتق : الجارية أوّل إدراكها ؛ وقيل هي التي لم تزوج .

الخطب

- تَبِعْتُ خُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُ أَوَائِلَ أَكْثَرِهَا: «الحمد لله بحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له». ووجدت في بعضها: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته». ووجدت في خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه: «أيها الناس إن لكم معالي فآتوها إلى معالكم، وإن لكم نهاية فآتوها إلى نهايتكم؛ إن المؤمن بين غفوتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه؛ فليأخذ العبد لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبهة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت؛ والذي هوس محمد بيده ما بعد الموت مستحب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار». ووجدت كل خطبة مفتاحها الحمد إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير. وتكبير الإمام قبل أن ينزل عن المنبر أربع عشرة تكبيرة.

خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

- حدثني أبو سهل قال حدثني الطائفي عن محمد بن فضيل قال حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن عكيم^(١) قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه فقال:

- (١) في الأصل «عبد الله بن عكيم» بالقاء المحجمة بدل الكاف والبحث في كتب التراجم ورواة الحديث لم نجد «عبد الله بن عكيم» ففضل ما في الأصل تحريف عما أثبتنا: قال في التلخيص: «عبد الله بن عكيم الجهمي أبو محمد عبد الكوفي» قال: قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض جهينة. وروى عن أبي بكر وعمر وحذيفة بن اليمان وعائشة... الخ وفي الخلاصة: «عبد الله ابن عكيم بضم أوله وفتح الكاف... الخ». وإذا كان عبد الله بن عكيم عن روى عن أبي بكر رضي الله عنه ترجع لدينا أن ما في الأصل معوف عنه.

أما بعد ، فإني أوصيكم بتقوى الله وحده وأن تلتوا عليه بما هو أهله ، وتخلطوا
 الرغبة بالرهبة ، والإلحاف بالمسئلة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : (إِنَّهُمْ
 كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) . ثم أعلموا أن الله قد آرتهم بحقه
 أنفسهم ، وأخذ على ذلك موافقكم ، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي . هذا
 كتاب الله فيكم لا تقني عجائبه ولا يطفأ نوره ، فصدقوه وأتبعوه واستضيئوا منه
 ليوم القلعة . ثم أعلموا أنكم تفتنون وتروحون في أجل قد حُيبَ علمه عنكم ، فإن
 استطعتم ألا ينقضَ إلا وأتمم في عمل الله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله .
 فسابقوا في مهل ؛ فإن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم ، فأنها كم أن تكونوا
 أمثالهم ، والوَحَا الوَحَا ، والنجاة النجاة ! فإن من ورائكم طالب حثيثاً مره ، سرعاً
 [مسيره]^(١)

وفي غير هذه الرواية : أين من تعرفون من إخوانكم ! قد انتهت عنهم الأعمال ،
 ووردوا على ما قدموا وحلوا عليهم بالشقوة والسعادة . أين الجبارون الذين بنوا
 المدائن وحصنوها بالحواط ! قد صاروا تحت الصخر والآكام .

خطبة لأبي بكر أيضا رضي الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد بن ولد أبي زيد القاري .

حيد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

(١) التكة من العهد القوي (ج ٢ ص ١٦٠) . وقد وردت فيه هذه الخطبة باختلاف في بعض
 الكلمات عما هنا . (٢) كنا في الأصل . وهي غير مستقيمة المعنى وذلك من تحريف التناخ .
 ومرواب العبارة قسلا عن تاريخ ابن جرير الطبري (قسم أول ص ١٨٤٧ طبع لندن) : « أين من
 تعرفون من أبا نكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا غلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة
 فبا بعد الموت » . (٣) كذا في البيان والبيان (ج ٢ ص ٢١) وهو ما تزيده كتب التراجم
 كأنساب السمعاني وأسد الغابة : وفي الأصل : « من ولد زيد القاري » .

- إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك . فرجع الناس رموسهم؛ فقال : ما لكم يا معشر الناس ! إنكم لقطعانون . عجلون ، إن الملك إذا ملك زهد الله فيا في يده ، ورغبه فيا في يدي غيره ، وانتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبه الإشفاق ، فهو يحسد على القليل ، ويسخط الكثير ، ويسأم الرخاء ، ويتقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كاللدرم القسي^(١) والسراب الخادع ، جدل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت نفسه ونضب عمره وحملا ظله ، حاسبه الله فأشد حاسبه وأقل عفوه . ألا إنا الفقراء هم المحرومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محبة ، وسترون بسدي ملكا عضوضا ، وأمة شعاطا ، ودما مقاحا^(٢) . فإن كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحق جولة ؛ يعفوها الأثر ، وتموت السن ، فالزموا المساجد ، وأستشيروا القرآن ، والزموا الجماعة . ولكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلادكم خربة فإن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .

خطبة أبي بكر رضى الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة

- أراد عمر الكلام ، فقال له [أبو بكر] : على رسلك . نحن المهاجرون أول الناس إسلاما ، وأوسطهم دارا ، وأكرمهم أحسابا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأهمهم رجحا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسألتنا قبلكم ،

- (١) كذا في الأصل . وفي البعد الفريد (ج ٢ ص ١٥٩) : « البقاء » . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) : « البائة » . (٢) القسي من الغرام : الزائف . (٣) وجبت نفسه ، ونضب عمره ، وضاع ظله : كل منها تخاية عن الموت . (٤) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) . وفي الأصل « ... ألا إنا الفقراء هم المحرومون إلا من آمن ... » . (٥) ملك عضوض : فيه استبداد وصف . (٦) شعاطا : متفرقة . (٧) الدم المقاح : المراق . (٨) كذا في الأصل والبيان والتبيين ، ولم نوق إلى تصويرها أو تصوير صحيح لها .

وقدّمنا في القرآن عليكم ، فآتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الفناء ، وأنصارنا على
الصدق ، آوئتم ^(١) وواسيتم ، فجزاكم الله خيرا ، نحن الأمراء ، وآتم الوزراء ، لا تدبّر
العرب إلا لهذا الحى من قریش ، وآتم محقوقون ألا تنفّسوا على إخوانكم من المهاجرين
ما ساق الله إليهم .

خطبة لأبي بكر رضى الله عنه

الهيثم بن مجاهد عن الشّعبي قال : لما بويع أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، صعد
المنبر فقرأ من مَقْعَدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
إني وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن ومن رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقي ، وأن أحق الحق الفجور ،
وأن أقواكم عندى الضعيف حتى أخذ له بحقه ، وأضعفكم عندى القوى حتى أخذ
منه الحق ، إنما أنا متبع ^(٢) ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فاعينوني ، وإن زُغْتُ
فقوموني . أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال : ولما ولي عمر صعد المنبر وقال :

ما كان لي إني أرى نفسي أهلا لمجلس أبي بكر ، ثم نزل عن مجلسه مِرْقَاة ،
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إقرءوا القرآن تَعَرَّفُوا به ، وأعملوا به تكونوا من أهله .
لأنه لم يبلغ حقّ ذى حقّ أن يُطَاعَ في معصية الله . ألا وإني أنزلت نفسي من مال

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٨) : « وفي الأصل : « واسلمتم » .

(٢) كذا في إيجاز القرآن للبائلي (ص ٦٥ طبع مصر سنة ١٣١٥) : « وفي الأصل : « أما » .

الله بمثلة وإلى اليتيم : إن أَسْتَخَيِّتُ حَقَّقْتُ وَإِنْ انْفَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ ^(١) تَهْزِمُ
الْبَهْمَةَ الْأَمْرَابِيَّةَ : الْقَضَمَ لَا الْخَضَمَ .

خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه

قال : ولما ولى عثمان صعيد المنبر فقال :

- رحمهما الله ، لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بأس ، بجلوس على نزوة
المنبر فرماه الناس بأبصارهم ، فقال : إن أَوَّلَ مَرَكِبٍ صَعِبٌ ، وإن مع اليوم أياماً ،
وما نَكَا خُطْبَاءُ ، وإن نَعَشَ لَكُمْ ثَأْنُكُمْ الْخَطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

خطبة لعلی بن أبی طالب رضى الله عنه

خطب فقال :

- ١٠ أما بعدُ ، فإن الدنيا قد أَذْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بَوْدَاعَ ، وإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ فَأَشْرَفَتْ
بِاطْلَاعِ ، وَإِنَّ الْمِضْمَارَ ^(٢) الْيَوْمَ وَغَدَا السَّبَاقَ . ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل ،
فمن قَصَّرَ في أيام أمله قبل حضور أجله فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ . ألا فاعملوا لله في الرِّغْبَةِ كما
تعملون له في الرِّهْبَةِ . ألا وإني لم أَرِ كَالْجَنَةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا .
ألا وإنه من لم ينفعه الحقُّ ضرَّه الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى جازَّ به الضلال .
١٥ ألا وإنكم قد أَمْرَجْتُمْ بِالظَّنِّ ، وَدَلَّيْتُمْ عَلَى الزَّادِ ؛ وَإِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ طَيْبِكُمْ اتِّبَاعُ
الْمَوَى وَطَوْلُ الْأَمَلِ .

(١) تَهْزِمُ الصَّيَّ وَالْبَهْمَ : أَكَلَ أَكَلًا ضَعِيفًا ، وَكَذَا أَثْلَمَ مَا يَأْكُلُ . وَالْقَضَمُ : الْأَكْلُ بِالْمُرَافِ
الْأَسْنَانِ . وَالْخَضَمُ : الْأَكْلُ بِأَقْصَى الْأَنْفَرَسِ . يَرِيدُ هَذَا بَيَانَ الْأَكْلِ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ الْأَكْلُ الْخَفِيفُ
الَّذِي يَنْفَعُ إِلَى حَاجَةِ الْحَيَاةِ .

٢٠ (٢) فِي الْأَصْلِ : «الضَّهَارُ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

خطبة على عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه

أيها الناس، كتب الله وسنة بيكم . لا يدعى مدع إلا على نفسه . شغل من الجنة والنار أمامه . ساج تها، وطالب يرجو، ومقصّر في النار : ثلاثة ؛ واثان : ملك طار يمتاحيه، ونبي أخذ الله بيديه، لا سادس . هلك من أتهم، وردى من هوى . اليمن والشمال مفضلة، والوسطى الجادة : منهج عليه باقي الكلاب وآثار النبوة . إن الله أذب هذه الأمة بأدين : السوط والسيف ؛ فلا هودة فيهما عند الإمام . فاستبروا بيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم ؛ والتوبة من ورائكم . من أبدى صفحته للفق هلك . قد كانت أمور يلتم على فيها ميلة لم تكونوا عندى محمودين ولأ مصيبين . والله أن لو أشاء أن أقول قلت . عفا الله عما سلف . أنظروا، فإن أنكرتم فأنكروا، وإن عرقتهم فأرووا . حق وباطل، ولكل أهل . والله لن أمر الباطل لقد يما فعل ؛ ولئن أمر الحق لرب ولعل . ما أدبر شئ فاقبل .

خطبة أيضا لعلي رضي الله عنه^(٣)

خطب على حين قيل مامله بالأنبار فقال في خطبته :

يا نجبا من جد هؤلاء في باطلهم وفشلهم عن حقم ! فقبما لكم وترسا حين صرتم غرضا يرمى، يفار عليكم ولا تغيرون، وتقرنون ولا تفرون، ويصعي الله وترضون .

(١) أمر (بالبناء الجهور والتضميف) : سبط . واقى في القيد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) : « ... وإن قل الحق ... » وعلى ما ورد فيها يكون معنى « أمر الباطل » : كثرو «أمر» وزان فرح . (٢) في القيد الفريد :

« ولعلنا أدير ... » . (٣) وردت هذه الخطبة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٦) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) والقيد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف في بعض الكلمات وزادات عما هنا .

إن أمرتكم بالمسير إليهم في الحرّ قلم : ^(١) حارة القبط، أمهلنا ^(٢) [حتى] يسليخ الحرّ،
 وإن أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلم : أمهلنا ^(٣) [حتى] ينسليخ الشتاء هذا أو أن ^(٤) قرء
 كلّ هذا فراراً من الحرّ والقرّ، فاتم والله من السيف أقرّ، يا أشباه الرجال ولا رجال !
 أحلام الاطفال وعقول ربّات المجال، أفستم على رأيي بالعصيان والخذلان، حتى
 قالت قريش : ابن أبي طالب شجاعٌ [ولكن] لا علم له بالحرب . لله أبوه ! هل
 منهم أحد أشدّ لها مرّاساً وأطول تجربةً مني ! ^(٥) لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين
 فهنا الآن قد نيّفت على السنين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

خطبة معاوية رحمه الله

بلغني عن شُعيب بن صَفْوَانَ قال : خطب معاوية فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي تَهَرُّؤَدٍ ، وَزَمَنٍ شَلِيدٍ ، يُعَدُّ فِيهِ الْحَسَنُ
 مُسَيِّئًا ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا ، لَا تَنْتَفِعُ بِمَا حَلَبْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا تَنْفَوْفُ
 قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا . فَالْنَّاسُ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْفُسَادِ
 فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةٌ نَفْسِهِ وَكَلالَ حَدِّهِ وَتَضْيِيقُ وَفَرِهِ ، وَمِنْهُمْ الْمُصْلِحُ لِسَيِّئِهِ ^(١)
 وَالْمُجْلِبُ بِمِثْلِهِ وَرَجُلُهُ وَالْمُؤْمِنُ بِشَرِّهِ ، قَدْ أَشْرَطَ قَسَمُهُ وَأَوْبَقَ دِينُهُ لِحُطَامِ يَتَمَتَّزِهِ ^(٢)

- ١٥ (١) حارة القبط : شدة . (٢) زيادة من العهد الفريد والبيان والتبيين . (٣) التزيم
 التفاف : البرد الشديد . (٤) كذا في العهد الفريد والبيان والتبيين : زيادة كلمة « لها » بد كلمة
 « أطول » في البيان والتبيين . وفي الأصل : « هل منهم أحد لها أشدّ مرّاساً ولا أطول تجربةً مني » .
 (٥) في الأصل : « رضيت » وما أثبتناه من البيان والتبيين والعهد الفريد وإيجاز القرآن . ونضيفه
 وفرة : قلّة ماله . (٦) في الأصل : « بسيفه » بالياء . (٧) أشرط قسه لكذا : أهدأ وقدها .
 (٨) أوبق ديه : أحلكه .

(١) أَوْ مَقْنَبَ يَفُودِهِ أَوْ مَنِيرَ يَفُودِهِ ، وَلَيْسَ الْمُتَجَرَّانِ تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمًا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ عَوَضًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ [وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا] (٢) قَدْ طَافَ مِنْ شَخْصَةٍ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوَةٍ ، وَشَرَّ مِنْ ثَوْبَةٍ ، وَزَنَحَ نَفْسَهُ لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرًا لَهُ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْسَمَ عَنْ طَلَبِ الْمَلِكِ صُورَةً فِي نَفْسِهِ وَأَقْطَعَ مِنْ مَبِيهِ ، قَصَّصَ بِهِ الْحَالِ عَنْ أَمَلِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْفَقَاةِ وَتَزَيَّنَ بِبِلَاسِ الزُّهَادِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَايَ وَلَا مَقْدَى . وَبَقِيَ رَجُلًا خَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرِجَحِ ، وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمُحْشَرَفِهِمْ بَيْنَ شَرِيدِ نَادٍ ، وَخَائِفِ مُنْقِمِ (٣) وَسَاكِتِ مَكْهُومٍ ، وَدَاخِ غُلَّصٍ ، وَمُوجِعِ تَكْلَانٍ ، قَدْ أَهْمَلْتُمْ التَّقِيَّةَ ، وَفَتَمَلَّتُمْ الذَّلَّةَ ، [فَهُمْ] فِي بَحْرِ أَلْجَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحةٌ ، قَدْ وَضَعُوا حَتَّى مَلَأُوا ، وَفُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقِيلُوا حَتَّى قَلُّوا . فَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْطِ وَفَرَاغَةِ الْجَلْمِ ، وَاتَّعَظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَارْضَوْهَا ذَمِيمَةً ، فَإِنَّهَا قَدْ رَفُضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ .

خطبة يزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب ققال : إِنْ مَعَاوِيَةَ كَانَ حَبْلًا مِنْ حَبَالِ اللَّهِ ، مَتْنُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَمْلِكُهُ ، ثُمَّ قَطَعَهُ حِينَ شَاءَ أَنْ يَقْطَعَهُ ؛ وَكَانَ دُونَ مَنْ قَبْلَهُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ بَعْدِهِ ، [وَلَا أَزْكِيهِ عِنْدَ (٤)]

- (١) القنْب بكسر الميم : الجماعة من الخيل . (٢) يَفُودُهُ : يَلُودُهُ . وَفِي الْأَصْلِ : «يَفُودُهُ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٣) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ . وَفِي الْأَصْلِ : «لَيْسَ الْمُتَجَرَّانِ تَرَاهُمَا ... الْخ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٤) الزِّيَادَةُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَالْيَابِتِ وَالتَّبْيِينِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ . (٥) طَافَ مِنْ شَخْصَةٍ : خَفِضَ . (٦) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٢ ص ٢٩) وَفِي الْأَصْلِ : «حَالُ حَالِهِ ...» . (٧) النَّادَى : التَّائِبُ الْقَاهِبُ عَلَى رِيحِهِ . (٨) مُنْقِمٌ : مُسْتَعِيفٌ . (٩) الزِّيَادَةُ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ لِإِبْغَالِ الْفَتْحِ . (١٠) الزِّيَادَةُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ١٧٣) .

ربه وقد صار إليه [فإن يَفُ عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه . وقد وليت الأمر بعده ، ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم . وعلى رسلكم ! إننا كره الله أمرا غيره .

خطبة لعُتْبَةَ بن أبي سُفْيَان

- أبو حاتم عن العُتْبِيِّ قال : احتبست كُتُب معاوية حتى أَرْجَفَ أَهْلُ مِصْرَ مَوْتَهُ ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعد عتبة المنبر والكتاب في يده فقال :
- يا أهل مصر ! قد طالت معاشتنا إياكم بأطراف الرِّيح وظلمات السيوف حتى صرنا نَقِيَّ في هَوَاتِنكم ما تُسَيِّئُنا حُلُوقُكم ، وَأَقْنَاءُ في أَعْيُنكم ما تُطْرِفُ عليها جفونكم .
- لحين أشتدت عُرَى الحق عليكم عقداً ، وأسرتحت عُقْدُ الباطل منكم حلا ، أرجعتم بالخليفة وأرددتم توهين السلطان ، وخضعتم الحق إلى الباطل ، وأقدم عهدكم به حديثاً !
- 10 فاربحوا أنفسكم إذ خيبرتم دينكم ، فهذا كتاب أمير المؤمنين بالخبر السار عنه والعهد القريب منه . وأصلوا أن سلطتنا على أبنائكم دون قلوبكم ؛ فأصلحوا لنا ما ظهر ، نكلكم إلى الله فيما بطن ، وأظهروا خيراً وإن أسررتم شراً ؛ فإنكم حاصدون ما أتم زارعون . وعلى الله تتوكل وبه نستعين .

خطبة لعُتْبَةَ أيضاً

10

وهذا الإسناد أن عتبة خطب أهل مصر حين هاجوا فقال :

يا أهل مصر ، خَفَّ على ألسنتكم مدحُ الحق ولا تفعلونه ، وذمُّ الباطل وأتم تأتونه ، كالبحار يجمل أسفاراً أهله حمله ولم ينفعه علمها . وإلى والله لا أداوي

(١) في العقد الفريد : « ولا آسى على طلب علم » . (٢) أريخ : خاض في الأخبار التي

أدواءكم بالسيف ما اكتشيت بالسوط، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدرة، ولا أبطع
عن الأولى إن لم تصلحوا عن الأخرى * ناجزًا بناجر، ومن حذر كن بشر *
فدعوا قال ويقول من قبل أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم الذي ليس فيه
عقاب، ولا بعده عتاب .

خطبة لعبد الله بن الزبير

خطب عبد الله بن الزبير حين قُتل أخوه مُصعب فقال :

الحمد لله الذي يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء . إنه لن ينلّ من كان الحقّ معه
وإن كان فردًا ، ولن يعزّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أنا
خبرٌ من قبل العراق أجزعنا وأفرحنا : قتل مُصعب رحمه الله . فاما الذي أحرّتنا من
ذلك فإن لفراق الحميم لآلته يبعدها حميمه عند المصيبة به ثم يرعوى بعدها ذوو الرأي
الى جميل الصبر وكرم العزاء . وأما الذي أفرحنا من ذلك ففعلنا أن قتلته شهادةً ، وأن
ذلك لنا وله آلته . ألا إن أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا
يأخذونه به . إنا والله ما نموت حبيبا ^(١) ولا نموت إلا قتلا ، قمصا بالرماح تحت ظلال
السيوف ، ليس كما نموت بنو مروان ؛ والله إن قُتل رجل منهم في جاهلية ولا إسلام .

(١) كذا في الأصل ، ولها : « على الأخرى » .

(٢) هذه الجملة التي بين التجميعين وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) في أثناء خطبة أخرى
لنبيه . وفي العقد : « والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى صدقت عليها قلوبنا ، ولا طلبنا منك حتى بذلنا ما
لکم ناجرًا بناجر ، ومن حذر كن بشر ... » .

(٣) في العقد الفريد : « قبله » .

(٤) الميج : أن يأكل الجبرلاء الرغيق فريم بطنه سمنا وربما قتل ذلك . قال في اللسان بعد أن ذكر
كلام ابن الزبير : « يمرض بني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالفضة ... »
وقصه (من باب قطع) : قتل مكانه .

ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى [الذي لا يبدد ذكره ولا يبدل سلطانه] فإن نُهِّلَ على لا أخذها أخذ البطر الأسير، وإن تُدبر عني لا أبك عليك بكاء أنكرِف المهتر. ثم نزل.

خطبة زياد البتراء^(٣)

- حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن أبي بكر بن أبي حاصم ببعضها، وحدثني أبي عن الميثم بن عدي، قال: لما قدم زياد أميراً على البصرة فنظر إلى أبياتها، قال: «رُبَّ فَرِيحٍ بِإِمَارَتِي لَنْ تَنْفَعَهُ، [و] كَارِيَهُ لَهَا لَنْ تَضُرَّهُ»؛ فدخل وعليه قباء أبيض ورياء صغير، فصعد المنبر، فخطب الناس خطبة براء، لم يصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أول من خطبها، ثم قال:
- أما بعد، فقد قال معاوية ما قد طمعت، وشهدت الشهود بما قد سمعت، وإنما كنت أحرصاً حفظ الله منه ما ضيع الناس، ووصل ما قطعوا. ^(٤) ألا وإننا قد ولينا وولينا والوالون، ومُسْنَا وماسنا السائسون، وإننا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلا شقة في غير حُفٍّ، ولين في غير ضِعْفٍ. وأيم الله ما من كذبة أكبر شاهدنا من كذبة إمام على منبر؛ فإذا سمعتموها مني فأختموها في، وأعلموا أن عندي أمثالها، وإذا رأيتموني أصر
-
- (١) الزيادة من القند الفريد: (ج ٢ ص ١٨٣). (٢) انظر: الذي فسده من الكبير، والمهتر: من ذهب عقله من كبير أو مرض أوسن. وفي القند الفريد: «بكاء انقرو المهيمن». (٣) وردت هذه الخطبة في النوادر لأبي علي القتالي (ص ١٨٥ — ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما هنا ولا تختلف إلا في كلمات يسيرة. ووردت في الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع ليدن سنة ١٨٦٨م) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) والقند الفريد (ج ٢ ص ١٨٣) بزيادات كثيرة مما هنا وتقديم وتأخير في بعض الجمل والكلمات. (٤) لم ترد هذه القطعة في الخطبة البتراء من مصدر أكثر من المصادر التي بين أيدينا إلا في النوادر لأبي علي القتالي. وقد وردت في القند الفريد (ج ٢ ص ١٨٤) في خطبة أخرى لزياد.

فيكم بالأمر فأفئذوه على أذلاله^(١) . وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل
 أمرئ منكم أن يكون من صرعى . وأيم الله لأخذ البرء بالسقيم ، والمطيع
 بالعاصي ، والمقبل بالمدير ، حتى تستقيم لي قناتكم ، وحتى يقول القائل : ^(٢) « ما لي سعد
 فقد قيل سعيد » . فقام إليه عبد الله بن الأهم^(٣) التيمي ، فقال : أيها الأمير ، أشهد
 أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ؛ فقال له : كذبت ، ذاك نبي الله داود . ثم
 قام إليه الأحف ، فقال : إنما المرء بجسمته ، والسيوف بجسمته ، والجواري بشتمه ؛
 وقد بلغك جلدك أيها الأمير ما ترى ؛ وإنما الحمد بعد البلاء ، والثناء بعد العطاء ،
 وإنما لا تنفي حتى تبلى . ثم قام إليه مرداس بن أدية ، فقال : قد سمعنا مقاتلك
 أيها الأمير ، وإن خليل الله إبراهيم عليه السلام أدى عن الله غير الذي أدبته ، قال
 الله تعالى : (أَلَا تَرَوْا وَزْرَهُ وَزَرَ أُخْرَى) * ؛ وأنت تزعم أنك تأخذ البرء

(١) حل أذلاله : على طريقه ووجهه . واحده ذل بكسر الهمزة ، وهو ما مهد من الطريق وذلل .
 (٢) قال في اللسان مادة « سعد » بعد أن ذكر هذا المثل : « هذا مثل سائر وأصله : أنه كان لقبه
 ابن أديان : سعد وسعيد تخريفاً لبيان إلامها فرجع سعد ولم يرجع سعيد ؛ فكان ضبة إذا رأى سوادا
 تحت الليل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل ؛ فأخذ ذلك القبط منه وصاروا يشتمون به ، وهو يضرب
 مثلاً في النهاية بذي الرحم ، ويضرب في الاستخبار عن الأمور : انظر والشرايعما وقع . وقال الجوهري
 في هذا المكان : وفي المثل ، أسعد أم سعيد إذا مثل عن الشيء أهو مما يجب أو يكره .
 (٣) كذا في ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٦ طبع لندن والبيان والتبيين والعقد الفريد .
 وفي الأصل : « ضم بن الأهم » وقد أكرنا ما في المصادر الأولى لأن الوقوف في مثل هذا الوقف
 يقتضي حجة وجلاء ، وفي عبد الله بن الأهم منهما حظ موثور . أما تميم بن عمرو بن الأهم ، وعبد الله
 هذا همه ، فكان كما يقول ابن تيمية في الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : « فيه تأنيث ... » . وفي النوادر
 لأبي علي القالي : « صفوان بن الأهم » وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهم . (٤) وردت هذه
 الجملة في ابن الأثير والعقد الفريد والبيان والتبيين والنوادر لأبي علي القالي باختلاف عما هنا ونصها
 في ابن الأثير : « قام إليه أبو بلال مرداس بن أدية » وهو من الخوارج ، وقال : أنبأنا الله بشيء ما قلت ،
 قال الله تعالى : (إبراهيم الحق في الآزمنة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) الخ ... » .

بالسقيم ، والمطبخ بالعاصي ، والمقبل بالمدرء ؛ فقال له : أسكت ، فوافقه ما أجد الى ما أريد سيلاً ، إلا أن أخوض اليه الباطل خوفاً . ثم نزل .

وقال في خطبة له أخرى ^(١) :

- حَرَّمُ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أَسْوِيَهَا بِالْأَرْضِ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا . إِيَّايَ وَدَجَّ اللِّيلِ ، فَإِنِّي لَا أَوْقِي بِمُدْجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَإِيَّايَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحَدْتُمْ أَحْدَانًا ، وَأَحْدَثْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عِقَابًا ؛ فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقَهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقَهُ ، وَمَنْ قَبَّ بَيْنَا قَبَّتْ عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ تَبَشَّ قَبْرًا دَفَنَتْهُ فِيهِ حَيًّا ؛ فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكُفِّ عَنْكُمْ . وَقَدْ كَانَتْ بَنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ مِنْكُمْ أَشْيَاءٌ قَدْ جَعَلْتُهَا دَبْرًا ذَنْبِي وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَزَعْ . إِنِّي لَوَعَلْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ الشَّلَّ مِنْ بَعْضِ ١٠ لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاقًا وَلَمْ أَهْنِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُيَسِّدَ لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِنَّا فَعَلْ ذَلِكَ لَمْ أَنَاظِرْهُ ؛ فَاعِينُوا عَلَى أَنْهَسِكُمْ وَأَتَيْسُوا أَمْرَكُمْ .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة ^(٢)

دخل وهو متقلد سيفاً متنكباً قوساً عربية ، فعلا المنبر فقال :

- أَنَا ابْنُ جَلَّاءٍ وَطَلَّاعِ النَّتَائِيَا * مَتَى أَصْغَحَ الْعَامَّةَ تَعْرِفُونِي ١٥

(١) هذه الخطبة وردت في المصادر المتقدمة ، ما عدا النوادر لأبي علي ، في شأيا خطبه

البراء . (٢) وردت هذه الخطبة في كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكمال للبرد (ص ٢١٥

طبع ليسج) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٤) والنفذ القريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكمال لابن الأثير

(ج ٤ ص ٣٠٤ طبعة لندن) مع بعض الاختلاف : بزيادة أو نقص أو تغيير في بعض الكلمات .

إن أمير المؤمنين ^(١) نكَّب عيِّداته بين يديه ، فوجدني أمرها عوداً وأصلابها
مكسراً ، فوجهني إليكم . ألا فواكه لأعصبتكم ^(٢) عَصَب السَّلمة ، ولأخوَّكم لحوَّ العود ،
ولأضربكم ضرب غرائب الإبل ^(٣) ، حتى تستقيم لي قَتَاتُكُمْ ، وحتى يقول القائل :
« أُنِجُّ سعدٌ فقد قُتِلَ سعيدٌ » ^(٤) . ألا وإيَّاي وهذه الشَّقَاء والزَّرَافَاتِ ، فإني لا أوتى
بأحد من الجالسين في زَرَافَةٍ إلا ضربتُ عُنُقَهُ . هكذا حدثني أحمد بن سعيد عن
أبي عبيد في كتاب غريب الحديث . وقال لي غيره : هو إيَّاي وهذه الشَّقَاء
والزَّرَافَاتِ . وقد فسرتُ الحديث في كتابي المؤلف في غريب الحديث .

خطبة للحجاج أيضاً

أَرْجَفَ النَّاسُ بِمَوْتِ الْحَجَّاجِ ، فخطب فقال :

إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، تَرَعَّ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالُوا :
مَاتَ الْحَجَّاجُ وَمَاتَ الْحَجَّاجُ ! قَهْ ! وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ! والله
ما يسرني ألا أموتَ وأنَّ لي الدنيا وما فيها ! وما رأيت الله رَضِيَ بالتخلُّد إلا لأَهْوَنِ
خَلَقَهُ عَلَيْهِ إِبْلِيسُ . ولقد دعا الله العبدُ الصالحُ فقال : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا
لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ، فأعطاه ذلك إلا البقاء . فما عسى أن يكون أيها الرجل !

- ١٥ (١) نكَّب عيِّداته : طرحتها . (٢) عصبه : قطعه . والسلمة : واحدة السلم ، وهو شجر من
النضاه يتخذ منه القروظ الذي يذبح به ، وهو شجر السنط . ولها العود : قشره . (٣) كانت الإبل
الثرية إذا وردت مع ليل قوم ضربت وطردت . ضربه الحجاج مثلاً في التهديد والإنذار . (٤) تقدّم
شرحه في خطبة زياد . (٥) في اللسان مادة «سقف» : «وأما قول الحجاج : (إيَّاي وهذه الشَّقَاء)
فلا يعرف ما هو ؛ وحكى ابن الأثير عن الزُّنْشَرِيِّ قال : قيل وهو تصحيف ، قال : والحواب شفء جمع
شفيع لأنهم كانوا يجتمعون إلى السلطان فيشفعون في أصحاب الجرائم قهاهم عن ذلك لأن كل واحد منهم
يشفع للآخر كأنهم من الاجتماع في قوله : إيَّاي وهذه الزَّرَافَاتِ » . ومن هذا يعلم ما يرى إليه المؤلف
بالتعقيب بالرواية الثانية من التتبع على الوجه الصحيح .

وكلكم ذلك الرجل ! . كَأَنِّي وَاقِعٌ بِكُلِّ حَيٍّ مِنْكُمْ مَيِّتًا ، وَبِكُلِّ رَطِيٍّ يَابِسًا ، وَحَقْلٍ فِي ثِيَابٍ أَكْفَانُهُ إِلَى ثَلَاثِ أَذْرُعٍ طُولًا فِي ذِرَاعٍ عَرْضًا ، وَأَكَلَتْ الْأَرْضُ لَحْمَهُ وَمَتَّصَتْ صَدِيدَهُ ، وَانْصَرَفَ الْحَبِيبُ مِنْ وَلَدِهِ يَقِيمُ الْحَيِّثَ مِنْ مَالِهِ ؛ إِنْ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ يَسْمُونَ مَا أَقُولُ ، ثُمَّ تَزَلْ .

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ ، وَقَدْ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ ابْنِي هَذَا ، وَأَوْصِيَّتُهُ بِخِلَافِ مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَسَلَّمَ] فِي الْأَنْصَارِ ؛ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ أَوْصَى أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَأَنْ يُجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؛ وَإِنِّي أَمَرْتُه أَلَّا يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَلَا يُجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ . أَلَا وَإِنَّكُمْ سَتَقُولُونَ بَعْدِي مَقَالَةً لَا يَنْعَمُكُمْ مِنْ إظهارها إِلَّا مُخَافَتِي ، سَتَقُولُونَ بَعْدِي : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصُّبْحَةَ ! أَلَا وَإِنِّي مُعْبِلٌ لَكُمْ الْجَوَابَ : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ تَزَلْ .

خطبة للحجاج أيضا

خطب فقال في خطبته : سَوَّطِي سِبْغِي ، فَبِجَادِهِ فِي عُنُقِي ، وَقَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَذُبَابُهُ قِلَادَةٌ لِمَنْ اغْتَرَبَ بِي ! فقال الحسن : بُولَسًا لِهَذَا ! مَا أَغْرَهُ بِاللَّهِ ! .
(٢) وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار ، ثم أتى امرأته فبعتته نفسها ، فأتى ابن مبرين يستفتيه ؛ فقال : يَا بَنَ أَخِي ، إِمِضْ فَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ الْحَجَّاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي النَّارِ لَمْ يَضْرُكْ أَنْ تَرَى .

(١) نجاد البيف : حاتم . وقائمه مقبضه . وذبابه : طرقة التي يضرب به .

(٢) في الأصل : لحلف رجل ...

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه^(١)

حدثني أبو مهمل عن إسماعيل بن سليمان عن شبيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص، قال :

- كان آخر خطبة خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تُتركوا سُدىً ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه الحكم فيكم والفصل بينكم ، فغاب وخسر من ترج من رحمة الله وحرّم جنة عَرْضها السموات والأرض . ألم تعلموا أنه لا يَأمن غداً إلا من حَذَرَ اليوم وخاف ، وباع نَفْسَهُ بِيَق ، وقليلًا بكثير ، وخوفًا بأمان ! ألا ترون أنكم في أسلاب المالكين ، وستكون من بعدكم الباقيين كذلك ، حتى تُردَّ^(٢) إلى خير الوارثين ! ثم إنكم في كل يوم تُسبِّحون غادياً ورائحاً إلى الله قد قَضَى تَحَبُّه ، حتى تُقَيِّبوه في صَدْع من الأرض في بطن صَدْع غير مُوسَّد ولا مَهْد ، قد فارق الأحباب و باشر التراب وواجه الحساب ، فهو مرتهنٌ بعمله ، غنيٌّ عما ترك فقير إلى ما قَدَّم . فاقفوا الله قبل انقضاء مَوَاقِيته وتزول الموت بكم ! أما إنى أقول هذا وما أعلم أن عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ، فاستغفر الله وأتوبُ إليه . ثم رفع طَرْفَ رِدَائِهِ على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلاله ثم قال : كنتَ كذلك ما شئتَ أن تكون ، لا أعلم كيف أنت إلا أنت ، ثم ارتأيت أن تَخْلُق الخلق ، فإذا جئتُ به من عجائب صُنْعِكَ ،

(١) وردت هذه الخطبة في البيان والبيان (ج ٢ ص ٦٠) والمقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٥) بزيادة عما هنا . (٢) في الأصل : «وباع نفسه...» بالقاف وهو تحريف . (٣) في الأصل : «ويكون... حتى يرد...»

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذكرك : من صنوف أفواجه وأفراده وأزواجه ، كيف أدمجت قوائم القدرة والبعوضة إلى ما هو أعظم من ذلك من الأشباح التي استرجت بالأرواح ! .

وخطب يوما فسقطت جرادة على ثوبه فقال : سبحان من الجردة من خلقه ، أدمج قوائمه ، وطوقها جناحها ، ووثق جلدها ، وسلطها على ما هو أعظم منها .

خطبة للججاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفظوا فروجكم ، وخذوا الأغمس بضميرها ، فإنها أسوء شيء إذا أعطيت ، وأعصى شيء إذا سُئلت . وإنى رأيت الصبر عن محارم الله أسير من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن النار دارٌ غرورٍ ومتزلٌ باطلٌ ، تضحك بايكا وتبكي ضاحكا ، وتخيف آمنا وتؤمن خائفا ، وتُفقر مُتفريا وتُثري مُقترا ، ميالةٌ غرارةٌ لمآبةٍ بأهلها ! عباد الله ! اتخذوا كتاب الله إماما ، وارْتَضُوا به حكما ، واجعلوه لكم قائما ، فإنه ناصحٌ لما كان قبله ولم ينسخه كتاب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يملو كَيْدَ الشيطان كما يملو ضوءُ الصبح إذا تَنَقَّسَ ، ظلامُ الليل إذا صَمَعَسَ .

(١) أسوء : أضعف ، من ماك الرجل إذا شئ مشيا ضعيفا .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفي الأصل : « ديار الليل ... » . وتنفس

الصبح : تليج وأسفر . وصمَسَ الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حَمدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، والله ما خرجت أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا حِرْصًا على الدنيا ولا رغبةً في الملك ، وما بي إطرأ نفسي ، وإني لأظَلُّومٌ لها إن لم يرتحني الله ، ولكن خرجت غَضَبًا لله وبينه ، داعيًا إلى الله وإلى سُنَّةِ نبيه ، لَمَّا هُدِمَت معالمُ الهدى ، وأُطْفِئَ نورُ أهلِ التقوى ، وظَهَرَ الجَبَّارُ العَنيدُ ، المستَحِلُّ لكل حُرْمَةٍ ، والراكِبُ لكل بَذْعَةٍ ، الكافرُ بيومِ الحساب ، وإنه لأَبْرُنُ عَمَى في النَّسَبِ وَكَفَيْتِي في الحَسَبِ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذلكَ استخرْتُ اللهَ في أمره وسألته ألا يَكَلِّفَنِي إلى نفسي ، ودعوتُ إلى ذلكَ مَنْ أَجَابَنِي من أهلِ ولايتي ، حتى أراحَ اللهَ منه العبادَ ، وظَهَرَ منه البلادَ ، بِجَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ لا بِجَوْلِي وَقُوَّتِي .

أيها الناس ، إنا لكم على - أَلَا أَضَعُ حَجْرًا على حجر ، ولا لَبَنَةً على لبنَةٍ ، ولا أَكْرِى نهرًا ، ولا أَكْثِرُ مالا ، ولا أُعْطِيهِ زَوْجًا ولا وَلَدًا ، ولا أَثْقِلُهُ من بلد إلى بلد حتى أَسُدَّ فِتْرَ ذلكَ البلدِ وَخَصَاصَةَ أَهْلِهِ ، فَإِنْ فَضَّلَ فَضْلٌ ثَقَلْتُهُ إلى البلدِ الَّذِي يَلِيهِ .
ولا أَجْعَلُكُمْ في بُعُوثِكُمْ فَاغْتَنَمَ وَأَقْبَنَ أَهْلِيكُمْ ، ولا أَطْلِقُ بَابِي دُونَكُمْ فَيَأْكُلَ قَوِيَّكُمْ ضَعِيفَكُمْ ، ولا أَجْعَلُ على أَهْلِ جَزِيرَتِكُمْ ما أَجْلِيهِمْ به عن بلادهم وَأَقْطَعُ به نَسْلَهُمْ .
ولكم على - إِدْرَارِ الْعَطَاءِ في كل سنةٍ والرِّزْقِ في كل شهرٍ ، حتى يَسْتَوِيَ بكم الحَالُ فيكونَ أَفْضَلُكُمْ كَأَدْنَاهُمْ . فَإِن أَنَا وَقَيْتُ لَكُمْ فَعَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وحسبُ المُوازَنَةِ والمُكَافَأَةِ ، وَإِن لَمْ أَفِ لَكُمْ [فَلَكُمْ] ^(٤) أَنْ تَخْلَعُونِي * إِلَّا أَنْ تَسْتَيْبُونِي ، فَإِن أَنَا تَبَيْتُ

(١) كرى النهر : حفره . (٢) تحجير المساكن : حبسهم في بلاد المدائن أو الثغور . دون أن يجمعوا إلى أهلهم . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : « ولا أجركم في ثغوركم » . (٣) المكافئة : المعادلة . (٤) التخلعة مقولة من البيان والتبيين . (٥) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) وفي الأصل تستيوني ، إن تبئت

قبلتم مني ، وإن عرقتم أحدا [يقوم مقامى ممن] يعرف بالصلاح يُعطىكم من نفسه مثل الذى أعطيتكم فأردتم أن يُباعوه ، فانا أول من يابعه ودخل في طاعته .

أيها الناس ، إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

- فلما بوجع مروان نبش وصلبه . وكانوا يقرعون فى الكتب : يابئذ الكنوز ويا سجادا بالأمصار ، كانت ولايتك لهم رحمة وعلهم حجة ، أخذوك فصلبوك .

خطبة أبى حمزة الخارجى^(٢)

- خطب أبو حمزة الخارجى بمكة فذكر رسول الله صلى الله عليه [وسلم] ، ثم أبى بكر وعمر رضى الله عنهما بما هم أهلهم ، ثم قال : وولى عثمان فصار ست سنين بسيرة صاحبته وكان دونهما ، ثم سار فى الست الأواخر بما أحبط [به] الأوائل ، ثم مضى لسبيله .
- ١٠ وولى طلق فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرغ [له] متارا ، ثم مضى لسبيله . ثم ولى معاوية لعين رسول الله وابن لعينه ، اتخذ عباد الله خوفا ، ومال الله دولا ، ودينه دخلا ، ثم مضى لسبيله ، فآلعتوه لعنه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية ، يزيد الخمر ، ويزيد القُرود ، ويزيد الفهود ، الفاسق فى بطنه والمأبون فى قرحه . ثم اقتصم خليفة خلفه . فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرض عن ذكره . ثم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال :
- ١٥ يا كل الحرام ، ويلبس الحلة بالف دينار ، قد ضربت فيها الأبقار ، وهتكت الأستار ، حبابه عن يمينه وسلامته عن يساره فتفانيه ، حتى إذا أخذ الشراب فيه كل مأخذ قَبَّ ثوبه ثم التفت الى أحدهما فقال : ألا أظير ! نعم ! طرأ النار . ثم ذكر أصحابه

(١) الزيادة متولة من البيان والبيان . (٢) رويت هذه الخطبة كاملة فى البيان والبيان

فقال : شبابُ واللهِ مكتهلون في شبابهم ، غَضِيضَةٌ عن الشر أعينهم ، قَبِيلَةٌ عَنِ الْبَاطِلِ أَرْجَاهُم ، أَنْضَاءُ عِبَادَةٍ ، وَأَطْلَاحُ سَهْرٍ^(١) ، يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مُنْجِنَةً أَصْلَابَهُمْ عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ ، قَدْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ رُكَبَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَجِبَاهَهُمْ ، وَاسْتَقَلُّوا ذَلِكَ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا السَّهَامَ قَدْ نَوَّقَتْ ، وَالرَّامَحَ قَدْ أَشْرَعَتْ ، وَالسِّيَوفَ قَدْ انْتَضَبَتْ ، وَأَرْمَلَتْ الْكَتِيْبَةُ بِصَوَاقِعِ الْمَوْتِ ، مَضَى الشَّابُّ مِنْهُمْ قُدْمًا ، حَتَّى اخْتَلَفَتْ رِجْلَاهُ عَلَى عُنُقِ فَرَسِهِ ، وَتَخَضَّبَتْ عَاصِنُ وَجْهِهِ بِالْمَاءِ ، فَاسْرَعَتْ إِلَيْهِ سِبَاعُ الْأَرْضِ وَانْغَطَّتْ إِلَيْهِ طَيْرُ الْمَاءِ ، فَكَمَ مِنْ مَيِّنٍ فِي مَقَارِ طَائِرٍ طَالِبًا^(٢) بَنَى صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ ! وَكَمْ مِنْ كَفٍّ زَايَلَتْ مَعْصَمَهَا طَالِبًا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بِالسُّجُودِ لِلَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَوَهُ أَوَهُ وَبَنَى ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة لَقَطْرِي الْخَارِجِي^(٣)

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَاقِزَ ، فَقَالَ : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأُتْرِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وَجُلُّوا لَمْ مِنَ الضَّرِيعِ أَجْنَانًا ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانًا ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانًا ، فَهَمَّ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ، إِنْ

- (١) أَنْضَاءُ : جَمْعُ نَفْسٍ ، وَهُوَ الْخَفِيفُ الْهَمُّ مِنَ النَّعْبِ - وَأَطْلَاحُ : جَمْعُ طَلْحٍ (بَكْسَرِ الْمَاءِ) وَهُوَ الْمَجْزُولُ . (٢) فِي الْأَصْلِ « طَارِبًا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْبَيَانِ وَالْتِمِيزِ وَالْمَقْدَرِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ١٩٧) . (٣) أَوَهُ : كَلِمَةٌ مِمَّا هَا التَّحْوِينَ - وَفِيهَا لَفَاتٌ وَهِيَ : أَوَهُ (بِالْمَدِّ وَسُكُونِ الْمَاءِ) وَأَوَهُ بِضَمِّ الْمَاءِ وَأَوَهُ (بِالْمَدِّ وَدَوَارِزِ) وَأَوَهُ (بَكْسَرِ الْمَاءِ) خَفِيفَةٌ وَأَوَهُ (بَفَتْحِ الْمَاءِ وَسُكُونِ الرَّوَاغِيَا) وَأَوَهُ (بِالْمَدِّ وَكُسْرِ الْمَاءِ) . (أَنْظُرِ السَّانَ مَادَّةَ أَوَهُ) . (٤) وَرَدَّتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ كَامِلَةً فِي الْبَيَانِ وَالْتِمِيزِ (ج ٢ ص ١٦٣) وَالْمَقْدَرِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) فِي الْبَيَانِ وَالْتِمِيزِ وَالْمَقْدَرِ الْفَرِيدِ « وَجُلُّوا لَمْ ... أَجْنَانًا » وَلَوْلَا رَوَايَتُهُمَا أَكْثَرُ اسْتِقَامَةٍ . (٦) أَجْنَانٌ : جَمْعُ جَنْفٍ ، وَالْجَنْفُ بِالضَّرْكَ : الْقَبِيرُ .

أَخْصِبُوا لَمْ يَفْرَحُوا، أَوْ أَلْخَطُوا لَمْ يَقْطُوا؛ جَمِيعٌ أَوْحَادٌ، وَجِبْرَةٌ أَعْبَادٌ، لَا يُزْوَرُونَ وَلَا يُزَارُونَ . فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ، وَاتَّقُوا مَا وَاعظُهُ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ .

وفي خطبة ليوسف بن عمر :

إِنِّهَؤُا اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! فَكُم مِّنْ مُّؤْمِلٍ أَمَلًا لَا يَلُغُهُ، وَجَامِعٍ مَّالًا لَا يَأْكُلُهُ، وَمَانِعٍ مَّاسُوفٍ يَتَرَكُهُ، وَلَعْلَهُ مِّنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَامًا وَوَرَّثَهُ عَدُوًّا .
إِحْتِمَالُ إِضْرِهِ وَبَاءُ بُوزَرِهِ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ أَسْفًا لَّاهِقًا، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .^(١)

وفي خطبة للحجاج :

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : سَمِعْتُهُ عَلَى الْمُبَرِّقِ يَقُولُ : إِمْرَأُ زَوْرَ عَمَلِهِ إِمْرَأُ حَاسَبَ نَفْسِهِ،
إِمْرَأُ فِكْرٍ فَيَا يَقْرُؤُهُ فِي صَحِيفَتِهِ وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ ، إِمْرَأُ كَانَ عِنْدَ هَوَاءٍ زَاجِرًا، وَعِنْدَ
هَمٍّ أَمْرًا، أَخَذَ بَعَثَانُ قَلْبِهِ كَمَا يَأْخُذُ بِخَطَامِ جَمَلِهِ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبِعَهُ، وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّهُ .^(٢)

خطبة للنصور

خَطَبَ النَّصُورُ بِحِكْمَةٍ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا سُلْطَانُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ،
أَسْوَءُكُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَتَسْلِيدِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَبْيُصِيرِهِ، وَخَازِنُهُ عَلَى فَيْتِهِ أَعْمَلُ فِيهِ بِمَشِيئَتِهِ،
وَأَقْسِمُ بِإِرَادَتِهِ، وَأُعْطِيهِ بِإِذْنِهِ، قَدْ جَعَلَنِي عَلَيْهِ قُفْلًا إِذَا شَاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ
وَقَسَمَ أَرْزَاقَكُمْ فَتَحَنِي، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقْفِلَنِي عَلَيْهَا أَقْفَلَنِي . فَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْأَلُوهُ

(١) الإمبر : القفل . (٢) في المقد « أمرت... » بالرفع . ووزد عمله : حسبه .

(٣) كذا في المقد القريد (ج ٢ ص ١٨٦) وفي الأصل « عند قلبه... » . (٤) كذا في المقد القريد

وفي الأصل : « بستان عمله ... » . (٥) كذا في المقد القريد، وفي الأصل : « يشبه ... » .

في هذا اليوم الشرف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه، اذ يقول :
(الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَعَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أن يوفقني
للصواب والرشاد، ويهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، ويفتحني لإعطائكم وقسم
أرزاقكم بالعدل عليكم .

خطبة لداود بن علي

خطب فقال : أحرز لسان رأسه، اتعظ أمرؤ بغيره، اعتبر عاقل قبل أن يُعتبر
به، فامسك الفضل من قوله وقدم الفضل من عمله . ثم أخذ بقائم سيفه فقال :
إن بكم داء هذا دوائه، وأنا زعيم لكم بشفاؤه، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع .

خطبة لداود بن علي أيضا

لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر قام بوجه كورقة المصحف فاستخيا ١٠
فلم يتكلم؛ فنهض داود بن علي حتى صعد المنبر؛ فقال المنصور : قف في شيخنا
وكبيرنا ولبعور إلى نفسه فلا يختاف عليه أثنان ، فانتصت سيفي وغطيت ثوبي
وقلت : إن فعل ناجزته؛ فلما رقي عتبا استقبال الناس بوجهه دون أبي العباس، ثم
قال : أيها الناس، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله، ولا أثر الفعل عليكم
أجدي من تشقيق المقال، وحسبكم بكتاب الله ممثلا فيكم، وأبين جم رسول الله ١٥
خليفة عليكم . والله قسما بولا أريد إلا الله به ما تام هذا المقام أحد بعد رسول
الله أحق به من علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا، فليظن ظأنكم ولينمض
هامسكم . قال أبو جعفر : ثم نزل وشمت سيفي .

(١) تشقيق الكلام؛ لمرآته أحسن مخرج . (٢) شام سيفه : أعده، ويستعمل بمعنى

خطبة لأعرابي^(١)

أما بعد، فإن الدنيا دار بلاء والآخرة دار بقاء، فخذوا أيها الناس لمقركم من مَحَرِّكُمْ، ولا تَتَّخِذُوا أَسْئَارَكُمْ عند من لا يَنْفَعِي عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ، ففى الدنيا أُحْيَيْتُمْ وَلَذِيهَا خُلِقْتُمْ. أقول قولى هذا، والمستغفرُ الله، والمُدعوُ له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفر بن سليمان .

خطبة المأمون يوم الجمعة

- الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه، ومستوجبُه على خلقه، أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .
- أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده، والتنجيز لوعده، والخوف لوعده، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه، وعمل له وأرضاه . فاهو الله عباد الله ١٠
- وبادروا آجالكم بأعمالكم، وأبتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جد بكم، واستعدوا للوت فقد أغللكم، وكُونُوا قَوْمًا صَبَحَ بِهِمْ فَاتَقَبَّهُوا، وعلِمُوا أَنَّ الدنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٌ فَاسْتَبَدَلُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَيْنًا وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً؛ وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموتُ أَرَأَيْتَ يَتَرَلَّ بِهِ . وَإِنَّ ظَايَةَ تَقْصُصِهَا الْمَخْطَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ ١٥
- الواحدة بِلَدِيرَةٍ يَقْصُرُ الْمُنَّةُ^(٢)، وَإِنَّ غَائِبًا يَحْلُوهُ الْجَلِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَرَّى بِمِرْمَرَةِ الْأَوْبَةِ، وَإِنَّ قَادِمًا يَحُلُّ بِالْفُوزِ أَوْ بِالشَّقْوَةِ لِمَسْتَحِقٍّ لِأَفْضَلِ الْمُنَّةِ، فَاتَّقِ عَبْدُ رَبِّهِ، وَنَصَحْ نَفْسَهُ، وَقَدِّمْ تَوْبَتَهُ، وَغَلَبْ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مُسْتَوْعِنُهُ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ : يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكَبَهَا ، وَيُغْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حَتَّى تَهْجُمَ

(١) وردت هذه الخطبة في الأمال لأبي علي القمي (ج ١ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية)

بزيادة عما في الأصل هنا . (٢) هذا في القصد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) . وفي الأصل : «جدير» . ٢٠

عليه منيته أغفل ما يكون منها . فإلها حسرة على ذى غفلة : أن يكون عمره عليه
 حجة ، أو تؤدبه أيامه إلى شقوة ! نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ،
 ولا تقصر به عن طاعته غفلة ، ولا تحمل به بعد الموت فزعة^(١) ، إنه سميع الدعاء ، ويبد
 الخير ، وإنه فعال لما يريد .

• وفي خطبة المأمون يوم الأضحي بعد التكير الأول :

• إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشرّفه ، وعظم حرّمته ، ووفّق
 له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليفه ، وفدى فيه من الذّبح نبيه ، وجعله خاتم
 الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدّم الأيام المعدودات من التّفرّج يوم حرام من أيام
 عظام في شهر حرام ، يوم الحجّ الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن
 بتعظيمه ، قال الله جلّ وعزّ : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) الآيات ، فتقربوا إلى الله
 في هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله واجعلوها من طيب أموالكم وبصحة
 التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : (لَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائَهَا وَلَكِنْ يَسْأَلُهُ
 التَّقْوَى مِنْكُمْ) ، ثم التكير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد
 ذكر الجنة والنار : عظم قدر الدارين وارفع جزاء العاملين وطالت مدة الفريقين^(٢)
 الله الله ! فوائده إنه إلحد لا أَلَّيبُ ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت
 والبست والميزان والحساب والقيصاص والصراط ثم العقاب والثواب ، فمن نجّا
 يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب . الخير كله في الجنة ، والشر كله
 في النار .

(١) كما بالمقد الفريدة وفي الأصل « مرعة » .

(٢) كذا في نسخة القوي (ج ٢ ص ١٨٠) والمراد بالعملين عمل الخير وعمل الشر . وفي الأصل :

« العاملين » .

وفي خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول :

- إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ وَسُنَّةٌ وَابْتِهَالٌ وَرَغْبَةٌ ، يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَاقْتَتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، بِفَعْلِهِ خَاتَمَةُ الشَّهْرِ وَأَوَّلُ أَيَّامِ شَهْرِ الْحَجِّ ، وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِلْمَغْرُوضِ صِيَامَكُمْ وَمُتَنَفِّلًا قِيَامَكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ؛ فَاطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ وَاسْتَغْفِرُوهُ لثَغْرِ بَطْنِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتَغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ . ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَذِكْرُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى .
- ثُمَّ قَالَ : فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَابْدُرُوا الْأَمْرَ الَّذِي اخْتَلَّ فِيهِ بَقِيَّتُكُمْ ، وَلَمْ يَحْتَضِرِ الشُّكُّ فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُسْتَفَالُ بَعْدَهُ عَقْرٌ ، وَلَا تُحْتَظَرُ قَبْلُهُ تَوْبَةٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونُهُ وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ . وَلَا يُبَيِّنُ عَلَى جَزَمِهِ وَعَزْمِهِ وَكَرَمِهِ ، وَلَا يُبَيِّنُ عَلَى الْقَبْرِ وَطْلَمَتِهِ وَضِيْقِهِ وَوَحْشَتِهِ وَهَوْلِ مَقْلَمِهِ وَمَسَالَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ . فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَانَتْ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْمَةِ إِلَى مَا لَا يَحِبُّ إِلَيْهِ ، وَبَيَّنَّ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ . فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْمَةَ فَأَعْطَوْهَا إِذْ مُنِمَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَنَبَّأُ الْمُتَقَرِّبُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهْلُ الْمَبْسُوطُ لَكُمْ .
- وَاحْدَرُوا مَا حَادَرَكُمْ اللَّهُ ، وَأَتَقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْعَلُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لَوْضَعٍ مُوَازِينَكُمْ ، وَتَنْشُرُ صُحُفَكُمْ الْحَافِظَةَ لِأَعْمَالِكُمْ . فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا بَضَعَ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَنْقَلِبُ بِهِ ، وَمَا يُعِيلُ فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ؛ فَقَدْ حَسَنَ اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالِ الْمَغْرُطُونَ عِنْدَهَا إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الْآيَةُ . وَقَالَ : ﴿ وَوَضِعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . وَلَسْتُ أَنَا كَمَنْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمَ مِمَّا نَهَيْتُمْ
- (١) احتضر : مثل حضر . (٢) المزياتريك : ما يصيب المريض عند حشرته الموت من رعدة واضطراب . (٣) في الصد الثريد : «الأجل» . (٤) يُعِيلُ : يُعِيلُ .

الدنيا عن نفسها ، فإنه كل ما لها ينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو الى غيرها . وأعظم مما رآه أعينكم من عجائب ذم كتاب الله لما ونهى الله عنها ، فإنه يقول : (فَلَا تَقْرَءُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَنَكُم بِاللهِ الْغُرُورُ) وقال : (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) الآية . فاستمعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلموا أنت قوما من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحيدروا مصارعها ، وجانبوا خلدائها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فادركوا الجنة بما تركوا منها .

كلام من أُرُجِحَ عليه

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا عيسى بن عمر قال : خَطَبَ أميرُ مِرَّةٍ فاقطع نخيل ، فبعث الى قوم من القبائل عابوا ذلك ولقهم ، وفيهم يربوعي جلد ، فقال : اخطبوا ، فقام واحد فتر في الخطبة ، حتى اذا بلغ "أما بعد" قال : أما بعد أما بعد ، ولم يدِر ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أُرِد أن أجمع اليوم فتمتني . وخطب آخر ، فلما بلغ "أما بعد" بقى ونظر فإذا إنسان ينظر اليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه وتلمحني ببصرك أيضاً ! قال وقال أحدهم : رأيتُ القراقير من السُّنَنِ تجرى بيني وبين الناس . قال : وصعيد اليربوعي فخطب فقال : أما بعد فواهه ما أدري ما أقول ولا فيم أقمتوني ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ؛ فقال : الزيت مبارك ، فكلوا منه وأدتهوا . قال : فهو قول الشُّطَار اليوم اذا قيل : لم فصلت ذاك ، فقل في شأن الزيت وفي حل الزيت .

ولما أتى يزيد بن أبي سفيان الشام والياً لا يي بكرضى الله عنه ، خطب فأرجم عليه ، فعاد الى الحمد لله فأرجم عليه ، فعاد الى الحمد لله ثم أرجم عليه ، فقال : يا أهل

٢٠ (١) قههم : جمعهم . (٢) في الأصل : «أحدهما» . (٣) القراقير : السفن العظيمة ، واحدها قرقور . (٤) الشُّطَار : جمع شاطر ، وهو من أعيان أهل عبث ، والمراد بالشُّطَار هنا : أهل الدمار والفتنة وأصحاب النوادر والتكيت والمضحكات .

الشَّامُ عسى الله أن يجعل من بعدِ عُمَيْرٍ نُسْراً، ومن بعدِ عِيٍّ بِياناً، وأتمَّتْ إلى إمامٍ عادلٍ
أُحْوِجُكُمْ إلى إمامٍ قائلٍ . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صبيد ثابتٌ قُطْنَةُ مَبْرَأٌ بِسِجِسْتَانَ فَعَمِدَ الله ثم أُرْتِجَ عليه، فقتل وهو يقول :
فَلَا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيئاً فَاثِقِي ۝ بِسِيفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْنَى لَخَطِيبُ

• قَبِيلُ لَهُ : لَوْ قَاتَلَهَا عَلَى الْمَبْرَكِ كُنْتُ أَخْطَبُ النَّاسَ .

وَأُرْتِجَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ بِالْبَصْرَةِ يَوْمَ أُخْجِي ، فَكَثَّ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : وَاقِهِ
لَا أَجْمَعُ عَلَيْكُمْ عِيّاً وَلَوْ مَا ، مِنْ أَخَذَ شَاةً مِنَ السُّوقِ فَهِيَ لَهُ وَثَمْنُهَا عَلَى .

وَأُرْتِجَ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَحْيَى أَحْيَاءً وَيُزْبِ
أَحْيَاءً ، وَرَبِّمَا طَلِبَ فَأَتَى ، وَكَوْ بِرَفْصَا ، فَالْتَأَى لِحْيَهُ ، أَيْسَرُ مِنَ التَّعَاطِي لِأَيْدِيهِ ، وَقَدْ
يَحْتَلِطُ مِنَ الْجُرْيِ جَنَانُهُ ، وَيَنْقَطِعُ مِنَ الدَّرْبِ لِسَانُهُ ، فَلَا يُعْطِرُهُ ذَلِكَ وَلَا يَكْشِرُهُ ؛
وَسَأَعُودُ إِنْ شَاءَ اللهُ .

وَأُرْتِجَ عَلَى مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ فَضْرَبَ الْمَنْبَرَ بِرِجْلِهِ ثُمَّ قَالَ : «فَقَتَّى حُرُوبٍ لَا قَتَّى مَنَابِرَ» .

وَكَانَ عَبْدُ رَبِّهِ الْيَشْكُرِيُّ عَامِلاً لِعِيسَى بْنِ مُوسَى عَلَى الْمَدَائِنِ ، فَصَبَدَ الْمَنْبَرَ بِحِمْدِ اللهِ
وَأُرْتِجَ عَلَيْهِ فَسَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاقِهِ إِنِّي لَا كُونَ فِي بَيْتِي فَتَجِيءُ عَلَى لِسَانِي أَلْفَ كَلِمَةٍ ،
فَإِذَا قُمْتُ عَلَى أَعْوَادِكُمْ هَذِهِ جَاءَ الشَّيْطَانُ فَمَحَا مِنْ صَدْرِي ، وَلَقَدْ كُنْتُ وَمَا فِي الْأَيَّامِ
يَوْمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَصِرْتُ وَمَا فِي الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ،
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِخَطْبَتِكُمْ هَذِهِ .

(١) في المصادر التي بين أيدينا : «ال أمير فاعل ...» . (٢) قُطْنَةُ قَبِيلٌ قَاتِلٌ هَذَا قَبِيلٌ بِهِ
لأن فيه أصحبت بمرقند ، فكان يحشوها بالقطن . وصحت اماتة ثابت الى قلة لأن الأسماء تصح
اتانها الى ألقابها . (٣) صا : اشتد وصحب .

صَعِدَ رَوْحُ بْنُ حَاتِمِ الْمُنْبَرِ، فَلَمَّا رَأَى جَمْعَ النَّاسِ حَصَرَ، فَقَالَ : نَكَّسُوا رُءُوسَكُمْ
وَعُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَرْكَبٍ صَعَبٌ، وَإِذَا يَمَسَّ اللَّهُ فَتَحَ قُفْلَ تَيْسَرٍ .

وَدُعِيَ رَجُلٌ لِيُخْطَبَ فِي نِكَاحِ فَخِصْرٍ، فَقَالَ : لَقِّنُوا مَوْتَكُمْ شَهَادَةً أَنَّ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ حَضَرَتْ : أَلْهَذَا دَعَوَاتُكَ ! أَمَاتَكَ اللَّهُ ! .

قال عبيد الله بن زياد : نِعِمَّ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْبَرِيدِ وَالتَّشْرِيفُ فَخُطِبَ .

قيل لعبد الملك : عَجِّلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ، فقال : كَيْفَ لَا يُعَجِّلُ عَلَيَّ وَأَنَا أَحْرَضُ
عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ .

وَوَلَّى رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يُعْرَفُ بِاللَّدْنَانِ بَحْرَ الْيَمَامَةِ، فَلَمَّا صَعِدَ الْمُنْبَرَ أَرَجَحَ عَلَيْهِ،
فَقَالَ : حَيَّاَ اللَّهُ هَذِهِ الْوُجُوهُ وَجَعَلَنِي فِدَاعَهَا، إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ طَائِفِي بِاللَّيْلِ لَا يَرَى
أَحَدًا إِلَّا أَتَانِي بِهِ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ . ثُمَّ تَزَلَّ .

المنابر

قال بعض المفسرين في قول الله جل وعزَّ ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ إِنَّهُ الْمُنْبَرُ . وقال :
الشاعر :

لَنَا الْمَسَاجِدُ بُنْيَانُهَا وَتَعْمُرُهَا * وَفِي الْمَنَابِرِ قَعْدَاتُ لَنَا ذَلِكَ

فَلَا تَقِيلُ عَلَيْهَا حِينَ تَرْكَبُهَا * وَلَا لَهْفٌ لَنَا مِنْ مَعَشِيرٍ بَدَلُ

وقال الكُمَيْتُ بِذِكْرِ بَنِي أُمَيَّةَ :

مُصِيبٌ عَلَى الْأَعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهِ * لَمَّا قَالَ فِيهَا، مُحْطٌ حِينَ يَتَرَلُّ

يُسَبِّحُهَا الْأَشْبَاهُ وَهِيَ نَصِيْبُهُ * لَهُ مَشْرَبٌ مِنْهَا حَرَامٌ وَمَا كَلُّ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْمَقْدُ الْفَرِيدُ ، وَقَوَاعِدُ الْفَتْحِ تَقْنِي أَنْ يَكُونَ : « وَلَوْ كُنْتُ أَنَا إِيَّاهُ » .

(٢) الضمير الدنيا .

وقال بعض المحدثين

فأَمِنَ بِرُدَّتْ سِتِّهَ بَاسِيتٍ «أَفْكَلٍ» * بِرَاكِ لَو طَهَّرْتَهُ بِأَبْنِ «طَاهِرٍ»
وَمَرَّ الْأَقْشِيرُ بِمَطَّرِ بْنِ نَاجِيَةِ الْبِرْبِرِيِّ حِينَ غَلَبَ عَلَى الْكُوفَةِ فِي أَيَّامِ الضَّحَّاكِ
ابْنِ قَيْسِ الشَّارِيِّ وَمَطَّرٌ يَخْطُبُ، فَقَالَ :

أَبْنَى تَمِيمٍ مَا لِمَنْبَرٍ مُلْكُكُمْ * لَا يَسْتَمِرُّ قَعُودُهُ يَمْرُورًا
إِنَّ الْمُنَابِرَ أَنْكَرْتُ أَشْبَاهَكُمْ * قَادَعُوا خُرَيْمَةَ يَسْتَقِرُّ الْمَنْبَرُ^(٢)
خَلَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَاسُوا * مَطَرًا لِعَمْرُكَ بَيْعَةً لَا تَنْظُرُ
وَأَسْتَخْلَفُوا مَطَرًا فَكَانَ كَقَائِلٍ * بَدَّلَ لِعَمْرُكَ مِنْ أُمِيَّةٍ أَعُورُ

خَطَبَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مَنْبَرِ ثُرَاسَانَ فَسَقَطَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِهِ، فَفَاعَلَ لَهُ
عَدُوُّهُ بِالْشَّرِّ وَأَغْتَمَّ صَدِيقُهُ، فَعَرَفَ ذَلِكَ قُتَيْبَةُ فَقَالَ : لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنَّنَا الْعَدُوُّ
وَخَافَ الصَّدِيقُ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَالْتَقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى * كَمَا قَرَّ حَيْتًا بِالْإِبَابِ الْمُسَافِرُ
وَقَالَ وَائِلَةُ بْنُ خَلِيفَةَ السُّدُومِيِّ يَجُودُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمُهَلَّبِ :
لَقَدْ صَبَّرْتُ لِلذَّلِّ أَعْوَادُ مَنِيرٍ * تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ
بِكِي الْمَنْبَرُ الْغَرْبِيُّ إِذْ لَقَّتْ فَوْقَهُ * وَكَادَتْ مَسَامِيرُ الْحَدِيدِ تَدُوبُ

تم كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لأبْنِ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ
وَيَتْلُوهُ فِي الْكِتَابِ السَّادِسِ كِتَابُ الزُّهْدِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

(١) يَجْرَمُ : يَخْرُكُ .

(٢) فِي الشَّرِّ وَالشَّرَاءِ تَوَلَّفَ (ص ٢٥٣) «أَنْكَرْتُ أَشْبَاهَكُمْ» .

صورة ما كتبه الناصح بخطه في آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وثمانمائة .

قال بعضهم : بُيِّ الإسلام على خمسة : التواضع عند الدولة ، والمفوع عند
القدرة ، والسخاء مع القلة ، والعطية من غير منة ، والنصيحة للعامة .

وقال بعض الشعراء في الصبر :

وَإِذَا ابْتَلَيْتَ نَجْنِيَةَ فَالْبَسْ لَهَا * ثَوْبَ السَّكْوَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَسْلَمُ
لَا تَسْكُوتَ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا * تَسْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ

وَيُرَوَّى لِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

تَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا * وَمَا لَزِمَانَا عَيْبُ سِوَانَا
وَقَدْ نَهَجُوا الزَّمَانَ بِغَيْرِ جُرْمٍ * وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بَنَاهَانَا
فَدُنْيَانَا تَصْنَعُ وَالتَّرَانِي * وَنَحْنُ بِهِ مُخَادَعُ مِنْ يَرَانَا
وَلَيْسَ الذُّبُّ بِأَكْلٍ لَمْ ذَنْبٍ * وَيَا كُلُّ بَعْضُنَا بَعْضًا عِيَانَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب النهد

[ما] أوحى الله جل وعز الى أنبيائه عليهم السلام

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا خلف بن نعيم عن أبي عصمة الشامي عن ابن
• اخت وهب بن منبه عن وهب قال : أوحى الله الى نبي من أنبياء بني إسرائيل
يقال له "أرميا" حين ظهرت فيهم المعاصي : أن قم بين ظهرائي قومك فأخبرهم
أن لم قلوبا ولا يفقهون ، وأعيننا ولا يبصرون ، وأذاننا ولا يسمعون ، وأني تذكرت
صلاح آبائهم ، فمطفتني ذلك على أبنائهم ، سلهم كيف وجدوا غيب طاعني ، وهل
سعد أحد من عصائي بمصيتي ، وهل شقي أحد من أطاعني بطاعتي ! إنا الدواب
تذكر أوطانها فتستريح إليها ، وإنا هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمتم عليه
• آبائهم ، واتمسوا الكرامة من غير وجهها . أما أحبارهم فانكروا حقّي ، وأما قرائهم

- (١) لم نشر على هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا . وإما الموجود بها عصمة بن راشد
الأطوكي (ضم الهجزة واللام وسكون الميم بينهما) شامي مجهول يروي عن بعض التابعين كتهيب ابن عبيد ،
و يوجد بها أيضا أبو عصمة وهو نوح بن مريم الجالس أحد رواة المغازي ومن يذكر موضع الحديث ، ولكنه
مردى وليس بشامي (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني في اسم عصمة واسم نوح بن أبي مريم) -
١٥

فعبثوا غيرى ؛ وأما نساكهم فلم يثقفوا بما علموا من حكي ؛ وأما ولاتهم فكذبوا
على وكذبوا رسل ، نزلوا المكر في قلوبهم ، وعودوا الكذب الستهم ؛ وإنى
أقسم بجلال وعزى لأهيجن عليهم جنودا لا يفقهون الستهم ، ولا يعرفون
وجوههم ، ولا يرجون بكلمهم ؛ ولأبتعن فيهم ملكا جبارا قاسيا ، له عساكر
كقطع السحاب ، ومواكب كأمشال العجاج ، كانت خفقات راياته طيران النور ،
وكانت حمل فرسانه كالعقبان ، يميلون العمران خرابا ، ويتركون القرى وحشة .
فياويل إيلياء وسكاتها ! كيف أذلهم للقتل ، وأسلط عليهم السباء ، وأعيد بعد حلب
الأحراس صراخ الهام ، وبعد صهيل الخيل حواء الذئاب ، وبعد شرفات القصور
مساكن السباع ، وبعد ضوء الشرج رجع العجاج . ولأبدن رجالهم بتلاوة الكتاب
آتسار الأرباب ، وبالعز الذل ، وبالنعمه العبودية . ولأبدن نساءهم بالطيب
التراب ، وبالمشى على الزرابي الخلب ؛ ولأجعلن أجسادهم زبلا للأرض ،
وعظامهم ضاحية للشمس . وفى رواية أخرى : ولأدوسنهم بالوان المذاب ،
حتى لو كان الكائن خائما فى يميني لوصلت الحرب اليه ؛ ثم لأمرت السماء
فلكونن طبعا من حديد ، والأرض فلكونن سبيكة من نحاس ، فإن أمطرت
السماء وأبنت الأرض شيئا فى خلال ذلك فبرحتى للبهائم ، ثم أحيسه فى زمن الزرع
وأرسله فى زمن الحصاد ، فإن زرعوا خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة ، فإن
خلص منه شئ نزعته منه البركة ، فإن دعوتنى لم أجبه ، وإن سالوا لم أعطيهم ،
وإن بكوا لم أرحمهم ، وإن تضرعوا صرفت وجهى عنهم .

(١) إيلياء : مدينة بيت المقدس - (٢) الزرابي : البسط . والخب (وزان خب) :

- حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب: أن الله عز وجل أوحى إلى موسى بن منسى^(١) بن يوسف أن قل لقومك: إني برىء ممن يحسرون أو يحسرون له، أو يتكهنون أو يتكهنن له، أو تطير أو تطير له، من آمن بي صادقاً فليتوكل على صادقاً، فكفى بي مثيباً؛ ومن عدل عني ووثق بخيري فإني خير شريك أرد عليه ما توكل به إلى، وأكله إلى من توكل عليه؛ ومن وكله إلى غيري فليستعد للفتنة والبلاء.

- وحدثني بهذا الإسناد قال: أوحى الله إلى داود عليه السلام في الزبور: يا عبادي الشكور! إني قد وهبت لك الزبور، وأتبعته بنصح مني من عين السطور، ومن الوحي المحفوظ المحسوب من وراء الستور، فاعبدني به في الأيام والليالي والشمور؛ وأحييني من كل قلبك، وجيئي إلى خلقي، وأبغض من عبادي كل منافق جهول.
- قال: يا رب، كيف أحبيك إلى خلقي؟ قال: تذكرهم آلائي.

- وهذا الإسناد قال: أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة، وكانت تحفه أمثالا وعبراً وتسبيحا وتجيلا، فكان فيها: أيها الملك المسلط المغرور المبتلى، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بفضها على بعض ولتبنى المدائن والحصون، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر.

- وهذا الإسناد أن الله تعالى قال لنسبا: قم في قومك أوج على لسانك، فلما قام شيئا أنطق الله لسانه بالوحي، فقال: يا سماء استمعي، يا أرض أنصتي، فأنصت الأرض واستمعت السماء؛ فقال: إن الله يقول لكم: إني استقبلت بني إسرائيل

(١) في الأصل: «مينا» وهو تحريف والتصويب عن التوراة (سفر التكوين ٥١: ٤١)

طبع بيروت. (٢) كذا في قصص الأنبياء لأبي اسحاق النبطي طبع المطبعة الحيدرية ١٣٠١ هـ

وفي الأصول «عدل بي». (٣) كذا في الأصول، وفي قصص الأنبياء «فأنا أغنى الشركاء

عن الشركاء، أكله إلى من وثق به حتى... ومن وكله... الخ».

بالكرامة وهم كالغنم الضائعة لا راعى لها ، فأويّت شاذّتها ، وجمعت ضالّاتها ، وجرّبت
كبيرها ، ودأويّت مريضها ، وأسمنت مهزولها ؛ فبطرت فتناطحت ، فقتل بعضها
بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يُعبر اليه آخر كبير . إن الجمار مما يتذكّر آريه الذى
شيع عليه فراجعه ، وإن الثور مما يتذكّر مَرَجِه الذى مِن فيه فيتأبه ، وإن البعير
مما يتذكّر وطنه الذى تُسج فيه فيتزعج اليه ، وإن هؤلاء القوم لا يذكرون أنى جاءهم
الخير وهم أهل الأبواب وأهل العقول ، ليسوا بإبل ولا بقر ولا حمير . وإنى ضاربٌ
لهم مثلا فاسمعوه : قل لهم : كيف ترون فى أرض كانت زمانا من زمانها خربة
مواتا لا حرث فيها ، وكان لها رب قوئى حليم ، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تحرب
أرضه وهو قوئى وأن يقال له ضيع وهو عليم ، فأحاط عليها سياجا وشيد فيها قصرا
وأنبط فيها نهرا وصنّف فيها غراسا من الزيتون والزمان والتخيل والأعشاب وألوان
الثمار ، وولى ذلك ذا رأى وهمية حفيظا قويا أمينا ؛ فلما جاء إبان إثمارها أثمرت
خروبا ، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه ؟ قالوا : كنا نقول : بنست الأرض
أرضك ، ونشير عليه أن يقطع سياجها ، ويهدم قصرها ، ويدفن نهرا ، ويحرق
غرسها حتى تعود خربة مواتا لا عمران فيها ؛ قال الله تعالى : قل لهم ، إن السياج
ذمتى ، وإن القصر شريعى ، وإن النهر كتابى ، وإن القيم نبى ، وإن الفرس مثل
لهم ، والخزوب أعالهم الخبيثة ؛ وإنى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم ،
يتقربون الى ذبح الغنم والبقر وليس ينالني اللحم ولا أكله ؛ ويدعون أن يتقربوا الى
بالتقوى والكف عن ذبح الأتقى التي حرمتها ويُسيّدون لى البيوت ويزوقون لى
المساجد ؛ وأى حاجة بي الى تشييد البيوت ولست أسكنها ، وإنى تزويق المساجد
ولست أدخلها ؛ إنما أمرت برفعها لأذكّر فيها وأسبح ، ويحسسون أنفسهم وعقولهم

(١) الآرى : محبس القرباب وحبل تشبهه فى محبها .

- وقلوبهم ويغيبونها، يقولون: لو كان يقدر على أن يجمع ألفتنا جميعاً، ولو كان يقدر على أن يفقه قلوبنا لفقهها. فاعتمد إلى عودين يابسين فاكتب فيهما كتاباً ثم ائت نادهم أجمع ما يكونون، قل للمودين: إن الله يأمركم أن تصودوا عوداً واحداً، فقال لها ذلك، فاخطلطافصاراً عوداً واحداً، وصار الكتاب في طرق العود كتاباً واحداً: يامعشر القبائل، إن الله يقول لكم: إنى قدرت على أن أفقه العبدان
- اليابسة وصل أن أولف بينها، فكيف لا أقدر على أن أجمع ألفتكم إن شئت! أم كيف لا أقدر على أن أولف قلوبكم! يقولون: صمنا فلم يرفع صيامنا وصاياهم تسور صلاتنا وزكينا فلم تزك زكائنا، ودعونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عواء الذئب، في كل ذلك لا يسمع منا ولا يستجاب لنا، قال الله تبارك وتعالى: سلهم لم ذلك وما الذي منعني أن أجيبهم؟ أليس أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين
- وأرحم الراحمين! ألا أن خزانتي فينت! كيف ويدهى مهسوطتان بالخير أفق كيف إنشاء! أم لأن ذات يدي قلت! كيف ومقانيع الخير بيدي لا يفتحها ولا يفلقها غيري! أم لأن رحمتي ضاقت! كيف ورحمتي وسعت كل شيء، وإنما يتراحم بفضلها المتراحمون! أم لأن البخل يعتريني! كيف وأنا التفاح بالخيرات أجود من أعطى وأكرم من سئل! ولكن كيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور
- ويتقون عليه بطعمة الحرام! كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحادثن ويتبهك محارمي! أم كيف أمتجيب دعاءهم وإنما هو قول بالسهم والعمل من ذلك بعيد! أم كيف تزكو صلواتهم وهي من أموال غيرهم! إنما أجزى عليها
- المفصولين • وإت من علامة رضاي رضا المساكين •

(١) كذا في قصص الأنبياء. وفي الأصل «قلوبهم» وهو تعريف • (٢) في قصص الأنبياء.

(ص ٢٥٣): «فلما تزور قلوبنا...» •

قال وهب : وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام : لَأُصِيبَكَ زينة ولا ما مَتَّعَ به ، ولا نَحْمَلُ الى ذلك أَعْيُنَكَ فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين . ولو شئت أن أُزَيِّنَكَ بزينة يعلم فرعون حين ينظر اليها أن قدرته تَعِجْزُ عما أُوتِيتُها فعلتُ ، ولكني أرغب بك من ذلك وأزويه عنك ، وكذلك أفعل بأوليائي ، إني لأُدَوِّحُهُم عن نعيمها وروائحها كما يلود الراعي الشفيقُ غنمه عن مراعي الملكة ، وإني لأُحْيِيهِم عيشها وسُلُوبَهَا ^(١) كما يُحْنِبُّ الراعي الشفيقُ إبله مبارك العر ، وما ذاك لهوأنهم على ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالبا موقرا لم يَكَلِّهِ الطمع ولم يُطْبِعْهُ الهوى . واعلم أنه لن يَتَرَيَنَّ العبادُ زينةً أبلغَ فيما عندى من الزهد في الدنيا ، إنما هى زينة الأبرار عندى . وأتَقَى ما تَرَيَنَّ به العبادُ في عيني عليهم منها ، لباسٌ يُعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم التحولُ والسجود ، أولئك أوليائي حقا . فاذا لقيتهم فاخفِضْ لهم جناحك ، وذَلِّلْ لهم قلبك ولسانك .

واعلم أنه من أهان لى وليا أو أخافه ، فقد بارزنى بالمحاربة وبادأنى وعرضنى لنفسه ودعأنى اليها ، وأنا أسرع شئ الى نُصرة أوليائي ، أفيظن الذى يحاربنى فيهم أنه يقوم لى ! أم يظن الذى يعادىنى فيهم أنه يُعِجْزُنِي ! أم يظن الذى يبادرنى اليهم أنه يسبقنى أو يفوتنى ! كيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة ، لا أَكُلُّ نَصْرَهُم الى غيرى !

وفي التوراة : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام بطور سيناء : يا موسى ابن عمران صاحب جبل لبنان ، أنت عبدى وأنا إلهك الديان ، لا تستذل

(١) السلولة : دواء اللبش . (٢) العر : جمع أمر وهو الجبل الأرب .

(٣) فى الاحمل : « لما يكله الطمع » . (٤) يطبجه : يجهمه .

الفقير، ولا تَبْطِئِ الْغَنَى بِشَيْءٍ يَسِيرٍ ؛ وكن عند ذكرى خاشعاً ، وعند تلاوة وحياً طامعاً ؛ أَسْمَعُنِي لِنَادَةِ التَّوَرَةِ بِصَوْتِ حَزِينٍ .

- وفيا أوحى الله الى عيسى عليه السلام : أَتَزَلُّنِي مِنْ نَفْسِكَ كَهَمِّكَ ، واجعلني دُخْرَكَ فِي مَعَادِكَ ، وَتَهَرَّبْ إِلَى النَّوَافِلِ أَذْنُكَ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى أَكْفِكَ ، وَلَا تَوَلَّ ضَيْرِي فَأَخْذُكَ ؛ اصْبِرْ عَلَى الْبَلَاءِ ، وَارْضَ بِالْقَضَاءِ ، وَكُن كَمَسْرُوقٍ فِيكَ ، فَإِنَّ مَسْرُوقِي أَنْبَاطًا ، وَأَنْحِي ذِكْرِي بِسَانَكَ ، وَلِيَكُنْ وَدَى فِي قَلْبِكَ ؛ تَيْقِظُ لِي فِي سَاعَاتِ الْغَفْلَةِ ، وَكُن رَاهِبًا لِي وَرَاحِبًا لِي . أَمِثْ قَلْبَكَ بِالْحَشِيَّةِ ؛ رَاجِعِ اللَّيْلَ لِمَحَرِّ مَسْرُوقٍ ، وَاطْمَأْنِنْ لِي نَهَارَكَ لِلْيَوْمِ الَّذِي عِنْدِي ؛ نَافِسْ فِي الْخَيْرَاتِ جُهْدَكَ .
- قم في الخليقة بعليل ، واحكم فيهم بنصيحتي ، فقد أزلتُ عليك شفاءً وسوايس ما في الصدور من مرض الشيطان ، وجلاءً الأبصار من غشاء الكلال ؛ ولا تكن طامعاً كأنك مقبورٌ وأنت حيٌّ تَتَنَفَّسُ . إِكْفَلْ عَيْنَكَ بِمَعْمُولِ الْحَزَنِ إِذَا ضَمِكَ الْبَطَالُونَ . إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِكَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ بَكَاءً مِنْ قَدْ وَدَّعَ الْأَهْلَ وَقَلَى الدُّنْيَا ، وَتَرَكَ اللَّذَاتِ لِأَهْلِهَا ، وَارْتَفَعْتَ رَغْبَتَهُ فِيمَا عِنْدَ إِلَهِهِ . طَوِّبْ لَكَ إِنْ تَالَكَ مَا وَصَلْتُ الصَّابِرِينَ ! تَرَجَّ مِنْ الدُّنْيَا يَوْمًا فَيَوْمًا ، وَارْضَ بِالْبُلْفَةِ ، وَلِيَكْفِكَ مِنْهَا الْخُشْنُ .
- تَتَوَقَّعُ مَذَاقَهُ مَا قَدْ خَلَا أَيْنَ طَعْمُهُ ! وَمَا لَمْ يَأْتِ أَيْنَ لَذَّتُهُ ! لَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ مَا أَعْدَدْتُ لِأَوْلِيَائِي لِذَابِ قَلْبِكَ وَزِيغَتِ نَفْسِكَ شَوْقًا إِلَيْهِ .

وفيا قال للحواريين : بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ شَجَرَ الْأَرْضِ يَطْرُقُ السَّمَاءَ تَمِيضًا وَتَرْكُوكًا ، وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ بِنُورِ الْحِكْمَةِ تُبْصِرُ وَتَهْتَدِي ؛ بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّهُ مِنْ لَيْسَ عَلَيْهِ دِينٌ أَرْوَحُ وَأَقْلُ هُمَا مِنْ عَلَيْهِ دِينٌ وَإِنْ حَسَنَ قَضَاؤُهُ ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ

(١) الخلس : الذي يلزم به فلا يبرحه . (٢) الملول : المروء . (٣) في الأصل

الخطيئة أروح وأقلّ هما من عمل بها وإن حسنت توبته . إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة خيرا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة . إن الجسد إذا صلح كفاه القليل من الطعام ، وإن القلب إذا صحّ كفاه القليل من الحكمة . كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عابد قد أفسده الحجب . يا بني إسرائيل ، استمعوا قولي ، فإن مثل من يستمع قولي ثم يعمل به مثل رجل حكيم أسس بنيانه على الصفا ، فطرت السماء وسالت الأودية وضربت الرياح فثبت بنيانه ولم يتزعزع ، ومثل الذي يستمع قولي ثم لا يعمل به مثل رجل سفیه أسس بنيانه على الرمل ، فطرت السماء وسالت الأودية وهاجت الريح فضربت فسقط بنيانه . يا بني إسرائيل ، ما ينبغي عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ! وما ينبغي عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به ! . بحق أقول لكم : إن قائل الحكمة وسامعها شريكان ، وأولاهما بها من حققها بعمله . بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجا يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضاءتم بنوره ولم يمنعكم منه تنّ قطرانه ، فكذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها عنده .

بلغني عن محمد بن فضّيل عن عمران بن سليم قال : بلغني أنّ عيسى بن مريم قال لأصحابه : إن كنتم إخواني وأصحابي فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس ؛ إنكم لا تدركون ما تطلبون إلا بترك ما تستهون ، ولا تتألون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون . إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلب الشهوة . طوبى لمن كان بصره في قلبه ولم يكن قلبه في بصره ! .

(١) الصفا : جمع صفاة وهي الصنعة الصلبة .

قال : وبلغني أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جبة من صوف وكساء
وَبَنَ حَافِيَا مَجْزُورَ الرَّأْسِ وَالشَّارِبِينَ بِأَيَّامِ مَصْرَ اللَّوْنِ مِنَ الْجُوعِ بِأَيَّامِ
الشَّفْتَيْنِ مِنَ الْعَطَشِ ، طَوِيلَ شَعْرِ الصِّدْرِ وَالْفَرَاعِينَ وَالسَّاقِينَ ؛ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَنَا الَّذِي أُنْزِلُ الدُّنْيَا مَتَرًا ، وَلَا عَجَبٌ وَلَا غَرْ ، أَعْمُرُونَ أَيْنَ بَيْتِي ؟
قالوا : أَيْنَ بَيْتُكَ يَا رُوحَ اللَّهِ ؟ قال : بَيْتِي الْمَسَاجِدُ ، وَطَبِيبِي الْمَاءُ ، وَإِدَامِي
الْجُوعُ ، وَدَابَّتِي رَجُلٌ ، وَسِرَاجِي بِاللَّيْلِ الْقَمَرُ ، وَصِلَاتِي فِي الشَّاءِ مَشَارِقُ الشَّمْسِ ،
وَطَعَامِي مَا تَيْسَّرُ ، وَفَاكِهِتِي وَرَيْحَانِي يَقُولُ الْأَرْضُ ، وَلِبَاسِي الصُّوفُ ، وَشِعَارِي
الْخُوفُ ، وَجُلُوسَاتِي التَّوْبَةُ وَالْمَسَاكِينُ ، أَصْبَحُ وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ ، وَأُمُتُّ وَلَيْسَ لِي
شَيْءٌ ، وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ غَنِيٌّ مَكْتَرٌ ، فَمَنْ أَغْنَى وَأَرْجَى مِنِّي !

١٠. وقرأت في بعض الكتب : عبادي ! ما يزال ملكك كريمٌ قد صعد إلى منك
بمعل قبيح ؛ أتهزب إليك بالثَّمن ، وتُثَقِّلُ إِلَى بِالْمَعَاصِي ؛ خَيْرِي إِلَيْكَ نَازِلٌ ، وَشَرُّكَ
إِلَى صَاعِدٌ .

وفي التوراة : لعلك يا إسرائيل إذا أنت خرجت من البرية فدخلت الأرض
المقدمة ، أرض بني آباءك إبراهيم وإسحاق ، فإنها تقيضُ بُرًّا وشعيرًا ولبنًا وعسلًا ،
١٥. قَوْرَتْ يَبُوتَا بَنَاهَا غَيْرُكَ وَعَصْرَتْ كَرُومًا غَرِمَهَا غَيْرُكَ ، فَأَكَلَتْ وَشَرِبَتْ وَشَعِمَتْ
بَشَمِ لُبَابِ الْقَمَحِ ، ضَرَبَتْ بِيَدِكَ إِلَى صَدْرِكَ وَرَمَحَتْ كَمَا تَرْمِي الدَّابَّةُ بِرِجْلِهَا ،
وَقَلَّتْ : بِشَدَّتِي وَبِقُوَّتِي وَيَأْسِي وَرِثْتُ هَذِهِ الْأَرْضَ وَغَلَبْتُ أُمَّلَهَا ، وَنَسِيتُ
نَعْمَتِي طَيْبِكَ ! فَأَقْذِفِ الرُّعْبَ فِي صَدْرِكَ إِذَا أَنْتَ لَقِيتَ عَدُوَّكَ ، وَإِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ

(١) الثَّابِتُ : مَرَادُيْلُ صَخِيرٍ يَكُونُ لِلْأَحْمَرِ وَالْمَصَارِصِ .

(٢) الصَّلَاةُ : الْقُرْآنُ أَوِ النَّارُ الْعَلِيَّةُ . وَفِي الْأَمْرِ «صَلَاحٌ» بِالْهَاءِ .

فَتَقَعَّقَ لَهَا وَرُقُ الشَّجَرِ انْهَزَمَتْ، فَأَقْلَّ رَجَالُكَ، وَأَرْبَلُ نَسَاكَ، وَأَيْمُ ابْنَاءِكَ،
وَأَجْمَلُ السَّمَاءِ عَلَيْكَ نُحَاسًا وَالْأَرْضُ حديدًا، فَلَا السَّمَاءُ تُمِطُّرُ وَلَا الْأَرْضُ تُنْثِرُ،
وَأَقْلَّ لَكَ الْبَرَكَهَ حَتَّى تَجْتَمِعَ نِسْوَةٌ عَشْرٌ يَخْتَبِرْنَ فِي تَنْوِيرِ وَاحِدٍ .

بلغنى عن عبد الرحمن المحاربى عن جعفر بن برقان قال : بلغنى عن وهب بن
منبه قال : أجِدُ في الكَلْبِ أَتْ قوما يَسْتَدِينُونَ لغير العبادَةِ، وَيَخْتَلُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ
الْآخِرَةِ، يَلْبَسُونَ مُسَوِّكَ الضَّيْأَنِ عَلَى قُلُوبِ الذَّنَابِ، أَلَسْتُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ
وَأَنْفُسُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ، أَبَى يَفْتَرُونَ ! أَمْ لِمَا يَمْنَعُونَ ! أَقَسِمْتُ لِأُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ
قِتْنَةً يَعُودُ الْحَلِيمُ فِيهَا حَيْرَانٌ .

وَقَرَأَتْ فِي الْإِنْجِيلِ : « لَا تَجْعَلُوا كَنْزَكُمْ فِي الْأَرْضِ حَيْثُ يَفْسِدُهَا السُّوسُ
وَالدُّودُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّرَّاقُ ، وَلَكِنْ أَجْعَلُوا كَنْزَكُمْ فِي السَّمَاءِ فَإِنَّهُ حَيْثُ تَكُونُ
كَنْزُكُمْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ . إِنَّ الْعَيْنَ هِيَ سِرَاجُ الْجَسَدِ فَإِذَا كَانَتْ عَيْنُكَ صَحِيحَةً فَإِنَّ
جَسَدَكَ كُلَّهُ مُضِيءٌ . وَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ لِرَبِّينِ اثْنَيْنِ إِلَّا أَنْ يُحِبَّ أَحَدَهُمَا
وَيُبْغِضَ الْآخَرَ ، وَيُوقِّرَ أَحَدَهُمَا وَيُهِنَ الْآخَرَ ، فَكُنْ لَكَ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَعْمَلُوا لِلَّهِ
وَاللَّالِ . وَلَا يُهَمِّتُكُمْ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ وَمَا تَلْبَسُونَ ، أَلَيْسَتْ النَّفْسُ أَفْضَلُ
مِنَ الطَّعَامِ ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ الْبِیَاسِ !! أَنْظَرُوا إِلَى طَیْرِ السَّمَاءِ فَإِنَّهُمْ لَا يَرْعَوْنَ
وَلَا يَحْصُدْنَ وَلَا يَتَمَحَّنُ فِي الْأَهْرَاءِ ، وَأَبُوكُمْ ^(٤) الَّذِي فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ ، أَفَلَسْتُمْ

(١) في الأصل : «ولا السماء، والسياق يقتضى اللطف بالقاء لأنه مفرع على ما قبله .

(٢) أى يطلبون الدنيا بعمل الآخرة : ومثله ما جاء في الحديث . «من أفرط الساعة أن تطل السيوف
من الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين» أى طلب الدنيا بعمل الآخرة، من ختلها إذا خدعها (أنظر اللسان
مادة ختل) . (٣) المسوك : جمع مسك (بالفتح) وهو الجمل . (٤) الأهراء : جمع
هرى (بالضم) وهو بيت كبير يجمع فيه السلام .

- أَفْضَلُ مِنْهُنَّ! ! وَأَيُّكُمْ الَّذِي إِذَا جَهِدَ قَدَّرَ أَنْ يَزِيدَ فِي طَوْلِهِ نَرَاعًا وَاحِدًا! فَلِمَ تَهْتَمُونَ بِالْبَاسِ! اعْتَبِرُوا بِسُوسِ الْبَرِّيَّةِ فَإِنَّهُ لَا يَمْعَلُ وَلَا يَنْزِلُ، أَنَا أَقُولُ: إِنَّ سَلْيَانَ يُوَقَّارُهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَلْبَسَ كَوَاحِدَةً مِنْهُ؛ فَإِذَا كَانَ اللَّهُ يُأَيِّسُ عُشْبَ الْأَرْضِ الَّذِي يَنْبِتُ الْيَوْمَ وَيُلْقِي فِي النَّارِ غَدًا، أَفَلَسْتُمْ يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ مِنْهُ! وَلَا تَهْتَمُّوا فَهَقُولُوا: مَاذَا نَأْكُلُ وَمَاذَا نَشْرَبُ وَمَاذَا نَلْبَسُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَهْتَمُّ لِنَفْسِهِ ذَلِكَ ابْنُ الدُّنْيَا؛ وَإِنْ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاءِ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ يَنْبَغِي لَكُمْ؛ فَاذْكُرُوا مَا تَمَكُّنُوا مَلَكُوتَ الْقَوْدِيقَةِ، فَإِنَّكُمْ سَوْفَ تُكْفَرُونَ. وَلَا يُهَمُّكُمْ مَا فِي غَدٍ، فَإِنَّ غَدًا مَكْتَفٍ بِهِمْ، وَحَسْبُ الْيَوْمِ شَرُّهُ. وَكَيْفَا تَبْنُونَ بُدَانُونَ، وَبِالْمِكَالِ الَّذِي تَكُونُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَكَيْفَ تُبْصِرُ الْقِذَازَةَ فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَلَا تُبْصِرُ السَّارِيَّةَ فِي عَيْنِكَ! لَا تُعْطُوا الْكَلَابَ الْقُدْسَ، وَلَا تُقْلُوا لَوْلَاكُمْ لِلنَّهَازِرِ. سَأَلُوا تُعْطُوا، وَابْتَغُوا تَجِدُوا، وَاسْتَفْتَحُوا يُفْتَحْ لَكُمْ، وَانظُرُوا الَّذِي تُحِبُّونَ ١٠ أَنْ يَأْتِيَ النَّاسَ إِلَيْكُمْ فَاتُوا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُ. أَدْخُلُوا الْبَابَ الضَّيِّقَ، فَإِنَّ الْبَابَ وَالطَّرِيقَ إِلَى الْمَلَكَةِ عَيْرِضَانَ، وَالَّذِينَ يَسْكُونُهَا كَثِيرٌ. وَمَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَالطَّرِيقَ الَّذِينَ يُبْلَغَانِ إِلَى الْحَيَاةِ! وَالَّذِينَ يَسْكُونُهَا قَلِيلٌ.

- وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَتُبْعُكَ حَيْثُ ذَهَبْتَ؟ فَقَالَ لَهُ عَيْسَى: لِلشَّالِبِ حِمْرَةٌ، وَلَطِيرِ الْمَاءِ كَنَانٌ، وَلَيْسَ لَابْنِ الْإِنْسَانِ مَكَانٌ يُسْنَدُ فِيهِ رَأْسُهُ. ١٥
وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِيزِيِّينَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدْفِنَ أَبِي؟ فَقَالَ لَهُ: دَعِ الْمَوْتَى يَلْفَنُونَ مَوَاتَهُمْ وَاسْتَعْنِي. وَقَالَ الْخَوَارِيزِيُّ: لَا تَتَرَوَّدُوا شَيْئًا، فَإِنَّ الْمَائِلَ مُحَقَّقٌ أَنْ

- (١) فِي الْأَصْلِ: «إِذَا جَهِدَ قَدَّرَ» بِإِقْرَافِ جَوَابِ إِذَا، وَلَا مَعْنَى لَذِكْرِ الْفَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.
(٢) الْوَارِثُ: الْبُطْلَانَةُ. وَفِي الْأَصْلِ: «يُوَقَّارُهُ» بِالْفَاءِ، وَلَا مَعْنَى لَهُ هُنَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَحْمُودًا عَنْ (وَقَوْلِهِ) جَمْعُ وَفَرْ «بِالْفَتْحِ» وَهُوَ الْفَتَى. (٣) فِي الْأَصْلِ: «نَبَتْ» وَتَقْلَقَ ... مِنْ ... مِنْ ...
(٤) لِمَا لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ يَبْحَثُ فِيهِ الْعِلْمُ الْإِلَهِيَّ الْمَأْخُذَ مِنْ قَوْلِهِ «وَلَا تَهْتَمُّوا»، لَيْسَتْ بِمَعْنَى الْكَلَامِ.
(٥) الْعَدَنِيَّةُ: دَرَجَةُ أَعْلَى مِنَ الْوَلَايَةِ وَأَدْنَى مِنَ التَّوَكُّلِ.

يُطِمِّرُ قُوَّتَهُ ، وَإِنِّي أُرْسِلُكُمْ كَالْخِرْقَاتِ بَيْنَ الذَّنَابِ ، فَكُونُوا حُلُمَاءَ كَالْحَيَاتِ
وَبُلَهَا كَالْحَمَامِ . وَإِذَا دَخَلْتُمُ الْبَيْتَ فَسَلُّوْا عَلَى الْبَيْتِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْبَيْتَ أَهْلًا
لِسَلامِكُمْ فَلْيُصِيبْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِسَلامِكُمْ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ . وَمَنْ لَمْ يُؤْرِكُمْ
وَيَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ ، فَإِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ قَرْيَتِهِ فَانْفُضُوا الْغُبَارَ عَنْ أَرْجُلِكُمْ .

• حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْمَنَعَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبٍ قَالَ : كَانَ فِيما نَاجَى بِهِ
عُزَيْرُ رَبِّهِ : اللَّهُمَّ فَإِنَّ لَكَ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ خَلْقَتَهُ خَيْرَةً اخْتَرْتَهَا ، وَإِنَّكَ اخْتَرْتَ مِنْ
النَّبَاتِ الْحَبْلَةَ^(١٢) ، وَمِنَ الْمَوَاشِي الضَّائِنَةَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْحَمَامَةَ ، وَمِنَ الْبُيُوتِ بَيْتَ إِبِلِيَاءَ^(١٣) ،
وَمِنَ إِبِلِيَاءِ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ، وَمِنْ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ آدَمَ ، وَمِنْ وَلَدِ آدَمَ نُوحًا ، وَمِنْ وَلَدِ
نُوحٍ إِبْرَاهِيمَ ، وَمِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، وَمِنْ وَلَدِ إِسْحَاقَ إِسْرَافِيلَ ،
اللَّهُمَّ فَأَصْبَحْتَ خَيْرِيكَ قَدْ تَمَّتْ وَفَضَلْتَ فِي كُلِّ مَا اخْتَرْتَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ وَلَدِ
خَلْقِكَ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّهُمْ أَصْبَحُوا أَعْبَادًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ وَخَوَلًا لِأَعْدَائِكَ ، فَالَّذِي
سَلَّطَ عَلَيْنَا ذَلِكَ ؟ أَمْ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا ؟ فَالْخَاطِئُونَ وَلَدُونَا ، أَوْ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِنَا ؟
فَمِنْ ضَعْفِ خَلْقِنَا ؟ قَالَ : بَلَاءُ الْمَلِكِ فَكَلِمَتِي ، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ سَمِعْتُ صَوْتًا هَالِكًا
فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ حَامِرَةٌ عَنْ رَأْسِهَا ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا ، شَاقِقَةٌ جَيْبِهَا ، تَطْلُمُ وَجْهَهَا ،
وَتَصْرِيخُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا ، وَتَحْتُو الْقِرَابَ عَلَى رَأْسِهَا ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهَا وَتَرَكْتُ مَا كُنْتُ
فِيهِ ، فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِأَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَرْأَةُ وَمَا الَّذِي دِهَالِكِ ؟ أَخْبَرَنِي خَبْرِيكَ ، فَقَدَأَمَابَتِ
الْمَصَائِبُ خَيْرِيكَ ؟ قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَإِنَّ رَبِّي هُوَ الَّذِي أَبْكَانِي ،

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي حَيَاةِ الْخِيَوَانِ لِلنَّبِيِّ (ج ١ ص ٢٢٦) : « رَوَى أَحْمَدُ فِي الزُّعَدِ
عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْمُونَةَ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا بِهَا فِي آفَةِ تَسَالٍ
مِثْلِ الْحَمَامِ فَافْعَلُوا » . وَفِي الْبَحْرِ مِمَّنْ مِنَ الْكُتُبِ الْقُدْسِ (طَبْعُ بَرُودَتِ سَنَةِ ١٨٨٢ م بِمَجْلَدِ ثَلَاثِ
ص ١٧ ص ١٢) : « فَكُونُوا حِكَمًا كَالْحَيَاتِ وَوِدْعًا كَالْحَمَامِ » . (٢) الْحَبْلَةُ بِالضَّمِّ : الْكُرْمُ
أَوْ أَمَلٌ مِنْ أَصُولِهِ ، وَغَيْرُ الْمَلِمْ أَوْ غَيْرُ الْمَضَاءِ . (٣) فِي الْأَصْلِ : « بَيْتُ الْإِبِلَاءِ » .

- ومصيبي أعظم مما ترى ، فقلت : فإن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، وعوضا من كل فائت ، فإياه فاستعني ، وإلى نظره لك فانظري ، قالت : اني كنت امرأة كسيرا مالى ، عظيما شرفي ، وكنت عاقرا لا ولد لي ، وكنت عند بعل له نسوة معي وكلهن ولد له غيري ، فلن به لحب الولد فصرفت وجهه عني ، فغزنت وحزن اهل و صديق ، فلما رأيت هواني عليه وسقوط متلقي عنده ، رغبْتُ الى ربى ودَعَوْتُهُ فاجابني ، واستوهبته غلاما فوهبه لي ، فقررت به عيني ، وفرح اهل ، وعطف الله به زوجي ، وقطع عني السنة ضرائري ، فريت غلاما لم يحل ابني مثله حسنا وجمالا ونصرة وتاما ، فلما بلغ أشده وكل به سرودي خطبت عليه عظيمة قومي ، وبذلت دونه مالى ، ونرجت من خلعتي^(١) ، وجمعت رجال قومي ، فخرج يمشي بينهم حتى دخل بيته ، فلما قعد على سريره ، نرمنه فاندقت عنقه فات ابنى وضل على وبكل نصيبي وتلف مالى ، فخرجت الى هذه البرية ابكيه فيها لا أريد أن أرى أثرا من آثاره ولا أحدا من أصحابه ، ولن أبرح ابكيه حتى ألحق به . قال عزير : أذكرى ربك وراجعيه ، فقد أصابت المصائب فترك أما رأيت هلاك إيلياء وهى سيدة المدائن وأم القرى ؟ أو ما رأيت مصيبة أهلها وهم الرجال ؟ قالت : إى رحمت الله ! إن هذا ليس لى بعزاء وليس لى بشيء منه أسوء ، إنما تبكى مدينة خربت ، ولو تعمّر عادت كما كانت ، وإنما تبكى قوما وعدمهم الله الكرة على ملوهم ، وأنا أبكى على أمر قد فات ، وطى مصيبة لا أستقبلها^(٢) ، قال عزير : فإنه خلّق لما صار اليه ، وكلّ شيء خلّق للدنيا فلا بد أن سينقئ ،

(١) الخلة (بالكسر والفتح) : المال وخيار ما يتطع على الانسان . (٢) لا أستقبلها

- أى لا أطلب منها إنقاذ ، لأن الطالب فيها غير مجد ، ومنه قول الشيخ :
 * ومرتبة لا يستقال بها الردى *
 أى لا يرجى فيها إنقاذ الردى لأنه لا بد من الهلاك .

أَمَا رَأَيْتَ مَدِينَتَنَا أَصْبَحَتْ خَاوِيَةً عَلَى عروشها بعد عمارتها، وأوحشت بعد أنسها
 وأثاثها! أَوْ مَا رَأَيْتَ مَسْجِدَنَا كَيْفَ غَيَّرَ حِمْنُهُ ، وَهَدِمَ حِصْنُهُ ، وَأَطْفَى نَوْرَهُ !
 أَوْ مَا رَأَيْتَ عَزَّ أَهْلَهَا كَيْفَ ذَلَّ ، وَشَرَفَهُمْ كَيْفَ تَحَلَّلَ ، وَمَجَّدَهُمْ كَيْفَ سَقَطَ ،
 وَغَرَمَهُمْ كَيْفَ بَطَلَ ! أَوْ مَا رَأَيْتَ كِتَابَ اللَّهِ كَيْفَ أُحْرِقَ ، وَوَحْيَ اللَّهِ كَيْفَ رُفِعَ ،
 وَتَابُوتُ السَّكِينَةِ كَيْفَ سُبِيَ ! أَوْ مَا رَأَيْتَ نِسَاءَ الْمُلُوكِ وَبَنَاتِهِمْ فِي بُطُونِ الْأَسْوَاقِ
 حَاسِرَاتٍ عَنِ السُّوقِ وَالْوُجُوهِ وَالْأَشْعَارِ ! أَوْ مَا رَأَيْتَ الْأَشْيَاحَ الَّذِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ
 النُّورُ وَالسَّكِينَةُ مَقْرَنَيْنِ فِي الْحَبَالِ وَالْقِطَارِ ! أَوْ مَا رَأَيْتَ الْأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ مُصَفِّدِينَ
 فِي الْإِسَارِ ، أَوْ مَا رَأَيْتَ أَبْنَاءَ مُوسَى وَهَارُونَ تُضْرَبُ عَلَيْهِمُ السَّهَامُ وَيَقْتَسِمُهُمُ
 الْأَشْرَارُ ، وَلِدَانِ الْمُلُوكِ خَدَمًا لِلْكَفَّارِ ، أَوْ مَا رَأَيْتَ قَتْلَانَا لَمْ يَوَارِ أَحَدًا مِنْهُمْ قَبْرًا ،
 وَلَمْ يَعْهَدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى وَلَدٍ ، فَالْحِكَمَاءُ مَبْهُوتُونَ ، وَالْعُلَمَاءُ يَمُوجُونَ ، وَالْحُلَمَاءُ
 مَتَحِيرُونَ ، وَأَهْلُ الرَأْيِ مُلْقُونَ بِأَيْدِيهِمْ مُسْتَسْلِمُونَ . قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا أَكْثَمُهَا غَشْيًا
 وَجْهَهَا نَوْرًا مِثْلُ شِعَاعِ الشَّمْسِ حَالِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا ، نَفَعَرْتُ مِنْ شِدَّتِهِ
 وَجْهِي وَرَدَدْتُ يَدِي عَلَى بَصْرِي ، ثُمَّ كَشَفْتُ وَجْهِي فَأَنَا لَا أُحِسُّهَا وَلَا أَرَى
 مَكَانَهَا ، وَإِذَا مَدِينَةٌ قَدْ رُفِعَتْ لِي حَصِينَةٌ بِسُورِهَا وَأَبْوَابُهَا ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى ذَلِكَ
 تَحَرَّيْتُ صَعِقًا ، بِخَافِي الْمَلِكِ فَأَخَذَ بِضُبُعِي وَنَعَشَنِي وَقَالَ لِي : مَا أَضَعَفَكَ يَا عَزِيزُ !
 وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنَ الْقُوَّةِ مَا تَخَاطَبُ بِهِ رَبُّكَ وَتُدَلِّي بِالْعِذْرِ عَنِ الْخَاطِئِينَ مِنْ

(١) ورد في دائرة المعارف البستاني عند الكلام على التابوت ما ملخصه : وتابوت العهد أو الشهادة
 هو صندوق من الخشب مصفح من الداخل ومذهب من الخارج ، وكان موضعه في قدس الأقداس وكان
 اليهود يعتبرون ذلك مقدسًا وكانوا يحملونه بالأحفال أمامهم وهم سافرون إلى أرض الميعاد ... والظاهر
 أنه قد ضل ما هدم بختصر الهيكل في القدس بإتلافه إياه أروقه إلى بابل . ومن أراد الوقوف على
 تفاصيل وصف هذا التابوت فليراجع ذلك في التوراة - (٢) في الأصل : « خدم لكفار » .
 (٣) قسه : وضعه وأقامه .

- بنى إسرائيل ، قال له عزير : مثل الذي رأيت وعانيت أضعفني وأذهب روحي ؛ قال الملك : فإن المرأة التي كلمتك هي المدينة التي تبكي عليها ، صورها الله لك في صورة أنثى فكلمتك ، فافقه عنها : أما قولها : إنها عُمِّرَتْ زماناً من دهرها عاقراً لا ولد لها ، فكذلك كانت إلباء صعيداً من الأرض خراباً لا عُمرانَ فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة .^(١)
- وأما قولها : إن الله وهب لها غلاماً عند اليأس ، فذلك حين أقبل الله عليها بالعمران فابتعث الله منها أنبياءه وأنزل كتابه . وأما قولها : إنه هلك ولداً حين كل فيه سرورها ، فذلك حين غير أهلها نعم الله وبطلوها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا جرأة على الله وفسادا ، فغير الله ما بهم وسلط عليهم عدوهم حتى أفناهم ، وقد شققت الله في قومك وكتابك ومدينتك ، وسبيدها الله عامرة كما رأيت : عليها حيطانها وأبوابها ، وفيها مساجدُها وأنهارها وأشجارها .

- وحدثني بهذا الإسناد قال : لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسماعيلَ عليهما السلام ويعمله قرباناً ، أسر ذلك إلى خليل له يقال له : العازر ، فقال له الصديق : إن الله لا يَتلُ بمثل هذا مثلاً ، ولكنه يريد أن يُجربَكَ ويُتبرَكَ ، وقد علمت أنه لم يترك بهذا لِفَتْنِكَ ولا لِيُضِلَّكَ ولا لِيُعْتَكَ ولا لِيُنْقِصَ به بصيرتك وإيمانك ودينك ، ولا يروعنك هذا ولا تُسَوِّعَ بالله ظنك ، وإنما رفع الله اسمك في البلاء على جميع أهل البلاء ، حتى كنت أعظمهم في نفسك ووليك ، ليرفعك بقدر ذاك عليهم في المنازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر في فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك ، وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك ، وليس لأهل البلاء في جسيم شرف البلاء إلا فضلُ شرفك . وليس هذا من وجوه البلاء الذي يتلى الله به أوليائه ، لأن الله أكرم في نفسه وأعدل في حكمة وأعدل في عبادته^(٢)
- (١) في الأصل : « واما » . (٢) في القيد القريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « وادع بياده ... » .

من أن يحصل ذبح الولد الطيب بيد الوالد النبي المصطفى ؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا متى حتم على الله أو رداً لأمره أو يُخطأ لحكمه على عباده ، ولكن هذا الرجاء فيه والظن به . فإن عزم ربك على ذلك فكُن عبداً أحسن صلته بك ؛ فإنني أعلم أنه لم يُعرضك لهذا البلاء العظيم إلا لأحسن علمه بك وبصدقك وبصبرك ، ليجعلك للناس إماماً ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحديثي بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لما لبس في السجن سبع سنين أرسل الله عز وجل إليه جبريل عليه السلام بالبخارة بخروجه ، فقال له : أتمررني أيها الصديق ؟ قال له يوسف : أرى صورة طاهرة وروحاً طيباً لا يشبه أرواح الخاطئين ؛ قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين ؛ قال يوسف : فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقربين ؟ قال جبريل : أولم تعلم أيها الصديق أن الله يطهر اليوت بطهر النبيين ، وأن البقعة التي يحملون بها هي أطهر الأرضين ، وأنه قد طهر بك السجن وما حوله بأبرس الطاهرين ؛ قال يوسف : كيف تشبهي بالصالحين ، وتسميني بأسماء الصديقين ، وتعدني مع آبائي المخلصين ، وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ! قال جبريل : لم يكلم قلبك الخزع ، ولم يغير خلقك البلاء ، ولم يتعاظمك السجن ، ولم تظأ فراش سيئك ، ولم يفسد بلاء الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تُفسد نفسك أباك ولا أبوك ربك ؛ وهذا الزمان الذي فُكَّ الله به عنوك ، ويُعتق به رِقك ، ويُبين للناس فيه حكمك ، ويُصدق رؤياك ويُصفيك ممن ظلمك ، ويجمع إليك أحببك ، ويهب لك ملك مصر : يملك ملوكها ، ويُعبد لك جبارتها ، ويُذل لك أعزتها ، ويُصغر لك عظماءها ، ويُخدعك سوءتها ،

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : «فكن عند أحسن طه فيك ...» . (٢) النو : الأمر والمثل ، يقال : عا في قوم عتاً وعاء صار فيه أسيراً . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٨) : «عقك» .

ويؤثرك خولها ، ويرحمك مساكينها ، ويُلقِي لك المودةَ والمهبةَ في قلوبهم ،
ويجعل لك اليدَ العليا عليهم والآخرَ الصالحَ فيهم ، وُرى فرعونَ حلقاً يَفْزَعُ منه
ويأخذه له كربٌ شديدٌ حتى يَسْهَرَهُ وَيُذْهَبَ نومه ، ويُعْمَى عليه تفسيره وعلى السحرة
والكهنة ويعلمك تأويله .

- وفي بعض الكتب : أوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : إذا أردت أن تسكنَ
معي مُنْداً في حظيرة القدس فكن في الدنيا جليداً نريداً مهموماً حزينا ، كالطائر
الوحداني يظلُّ بأرض الفلاة ويردُّ ماءَ العيون ويأكل من أطراف الشجر ، فإذا
جَنَّ عليه الليل أوى وحده استباحاشاً من الطير واستناساً بربه جلَّ وعزَّ .
لما قُتِلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ وجداً المحتاجُ فيما ترك صُندوقاً عليه أقفال حديد ،
فتسجَّب منه وقال : إنا في هذا شيتا ، ففتحه فإذا صندوقٌ آخرُ عليه قُفْلٌ ففتحه
فإذا مَقَطٌّ فيه دُرَج ، ففتحه فإذا صحيفةٌ فيها : إذا كان الحديثُ حَقّاً ، والميعادُ
حُفْلاً ، والمِقْتَبُ ^(١) ألفاً ، وكان الولدُ غيظاً ، والشتاءُ قيظاً ، وغاض الكرامُ غيظاً ، وغاض
اللكامُ غيظاً ، فاعتزَّ ^(٢) عَفْرٌ ، في جبلٍ وعَرٌ ، خبر من مُلْكِ بنِي النَّضَرِ . حدثني بذلك
كعب الجبَر .

السداء

- ١٥ حدثني أبو مسعود النارمجي قال حدثنا جرير عن أنس بن مالك قال : قال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قال "رُبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةٌ : وَاحِدَةٌ لِي ، وَوَاحِدَةٌ لَكَ
(١) القتب كبير : جماعة الخيل والفرسان . (٢) العفر : جمع أخفر وغفر . والغفرة : غبرة
في بياض . (٣) هكذا ورد بالأصل . ولم نضِرْ على هذه النسبة أن يكنى بأبي مسعود لا في كتب
الأنساب ولا في كتب التراجم وغيرها من الكتب التي بين أيدينا . (٤) في الأصل : «جدير»
٢٠ بالذال المهملة . ولم نضِرْ على اسم «جدير» بين أسماء الرواة في الكتب التي عندنا . وقيد ورد في تهذيب
التلخيص أن من بين من اسمه «جرير» بالراء : «جرير بن حازم بن عبد الله بن شياع الأزدي ثم العنكي وميل
إلى الحمصي» . وجرير هذا من روادنا عن قتادة عن أنس بن مالك ، وقد أخرج لدينا أن ما جاء بالأصل
مخالفٌ سواء به ما أئتمناه .

يا بن آدم، وواحدةً بيني وبينك، فأما التي لي فتُخلص لي لا تُشرك في شيئا، وأما التي لك فأحوج ما تكون إلى عملك أوفيكه، وأما التي بيني وبينك فتلك الدعاء وطى الإجابة“.

حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا زيد بن الحباب قال حدثنا معاوية قال
حدثني أزهر بن سعيد عن حاصم بن حميد قال : سألت عائشة رضي الله عنها،
ما كان يفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم به صلاته في قيام الليل ؟ قالت :
كان يكبر عشرا ويمجد عشرا ويسبح عشرا ويهلل عشرا ويستغفر الله عشرا،
ثم يقول : « اللهم اغفر لي وأهدني وآرزقني وعافني »، ويتعوذ من ضيق المقام
يوم القيامة .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا الخفاف عن أبي الورقاء عن
عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال :
« أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والأمر والليل والنهار وما يسكن^(١)
فيهما لله رب العالمين وحده لا شريك له . اللهم أجعل أول هذا النهار صلاحا
وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا . اللهم إني أسألك خير الدنيا وخير الآخرة يا أرحم الراحمين ».

حدثنا إسماعيل بن راهويه قال أخبرنا حسين بن علي الجعفي عن إسرائيل عن
الحسين أنه كان إذا استسقى قال : « اللهم اسقنا سقيا واسعة وأدعة عامة نافعة غير^(٢)
^(٣)

(١) في نهاية الأرب للزوري (ج ٥ ص ٣٠٠ طبع دار الكتب المصرية) : « وما سكن فيها من شيء وحده لا شريك له... الخ » . وفي كتاب الأذكار للنووي : « وما سكن فيها لله تعالى ... الخ » .
(٢) قال ابن خلكان في ترجمة إسماعيل بن راهويه : « وراهويه يفتح الزاء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة ويدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ويسدها هاء ساكنة ... وقيل فيه أيضا : راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء » .
(٣) ورد هذا الأثر في كتاب الأذكار للسيوطي (نسخة خطية محفوظه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ مجاميع) في صلاة الاستسقاء، بصيغة تختلف ما هنا في بعض الكلمات وبإضافة والتقص .

صاغة تمع بها حاضرتنا وبأدينا وتزيد بها في رزقنا وشكرنا . اللهم أجعله رزقاً إيماناً وعطاءً إيماناً إنا عطاءك لم يكن محظوراً . اللهم أنزل علينا في أرضنا سكنها ، وأنبت فيها زيتتها ومرعاهها .

- روى الكلبي عن أبي صالح أن العباس قال يوم استسقى عمر رضى الله عنه :
- « اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بنب ، ولا يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، فاسقنا النعيت » ؛ فأرخت السماء شأيب مثل الجبال بديمة مطيقة .

- وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الملك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز عشية عرفة برفة وهو يقول : « اللهم زد في إحسان محسنهم ، وراجح بمسيئهم إلى التوبة ، وحط من ورثهم بالرحمة » .

حدثنا حسين بن حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن حبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات : « اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به

- (١) كذا في الأصل ولسان العرب مادة «سكن» . وفي منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند الإمام أحمد (ج ٣ ص ٦٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣ هـ) : « اللهم أنزل في أرضنا بركتها وزيتها وسكنها وارزقنا وأنت خير الرازقين » . وسكنها بفتح السين والكاف : غياث أهلها القى سكن أقسم اليه .

- (٢) في الأصل : « من ينك » والسياق يقتض ما أثبتناه . (٣) شأيب جمع شؤبوب ، وهو الخفة من المطر . والهدية : مطريدم في سكن بلا ردة ولا برق . (٤) كذا ورد في الأصل . وفي تهذيب التهذيب أن من روى عن عبد الله بن المبارك الحسين بن الحسن . ولعل ما في الأصل محرف عنه . (٥) في الأصل : « زهر » باللام المعجمة . وما أثبتناه هو ما في تهذيب التهذيب .

الى رحمتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصيبت الدنيا، ومَتَّعَنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا،
واجعل ذلك الوارث منا، وأنصرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا
ولا تجعل الدنيا أكبر همتنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا رحمنا“ .

بلغني عن يونس عن الأوزاعي عن حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةٍ ^(١) قَالَ : كَانَ شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ
في سفرٍ، فقلنا منزلاً فقال لفلانمه : اثبتنا بالسفرة نعبث بها، فأنكرت منه، فقال :
ما تكلمت بكلمة مذ أسأمت إلا وأنا أخطئها وأزقها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها
عني، واحفظوا عني ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
«إذا كثرت الناس الذهب والفضة فاكثروا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات
في الأمر والمزينة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك
قلبا مليا ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم،
وأستغفرك ليا تعلم، إنك أنت علام الغيوب“ .

بلغني عن الوليد بن مسلم قال حدثنا أبو سلمة الدومني ^(٢) عن سالم بن عبد الله
قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم ارزقني عيتين هاتين
تبيكان بذروف الدموع وتشفيانني من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس
جبرا“ .

(١) هكذا ضبطه في تقريب التهذيب بضم الميم وفتح الطاء . (٢) كذا في مستدرك الإمام أحمد
(ج ٤٤ ص ١٢٣) وفي الأصل : «فثبت بها» وما أثبتناه هو الموافق لقول الزينبي في أساس البلاغة
مادة «عبث» «قال بالسفرة عبث بها» . (٣) في متشبه كنز العمال (ج ٢ ص ١١٦) : «أشداد
بن أوس إذا رأيت الناس يكثرزون ... الخ» وفي فقه الحديث بعض زوائد عها هنا، ولها رواية
أخرى . (٤) هكذا ورد في الأصل، ولم نوفق الى تحقيق هذه النسبة لأبي سلمة في الكتب التي
بين أيدينا . (٥) في متشبه كنز العمال (ج ٢ ص ١٠٦) هـ ... تشفيان القلب بذروف
الدموع من خشيتك ... الخ ...» .

حدثني أبو سفيان الفتوي قال حدثنا عمر بن عمران قال حدثني الحارث بن عنبه عن العلاء بن كثير عن أبي الأسقع : أنه كان يحفظ من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : "يا موضع كل شكوى وباشاهد كل نجوى بكل سبيل أنت مقيم ترى ولا ترى وأنت بالمنظر الأعلى".

- (١)
- حدثنا عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : كان دعاء عيسى الذي يدعو به لارضى والزمى والعميان والمجانين وغيرهم : "اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك ، وأنت جبار من في السماء وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك ، وأنت حاكم من في السماء وحاكم من في الأرض لا حاكم فيهما غيرك ، وأنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك ، قُدرتك في الأرض كقُدرتك في السماء ، وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء ؛ أسألك باسمك الكريم وجهك المير ومليكك القديم ، إناك على كل شيء قدير" . قال وهب : هذا يُقرأ للفرع على المجنون ويكتب له ويُغسل ويُسقى ، فيبرأ بإذن الله أي ذلك شاء فعل .

- وحدثني أيضا بهذا الإسناد قال : كان من دعاء المسيح حين أخذه اليهود ليصلبوه بزعمهم فرفعه الله اليه : "اللهم أنت القريب في علوك ، المتعالي في دنوك ، الرفع على كل شيء من خلقك ؛ أنت الذي فهد بصرك في خلقك ، وحيرت الأبصار دون النظر إليك وعشيت دنوك ، وشفع بك العلو في النور ؛ أنت الذي جليت الظلم

- (١) ورد في الأصل "عبد الرحمن بن عبد المنعم" وورد في علة أمانيد أخرى في الأصل قسه "عبد الرحمن عن عبد المنعم" كما أثبتناه هنا وعبد الرحمن الذي يروى عنه المؤلف كثيرا هو عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمى ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن إدريس بن مطاف بن أبة وهب ابن منبه .

بنورك فباركت اللهم خالق الخلق بقدرتك ، مقدر الأمور بحكمتك ، مبتدع الخلق بعظمتك ، القاضى فى كل شىء بعلمك ؛ أنت الذى خلقت سبعا فى الهواء بكلماتك ، مستويات الطباق مذعنات لطاعتك ، سماهين الملوك بسلطانك ، فأجبن وهن دخان من خوفك ، فأتين طائعات بأمرك ، فبهن ملائكتك يسبحون قدسك بتقديسك ، وجعلت فيهن نورا يحلوا الظلام ، وضياء أضوا من شمس النهار ، وجعلت فيهن مصابيح يهتدى بها فى ظلمات البحر والبر ورجوما للشياطين ، فباركت اللهم فى مفضور سمواتك ، وفيما دحوت من أرضك ، دحوتها على الماء ، فأذلت لها الماء المتظاهر فذل لطاعتك وأذعن لأمرك ، وخضع لقوتك أمواج البحار ، ففجرت فيها بعد البحار الأنهار ، وبعد الأنهار العيون الفزار والينابيع ؛ ثم أخرجت منها الأشجار بالثمار ، ثم جعلت على ظهرها الجبال أوتادا فأطاعتك أطواؤها ، فباركت اللهم فى صنعك ، فمن يبلغ صفة قدرتك ومن يتعت نعمتك . تُزِيلُ الْغَيْثَ وَتُنْشِئُ السَّحَابَ ، وَتُقَلِّبُ الرِّقَابَ وَتَقْضِي الْحَقَّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ . لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ أَمْرَتُ أَنْ يَسْتَغْفِرَكَ كُلُّ خَاطِئٍ . لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِنَّمَا يَخْشَاكَ مِنْ عِبَادِكَ الْعُلَمَاءُ الْإِبْرَاهِيمُ . أشهد أنك لست بآله استعبدناه ، ولا رب يبد ذكركه ، ولا كان لك شركاء يقضون معك فندعوهم ونُدْعُكَ ، ولا أعانك أحدٌ على خَلْقِكَ فنشك فيك . أشهد أنك أحدٌ صمد لم تلد ولم يكن لك كفواً أحدٌ ، ولم تتخذ صاحبة ولا ولدا . اجعل لى من أمرى فرجا ونجرا ؛ قال وهب : وهذا الدعاء عودَةٌ للشقيقة وغيها من قولك : "أشهد أنك لست بآله استعبدناه ، الى آخره .

(١) «المظاهر» بالفاء المعجمة من ظاهر بمعنى تساد وتعاون يراد بذلك الماء الكثير المجتمع يدفع

بعضه بعضا لقوته وهو ما يقتضيه السياق . وفى الأصل «المظاهر» بالطاء المهملة .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن عباس قال: "الإخلاص هكذا، وبسط يده اليمنى وأشار بإصبعه من يده اليسرى، والدعاء هكذا، وأشار بإصبعه إلى السماء، والابتهاال هكذا، ورفع يديه فوق رأسه ظهورهما إلى وجهه".

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال: كان داود إذا دعا في جوف الليل قال: "اللهم نامت العيون وطارت النجوم وأنت حي قيوم، اغفر لي ذنبي العظيم إنك عظيم وإنما يغفر العظيم العظيم، إليك رفعت رأسي عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها. اللهم تساقطت القرى وأطلت ذكراها وأنت دائب الدهر مدد كرمي القضاء".

قال: وكان من تسميته: "الحمد لله عند قطر المطر، وورق الشجر، وتسبيح الملائكة، وعند ما في البر والبحر. والحمد لله عند أفاض الخلق وقظهم وطرفهم وظلالهم، وعند ما عن أيمانهم وشمائلهم، وعند ما قهره ملكه، ووسعه حفظه، وأساطت به قدرته، وأحصاه علمه. والحمد لله عند ما تجري به الرياح، وتجمله السحاب، وعند ما يتخلف به الليل والنهار، وتسير به الشمس والقمر والنجوم. والحمد لله عند كل شيء أدركه بصره، وقد فيه علمه، وبلغ فيه لطفه. والحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئا حين يدعوني. والحمد لله الذي أسأله فيعطيني، وإن كنت بخيلا حين يستقرضني. والحمد لله الذي أستعفيه فيعافيني، وإن كنت متعرضا لما يهلكني. والحمد لله الذي حلم في الذنوب عن عقوبتي حتى كافي لا ذنب لي، ولو يؤاخذني لم يظاينني سيدي. والحمد لله الذي أرجوه أيام حياتي،

(١) كذا ورد في الأصل. وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥): «... وبسط يده اليسرى وأشار

بإصبعه من يده اليمنى... الخ». وفي نهاية الأرب للزوري (ج ٥ ص ٢٨٤) تختلف الرواية عما هنا في أكثر الألفاظ. (٢) في الأصل: «حتى» وهو تحريف. ٢٠

وهو دُنْخَرِي في آخرتي ، ولو رَجَوْتُ غيره لأقطع رجائي . والحمد لله الذي يُبْسِي
أبواب الملوك مغلقةً دوني ، وبَابُهُ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مَا شِئْتُ من حاجاتي بِغَيْرِ شَفِيعٍ
فَيَقْضِيهَا لِي . والحمد لله الذي أخلو به في كل حاجاتي ، وأَضَعُ عِنْدَهُ سِرِّي في أَيْ-
ساعة شِئْتُ من سَاعَاتِي . والحمد لله الذي يَتَحَبَّبُ إِلَيَّ وهو عَنِّي غَنِيٌّ ، فَرَبِّي أَحْمَدُ
شَيْءٍ عِنْدِي وَأَحَقُّ بِمَحْدِي .

وكان من دعاء يوسف : ” يَاعُدُّنِي عِنْدَ كَرْبِي ، وَيَا صَاحِبِي فِي وَحْدَتِي ،
وَيَا هَيَّائِي عِنْدَ شِدَّتِي ، وَمَفْزَعِي عِنْدَ فَاقَتِي ، وَرَجَائِي إِذَا انْقَطَعَتْ حِيلَتِي ، يَا أَلْهِي
وَاللهُ أَبَانِي إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ حَقٍّ وَمَقْشُورَ ، اجْعَلْ لِي فَرْجًا وَغَرْجًا وَأَقْضِ حَاجَتِي “ .

وكان بَنَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ : ” اللَّهُمَّ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَقْصُودِكَ ، وَلَا تَمَكِّنْ لِي فِي حِيلَتِكَ ،
وَلَا تَوَاضِعْ لِي بِتَقْصِيرِي عَنْ رِضَاكَ ، عَظِيمَ خَطِيئَتِي فَاعْفِرْ ، وَيَسِيرَ عَمَلِي فَتَقَبَّلْ ،
كَمَا شِئْتَ تَكُونُ مَشِيتُكَ ، وَإِذَا عَزَمْتَ يَمْضِي عَزْمُكَ ، فَلَا الَّذِي أَحْسَنَ اسْتَعْفَى
عَنكَ وَعَنْ عَوْنِكَ ، وَلَا الَّذِي أَسَاءَ اسْتَبَدَّ بِشَيْءٍ يُخْرِجُ بِهِ مِنْ قُدْرَتِكَ ، فَكَيْفَ لِي
بِالنَّجَاةِ وَلَا تَوْجِدُ إِلَّا مِنْ قَبْلِكَ ! اللهُ الْإِنْبِيَاءُ ، وَوَلِيُّ الْإِنْبِيَاءِ ، وَبَدِيعُ مَرْتَبَةِ
الْكَرَامَةِ ، جَدِيدٌ لَا يَبْلَى ، حَفِيفٌ لَا يَنْسَى ، دَائِمٌ لَا يَبِيدُ ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، يَقْظَانُ
لَا يَنَامُ ، بَكَ عَرَفْتُكَ ، وَبَكَ أَهْتَدَيْتُ إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أُدْرِ مَا أَنْتَ ، فَتَبَارَكْتَ
وَتَعَالَيْتَ “ .

قال الأزدي حَدَّثَنِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّضْرِ الْحَارِثِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال : ” لَا تَقْطَعُوا الشَّهَادَةَ عَلَى أَهْلِ الْقَبْلَةِ فَإِنَّهُ مِنْ يَقْطَعُ الشَّهَادَةَ عَلَيْهِمْ فَأَنَا مِنْهُ

(١) في الأصل : « مره » وما أئْتناه هو الأنسب بالمقام .

(٢) في الأصل : « تسير » .

بريء إنا الله كتماننا ما يصنع بأهل القبلة^(١) . وقال : « من علم آية من كتاب الله أو كلمة من سنة في دين الله حثا الله له من الثواب حثوا » .

قال وقال الأوزاعي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم إني أسألك التوفيق لحبأك من الأعمال وحسن الظن بك وصدق التوكل عليك » .

محمد بن بشر العبدي^(٢) قال حدثنا بعض أشياخنا قال : اعتمر على عليه السلام فرأى رجلا متملعا بأستار الكعبة وهو يقول : يا من لا يشغلُه سَمْعٌ عن سَمْعٍ ، ولا تُغْلِبُه المسائلُ ، ولا يُيرمه إلحاحُ الملحِّين ؛ أَذَقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وحلاوةَ مَغْفِرَتِكَ ؛ فقال عليّ : والذي نفسى بيده ، لو قتلها عليك ملءُ السموات والأرضين ذنوبا لَغُفِرَ لَكَ .

دعا أعرابي عند المَظَرَمِ فقال : اللهم إنا لك على حقوقا فتصدق بها عليّ ، وللناس قبلي تبعات فتحملها عني ، وقد أوجبت لكل ضيف قري ، وأنا ضيفك فاجعل قراى الليلة الجنة .

وقال آخر : اللهم إليك نرجعت ، وما عندك طلبت ، فلا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي . اللهم وإن كنت لم ترحم نصبي وتعي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيئته .

١٥

(١) حثاه : أخطاه . (٢) كذا في الأصل والعلامة وتهذيب التهذيب . وجاء في تهذيب التهذيب : « محمد بن بشر العبدي » . (٣) لا تغلظه : لا توفقه في الغلط ، وهو من قولهم : أغلظه إذا أوفقه في الغلط . (٤) لا ييرمه : لا يمله ولا يضجره . (٥) المَظَرَمُ هكذا ضبطه صاحب المصباح في مادة « ظرم » فقال « والظرم : اعتقه فهو مظرم ومه يقال لما بين باب الكعبة والخبر الأسود المَظَرَمُ لأن الناس يستقرونه أى يضمونه إلى مملوهم » .

٢٠

وقرأت في كتاب لشيخ لنا : اللهم إنه من تيباً أو تيباً ، وأعد وأستعد لإفادة
 مخلوق رجاء رفيد وطلب نيل ، فإن تيبى وتيبى وإعدادى واستعدادى لك رجاء
 ريدك وطلب نائلك الذى لا خطر له ولا مثل . اللهم إني لم آتك بعمل صالح
 قدمته ، ولا شفاعة مخلوق رجوته ، أتيتك مقرأ بالظلم والإساءة على نفسى ، أتيتك
 بأنى لا حجة لى ، أرجو عظيم عفوك الذى عدت به على الخطائين ، ثم لم يمنك
 عكوفهم على عظيم الحريم أن جدت لهم بالمغفرة . فيا من رحمته واسعة ، وفضله
 عظيم اغفر الذنب العظيم .

ابن طائشة قال : قال الفضل بن عيسى الرافضى : اللهم لا تُدخلنا النار بعد إذ
 أسكتت قلوبنا توحيدك ، وإنى لأرجو ألا تفعل ، وإن فعلت لتجمعن بيننا وبين
 قوم عاديناهم فيك . ١٠
 بلغنى عن ابن عينة عن أبى حازم قال : لآنا من أن أمنع الدعاء أخوف منى
 من أن أمنع الإجابة .

أنشدنا محمد بن عمر بعض الشعراء فى وصف دعوة :
 وسارية لم تسير فى الأرض تبتنى * محلاً ولم يقطع بها البيد قاطع
 سرت حيث لم تسير الركاب ولم تنخ * لوزيد ولم يقصر لها القيد مانع
 تحل وراء الليل والليل ساقط * بأروافه فيه سمير وهاجع
 تفتح أبواب السماء ودونها * إلنا قرع الأبواب منهن قارع

(١) الخطر بالتحريك : الخطير والمثل .

(٢) فى المقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « تطل ... »

(٣) فى المقد الفريد : « ... لوقها ... الخ » .

(١) إذا أوفيت لم يرِدْ الله وفداً * على أهلها والله راءٍ وسامعٌ
وإني لأرجو الله حتى كأنني (٢) * أرى بجيلى الظنِّ ما الله صانعٌ
وقال آخر :

وإني لأدعو الله والأمرُ ضيقٌ * علىّ فما ينفعك أن يتفرجاً
ورُبُّ قىّ مُدَّتْ عليه وجوهه * أصاب له فى دعوة الله تحرجاً
ونحوه :

إذا قضيتُ أمرٌ فانتظر فرجاً * فأضيقُ الأمرُ أدناه من الفرج

أخذَ لرجلٍ من العرب مالٌ فكتبَ الى أخيه : يا هذا ، إنَّ الرجلَ ينام على
البُكُلِ ، ولا ينام على الحربِ ؛ فإِما رددته ، وإِما عرضتُ اسمَكَ على الله تعالى كلَّ
يومٍ ويلةٍ خمسَ مراتٍ .

قال عبد الرحمن بن زياد : اشتكى أبى فكتب الى بكر بن عبد الله يسأله أن
يدعوه ، فكتب اليه بكر : يحق لمن عمل ذنباً لا عُذرَ له فيه ، وتوقع موتاً لا بدَّ له
منه ، أن يكونَ رجلاً مشفقاً ، سادعوك ، ولستُ أرجو أن يُستجابَ لى بقوةٍ
فى عملٍ ، ولا براءةٍ من ذنبٍ ، والسلام .

خُفَّ بنُ تميم عن عبد الجبار بن كُليب قال : قال لنا إبراهيم بن أدهم حين
عرَّضَ لنا السُّجُجُ : قولوا : اللهم احسننا بينك التى لاتمام ، واجعلنا فى كنفك الذى
لا يُرام ، وارحنا بقدرتك علينا ، لا تهلك وأنت رجاؤنا ، قال خُفَّ : فما زلتُ أقولها
مذ سمعتها ، فما عرَّضَ لى قطُّ لى ولا غيره .

(١) فى العقد الفريد : * إذا سألت لم يرد الله سؤالها * (٢) فى العقد الفريد (ج ١

ص ٣٩٨) : « ... كأننا ... » (٣) الحرب بالتحريك : أن يلبس الرجل ماله كله ويرتك
بلائى . (٤) هكذا ورد فى لأصل ولم نوفق الى تحقيق هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا .

قال أعرابي : من أقام بأرضنا فليكثر من الاستغفار ، فإن مع الاستغفار
القطار .^(١)

بلغني عن موسى بن مسعود النهدي^(٢) عن سفيان الثوري عن قدامة بن حامة
الضبي عن خالد بن منجاب عن زياد بن حدير الأسدي أن العلاء بن الحضرمي
عبر إلى أهل دارين البحر بهذه الكلمات : يا حليم يا حكيم يا علي يا عظيم .

حدثني محمد بن حبيب قال حدثنا يزيد بن هارون عن هشام الدستوائي^(٣) عن
حماد عن إبراهيم عن عبد الله في الرجل إذا أراد الحاجة صلى ركعتين ثم قال : اللهم
إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر
ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، إن كان هذا الأمر الذي أريد
— ونسبته — خيراً لي في ديني وخيراً لي في معيشتي وخيراً لي فيما أبتغي فيه الخيرة
فيسره لي وبارك لي فيه ، وإن كان شراً لي في ديني وشراً لي في معيشتي وشراً لي
فيا أبتني فيه الخير فاصرفه حتى ويسر لي الخير حيث كان ثم رضي [به] .^(٤)

(١) القطار بالضم : السحاب العظيم القطر .

(٢) في الأصل : « النهدي » بالهم وهو تحريف من الناح موابه ما أنبتاه كما في تهذيب
التهذيب والخلاصة وتقرّب التهذيب . (٣) في الأصل : « حدير » بالهم وهو خطأ والصواب
عن شرح القاموس وتهذيب التهذيب والخلاصة . (٤) دارين : فرقة البحرين يجلب إليها
المسك من الهند . (انظر ياقوت) . (٥) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سفيان البكري
البصري الدستوائي ففتح الدال وسكون السين وفتح التاء نسبة إلى دستوا بالقصر وتمة : كورة من كور
الأهواز كما في تهذيب التهذيب والخلاصة ومعجم ياقوت . وقد ضبطه صاحب القاموس بضم التاء
وقال في النسبة إليها : دستوائي ودستواني . (٦) ورد هذا الدعاء في نهاية الأرب (ج ٥
ص ٣٢٦) باختلاف في بعض الكلمات وزادات مما هنا . (٧) الزيادة عن نهاية الأرب .

ومن دعاء بعض الصالحين : **اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوَّى عليه بدني**
بما فتيتك ، ونالته يدي بفضل نعمتك ، وانسبطت إليه بسعة رزقك ، واحتجبت فيه
عن الناس بسرك ، وأتكلت فيه على أنايتك وحلمك ، وعولت فيه على كريم عفوك .
الأوزاعي قال : من قال : **« اللهم إني أستغفرك لما تبَّت إليك منه ثم عدتُ**
فيه ، وأستغفرك لما وعدتُك من نفسي وأخلفتُك ، وأستغفرك لما أردتُ به
وجهك فغالطته ما ليس لك ، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها عليّ فتقوَّيتُ بها على
معصيتك ، وأستغفرك لكل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها » غفر الله له ولو كانت
 ذنوبه **عَدَدَ ورق الشجر ، ورميل طالج ، وقطر السماء .**^(١)

وكان **مُطَرِّف** يقول : **اللهم إني أعوذ بك من شرِّ السلطان ، ومن شرِّ ما تجرى**
به أقدارهم ، وأعوذ بك أن أقولَ قولاً حقاً فيه رضاك أتمسُّ به أحدا سواك ،
وأعوذ بك أن أترين للناس بشيء يسيئني ، وأعوذ بك أن أكونَ عبداً لأحدٍ من
خَلْقك ، وأعوذ بك أن يكونَ أحدٌ من خَلْقك أسعدَ بما حلَّبتني مني ، وأعوذ بك
أن أستغيثَ بمعصية لك من ضُرِّي يصيبني .

الأزدى عن **عبد الواحد بن زيد** قال : شهدتُ **مالك بن دينار** يوماً وقيل له :
يا أبا يحيى ادعُ الله أن يسقينا ، قال : تستيطعون المطر ! قالوا : نعم ؛ قال : إني
والله أستبطئُ الحجارة .

قال **أبو كعب** : سمعتُ **عطاء السلمي** يقول : **اللهم ارحمْ غُربتي في الدنيا ،**
ومصرعي عند الموت ، ووحِّدني في القبور ، ومُقامي بين يديك .

(١) طالج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل متراكم ومتداخل يمشه في بعض .

(٢) كذا في الأصل . ولم نثر على اسم **عبد الواحد بن زيد** في المراجع الخاصة التي تحت أيدينا
 « أخبار الزواجر والتراجم » وله « عبد الواحد بن زيد » لوروده كثيراً في المصادر القديمة .

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدثنا
 زهير عن زبيد البائي^(١) عن مرة عن عبد الله قال : إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم
 كما قسم بينكم أرزاقكم، إن الله يؤتي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يؤتي
 الإيمان إلا من يحب. فمن ضنّ بالمال أن ينفقه، وهاب المدوّ أن يجاهد، والليل
 أن يكابده فليكثر من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

ومن جامع الدماء : اللهم أغني بالعلم، وزيني بالحلم، وجملي بالعافية، وأكرمني
 بالتقوى .

وكان من دعاء أبي الحبيب : اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فتعجز، ولا الى الناس
 فتضيع، اللهم اجعل خير عمل ما قارب أجلى .

ومن دعاء عمرو بن عبيد، اللهم أغني بالافتقار اليك، ولا تغني بالاستغناء عنك .

ابن عائشة عن سلام بن أبي مطيع قال : سمعت ابن عون يقول : كانوا
 يستحبون من الدعاء : اللهم عبّدك وابن عبّدك وابن أمتك لسيّدك وإمامك ،
 أنا الذليل ولا أنتصر، وأنا الظالم ولا اعتذر، عملت سوءاً وظلمت نفسي وآلا
 تغفر لي وترحمي أكن من الخاسرين، فأتىها ابن عون حتى أجهش بالبكاء .^(٢)

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اجعلني لك شكّاراً، لك ذكّاراً، لك
 رهّاباً، لك مطيعاً، اليك مخيّراً، لك أوّاهاً منيئاً، ربّ تقبل توبتي وأغسل حوبتي
 وأجبّ دعوتي وثبّت حجتي وأهد قلبي وسدّد لسانى » .

(١) في الأصل : « البائي » بالنون وهو تحريف وصوابه « البائي » نسبة الى بام : بام من همدان ،
 كما تقدم في صفحة ١٧٩ من الحاشية رقم ٢ من هذا المجلد . (٢) أجهش بالبكاء : حم به وتها له .

المناجاة

- (١) حدثني عبد الله بن هارون عن سليم بن منصور عن أبيه قال : كنت بالكوفة فخرجت في بعض الليال لحاجة وأنا أعلم أني قد أصبحت فإذا علي ليل فلت إلى بعض أبوابها أنتظر الصبح فسمعت من وراء الباب كلام رجل وهو يقول : فوعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بنكالك جاهل ، ولا بمقومتك ولا بنظرك مستخف ، ولكن سؤلت لي نفسي ، وأعاني على ذلك شقوتي ، وغرني سرك المرنى علي ، فمعصيتك يجهل وخالفك يجهل ، فالآن من عذابك من يستغفرني ويحبلي من أعصم إن قطعت حبك عني ، فواسواته من الوقوف بين يديك غدا ! إذا قيل للخفيين : جوزوا ، ولالخيلين : حطوا ، أفع المتقين أحط أم مع الخفيين أجوز ! وعلى ! كلما كثرت سيئ كثيرت ذنوبي ؛ وعلى ! كلما طال عمري كثرت معاصي فرب ! أنوب ! وفي كم أعود ! أما أن لي أن أستحي من رب ! .

- بلغني عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي المانكة قال : كان داود النبي عليه السلام يقول في مناجاته : سبحانك إلهي ! إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها ، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روعي ، سبحانك إلهي ! أيتها أطباء عبادك ليدأوا لي خطيئتي فكلهم عليك يذلني .

- حدثني بعض أشياخنا قال : كان داود الطائي يقول : هك حطل علي المهوم ، وحالف بني وبين الشهداء ، وشدة الشفق من لقاءك أوقى علي الشهوات ،

- (١) في القصد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤) : « وكان آخر يدعج بمرقات : يا رب لم أصك إذ عصيتك ... الخ » مع اختلاف في بعض الكلمات وقصص عما هنا .
(٢) أربى : حيس . (٣) كذا في الأصل ولها « عني » ليستقيم المعنى .

ومعنى اللذات ، فانا في طلبك أيها الكريم مطلوب^(١) . وقال : تعبدَ ضيغم قائما حتى أُعبدَ ، وقاعدا حتى استلقى ، ومُستلقيا حتى أُخِمَ ؛ فلما جَهدَ رفعَ بصره الى السماء وقال : سبحانك ، عجا للخلقة كيف أردتَ بك بدلا ! وسبحانك ، عجا للخلقة كيف استنارت قلوبها بذكر خريك ! وعجا للخلقة كيف أنست بسواك .

• عتبة أبو الوليد قال : كانت امرأة من التابعين تقول :

سبحانك ، ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله ، سبحانك ما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه .

أبو الحسن قال : كان عروة بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قُطعت رجله [ومات أبنه^(٢)] : كانوا أربعة ، يعنى بنيه ، فأخذت واحدا وأبقيت ثلاثة ، وكن أربعة يعنى يديه ورجليه ، فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثة ، ليمتلك^(٣) لأن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت ابتليت لقد طافيت .

وفي حديث بنى إسرائيل أنك يونس عليه السلام قال لبحرير عليه السلام : دُلّني على أعبد أهل الأرض فدلّه على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه ، وذهب ببصره ، فسمعه يقول : متعتني ما شئت ، وسلبتني حين شئت ، وأبقيت لي فيك الأمل يا بارئ يا وُصول .

ومن دُعاء بعض الصالحين : اللهم أقطع حوائجي من الدنيا بالشوق الى لقاءك ، واجعل قُرّة عيني في عبادتك ، وارزقني غمّ خوف الوعيد ، وشوق رجاء الموعود ، اللهم إنك تعلم ما يُصلحني في دنياي وآخرتي فكن بي حفيّا^(٤) .

(١) في الأصل : « مطلوباً » وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتناه . (٢) التكلفة من العقد

القرير (ج ١ ص ٣٩٥) . (٣) ليمتلك : بمعنى قولهم : يمين الله .

(٤) الحفيّ : العليل ابتزاز المبالغ في الإكرام .

باب البكاء

حدثني أبو مسعود الدارمي^(١) قال حدثني جدتي عن أنس بن مالك قال : جاء قتي من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) [وقال] : إن أتى تُكثِرُ البكاء وأخاف على بصرها أن يذهب ؛ فلو آتيتها فوعظتها ! فذهب معه فدخل فقال لها في ذلك ؛ فقالت : يا رسول الله ، أرايت إن ذهب بصرى في الدنيا ثم صرت الى الجنة ، أيبذلني الله خيرا منه ؟ قال : « نعم » قالت : فإن ذهب بصرى في الدنيا ثم صرت الى النار ، أفيميد الله بصرى ؟ فقال النبي عليه السلام للقتي : « إنا أملك صدقة^(٣) » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق^(٤) عن الأوزاعي عن ثابت بن سعيد قال : ثلاث أعين لا تمسها النار ؛ عين حُرست في سبيل الله ؛ وعين^{١٠} سهرت في كتاب الله ؛ وعين^٢ بكت في سواد الليل من خشية الله .

أبو حاتم عن الثوري قال حدثنا أبو إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضيل فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء ، وأنشد :

فلئن بكيتاه يحق لنا * ولئن تركنا ذلك للكبر^(٥)

فابتهلته جرت العيون دما * ولمثله جمدت فلم تجري^{١٥}

(١) لم نشر على هذه النسبة في الكتب التي بين أيدينا فينبى كنيته أبو مسعود (انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٧ من هذا المجلد فيما تقدم) . (٢) زيادة يقتضيا السياق .

(٣) ورد في الأصل : « آية » وهو تحريف لأن الأوزاعي من روى عنه (أبو إسحاق الفزاري) ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق الفزاري أيضا فينبى حيث أنه

(أبا إسحاق) هو المقصود في هذه الرواية . راجع تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٢١٥ وج ٦ ص ٢٢٨) .
وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣١ من هذا المجلد . (٤) يوجد في الأصل كلمة « الصبر »
فوق كلمة « الكبر » ولعلها رواية نسخة أخرى .

- بلغنى عن أبى الحارث الليث بن مسعد عن أبيه عن ابن لميعة عن أبى قبيلى
 عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو
 ابن تمانى حجج ، فنظر الى عباد بيت المقدس قد لبسوا مدارع الشعر ، وبرانس
 الصوف ، ونظر الى متجهيهم أو قال مجتهدهم قد خرقوا التراق ، وسلكوا فيها
 السلاسل ، وشدوها الى حنايا بيت المقدس ، فهاهنا ذلك ، فرجع الى أبويه فتر
 بصبيان يلعبون فقالوا : يا يحيى هلم فلنلعب قال : إني لم أخلق للعب ، فذلك قول
 الله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحَكَمَ صَبِيًّا ﴾ فأتى أبويه فسألها أن يدركاه الشعر ففعلوا ،
 ثم رجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا ، حتى أتت له
 خمس عشرة سنة ، وأتاه الخوف فراح ولزم أطراف الأرض وغيران الشعب ،
 ونخرج أبوابه في طلبه فوجداه حين نزل من جبال التيه على بحيرة الأرذ وقد قد
 على شفير البحيرة وأقع قدميه في الماء ، وقد كاد المطش يذبحه وهو يقول : وعزتك
 لا أدنوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكافئ منك ! فساله أبوابه أن يأكل قرصا
 كان معهما من شعير ، ويشرب من الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر قال
 الله عز وجل : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ وردّه أبوابه الى بيت المقدس ،
- ١٥ (١) في الأصل : « ... عن الحارث بن الليث ابن سعد » وهو تحريف ؛ اذ هو الليث بن سعد
 ويكنى بأبى الحارث . وما يؤيد ما ذهبنا اليه أن بن لميعة ومن بعده روى عنهم الليث بن سعد ولما
 ترجع لدينا أن ما ورد في الأصل خطأ سوايه ما أثبتناه . راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٧٣ و ج ٨
 ص ٥٩٩) و طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٤ طبع « ليدن » سنة ١٣٣٨ هـ) . وورد
 في الأصل : « أبى لميعة » وهو تحريف والتصويب عن المصادر المتقدمة . (٢) في قصص
 الأنبياء (ص ٢٨٨) : « روى عن رسول الله صل الله عليه وسلم أنه قال : « كان من زهد يحيى أنه أتى
 بيت المقدس ... الخ » . ووردت فيه هذه القصة باختلاف في بعض الالفاظ وزوائد عامة .
 ٢٠ (٣) في قصص الأنبياء : « ... وشفقوا بها الى سواى المسجد » . (٤) نيران : جمع
 نار وهو ما نحت في الجبل كالتارة يأوى اليه الوحوش فاذا اتسع قيل له : كهف .

فكان اذا قام في صلاته بكى ، وبكى زكريا لبكائه حتى يُغنى عليه ، فلم يزل كذلك حتى خرقت دموعه لحَم خَدَيْهِ ، وبَدَتْ أَضْرَاسُهُ ، فقالت له أمه : يا يحيى ، لو أذَنْتَ لى لَأَتَخَذْتُ لك لَيْدًا لِيُوَارَى أَضْرَاسَكَ عن الناظرين ؛ قال : أَنْتِ وَذاك ، فَمَدَدْتُ الى قِطْعَتَي كُبُودٍ فَالصَقْتُهُما على خَدَيْهِ ، فكان اذا بكى اسْتَفْعَتْ دُمُوعُهُ فى القِطْعَتَيْنِ فتَقَوَّمَ اليه أُمُّهُ فَتَعَصَّرُهما بِيَدَيْها ، فكان اذا نظر الى دُمُوعِهِ تَجَرَّى على ذِرَاعَيْ أُمِّهِ . قال : اللهم هذه دموعى وهذه أُمِّى وأنا عَبْدُكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

بَلَّفَنى عن أبى معاوية عن أبى إسحاق ^(١) الخُمَيْسِ قال كان يَزِدُ الرِّقَاشِ يقول :
ويحك يا يزيد ! مَنْ يَصُومُ عَنْكَ ! مَنْ يَصِلُّ عَنْكَ ! وَمَنْ ذَا يَرْضَى لَكَ رِبْكَ مِنْ
بَسَدِكَ ! ثم يقول : يا معشرَ مِنَ المَوْتِ مَوْعِدُهُ ، وَالْقَبْرِ يَحْضُهُ أَلَّا تَبْكَونَ ! قال :
فكان يبكى حتى تَسْقَطُ أَشْفَارُ عَيْنَيْهِ .

بَلَّفَنى عن مُحَمَّدِ بْنِ فَضِيلٍ عن التَّلَاءِ بنِ المَسَيَّبِ عن الحَسَنِ قال : قال
النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبُّ الى اللهِ مِنْ قَطْرَةٍ دِيمَ
فى سَبِيلِهِ وَقَطْرَةٍ دَمِيعَ فى جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَتِهِ ، وَمَا مِنْ جَرْمَةٍ أَحَبُّ الى اللهِ
مِنْ جَرْمَةٍ مَصِيْبَةٍ مُوجِعَةٍ رَدَّها بِصَبْرٍ وَحُسْنِ عِزٍّ أَوْه ، وَجَرْمَةٍ غِيْظَ كَلَمٍ عَلَيْها »
مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عن رَجُلٍ قال : كان فى وَجْهَتِي ابنُ عَبَّاسٍ خَطَّانٌ مِنْ أَثَرِ
الدَّمْعِ .

(١) فى هامش تهذيب التهذيب ما نصه : « والخُمَيْسِيُّ بفتح الميم وكسر السين المهملة كذا فى الخلاصة والتغريب » وفى هامش الخلاصة « أن السمعاني صاحب الأنساب ضبطه بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء التحتية ثم مهملة مكسورة وهكذا فى لب الباب » . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٨٤) وهو ما يقتضيه نص الفقه ، فى تاج العروس : « الشفر بالضم وفتح : أصل مبهت الثمر فى الجفن ويجمع على أشفار ، قال سيويه : ولا يكسر على غير ذلك » . وفى الأصل : « شفار » .

حدثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير قال حدثنا سيار عن جعفر قال : كنت اذا احسست من قلبي بقسوة أتيت محمد بن واسع فنظرت اليه نظرة ؛ قال : وكنت اذا رأيت وجهه حسبته وجهه تكلي .

وكان يقال : أخوك من وعظك برؤيته قبل أن يعظك بكلامه .

• تكلم الحسن يوما حتى أبكى من حوله فقال : عجيج كعجيج النساء ولا عزم ، وخدعة كخدعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً فيكون .

أبو عاصم قال : فقد مالك بن دينار مصحفه في مجلسه ؛ فنظر اليهم كلهم فيكون ؛ فقال : كلكم يكي ! فمن سرق المصحف ؟

قال عبد العزيز بن مرزوق : الكد أبقي للحنن ؛ وكانت له شعيرات في مقدم صدغه فإذا رقى تنفها أو ملها الى فوق فتقلص دمعها .

• قيل لغاليل بن عبيد الله : إنا نخاف على عينك العمى من طول البكاء ؛ فقال : هو لها شهادة ؛ قال بعض الشعراء :

سأبكيك حتى تُنفذ العين ماعها * ويسفَى مني الدمع ما أتوجع

وقال بعض الكُتّاب في مثله :

إبك من أنقع مافي البكا * أنه للأحزان تسهيل

وهو إذا أنت تأملتَه * حزن على الخلقين علول

• قيل لثغيرة العابدة : ألا تسأمين من طول البكاء ؟ فبكت ثم قالت : كيف

يسأم ذودايم من شيء يرجو أن يكون له فيه من دائه شفاء !

(١) كذا في الأصل ، وله محرف عن «داود» . (٢) المبيج : الصباح ورفع الموت .

(٣) كذا في الأصل وفي طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ١٨١) . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) والبيان والبيان (ج ٣ ص ٨١) : «غالب بن عبد الله» .

قال ابن أبي الحواري : رأيت أبا سليمان الداراني يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال : إنما أبكي لذلك القم الذي ليس فيه فرح ، وذلك الأمد الذي ليس له انقطاع .

قال بعضهم : أتيت الشام ، فررتُ بدير حرملة ، وبه راهبٌ كأن عينه عدلاً مزأراً ، فقلتُ : ما يبكيك ؟ فقال : يا مسلم ، أبكي على ما فرطتُ فيه من عمرى ، وعلى يوم مضى من أجلى لم يتبين فيه عملى . قال : ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ عنه ، فقالوا : أسلم وغزاً قَتِلَ في بلاد الروم .

أشعث قال : دخلتُ على يزيد الرقاشي فقال لى : يا أشعث ، تعالَ حتى نبكى على الماء البارد في يوم الظما ، ثم قال : والحقاه ! سبقنى العابدون وقُطِعَ بى ، وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة .

زيد الحميري قال : قلتُ لثوبانَ الراهب : أخبرنى عن لئس النصارى هذا السواد ، ما المعنى فيه ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب ، قال قلتُ : وكلكم معشر الرهبان قد أصيبَ بمصيبة ؟ فقال : يرحمك الله ! وأى مصيبة أعظم من مصائب الذنوب على أهلها ! قال زيد : فلا أذكر قوله ذلك إلا أبكاني .

ابن أبي الحواري قال : دخلتُ على أبي سليمان وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : يا أحمد ، إنه إذا جئ الليلُ وهدأتِ العيونُ وأبس كلُّ خليلٍ بخليله ، فرش أهلُ المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خنودهم يُسمع لها وقعٌ على أقدامهم ، وقد أشرف الجليلُ عليهم فقال : بعينى من تَلَنَّدَ بكلامى واستراج الى ، فإِ هذا البكاء الذى أراه منكم ! هل أخبركم أحدٌ أنَّ حبيباً يعتبُّ أحباءه ! أم كيف أتيتُ

(١) في العقد الفريد : « لم يحسن فيه عمل » . (٢) حكاه في الأصل ، وفي العقد الفريد

«أبرزيد الحمري» . (٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٦٨) : « وقال أبرزيد » .

قوما، وعند الليات أجدكم وقوفاً يتلقونى! فبى حلفت أن أكشف لم يوم القيامة عن وجهى ينظرون الى .

قالت خنساء : كنت أبكى لصخر من القتل ، فانا أبكى له اليوم من النار .

قال عمر بن ذر لأبيه : يا أبتى ، مالك اذا تكلمت أبكيت الناس ، واذا تكلم غيرك لم يبكيهم ؟ فقال : يا بنى ، ليست النائحة التكل مثل النائحة المستأجرة .

وفى بعض ما أوحى الله الى نبي من أنبيائه : هب لى من قلبك الخشوع ، ومن بدتك الخشوع ، ومن عينك الدموع ، وادعنى ، فإنى قريب .

وكان عمر يقول : استغزروا العيون بالندثر .

التهجد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرني معمر والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي زمة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فكنت أسمع ، اذا قام من الليل ، «سبحان الله رب العالمين» المروي من الليل ، ثم يقول : «سبحان الله وبجده» المروي .

حدثنا حسين قال حدثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة قال : سمعت الخيرة بن شعبة يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توزمت قدماءه ،

(١) فى الأصل : «يحيى بن أبي كنين» وهو تحريف . والتصويب من تهذيب التهذيب والملاحة وتقريب التهذيب . (٢) المروي بالفتح : الحسين الطويل من الزمان ، وقيل هو شخص بالليل . (لسان العرب) . (٣) فى الأصل : «زياد عن علاقة» بالقاء . وهو خطأ سواه «زياد بن علاقة» كما وضناه . (راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٣٨٠ ج ٤ ص ١١٧ ج ١٠ ص ٢٦٢ وطبقات ابن حبان (ج ٦ ص ٢٢١) .

فقيل : يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : «أفلا أكون عبدا شكورا» .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل .

بلغني عن رياح عن متمر عن رجل قد سمّاه قال : قال يزيد الرقاشي : إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم نمت فلا نامت عيناى ، وعلى الماء البارد السلام . يعنى بالنهار .

وروى جرير عن عطاء بن السائب قال : قال حبيدة بن هلال الثقفي : لا يشهد على ليل بنور ولا شمس بإفطار ، فبلغ ذلك عمر فاقسم عليه ليفطرت البيدين .

وروى حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن جده عمير بن حبيب قال : كان يقول لأهله : يا أهله ، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ ، إنه من يسبق الى الماء يظلم ، يا أهلا ، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ ، إنه من يسبق الى الظل يضحى .

قال أبو سليمان الداراني : أهل الليل في ليالهم ألد من أهل اللهوى لهم ، ولولا الليل ما أحبت البقاء .

خرج عيسى عليه السلام الى الحواريين ، وعليهم العباء وعلى وجوههم النور ، فقال : يا أبناء الآخرة ، ما ستم المتنعمون إلا بفضل نعيمكم .

(١) هكذا في الأصل ، ولم نوفق الى تحقيق هذه النسبة لمن يسمى «حبيدة بن هلال» ولم نثر عليه لافي كتب تراجم الرواة ولا في كتب الأنساب وغيرها من الكتب التي بين أيدينا ؛ وفي البيان واليسين (ج ٣ ص ٨٠) : «... عن حبيدة الثقفي ...» . (٢) الباء بالفتح : كساء من صوف مفتوح من قدام وليس فوق الثياب .

وقيل الحسن : ما بال المتجدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال : إنهم خلّوا بالرحمن فالبهم قورا من نوره .^(١)

حصّين بن عبد الرحمن عن إبراهيم قال : كان رجلٌ يقال له همام يقول :
اللهم أشفني من النوم بالسير، وأرزقني مهرا في طاعتك . وكان يُصبح وجهه مُرَجَلَةً ؛ فيقول بعضهم لبعض : إن جُمَّة همام تخبركم أنه لم يتوسّدها الليلة .^(٢)

قال عبد الله بن داود : كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه . وكان بعضهم يُحيي الليل ، فإذا نظر إلى الفجر قال : "عند الصباح يحدّ القومُ السرى"^(٣) .

حدثنا حسين بن حسن قال : أخذ الفضيل بن عياض بيدي ثم قال : يا حسين، يقول الله : كَذَبَ من ادّعى عِمِّي وإذا أَجَنَّهُ الليلُ نام عني، أليس كل حبيب يُحبّ خلوة حبيبه ! هانذا مُطْلِعٌ على أَحْبَائِي ، إذا أَجَنَّهُم الليلُ جعلتُ أَبْصَارَهُمْ في قلوبهم ، ومثلتُ نفسي بين أعينهم ، فخطبوني على المشاهدة وكلموني على الحضور .^(٤)

الوليد بن مسلم قال حدثني عبد الرحمن بن يزيد قال : سمّا نفاذى عطاء الخُرَاساني فكان يُحيي الليلَ صلاةً ، فإذا مضى من الليل ثلثه أو أكثر نادانا ونحن في فسطاطنا : يا عبدَ الرحمن بن يزيد ، ويا يزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز ، قوموا فتوضّعوا^(٥)

(١) في البغد القريد (ج ١ ص ٣٨٤) : «أسفر نورهم من نوره» . (٢) سموا بهما بالفتح والتشديد ومام بالضم والتخفيف . وإِستطع ضيله هنا لأنه ورد مجردا . (٣) الجنة بالضم : مجتمع شعر الرأس . ومرجفة : مسرعة . (٤) هذا مثل يضرب للرجل يحسن المشقة رجاء الراحة . (٥) هكذا في الأصل ، والمعنى منه غير مستقيم . ويظهر من سياق الكلام أن كلمة «نفاذى» الواردة في الأصل محذوفة من كلمة «قاري» من قارأه مقاراة إذا دارسه أي شاركه في الدرس ؛ وبها ينتم نظم الكلام ويستقيم المعنى . (٦) كذا بالأصل وتهذيب التهذيب وتغريب التهذيب . وفي الخلاصة : «النفاذى» بيا بعد الواو المحجمة .

وصلوا، فأت قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شرب الصديد ومن مقطعات الحديد؛ فالوحا الوحا ثم النجاء النجاء؛ ويُقبل على صلاته .

مالك بن يقول^(١) عن رجل من جُفَيٍّ^(٢) عن السدي عن أبي أراكَة قال : صَلَّى على القعدة ثم جلس حتى أرتفعت الشمس كأن عليه كابةً، ثم قال : والله ، لقد رأيتُ أثرًا من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فإ أرى أحدا يُسبِّهم، والله .
 إن كانوا ليُصبِّحون شعثًا غبرًا صُفْرًا، بين أعينهم مثل رُكْبِ المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله، يراوون بين أقدامهم وجباههم؛ إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم ريح، وأنهملت أعينهم حتى تبُل ثيابهم، وكأنهم، والله، باتوا غافلين . يريد أنهم يستقلون ذلك .

الحارثي عن الإفريقي قال حدثنا أبو عَقَمَةَ عن أبي هريرة قال : إن أهل السماء ليرَوْنَ بيوت أهل الذِّكْرِ تَضِيءُ لهم كما تضيء الكواكب لأهل الأرض .

يعلى بن عُبَيْد عن محمد بن عَوْن عن إبراهيم بن عيسى عن عبد الله بن عيسى قال : كونوا يَنَابِيعَ العلم، مَفَاتِيحَ الهدى، أَحْلَاسَ البيوت، جُدَدَ القلوب، خُلُقَانِ الثياب، سُرُجَ الليل، تُعْرِفُوا في أهل السماء، وَتُحَقِّقُوا في أهل الأرض .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا أبو الربيع الزهراني قال حدثنا أبو عَوَانَةَ عن المغيرة عن إبراهيم : في الرجل يرى الضوء [بالليل]؛ قال : هو من الشيطان، لو كان هذا فضلًا لأوثر به أهل بدر .

(١) كذا في تهذيب التهذيب وتهذيب التنبية وانظر في أسماء الرجال والقاموس وشرح، وفي الأصل :

« معول » بالعين المهملة، وهو محريف . (٢) جفَيٍّ : قبيلة من مذحج . (٣) الأحلاس

جمع جلس (بكسر الميم وسكون اللام) وهو من يلزم البيت ولا يرحه ؛ ومنه الحديث الشريف :

« كونوا أحلاس بيوتكم » أي الزموا . (٤) في الأصل : « تعرفون ... وتحققون ... » وقواعد

الفة تقتضي ما أفتناه ؛ ولوقوعهما جوابًا للامر . (٥) النكبة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) .

الموت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدثني عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب قال : نظرت الى عمر بن عبد العزيز فأدّمت النظر إليه ؛ قال : ما تنظرُ يا محمد ؟ قلت : أنظر الى ما أبيض من شعرك ، ونحلّ من جسمك ، وتغير من لونك ؛ فقال : أما والله لو رأيته في القبر بعد ثلاثة ؛ وقد سألتُ حذقاي على وجنتي ، وسال متخراي صديدا ودودا ، لكنتُ أشدَّ نكرةً^(١) .

وقال الأصمعيّ : دخلتُ بعضَ الجبّارين ، فإذا أنا بجاريةٍ ما أحسبها أتت عليها عَشْرُ سِنِينَ ، وهي تقول :

صَدِمْتُ الحَيَاةَ وَلَا تَلْتُمَا * إِذَا كُنْتُ فِي الْقَبْرِ قَدْ أَلْحَدْتُكَ
وَكَيْفَ أَذُوقُ لَذِيذَ الْكَرَى * وَأَنْتَ يَمْنَاكَ قَدْ وَسَّوْتُكَ

قال الأزديّ : بلغني أنّ داود الطائي مرَّ بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ وهي تقول :

بِأَيِّ خَدِّكَ تَبْدِي الْبَلَّ * وَأَيُّ عَيْنِكَ إِذَا سَلَا

فصبرَ مكانه ثم تعبد .

حدثني محمد بن مرزوق قال حدثنا محمد بن نصر المعلم قال حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَتَادَيْتُهُنَّ * أَيْنَ الْمَعْظَمُ وَالْمَحْتَقَرُ
وَأَيْنَ الْمُدْبِلُ بِسُلْطَانِهِ * وَأَيْنَ الْمَرْئِي إِذَا مَا انْقَصَرَ

(١) النكرة (يُضَعُّ النَّونُ وَالْكَافُ) : اسم من الانكار .

(٢) الجباين جمع جباة ،

قال : فتوديتُ من بينها ولا أرى أحدا :

تَفَاتُوا جَمِيعًا فَمَا تُخْبِرُ • وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبِيرُ
تَرَوْحُ وَتَقْدُونَاتُ التَّرَى • وَتُحَى حَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ
فِيَا سَائِلِي عَنْ أَنَايَسَ مَضَوْا • أَمَّا لَكَ فَيَا تَرَى مُعْتَبِرُ

قال : فرجعت وأنا أبكي .

بلغني أنه قرئ على قبر بالشام :

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ • غُلُبَّ الرِّجَالِ فَلَمْ تَسْمَعْهُمْ الْقُلُلُ^(١٣)
وَاسْتَنْزَلُوا بِسَدْعِزٍّ مِنْ مَعَاظِلِهِمْ • فَأَسْكِنُوا حُفْرَةَ يَابَسٍ مَا نَزَلُوا
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدٍ مَا دُفِنُوا • أَيْنَ الْأَسْرَةُ وَالتَّيْبَانُ وَالْحُلُلُ
أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُحِجَّةً • مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكُلُلُ^(١٤)
فَانْفَصَحَ الْقَبْرِ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لِم • تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ تَقْتُلُ^(١٥)
قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا نَعَمُوا • فَاصْبَحُوا بِعَدْطُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا^(١٦)

وقال آخر :

رَبِّ قَوْمٍ عَبَرُوا مِنْ عَيْشِهِمْ • فِي نَعِيمٍ وَسُرُورٍ وَغَشَقِ
سَكَتِ الدَّهْرِ زَمَانًا عَنْهُمْ • ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ تَلَقَّقِ

(١) في الإحياء القزالي : « تصنعو... » . (٢) القلل : جمع قلعة، وهي أعلى الجبل .

(٣) في تاريخ أبي الفدا (ج ٢ ص ٤٧ طبع الآستانة) : « فَا أَعْتَمَهُمْ » . (٤) في تاريخ

أبي الفدا : « منعة » . (٥) الكلل : جمع كلة (بكسر الكاف) وهي الستة الرقيق المعروف

في زمانه بهذا بالناحية . (٦) في تاريخ أبي الفدا : « يَتَلَقَّ » وفي اسم الجنس، كاللرد

هنا، يبرز الامران . (٧) في تاريخ أبي الفدا : « شربوا » .

نزل الثمان ومعه عدي بن زيد في ظل شجرة عظيمة ليُلْهوا ؛ فقال له مدى بن زيد : أتكري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ؛ قال يقول :

ربّ شرب قد أناخوا عندنا * يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم * وكذلك الدهر حالاً بعد حال

وقال إبراهيم بن المهدي :

بلق ربك كم بيت مررت به * قد كان يُعمر بالذات والطرب
طارَتْ عُقاب المنايا في سقائفه * فصار من بعدها الويل والحرب

أُتشدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش الخليل بن أحمد

العروضي :

كن كيف شئت ففصرك الموت * لا مَرَحْلٌ عنه ولا قَوْتُ
يُنا غَيَّ بيت وبهجته * زال النفي وهوى البيت

حدثني يزيد بن أسد عن الطنافسي قال حدثنا أبو محمد قال : كان مالك بن

دينار يخرج إلى القبور كل خميس على حمار قوطراني ويقول ^(٥) :

ألا تحي القبور ومن بيته * وجوه في القبور أحيته
فلو أن القبور سمن صوتي * إذا لأجبنني من وجليته
ولكن القبور صمتن عني * فأبْتُ بحسرة من عنديته

(١) في الكامل للبرد (طبع أوربا صفة ٢٨٣) : « ربرك... حولنا * يزجون... » وفي البيت

الثاني « عصف » بدل « لب » : (٢) في الأصل : « حمار المنايا » - (٣) فصرك :

قصاراك وعايتك - (٤) كذا بالأصل ، ولم نجد في مصدر آخر معنى بهذا اللفظ وإنما هموا

يزداد (بالهال) ويزدان (بالتون) - (٥) كذا بالأصل ولم نوفق إلى هذه النسبة .

ثم يبكي ويبكى .

قال معاوية بن أبي سفيان لعبيد بن شربة الجرهمي : أخبرتني بأعجب شيء رأيته في الجاهلية ؛ قال : إني نزلت بحجٍّ من قضاة فخرجوا بجنائز رجل من حُدرة يقال له حُرَيْث وخرجت معهم ، حتى إذا وأروه في حفرة انتبنت جانباً عن القوم وعيناي تَدْرِفان ثم تمثَّلتُ بأبيات شعركنتُ أروها قبل ذلك زمانٍ طويل :

تجرى أمورٌ ولا تَدْرِي : أوائلُها * خيرٌ لنفسك أم ما فيه تأخيرُ
فاستقدِّر الله خيراً وارضَ به * فينبا العسرُ إذ دارت مياسيرُ
وبيننا المرءُ في الأحياءِ مغتبطاً * إذ صار في الرمسِ تغفوه الأعاصيرُ
يبكى الغريبُ عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحىّ مسرورُ

قال : وإلى جانبي رجلٌ يسمع ما أقول ، فقال لي يا عبدَ الله ، هل لك علمٌ بقائل هذه الأبيات ؟ قلتُ : لا والله ؛ إلا أني أروها منذُ زمانٍ ؛ قال : والذي تحلِّفُ به إن قائلها لصاحبنا الذي دفنناه آنفاً ، وهذا الذي ترى ذو قرابته أسرَّ الناس بموته ، وإنك لغريبٌ وبكى عليه كما وصفتُ ؛ فحجبتُ لما ذكره في شعره وما صار إليه من أمره وقوله ، كأنه ينظر إلى مكانى من جنازته ، قلتُ : « إنَّ البلاءَ موكلٌ بالقول » ؛ فحجبتُ مثلاً .

قال أعرابيٌّ : خيرٌ من الحياة ما إذا فقدته أبغضتَ لفقدته الحياة ، وشرٌّ من الموت ما إذا نزل بك أحبتَ لتزوله الموت .

(١) في درة التراس للحريري (ص ٣٣ طبة الجواب) : "وما تدى أطبلها * أدنى لشكك"

وفي الأصل هنا : ولا يدى أوائلها * خيراً الخ ... وهو تحريف .

وقال أبو زُبَيْد :

يَمْلِكُ الْمَرْءُ بِالرَّجَاءِ وَيُضْحِي * غَرَضًا لِلتَّوْنِ نَقَبَ الْعَوْدِ
كُلَّ يَوْمٍ تَرْمِيهِ مِنْهَا بَرَشِقِي^(١) * فَصَيْبٌ^(٢) أَوْ صَافٍ غَيْرُ بَعِيدِ

وقال أبو العتاهية :

وَعظَمْتُ أَجْدَاتُ صُمْتُ * وَنَعْتُكَ أَزْمَنَةُ خُفْتُ
وَتَكَلَّمْتُ عَنْ أَوْجِهِ * تَبَلَّى وَعَنْ صُورِ شَنْتِ^(٣)
وَارِدَكَ قَبْرَكَ فِي الْقَبْرِ * رِوَانَتْ حَيًّا لَمْ تَمُتْ

وقال أعرابي : أَمْعَدَ سَفْرًا^(٤) أَوَّلُ مَنْقَلَةٍ مِنْهُ الْمَوْتُ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِي : مَاتَ
فَلَا نَأْمَحُ مَا كَانَ ؛ فَقَالَ : أَوْ صَحِيحٌ مِنَ الْمَوْتِ فِي حَقِّهِ ! وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

إِسْمَعُ فَقَدْ أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ * إِنْ لَمْ تَبَادِرْ فَهُوَ الْفَوْتُ
بَلْ كُلُّ لُذَاشِلْتِ وَعِشْ نَاعِمًا * آخِرُ هَذَا كَلَّةُ الْمَوْتُ

وكان صالح المزني يقول في قصصه :

مُؤْمَلٌ دُنِيََا لَتَبْقَى لَهُ * فَمَاتَ الْمُؤْمَلُ قَبْلَ الْأَمَلِ
وَبَاتَ يُرَوِّى أَصُولَ الْفَسِيلِ * فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّحْلُ^(٥)

وقال مسلم بن الوليد :

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنْاسٍ هَلَكُوا * وَبَكَى أَحِبَّائَهُمْ ثُمَّ بُعِكُوا
تَرَكُوا الدُّنْيَا لِمَنْ بَدَلَهُمْ * وَدُّهُمْ لَوْ قَتَلَهُوا مَا تَرَكُوا

(١) الرشي : الشوط من الرمي . (٢) صاف السهم عن الهدف : غلظه ولم يصبه .

(٣) كذا في ديوان أبي العتاهية طبع بيروت . وفي الأصل والمسدودى : « وعن صور شنت » .

(٤) المنقلة (الفتحة) : المرحلة من مراحل السفر . (٥) الفسيل : سفار النمل .

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مَلُوكٍ سُوقَةً * وَرَأَيْنَا سُوقَةً قَدْ مَلَكُوا
قَلْبَ الدَّهْرِ عَلَيْهِمْ وَرِيكًا * فَاسْتَدَارُوا حَيْثُ دَارَ الْقَلْبُ
حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِي التَّاهِيَةِ أَنَّهُ قَرَأَ لَهُ يَحْيَى عَلَى جِدَارٍ مِنْ جُدُرِ كَنِيسَةِ
الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ :

• مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا * دَارَتْ نَجُومُ السَّمَاءِ فِي الْقَلْبِ
إِلَّا بِنَقْلِ السُّلْطَانِ عَنْ مَلِكٍ * كَانَ يَحِبُّ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ
وَقَالَ آخَرُ :

مَا أَزَلَّ الْمَوْتَ حَقَّ مَتْلِهِ * مِنْ عَدَّ يَوْمًا لَمْ يَأْتِ مِنْ أَجَلِهِ
وَالصَّدِّقُ وَالْمَبْرُورُ لِقَانِ بْنِ * كَانَا قَرِينَيْهِ مَتْنَى أُمْلِهِ
• عَلَيْكَ صَدَقَ اللِّسَانُ مَجْتَهِدًا * فَإِنَّ جُلَّ الْهَلَاكِ فِي زَلَلِهِ
وَقَالَ الطَّرِيحُ :

فِيَارَبِّ لَا تَجْعَلْ وَفَاقِي إِنْ أَتَيْتُ * عَلَى شَرْحِجٍ يُسَلِّي بِدُنْكِ الْمَطَارِفِ
وَلَكِنْ أَجْزِ يَوْمِي شَيْئًا وَعُصْبَةً * يَصَابُونَ فِي فُجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
عَصَائِبُ مِنْ شَيْءٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُمْ * هُدَى أَفَقِ زَلَّالُونَ عِنْدَ الْمَوَاقِفِ
إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمْ فَارَقُوا الْأَذَى * وَصَارُوا إِلَى مَوْعِدِهَا فِي الْمَصَاحِفِ
فَأَقْتَسَلُ قَعَصًا ثُمَّ يَرْمِي بِأَعْظَمِي * كَيْصِفَتْ الْخَلَلَ بَيْنَ الرِّيحِ الْمَوَاصِفِ
وَيُصْبِحُ لِحَى بِلْطَنٍ طَيْرٍ مَقِيلَةً * تُدَوِّنُ السَّمَاءَ فِي نَسْرِ عَوَائِفِ

- (١) الشَّرْحِجُ : التَّشْوِ . (٢) رَمَيْتْ هَذِهِ الْجِلْفَةَ فِي الْأَصْلِ مَكَلًا : « وَلَكِنْ أُنْزِلُوهَا » . وَقَدْ وَدِدْتُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ فِي الْأَغَانِي فِي تَرْجُمَةِ الطَّرِيحِ بِاخْتِلَافٍ كَثِيرٍ فِي الْكَلِمَاتِ عَمَّا هُنَا . (٣) فِي الْأَغَانِي (ج ١٠ ص ١٦٠ طبع بولاق) : « إِلَى مَبَادِ مَا فِي الْمَصَاحِفِ » . (٤) قَعَصُهُ قَعَصًا : قَطَعَهُ مَكَاتَهُ . (٥) الْفَنَغَتْ : قَبَضَتْ حَشِيْشَ غُخْلَةٍ الزُّطْبِ بِالْيَاسِ . (٦) الْمَوَاقِفُ مِنَ الطَّيْرِ : الَّتِي تَسْتَدِيرُ عَلَى النَّاسِ . حَاشَاكَ حَوْلَهُ تَرِيدُ الْوَقُوعِ .

وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ قَالَ : اتَّخَذَ نُوحٌ بَيْتًا مِنْ حُصٍّ ، فَقِيلَ لَهُ لَوْ بَنَيْتَ بَيْتًا ؟
فَقَالَ : هَذَا لِمَنْ يَمُوتُ كَثِيرٌ .

بَلَغَنِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَانَ إِذَا
رَأَى جَنَازَةً قَالَ : إِيَّادِي فَإِنَّا رَائِحُونَ ، أَوْ قَالَ : رَوْحِي فَإِنَّا غَادُونَ ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ لَيْدٍ :
وَإِنَّا وَإِخْوَانُنَا قَدْ تَنَابَعُوا * لَكَا لَمُتْسَدِي وَالرَّائِحُ الْمَتَهَجِرُ^(١)

بَلَغَنِي عَنْ وَكِيعٍ عَنْ شَرِيكَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ هِلَالِ بْنِ إِسَافٍ قَالَ : مَا مِنْ
مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَفِي مِرْتَمِهِ مِنْ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا . قَالَ الْأَعْمَشِيُّ : أَوَّلُ
شَعْرِ قِيلَ فِي ذِمِّ الدُّنْيَا قَوْلُ ابْنِ خَلْفَانَ^(٢) :

هَلْ لَلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ رَاقِي * أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ وَاقِي
قَدْ رَجَلُونِي وَمَا رُجِلْتُ مِنْ شَعْبٍ * وَالْهَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَخْلَاقِي
وَطَيِّبُونِي وَقَالُوا أَيُّهَا رَجُلِي * وَأَدْرَجُونِي كَأَنِّي طَى غُرَاقِي^(٣)
هُوَ عَلَىكَ وَلَا تُؤَلِّعْ بِإِشْفَاقِي * فَإِنَّمَا مَا لَنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِي

مُحَمَّدُ بْنُ قُسَيْبٍ عَنْ عُثَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُثَيْرٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مَا لِي لَا أَحِبُّ الْمَوْتَ ؟ فَقَالَ لَهُ : « هَلْ لَكَ مَالٌ » ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
« قَدِّمَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ » ، قَالَ : لَا أَطِيقُ ذَلِكَ ، قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ الْمَرْءَ
مَعَ مَالِهِ إِنْ قَدِّمَهُ أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ وَإِنْ أَتْرَفَهُ أَحَبَّ أَنْ يَخْتَلِفَ مَعَهُ » .

الْمُحَارِبِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُثَيْرٍ قَالَ : قِيلَ لِلرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ فِي مَرَضِهِ : أَلَا
نَدْعُوكَ طَبِيبًا ؟ قَالَ : أَنْظِرُونِي بِئْسَ فِكْرٌ فَقَالَ : (وَعَادًا وَنَمُودًا وَاصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا)

- (١) كَذَا فِي دُرَيْانَ لَيْدٍ ، فِي الْأَصْلِ « الْمَتَجِر » بِأَلَاءٍ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٢) كَذَا فِي تَخَابِ
الْأَرَائِلِ لِأَبْنِ هِلَالٍ الْمَسْكِيُّ وَالْقَامُوسُ وَشَرَحَهُ مَادَّةُ « خَلَقَ » فِي الْأَصْلِ « خَلَقَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٣) غُرَاقٌ : ثَوْبٌ أَوْ مَثِيلٌ يُلْفَ وَيَضْرَبُ بِهِ .

بينَ ذلكَ كثيرًا) قد كانت فيهم أطلباءُ، فإِرى المداوِي بَقِيَ ولا المداوِي ؛ هلك
الناسُ والمنعوتُ له، لا تدعوا لى طيبيا .

إصحاق بن سليمان عن أبي أحمد قال : كان عمر بن عبد العزيز ليس له جِهيرى^(١)
إلا أن يقول :

• سرُّ بما بَيَّلى وتفرَّحَ بالمسنى * كما اغترَّ باللذاتِ فى النومِ حالمٌ
نهارك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ * وليسْلكَ نومٌ والردى لك لازمٌ
وسميكٌ فيما سوف تتركه فيه * كذلك فى الدنيا تعيشُ البهائمُ

كم من مستقيل يوما ليس بمستكمله ، ومتنظِّر غدا ليس من أجله ؛ لو رأيتم
الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأملَ وغروره .

١٠ لا يلبث القرآن أن يتغزقوا * ليل يَكُفِّرَ عليهم ونهارٌ

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن وِرد عن سالم بن بشير
ابن حَجَل عن أبي هريرة : أنه بكى فى مرضه فقال : أما إني لا أبكى على دنياكم
ولكننى أبكى على بعد سفرى وقلة زادى ، وأنى أُمسيتُ فى صُعودٍ مهبطه على جنةٍ
أونار، ولا أدرى على أيهما يؤخذ بى ! .

١٥ أبو جَنَابٍ قال : لما احتضرَ ماؤُ قال لجاريته : ويحك ! هل أصبحنا ؟

قالت : لا ، ثم تركها ساعة ثم قال لها : انظري ! فقالت : نعم ؛ فقال : أعوذ بالله
من صلب الى النار ! ثم قال : مرحبا بالموت ، مرحبا بزائر جاء على فاقةٍ ، لا أفتح
من نديم ! اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحبُّ البقاء فى الدنيا لكزى الأنهار ولا نرس
الأنهار ، ولكن كنت أحبُّ البقاء لمكابدة الليل الطويل ولظلمة الهواجر فى الحرِّ
الشديد ولزاحمة الملاء بالركب فى حلق الدُّكر .

٢٠

أبو اليقظان قال : لما احْتَضِرَ عمرو بن العاص جعل يَه في موضع القُل من عقبه ثم قال : اللهم إني أُمِرْتُ أَنْ فَرَطْنَا ، وَنَهَيْتُنَا فَوَكَيْتُنَا ، اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَسْعُنَا إِلَّا رَحْمَتُكَ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَجِيرُهُ حَتَّى قُبِضَ .

قيل لأَزَادَ مَرْدَنَ الْهَرَبِذِ حِينَ احْتَضَرَ : مَا حَالُكَ ؟ قَالَ : مَا حَالُ مَنْ يَرِيدُ سَفَرًا بِمَيْدَا بِلَا زَادٍ ، وَيَتَرَلُّ حَفْرَةً مِنَ الْأَرْضِ مُوحِشَةً بِلَا مُؤْنَسٍ ، وَيَقْدُمُ عَلَى مَلِكٍ جَبَّارٍ قَدْ قَتَمَ إِلَيْهِ الْعَنْدَرُ بِلَا مُجْبَةِ !

حَدَّثَنِي عَبْدَةُ الصَّفَّارُ قَالَ حَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ جَدِّ أَبِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ أُمِّيَّةَ بِنْتُ أَبِي الصَّلْتِ عِنْدَ وَفَاتِهِ وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ طَوِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى سَفْرِ الْبَيْتِ وَقَالَ : لَيْسَ لِي بَيْتٌ ، هَإِنَّا لَدَيْكَ ، لَا عَشِيرَتِي تَحْمِينِي ، وَلَا مَالِي يَفِيدُنِي ، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ طَوِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ :

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا • صَائِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لِيَتَقَى كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ • فِي رَمُوسِ الْجِبَالِ أَرْغَى الْوُصُولَا
ثُمَّ فَاضَتْ نَفْسُهُ .

الْحَكَمُ بْنُ عَثْمَانَ قَالَ : قَالَ الْمَنْصُورُ عِنْدَ مَوْتِهِ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ ارْتَكَبْتُ الْأُمُورَ الْعَظَامَ جُرْأَةً مِنِّي عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، مَتَى مَتَى لَا مَتَى عَلَيْكَ . وَكَانَ سَبَبُ إِحْرَامِهِ مِنَ الْخَضِرَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا نَائِمًا ، فَأَتَاهُ آتٍ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ :

(١) كذا بالأصل ، وأصل الكلمة في اللغة الفارسية "آزاد" بالهال المهملة قلل ما في الأصل

كأني بهذا القصر قد بادَ أهله * وعُرى منه أهله ومنازلهُ
وصار عميدُ القوم من بعد نعمة * إلى جَلَّتْ تُنْيَ عليه جناذُهُ
فلم يبق إلا رسمهُ وحديثُهُ * بُكِّي عليه مَعُولَاتِ حلالَتُهُ

فاستيقظ مرعوباً ثم نام قائماً الآتي فقال :

أبا جعفرٍ حانت وفائِكُ وانقضت * سنوك وأمرُ الله لا بدَ واقعُ
فهل كاهنٌ أعدته أو منجمٌ * أبا جعفرٍ عنك المنية دافعُ

فقال : يا ربيع اتننى بظهوري ، فقام واغتسل وصلى ولبي وتجهز للحج ، فلما
صار في الثلث الأول اشتدت علته ، بفعل يقول : يا ربيع ألقني في حرم الله ،
فلمات بئر ميمون^(٢) .

١٠ حدثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير عن العباس بن طالب قال : قال
الربيع بن بزة : كنت بالشام فسمعت رجلاً وهو في الموت يقال له : قل لا إله إلا الله ،
فقال : اشرب واسقني . ورأيت رجلاً بالأهواز قيل له : قل لا إله إلا الله ؛ فقال :
ده يا زده وده دوازده . وقيل لرجل بالبصرة : قل لا إله إلا الله ؛ فقال :
يارب قاتلة يوماً وقد لقيت * كيف الطريق إلى حمام منجيب^(٤)

١٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معمر عن أبيه قال : لقن ميتك ، فإذا
قالها فدمعه يتكلم بشيها من أمر الدنيا ولا تُضجره .

(١) بُكِّي (بالتشديد) : مثل تَكِي بالتخفيف . (٢) بئر ميمون : بكه منسوبة إلى ميمون

ابن خالد بن عامر بن الحضري . (٣) هذه كلمات فارسية معني الأولى منها عشرة أحده عشر
ومعني الثانية عشرة اثنا عشر . وهي كلمات إبراهيم عليه السلام هذيان الاحتضار . (٤) حمام

منجيب (بكسر الميم) : ينسب إلى منجيب بن راشد النخعي .

قال مالك بن ضيغم : لما احتضر أبي قلنا له : ألا توصي ؟ قال : بلى ، أوصيكم بما أوصى به إبراهيمُ بنه ويعقوبُ : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ وأوصيكم بصلة الرحم وحسن الجوار وفعل ما استطعتم من المعروف ، وادفونني مع المساكين .

وقال عمر بن عبد العزيز لأبيه : كيف تحبُّك ؟ قال : في الموت ؛ قال : لأن تكون في ميزاني أحبَّ إليَّ من أن أكون في ميزانك ، قال : وأنا والله لأن يكون ما تحبُّ أحبَّ إليَّ من أن يكون ما أحبُّ .

احتضر سيويه النحوي فوضع رأسه في حجر أخيه ففطرت قطرة من دموع أخيه على خده ، فافاق من غشيته وقال :

أُخِينِ كَمَا فَتَرَقَ النُّهْرُ بَيْنَنَا * إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى وَمِنْ يَأْمَنِ الْبَهْرَا !

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال : قيل لمريم بن حبان : أوص ، فقال : قد صدقتني نفسي في الحياة ، مالي شيء أوصي فيه ، ولكن أوصيكم بخواتيم سورة التحل .

قال الشاعر :

مَا ارْتَدَّ طَرَفُ امْرِئٍ بِلِحْظَتِهِ * إِلَّا وَشَيْءٌ يَمُوتُ مِنْ جَسَدِهِ

وقال آخر :

الْمَرْءُ يَشْقَى بِمَا يَسْعَى لَوَارِثِهِ * وَالْقَبْرُ وَارِثٌ مَا يَسْعَى لَهُ الرَّجُلُ

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن أبي حيان التيمي عن أبيه قال : أوصي الربيع بن خيثم وأشهد على نفسه وكفى بالله شهيدا

وجازياً لعباده الصالحين ومُثيباً : إني رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، وأوصي نفعي ومن أطاعني أن يعبد الله في العبادين ويمجده في الخامدين وينصح الجماعة المسلمين ؛ وأوصي أهله : ألا تُشعروا بي أحداً وسؤلوني الى ربي سلاً .

- ٥ حدثني محمد بن أحمد بن يونس قال سمعتُ عمر بن جرير المهاجري يقول : لما مات دُز بن عمر بن دُز قال لأصحابه : الآن يضيع الشيخ (لأنه كان به باراً) ؛ فسمعها الشيخ فقال : أتى أضيعُ والله حتى لا يموت ! فلما واره التراب وقف على قبره وقال : رحمك الله يا دُز ! ما علينا بملك من خصاصة وما بنا الى أحد مع الله حاجة ، وما يمرني أتى كنت المقدم قبلك ، ولولا هول المطلق لتميتُ أن أكون مكانك ، لقد شغلني الحزنُ لك عن الحزن عليك ، فياليت شعري ما ذا قلت وما قبل لك ! ثم رفع رأسه الى السماء فقال : اللهم إني قد وهبتُ حتى فيما بيني وبينه له ، نهبتُ حقك فيما بينك وبينه له . ثم قال عند انصرافه : مضيت وتركتك ، ولو أقمنا ما فعلناك .

- ١٥ حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا شريح بن النعمان عن عبد العزيز بن أبي سامة الماحشون عن عبيد الواحد بن أبي عون عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوَّقه لو تزل بالجلالِ الراسيات ما نزل بأبي لهاظها ، اشرأب^(١) التفاق بالمدينة وارتنت العرب ، فوَّقه ما اختلفوا في نقطة إلا طار أباي بمحظها وغنائها في الإسلام » . وكانت مع هذا تقول : « من رأى عمر بن الخطاب عرف أنه خُلِقَ غناءً للإسلام ، كان والله أحوزياً^(٢) نسج

(١) في الأصل : « وغناها » . (٢) الأحوزى : الحسن الباق للا مودقيه بض الفار .

وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها» . وقالت عند قبره : « رحِمك الله يا أبت ! لقد قتت بالدين حين وهي شعبة وتفانم صدَّعُه ورجفت جوانبُه ؛ إقبضت مما أصغوا إليه، وشمرت فيما وثوا فيه واستخففت من دنياك ما استوطنوا وصغرت منها ما عظموا ورعت دينك فيما أغفلوا ، أطلوا عنان الأمن واقتعدت مطي الحذر، ولم تهضم دينك ولم تئسِّن غلك ففاز عند المساهمة قدحك وخف مما استوزروا ظهرك » . وقالت أيضا عند قبره : « نصر الله وجهك يا أبت ! فلقد كنتَ للدنيا مذلًّا بإدبارك عنها، وللآخرة مِعزًّا بإقبالك عليها؛ ولئن كان أجل الزايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأكبر المصائب قدُّك إنَّ كتاب الله ليعُدُّ بحمائل العزاء عند أحسن العوَض منك، فأنا أتمجِّج من الله موعوده فيك بالصبر عليك، واستعصمه منك بالاستغفار لك؛ عليك سلامُ الله ورحمته، توديع خير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك » .

قال الحسين بن عليّ عند قبر أخيه الحسن : « رحِمك الله أبا محمد ! إن كنتَ لتباصر الحقَّ مظانّه، وتؤثر الله عند تباحض الباطل في مواطن التقيّة بحسن الرويّة، وتستشِفّ جليل معاطم الدنيا بين لها حاقرة، وتفيض عليها يدا طاهرة الأطراف نقيّة الأسرّة، وتردّع بادرة غريب أعدائك بأيسر المؤونة عليك؛ ولا غرو وأنت ابن

(١) وهي شعبة : تفرق وتفرق جمعه . (٢) أصغوا إليه : مالوا إليه . (٣) شمر : جث .

وفي الأصل : « سموت » وهو تحريف ، اذ ما بعده بين ما أثبتناه . (٤) كذا بالأصل .

(٥) التي في نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٦٧ طبع دار الكتب المصرية) : « ان كتاب الله ليعد بحسن

الصبر فيك وحسن الوض منك » . (٦) تداحض الباطل : من الدحض وهو الزلق واللال ،

ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بين أيدينا ، فقلها « عند مداحض الباطل » جمع « مدحضة »

كثرة وزنا ومعنى . (٧) الأسرّة : جمع مراد (بالكسر) وهي الخلوطة التي تبدو في ظاهر اليد

والجبهة .

سلالة النبوة ورضيخ لبان الحكمة ؛ قال رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ؛ أعظمُ الله لنا ولكم الأجر عليه ، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الأمل عنه ^(١) .

- حدثني عبد الرحمن بن الحسين السعدي عن محمد بن مُصعب : أن ابن السماك قال يوم مات داود الطائي في كلام له : إن داود رحمه الله نظر قلبه الى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصر القلب بصر العين ، فكان كأنه لا ينظر الى ما اليه تنظرون ، وكأنكم لا تنظرون الى ما اليه ينظر ، فأنتم منه متعجبون وهو منكم يسجب ، فلما رأيكم راغبين منهولين مغرورين قد أنهلت الدنيا عقولكم وأماتت بجهها قلوبكم استوحش منكم ، فكنت اذا نظرتُ اليه نظرتُ [الى] حق وسط أهواي . يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك ! أهنت نفسك وانما تريد إكرامها ، وأتعبتها وانما تريد راحتها ، أخشلت المعلم وانما تريد طيبه وأخشلت الملبس وانما تريد لينه ، ثم أمت نفسك قبل أن تموت ، وقهرتها قبل أن تقبر ، وعدبتها ولما تعدب ^(٢) ، وأغيتها عن الدنيا لكيلا تدكر ، وغبثت نفسك عن الدنيا فلم ترها لك قدرا الى الآخرة ، لما أظنك إلا وقد ظفرت بما طالبت ؛ كان سميائك في شرك ولم يكن سميائك في علايتك ، تفقعت في دينك وتركك الناس يغنون ، وسمعت الحديث وتركتمهم يُحدثون ، وترسست عن القول وتركتمهم ينطقون ، لا تحسد الأخيار ، ولا تعيب الأشرار ، ولا تقبل من السلطان عطية ، ولا من الإخوان هدية ؛ أنس ما تكون اذا كنت باقه خاليا ، وأوحش ما تكون أنس ما يكون الناس ؛ فمن ميمع بمثلك وصبر صبرك وعزم عزمك ! لا أحسبك إلا وقد أتعبت العابدين بسذك ، صبحت نفسك في بيتك فلا تحدث لك ولا جليس معك ولا فراش تحتك ولا ستر مل بابك

٢٠ (١) الأمل (بضم الال و يفتح) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا) وهي ما ينزى به .

(٢) في الأصل «ولما أن تعذب» . زيادة «أن» بعد «ولما» وليس هذا من مواضع زبانتها .

وَلَا قَلَّةٌ يُبَدِّدُ فِيهَا مَأْوُكَ وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا عَدَاؤُكَ وَعِشَاؤُكَ ، مِطْهَرُكَ قَلْبُكَ وَقَصْعُكَ تَوَرُّكَ . داود ما كنت تشتهي من الماء باردَه ولا من الطعام طيبَه ولا من اللباس لينَه ، بل ! ولكن زهدت فيه لما بين يديك ؛ فما أصغر ما بذلت ، وما أحقر ما تركت في جنب ما أملت ، فلما ميت شهرك ربك بموتك ، وألْسَكَ رداءَ عَمَلِكَ ، وأكثرَ تَبَعِكَ ، فلورأيت من حضرك عرفت أنك ربك قد أكرمك وشرفك ، فتتكلم اليوم عشيرتك بكلِّ ألسنتها ، فقد أوضح ربك فضلها بك ، ووالله لو لم يدع عبدا إلى خيرٍ بعمله إلا حُسِّنَ هذا النسر من كثرة هذا التبع ، لقد كان حقيقا بالاجتهاد والجهاد لمن لا يضيع مُطِيعا ولا ينسى صديقا شاكرا ومُثِمِّيا .

وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه ،
لحق رجائي وآمن خوفي .

مات ابن لائس بن مالك فقال أنس عند قبره : اللهم عبدك وولد عبدك وقد رد إليك ، فارأف به وارحمه ، وجاف الأرض عن بدنه ، وانفتح أبواب السماء لرُوحه وقبَّله بقبولٍ حسنٍ . ثم رجع فأكَل وشرب وأذهن وأصاب من أهله .
وقال جرير في امرأته :

لَا يَلِيْتُ الْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا * لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ
صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُحْيَرُوا * وَالطَّيِّبُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ

وقفت أعرابية على قبر ابنها فقالت : والله ما كان مالك لعريسك ، ولا همك لنفسك ، وما كنت إلا كما قال القائل :

رَجِبُ الذَّرَاعِ بَالِي لَا تَسِينُهُ * وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا ذَرْعُهَا

حدثني محمد بن داود عن الصلت بن مسعود قال : كان سفيان بن عيينة يستحسن شعر عدى بن زيد :

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما هم على الأسرة والأند * حاط أقضت إلى التراب الحدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد
وأطباء بعدهم لحقوهم * ضلّ عنهم سوطهم واللدود
وحصيح أخفى يسود مريضاً * وهو أدنى للوثة من يسود
أخذه على بن الجهم فقال :

كم من طليل قد تحطّاه الردى * فنجا ومات طليبه والموء

- حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الملك بن حمير عن ربيعي بن حراش قال : أتيت أهلك قبيل لي : مات أخوك ، فوجدت أهلك مسجى عليه بثوب ، فانا عند رأسه أترحم عليه وأدعوه إذ كشف الثوب عن وجهه فقال : السلام عليكم ، قلنا : وعليك السلام ، سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إني تقيت بروح وريحان ورب غير غضبان ، وكساني ثياباً من سندس وإستبرق ، وإني وجدت الأمر أيسر مما تظنون . ولا تتكلموا ؛ إني استأذنت ربي أن أخبركم وأبشركم ، إحملوني إلى رسول الله ، فقد عهد إلى ألا أبج حتى ألقاه ثم طلع^(٢) .

حدثني أبو مهمل عن علي بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة بن زاذان عن ثابت أن مطرفاً كان يسلم على دابته بين المقام فأغى فإذا أهل القبور جلوس على

- (١) السوط : الدواب التي يؤخذ من الأنف ، والدود (وزان مسود) : ما يؤخذ من الدواب بالمسطر ويصب في أحد شق النعم . (٢) حمد وسكن . (٣) كذا بالأصل ولعلها ينشد .

^(١) شَقَّاهُ قُبُورَهُمْ يَقُولُونَ : هَذَا مُطَرَّفٌ يَرْوِجُ إِلَى الْجُمُعَةِ ؛ قُلْتُ : هَلْ تَعْرِفُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، وَمَا تَقُولُ الطَّيْرُ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ ، يَقُولُونَ : سَلَامٌ ، يَوْمَ صَالِحٌ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنْ تَجْرِيَ الْعَيْنُ الَّتِي حَفَرَهَا — قَالَ سُفْيَانُ : تُسَمَّى عَيْنَ أَبِي زَيْدٍ — نَادَوْا بِالْمَدِينَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ فَلْيَاتِ قَتِيلَهُ ؛ قَالَ جَابِرٌ : فَاتَيْنَاهُمْ فَانْتَرَجْنَاهُمْ رَطَابًا يَنْتَوْنُ ، وَأَصَابَتِ الْمِسْحَاةُ رَجُلًا وَرَجُلًا مِنْهُمْ فَانْفَطَرَتْ دَمًا . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : لَا يُنْكِرُ بَعْدَ هَذَا مُنْكَرٌ أَبَدًا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُجَيْرٍ قَالَ : أَهْلُ الْقُبُورِ يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ فَإِذَا أَتَاهُمُ الْمَيِّتُ سَأَلُوهُ : مَا فَضَّلَ فُلَانٌ ؟^(٢) فَيَقُولُ : أَلَمْ يَأْتِكُمْ ! فَيَقُولُونَ : إِنَّا نَقَّهْ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، سَلِّكَ بِهِ فَيْرُ سَيْلِنَا .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّبَسِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ السَّامِيُّ عَنْ الرِّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ قَالَ : شَهِدْتُ ثَابِتَ الْبُنَاتِيِّ يَوْمَ مَاتَ وَشَهِدَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، فَدَخَلْتُ قَبْرَهُ أَنَا وَحُمَيْدُ الطَّوِيلُ وَأَبُو جَعْفَرٍ حَسَنٌ مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَسْوَى عَلَيْهِ اللَّيْنَةَ سَقَطَتْ مِنْ يَدِي فَلَمْ أَرَفِ فِي الْحَدِّ أَحَدًا ، وَأَصْبَحْتُ إِلَى حُمَيْدٍ أَنْتَ اخْطِطَفَ صَاحِبُنَا وَضَجَّ النَّاسُ فَسَوَّيْنَا عَلَى الْحَدِّ وَحَثَوْنَا التُّرَابَ ؛ فَلَمْ يَكُنْ لِحُمَيْدٍ هِمَّةٌ حَتَّى أَتَى سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ فَاخْبَرَهُ ، فَقَالَ : مَا يُنْكِرُ قُدْرَةُ إِلَّا أَنِّي أَنْكَرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا يُفْعَلُ هَذَا بِهِ ، فَهَلْ عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ سِوَاكَ ؟ قَالَ :

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ « أَشْفَاءُ » جَمْعُ شَفَا أَيْ حَرَفَ . (٢) انْفَطَرَتْ دَمًا : سَالَتْ

دَمًا ، يُقَالُ انْفَطَرَتْ قَدَمُ ظَلَانٍ أَوْ أَصْبَحَ دَمًا أَيْ سَالَتْ وَفِي الْأَصْلِ : « انْفَطَرَتْ » بِالْقَافِ وَلَمْ يَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ الَّتِي بَأَيْدِيهَا صِحَّةُ أَقْسَلٍ مِنْ قَطَرٍ . (٣) يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ : يَنْظُرُونَهَا وَيَسْأَلُونَ عَنْهَا .

نعم، الربيع بن صبيح وحسن، قال : عدلان مرصيان، فبعث أمتاء جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه في قبره .

وحديثي أيضا عن أعرابية كان يُقال لها أم غسان مكفوفة وكانت تعيش بمفردها وتقول : الحمد لله على ما قضى وأرضى، رضيت من الله ما رضى لي ، وأستعين الله على بيت ضيق الفناء قليل الكواء^(١) وأستعين الله على ما يطالع من نواحيه . وماتت جارة لها فقيل لها : ما فعلت جاركك ؟ فقالت :

تقسم جارأتها يتها * وصارت الى يتها الأتله

وقالت يوما : إن تقبل الله مني صلاة لم يعدّني، فقيل لها : كيف ذلك؟ قالت : لأن الله عز وجل لا يثني في رحمته وسليمه، قال : وكنت سمعت حديث معاذ «من كُتبت له حسنة دخل الجنة» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أم غسان تقول ١٠ هذا، فعرفت تأويله :

السكر والمشيب

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن عبد الجليل بن عطية عن شهر ابن حوشب عن عمرو بن عتبة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من شاب شربة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة ما لم يتخضبها أو يثقبها» .

أبو حاتم عن الأصمعي عن شيخ من بني فزارة قال : مررت بالبادية وإذا شيخ قاعد على شفير قبر، وإذا في القبور رجال كأنهم الرماح يدفنون رجلا والشيخ يقول :

(١) الكواء : جمع كوة وهي الخرق في الخائط .

أُحْثُوا عَلَى الدَّيْسَمِ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * قَلِمًا أَبِي رَبِّكَ إِلَّا مَا تَرَى^(١)
فقلت له : مَنْ المَيْتُ ؟ فقال : ابْنِي ، قُتِلَ لَه : مَنْ الَّذِينَ يَدْفِنُونَهُ ؟ قال :
بَنُوهُ .

حَقَّقْنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : دَخَلَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ الْمَسْجِدَ يُهَادِي^(٢) بَيْنَ أَشْيَيْنِ
مَنْ الْكِبَرِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَتَّخِمُهُ عَلَى مَوَدَّتِهِ : بَلَفْتَ مَا أَرَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ !
قَالَ : هُوَ مَا تَرَى فَلَا بَلَفَتَهُ . وَنَحْوَهُ قَوْلُ الشَّامِرِ :
* يَا طَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلَفَتَهُ *

وَيُقَالُ فِي الزُّيُورِ : « مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتَكَى مِنْ ضِرْعِلَّةٍ » . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ
النَّبَطِيُّ : لَا تَسْأَلْ حَسَّكَ الْعَامَ مَا أَعْطَيْتَكَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي .
رَأَى ضَرَارُ بْنُ عَمْرِو الضُّبِّيِّ لَهُ ثَلَاثَةٌ عَشَرَ ذِكْرًا قَدْ بَلَغُوا فَقَالَ : مِنْ سِرِّهِ بَنُوهُ
سَاءَتْهُ نَفْسُهُ .

قَالَ ابْنُ أَبِي قَتَيْنٍ :

مَنْ طَاشَ أَخْلَقْتَ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ * وَخَانَهُ الثَّقَنَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
قَالَتْ عَهْدَتُكَ مَجْنُونًا قُتِلْتُ لَهَا * إِنَّكَ الشَّبَابَ جُنُونٌ بِرُؤْيُ الْكِبَرِ
أَبُو عَيْسَةَ قَالَ : قِيلَ لَشَيْخٍ : مَا بَقِيَ مِنْكَ ؟ قَالَ : يَسْقِيُنِي مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ ،
وَيُدْرِكُنِي مَنْ خَلْفِي ، وَأَنْبَى الْحَدِيثِ ، وَأَذْكُرُ الْقَدِيمِ ، وَأَتَعَسُّ فِي الْمَلَأِ ، وَأَسْهَرُ
فِي الْخِلَاءِ ، وَإِذَا قُتِلْتُ قُرْبَتِ الْأَرْضُ مِنِّي ، وَإِذَا قَعَدْتُ تَبَاعَلْتُ حَتَّى ؛ قَالَ الشَّامِرُ :
قَالَتْ عَهْدَتُكَ مَجْنُونًا قُتِلْتُ لَهَا * إِنَّكَ الشَّبَابَ جُنُونٌ بِرُؤْيُ الْكِبَرِ

(١) كُنَّا بِالْأَصْلِ وَجَاءَ هَذَا اللَّيْتُ فِي السَّانِ مَادَّةُ « دَمِ » هَكَذَا

أَخْبَنِي عَلِيٌّ دَيْسَمٌ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * أَبِي قَضَاءُ اللَّهُ إِلَّا مَا تَرَى ٢٠

(٢) بِالْبَاءِ الْقُفُولُ أَيْ عَمِيَ بَيْنَهُمَا مُتَعَدِّيًا عَلَيْهِمَا لِمُضَعَفِهِ .

قال عبد الملك بن مروان للريان بن الهيثم : كيف تحبُّك ؟ قال : أجدني قد أبيض متى ما كنتُ أحبُّ أب يسود واسود متى ما كنتُ أحبُّ أن يبيض واشتد متى ما أحبُّ أن يلين ولان متى ما أحبُّ أن يشتد وقال :

سَلِّني أُنَيْتَكَ بِآيَاتِ الْكِبَرِ * نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسُعَالُ السَّحَرِ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرَ * وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ
وسرعة الطرف وتحمُّج النظر ^(١) * وتركك الحسنة في قُبُلِ الطُّهَرِ
والناس يَبْلَوْنَ كما تَبْلَى الشَّجَرُ *

وقال حميد بن ثور :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَاجَى بِهَذِجَةٍ * وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصْبَحَ وَتَسَامَا

وقال الكبيش :

لَا تَفْطِطِ الْمَرْءَ أَنْ يُهْبَالَ لَهُ * أَمْعَى فَلَانٌ لَيْسَتْهُ حَكَا
إِنْ سَرَّ طَوَّلَ عَمْرَهُ فَلَقَدْ * أَحْصَى عَلَى الْوَجْهِ طَوَّلَ مَا سَامَا

وقال الجرجري بن قنبل :

يَوَدُّ الْفَتَى طَوَّلَ السَّلَامَةِ وَالْفَتَى * لَكَيْفَ تُرَى طَوَّلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

(١) التحمُّج : تصغير العين لتكهنها من الظن ، ويحال على إدامة التفرغ لفتح العينين ، وهكذا ذكره الأزهري والجريري وغيرهما بلقاء المهمة قبل ألم وإلهم المهمة بعدها ، وفي الأسفل : « تحمُّج » بتقديم الجيم وتأخير الحاء ، وهو موافق لما رواه ابن الأثير في حديث عمر بن عبد العزيز « فلتحقَّ بمحج إلى الشاهد الظن » ثم قال : هكذا ورد في كتاب أبي موسى وكانه واقع أم لم يسو ، وقال الجرجري : هي لغة في التحمُّج (انظر اللسان ماذق جمع وجمع) .

وقال آخر :

كانت فتاتي لا تَلِينُ لغامز * فالانها الإصباحُ والإساءُ
ودعوتُ ربِّي بالسلامة جَاهِدا * لِيُصَحِّحِي ^(١) إِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

وقال أبو العتاهية :

* أصرَّعَ في نقص امرئٍ تَمَامُهُ *

وقال صبد الحميد الكاتب :

تَرَحَّلْ مَا لَيْسَ بِالْقَائِلِ ^(٢) * وَأَعْقِبْ مَا لَيْسَ بِالْآئِلِ
فَلَهْفِي مِنْ الْخَلْفِ النَّازِلِ * وَلَهْفِي عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ
أُبْكِي عَلَى ذَا وَابِكِي لَنَا * بَكَاءَ الْمَوْفَةِ النَّاسِكِ
نُبْكِي مَنْ آبَنَ لَهَا قَاطِعِ * وَتُبْكِي عَلَى آبَنِ لَهَا وَاصِلِ
تَهَضَّبْتَ غَوَايَاتُ سُرَّالِهَا * وَرَدَّ الثَّقَى عِنْدَ الْبَاطِلِ

محمد بن سلام الجعفي عن عبد القاهر بن المري قال : كتب الجحاج الى قتبية
ابن مسلم : إني نظرتُ في سنِّكَ فوجدتُكَ لِدَقِّ ^(٣) وَقَدْ بَلَغْتَ الْخَمْسِينَ وَإِنَّ أَمْرًا
سَارَ إِلَى مَنَهِلِ خَمْسِينَ عَامًا لَقَرِيبٌ مِنْهُ . فسمع به الجحاج بن يوسف التيمي فقال :

إِذَا كَانَتْ السَّبْعُونَ سِنِّكَ لَمْ يَكُنْ * لِدَائِكَ إِلَّا أَنْ تَمُوتَ طَلِبُ
وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ سَارَ سَبْعِينَ حِجَّةً * إِلَى مَنَهِلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ
إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَهْلُ * خَلَوْتُ وَلَكِنْ قَلَّ عَلَى رَقِيبُ
إِذَا مَا أَهَضَى الْقَرْنَ الَّذِي أَنْتَ مِنْهُ * وَخُلِّقْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ

(١) كذا بالقيد الفريديج ١ ص ٣٢٥ وبالأصل : « لينيني » . (٢) في الأصل « رجل » .

ولا يستقيم منه الوزن . (٣) لغة الريل : تربه .

وقال لبيد :

أليس ورأى إن تراخت متنبى * لزوم العصا نَحَى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي مضت * أدب كَأَنى كلما قمت راسكُم

وقال آخر في مثله :

حتنى حانيات التهر حتى * كَأَنى خَاتِل يدنو لصيد^(٢)

وقيل لرجل من الحكماء : مالك تَدِينُ إمساكَ العصا ولست بكبير ولا مريض ؟
فقال : لأذكر أُنَى مسافر؛ قال الشاعر :

حملتُ العصا لا الضمُّهُ أوجب حملها * على ولا أُنَى تخنيتُ من كِبَر
ولكننى ألزمتُ نَفْسِي حملها * لأعاليها أُنَ المقيم على سَفَر

ومرَّ شيخ من العرب بفلام فقال له الفلام : أَحَصَدْتَ ياعَمَاهُ فقال : يا بَنَى^(٣)
وَتُحْتَصِدُونَ .

قال الحسنُ في موعظة له : يا معشر الشيوخ، الزرعُ إذا بلغ ما يُصنَع به ؟ قالوا :
يُحَصَد . يا معشر الشباب كم من زرع لم يبلغ أدركته آفة^(٤)، قال الشاعر :

التهر أبلانى وما ألبيتُه * والتهرُ فترى وما يتغير
والتهرُ قيدنى بخيط مبرم * فشئتُ فيه وكلَّ يوم يقصر

١٥

(١) كذا في اللسان مادة «نخل» وفي الأصل «قائبات» . (٢) كذا في اللسان مادة
نخل وفي الأصل «حابل» . (٣) أحصت : آن لك أن تحصد . (٤) كذا بالأصل :
وهذه الجملة غير منتظمة مع ما قبلها فقل بعض الكلمات سقطت بينها وبين الجملة التي قبلها وبين المزارد
«ثم قال» الخ .

وقال عُمارة بن حَقِيل :

وَأَدْرَكْتُ مِلَّةَ الْأَرْضِ نَاسًا فَاصْبَحُوا * كَأَهْلِ التَّيَّارِ قَوْضُوا فَحَمَلُوا
وَمَا نَحْنُ إِلَّا رُفْقَةٌ قَدْ تَرَحَّلْتُ * وَأُخْرَى تُقَضَّى حَاجِبُهَا وَتَرَحَّلُ

ذَكَرَ أَعْرَابِي الشَّيْبَ فَقَالَ : وَاقِهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْكَرَ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فَقَدْ صَرْتُ
أَنْكَرَ السُّودَاءِ ، فَيَا خَيْرَ بَدَلٍ وَيَا خَيْرَ مَبْدُولٍ ^(١) . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الْبَرِّ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفَوَادِ
وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بَوَّاسٍ * وَنَسِمْ طَلَائِعُ الْأَجْسَادِ
طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ فَإِنْ عَمَّ رُتُّ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَهُ السُّودَ

رَأَى إِيَّاسُ بْنُ قَتَادَةَ شَعْرَةَ بَيْضَاءَ فِي لِحْيَتِهِ ، فَقَالَ : أَرَى الْمَوْتَ يَطْلُبُنِي وَأَرَانِي
لَا أَفُوتُهُ ، أَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ فُجَاءَاتِ الْأُمُورِ ، يَا بَنِي سَعْدٍ قَدْ وَهَبْتُ لَكُمْ شَبَابِي
فَهَبُوا لِي شَيْئِي ، وَلِزِمَ بَيْتَهُ .

قَالَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ : الشَّيْبُ خِطَامُ الْمَنِيَةِ .

قَالَ آخَرُ : الشَّيْبُ بَرِيدُ الْحِمَامِ .

قَالَ آخَرُ : الشَّيْبُ تَوْعَمُ الْمَوْتِ .

قَالَ آخَرُ : الشَّيْبُ تَارِيخُ الْمَوْتِ .

قَالَ آخَرُ : الشَّيْبُ أَوَّلُ مَرَاهِلِ الْمَوْتِ .

قَالَ آخَرُ : الشَّيْبُ تَمْهِيدُ الْحِمَامِ .

قَالَ آخَرُ : الشَّيْبُ عَتَوَانُ الْكِبَرِ .

(١) كُنَّا فِي الْأَسْلِ : وَهَذَا يُوَافِقُ قَوْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ : هَذَا بَابُ الْمَبْدُولِ مِنَ الْحُرُوفِ ، وَنَحْوُ هَذِهِ

كَمَا فِي السَّانِ مَادَّةُ «بَدَل» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَدَلَ مَعْنَى «وَفِي الْعَقْدِ الْقَرِيدِ» : «مَبْدَلٌ» .

قال عبيد بن الأبرص : * والشَّيبُ شَيْنٌ لِمَن يَشِيبُ * . ويقال : شَيْبَ
الشَّعْرَ مَوْتُ الشَّعْرِ ، ومَوْتُ الشَّعْرِ عِلَّةُ مَوْتِ الْبَشَرِ . قال الشاعر :

وكان الشبابُ النضُّ لى فيه لذة * فوقرنى عنه المشيبُ وأذبا
فَسَقِيًّا ورَعِيًّا للشبابِ الذى مضى * وأهلا ومهلا بالمشيبِ ومرحبا

وقال أعرابي - ويقال هى لأبى دُلَف - :

فى كل يوم من الأيام ثابتة * كأنما نبتت فيه على بصرى
لئن قرضتك بالمقراض عن بصرى * لما قرضتك عن همتى ولا لكرى

وقال أعرابي :

أرى الشيبَ مذ جاوزتُ خمسين دائبا * يَدِبُ دَيْبَ الصَّبَحِ فى غَسَقِ الظُّلَمِ
هو السُّمُّ إلا أنه غيرُ مُؤْلِم * ولم أرَ مثلَ الشيبِ شُما بلا ألم
وقال آخر :

قَصَرَ الحَوَادِثُ خطوهَ قَدَانِي * وَحَتَّى صَدَرَ قَنَاهُ فَتَنَانِي
صَحِبَ الزَّمَانَ على اختلافِ فُتُونِهِ * فَأَرَاهُ مِنْهُ شِدَّةٌ وَلَيَانَا
مَا بَالُ شَيْخٍ قَدْ تَخَذَ لِحْمَهُ ^(١) أَنْضَى ثَلَاثَ عَمَائِمِ الْوَانَا
سَوْفَاءَ دَاجِيَةٍ وَتَحَقَّقَ مَقْوِفٌ ^(٢) * وَأَجَدْتُ أُخْرَى بَعْدَ ذَلِكَ هِجَانَا ^(٣)
فَمِ الْمَاتِ وَرَاءَ ذَلِكَ كَلِّهِ * وَكَأَنَّمَا يُعَقَى بِذَلِكَ مِثْوَانَا
وقال آخر يذكر الشباب :

لما مضى ضلالتنا عنا فودعنا * وكان كالميت لم يسترك له عَقَبَا
عُدْنَا إِلَى حَالَةٍ لَا نَسْمَعُ طَيْعُهَا * وَصَلَ الْغَوَايِ وَغَابَ الشَّيْبُ مَنَ لَعِبَا

(١) أنضى : أبلى راحق . (٢) الحق : الثوب البالى ، والمقوف من البرود ما فيه خطوط
يضي . (٣) الهبان : الخالص اليابس .

وقال محمود الوزاق :

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الْأَجَلِ * وَبَعْدِ فَوَاتِ الْأَمَلِ
وَوَاقِدِ شَيْبِ طَرَا * بِعُقْبِ شَبَابِ رَحَلِ
شَبَابٌ كَانَ لَمْ يَكُنْ * وَشَيْبٌ كَانَ لَمْ يَزَلِ
طَوَاكَ^(١) بَشِيرُ الْبَقَا * وَبَاءَ بَشِيرُ الْأَجَلِ
طَوَى صَاحِبٌ صَاحِبًا * كَذَاكَ انْتِقَالُ الدُّوَلِ

وقال أبو الأسود يلتم الشباب :

خُذَا مِنْكَ أَسْبَابُ الشَّبَابِ فَاسْرَمَا * وَكَانَ بَكَارِ بَابِ يَوْمًا فَوَدَّعَا
قُلْتُ لَهُ فَأَذْهَبْ ذَمِيمًا فَلَيْتَنِي * قَطَعْتُكَ عَلِمًا قَبْلَ أَنْ تُصَدَّعَا
جَنَيْتَ عَلَى الذَّنْبِ ثُمَّ خَذَلْتَنِي * عَلَيْهِ قَبْلُ السَّخْلَانِ هُمَا مَعَا
وَكُنْتُ سَرَابًا مَا مَعَهَا^(٢) إِذْ تَرَكْتَنِي * رَهِينَةً مَا أَجْنَى مِنَ الشَّرِّ أَجْمَعَا

وقال آخر :

اسْتَنْكَرْتُ شَيْبِي قُلْتُ لَهَا * لَيْسَ الْمَشَيْبُ بِنَاقِصِ عُمْرِي
وَتَقَسَّتْ بِي هِمَّةٌ وَصَلَتْ * أُمِّلِي بِكُلِّ رَفِيعَةِ الذِّكْرِ

روى عبد الله بن حفص الطاحي عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدي عن أبيه
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اخْتَبِئُوا بِالسَّوَادِ ، فَإِنَّهُ أَسُّ لِلنِّسَاءِ وَهَيْئَةٌ
لِلْمَلَوِ . قال عمر بن المبارك الخزاعي .

مَنْ لَإِذْنِي بِمَلَامٍ * وَلِصَّغْتِي بِمُدَامٍ^(٣)
دَقَّ عَظْمُ الْجَهْلِ مِنِّي * وَانْتَقَى شَنْ عُرَامِي

٢٠ (١) طواك : جاوزك . (٢) ما ضعا : ما بدا ويظهر . (٣) كذا في الأصل ، ومن
المجمل أن يكون : " ما انتقى من عرامي " والبرام : الغدة والقوة .

وَتَعْتَشَى الْفَدُّ مِنْ شَيْءٍ * حَى إِلَى الشَّيْبِ التَّوَامُ^(١)
تَظَلَّمَكَ الدَّرُّ إِلَى الدَّرَّةِ * فِي سِلْكِ النَّظَامِ

وقال أبو العتاهية :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبَ * وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
فَكُنْ مُسْتَعْدًّا لِلدَّاعِي الْمَتُونِ * فَكَلَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبُ * فَاشَّاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ * فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ

محمد بن سلام قال : سمعتُ يونسَ بن حبيب يقول : لا يَأْمَنُ مَنْ قَطَعَ
فِي خَمْسَةِ دَرَاهِمٍ خَيْرَ عَضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَكُونَ عَقَابُهُ هَكَذَا فَعَدَا .

الدنيا

حدثني أبو مسعود الدارمي قال حدثني جدي خراش عن أنس بن مالك قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ وَسَدَمَهُ نَزَعُ اللَّهِ
النِّفَى مِنْ قَلْبِهِ ، وَصَبِرَ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ
أَصْبَحَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ وَسَدَمَهُ نَزَعُ اللَّهِ الْفَقْرَ مِنْ قَلْبِهِ وَصَبِرَ النِّفَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَتَتْهُ
الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » .

حدثني محمد بن داود قال حدثني أبو الربيع عن حماد عن علي بن زيد عن
الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحَّاك بن سفيان : « مَا طَعَامُكَ » قال :
الْهَلْمُ وَاللَّبَنُ ، قال : « ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى مَاذَا » قال : ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى مَا قَدْ عَلِمْتُ ، قال :

(١) التَّوَامُ : جمع تَوَامٍ ، وأصله المولود مع غيره في بطن ، ويستمر في الدرجات كما وقع في هذا البيت .

(٢) السَّدَمُ : الهَجْعَةُ وَالْوَلُوحُ بِالْهَيْءِ .

« فَإِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَا يُفْرَجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا » قَالَ : وَكَانَ بَشِيرٌ بَنُ كَيْسٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ إِذَا فَرِغَ مِنْ حَدِيثِهِ : انْطَلِقُوا حَتَّى أُرِيَكُمْ الدُّنْيَا ، فَيَجِيءُ فَيُقِفُّ بِهِمْ عَلَى السُّوقِ ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ مَزْبَلَةٌ ، يَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عَمَلِهِمْ وَتَمَنِّيهِمْ وَإِلَى دَعَائِهِمْ وَبَطْئِهِمْ صَارَ إِلَى مَا تَرَوْنَ .

(١١) حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ مَوْسَى قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُزَوِينِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ عَنْ هَارُونَ بْنِ عَتَرَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَةَ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ : (لَنْ يُرِيدَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ بِكَ يَدَيْهِ أَنْ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فَقَالَ : « إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ وَانْقَسَحَ شُرْحُ ذَلِكَ الصَّدْرِ » ، قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَلْ لَكَ آيَةٌ يُعْرِفُ بِهَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ الْإِثَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْوَيْلِ قَبْلَ تَزُولِ الْمَوْتِ » . ١٠

بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ عَنْ حَبِيبِ الْمَدَنِيِّ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَسْنَةَ قَالَ : رَأَيْتُا وَرَقَةً يَهْقُوهَا الرِّيحُ فَارْسَلْنَا بَعْضَ الْقِتَانِ فَأَتَانَا بِهَا فَإِذَا فِيهَا : الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلِّمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا ، مَا أَخَذَ أَهْلُهَا مِنْهَا لَهَا خَرَجُوا مِنْهُ ثُمَّ حُوسِبُوا بِهِ ، وَمَا أَخَذَ مِنْهَا أَهْلُهَا لِنَفْسِهَا خَرَجُوا مِنْهُ ثُمَّ أَقَامُوا فِيهِ ، وَكَانَ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا ، هُمْ فِيهَا كَنَ لَيْسَ فِيهَا ، عَمِلُوا بِمَا يُبْصِرُونَ وَإِنْدَرُوا مَا يَحْذَرُونَ ، تَقَلَّبَ أَجْسَادُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَتَقَلَّبَ قُلُوبُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ ، يَرَوْنَ النَّاسَ يُعْظَمُونَ وَفَاتَهُ أَجْسَادُهُمْ وَهُمْ أَشَدُّ تَغْلِيًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَهْلِيهِمْ . فَسَأَلْتُ عَنِ الْكَلَامِ فَلَمْ أَجِدْ مَنْ يَعْرِفُهُ . ١٥

وَقَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَأَمْرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا .

وفي بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا « مَنْ خَلَفَنِي فَأَخْدِمِيهِ ،
وَمَنْ خَدَمَكَ فَأَسْتَعِدِّمِيهِ » .

قال بعضُ العابدين يَذْكُرُ الدنيا :

لقد غَرَّت الدنيا رجالاً فأصبحوا * بمِثْلَةِ ما بِمِسْدا مُتَحَوِّلُ
فَسَاخِطُ أَمْرِ لَا يُسَدِّلُ غَيْرَهُ * وراضٍ بأمرٍ غَيْرِهِ سَيِّئِلُ
وَبَالِغُ أَمْرِ كَانُ يَأْمُلُ دُونَهُ * وَغَتْلُجٍ مِنْ دُونِ مَا كَانَ يَأْمُلُ

وقال آخرُ يَذْكُرُ الدنيا :

خَوْفُهَا رَصْدٌ وَعَيْشُهَا رَيْقٌ ^(١) * وَزُكْرُهَا نَكْدٌ وَمُلْكُهَا دُولُ

وقال آخر :

زُرَاعُ لَذَّةِ الْمَوْتِ سَاعَةٌ ذَكَرَهُ * وَتَعَرَّضَ الدُّنْيَا فَنَلَهُوْهُ وَلَمَسُ
وَنَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا خُلِقْنَا لَهَا ^(٢) * وَمَا كُنْتُ مِنْهُ فُهَوْ شَيْءٌ مُحِبُّ

وقال يحيى بن خالد : دخلنا في الدنيا دُخُولًا أُنْجَرَجْنَا مِنْهَا .

ذَمُّ رَجُلٍ الدُّنْيَا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَبَقَهَا ، وَدَارُ نَجَاةٍ لِمَنْ فَهَمَ عَنْهَا ، وَدَارُ رُغْيٍ لِمَنْ تَرَقَّدَ مِنْهَا ، مَهْطُ
وَحْيِ اللَّهِ ، وَمُصَلٍّ مَلَائِكَتِهِ ، وَمَسْجِدُ أَنْبِيَائِهِ ، وَمَسْجَرُ أَوْلِيَائِهِ ، رَجُوعُهَا مِنْهَا الرَّحْمَةُ ^(٣)
وَأَحْسَبُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فَنَظَرُوا فِيهَا وَنَدَّتْ بَيْنَهَا وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَشَبَّهَتْ بِسُرُورِهَا
السُّرُورَ وَبِإِبْلَاءِهَا تَرْغِيًا وَتَرْهِيًا ، فَيَا أَيُّهَا الدَّامُ الدُّنْيَا الْمُطَّلُ قَسَمَهُ ، مَتَى خَدَعْتُكَ
الدُّنْيَا أَمْ مَتَى اسْتَدَمَّتْ إِلَيْكَ ! أَمْ بِمَصَارِعِ آبَائِكَ فِي اللَّيْلِ ! أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَهَاتِكَ فِي النَّهْرِ !

(١) رصد : مترصدة متريقة . (٢) ريق : كدو . (٣) يريد أن الناس أبناء الدنيا

فهم منها ، ولهذا كانت محبوبة لهم (٤) استنمت إليك : غلت ما كادها على فله .

كَمْ مَرَضَتْ بِيَدِكَ، وَطَلَّتْ بِكَفِّكَ، تَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ، وَتُسَوِّفُ لَهُ الْأَطْبَاءَ،
فِدَاءَ لَا يُغْنِي عَنْهُ دَوَاؤُكَ، وَلَا يَنْفَعُكَ بِكَأُوكَ .

كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ آدَمَ الْعَجَلِيَّ يَقُولُ :

نُفِّعْ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا * فَلَا دِينَنَا بِنَقْيِ وَلَا مَا نُرْقِعُ ^(١)

• قَالَ أَبُو حَازِمٍ : وَمَا الدُّنْيَا ! أَمَا مَا مَضَى لِحُلْمٍ وَأَمَا مَا بَقِيَ قَامَانِي .
قَالَ سَفِيَّانُ :

أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَجَى مِنَ الْآثِيَاءِ « اتَّخِذِ الدُّنْيَا ظُلْمًا وَالْآخِرَةَ أُمًّا » .
قَالَ الشَّعْبِيُّ : مَا أَعْلَمُ لَنَا وَلِلدُّنْيَا مَثَلًا إِلَّا مَا قَالَ كَثِيرٌ .

أَسْبَغِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لِمَمْلُوءَةٍ * لَنَبْنِي وَلَا مَقَالِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ ^(٢)

• قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : الْمُسْتَفْنَى عَنِ الدُّنْيَا بِالدُّنْيَا كَالْمَطْفَى النَّارَ بِالْبَثْنِ .
قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : الدُّنْيَا كُلُّهَا غُومٌ ، فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ رِيحٌ .
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَفْصَةِ : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا .

وَقَالَ بَعْضُ الْحِكَمَاءِ : مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ ضَرَّتَانِ إِنْ أَرْضَى
إِحْدَاهُمَا أَضْحَكَ الْأُخْرَى .

• قَالَ سَفِيَّانُ : تَرَكَ لَكُمْ الْمُلُوكُ الْحِكْمَةَ فَأَتَرُكُوا لِمِ الدُّنْيَا .

وَقَالَ آخَرُ : إِنْ الدُّنْيَا قَدْ اسْتَوْدَعَتْ وَأَنْعَمَ النَّاسُ ^(٣) .

(١) كَذَا رَوَدَ فِي الْإِحْيَاءِ النَّزَالِ (ج ٣ ص ١٥٥) طبع مسروعه المعروف في رواية هذا البيت
وفي الأصل : « تمزق » في الموشعين ، وهو مخريف .

(٢) قتل : تغيبت ، وفيه التفات من الخطاب إلى التبية . (٣) يقال : ودعت القمر تدق

وهذا ما استودعت إذا طلعت القمل .

قال وهيب بن الورد : مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَلْيَتَّهَبْ لِلذَّلِّ .

قيل لمحمد بن واسع : إِنَّكَ لَتَرْضَى بِالذُّنُوبِ ، فَقَالَ : إِنَّمَا رِضَى بِالذُّنُوبِ مَنْ رَضِيَ
بِالدُّنْيَا .

قيل لعلي بن الحسين : مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَرًا ؟ فَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرِ الدُّنْيَا خَطَرًا
لِنَفْسِهِ .

كَانَ يُقَالُ : لِأَنَّ تَطْلُبَ الدُّنْيَا بِاقْبَاجِ مَا تُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ تُطْلَبَ
بِأَحْسَنِ مَا تُطْلَبُ بِهِ الْآخِرَةُ .

قَالَتْ امْرَأَةٌ لِبُعْلِهَا وَرَأَتْهُ مَهْمُومًا : مِمَّ هُمَّكَ ؟ أِبَالِدُنْيَا قَدْ فَرَّخَ اللَّهُ مِنْهَا
أُمَّ بِالْآخِرَةِ فَرَادَكَ اللَّهُ هُمًّا ! .

التَّوْرَى قَالَ : قَالَ الْمَسِيحُ : حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالْمَالُ فِيهَا دَاءٌ
كَثِيرٌ ؛ قِيلَ : مَا دَاءُهُ ؟ قَالَ : لَا يَسْلُمُ [صَاحِبُهُ] ^(١) مِنَ الْفَخْرِ وَالْكَبَرِ ؛ قِيلَ : وَإِنْ
سَلِمَ ؟ قَالَ : يَسْتَقْلَهُ لِإِصْلَاحِهِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

بُنِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قُضَيْلٍ قَالَ : حَلَسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سَالِمِ بْنِ
أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : يَا هَلْ حِصْنٌ ، مَا لِي أَرَاكُمْ تَجْمَعُونَ كَثِيرًا ، وَتَبْنُونَ
شَدِيدًا ، وَتَأْمَلُونَ بَعِيدًا ! إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ جَمَعُوا كَثِيرًا وَبَنَوْا شَدِيدًا وَأَمَلُوا بَعِيدًا فَصَارَ
جَمْعُهُمْ بُورًا وَصَارَتْ مَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا وَأَمْلَهُمْ غُرُورًا . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : يَا هَلْ
دَمَشَقُ ، مَا لَكُمْ تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تَذَرُكُونَ !
أَلَا إِنْ حَادَا وَتَوَدَّكَانَا قَدْ مَلَّشُوا مَا بَيْنَ بَصَرَى وَعَدَنَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَنَعَمًا ، فَمَنْ
يَسْتَقْرِئُ مِنِّي مَا تَرَكَوْا بِدَرَمَيْنِ !

(١) زيادة خطها السابق .

بلغنى عن داود بن الحبر عن عبد الواحد بن الخطّاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم نريد البصرة ، حتى اذا كنا بين الرصافة وحمص سمعنا صياحا يصيح من بين تلك الرمال — سمعته الآذان ولم تره العيون — يقول : يا مستور يا محفوظ ! اعقل في ستر من أنت ! فإن كنت لا تعقل لا تعقل [من أنت] في ستره فأتني الدنيا فإنها حبي الله ؛ فإن كنت لا تعقل كيف نقيها قصيرها شوكا ثم انظر أين تضع قدميك منها ! .
 قال المأمون : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما أحسنت أن تصف نفسها صفة
 أبي نواس في هذا البيت :

إذا اختبر الدنيا لبيبٌ تكتشف * له من عدو في ثياب صديق
 قال المسيح عليه السلام : أنا الذي كثفت الدنيا على وجهها ، فليست لي زوجة
 تموت ولا يئس بحرب .
 قال أبو العتاهية :

يا من ترفع للدنيا وزينتها * ليس الترفع رفع الطين بالطين
 إذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين
 وقال آخر وذكر الدنيا :

إذا تم أمر دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم
 وقال آخر :

لا تبك للدنيا ولا أهلها * وإليك ليوم تسكن المافرة^(٢)
 وإليك اذا صبح أهل الثرى * فاجتمعوا في ساحة الساهرة^(٣)
 وإليك يا دنيا لقد قصرت * آمال من يسكنك الآخرة

٢٠ (١) زيادة يطلعها السياق . (٢) أى الأرض التي تحفرها قبرهم ، فيها المافرة والمراة المحفورة . (٣) الساهرة : الأرض وقيل : وجهها ؛ قال تامل : (كأذا هم بالساهرة) . وقيل : هي الأرض التي لم توطأ وقيل : هي أرض يجدها الله يوم القيامة . (انظر اللسان مادة مهر) .

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي^(١)

- قام فقال : إنه لما مهَّل علينا ما توعَّرَ على غيرنا من الوصول إليك ، فمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهارنا في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي عند انقطاع عُذر الكُتَّانِ ، ولا سيَّما حين انَّسَمَتَ بِسْمِ التَّواضع وَوَعَدَتِ الله وَحَمَلَتْ كِتَابَهُ إِثَارَ الْحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهُ ، بِحَمَعِنَا وَإِيَّاكَ مُشْهَدٌ مِنْ مَشَاهِدِ التَّحْيِصِ يُتِمُّ مُؤَدِّيْنَا عَلَى مَوْعِدِ الْأَدَاءِ وَقَالَيْنَا عَلَى مَوْعِدِ الْقَبُولِ ، أَوْزَيْدُنَا تَحْيِصُ الله إِيَّانَا فِي اخْتِلَافِ السَّرِّ وَالْغَلَانِيَةِ ، وَيُحِيلُنَا حِلْيَةَ الْكُتَّانِيْنَ ، فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُونَ : مَنْ حَبَّبَ اللهُ عَنْهُ الْعِلْمَ عَذَّبَهُ عَلَى الْجَهْلِ ، وَأَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ وَأَدْبَرَ عَنْهُ ، وَمَنْ أَهْدَى اللهُ إِلَيْهِ عَالِمًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَقَدْ رَغِبَ ١٠ عَنْ هُدْيَةِ الله وَقَصُرَ بِهَا ، فَاقْبَلْ مَا أَهْدَى اللهُ إِلَيْكَ مِنَ السَّنَنِ قَبُولَ تَحْقِيقِ وَعَمَلِ لَا قَبُولَ سَمْعٍ وَرِيَاءٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُكَ مَتَى إِعْلَامٌ لِمَا تَجْهَلُ أَوْ مَوَاطِئُ عَلَى مَا تَعْلَمُ أَوْ تَذَكُّرٌ مِنْ غَفْلَةٍ ، فَقَدْ وَطَّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نِيَّةَ عَلَيْهِ السَّلَامِ عَلَى تَرْوِهَا تَرْوِيَةً عَمَّا قَاتَ وَتَحَصَّيْنَا مِنَ التَّهَادِي وَدَلَالَةِ عَلَى الْخُرْجِ ، فَقَالَ : (وَأَمَّا بِتَرْغِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزَوُّجٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) ، فَاطْلُجِ اللهُ عَلَى قَلْبِكَ بِمَا يُتَوَرَّعُ مِنْ إِثَارِ الْحَقِّ وَمُنَابَذَةِ الْأَهْوَاءِ . ١٥
- ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بيننا المنصور يطوف ليلًا إذ سمع قائلًا يقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظُهُورَ الْبُغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ ، فَخَرَجَ الْمَنْصُورُ

بجلس ناحية من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوهُ، فصلى الرجل ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البغي والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوافقه لقد حشوت مسامعى ما أرمضنى^(١) ؛ قال : يا أمير المؤمنين إن أمتنى على قضى أنباتك بالأمر من أصولها، وإلا أحتجرت منك وأقتصرت على نفعى فيها لى شاغل، فقال : أنت [أمن] على نفسك [قل] ؛ فقال : إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البنى والفساد لأنت ؛ قال : ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصرع والبيضاء فى قبضتى والحلو والحامض عندى ! قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ! إن الله تبارك وتعالى استرطاك المساكين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والابجرو أبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجدت نفسك فيها عنهم، وبشت عمالك فى جباية الأموال وجمعها وقوتهم بالرجال والسلاح والكرأع، وأمرت بالآ يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ففرمتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ألا يجيبوا عنك، تجيى الأموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا : هنا قد خان الله فإنا لا نخونه وقد بين لنا نفسه ! فآثمروا بالآ يصل اليك من علم أخبار الناس شئ إلا ما أرادوا، ولا يفرج لك حامل فيخالف أمرهم إلا قصبوه عنك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره،

(١) أرمضى : أودعنى وآلمنى . (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤

(٣) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ وفى الأصل « وأمرتهم » . (٤) قصيره : طابره

وشقوره وبالعقد الفريد « شقوره » .

- فلما انتشر ذلك عنك وعندهم ، أعظمهم الناس وهابوهم ، فكان أول من صابهم ثمالك بالهدايا والأموال ليَقْوُوا بها على ظلم رعيك ، ثم فصل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيك لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلات بلاد الله بالطمع بغير فساد ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فإن جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بظانك [خبره]^(١) سالوا صاحب المظالم ألا يرفع مظالمته اليك ، فإن المتظلم منه له بهم حُرمة ، فأجابهم خوفا منهم ؛ فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه ، فاذا أجهد وأحرج وظهرت ، صرخ بين يديك ، ففُضِرَ صَراحا مبرحا ، ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فلا تنكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ! وقد كنت يا أمير المؤمنين [أسافر]^(٢) الى الصين فقدمتها مرة وقد أُصيب ملكها بسمعه ، فبكي يوما بكاء شديدا فحسه جلساؤه على الصبر فقال : أما إني لست أبكي للبلية النازلة بي ، ولكنني أبكي لمظلوم بالباب يصرخ ولا أسمع صوته ثم قال : أما إذ ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا يلبس ثوبا أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب القيل طرقا نهاره ، وينظر هل يرى مظلوما . فهذا يا أمير المؤمنين مُشرك بالله ظلمت رأيته بالمشركين كُفَّ نفسه وأنت مؤمن بالله ثم من أهل بيت نبيه لا تطلب رأيك بالمسلمين على شيء نفسك ! فإن كنت إنما تجمع المال لوليك ، فقد أراك الله عبرا في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مأل ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ، ولست

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥ (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٦٥

(٣) كذا في العقد الفريد « فحسه » وفي الأصول « فحده » وهو محرف .

بالذي تُعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المال لتشديد
السلطان فقد أراك الله عبداً في بنى أمية: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة
وأعدوا من الرجال وال سلاح والكرّاج حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلت إنما أجمع
المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا
منزلة لا تُدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين، هل تُعاقب من عصاك
بأشد من القتل قال المنصور: لا، قال: فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك
الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكن بالخلود في العذاب الأليم، قد رأى
ما قد عُقِدَ عليه قلبك وحمك جوارحك ونظر إليه بصرك واجترحت يدك ومشت إليه
رجلك، هل يفنى عنك ما تَصَحَّتْ عليه من ملك الدنيا إذا انقضى من يدك وذلك
إلى الحساب، فبكي المنصور وقال: يا ليتني لم أخلق! ويحك! فكيف أحتال لنفسى
قال: يا أمير المؤمنين إن الناس أعلاماً يفرعون إليهم في دينهم ويرضون بهم لاجلهم بطانتك
يرشدوك، وشاورهم في أمرك يُسَدِّدوك، قال: قد بعث إليهم فهرأوا منى، قال:
خافوا أن يجهلهم على طريقتك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصُرِ المظلوم واقنع
الظالم وخذ التي والصداقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله وأهله
الغلمان عنهم أن يأموك ويُسَدِّدوك على صلاح الأمة. وجاء المؤذنون فسلموا عليه
فصلى وعاد إلى مجلسه وطلب الرجل فلم يوجد.

مقام آخر والمنصور يخطب

خَطَبَ المنصورُ فَمَدَّ الله ومعنى في كلامه، فلما انتهى إلى أشهد أن لا إله إلا
الله وثب رجل من أقصى المسجد فقال أذكرك من تذكر، قال المنصور: سمعنا
فهم عن الله وذكره وأعوذ بالله أن أكون جباراً عصياً وأن تأخذني العزة بالإثم

لقد ضَلَلْتُ أذا وما أنا من المهتدين، وأنتَ واللهِ أيها القائل ما أردتَ بها اللهَ ولكن حاولتَ أن يقال: قام فقال صَوِّبَ فَصَبَرَ، وَأَهْوَنُ بِقَائِلِهَا لَوْ هَمَمْتُ، فَاهْتَلَيْهَا ^(١) وَبَكَ إِذْ غَفَوْتُ، وَإِذَا كَمَعَ شَرَّ النَّاسِ وَأَخْتَهَا، فَإِنَّ الْمَوْعِظَةَ عَلَيَا نَزَلَتْ وَمِنْ عِنْدِنَا انْبَثَتْ فُرُودًا الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِهِ يُصَدِّرُوهُ كَمَا أَوْ رَدُّوهُ، ثُمَّ رَجِعَ إِلَى خُطْبَتِهِ فَقَالَ: وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

قال للمنصور: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فأشتر نفسك ببعضها، واذ كر ليلته ^(٢) تَخَضُّعُ عَنْ يَوْمٍ لَلَّيْلَةٍ بَدَدَهُ؛ لَوْجَمَ أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ قَوْلِهِ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ: يَا عَمْرُو غَنِمْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ هَذَا صَحْبَكَ عَشْرِينَ سَنَةً لَمْ يَرَكَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَحَّكَ وَوَمَا وَاحِدًا وَمَا يَمَلِّ وَرَاءَ بَابِكَ بَشْيءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سَنَةٍ نَيْسَةٍ؛ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَمَا أَصْلُحُ! قَدْ قُلْتُ لَكَ: خَاتَمِي فِي يَدِكَ فَتَمَالِ وَأَصْحَابُكَ فَافْكِنِي؛ قَالَ عَمْرُو: أَدْعَا بِعَدْلِكَ فَتُخِخْ أَنْفُسُنَا بِعَوْنِكَ؛ بِيَابِكَ أَلْفَ مَطْلَبَةٍ أَرُدُّ مِنْهَا شَيْئًا نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ .

مقام أعرابي بين يدي سليمان

قام فقال: إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فيه بعض النِفْطَةِ فَاحْتَمِلْهُ إِنَّ كَرِهَتَهُ، فَإِنْ وَرَّاهُ مَا تُحِبُّهُ إِنْ قَبِلْتَهُ؛ قَالَ: هَاتِ يَا أَعْرَابِي؛ قَالَ: فَإِنِّي سَأُطْلِقُ لِسَانِي بِمَا تَحَرَّسْتُ عَنْهُ الْأَلْسُنُ مِنْ عِظَمِكَ تَأْدِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ إِمَامَتِكَ، إِنَّهُ قَدْ

(١) فاهتليها أى اغتنيها، والاحتيال: الاغنام وابتهاز الفرصة . (٢) في الأصل

«أغتمت» ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا «أغم» متديا وإنما يقال: «غمه الأمر» من

اكتشفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهم حربٌ للأخرة مسلمٌ للدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمك الله عليه، فإنهم لن يألوا الأمانة تضییعا والأمة عسفاً وخسفاً، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غيباً من باع آخرته دنيا غيره . قال سليمان : أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك، وهو أقطع سيفيك؛ فقال: أجل، لك لا عليك .

مقام أعرابي بين يدي هشام

قال : أنت على الناس سنون، أما الأولى فلحيت اللحم^(١)، وأما الثانية فاكلت الشحم، وأما الثالثة فهاضت العظم^(٢)، وعندكم فضولٌ أموال، فإن كانت لله فاقسموها بين عباده، وإن كانت لهم فقيم تحفظ عنهم ! وإن كانت لكم فتصنعوا عليهم بها فإن الله يجزي المتصدقين؛ فأمر هشام بمالٍ فقيم بين الناس وأمر للأعرابي بمالٍ؛ فقال: أكل المسلمین له مثل هذا؟ قالوا : لا ولا يقوم بذلك بيتُ مالِ المسلمین ؛ قال : فلا حاجة لي فيما بيعت لأئمة الناس على أمير المؤمنين .

مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

ذكره عبد الله بن المبارك عن رجل من أهل الشام قال : دخلت عليه فقال : ما الذي ببطأ بك عني؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين وما الذي تريد مني؟ فقال : الاقتباس منك؛ قلتُ : انظر ما تقول، فإن مكحولاً حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله

(١) كذا في البعد الفريد ج ١ ص ٣٣٨ وفي الأصل «قند» .

(٢) من لحوت الشجرة إذا أخذت لحامها وهو قشرها .

(٣) هاض العظم يعضه هيضاً فاتهاض : كسره بعد الجور فهو مهوض .

- صلى الله عليه وسلم قال : "مَنْ بَلَغَهُ عَنْ اللَّهِ نَصِيحَةٌ فِي دِينِهِ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سَيَقَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنْ قِيلَ لَهَا مِنْ اللَّهِ بِشْكٍ وَإِلَّا كَانَتْ مُجِبَّةً مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِيَزِدَّادَ إِيَّامًا وَلِيَزِدَّادَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا ، وَإِنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فَرَضَى فَلَهُ الرِّضَا ، وَإِنْ تَخَيَّنَ فَلَهُ السَّخَطُ ، وَمَنْ كَرِهَهُ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهَ ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ" ، فَلَا تَجْهَلَنَّ ، قَالَ : وَكَيْفَ أَجْهَلُ ؟ قَالَ : نَسْمَعُ وَلَا تَعْمَلُ بِمَا نَسْمَعُ ، قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : فَسَلَّ عَلَى الرَّبِيعِ السَّيْفَ .
- وَقَالَ : هَوَلٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا ! فَاتَّهَرَهُ الْمَنْصُورُ وَقَالَ : أَمْسِكْ . ثُمَّ كَلَّمَهُ الْأَوْزَاعِيُّ ، وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ : إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ هَذِهِ الْخِلَافَةِ بِالَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ ، وَاقِهِ سَائِلُكَ عَنْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا وَفَتِيلِهَا وَقَبِيرِهَا ، وَلَقَدْ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ رُوَيْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "مَا مِنْ رَايِعٍ بَيْتٌ غَاشًا لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَاحَةَ الْجَنَّةِ" ، لَخَفِيقُ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَكُونَ لِرَعِيَّتِهِ نَظَرًا ، وَلَبَّ اسْتَطَاعَ مِنْ عَوْدَاتِهِمْ سَاتِرًا ، وَبِالْقِسْطِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَانِمًا ، لَا يَتَخَوَّفُ عَسْنَهُمْ مِنْهُ رَهَقًا وَلَا مَسِيئَهُمْ عَدَوَانًا ، فَقَدْ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيدَةٌ يَسْتَاكُ بِهَا وَيَرْدُعُ عَنْهُ الْمُنَافِقِينَ ، فَاتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : "يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ ! إِقْذِنَهَا لَا تَمْلَأَ قُلُوبَهُمْ رُجْبًا" . فَكَيْفَ مِنْ سَفَكِ دِمَاعِهِمْ وَشَقِّقِ آبْسَارِهِمْ وَأَنْهَبَ أَمْوَالِهِمْ ! يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، إِلَى الْقَصَاصِ ١٥
- مِنْ نَفْسِهِ بِمُخْدَشِ خَدَشِهِ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ ، فَهَيَّطَ جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونَ أَمْتِكَ" . وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَبْدُلُ شَرْبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ وَلَا ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرِهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ قُلَّةٌ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَمْرِهَا" . إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقَطِعُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا ، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لَمْ يَبْقَ لَكَ قَبْلُكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ٢٠

(١) ثياب أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لآذاهم فكيف مَن يَقْمَصُهُ ! ولو أنْ دَنُوبًا
من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لآجَنَّهُ فكيف مَن يَقْمَصُهُ ، ولو أنْ
حَلَقَةً من سلاسل جهنم وُضِعَتْ على جبل لَنَاب ، فكيف مَن سَلَكَ فِيهَا وَرِدَّ (٢)
فَضْلُهَا على عَاتِقِهِ ! وقد قال عمر بن الخطاب : "لَا يُقَوِّمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ
الْعَقْدَةِ ، بَعِيدُ الْفَرَةِ ، لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يُحِثُّ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَةٍ ،
وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَّامٍ" .

وَأَعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ أَرْبَعَةً : أَمِيرَ يَطْلِفُ نَفْسَهُ وَعُمَمَالَهُ ، فَذَلِكَ لَهُ أَجْرُ الْمُجَاهِدِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَصَلَاتُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ صَلَاةٍ وَيُدُّ اللَّهُ بِالرَّحْمَةِ عَلَى رَأْسِهِ تَرْفُفٌ ، وَأَمِيرُ
رَتَعٍ وَرَتَعِ عُمَمَالَهُ ، فَذَلِكَ يَحْمِلُ أَعْمَالَهُ وَأَعْمَالًا مَعَ أَتْقَالِهِ ، وَأَمِيرُ يَطْلِفُ نَفْسَهُ وَرَتَعِ
عُمَمَالَهُ ، فَذَلِكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَأَمِيرُ رَتَعٍ وَيَطْلِفُ عُمَمَالَهُ ، فَذَلِكَ شَرُّ
الْأَكْبَاسِ .

وَأَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ عَرَضَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَيُّ أَنْ يَحْمِلْتَهُ وَأَشْفَقَنَ مِنْهُ ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ جَدِّكَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ : ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ : أَنَّ الصَّغِيرَةَ التَّهْمُ ،
وَالْكَبِيرَةَ الضُّمُكُ ، وَقَالَ : فَسَاطِنُكُمْ بِالْكَلَامِ وَمَا عَمِلْتَهُ الْأَيْدِي ! فَأَعَيْنِكَ اللَّهُ أَنْ
يُحْمِلَ إِلَيْكَ أَنَّ قَرَابَتَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْفَعُ مَعَ الْمَخَالَفَةِ لِأَمْرِهِ ، فَقَدْ

(١) القنوب : الدلو التي دون الماء ، تذكر وتكونت . (٢) آجعه : جعله آجعا أي مثير الطعم
واللون ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة متعدية منه ، فأثبتناه بالجزءة على القول بأن متعدية الفعل جها
قياسية . (٣) في الأصل : « فيه » . (٤) لا يحث في الحق على جرة : لا يطرئ على حقد
ودخل . وأصل الإحطاق : لحوق البطن بالصلب والتصاق به . والجزوة (بالكسر) : ما يخرج من البعير من جوفه
ومعصفه . فكأن عمر رضي الله عنه يمدم الإحطاق على الجزوة عن عدم إخماد الحقد والتقيظ . (٥) يظلف
قمه : يكتفها . (٦) في الأصل « أن يحملها » ويرجع الضمير لها ما ذكر .

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا صفيّة عمّة محمد ويا فاطمة بنت محمد استوها أنفسكما من الله إني لأُغنى عنكما من الله شيئا" . وكان جثلك الأكبر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارّة ، فقال : "أى نفس تُحبّها خير لك من إمارّة لا تُحبّها" ، نظرًا لعمه وشفقة عليه أن يلى فيجور عن سنّته جناح بموضة ، فلا يستطيع له نقما ولا عنه دفما . هذه نصيحتي إن قبلتها فلتفك عملت ، وإن رددتها فلتفك نجست ، والله الموفق للخير والمعين عليه ، قال يلى ! قبلها وشكر عليها ، وبالله نستعين .

مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

- قال خالد : وفدت عليه فوجدته قد بدأ يشرب الدّهن ، وذلك في عام باكرٍ وسميه ونجاح وليه وأخذت الأرض زخرفها ، فهي كالزراية المشوثة والقباطي^(١) المشورة ، وثامها كالكاكور لو وضعت به بضعة لم تترب ، وقد ضربت له سُرَدَقَاتٍ حيرت بها إليه يوسف بن عمر من اليمن سلا لا كالعقيان ، فأرسل إلى فدخلت عليه ، ولم أزل واقفا ، ثم نظر إلى كالمستطلي لي ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتم الله عليك نعمه ودفيع عنك قومه ؛ هذا مقام زين الله به ذكرى وأطاب به نثرى ، إذ أراى وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى للمعاني هذا شيئا هو أفضل من أن أنبه أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمد الله على ما أعطاه ، ولا شيء أحضر من حديث

(١) الوسمى : مطر الريح الاكول سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . والولى (وزان غنى) :

الطريفة الوسمى . (٢) الزراية : البسط الملوثة . والقباطي (يضم أتره وقشد يد أتره أرفخج الأول مع تحقيف الآخر) : جمع قبيلية (يضم القاف) وهي ثياب كان يبيض رفاق تصمل في مصر . (٣) البضعة (بالفتح وتكسر) : القطعة من اللحم . (٤) حير (وزان ضب) : جمع حيرة (كناية) وهي الخيط من البرود ، يقال : برد حيرة على الإضافة والوصفية .

سلف للملك من ملوك العجم إن أذن لي فيه حديثه به ؛ قال : هات ؛ قلت : كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِعَ له قَتَاةُ السِّنِّ وَصِحَّةُ الطَّبَاعِ وَسَعَةُ الْمُلْكِ وَكَثْرَةُ الْمَالِ ، وذلك بالخَوَرَقِ ، فأشرف يوما فنظر ما حوله فقال لمن حضره : هل علمتم أحدا أوقى مثل الذي أوتيتُ ؟ فقال رجل من بقايا حملة الحجّة : إن أذنت لي تكلمتُ ؛ فقال : قل ، فقال : أرايتَ ما جُمِعَ لك ، أشيُّ هولاك لم يزل ولا يزولُ ، أم هو شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك يزولُ عنك ؟ قال : لا ! بل شيء كان لمن قبلي فزال عنه وصار إلىّ وكذلك يزولُ عني ؛ قال : فسُررتَ بشيء تذهب لذته وتبقى تبعته ، تكون فيه قليلا وترتهن به طويلا ؛ فبكي وقال : أين المهرُب ؟ قال : إلى أحد أمرين : إما أن تُقيمَ في مُلْكِكَ فتعملَ فيه بطاعة ربِّك ، وإما أن تُلقَىَ عليك أسماحا^(١) ثم تلحق بجبل تعبد فيه ربَّك حتى يأتى عليك أجلك ؛ قال : فسألى إذا أنا فعلت ذلك ؟ قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحّة لا تسقم وملك جديد لا يبلى ؛ فأتى جبلا فكان فيه حتى مات ، وأشدّه قول عدى بن زيد :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَرَقِ إِذْ أَصْدَ * سَجَّ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ
سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُتُ * لَمَلِكُ وَالْبَحْرُ مَعْرِضًا وَالسَّيْدُ^(٢)
فَارْعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غِيَدُ * حُلَّةٌ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

فبكى هشام وقام ودخل ؛ فقال لي حاجبه : لقد كسبت نفسك شرا ، دعاك أمير المؤمنين لتحديثه وتلويحه وقد عرفتَ حَقَّتْهُ فإِذْنَتْ عَلى أَنْ نَعِيتَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ . فَأَقْبَضْتُ أَيَّامًا أَنْتَوَيْتُ الشَّرَّ ، ثُمَّ أَنَانِي حَاجِبُهُ فَقَالَ : قَدْ أَمَرَ لَكَ بِجَائِزَةٍ وَأَرَبَ لَكَ فِي الْإِنْصِرَافِ .

٢٠ (١) الأساجد جمع المساجد وهو الكعبة من غير كعبين العباد (٢) معرضا : من أمرضه الشيء إذا ظهر منه مرض

مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز

قال : إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق ، ففنا نخرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم ،
وكم من قومٍ قد غرهم مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا
من الدنيا مُرَمِلِينَ لم يأخذوا لِمَا أَحَبُّوا من الآخرة عُدَّةً ولا لِمَا كَرِهُوا جُنَّةً ،
واقسم ما جمعوا من لم يَحْتَدِمْ وصاروا الى من لا يَعْدِرُهُمْ . فانظر الذي تُحِبُّ أن
يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فقله بين يديك حتى تخرج اليه ؛ وانظر الذي تَكْرَهُ أن
يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فابتع به البذل حيث يحوز البذل ؛ ولا تنهبن الى سِلْعَةٍ
قد بارت على فرك ترجو جوازها عنك . يا أمير المؤمنين ، افتح الأبواب ، وسهل
الاجاب ، وانصر المظلوم .

١٠ مقام الحسن عند عمر بن هيرة

كتب ابن هيرة الى الحسن وابن سيرين والشعبي فقدم بهم عليه ، فقال
لهم : إن أمير المؤمنين يكتب الى في الأمر ، إن فعلته خفتُ على ديني ، وإن لم أفعله
خفتُ على نفسي ؛ فقال له ابن سيرين والشعبي قولاً رَفَقاً فيه ، وقال له الحسن :
يا ابن هيرة ، إن الله يمتك من يزيد ، وإن يزيد لا يمتك من الله . يا ابن هيرة ، خِفْ
الله في يزيد ولا تخفْ يزيد في الله . يا ابن هيرة ، إنه يُوشِكُ أن يبعثَ الله اليك مَلَكًا
فَيُتْلِكَ عن سررك الى سَعَةِ قصرك ، ثم يخرجك عن سَعَةِ قصرك الى ضيقِ قبرك ،
ثم لا يُجِيبُكَ إِلَّا هَمَلُكَ . يا ابن هيرة إنه لا طاعة لخلق في معصية الخالق ؛ فأمر له
بأربعة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبي بالقبض ، فقالا : رَقَدْنَا لِرُفُوقٍ لَنَا .

باب من المواعظ

كلام للحسن

قال في كلام له : أمتكم أنتم الأمم وأنتم أنتمكم ، وقد أسرع بخياركم فماذا
تنتظرون ! الممانيه ؟ فكان قد . هيات هيات ! ذهبت الدنيا بحال عالمها ،
وبقيت الأعمال أطواقا في أعناق بني آدم ؛ فإياها موعظة لو وافقت من القلوب
حياة ! إنه والله لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ،
أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ؛ وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم .
من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا رائحا لم يضع لينة على لينة ولا قصبة
على قصبة ، رُفِعَ له علمُ قشعر إليه ؛ فالوحا الوحا ، والنجاء النجاء . علام تعرجون ؟
أسرع بخياركم وأنتم كل يوم تزدلون^(١) . لقد صحبت أقباما كانت صحبتهم قوة العين
وجلاء الصدر ، وكانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم من سيئاتكم أن
تعدبوا عليها ، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهدهم منكم فيما حرم الله عليكم .
إني أسمع حسيئا ، ولا أرى أنيسا ؛ ذهب الناس ، وبقيت في الناس ؛ لو تكاشفت
ما تدافتم ؛ تهاديتم الأطباق ولم تهادوا النصائح . يا بن آدم ، إن دين الله ليس بالتحل
ولا بالتخي ، ولكنه ما وقر في القلوب وصنفته الأعمال .

كلام لبعض الزهاد

لا تغتر بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تملن نعمة الله في معصيته ؛
فإن أقل ما يجب لمهديها ألا يجعلها ذريعة إلى مخالفته . واستدع شارب التعم

(١) كذا بالأصل . (٢) تزدلون : يصيرون أرذالا ، والأرذال : جمع رذل وهو الفنون

بالتوبة ، واستمّ الرّاهنَ منها بكرم الجوّار ، واستفتح بابَ المزيّدِ بحُسن التّوكلِ .
 أو ما عَلِمَتْ أن المستشعرَ لئَلْ الخَلِيقَةِ المخرَجَ نَفْسَهُ من كُفِّ الطّاعَةِ نَظْفُ النّاءِ ،
 زَمِرُ المروءَةِ ، قَصَى المَجاسِ ، لا يُساورُ وهو ذو بَرَلاءٍ ، ولا يُصدّرُ وهو جَهِيلُ الرّوَاءِ ،
 غامضُ الشّخصِ ضَمِيلُ الصّوتِ تَررُ الكلامِ يتوقّعُ الإسكاتِ عند كلِّ كَلِمَةٍ ، وهو
 يرى فضلَ مَزيَّتِهِ وصريحَ لَيْتِهِ وحسنَ تَفْضِيلِهِ ، ولكن قَطَعَهُ سَوْءُ ما جَنَى على
 نَفْسِهِ ، ولو لم تَطْلُعْ عليه عَيونُ الخَلِيقَةِ لَهَجَسَتْ العُقُولُ بِإِدْهانِهِ . وكيف يَتَمَنَّى من
 سُقوطِ القَدَرِ وطَنُ المُنْفَرَسِ مَنْ عُرِيَ مِنْ حِلْيَةِ التّقوى ومُلبِ طابَعِ المَهْذَبِ !
 ولو لم يَتَنَقَّشْ ثوبَ سريره وقَبِيحَ ما أَجَنَ من مخالفةِ رَبِّهِ لَقَطَعَهُ العِلْمُ بَقَبِيحِ ما قارَفَ
 عن اقتدارِ ذِي الطّهارةِ في الكلامِ وإدلالِ أهلِ البراءةِ في النَّدَى .

كلام لغيلان

إن التراجع في المواظ يوشك أن يذهب يومها ويأتي يوم الصّاحّة ، كل الخلق
 يومئذ مُصْبِحٌ يَسْمَعُ ما يُقالُ له ويُقضى عليه ، وخَشَعَتِ الأصواتُ للرّحمن فلا تَسْمَعُ
 إلّا هَمْسًا . فاصْبِرْ اليومَ عَمّا يُصِيتُكَ يومئذ ، وتعلّم ذلك حتى تعلّمه ، وابْتَغِهِ حتى
 تَجِدَهُ ، وبادِرْ قبل أن تُجَبِّكَ دَعْوَةُ المَوْتِ ، فإنها عَنيفَةٌ إلّا بِمَنْ رَسَمَ اللهُ ، لِيَقْجِمَكَ
 في دار تَسْمَعُ فيها الأصواتُ بالحسرة والويل والثبور ، ثم لا يُقالون ولا يُسْتَعْبَوْنَ .
 اني رأيتُ قلوبَ العبادِ في الدنْيا تَحْشَعُ لأَسْرَمِ من هذا وتَهْشَعُ عند هذا ، فانظُرْ الى
 نَفْسِكَ أَعبَدَ اللهُ أَنْتَ أمَ عَدُوهُ ؟ فياربِّ مُتَعَبِّلُهُ بِلِسَانِهِ ، مُعَادٍ لَهُ بَعْلُهُ ذُلُولٌ في الإنْشِاقِ
 الى عذابِ السعيرِ في أُمْنِيَةِ أَضْغاثِ أَحلامٍ يَبْغِيها بِالْأَمَانِي وَالظُّنونِ . فاعْرِفْ نَفْسَكَ

(١) كذا في الأصل ، وفي البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٩ «كف العصة» . (٢) نظف النّاء :

قليله . وزمر المروءة : قليلها . (٣) البرلاء : الزاى الجيد . (٤) أى بالإن له والمصانة .

(٥) كذا في البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٠ ، وفي الأصل «المقربين» .

وَسَلَّ عَنْهَا الْكَتَابَ الْمَنِيرَ، سُؤَالَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ ، وَعِلْمَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ ،
فَإِنَّ الرَّبَّ جَلَّ ثَنَاهُ لَا يَمْنُرُ بِالْعَذِيرِ وَالْتَفْرِيرِ ، وَلَكِنْ يَمْنُرُ بِالْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ . اِكْتَسِ
نَصِيحَتِي ؛ فَإِنَّهَا كُسُوةٌ تَقْوِي وَدَلِيلٌ عَلَى مَفَاتِحِ الْخَيْرِ ، وَلَا تَكُنْ كَعُلَمَاءِ زَمَنِ الْمَرْجِ
إِنْ وَعَظُوا أَتَوْا ، وَإِنْ وَعَظُوا عَقُّوا . وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ .

كتاب رجل الى بعض الزهاد

كتب اليه : إِيَّا لِي نَسَا تُحِبُّ الدَّعَةَ ، وَقَلْبًا يَأْلَفُ اللَّذَاتِ ، وَهَمَةً تَسْتَنِقِلُ
الطَّامَةَ ؛ وَقَدْ وَهَمْتُ نَفْسِي الْآفَاتِ ، وَحَدَرْتُ قَلْبِي الْمَوْتِ ، وَزَجَرْتُ هِمَّتِي عَنْ
التَّقْصِيرِ ؛ فَلَمْ أَرْضَ مَا رَجَعَ إِلَيَّ مِنْهُنَّ ، فَأَهْدِلِي — رَحِمَكَ اللَّهُ — مَا أَسْتَعِينُ بِهِ
عَلَى مَا شَكَّوْتُ إِلَيْكَ ؛ فَقَدْ خَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ الْإِسْتِعْدَادِ .

فكتب اليه : كَثُرَتْ عَجَبِي مِنْ قَلْبٍ يَأْلَفُ الذَّنْبَ ، وَتَقِينُ تَطْمَئِنُّ إِلَى
الْبَقَاءِ ، وَالسَّاطَتْ تَقْلُنَا وَالْأَيَّامُ تَطْوِي أَعْمَارَنَا ؛ فَكَيْفَ يَأْلَفُ قَلْبٌ مَا لَا ثَبَاتَ لَهُ ،
وَكَيْفَ تَنَامُ عَيْنٌ لَا تَدْرِي لِمَ لَا تَطْرِفُ بَعْدَ رَقَدَتِهَا إِلَّا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ! وَالسَّلَامُ .

وكتب رجل من العباد الى صديق له :

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الْيَقِينِ مُتَفَقِّينَ ، وَفِي الْعَمَلِ مُتَفَاوِّينَ ، وَرَأَيْتُ الْحِجَّةَ
وَاجِبَةً ، فَلَمْ أَرَفِ يَقِينٍ قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنْ عَمَلِ حِجَّةٍ ، وَلَا فِي عَمَلٍ كَانَ بَغِيرَ يَقِينٍ
مَنْفَعَةً ؛ وَرَأَيْتُ مِنْ تَقْصِيرِ أَتَقَسْنَا فِي السَّعْيِ لِمَرْجُو مَا وَعَدَتْ وَالْهَرَبِ مِنْ خَوْفِ
مَا حَدَرَتْ ، حَتَّى أَسْلَمَهَا ذَلِكَ إِلَيَّ أَنْ ضَعُفَتْ مِنْهَا النِّيَّةُ وَقَلَّ التَّحَفُّظُ وَاسْتَوَلَى عَلَيْهَا
السَّقَطُ وَالْإِفْخَالُ ^(١) وَاشْتَعَلَتْ مِنْهَا الشَّهْوَةُ ، وَدَاطَهَا ذَلِكَ إِلَى التَّمَرُّغِ فِي لُغْطَانِ

(١) السَّقَطُ : انطباع من الغلظة والغلل .

- اللذات، وهي تعلم أن عاقبتنا الندم، وثمرتها العقوبة، ومصيرها الى النار إن لم يعف الله عبيث لعملي امرئ كيف لا يشبه يقينه، ولعلم موقن كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه، حتى لا تكون الرغبة منه إلا اليه والرهبة منه إلا له. وزادني عجباً أتى طالب الدنيا أجد من طالب الآخرة، وخائفها أتعب من خائف الآخرة، وهو يعلم يقيناً أنه ربّ مطلوب في الدنيا قد صار حين نيل حتماً لطالبيه، وأنه ربّ مخوف فيها قد لحق كركها بالهارب منه فصار خطأ له، وأن المطلوب اليه من أهلها ضعيف عن نفسه محتاج الى ربه مملوك عليه ماله مغزونة عنه قدرته. واعلم أن جماع ما يسعى له الطالب ويهرب منه الهارب أمران: أحدهما أجله، والآخر رزقه، وكلاهما بعينه شاهد على أنه لا يملكه إلا الذي خلقه. فلم أدر حين صار هذا اليقين في موضع الإيمان يقيناً لا شك فيه، كيف صار في موضع العمل شبيهاً بالشك الذي لا يقين فيه! وكيف، حين اختلف في أمر الآخرة، لم يختلف في أمر الدنيا، فيكون خائف الآخرة لربه تكافئ الدنيا لسلطانها صبراً له على تجشّم المكروه، وتجاوزاً منه لفصيص النعيط، واحتالاً منه لقادح النصب، وعملاً له بالسخرة، وتحفظاً من أن يضمر له على غش أو يهمل له بخلاف؛ ولو فصل ذلك ما علمه منه حتى يظهر له بقوى أو فصيل؛ ولو علمه ما قدر له على قطع أجل لم يقن ورزق لم ينفذ؛ فإن ابتلي بالسخط من سلطانه فكيف حره ووحشته، وإن آيس منه رعباً عنه فكيف مروره واختياله! فإن قارب ذنباً اليه فكيف تضرعه واستخفافه،^(١) فإن تدبه لأمر فكيف خفته ونشاطه! وإن نهاه عنه فكيف حذرته وأماطه! وهو يعلم أن خالفه ورازقه يعلم سره وجهه، ويراها في منقلبته ومثواه، ويماينه في فضائحه وعورته، فلم يزقه حشاً حياً منه ولا تقياً له، قد أمره فلم يأتمر، وزجره فلم يذبح،

(١) احتالاً له : خديعة .

وَحَدَّهٖ فَلَمْ يَحْذَرْ، وَوَعَدَهُ فَلَمْ يَرْغَبْ، وَأَعْطَاهُ فَلَمْ يَشْكُرْ، وَسَتَرَهُ فَلَمْ يَزِدْ بِالْإِسْتِزَاةِ تَمْزُجُهَا
لِلْفَضَائِلِ، وَكَفَّاهُ فَلَمْ يَقْنَعْ بِالْكَفَايَةِ، وَحَيَّنَّ لَهُ فِي رِزْقِهِ مَا هُوَ فِي طَلْبِهِ مُشْتَبِعٌ ^(١)، وَيَقْظُهُ
مِنْ أَجَلِهِ لِمَا هُوَ عَنْهُ لَاهٍ، وَفَرَّغَهُ مِنَ الْعَمَلِ لِمَا هُوَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ مَشْغُولٌ، فَسَبَّحَانَ
مَنْ وَسَّعَ ذَلِكَ حَالَهُ وَتَقَدَّمَ مِنْ عِبَادِهِ عَفْوُهُ؛ وَلَوْ شَاءَ مَا فَعَلُوهُ، وَلَا يُسْأَلُ
عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ .

فأجابہ : إني رأيت الله تبارك وتعالى جعل اليقين بأعظم المواضع في أمر
الدنيا والدين، فهو غاية علم العالم وبصير البصير ونهم السامع، ليس كسائر الأشياء التي
تدخلها الشبهات ويحرفها الإغفال ويشوبها الوهن؛ وذلك أن الله تعالى جعل
مفروسة القلب؛ وأغصانه العمل، وثمرته الثواب . وإنما جعل القلب لليقين
مفروساً، لأنه جعل الخمس الجواب لم الأشياء كلها إلى القلب : السمع والبصر
والمحسة والمدركة والاستدراج . فإذا صارت الأشياء إليه مبرزة بينها العقل، ثم صارت
بأجمعها إلى اليقين، فكان هو المثبت لها والموجه كل واحدة منهن جهتها . ولولا
معرفة القلب بالعقل الذي جعله الله لذلك، لم يفرق سمع بين صوتين مختلفين، ولا بصر
بين صورتين متقاربتين، ولا محسة بين شيئين غير متشابهين . ولليقين بعد ذلك
منزلة يعرف بها حال الضائر والنافع في العاقبة عند الله تعالى . فلما صار اليقين
في التشبيه كالشجرة النابتة في القلب، أغصانها العمل وثمرتها الثواب، أخبر ذلك أنه
قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتاً بلا عمل؛ وأنه
كما لا تكون الأغصان نابتة بلا أصل، فكذلك لا يكون العمل نافعاً إلا بقيقين؛
وكما أنه لا تخلف الثمرة في الطيب والكثرة إذا كان الأصل نابتاً والأغصان مثمرة،

- فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحسن عمله . وقد تعرض للأعمال عوارض من العِلل : منها الأمل المبط ، والنفس الأتارة بالسوء ، والهموى المزين للباطل ، والشيطان الجارى من ابن آدم مجرى الدم ، يضررن بالعمل والثواب ، ولا يبلغ ضررهن اليقين ، فيكون ذلك كبيض ما يعرض للشجرة من عوارض الآفات فتندوى أغصانها وتثرورقها وتمتع ثمرتها والأصل ثابت ؛ فإذا تجلت الآفة عادت إلى حال صلاحها . فإذا يُعجبك من عمل امرئ لا يشبه يقينه وأن يقينه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ؟ فإِنما العجب من خلاف ذلك ! ولعمري لو أشبه عمل امرئ يقينه فكان في خوفه ورجائه كالمعين لِمَا يُعانيه بقلبه من الوقوف بين يدي الله والنظر إلى ما وعد وأوعد ، لكان ما يتلجج على قلبه من خطرات الخوف شاغلا له عن الرجاء ، حتى يأتى على نفسه أول لحظة ينظر بها إلى النار خوفا لها أو إلى الجنة أسفا عليها إذا حُرِمَها ، وإذا لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمعين له يوم القيامة . وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقل فضلا عن أن يعمل ! وأما قولك : « كيف لم يكن خائف الآخرة لربه تخائف الدنيا لسلطانها » ، فإن الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولا ، فهو لضعفه موكل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره ، وهو بعبئته موكل بحبِّ الأعجل فالأعجل مما يشتهى ؛ وزاده حرصا على المخلص من المكروه وطلبيا للحبيب حاجته إلى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذى لولا ما طبع عليه القلب من حبه وميل على المخلوقين من طلبه ، لما انتفع بالدنيا مُتَفَعِّ ولا حاش فيها طائش . ومع ذلك إن مكاره الدنيا وعملها عند ابن آدم على وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليت به لذني سلف منى ، وأما المحبوب فيقول فيه : عسى أن أكون رزقته بحسنة كانت منى فهو ثواب

مُجَلِّدٌ ؛ وهو مع هذا يعلم أن حالوم المخلوقين الى الضيق ، وأن قلوب أكثر مُسَلِّطِيهِم الى القسوة ، وأن العيب عنهم مستورٌ ، فليس يلتمس منهم إلا علم الظاهر ولا يضع إلا به ، ولا يلتفت من أمرئ الى صلاح سريره دون صلاح ملائحته . ومن طباع الإنسان اللؤم ، فليس يرضى اذا خيف إلا بأن يُدَلَّ ، ولا اذا رُجِيَ إلا بأن يُتَعَب ، ولا اذا غَضِبَ إلا بأن يُخَضَّع له ، ولا اذا أَمَرَ إلا بأن يُنْفَذ أمره ، ولا يتنفع المتشفع بإحسانه عنده اذا أساء ولا المطيع بكثرة طاعته في المعصية الواحدة اذا عصى ، ولا يرى التواب لازماً له ولا العقاب مجبوراً عليه ، فإن عاقب لم يستبق ، وإن غَضِبَ لم يتبَّ ، وإن أساء لم يعتذر ، وإن أذنب اليه مذنَّب لم يغفر ، واللطيف الخبير يعلم المبرية فيغفر بها العلانية ، ويغفو بالحسنة عشرة من السيئات ، ويصنع بتوبة الساعة عن ذنوب مائة عام ، إن دُعِيَ أجاب ، وإن استغفر غفر ، وإن أطيع شكر ، وإن عصى عفا ، ومن وراء عبده بعد هذا كله ثلاث : رحمة التي وسعت كل شيء ، وشهادة الحق التي لا يزكو إلا بها عمل ، وشفاععة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا كله مثبتٌ لليقين بأسطًى للأمل مُبْطِلٌ عن العمل إلا أن شاء الله وقليلٌ ما هم . فلا تَحْمِلْ تَطَلَّفَ عملك على صحة يقينك فتوهن إيمانك ، ولا تُرَخِّصْ لنفسك في مُقَارَفَةِ الذنوب ، فيكون يقينك خصماً لك ومُجْتَبِئاً عليك ؛ وَكُتِبَ أَمْلَكَ وَجَاهِدْ شَهْوَتَكَ ، فانهما داءاك المخوفان على دينك المعنويان على هَلَاكَ . وأسأل الله العزيمتنا ولك .

موعظة مستعملة

وكيع عن مسر عن زيد العمي^(٤) عن عون بن عبد الله قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض هؤلاء الكلمات : مَنْ مَلَّ لِآخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، (١) كما بالأصل . (٢) بالأصل « المتع » . (٣) المعنويان : المعنويان . (٤) سمى زيدنا العمي لأنه كان كلما سئل عن شيء قال « حتى أسأل عمي » وقيل : هو منسوب الى بني العم بن من تميم (انظر تهذيب التهذيب في اسم زيد بن الحارثي) .

ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريره أصلح الله له علاقته .

موعظة لعمر بن عتبة

العتبي عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال :

- كان أبونا لا يرفع المواقظ عن أسماءنا، فأراد مرة سفرا فقال : يَا بَنِي نَاقُورَا
التم بحسن مجاورتها، واتمسوا المزيد فيها بالشكر عليها، واعلموا أن النفوس أقبل
شيء لما أُعطيت وأعطى شيء لما سُئِلَتْ، فاجعلوها على مطية لا تُطِيعُ إِنْ أَرَكَبْتُمْ،
ولا تُسَبِّقُ وَإِنْ تَقُدَّمْتُمْ، عليها نجا من هرب من النار، وأدرك من ساقى إلى الجنة؛
فقال الأماغش : يَا أَبَانَا مَا هَذِهِ الْمَطِيَّةُ ؟ قال : التوبة .

صفات الزهاد

١٠

حدثني عبد الرحمن العبدى عن يحيى بن سعد السمدى قال :

- سأل الحواريون عيسى عليه السلام فقالوا : يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ؟ قال :
هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، وإلى آجل الدنيا حين
نظر الناس إلى طاعنها، فأما اتوا منها ما خَشَوْا أَنْ يُمَيِّتَهُمْ وتركوا منها ما علموا أَنْ سَيَرُكُهُمْ،
فصار استغفارهم منها استقلالاً، وفرحهم بها أصابوا منها حزناً، فما طارضهم من نائلها
رفضوه وما عارضهم من رقيعها بشير الحق وضعوه، فهم أعداء ما سأل الناس وسلم
ما عادوا، خَلَقَتْ^(١) الدنيا عندهم فليس يعمرونها، وماتت في قلوبهم فليس يحبونها،
يهدمونها وينون بها آخرتهم، ويدعونها ويشترون بها ما يبقى لهم؛ ونظروا إلى أهلها

(١) خلقت (فتح اللام وضها) : بليت . (٢) كذا بالأصل غير مستند لضيق الجملة .

صَرَخَ قَدْ خَلَّتْ مِنْهُمُ الْمَثَلَاتُ فَأَحْيَا ذَكَرَ الْمَوْتَ وَأَمَاتُوا ذَكَرَ الْحَيَاةَ ، بِهِمْ نَطَقَ الْكُتَّابُ وَبِهِ نَطَقُوا ، وَبِهِمْ حُلِمَ الْكُتَّابُ وَبِهِ عَمِلُوا ، لَا يَرُونَ نَالًا مَعَ مَا نَالُوا ، وَلَا أَمَّا دُونَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ .

• حَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَصْلُوحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَصْبُوحِيِّ :

• ٥ ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يودونه في مرض ، فإذا فيهم شاب ذابل ناعل ، فقال له عمر : يَأَقْتِي مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَاضٌ وَأَسْقَامٌ ، فَقَالَ عُمَرُ : لَتَصُدَّقَنِي ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذُقْتُ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا فَوَجَدْتُهَا مَرَّةً فَصَغُرْتُ عَنْ زَهْرَتِهَا وَحَلَاوَتِهَا ، وَاسْتَوَى عِنْدِي حَجْرُهَا وَزَهَبُهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، وَإِلَى النَّاسِ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِلَى النَّارِ ، فَاطْغَمَاتُ لِنَلِكْ نَهَارِي وَأَسْهَرَتْ لِي لَيْلِي ، وَقَلِيلٌ حَقِيرٌ كُلُّ مَا أَتَا فِيهِ فِي جَنْبِ ثَوَابِ اللَّهِ وَجَنْبِ عِقَابِهِ . ١٠

بَلَغَنِي عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَخِيهِ عَنِ الْفَيَاضِ عَنْ زُبَيْدِ الْيَاسَمِيِّ (١) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ :

• ١٥ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا ظَاهَرُوا لَمْ يُهْتَفَلُوا وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مُصَابِيحُ الْهُدَى يُخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ ضُلْهَاءٍ مُظْلِمَةٍ" .

وَعَنْ وَكِيعٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَتْبَعٍ عَنْ أَوْفَى بْنِ ذَلْعَمٍ قَالَ :

قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ تُعْرِفُوا بِهِ وَأَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانٌ يُنْكِرُ فِيهِ الْحَقَّ تِسْعَةَ أَعْشَرِ أَهْمِهِمْ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ نُومَةٍ ، يَعْنِي

(١) نسبة إلى يام بلعن من همدان ، انظر تهذيب التهذيب في اسم زيد بن الحارث ، وفي الأصل

« التام » وهو تحريف . (٢) جمع عشير كالشربين من عشرة . ٢٠

- الميت الذكر^(١)، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعجّل المذاييع البدر^(٢). وقال
على عليه السلام أيضا: إك الدنيا قد ارتحلت مُدِيرَةٌ وإك الآخرة قد ارتحلت مُقِيلَةٌ،
ولكل واحدة منهما بُنُونٌ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .
ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيباً .
ألا من اشتاق إلى الجنة مَلَآ عن الشهوات، ومن أشفق من النار رَجَعَ عن الحرّمات،
ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات . ألا إن لله عبداً كن رأى أهل الجنة
في الجنة غلّدين وأهل النار في النار مُعَذِّبين، شروهم مأمونة، وقلوبهم محزونة،
وأفئسهم عفيفةٌ، وحوائجهم خفيفةٌ، صبروا أياماً قليلةً لعقبي راحةٍ طويلةً؛ أما بالليل
فصافو أقدامهم ، تجرى دُمُوعُهُمْ على خدودهم ، يحاْزُونَ إلى الله : ربَّنَا رَبَّنَا
يطلبُونَ فَكَاكَ رِقَابِهِمْ ؛ وأما بالنهار فلهباءٌ عُلْمَاءُ بردةً أُنْقِيَاءُ كأنهم القِدَاحُ ينظرُ إليهم
الناظر فيقول : مَرَضَى، وما بالقوم من مريض، ويقول : خُولُوا، ولقد خالط
القوم أمرٌ عظيم .

- حاشا إحقاق المعروف بأن رَاهُوِيَه أن حون بن عبد الله بن حنبل كان يقول :
يَأْبَى كَن تَمَن نَأَى به عَمَن نَأَى عنه يَقِينٌ ونَزَاهَةٌ ، وَدُتُوهُ مِمَّن دَنَا مِنْهُ لِيْنٌ وَرَحْمَةٌ،
ليس نأيه تكبرا ولا عظمة ، ولادوتوه يَحْذَعُ ولا خِلَابَةٌ ، يَقْتَنِدِي بِن قَبْلِهِ ، وهو
إمامٌ من بعده ، لا يسجل فيمن رآه ويعفو إذا تين له ، ينقص في الذي له
وزيد في الذي عليه ، لا يعزبُ حابه ولا يحضرُ جهله ، الخير منه مأمول والشر
والسياء يقتضى أن يكون « ودنا به من » . (٥) رآه : شكك وأوجب عده الزية .

- (١) في الأصل : « الميت المأ » وما أشتناه يدل عليه قول أبي عبيدة في خبر التوبة من هذا
الأثر : الخامل الذكر المفاض في الناس (اللسان مادة نوم) . (٢) جمع مذايغ وهو القوي لا يكتم
السر . (٣) جمع جذور وهو من يفر السر أي يخشي بين الناس . (٤) كذا بالأصل
والسياق يقتضى أن يكون « ودنا به من » . (٥) رآه : شكك وأوجب عده الزية .

منه مأمونٌ ، إن رُجِيَ خَافَ مَا يَقُولُونَ واستغفروا لا يعلمون ، إن عصته نفسه
 فيما كرهت لم يعلمها فيما أحببت ، بصمتُ ليسمَ ويخولِغتم وينطقُ ليفهم ويخالط
 يعلم . ولا تكن يا بُنَيَّ ممن يحجبُ باليقين من نفسه فيما ذهب وينسى اليقين فيما
 رجا وطلب ، يقول فيما ذهب : لو قدر شيء كان ، ويقول فيما بقي : استجأ بها
 الإنسان ؛ تغلبه نفسه على ما يظن ولا يتلها على ما يستيقن ، طال عليه الأمل ففتر ،
 وطال عليه الأمد فاضتر وأعذر إليه فيما عمر وليس فيما عمر بمعذر ، عمر فيما يتذكر فيه
 من تذكر ، فهو من الذنب والنعمة موقر ، إن أُعطي لم يشكر ، وإن مُنع لم يعذر ،
 يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويغضُ المسيئين وهو أحدهم ، يرجو الأجر
 في البغض على ظنته ولا يخشى اليقين من نفسه ، يخشى الخلق في ربه ولا يخشى
 الرب في خلقه ، يموذ بالله ممن هو فوقه ، ولا يريد أن يُعبد الله منه من هو تحته ،
 يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسر من عمله ، يُبصر العودة من غيره
 ويُغفلها من نفسه ، إن صلى اعترض ، وإن ركع ربح ، وإن سجد نقر ، وإن جلس
 شعر ، وإن سأل ألحف ، وإن سئل سَوَّف ، وإن حلت أخلف ، وإن وعظ كلم ،
 وإن مدح فرح ، يحسد أن يُفضل ، ويهد أن يُفضل ، إن أبيض في الخير يرم
 وضِعف واستسلم وقال : الصمتُ حكم ، وهذا ما ليس لي به علم ، وإن أبيض
 في الشر قال : يحسبُ بي عي ، فتكلم يجمع بين الآراي والنمام وبين الخصال والعم
 ولائم ما لا يتلاءم ، يتعلم للراء ، ويتفقه للرياء ، ويأدر ما يفنى ، ويؤاكل ما يبقى .

- (١) أى أَعذَرَ الله إليه ، يقال : أَعذَرَ الله إلى من بلغ السنين من العمر ، أى لم يبق فيه موصفا للاعتدال
 حيث أمهله طول هذه المدة . (٢) بَيَّانٌ له طَرز ، يقال : ما أطر فلان أى لم يثبت له طَرز .
 (٣) اعترض : تكلف ، يقال : اعترض فلان الشيء أى تكلفه . (٤) الإخلاف في المستقبل
 كالكتب في المائتي ، وهو أن يقول شيئا ولا يفعله . (٥) كَلَج : كشر في عبوس .
 (٦) سَمٌّ وضجر . (٧) حَكَم : حكمة . (٨) جمع أروية تجمع على الذكر والأنثى من العرول .

حدثني محمد بن داود عن أبي شريح الخوارزمي قال : سمعت أبا الزبيع الأعرج عمرو بن سليمان يقول :

- قال الحسن بن علي : ألا أخبركم من صديق كان لي من أعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يتشهي ما لا يحل ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يداً إلا على ثقة لمنفعة ، كان لا يتشكى ولا يتبرم ، كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال بذي القائلين ، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الحد فهو الليث عادي ، كان إذا جامع العلماء على أن يسمع أحرض منه على أن يقول ، كان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت ، كان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول ، كان إذا عرّض له أمران لا يدرى أيهما أقرب إلى الحق نظر أقربهما من هواه بخلافه ، كان لا يلوم أحداً على ما قد يقع العذر في مثله . زادني غيره : كان لا يقول حتى يرى قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً .^(١)

- وفي كلام على رضى الله عنه لكُتِل حين ذكر حُجَّجَ الله في الأرض فقال : هم بهم العلم على حقائق الأمور ، فباشروا رُوحَ اليقين ، واستلثوا ما استوحر المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواؤها معلقة بالمثل^(٢) الاصل : هاهُ شوقاً الى رؤيتهم .

قال رجلٌ ليونس بن عبيد : تعلمُ أحدًا يعمل بعمل الحسن ؟ قال : واهه ما أعرف أحدًا يقول بقوله فكيف يعملُ بعمله ! قيل : فصفه لنا ؟ قال : كان

(١) في الادب الكبير ص ١٣٠ طبع مصر ١٣٣٠ : « كان لا يدخل في دعوى ، ولا يشرك في شراء ، ولا يبدل بحبة ، حتى يرى قاضياً الخ » . (٢) في نهج البلاغة ص ١٠٨ ج ٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ « أه » وكذا الكليني معناه التوجع .

إذا أقبل فكأنه أقبل من دَفَن حِمِيهِ ، وإذا جلس فكأنه أَسِيرٌ أَمْرٌ بَضْرَبَ عُنُقَهُ ،
وإذا ذُكِرَت النارُ فكأنها لم تُحْتَقَقْ إِلَّا لَهُ .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
مَعْمَرُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ : مَا مَثَلُ قُرْأَةِ هَذَا الزَّمَانِ إِلَّا كَمَثَلِ غَنَمٍ
ضَوَائِنَ ذَاتِ صُوفٍ عَجَائِفٍ أَكَلْتُ مِنْ الْحَمَضِ ^(١) وَشَرِبْتُ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى انْتَفَخَتْ
خَوَاصِرُهَا ، فَتَوَتَّ بِرِجْلِ فَاعْبَجْتَهُ ، فَقَامَ إِلَيْهَا فَبَطَّ مِنْهَا شَاةٌ فَذَا هِيَ لَا تَتَّقِي ^(٢) ، ثُمَّ عَبَطَ
أُخْرَى فَذَا هِيَ كَذَلِكَ ، فَقَالَ : أَفَّ لَكَ ، سَائِرُ الْيَوْمِ .

حدثنا حسين قال حدثنا عبداقه بن المبارك قال أخبرنا معمر عن يحيى بن الخضر
عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : إِذَا شَلَّتْ لَقِيَّتَهُ أَيْبُضٌ بَضًّا حَدِيدُ النَّظَرِ مَيَّتَ الْقَلْبُ وَالْعَمَلُ ، أَنْتَ
أَبْصَرُهُ مِنْ نَفْسِهِ ، تَرَى أَبْدَانًا وَلَا قُلُوبَ ، وَتَسْمَعُ صَوْتًا وَلَا أُنْسَ ، أَخْصَبُ
السِّنَةِ وَأَجْدَبُ قُلُوبَ .

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن وكيع قال :

قَالَ سُفْيَانُ : الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصْرُ الْأَمَلِ ، لَيْسَ بِأَكْلِ الْقَلِيلِ وَلَا تُلْسِ الْقَلِيلِ .
قَالَ : وَقَالَ يَوْسُفُ بْنُ أَسْبَاطَ : لَوْ أَتَى رَجُلًا فِي تَرْكِ الدُّنْيَا مِثْلُ أَبِي ذَرٍّ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ
وَسَلْمَانَ ، مَا قَاتَلَهُ : إِنَّكَ زَاهِدٌ ، لِأَنَّ الزَّهْدَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى تَرْكِ الْحُلَالِ الْحَمَضِ ، وَالْحُلَالِ
الْحَمَضِ لَا نَعْرِفُهُ الْيَوْمَ ، وَإِنَّمَا الدُّنْيَا حُلَالٌ وَحَرَامٌ وَشُبُهَاتٌ ؛ فَالْحُلَالُ حَسَابٌ ، وَالْحَرَامُ

(١) الحمض من الثبات : كل نبت ما لم يأكله أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٢) عبط الشاة : ذبحها صحيحة من غير علة بها . (٣) لا تتق : ليس لها تقى لضيقها وهزالها .

والنقي : المنق . (٤) كذا في الأصل ، ولم يتقدم ما يصلح أن يكون مرجعا للضمير في قوله « لقيته » .

وفي النهاية لابن الأثير ولسان العرب في مادة « بض » : وفي حديث الحسن « تلقى أحمدا أبيض بشا » .

(٥) من البيضاء وهي رقة اللون وصفاته .

عذابٌ، والشبهات عتابٌ، فأنزل الدنيا منزلة الميتة خُذ منها ما يُقيمك، فإن كان ذلك حلالاً كنت زاهداً فيها، وإن كان حراماً لم تكن أخذت منها إلا ما يُقيمك كما يأخذ المضطر من الميتة، وإن كان عتابٌ كان العتابُ يسيراً . ومثله قول بعضهم : ليس الزهد بترك كل الدنيا، ولكن الزهد التهاونُ بها وأخذُ البلاغ منها . قال الله تعالى ﴿وَشَرُّهُ يَبْغِي بَحْسَ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾، فأخبر أنهم زهدوا فيه . وقد أخذوا له ثمناً .

قال أبو سليمان الداراني : الرضا عن الله والرحمةُ لخلق درجة المرسلين ، وما تعرف الملائكةُ المقربون حدَّ الرضا . وقال : أرجو أن أكون قد نلتُ من الرضا طرْقاً، لو أنه تبارك وتعالى أدخلني التاركنتُ بذلك راضياً . قال : وليس الحمد له أن يحمده بلسانك وقلبك مُقتصرٌ على المصيبة، ولكن هو أن يحمده بلسانك وقلبك مسلماً راضٍ .

وقال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان : بلغني في قول الله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أنه الذي يلقي ربه وليس فيه أحدٌ غيره ؛ فيكي وقال : ما سمعتُ مذ ثلاثين سنة أحسن من هذا . وقال : كل قلب فيه شركٌ فهو ساقط . قال : وما في الأرض أحدٌ أجده له حجةً ولكن رحمة . وقال : ينبغي للخوف أن يكون أغلبَ على الرجاء ، فإذا غلبَ الرجاءُ على الخوفِ فسَدَ القلبُ . وقال الفضيل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله .

الحسين بن علي عن عبد الملك بن أبيجر : أن رجلاً يكنى أبا سعيد كان يقول : والله ما رأيتُ قِزاً زمان قط أغلظَ رقاباً ولا أدقَّ ثياباً ولا آكلَ لمخ العيش منكم . أبو أسامة عن حماد بن زيد عن اسماعيل بن سويد قال :

قال مطرف: أنظروا قوما اذا دُكِّروا دُكِّروا بالقراءة فلا تكونوا منهم، وقوماً اذا دُكِّروا دُكِّروا بالفُجور فلا تكونوا منهم، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء .
أوصى ابن مُحَيَّرٍ رجلًا فقال : إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف وتَسأل ولا تُسأل وتمشي ولا يمشي اليك، فافعل .

قال أيوب : ما أحبُّ الله عبداً الا أحبَّ ألا يُسْعَر به .

إسحاق بن سليمان عن جرير بن عثمان قال : جاء شريح بن عبيد الى أبي عاتق الأزدى فقال : يا أبا عبد الله ، لو أحييت سنة قد تركها الناس : إرخاء طرف العمامة من الجانب الأيسر ! قال : يا بن أُنَى ، ما كان أحسنها ! تركها الناس فتركناها ، ما أحبُّ أن أصرَّف في خير ولا شر .

كلام من كلام الزهاد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا عبد الله ابن عبد العزيز قال :

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل : يا فلانُ ، هل أنت على حالٍ أنت فيها مستعدٌ للموت ؟ قال : لا ؛ قال : فهل أنت مجعٌ على التحول الى حالٍ ترضى بها ؟ قال : ما تَخَصَّصْتُ شئاً لذلك ؛ قال : فهل بعد الموت دارٌ فيها مُستعَب ؟ قال : لا ؛ قال : فهل تأمنُ الموت أن يأتيك ؟ قال : لا ؛ قال فهل رضى بمثل هذا الحال طاقل ! .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثني خير واحد عن معاوية ابن قُرة قال :

قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث : أضحكني مؤمل الدين والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أراض الله عنه أم سخط عليه . وأبكاني فراق الأحبة : حيد وحزبه ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السمائر ، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار .

- كان عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول : تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من القصار . قال : وقال الفضيل : أصل الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يزويها عنه ويمرمرها عليه بالمرى مرة وبالجوع مرة وبالحاجة مرة ، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها : تسقيه مرة صبراً مرة حُضْباً ، وإنما تريد بذلك ما هو خير له .

- وقال السري : ليس من أعلام الحب أن تُحب ما يُنفذه حيي . أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء : أما زهلك في الدنيا فتعجلك الراحة لنفسك ، وأما انقطاعك إلى تعززك بي ، ولكن هل عادت لي مدقاً أو وابت لي ولياً .

- قال مالك بن دينار : بلغنا أن حبراً من أحبار بني إسرائيل كان يشاء الرجال والنساء ، فتمز بعضُ بنيه النساء ، فراه فقال : مهلاً يا بني مهلاً ! قال : فسقط عن سريره فانقطع ^(٥) فخاضه وأسقطت امرأته وقُتل بنوه في الجيوش . وقيل له : ما يكون من جنسك حبر أبداً ، ما كان غضبك لي إلا أن قلت يا بني مهلاً يا بني مهلاً .

(١) القصار : المحقر واليابس ، مما يدل على ذلك لأنه يدعى بالقصرة التي هي قطعة من الخشب .

(٢) يمرمرها : يمزجها ويقتطعها . (٣) عصاة شجر مرمر . (٤) الخفض

(بضم أوله مع ضم ثانيه أو حقه) : دواء يقد من أبوال الإبل ، ويقال على صنع من نحو الصنوبر والخر

له مرة كالقفل . (٥) النخاع : الخيط الأبيض في جوف الفقار يحد من الدماغ وتشتب منه شهب في الجسم .

مُتَمَرَّةٌ بِنِ رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَمَ يَقُولُ: إِرَضَ بِاللَّهِ صَاحِبًا وَدَعِ النَّاسَ جَانِبًا .

كَانَ يُشْرِبُ الْحَارِثَ يَقُولُ : أَرَبَعَةٌ رَفَعَهُمُ اللَّهُ بِغَيْرِ كَبِيرٍ عَمِلَ فِي الظَّاهِرِ إِلَّا لِطَيْبِ الْمَطْعَمِ : إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَمَ وَسَالِمَ الْحَوَاصِ وَوُعَيْبَ الْمَكِّيَّ وَيُوسُفَ ابْنَ أَسْبَاطَ .

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ أَوْغِرَهُ عَنِ الثَّعْبِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : أَرَبَعٌ لَيْسَ عَلَيْكَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ حِسَابٌ : سَدُّ الْجُوعَةِ ، وَبُرْدُ الْعَطَشَةِ ، وَسِتْرُ الْعُورَةِ ، وَالْأَسْتِكْنَانُ ؛ ثُمَّ تَلَا : (إِنَّكَ لَا أَتَجَمُّعُ فِيهَا وَلَا تَمْرَى وَأَنْتَ لَا تَنْظِلُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى) .

بَلَغَنِي عَنْ يَعْلَى عَنْ سُفْيَانَ : قَالَ عَلَى طَلِيهِ السَّلَامُ لِرَجُلٍ : كَيْفَ أَتَمُّ ؟ قَالَ : نَزِجٌ وَخَافٌ ؛ قَالَ : مِنْ رَجَا شَيْئًا طَلَبَهُ ، وَمَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ ، مَا أَدْرَى مَا خَوْفٌ رَجُلٍ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ فَلَمْ يَدْعُهَا لِمَا يَخَافُ ! وَمَا أَدْرَى مَا رَجَاءٌ رَجُلٍ نَزَلَ بِهِ بَلَاءٌ فَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ لِمَا يَرْجُو .

بَلَغَنِي عَنْ عِيسَى بْنِ يُونُسَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ : إِنْ كَانَ الْفَضِيلُ فِي الْجَمَاعَةِ فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعَزَلَةِ . وَبَلَغَ الْفَضِيلَ هَذَا فَقَالَ : سَمِعْتُ كَلَامًا أَحْسَنَ مِنْهُ ! قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : رَكِبْتُ مَعَ مُحَمَّدَ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيَّ السَّنِينَةَ فَقُلْتُ : بَأَى شَيْءٌ أَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْكَلَامَ ؟ فَقُلْتُ : مَا تَقُولُ فِي الصُّومِ فِي السَّفَرِ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا هِيَ الْمُبَادَرَةُ ؛ بِغَفَاءٍ وَاللَّهِ بَشْتَوَى غَيْرَ نَتَوَى إِبْرَاهِيمَ وَالسَّعْمِيَّ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : قِيلَ لِأَبِي حَازِمٍ : مَا مَالُكَ ؟ فَقَالَ : الثَّقَةُ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ وَالْيَأْسُ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ . وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكُمْ ، فَأَتَرْتُمْ تَفْسَكُمُ أَيُّهَا الْمَرْءُ بِالنَّصِيحَةِ حَتَّى

ولذلك ، وعلم أنك إنما تخلف مالك في يد أحد رجلين : عامل فيه بمعية الله فتشقى بما جمعت له ، وعامل فيه بطاعة الله فتسعد بما شقيت له ؛ فارجُ لمن قدمتَ منهم رحمة الله ، وثقُ لمن خلفتَ منهم برزق الله .

وقال أبو حازم : إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففى أدناها ما يكفيك ، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يُفنيك .

ونظر أبو حازم الى الفاكهة في السوق فقال : موعذك الجنة . ومتر بالجزائر ين فقال له رجل منهم : يا أبا حازم ، هذا سمينُ فاشترمته ؛ قال : ليس عندى ثمنه ؛ قال أنا أنظرك ؛ ففكر ساعة ثم قال : أنا أنظرُ قسًى .

قال سُفيان : حلف أبو حازم بلسانه : إني لأرضى أن يتقَى أحدكم حل دينه كما يتقَى حل قله .

حدثني محمد بن زياد الزياتي قال حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الصحةُ والفرأغُ نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس» .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو ربيعة فهد بن عون عن حماد بن سلمة عن يعقوب قال : سمعتُ الحسن يقول : «إبن آدم ، إنما أنت عندٌ ، فإذا مضى يومٌ فقد مضى بعضُك» .

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي عن الحسن بن ذكوان رفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أوصاني ربى بتسع خصالٍ وإنى موصيكم بها :

(١) كذا بالأصل . ولم نجد في أيدينا من المصادر أن «يتقَى» يتعدى بحرف «على» فله عرف من «يتقَى» والإبقاء على الشيء : الإبقاء والمحافظة عليه .

بالإخلاص في السرِّ والعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدِ فِي الْفَقْرِ وَالْفَنَى،
وَأَنْ أَغْشَوْا عَنْ ظِلْمَتِي، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي وَأَعْطَى مَنْ حَرَمَنِي، وَأَنْ يَكُونَ صَمَتِي
تَفَكُّراً، وَمَنْطِقِي ذِكْراً، وَنَظَرِي عِبْرَةً» .

مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن حميد قال : كان ابن عمر يقول : البرُّ
شئ هين : وجهٌ طليقٌ وكلامٌ لين .

جعفر بن سليمان قال : سمعت مالكا يقول : اتَّقُوا السَّحَابَةَ، فَإِنَّهَا تَسْحَرُ
قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ . قال : وسمعتَه يقول : وَدِدْتُ أَنْ رَزَقْتُ فِي حَصَاةٍ أَمْصَاهَا حَتَّى
أَمُوتَ، وَلَقَدْ اخْتَلَفْتُ إِلَى الْخَلَاءِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي .

يُشْرُ بْنُ مُصْلَحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَصْبُغِيِّ عَنْ أُسْدِ بْنِ مُوسَى قَالَ : فِي الْجُوعِ
ثَلَاثٌ خِلَالُ : حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَمَدْلَّةُ النَّفْسِ، وَيُورِثُ الْعَقْلَ الدَّقِيقَ السَّمَاوِيَّ . ١٩

سالم بن سالم البلخي عن السري بن يحيى قال : كان الحسن إذا عاد مريضاً
لم ينتفع به يوماً وليلة، وإذا شيع جنازة لم ينتفع به أهله وولده وإخوانه ثلاثاً .

خَلْفُ بْنُ تَمِيمٍ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ آدَمَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ، أَحَبُّ أَنْ تَقْبَلَ
مِنِي هَذِهِ الْجُبَّةُ كُسُوءٌ ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ كُنْتَ غَنِيًّا قَبِلْتُهَا مِنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ فَقِيرًا
لَمْ أَقْبَلْهَا ؟ قَالَ : فَإِنِّي غَنِيٌّ ؟ قَالَ : كَمْ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : أَلْفَانُ ؟ قَالَ : فَيَسْرُكُ أَنْ
تَكُونَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : أَنْتَ فَقِيرٌ ، لَا أَقْبَلُهَا . ١٥

قال عبيد الله بن عمر : دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفضيل نموده ؛ فقال :
زَوْجُكَ وَخَوَلُوكَ وَصَرَفَ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَسْتَغْلِقُ عَنْهُ مَنْ أَنْتَ وَمَا أَنْتَ !
ثُمَّ شَقَّ شَهْقَةً ، وَأَضْمَحَ رَجُلٌ كَانَ عِنْدَهُ وَغَطَّى عَلَيْهِ ثَوْبًا وَهُوَ لَا يَعْقِلُ ، وَنَزَلْنَا .

بَكَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ : ٢٠

قال أبو حازم : المرء أملك بالعلانية من السر، والفعل أملك بالقول من القول بالفعل ، فإذا كنت في زمان يرضى فيه من الفعل بالقول ومن العمل بالعلم، فانت في شر زمان وشر أناس .

ابن أبي الخوارى قال : ذكرت لأبي سليمان أمرأتى والشغل بها، فقال :

- إن علم الله من قلبك أنك تريد الفراغ له فوكل، وإن كنت إنما تريد الراحة منها لتسبيل بها، فهذه حماقة . قال : ورأيت حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ملياً وأخذته كالغشي وجعل رأسه عند ركبته بفعل مجله ينف ومجلى ينقل حتى سرنا هويماً^(١)، ثم أفاق فقال : يا أحمد، بلغني أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى مر ظلمة بنى إسرائيل أن يهلوا من ذكرى، فإني أذكركم ذكرى منهم بلعنة حتى يسكت » . ويحك يا أحمد بلغني أنه من حج من غير حله ثم لبي، قال له تبارك وتعالى : لا ليك ولا سمعديك حتى ترد ما في يدك ، فما يؤمننا أن يقال لنا ذلك . قال وقال أبو سليمان : يبيحك وأنت في شيء من الخير فيشير لك إلى شيء من الخير دونه ليربح عليك شعيرة، يعني إبليس .

قال المسيح لأصحابه : بحق أقول لكم، إن من طلب الفردوس نجف الشعيرة

- والنوم في المزابل مع الكلاب كثير .

مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبي هند عن مكحول قال : كنا أجنّة في بطون أمتهاتنا فسقط من سقط وكنا فيمن بقي ، ثم كنا مرابع فهلك منا^(٢)

(١) وردت هذه الكلمة مرسومة في الأصل هكذا : « وإنما كنت » . ومن المحتمل أن يكون

صوابها « إما كنت » : على أنها « إن » الشرطية مدغم في « ما » الزائدة، فكيفها التامع « إنما »

(٢) هويماً : سامة من الليل . (٣) جمع مرضع (بفتح الصاد) أى رضيع .

من هلك وبقي من يقي، وكذا أيفاعاً، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شياناً، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخاً لا أباً لك فما تنتظر وما نريد! وهل بقيت حالة تنقل إليها .

قال وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم، فيأتيه الله برزقه من قبل سُرته ، وغذاؤه في بطن أمه من دم حيضها، فمن ثم لا تحيض الحامل، فإذا سقط استهل استهلالاً إنكاراً لمكانه، وقُطعت سُرته وحوّل الله رزقه إلى ثدي أمه ثم حوله إلى الثدي، يُصنع له ويتناول به كفه، حتى إذا اشتد وعقل قال : أين لي بالرزق! يا ويحك! أنت في بطن أمك وفي عجزها تُرزق حتى إذا حَقَلت وشَبَّت قلت : هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق! ثم قرأ (يَعْلَمُ مَا تَحِيلُ كُلُّ أَنْثَى وَمَا تَخِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدُّنَّ) .

١٠ عبد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النضر الحارثي إذا لم يكن في صلاة استقبال القبلة، فقمنا إليه بعد العصر فقال: بلغني أنه من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ألف مرة في دُبر صلاة العصر، رُفِعَ له عملٌ نَجِيٌّ، ثم قال : قد أكرت الكلام .

وقال سعيد بن عمر الكندي دخل رجلٌ على داود وهو يأكل خبزاً يابساً قد بلّه في الماء بلمع جريش^(١)، فقال له : كيف تشتهي هذا ! قال : أدعُه حتى أشتبهه . ونحو هذا قول هشام بن عبد الملك أسألم : ما أدملك؟ قال : الزيت؛ قال : أما تأججه؟ قال : إذا أجمته تركته حتى أشتبهه . قال : وكان ماء داود في دَنٍّ مَقِيرٍ في الصيف^(٢) .

(١) في الأصل : «له» . (٢) جريش : لم يلبس . (٣) الأدم (بالضم) : ما يؤكل به الخبز أي شيء كان . (٤) تأججه : تركه وتعله . (٥) مقير : مطلى بالقار وهو شيء أسود تظلي به السفن ، وقيل هو الوقت .

والثناء، فقال له بعض أصحابه : لو بردت الماء ! فقال داود : انا أصبت في مثل هذا اليوم ماءً بارداً فتى تحب الموت ! .

- سعيد بن عمرو عن رجل قال : قال محمد بن واسع : لو كان للذنوب ريحٌ ماجئس إلى منكم لثان . وقال محمد بن واسع : لا يطيب المال إلا من أربع : سهم في قية المسلمين ، أو عطية عن ظهيره ، أو إرث بكتاب الله ، أو تجارة من حلال ؛ ولا يقتل مسلم إلا بهذه الخصال : كفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل فيقتل ، أو حارب الله ورسوله وقطع الطريق .

- قال سليمان بن المغيرة سمعت ثابتاً يقول : والله لحمل الكارات أهون من العبادة . قال : ولا يسمى الرجل عبداً وإن كانت فيه خصلة من كل خير حتى يكون فيه الصوم والصلاة ، فإنهما من لحمه ودمه .

- أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حيان قال : كان عيسى بن عتبة يسجد حتى إن العسافير ليقعن على ظهره ويترنن ، ما يحسبونه إلا حرم حائط .

- حدثني محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال : شكوا أهل مكة إلى الفضيل القحط ، فقال : أمدبراً غير الله تريدون ! . قال : وسمعت يقول : استخيروا الله ولا تحيروا عليه ، فكم من عبد تحير نفسه أمراً كان هلاكه فيه ! أما رأيتموه سأل ربه طرسوس فأعطىها فأمر فصار نصرانياً^(١) .

وحدثني أيضاً عن سعيد بن نصير قال قال وكيع : أبو يونس ، ومن أبو يونس ! بكي حتى عجمي ، وطاق حتى أقعد ، وصلي حتى حليب .

- (١) طرسوس يد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وكان الزنادق والملاحون يقصدونه لأنه من ثور المسلمين ، استولى عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ وسمر وقتل بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام ، وأقام قريسيه على الجزية (انظر معجم البلدان في اسم طرسوس) .

حدثني محمد بن عبيد قال محمد بن عبد الله الأنصاري عن بهز بن حكيم قال :
صلى بنا زرارَةُ بن أوفى الغدَاة ، فقرأ الإمامُ ﴿ فَإِذَا قُريَ النَّاقُورُ فَذَلِكَ يَوْمُئِذٍ يَوْمٌ
نَحْشُرُ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ ميسِرٍ ﴾ ، نَحْشُرُ مَحْشِبًا عليه ، حملناه ميتًا .

ابن أبي الحواري قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : الصلاة تُبَلِّغُكَ
نصفَ الطريق ، والصومُ يبلِّغُكَ بابَ الملك ، والصدقةُ تُدْخِلُكَ عليه .

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوبَ فقال : رحمه الله — ثلاثا — لقد قَدِمَ المدينةَ مرَّةً
وأنا بها ، فقلت : لأُصَدِّقَ له ، لعل ألتلَّقَ عليه بسُقطة ، فقام من القبر مقامًا مذكَّرتُه
فقط إلا أقشعرَ جلدي .

روى ابنُ عيَّاش عن سعيد بن أبي عروبة قال : حجَّ الحجاج فترل بعضَ المياه
ودعا بالغدَاة ، فقال لحاجبه : انظر من يتعلَّى معي وأسأله عن بعضِ الأمر ؛
فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابيٍّ بين ثَمَلَتَيْنِ من شَعَرَتائِمَ ، فضربه برجله وقال :
أنت الأميرُ فأتاه ؛ فقال له الحجاج : اغسِلْ يَدَكَ وَقَدِّمْ معي ؛ قال : إنه دعاني مِنْ
هو خيرُ منك فأجبتُه ؛ [فقال له الحجاج : من الذي دعاك ؟] . قال : اللهُ تعالى دعاني
إلى الصومِ فصُمتُ ؛ قال : في هذا اليومِ الحارِّ ! قال : نعم صُمتُ ليومٍ أحرَمته ؛
قال : فأفطرُ وتصومُ غدا ؛ قال : إن ضمنتَ لي البقاءَ إلى غد ؛ قال : ليس ذاك
إلي ؛ قال : فكيف أتأني عاجلا بآجل لا تقدرُ عليه ! قال : إنه طعامٌ طيبٌ ؛
قال : إنك لم تُطَيِّبه ولا الخبَّاز ، ولكن طيَّبه العافية .

ونحو هذا حدث الأصبغي عن شبيب بن شيبه قال : تكأ في طريق مكة لخباء
أعرابيٍّ في يومٍ صائِفٍ شديدٍ الحَرِّ ومعه جاريةٌ سوداءٌ وصحيفةٌ ، فقال : أفبكم

كاتب ؟ قلنا : نعم ؛ وحضر غداؤنا فقلنا : لو دخلت وأصبحت من الطعام ! قال :
إني صائم ؛ قلنا : في الحز وشدة وجهه البادية ! فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن
فيها ، وسنكون ولا أكون فيها ، ولا أحب أن أغيب آياي ، ثم نبذ إلينا الصحيفة ،
وقال : أكتب ولا تزيد على ما أقول حرفا : هذا ما أعتق عبدُ الله بن عجيل
الكلابي ، أعتق جارية له مودأه يقال لها لؤلؤة ، ابتغاه وجه الله تعالى وجواز العقبة ،
وإنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاء ، المنة لله عليها وعليه واحدة . قال الأصمعي :
لقد شئت بها الرشيد ، فأمر أن يُعتق عنه ألف نسمة أو مائة نسمة ، ويُكتب لهم
هذا الكتاب .

قال خالد بن صفوان : بُتُّ أُمِّتِي لِبَيْتِي كُلِّهَا ، فَكَبَسْتُ الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ بِالذَّهَبِ
الْأَحْمَرِ ، فَإِذَا الَّذِي يَكْفِينِي مِنْ ذَاكَ رَغِيْفَانِ وَكُوزَانِ وَطِمْرَانِ ! .

رأى رجلٌ رجلا من ولد معاوية يعمل على بئر له ، فقال : هذا جد ما كنتم
فيه من الدنيا ! فقال : رحمك الله ، ما قَعَدْنَا إِلَّا الْفَضُولَ .

سمعتُ بعضَ العباد يقول : علامةُ التَّوْبَةِ الْخُرُوجُ مِنَ الْجَهْلِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ
الذَّنْبِ ، وَالتَّجَانُّي عَنِ الشَّهْوَةِ ، وَاعْتِقَادُ مَقْتِ نَفْسِكَ الْمُسَوَّلَةِ ، وَإِحْرَاجُ الْمَظَالِمَةِ ،
وَإِصْلَاحُ الْكُسْرَةِ ، وَتَرْكُ الْكُذْبِ ، وَقَطْعُ الْغِيَةِ ، وَالْإِتْمَاءُ عَنْ خِذْنِ السَّوِّءِ .

لَقِيَ زَاهِدٌ زَاهِدًا فَقَالَ لَهُ : يَا أُنْسِي ، إِنِّي لِأُحِبَّكَ فِي اللَّهِ ؛ قَالَ الْآخَرُ :
لَوْ عَلِمْتُ مَتَى مَا أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِي لِأُبْنِضَتَنِي فِي اللَّهِ ؛ قَالَ لَهُ الْأَوَّلُ : لَوْ عَلِمْتُ مِنْكَ
مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ ، لَكُنْتُ لِي فِيهَا أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِي شُغْلٌ عَنْ بِنْفُضِكَ .

كان النورى مستخفياً بالبصرة، فورد عليه كتابٌ من أهله، وفيه : « قد بلغ بنا الجهد الى أن نأخذ النوى ففرضه ثم نخلطه مع التبن فناكله » فخرّك ذلك من قلبه، ورعى بالكتاب الى أخ له به فقرأه فدعّت عينه، ثم قال : يا أبا عبد الله، لو أنك حدثت الناس آتست وآتست هؤلاء ! فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال : إسمع حديثاً أحدثك به ثم لا أكلّك بعده سنة : رُئى نورٌ فى الجنة تجتد، فقيل : ما هذا النور؟ فقيل : حوراءٌ ضحكت فى وجه زوجها فبدت شياها، فقرأ لى أن أغرّرتك وأصير الى ما تقول !

أراد قومٌ سفراً لخادوا عن الطريق وانتهوا الى راهبٍ منفردٍ فى ناحية، فنادوه فأشرف عليهم، فقالوا : إنا قد ضللتنا فكيف الطريق ؟ قال لهم : ما هنا، وأوما الى السماء، فلبوا الذى أراد، فقالوا : إنا سائلوك، أفنحينا أنت ؟ قال : سلوا ولا تكفروا، فأت التمارن يرجع والعمران يعود والطالب حثيثٌ فى طلبه ذو اجتهاد، قالوا : ما الخلق عليه فدنا عند مليكهم ؟ فقال : على نياتهم، فقالوا : فلام المولى ؟ قال : الى المقدم قالوا : أوصنا، قال : تزودوا على قدر سفركم، فان خير الزاد ما بلغ المحل، ثم أرشدهم الى المحجة واتجمع^(١).

وقال آخر : قلت لراهب : عظمى عظة نافعة ؟ فقال : جميع المواعظ منتظمة فى حرف واحد، قلت : ما هو ؟ قال : تجمّع على طاعته، فاذا أنت قد حوت المواعظ والأذكار .

الأصمى : قيل لأعرابى معه ماشية : لمن هذه الماشية ؟ قال : لله عندى .

كان ابن السكّ يقول فى كلامه : لقد أهلكم حتى كأنه أهلكم، أما تستحيون من الله من طول ما لا تستحيون !

قال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العمل ، فإن قصر بكم ضعف فكفوا
عن المعاصي .

كان مالك بن دينار يقول في قصصه : ما أشدّ فطام الكبير ! وينشد :
وتروض عرسك بعد ما هيرمت * ومن العناء رياضة الهرم

كان أصرابي يسرق الإبل يُسَمَّى يزيد ، ثم تاب وقال :

ألا قلّ لرعيان الخائض أهملوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد
وإنّ امرأً ينجو من النار بعد ما * تزود من أعمالها لسميد

وقال نصيب الأسدّي :

كفى تفلّحاً بالمرء يا أم صالح * ركوب المعاصي عامداً واحتقارها

كان خالد بن معدان يقول :

إذا أنت لم ترزع وأبصرت حاصداً * نلّمت على التفريط في زمن البذر

قال منصور بن عمار : ما أرى إساءة تكبر عن عفو الله فلا تأيس ، وربما

أخذ الله على الصغير فلا تأمن .

وروى وكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن حُتَيْبَةَ بنِ شِمَعَانَ عن مُسَيْكَةَ عن

عائشة رضي الله عنها أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة فيها خبز شعير

وقطعة من الكرش ، فقالت : يا رسول الله ، ذبحنا اليوم شاة فما أسكتنا منها إلا هذا ،

قال : « بل كلّها أسكتكم إلا هذا » .

(١) في اللسان (مادة يهر) : « لرعيان الأباقر » .

(٢) التلّف (بالتحريك) : اللب .

استقبل عاصم بن عبد قيس رجلاً في يوم حلبة ، فقال : من سبّني يا شبيخ ؟
فقال : المقرّبون . وأتى به عثان وأقيّد في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً يظا
في عباءة ، فانكر مكانه ، فقال : يا أعرابي أين ربك ؟ قال : بالمِرْصاد .

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : ما بالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمّرت
الدنيا وأحرّبت الآخرة ، فأنتم تكهون أن تنقلوا من العمران إلى الخراب .
قال الحسن : نعم الله أكثر من أن تُشكر إلا ما أعان عليه ، وذُنُوبُ ابن آدم
أكثر من أن يُسَلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه .

وقال الحسن : تتفق دينك في شهوتك سرّافاً ، وتتمنع في حق الله درهما ، ستعلم
بالصّح .

خرج المسيح من بيت مُوسى ، فقيل له : يارُوحَ الله ، ما تصنع عند هذه ؟
فقال : إنما يأتي الطبيب إلى المَرَضَى . ومَرَّ بقوم شتموه فقال خيراً ، ومَرَّ بآخرين
شتموه فقال خيراً ، فقال رجل من الحواريين : كلما زادوك شرّاً زدت خيراً ، كأنك
تُفْريهم بنفسك ! فقال : كل إنسان يُعطى مما عبّده .

أخبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للذين : فقال سليمان : فليُن
رحمة الله ؟ قال : قريب من المحسنين .

قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عطني ، فقال : لا أرضى نفسي لك ،
لاني لأُصِلَّ بين الغني والفقير ، فأُصِلَّ على الفقير وأُوسَعَ للثني .

فظرت امرأة إلى أخرى وحوّلها عشرة من ولدها كأنهم الصبيح ، فقالت :
لقد ولّدت أمك حزناً طويلاً .

(١) كذا بالأصل . وفي البيان والبيان (ج ٣ ص ٧٤ طبة القاهرة ١٣٣٢هـ) : لا أعرايا
أشقى في بيت .

أَحْضِرْتَنِي كَانَ فِيهِ زَهْوٌ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِذَا أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا يُبْكِيكَمَا ؟
قَالَا : الْخَوْفُ عَلَيْكَ لِإِسْرَافِكَ عَلَى نَفْسِكَ ؛ فَقَالَ : لَا تَبْكِيَا ، فَوَاهُ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ الَّذِي
يُبْدِ اللَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ بِأَيْدِيكَمَا .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا بن آدم لا تحمل هم يومك الذي
لم يَلَيْتْ على يومك الذي أنت فيه ، فَإِنَّ يَكُ مِنْ أَجْلِكَ يَأْتِ فِيهِ رِزْقُكَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّكَ
لَا تَكْسِبُ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا فَوْقَ قُوَّتِكَ إِلَّا كُنْتَ فِيهِ خَازِنًا لِنَعِيرِكَ . قال النابغة
في نخوه :

وَلَسْتُ بِمَاجِيسٍ لِنَعِيدٍ طَعَامًا * حَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ

تناكر حُدَيْفَةُ وَسَلْمَانَ أَمْرَ الدُّنْيَا ، فَقَالَ سَلْمَانُ : وَمَنْ أَعْجَبَ مَا تَنَاقَرْنَا
صَعُودُ غُنَيَاتِ الْغَامِذِيِّ مَرِيرَ كَسْرِي ، وَكَانَ أَمْرًا بِي مِنْ غَامِذٍ يَرَى شَوْهَاتٍ لَهُ ،
فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ صَبَّرَهَا إِلَى عَرْصَةِ إِيوَانَ كَسْرِي ، وَفِي الْعَرْصَةِ مَرِيرُ رُحَايِمَ كَانَ يَجْلِسُ
عَلَيْهِ كَسْرِي ، فَتَصْعَدُ غُنَيَاتُ الْغَامِذِيِّ إِلَى ذَلِكَ السَّرِيرِ .

دخل أبو حازم المسجد فوسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ : إِنَّكَ قَدْ أَحْدَثْتَ بَعْدَ وُضُوئِكَ ،
فَقَالَ : وَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِنْ نَعَصِكَ ! .

قال الزبير : يَكْفِينَا مِنْ خَضَمَتِكَ الْقَضَمُ ، وَمِنْ نَصَبِكَ الْعَنَقُ . قال رجلٌ لَأَمِّ الدُّرْدَاءِ :
إِنِّي لِأَجِدُ فِي قَلْبِي دَاءً لَا أَجِدُ لَهُ دَوَاءً ، أَجِدُ قَسْوَةً شَدِيدَةً وَأَمَلًا بَعِيدًا ؛ قَالَتْ :
إِطْلُعْ فِي التَّجَبُّورِ وَأَشْهَدْ الْمَوْتَ .

(١) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأصابع . والعنق (بالتحريك) :

سير سبط نسيج واسع الإبل . والنس : استقصاء ما عند الحاجة من السير . يريد أن يقول : يكفينا
منكم القليل بدل الكثير .

قيل للربيع بن خيثم : لو أرحمت نفسك ! قال : راحتها أريد .

قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتاباً أنه معذبٌ رجلاً واحداً نلتفتُ أن أكونه ، أو أنه راحمٌ رجلاً واحداً لرجوتُ أن أكونه ، أو أنه مُعَذِّبٌ لا محالة ما ازدددتُ إلا اجتهداً لئلا أرجعَ على نفسي بلاءة .

٥ أئني قومٌ حل عوف بن أبي جميلة ، فقال لهم : دعونا من التناء ، وأملدونا بالدعاء .

قيل لبعض العباد : مَنْ شَرُّ الناس ؟ قال : من لا يُبالي أن يراه الناسُ سيئاً .

قال المسور بن مخرمة : لقد وارت الأرضُ أقواماً لو رأوني معكم لاستحييتُ منهم .

١٠ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : عجبتُ لمن يهلك والنجاة معه ؛ قيل : وما هي ؟ قال : الاستغفار .

كان قتيُّ مُحَالِسٍ مُقْبِيَانِ الثورَى ولا يتكلم ، وكان مغبانٌ يحب أن يتكلم لسمع كلامه ، فتر به يوماً فقال له : يا فتى ، إن مَنْ كان قبلنا مَرُوا على خيلٍ وبقينا على حِميرٍ دَرَّةً ؛ فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إن كُنَّا على الطريقِ لما أسرعَ لحُقُوقنا بالقوم ! .

١٥ قال الحسن : إن خَفَقَ النملُ خلفَ الرجالِ قلَّ ما تَلَبَّثَ الحقُّ . وذكر عنده الذين يلبسون الصوف ، فقال : ما لهم تفاقموا ! — ثلاثاً — أَكُنُوا الْكِبَرُ في قلوبهم وأظهروا التواضعَ في لباسهم ، والله لأحدهم أشدُّ عُجْباً بِكسائه من صاحبِ المِطْرَفِ ببطرفه ، ودخل عليه رجلٌ فوجد عنده رِيحَ قَدِيرٍ طَيِّبَةٍ ، فقال : يا أبا سعيد ، إنا قَدَرَكْ لَطِيْبَةً ؛ قال : نعم لا رَغِيْفِيْ مَالِكٍ وَهَمْنَاهُ فَرَقْدُ .

٢٠ (١) تهاقدا : دعا . طيم بأن يقعد بعضهم بعضاً . (٢) كذا بالأصل الملقى غير واضح .

طَلِبَ أَبُو قَلَابَةَ لِلْقَضَاءِ فَلَحِقَ بِالشَّامِ هَرَبًا، فَأَقَامَ حِينَئِذٍ ثُمَّ قَبِلَ الْبَصْرَةَ؛ قَالَ
أَيُّوبُ فَقَالَ لَهُ : لَوْ أَتَيْتَ الْقَضَاءَ وَعَدَلْتَ بَيْنَ النَّاسِ رَجَوْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ
أَجْرًا؛ قَالَ لِي : يَا أَيُّوبُ، إِذَا وَقَعَ السَّاجِدُ فِي الْبَحْرِ فَكَمْ عَسَى أَنْ يَسَّحَ !

قَالَتْ امْرَأَةٌ أَبِي حَازِمٍ يَوْمًا لَهُ : يَا أَبَا حَازِمٍ، هَذَا الشَّيْءُ قَدْ هَمَّ وَلَا يَدَّ لَنَا مِمَّا
يُصْلِحُنَا فِيهِ، فَذَكَّرَتِ الثَّيَّابَ وَالطَّعَامَ وَالْحَطَبَ؛ فَقَالَ : مِنْ هَذَا كُلُّهُ بَدٌّ، وَلَكِنْ
خُذِي مَا لَا يَدَّ مِنْهُ : الْمَوْتَ ثُمَّ الْبَيْتَ ثُمَّ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ .

قال أبو العاتية :

أَطِيعِ اللَّهَ يَهْدِكَ * عَامِلًا أَوْ دُونَ جَهْدِكَ

أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَطُ * لِمَنْ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكَ .

وقال أيضا :

أَرَى أَنَا سَاءَ بَأْسَى الدِّينِ قَدْ قَنَعُوا * وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْبَيْتِ بِالدُّنَى

فَاسْتَفْنِ بِالَّذِينَ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اس * تَغْنِي الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

وقال محمد بن حازم :

مَا الْفَقْرُ عَارٌ وَلَا الْغِنَى شَرُّ * وَلَا تَبَخَّاءٌ فِي طَاعَةِ سَرَفٍ

مَا لَكَ إِلَّا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ * وَكُلُّ شَيْءٍ أَتْرَحَهُ تَلْفٌ

تَرْتُكُّكَ مَالًا لَوَارِثٍ بَيْنَهُ * تَهْتَكُهُ وَتَقْصِلُ بِحَرْزِهِ أَسْفٌ

وقال أبو العاتية :

إِلَّا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ * وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالنَّدَمُ

وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقَى نَقِصَةٌ * إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَالَكَ أَوْ حَمَمٌ

قال علي بن الحسين : الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين .
 قيل لابن سيرين : ما أشد الورع ! قال : ما أيسره ! اذا شككت في شيء فندمه .
 قال رجل لحذيفة : أخشى أن أكون منافقا فقال : لو كنت منافقا لم تخش .
 وقال محمود الوراق :

يا ناظرا يرئو بعيني راقدا * ومُشاهدا للأمر غير مشاهد
 فصل الذنوب إلى الذنوب وترجي * درك الحناني بها وفوز السائد
 وتيسر أنت الله أخرج آدمًا * منها إلى الدنيا بذنوب واحد
 وقال وضاح اليمن :

مالك وضاح دائم النزل * ألت تخشى هارب الأجل
 يا موت ما إن ترأل معترضا * لأمل دون منتهى الأمل^(١)
 تسال كفأك كل منبهة * وحوث بحير ومغفل الويل
 صل لدى العرش واتخذ قدما * ثحيك بعد العثار والزلال
 قيل ليوسف عليه السلام : مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال :
 أخاف أن أشبع فأنسى الجماع .

وقال أمية بن أبي الصلت :

ها طريقا فائز دخل ال * جنة حفت به حدائقها
 وفرقة في الجحيم مع فرق الشيطان يشق بها مراقبها
 تعرف هذا القلوب حقا اذا * همت بخير فاعوانها
 وصبتها للشقاء عن طلب ال * جنة دنيا والله ما يحقها

(١) لم يوجد في الأصل من هذا الشطر الا كلمة « الأمل » وقد أبتناه عن الأغاني في ترجمة

عبد دنا نفسه فعانها * يعلم أن البصير رامتها
 اقرب الوعد والقلوب الى الله وحب الحياة ساقطها
 ما رغبة النفس في البقاء وأن * تحيا قليلا والموت لاحقها
 أمامها فائد اليه ويح * ملوها حيثما اليه ساقطها
 قد أيقنت أنها تصير كما * كان يراها بالأمس خالقها
 وانت ما جمعت وأعجبها * من صيشة مرة مفارقها
 من لم يمت عطلة يمت هرما * لولت كأس والمرء ذائقها

قال بعض الزهاد : إن صفاء الزهد في الدنيا وكفالة ألا تأخذ من الدنيا شيئا ولا
 تتركه إلا لله، فإذا كنت كذلك كان أخذك تركا ومعاملك لله فيها زججا، وإن صفاء
 الرغبة في الدنيا وكفالتها ألا تأخذ منها شيئا ولا تتركه إلا لها، فإذا كنت كذلك كان
 تركك أخذًا وفوت ما فات عليك منها حمرة .

حبس بعض الملوك رجلا ثم فقل عنه الى أن مضى عليه زمان؛ فقال للوك
 به : قل له : إن كل يوم يمضي من نعيمك يمضي من يؤسى، والأمر قريب،
 والحكم لله عز وجل . والسلام .

(١) يقال : مات صبيحة اذا مات شابا جنيبا .

جاء في آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه :

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله،
ويتلوه في الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً
على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

يوجد في النسخة الفتوغرافية عقب هذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع
شعرية وثنية في نحو ست صفحات منقول جلها عن المقد، وليست من تأليف
ابن قتيبة .

